﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝٤٣ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٥﴾

زعم الفرّاء أنه إنما أمر بتنكيره؛ لأن الشياطين قالوا له: إنّ في عقلها شيئاً فأراد أن يمتحنها. ننظرْ جُزم لأنه جواب الأمر، ومن رفعه جعله مستأنفاً ﴿أتهتدي﴾ في معناه قولان: أحدهما أتهتدي بمعرفته، والآخر أتهتدي لهذه الآية العظيمة وتعلمُ أنها لا يأتي بها إلاّ نبيّ من عند الله جلّ وعزّ فتهتدي وتدع الضلالة.

﴿.. قالتْ كأنه هو..﴾ [٤٢]

خبر كأنّ مكنِيّ عنه لأنه قد تقدم ذكره ﴿وأُوتينا العلم من قبلها﴾ قيل: العلم بالتوحيد ﴿وكنّا مسلمين﴾ قيل: لأن قومها أسلموا قبلها.

﴿وصدها ما كانتْ تعبدُ من دون الله..﴾ [٤٣]

تكون ﴿ما﴾ في موضع رفع أي صدها عبادتها من دون الله وعبادتها إياها عن أن تعلم ما علمناه عن أن تُسلم، ويجوز أن تكون ﴿ما﴾ في موضع نصب، ويكون التقدير: وصدها الله جلّ وعزّ عن عبادتها أي وصدها سليمان ﷺ عن عبادتها فحذَف «عن» وتعدّى الفعل، وأنشد سيبويه [الكتاب: ١/١٨]: [الطويل]

ونُبّئتُ عبدَ الله بالجوّ أصبحتْ كراماً مواليها لئيماً صَميمُها

وزعم أن المعنى عنده نُبئتُ عن عبد الله، ومن قرأ ﴿أنها﴾ بفتح الهمزة كانت أنّ في موضع نصب بمعنى لأنها، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿ما﴾ والكسر على الاستئناف.

﴿قيل لها ادخلي الصرح..﴾ [٤٤]

التقدير على مذهب سيبويه [الكتاب: ١/٧٩]: ادخلي إلى الصرح فحُذفت ﴿إلى﴾ وعُدّي الفعل، وأبو العباس يغلّطه في هذا، قال: لأن ﴿دخل﴾ يدلّ على مفعول. ﴿قالت ربِّ إنّي ظلمتُ نفسي﴾ كُسرتْ إنّ لأنها مبتدأة بعد القول، ومن العرب من يفتحها فيُعمل فيها القول ﴿وأسلمتُ مع سليمان لله ربّ العالمين﴾ إذا سكنت ﴿مع﴾ فهي حرف جاء لمعنى بلا اختلاف بين النحويين في ذلك، وإذا فتحها ففيها قولان: أحدهما أنها بمعنى الظرف اسم، والآخر أنها حرف خافض مبنيّ على الفتح.

﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً..﴾ [٤٥]

قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ
وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾

جُعل اسماً للقبيلة فلم يُصرف، وصرفهُ حَسَنٌ على أنه اسم للحيّ **﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾** على المعنى، ويختصمان على اللفظ.

﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة..﴾ [٤٦]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٢٣]: أي لِمَ قلتم: إن كان ما أتيت به حقاً فأتنا بالعذاب؟

﴿قالوا اطَّيرنا بك وبمن معك..﴾ [٤٧]

قال مجاهد: أي تشاءمنا، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٢٣]: الأصل تطيّرنا فأُدغمت التاء في الطاء لأنها من مخرجها واجتلبت ألف الوصل لئلاّ يُبتدأ بساكن، فإذا وصلتَ حذفتها **﴿قال طائركم عند الله﴾** قال الفراء [معاني القرآن: ٢/٢٩٥]: يقول في اللوح المحفوظ عند الله جلّ وعزّ تشاءمون بي وتتطيّرون، وذلك من عند الله تعالى مثل قوله **﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾** [يس: ١٩] أي لازم لكم ما كان من خير أو شرٍّ لازم لكم وفي رقابكم.

﴿وكان في المدينة تسعةُ رَهْط..﴾ [٤٨]

اسم للجمع، وجمعه أرهط، وجمع الجمع أراهطٌ **﴿يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون﴾** قال الضحّاك: كان هؤلاء التسعة عظماء أهل المدينة، وكانوا يفسدون ويأمرون بالفساد فجلسوا تحت صخرة عظيمة على نهر، فقلبها الله جلّ وعزّ عليهم، فقتلهمْ فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا.

﴿قالوا تقاسموا بالله لَنُبيّتَنَّهُ وأهلهُ..﴾ [٤٩]

وهذا، من أحسن ما قرىء به هذا الحرف لأنه يدخل فيه المخاطبون في اللفظ والمعنى. وإذا قرأ **﴿لَتُبَيِّتُنَّهُ﴾** لم يدخل فيه المخاطَبون في اللفظ ودخلوا في المعنى، وقراءة مجاهد **﴿لَيُبَيِّتُنَّهُ﴾** [معاني القرآن للفراء: ٢/٢٩٦] بالياء. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٢٣]: **﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾** أي قالوا: لنبيتنه، متقاسمين أي متحالفين **﴿ثم لنقولنّ لوليّه ما شهدْنا مُهلِك أهله﴾** **﴿مُهلِك﴾** بمعنى إهلاك، ويكون بمعنى الظرف وعن عاصم **﴿ما شهدنا مَهْلَك﴾** بمعنى هلاك، وعنه **﴿مَهْلِكَ﴾** وهو اسم موضع الهلاك كما تقول: مجلس.

﴿ومكروا مكراً..﴾ [٥٠]

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٥٣ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾

إنما عملوه ﴿ومكرنا مكراً﴾ جازيناهم على ذلك، وقيل: المكر من الله الإتيان بالعقوبة المُستحقةِ من حيث لا يدري العبد.

﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم..﴾ [٥١]

وقرأ الكوفيّون والحسن وابن أبي إسحاق وهي قراءة الكسائي ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ بفتح الهمزة، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٢٩٦] أن فتحها من جهتين: إحداهما أن تردّها على كيف. قال أبو جعفر: وهذا لا يُحصَّلُ لأن كيف للاستفهام و﴿أنّا﴾ غير داخل في الاستفهام، والجهة الأخرى عنده أن تكُرّ عليها ﴿كان﴾ كأنك قلت: كان عاقبة أمرهم تدميرهم.

قال أبو جعفر: وهذا مُتَعسِّفٌ، وفي فتحها خمسة أوجه: منها أن يكون التقدير: لأنّا دمّرناهم، وتكون أن في موضع نصب، ويجوز أن تكون في موضع رفع بدلاً من عاقبة، ويجوز أن تكون في موضع نصب على خبر كان، ويجوز أن تنصب عاقبةً على خبر كان وتكون أنّ في موضع رفع على أنها اسم كان، ويجوز أن تكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ تبييناً للعاقبة، والتقدير: من أنّا دمرناهم، ومن قرأ ﴿إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ جعلها مستأنفة. قال أبو حاتم: وفي حرف أُبَيّ ﴿أنْ دمّرناهُمْ﴾ تصديقاً لفتحها.

﴿فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا..﴾ [٥٢]

النصب على الحال [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٢٥]، والرفع من خمسة أوجه: تكون ﴿بيوتهم﴾ بدلاً من تلك و﴿خاوية﴾ خبر الابتداء، وتكون ﴿بيوتهم﴾ خبراً و﴿خاوية﴾ خبراً ثانياً كما يقال: هذا حلوٌ حامضٌ، وتكون ﴿خاويةٌ﴾ على إضمار مبتدأ أي هي خاوية، وتكون بدلاً من بيوتهم لأن النكرة تُبدلُ من المعرفة.

﴿ولوطاً إذ قال لقومه..﴾ [٥٤]

بمعنى وأرسلنا لوطاً أو واذكر لوطاً.

﴿أئنكم..﴾ [٥٥]

بتخفيف الهمزة الثانية اختيار الخليل وسيبويه رحمهما الله، فأما الخط فالسبيل فيه أن يُكتب بالفين على الوجوه كلّها لأنها همزة مبتدأة دخلت عليها ألف الاستفهام. ﴿وَتَأْتُونَ فِي

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦
فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٥٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ٥٨
قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ
بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٣ أَمَّن يَبْدَؤُاْ
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٦٤ قُل

نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] قال مجاهد: كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس.

﴿فما كان جوابَ قومه إلاّ أنْ قالوا..﴾ [٥٦]

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٢٦/٤] **﴿فما كان جوابُ قومه إلاّ أنْ قالوا﴾** جعلا **﴿أن﴾** خبر كان، فما كان جواب قومه إلا قولهم. وقرأ عاصم **﴿قَدَرْنَاهَا﴾** مخففاً، والمعنى واحد يقال: قَدَرْتُ الشيء قَدْراً وقَدَراً وقدّرتُهُ.

﴿قل الحمدُ لله..﴾ [٥٩]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢٩٧/٢]: المعنى قيل للوط ﷺ: قلْ: الحمد لله على هُلْكِهِمْ **﴿وسلامٌ على عباده الذين اصطفى﴾** وخالف جماعة من العلماء الفرّاء في هذا فقالوا: هو مخاطبة لنبينا ﷺ. قال أبو جعفر: وهذا أولى لأنّ القرآن مُنزلٌ على النبي ﷺ وكل ما فيه مخاطَبٌ به عليه السلام إلا ما لم يصح معناه إلا بغيره **﴿آلله خيرٌ﴾** وأجاز أبو حاتم **﴿أألله﴾** بهمزتين ولم نعلم أحداً تابعه على ذلك لأن هذه المَدّة إنما جيء بها فرقاً بين الاستفهام والخبر، وهذه ألف التوقيف، **﴿وخيرٌ﴾** ههنا ليس بمعنى أفعل منك إنما هو مثل قول الشاعر حسّان: [الوافر]

فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ

[القرطبي في تفسيره: ٩/١٣]

فالمعنى فالذي فيه الشر منكما للذي فيه الخير الفداء، ولا يجوز أن يكون بمعنى مِنْ لأنك إذا قلت: فلانٌ شرٌّ من فلان، ففي كلّ واحد منهما شر.

﴿..ذاتَ بهجة..﴾ [٦٠]

قال عكرمة: الحدائق: النخل **﴿..ذاتَ بهجة﴾** قال أهل التفسير: البهجة: الزينة والحسن.

لَا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ

﴿قل لا يعلمُ من في السمواتِ والأرضِ الغيبَ إلاَّ الله..﴾ [٦٥]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٢٧]: هذا بدل من ﴿مَنْ﴾ والمعنى لا يعلم أحد الغيب إلاّ الله قال: ومنْ نصب نصب على الاستثناء يعني في الكلام. قال أبو جعفر: وسمعته يحتجّ بهذه الآية على من صدّق مُنجماً، وقال: أخاف أن يكفر لعموم هذه الآية.

﴿بل اداركَ علمهم في الآخرة..﴾ [٦٦]

هذه قراءة أكثر النحويين منهم شيبة ونافع ويحيى بن وثاب وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير وحُميد ﴿بل أدْرَكَ﴾ [معاني القرآن: ٢/٢٩٩]، وقرأ عطاء بن يسار ﴿بل ادْرَكَ﴾ بتخفيف الهمزة، وقرأ ابن محيصن ﴿بل ادْرَكَ علمهمْ في الآخرة﴾ وقرأ ابن عباس ﴿بلى ادّارَكَ﴾ وإسناده إسناد صحيح هو من حديث شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس، وزعم هارون القارىء أن قراءة أُبي بن كعب ﴿بل تدارك علمهم﴾، القراءة الأولى والآخرة معناهما واحد؛ لأن أصل اداركَ تداركَ أُدغمت التاء في الدال فجيء بألف الوصل [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٢٨]؛ لأنه لا يُبدأ بساكن فإذا وصَلْت سَقطت ألف الوصل وكُسرت اللام لالتقاء الساكنين.

وفي معناه قولان: أحدهما أن المعنى: بل تكامل علمهم في الآخرة لأنهم رأوا كلّما وعِدُوا به معاينةً فتكامل علمهم به، والقول الآخر أنّ المعنى: بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة فقالوا تكون، وقالوا لا تكون. وفي معنى أدْرَكَ قولان: أحدهما معناه كمل في الآخرة، وهو مثل الأول، والآخر على معنى الإنكار وهذا مذهب أبي إسحاق، واستدلّ على معنى صحة هذا القول بأن بعده ﴿بلْ هم منها عَمُون﴾. فأما معنى أدْرَكَ فليس فيه إلا وجه واحد، يكون فيه معنى الإنكار كما تقول: أأنا قاتلتك؟ أي لم أقاتلك فيكون المعنى لم يُدْرِكْ. ﴿بل هم منها عمون﴾ حُذفتْ منه الياء لالتقاء الساكنين، ولم يجز تحريكها لثقل الحركة فيها.

﴿وقال الذين كفروا أئذا كنّا تُراباً وآباؤنا أئنّا لمخرجون﴾ [٦٧]

﴿وقال الذين كفروا أئذا كنّا تُراباً وآباؤنا أئنّا لمخرجون﴾ هكذا يقرأ نافع في هذه السورة وفي سورة (العنكبوت)، وقرأ أبو عمرو باستفهامين إلاّ أنه خفّف الهمزة، وقرأ عاصم وحمزة باستفهامين أيضاً إلا أنهما حقّقا الهمزتين. وكل ما ذكرناه في السورتين جميعاً واحد، وقرأ الكسائي ﴿أإذا﴾ بهمزتين ﴿إنّنا﴾ بنونين في هذه السورة وفي سورة (العنكبوت) باستفهامين. القراءة الأولى ﴿إذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا..﴾ موافقة للخط حسنةٌ، وقد عارض فيها أبو حاتم، فقال: وهذا معنى كلامه ﴿إذا﴾ ليس باستفهام و﴿أئنا﴾ استفهام وفيه ﴿إنّ﴾ فكيف يجوز أن يعمل

وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾
وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ
إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى
ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

ما في حيز الاستفهام فيما قبله، وكيف يجوز أن يعمل ما بعد إنّ فيما قبلها، وكيف يجوز غداً إنّ زيداً خارجٌ، فإذا كان فيه استفهام كان أبعد، وهذا إذا سئل عنه كان مشكلاً لما ذكره.

قال أبو جعفر: وسمعت محمد بن الوليد يقول: سألنا أبا العباس محمد بن يزيد عن آية من القرآن صعبة الإعراب مشكلة وهي قوله جل وعز: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧] فقال: إنْ عمل في ﴿إذا﴾ ﴿ينبئكم﴾ كان محالاً لأنه لا ينبئهم ذلك الوقت، وإنْ عَمِلَ فيه ما بعد إنْ كان المعنى صحيحاً، وكان خطأً في العربية أن يعمل ما بعد إنّ فيما قبلها. وهذا سؤال بيّن، ويجب أن يُذكر في السورة التي هو فيها. فأما أبو عبيد فمال إلى قراءة نافع وردّ على من جمع بين استفهامين، واستدلّ بقول الله جلّ وعزّ: ﴿أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وبقوله جلّ وعزّ: ﴿أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وهذا الرد على أبي عمرو وعاصم وحمزة وطلحة والأعرج لا يلزم منه شيء، ولا يشبه ما جاء به من الآية شيئاً، والفرق بينهما أن الشرط وجوابه بمنزلة شيء واحد، ومعنى ﴿أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ أفإنْ متَّ خلدوا، ونظير هذا: أزيدٌ منطلقٌ، ولا يقال: أزيدٌ أمنطلق، لأنهما بمنزلة شيء واحد، وليس كذا الآية، لأن الثاني جملة قائمة بنفسها فصلح فيها الاستفهام، والأول كلام منفرد يصلح فيه الاستفهام، فأما من حذف الاستفهام من الثاني فلأن في الكلام دليلاً عليه لمعنى الإنكار.

﴿وما أنت بهادي العُمْي..﴾ [٨١]

وهذه قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم والكسائي، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٠٠] وأبو حاتم **﴿وما أنتَ بهاد العمي﴾** وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة **﴿وما أنت تهدي العمي عن ضلالتهم﴾** وفي حرف عبد الله **﴿وما أنْ تهدي العمي عن ضلالتهم﴾**. القراءة الأولى بحذف الياء في اللفظ لالتقاء الساكنين وإثباتها في الخط، والقراءة الثانية بحذف الياء في اللفظ والخط

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

لسكونها وسكون التنوين بعدها، ومن العرب من يثبتها في الوقف فيقول: مررت بقاضي، لأن التنوين لا يثبت في الوقف، والقراءة الثالثة بحذف الياء منها في اللفظ وفي الوصل لالتقاء الساكنين وفي حرف عبد الله ﴿وما إنْ تهدي﴾ إن زائدة للتوكيد وهي كافة لما عن العمل ﴿إنْ تُسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٢٩/٤]: أي ما تُسمع قال: والمعنى ما تُسمع فيعي ويعمل إلا من يؤمن بآياتنا فأمّا من يسمع ولا يقبل فهو بمنزلة الأصمّ.

﴿وإذا وقع القول عليهم..﴾ [٨٢]

قالت حفصة ابنة سيرين: سألت أبا العالية عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابةً من الأرض﴾ فقال: أوحى الله جلّ وعزّ إلى نوح ﷺ ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فكأنما كان على وجهي غطاء فكُشف. قال أبو جعفر: وهذا من حسن الجواب لأن الناس ممتحنون ومؤخّرون لأن فيهم مؤمنين وصالحين، ومَنْ قد علم الله جلّ وعزّ أنه سيؤمن ويتوب، ولهذا أمرنا بأخذ الجزية فإذا زال هذا وجب القول عليهم فصاروا كقوم نوح ﷺ حين قال الله جلّ وعزّ فيهم: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾، ﴿أخرجنا لهم دابةً من الأرض تكلّمُهم﴾.

قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليه: تخرج الدابة من صدع في الصفا، وقرأ ابن عباس وعكرمة وعاصم الجحدري وطلحة وأبو زرعة ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تَكْلِمُهُمْ﴾ قال عكرمة: أي تَسِمُهُم. وفي معنى ﴿تُكلّمُهمْ﴾ قولان: فأحسن ما قيل فيه ما روي عن ابن عباس قال: هي والله تُكلّمُهمْ وتَكْلِمُهمْ، تُكلّمُ المؤمن، وتَكْلِمُ الكافر أو الفاجر تجرحه.

وقال أبو حاتم: تُكلّمهمْ كما تقول: تُجرّحهمْ يذهب إلى أنه تكثير من تَكْلِمُهمْ، وقرأ الكوفيون وابن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٢٩/٤] ﴿أنّ الناس﴾ بفتح الهمزة، وقرأ أهل الحرمين وأهل الشام وأهل البصرة ﴿إنّ الناس﴾ بكسر الهمزة. قال أبو جعفر: في المفتوحة قولان وكذا المكسورة، قال الأخفش [معاني القرآن: ٦٥١/٢]: المعنى بأنّ الناس، وقال أبو عبيد: موضعها نصب بوقوع الفعل عليها أي تخبرهم أن الناس. وقال الكسائي: والفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٠٠]: ﴿إن الناس﴾ بالكسر على الاستئناف، وقال الأخفش: هو بمعنى: تقول: إنّ الناس.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿ويوم يُنفخُ في الصُور..﴾ [٨٧]

بمعنى واذكر، ومذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٠١] أن المعنى: وذلك يوم يُنفخ في الصور، وأجاز فيه الحذف وجعله مثل ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبا: ٥١]. **﴿ففزع من في السموات ومنْ في الأرض﴾** فهذا ماض **﴿ويُنفخ﴾** مستقبل، ويقال: كيف عُطف ماض على مستقبل؟ وزعم الفرّاء أنه محمول على المعنى، لأن المعنى: إذا نفِخَ في الصور ففزع **﴿إلاّ من شاء الله﴾** في موضع نصب على الاستثناء.

قرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم والكسائي **﴿وكلٌ آتوهُ داخرين﴾** جعلوه فعلاً مستقبلاً، وقرأ الأعمش وحمزة **﴿وكلٌ أتوه﴾** جعلاه فعلاً ماضياً. قال أبو جعفر: وفي كتابي عن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٣٠] في القرآن من قرأ **﴿وكلٌ أتوه﴾** وحّده على لفظ كل، ومن قرأ **﴿آتوه﴾** جمع على معناها. وهذا القول غلط قبيح لأنه إذا قال: وكلٌ أتوه فلم يوحّد وإنما جمع فلو وحّد لقال: أتاه، ولكن من قال: أتوه جمع على المعنى وجاء به ماضياً لأنه ردّه على **﴿ففزع﴾** ومن قرأ **﴿وكلٌ آتوه﴾** حمله على المعنى، وقال: آتوه لأنها جملة منقطعة من الأول.

﴿وترى الجبال..﴾ [٨٨]

من رؤية العين، ولو كان من رؤية القلب لتعدّتْ إلى مفعولين، والأصل ترأى فألقيت حركة الهمزة على الراء فتحرّكت الراء وحُذفت الهمزة فهذه سبيل تخفيف الهمزة إذا كان قبلها ساكن إلاّ أنّ التخفيف لازم لترى وأخواتها من المضارع لكثرته في الكلام، وأنه يقع لرؤية العين والقلب.

﴿تحْسِبُها جامدة﴾ لا بد لتحسب من مفعولين، وظننتُ قد يتعدى إلى واحد فقط، وأهل الكوفة يقرؤون **﴿تَحْسَبُهَا﴾** وهو القياس لأنه من حسِب يحسَبُ إلا أنه قد روي عن النبي ﷺ خلافها أنه قرأ بالكسر في المستقبل فيكون على فَعِل يَفْعِلُ، كما قالوا نَعِمَ يَنعِمُ ونَئِسَ يَئِسُ، وحكى بَئِسَ يَبْئِسُ من السالم، لا يُعرف في كلام العرب غير هذه الأحرف. **﴿وهي تمرُّ مرَّ السحاب﴾** مصدر، وتقديره: مرّاً مثل مرّ السحاب فأقمْت الصفة مقام الموصوف والمضاف إليه. **﴿صنع الله﴾** منصوب عند الخليل وسيبويه رحمهما الله على أنه مصدر؛ لأنه لمّا قال عزّ وجلّ: **﴿وهي تمرُّ مرّ السحاب﴾** دلّ على أنه صنع ذلك صنعاً، ويجوز النصب على الإغراء أي انظروا صنع الله. قال أبو إسحاق: ويجوز الرفع على معنى: ذلك صنع الله.

﴿.. وهُم من فزَعٍ يومئذ آمنون﴾ [٨٩]

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

تخفض يوماً على الإضافة وتحذف التنوين لها ومن نصب وأضاف فقرأ ﴿مِّن فَزَعِ يَوْمَئِذٍ آمنون﴾ جعل يومئذ مبنياً على الفتح، مضاف إلى غير متمكّن، وأنشد سيبويه: [الطويل]

على حين ألهى الناس جُلُّ أُمورِهِمْ

[القرطبي في «تفسيره»: ١٣/ ٢٤٥]

فإن قال قائل: قد قال سيبويه [الكتاب: ١/ ٧]: التنوين علامة الأمكنِ عندهم، وقال: ويحدثُ من المضارعة بُعد ﴿كَمْ﴾ و﴿إذ﴾ من المتمكّنة فكيف يكون التنوين علامة للأمكن ثم يدخل فيما لا يتمكن بوجه من الوجوه فهذا ضرب من المناقضة؟

فالجواب عن هذا أنّ التنوين الذي على سيبويه ليس هو هذا التنوين وإنّما يتوهمه أنّه كان ضعيفاً في العربية والتنوين الذي أراده هو الذي يقول بعض النحويين فيه: أدخِلَ فرقاً بين ما ينصرف وما لا ينصرف، ويقول بعضهم: فرقاً بين الاسم والفعل. وللتنوين قسمان آخران: يكون فرقاً بين المعرفة والنكرة، ويكون عوضاً في قولك: جوار وفي قولك: يومئذ.

﴿ومن جاء بالسيئة فكُبَّتْ وجوههمْ في النار..﴾ [٩٠]

والفعل من هذا كَبَبْتُهُ واللازم منه أكبّ وقلّ ما يأتي هذا في كلام العرب.

﴿إنما أُمرت أنْ أعبد ربَّ هذه البلدة الذي حرّمها..﴾ [٩١]

﴿الذي﴾ في موضع نصب [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ١٣٠] نعت لرب، ولو كان بالألف واللام قلت: المُحرّمها، فإن كان نعتاً للبلدة المُحرِّمها هو، لا بدّ من إظهار المُضمر مع الألف واللام لأن الفعل جرى على غير من هو له فإن قلت: الذي حرّمها لم تحتجْ أن تقول هو.

﴿وأن أتلوا..﴾ [٩٢]

نصب بأن. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٠١]: وفي إحدى القراءتين ﴿وأن اتلُ القرآن﴾، وزعم أنه في موضع جزم بالأمر فلذلك حُذفتْ منه الواو. قال أبو جعفر: ولا نعرف أحداً قرأ بهذه القراءة وهي مخالفة لجميع المصاحف، وقوله في موضع جزم خطأ عند البصريين لأنه لا يكون جزم بلا جازم، وتقديره اللام خطأ لم يكن بدّ من المجيء بحرف المضارعة فكيف تضمُرُ اللام وهي إذا جيء بها كان الكلام على غير ذلك، وحروف الجزم لا تُضمر، وهذا الفعل لا يجوز أن

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

يكون معرباً لأنه ليس بالمضارع. قال سيبويه: أسكنوها لأنها لا يوصف بها ولا تقع موقع المضارعة.

﴿. . وما ربُّك بغافل عمَّا تعملون﴾ [٩٣]

بالتاء ليكون الكلام على نسق واحد، وبالياء على أن يُرَدَّ إلى ما قبله أو على تحويل المخاطبة.

٢٨ ـ سورة القَصَص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ
نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾

شرحُ إعرابِ سُورةِ القَصَصِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم..﴾ [١]

﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ [٢]

تلك في موضع رفع بمعنى هذه تلك و﴿آيات﴾ بدل منها، ويجوز أن يكون ﴿تلك﴾ في موضع نصب بـ ﴿نتلو﴾ و﴿آيات﴾ بدل منها أيضاً وتنصبها كما تقول: زيداً ضربتُ.

﴿إنّ فرعون علا في الأرض..﴾ [٤]

﴿علا﴾ ههنا فعلٌ، وقد يكون في غير هذا اسماً إذا قلت: أخذته من على الحائط، وتكون حرفاً، في قولك: على زيد مالٌ، ويجوز كتابته بالياء إذا كان اسماً أو حرفاً، لأن ألفه ينقلب ياء مع المضمر وإنما انقلبت ياءً فرقاً بينها وبين المتمكن في قولك: رأيت عصاه يا هذا، ومن العرب من لا يقلب الألف ياءً، كما قال: [الرجز]

طـــاروا عَـــلاهُـــنَّ فَـــطِـــرْ عَـــلاهـــا

وإذا كانت اسماً خُفض ما بعدها بالإضافة، وتخفض ما بعدها إذا كانت حرفاً، وإذا كانت فعلاً رفعتَ ما بعدها بفعله أو نصبته لتعديها إليه. ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ مفعولان. وواحد الشيع شيعةٌ وهي الفرقة التي يُشَيِّعُ بعضها بعضاً أي يعاونه.

﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض..﴾ [٥]

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝٦ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝٨ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

قال سعيد عن قتادة قال: هم بنو إسرائيل ﴿ونجعلهم أئمة﴾ قال: ولاة الأمر ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ قال: أي من بعد فرعون وقومه.

﴿ونُمكّن لهم في الأرض..﴾ [٦]

عطف على ما قبله. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٣٢]: ويجوز و﴿نُمكّنُ﴾ بالرفع على معنى ونحن نمكّن ﴿ونُري فرعون وهامان﴾ هذه قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم، وهي على نسق الكلام لأن قبله ﴿ونريد﴾ وقرأ سائر الكوفيين ﴿ويرى فرعون وهامان﴾ وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٠٢] ﴿ويُري فرعون وهامان﴾ بمعنى ويُري الله فرعون وهامان ﴿وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون﴾ تعدى إلى مفعولين لأنه متعدّي يرى.

﴿وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه..﴾ [٧]

فإن خفّفتَ الهمزة ألقيت حركتها على النون وحذفتها لقربها من الساكن، وأن النون كانت قبلها ساكنة.

﴿فالتقطهُ آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزَناً..﴾ [٨]

نصب ﴿ليكون﴾ بلام كي، وربما أشكل هذا على من يجهل اللغة ويكون ضعيفاً في العربية فقال: ليست بلام كي ولقبها بما لا يعرف الحُذّاق من النحويين أصله، وهذا كثير في كلام العرب، ويقال: جمع فلانٌ المال لِيُهلكه، وجَمَعه لِحَتْفِهِ، وجمعه لِيُعاقب عليه، لمّا كان جمعه إياه قد أداه إلى ذلك كان بمنزلة من جَمَعه له كما قال: [المتقارب]

فللموتِ ما تلدُ الوالدة

وقرأ الكوفيون إلاّ عاصماً ﴿ليكون لهم عدوّاً وحُزْناً﴾ فهذا الاسم للغمّ، والحَزَن مصدر حَزَنَ.

﴿وقالت امرأة فرعون قُرّةُ عينٍ لي ولك..﴾ [٩]

قال الكسائي: المعنى: هذا قرة عين لي ولك. قال أبو جعفر: وفي رفعه وجهٌ آخر بعيد ذَكَره أبو إسحاق: يكون رفعاً بالابتداء والخبر ﴿لا تقتُلُوهُ﴾ وإنما بَعُدَ لأنه يصير المعنى أنه

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

معروف بأنه قرة عين له، وجوازه أن يكون المعنى: إذا كان قرّةَ عين لي ولك فلا تقتلوه، ويجوز النصب بمعنى لا تقتلوا قُرّةَ عين لي ولك. وقالت: لا تقتلوه ولم تقل: نقتله، وهي تخاطب فرعون كما يخاطَبُ الجبارون وكما يُخبِرون عن أنفسهم ﴿وهم لا يشعرون﴾ يكون لبني إسرائيل، ويجوز أن يكون لقوم فرعون أي لا يشعرون أنه يسلبهم ملكهم.

﴿وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغاً..﴾ [١٠]

قد ذكرناه، وعن فضالة بن عبيد (وأصبح فؤاد أم موسى فَزِعاً). ﴿إنْ كادت لتُبدي به﴾ من بدا يبدو إذا ظهر، وعن ابن مسعود قال: كانت تقول: أنا أُمّه. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٠٢]: أي إنْ كادت لتُبدي باسمه لضيق صدرها. ﴿لولا أنْ ربطنا على قلبها﴾ ﴿أنْ﴾ في موضع رفع وحُذف الجواب لأنه قد تقدم ما يدل عليه ولا سيما وبعده ﴿لتكون من المؤمنين﴾.

﴿وحرّمنا عليه المراضع من قبلُ..﴾ [١٢]

﴿المراضع﴾ جمع مُرضِع على جمع التكسير، ومن قال: مراضيع فهو جمع مِرضاع ومِفْعَالٌ تكون للتكثير، ولا تدخل الهاء فيه فرقاً بين المذكر والمؤنث؛ لأنه ليس بجار على الفعل ولكن من قال: مِرضَاعةٌ جاء بالهاء للمبالغة، كما يقال: مِطْرابَةٌ. قال الفرّاء: تدخل الهاء فيما كان مدحاً يراد به الداهية، وفيما كان ذماً يراد به البهيمة، وهذا القول خطأ عند البصريين، ولو كان كما قال لكانت الهاء للتأنيث.

﴿منْ قبلُ﴾ غاية ومعنى غاية أنه صار غاية الاسم لِما حُذف منه. قال محمد بن يزيد: فأُعطي الضمّة لأنها غاية الحركات، وقال غيره: أُعطي الضمّة لأنها لا تلحقه في حال السلامة. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٣٥]: التقدير: منْ قبل أن نردّه إليها ﴿فقالت هلْ أدلكمْ على أهل بيت يكفلونهُ لكمْ﴾ ﴿يكفلونه﴾ ليس بجواب، ولكن مقطوعاً من الأول، أو في موضع نعت لأهل ﴿وهمْ له ناصحون﴾ ليس ﴿له﴾ متعلقاً بناصحين، فلو كان ذلك لكان تفريقاً بين الصلة والموصول، وقد ذكرناه في سورة (الأعراف).

﴿ولمّا بلغ أشدّه..﴾ [١٤]

عند سيبويه [الكتاب: ٢/١٨٣] جمع شِدّة، وقال غيره: هو جمع شَدّ، وقيل: هو واحد،

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

وحكى أبو إسحاق في غير هذه السورة أنه لا يُعرف في كلام العرب اسم واحد على أفْعُل بغير هاء إلاّ أشُدّ وهو وهم. وقد حكى أهل اللغة أصبع. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٣٥]: وتأويل بلغ أشدّه استكمل نهاية قوة الرجل ﴿واستوى﴾ أهل التفسير منهم ابن عباس على أنّ معنى واستوى بلغ أربعين سنة، وتأوّله أبو إسحاق على أنه يجوز أن يكون حقيقة واستوى وصْفَ بلوغ الأشد. ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ العالم والحكيم هو الذي يعمل بعلمه ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ قال أبو إسحاق: فجعل إتيان العلم والحكمة جزاء الإحسان لأنهما يؤدّيان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين.

﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها..﴾ [١٥]

أكثر أهل التفسير منهم ابن عباس على أنه دخل نصف النهار، وقال الضحّاك: طلب أن يدخل المدينة وقت غفلة أهلها، فدخلها حين علم منهم ذلك، فكان منه ما كان من قتل الرجل من قبل أن يؤمر بقتله فاستغفر ربه فغفر له. ويقال في الكلام: دخلت المدينة حين غفل أهلها، ولا يقال: على حين غفل أهلها، ودخلتْ ﴿على﴾ في هذه الآية لأن الغفلة هي المقصودة، فصار هذا كما تقول: جئت على غفلة وإن شئت قلت: جئت على حين غفلة فكذا الآية.

﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ ابتداء وخبر، والمعنى: إذا نظر إليهما الناظر قال: هذا من شيعته أي من بني إسرائيل. ﴿وهذا من عدوّه﴾ أي من قوم فرعون، وعدوّه بمعنى أعداء، وكذا يقال في المؤنث: هي عدوٌّ لك. ومن العرب من يُدخل الهاء في المؤنث؛ لأنه بمعنى معادية عند البصريين وعند الكوفيين لأن الواو خفيّةٌ، كذا يقولون، والواو ليستْ بخفية بل هي حرف جَلْدٌ ﴿إنه عدوٌّ مضلّ مبينٌ﴾ خبر بعد خبر، وإن شئت كان ﴿مضلّ مبينٌ﴾ نعتاً.

﴿قال ربِّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ [١٧]

فيه قولان: أحدهما أنه بمعنى الدعاء، وهذا قول الكسائي والفرّاء، وقدّره الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٠٤] بمعنى: اللهم فلن أكون ظهيراً للمجرمين، والقول الآخر أنّه بمعنى الخبر، وزعم الفرّاء أن قوله هو قول ابن عباس. قال أبو جعفر: وأن يكون بمعنى الخبر أولى وأشبهُ بنسق الكلام، كما يقال: لا أعصيك لأنك أنعمت عليّ، وهذا قول ابن عباس على الحقيقة لا ما حكاه الفرّاء؛ لأن ابن عباس قال: لم يستثن فابتُلي، والاستثناء لا يكون في الدعاء، لا تقول: اللهم

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ﴾

اغفر لي إن شئت. وأعجب الأشياء أن الفرّاء روى أن ابن عباس قال هذا ثم حكى عنه قوله.

﴿فأصبح في المدينة خائفاً..﴾ [١٨]

منصوب على خبر أصبح، وإن شئت على الحال ويكون الظرف في موضع الخبر قال الضحاك: خاف أن يراه أحد أو يظهر عليه قال: و**﴿يترقّب﴾** يتلفّتُ **﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾** الذي في موضع رفع بالابتداء **﴿يستصرخه﴾** في موضع الخبر ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال «وأمس» إذا دخلتْ عليه الألف واللام تمكّن وأُعرب عند أكثر النحويين، ومنهم من يبنيه وفيه الألف واللام، وإذا أُضيف أو نُكّرَ تمكّن أيضاً.

والعلة في بنائه عند محمد بن يزيد أن تعريفه ليس كتعريف المتمكنات فوجب أن يُبنى ولا يُعرب فكُسر آخره لالتقاء الساكنين، ومذهب الخليل رحمه الله أن الياء محذوفة منه، وللكوفيين فيه قولان: أحدهما أنه منقول من قولهم: أمسِ بخير، والآخر أن خِلْقَةَ السين الكسر، هذا قول الفرّاء، وحكى سيبويه [الكتاب: ٢/٤٣، ٤٤] وغيره أن مَن العرب من يُجري أمس مجرى ما لا ينصرف في موضع الرفع خاصة، وربما اضطرَّ الشاعر ففعل هذا في الخفض والنصب كما قال: [الرجز]

لقد رأيتُ عجباً مُذ أمسا

فخفض بـ «مُذْ» فيما مضى واللغة الجيدة الرفع وأجرى «أمس» في الخفض مجراه في الرفع على اللغة الثانية. **﴿قال له موسى إنك لغويٌّ مبينٌ﴾** والغوي: الخائب أي لأنك تُشارُّ من لا تُطيقه.

﴿فلمّا أنْ أراد..﴾ [١٩]

﴿أنْ﴾ زائدة للتوكيد، وقرأ يزيد بن القعقاع **﴿أن يَبْطُشَ﴾** وهي لغة إلا أن **﴿يَبْطِشَ﴾** أعرف منها، وإن كان الضمّ أقيس، لأنه فِعْلٌ لا يتعدى. **﴿إنْ تريدُ إلاّ أنْ تكون جباراً في الأرض﴾** قال عكرمة: لا يكون الإنسان جباراً حتى يقتل نفسين. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٣٧]: الجبار في اللغة المتعظّم الذي لا يخضع لأمر الله جلّ وعزّ وإنما تأوّل عكرمة في قتل النفسين الآية كما تأوّل عطاء **﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾** [القصص: ١٧] على أنه لا يحلّ لأحد أن يعين ظالماً، ولا يكتب له، ولا يصحبه، وإنه إنْ فعل شيئاً من ذلك فقد صار مُعيناً للظالمين حتى قال لمن استفتاه: ارمِ قلمك واسترزق الله جلّ وعزّ ولا تكنْ ظهيراً للمجرمين.

﴿ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولما توجّه تلقاء مدين﴾ [٢٢]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٣٨/٤]: أي سلك الطريق الذي هو تلقاء مدين، قال: ولم يتصرف مدين لأنه اسم للبقعة. ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٣٨/٤]: وسواء السبيل: قصد السبيل.

﴿.. ووجد من دونهم امرأتين تذودان..﴾ [٢٣]

فقد ذكرنا قول ابن عباس: إن معنى تذودان تحبسان، وذلك معروف في اللغة يقال: ذاده يذوده إذا حبسه، وإذا قاده لأن معنى قاده حبسه على ما يريد، وإنما كانتا تحبسان غنمهما لأنهما لا طاقة لهما بالسقي وكانت غنمهما تُطرَدُ عن الماء ﴿قال ما خطبُكُما﴾ مبتدأ وخبره. قال أبو إسحاق: والمعنى ما تريدان بذود غنمكما عن الماء ﴿قالتا لا نسقي﴾ أي لا نقدر على السقي ﴿حتى يُصْدِرَ الرعاء﴾، قراءة أهل الكوفة وأهل الحرمين إلا أبا جعفر فإنه قرأ ﴿حتى يَصْدُرَ الرعاء﴾ وكذا قرأ أبو عمرو، فمعنى القراءة الأولى حتى يُصدِرَ الرعاة مواشيهم، ومعنى الثانية حتى ينصرف الرعاء فأفادت القراءتان معنيين وهما حسنان إلا أن ﴿يُصدِر﴾ أشبه بالمعنى.

وزعم أبو حاتم أن المعنى حتى يُصدِروا مواشيهمْ، قال: ولم يُرِدْ حتى ينصرفوا إنْ شاء الله. و﴿الرعاء﴾ جمع راعٍ كما تقول: صاحب وصحاب. قال يعقوب: وذُكر لي في لغة الرعاء بضم الراء، وأنكر أبو حاتم هذه اللغة، وقال: إذا ضممت الراء لم تقل: إلاّ الرعاة بالهاء والذي أنكره لا يمتنع، كما يقال: غاز وغُزّاة وغزّاً بالمدّ والقصر ﴿وأبونا شيخٌ كبيرٌ﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٣٩/٤]: الفائدة في وأبونا شيخ أنه لا يُمكنه أن يحضر فيسقي فاحتجنا ونحن نساء أن نخرج فنسقي.

﴿فسقى لهما..﴾ [٢٤]

أي قبل الوقت الذي كانتا تسقيان فيه ﴿ثم تولّى إلى الظل﴾ وهو في اللغة ما ليس عليه شمس، والفيء ما كانت عليه شمس ثم زالت ﴿فقال ربِّ إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لقد قال موسى ﷺ ربِّ إني لما أنزلت إليَّ من خير فقيرٌ، وما أحد من الخلق أكرم على الله جلّ وعزّ منه، ولقد افتقر إلى شقّ تمرة فمصّها فلزق بطنه بظهره من الجوع.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء..﴾ [٢٥]

قال عبد الله بن أبي الهذيل عن عمر بن الخطاب قال: جاءت وقد جعلتْ كُمّ قميصها على وجهها أو كمّ درعها. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٤٠]: ويقال: جاءت تمشي مشيَ من لمْ يعتدِ الدخول والخروج مُستحيِيةً. **﴿قالتْ إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيتَ لنا فلمّا جاءه﴾** وفي الكلام حذف أي فأجابها ومضى معها **﴿فلمّا جاءه وقصّ عليه القصص قال لا تخفْ﴾** حُذفت الضمة من الفاء للجزم، وحُذفت الألف لالتقاء الساكنين.

﴿.. إنّ خير مَن استأجرت القويُّ الأمين﴾ [٢٦]

أي منْ قويَ على عملك وأدّى فيه الأمانة.

﴿قال ذلك..﴾ [٢٨]

في موضع رفع بالابتداء **﴿بيني وبينك﴾** في موضع الخبر، والتقدير عند سيبويه: بيننا، وأُعيدت الثانية توكيداً **﴿أيّما الأجلين﴾** نصب بقضيْت و **﴿ما﴾** زائدة **﴿فلا عدوان عليّ﴾** تبرية ويجوز **﴿فلا عدوانٌ عليّ﴾** من جهتين: إحداهما أن تكون **﴿لا﴾** عاملة كليس، والأخرى أن يكون **﴿عدوانٌ﴾** مرفوعاً بالابتداء و **﴿عليّ﴾** الخبر، كما تقول: لا زيدٌ في الدار ولا عمرو. **﴿والله على ما نقول وكيل﴾** ابتداء وخبر. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٤١، ١٤٢]: والمعنى والله شهيدنا على ما عقدَ بعضنا على بعض.

﴿..أو جَذْوة من النار..﴾ [٢٩]

وقرأ عاصم **﴿..أو جَذْوة من النار﴾** بفتح الجيم، وروي عن الأعمش **﴿أو جُذْوة﴾** بضم الجيم.

﴿..في البقعة..﴾ [٣٠]

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا

وعن الأشهب العُقيلي ﴿. . في البَقعة. .﴾ بفتح الباء، وهي لغات، وقولهم بِقاعٌ يدل على بَقعة، كما يقال: جَفْنَة وجِفانٌ، ومن قال: بُقعَةٌ قال: في الجمع بُقَعٌ مثل غرفة وغُرَف. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٤٣]: ويجوز بُقعة وبقاع مثل جُفرة وجِفار، قال: وأن في موضع نصب بمعنى أنّه ﴿يا موسى﴾.

﴿وأنْ ألقِ عصاكَ. .﴾ [٣١]

قال: ﴿وأنْ ألقِ عصاكَ﴾ عليها. ﴿ولّى مدبراً﴾ على الحال ﴿ولم يُعقّبْ﴾ أي لم يلتفت، والتقدير: قيل له ﴿يا موسى أقبلْ ولا تخفْ﴾ قال وهب: قيل له ارجعْ إلى حيث كنت فرجع فلفّ دُراعته على يده فقال له الملك: أرأيت إن أراد الله أن يُصيبك بما تُحاذر أينفعك لفُّك يدك فقال: لا ولكني ضعيف خُلقتُ من ضعف، وكشف يده فأدخلها في فم الحيّة فعادت عصاً. قال إنك ﴿من الآمنين﴾ مما تُحاذر.

﴿. . واضمم إليك جناحك من الرّهب. .﴾ [٣٢]

يكون التقدير ولّى مُدبراً من الرهب أو لفّ يده من الرّهب وعن ابن كثير والجحدري ﴿من الرُّهُب﴾ بضم الراء والهاء، وعن قتادة ﴿من الرَّهْبِ﴾ بفتح الراء وإسكان الهاء على أصل المصدر ﴿فذانِكَ برهانان﴾ ابتداء وخبر، ومن قرأ ﴿فَذانِّك﴾ فله تقديران: منها أنه ثنّى ذلك فقال: ذانّك ومن قال: ذانِك وقيل: تشديد النون عوض من الألف التي حُذفتْ من ﴿ذا﴾ وكذا ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾ [النساء: ١٦]، وكذا ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج: ١٩]، وهذا القول الثاني قول أبي حاتم، وقيل: تشديد النون للفرق بين النون التي لا تقع معها إضافة فتُحذف وبين النون المحذوفة في الإضافة، فأما فذاناك وفذانيك فلا وجه لهما.

﴿. . فأرسِلْهُ معِي رِدءاً. .﴾ [٣٤]

نصب على الحال، ومعنى ﴿رِدءاً﴾ مُعين مشتق من أردأته أي أعنته، وقد حُكي ردأته رِدءاً، وجمع رِدء أرداء، ومن خفف الهمزة حذفها وألقى حركتها على الدال، فقال: فأرسله معي رِداً ﴿يصدّقُني﴾ وقرأ عاصم وحمزة ﴿يصدّقُني﴾ بالرفع يكون نعتاً لرِدء ويكون حالاً. قال أبو إسحاق: ومنْ جزم فعلى جواب السؤال.

وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا
بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ
ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى
يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾
وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا
قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا
مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن
نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ

﴿.. فاجعل لي صرحاً لعلّي أطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ [٣٨]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣٠٦/٢]: والصرح كل بناء مُتّسع **﴿.. وإني لأظنُّه من الكاذبين﴾** فالظن ههنا شك فكفّر على الشك لأنه قد رأى من البراهين ما لا يُخِيلُ على ذي فطنة.

﴿.. بصائر..﴾ [٤٣]

نصب على الحال، والتقدير ولقد آتينا موسى الكتاب بصائر أي مُبيناً **﴿وهدىً ورحمةً﴾** عطف على بصائر، ويجوز الرفع بمعنى فهو هديً ورحمةٌ.

﴿وما كنت بجانب الغربي..﴾ [٤٤]

أُقيمت الصفة مقام الموصوف أي بجانب الجبل الغربي.

﴿.. ولكنْ رحمة من ربك..﴾ [٤٦]

نصب على المصدر، كذا عند الأخفش قال: ولكنْ رحمك ربك رحمةً، وعند أبي إسحاق مفعول من أجله أي للرَّحمة، وعند الكسائي على خبر كان. قال: ويجوز الرفع بمعنى ولكن هي رحمة. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٤٧/٤]: الرفع بمعنى ولكن فُعل ذلك رحمة.

﴿.. فنتبع..﴾ [٤٧]

أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ
كَٰفِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٩) فَإِن لَّمْ
يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٠) ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ
هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ
أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟
عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ (٥٥) إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (٥٦) وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)

جواب ﴿لولا﴾ أي هلاّ

﴿..بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه..﴾ [٤٩]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٠٧] ﴿..بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه﴾ بالرفع لأنه صلة للكتاب، وكتاب نكرة. قال: وإذا جزمْتَ وهو الوجه فعلى الشرط.

﴿أولئك يؤتونَ أجرهم مرتين..﴾ [٥٤]

﴿..سلامٌ عليكم..﴾ [٥٥]

ابتداء وخبر. قال أبو العالية: هؤلاء قوم من أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ قبل أن يُبعث وقد أدركه بعضهم [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٤٩]. قال محمد بن إسحاق: سألت الزهري عن قوله جلّ وعزّ: ﴿أولئك يؤتونَ أجرهم مرّتين﴾ مَنْ هم؟ فقال: النجاشي وأصحابه، وجّه باثنَيْ عشر رجلاً فجلسوا مع النبي ﷺ وكان أبو جهل وأصحابه قريباً منهم فآمنوا بالنبي ﷺ فلمّا قاموا من عنده تبعهمْ أبو جهل ومن معه فقالوا لهم: خيّبكم الله مِنْ ركب، وقبّحكم مِنْ وفد لم تلبثوا أن صدّقتموه، ما رأينا ركباً أحمق ولا أجهل منكم، فقالوا ﴿..سلامٌ عليكمْ﴾ لم نألُ أنفسنا رُشْداً لنا أعمالنا ولكم أعمالكمْ ﴿ويدرؤون﴾ من درأتُ أي دفعتُ أي يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الأذى، وقيل: يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب. ﴿ومما رزقناهم يُنفقون﴾ فأثنى عليهم بأنهم ينفقون من أموالهم.

﴿وقالوا إن نّتبع الهدى معك نُتخطّف من أرضنا..﴾ [٥٧]

شرط ومجازاة. ﴿تُجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ على تأنيث الجماعة و﴿يُجبى﴾ على تذكير الجمع، وثمرات جمع ثمرة، وثَمَر جمعه ثمار.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ
ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا
مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ
ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ
أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا
فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ
وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ

﴿وكم أهلكنا من قرية بَطِرت معيشتها. .﴾ [٥٨]

منصوب عند المازني بمعنى في معيشتها، فلما حُذف ﴿في﴾ تعدّى الفعل، وهو عند الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٠٨] منصوب على التفسير، قال: كما تقول: أبطركَ مالُك وبَطِرته، ونظيره عنده ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وكذا عنده ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤] ونصب المعارف على التفسير محال عند البصريين، لأنّ معنى التفسير والتمييز أن يكون واحداً نكرةً يدلّ على الجنس.

﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه. .﴾ [٦١]

قال مجاهد: ﴿أفمن وعدناهُ وعداً حسناً فهو لاقيه﴾ حمزة بن عبد المطلب ﴿كمن متعناهُ متاع الحياة الدنيا﴾ أبو جهل بن هشام.

﴿. . ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ [٦٤]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٥١]: جواب ﴿لو﴾ محذوف، والمعنى لو أنهم كانوا يهتدون لَما اتّبعوهم ولَما رأوا العذاب، وقال غيره: التقدير: لو أنهم كانوا يهتدون لأنجاهم الهدى ولما صاروا إلى العذاب.

﴿فَعَمِيَتْ عليهمُ الأنباءُ يومئذ. .﴾ [٦٦]

أي تحيّروا فلم يدروا ما يُجيبون به لمّا سُئلوا، فقيل لهم: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار. .﴾ [٦٨]

لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ
ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن
رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ
ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

قال علي بن سليمان: هذا وقف التمام ولا يجوز أن يكون ﴿ما﴾ في موضع نصب بـ ﴿يختار﴾ لأنها لو كانت في موضع نصب لم يعُدْ عليها شيء قال: وفي هذا ردّ على القدرية، وقال أبو إسحاق: ﴿ويختار﴾ هذا وقف التمام المختار، قال: ويجوز أن يكون ﴿ما﴾ في موضع نصب بـ ﴿يختار﴾، ويكون المعنى: ويختار الذي كان لهم فيه الخير.

﴿.. أفلا تسمعون﴾ [٧١]

﴿.. أفلا تُبصرون﴾ [٧٢]

أي أفلا تقبلون؟ وبعدُ ﴿.. أفلا تُبصرون﴾ أي أفلا تتبيّنون هذا؟

﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً..﴾ [٧٥]

قيل: معناه من كل قرن وفي كل أمة قوم يكونون عدولاً يشهدون على الناس يوم القيامة بأعمالهم. ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم بما كنتم تدينون به ﴿فعلموا أنّ الحقَّ لله﴾ أي أنّ الحق ما في الدنيا ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي ما كانوا يدعون من دون الله، وقد قال جلّ وعزّ قبل هذا: ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ [٦٤] أي الذين جعلتموهم مع الله جلّ وعزّ، شركاءكم لأنهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم، وهذا على جهة التوبيخ أي ادعوهم لينجوكم مما أنتم فيه، ﴿فدَعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ أي فلم ينجوهمْ ولم يعينوهم، فهذا معنى ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾.

﴿إنّ قارون كان من قوم موسى..﴾ [٧٦]

إن ﴿قارون﴾ لم ينصرف، لأنه اسم أعجمي وما كان على فاعول أعجمياً لا يحسن فيه الألف واللام لم ينصرف في المعرفة وانصرف في النكرة، فإنْ حسنت فيه الألف واللام انصرف إنْ كان اسماً لمذكر نحو طاووس وراقود. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٥٣، ١٥٤]: ولو كان قارون من العربية من قَرَنْتُ الشيء لانصرف.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه﴾ إنّ واسمها في صلة ﴿ما﴾، قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: ما أقبح ما يقول الكوفيون في الصلاة أنه لا يجوز أن يكون صلة الذي وأخواته ﴿أنّ﴾ وما عملتْ فيه وفي القرآن ﴿ما إنّ مفاتحه﴾. وهو جمع مِفْتح، ومن قال: مفتاح قال: مفاتيح ﴿لتَنُوءُ بالعُصْبة﴾ أحسن ما قيل فيه: أن المعنى لتُنيءُ العصبة أي تُمِيلهم من ثقلها، كما يقال: ذهبت به وأذهبته، وجئت به وأجأته، وأنأته ونؤت به. فأما قولهم: له عندي ما ساءه وناءه فهو إتباع كان يجب أن يقال: وأناءه ومثله يقال: هناني الشيء ومَراني وأخَذَه ما قدُم وما حدُث.

﴿إذ قال له قومه﴾ تأوّله الفرّاء [معاني القرآن: ٣١١/٢] على أن موسى ﷺ هو الذي قال له وحده فجمع، ومثله عنده ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وإنما هو نُعَيم بن مسعود رجل من أشجع وحده. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول غير هذا، ويُنكر ما قال الفرّاء؛ لأنه بطلان البيان، قال: وإنما هذا على أن نُعيماً قاله ومن يذهب مذهبه.

﴿لا تفرح﴾ تأوله أبو إسحاق على أن المعنى لا تفرح بالمال؛ لأنّ الفرح لا يؤدي فيه الحق. ﴿إن الله لا يُحبُّ الفرحين﴾ فرّق الفرّاء [معاني القرآن: ٣١١/٢] بين الفرحين والفارحين، وزعم أن الفرحين الذين هم في حال الفرح وأنّ الفارحين الذين يفرحون في المستقبل، وزعم أن مثله طَمِعٌ وطامعٌ وميِّتٌ ومائتٌ، وذلك على خلاف ما قال الله جل وعز: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ولم يقل: مائتٌ.

﴿قال إنما أُوتيته على علم عندي..﴾ [٧٨]

تأوّله الفرّاء [معاني القرآن: ٣١١/٢] على معنيين: أحدهما على فَضْل عندي، والآخر على علم فيما رأى، كما تقول: هذا كذا عندي، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٥٦/٤]: المعنى إنما أُوتيته على علم بالتوراة، لأنه كان عالماً بها، وأنكر قول من قال: إنه كان يعمل الكيمياء، قال: لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له.

وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿.. يقولون ويكأنّ الله يبسطُ الرزق لمن يشاء..﴾ [٨٢]

أحسن ما قيل في هذا قول الخليل رحمه الله ويونس وسيبويه والكسائي: إن القوم تنبهوا أو نُبِّهوا فقالوا: وَيْ، والمتندّم من العرب يقول في حال تندّمه: وَيْ، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣١٢] أن بعض النحويين قال: إنّها ويك أي ويلك ثم حُذفت اللام. قال أبو جعفر: وما أعلم جهة من الجهات إلاّ هذا القول خطأ منها، فمن ذلك أنّ المعنى لا يصحّ عليه؛ لأن القوم لم يخاطبوا أحداً فيقولوا له: ويلك، وكان يجب على قوله أن يكون: ﴿إنّه﴾ بكسر ﴿إنّ﴾؛ لأن جميع النحويين يكسرون أن بعد ويلك، وأيضاً فإنّ حذف اللام من ويل لا يجوز، وأيضاً فليس يكتب: هذا ويك.

﴿.. والعاقبة للمتّقين﴾ [٨٣]

قال الضحاك: الجنة.

﴿.. من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها..﴾ [٨٤]

قال عكرمة: ليس شيء خيراً من «لا إله إلاّ الله»، وإنما المعنى من جاء بلا إله إلا الله، فله خير.

﴿.. كلُّ شيء هالكٌ إلاّ وجهه..﴾ [٨٨]

استثناء. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٥٨]: ولو كان في غير القرآن لجاز إلاّ وجهُه بمعنى: كلّ شيء غير وجهه هالك، كما قال: [الوافر]

وكـلُّ أخٍ مُـفـارِقُـهُ أخـوه لَـعَـمْـرُ أبـيـك إلاّ الـفـرقـدان

[القرطبي في «تفسيره»: ٨/ ٣٨٤]

والمعنى: وكلُّ أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه. ﴿وإليه ترجعون﴾ بمعنى وتُرجعون إليه.

٢٩ ـ سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾

شرحُ إعرابِ سُورةِ العَنكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أحسبَ الناسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمَنّا..﴾ [٢]

﴿أنْ﴾ الأولى في موضع نصب بحسب، وهي وصلتها مقام المفعولين على قول سيبويه، و**﴿أنْ﴾** الثانية في موضع نصب على إحدى جهتين، بمعنى: لأنْ يقولوا وبأن يقولوا وعلى أن يقولوا، والجهة الأخرى أنْ يكون التقدير أحَسِبوا أن يقولوا [معاني القرآن: ٢/٣١٤]؟

﴿.. فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾ [٣]

فيه قولان: أحدهما أن يكون صدقوا مُشتقاً من الصدق، والكاذبين مشتقاً من الكذب الذي هو ضد الصدق، ويكون المعنى فليُبيّنَنّ الله الذين صدقوا، فقالوا: نحن مؤمنون واعتقدوا مثل ذلك، والذين كذبوا حين اعتقدوا غير ذلك وصدقوا في قولهم: نحن نصبر ونَثْبُتُ مع النبي ﷺ في الحرب ويعلم الذين كذبوا، والقول الآخر: أن يكون صدقوا مشتقاً من الصدق، وهو الصلب، والكاذبين من كذب إذا انهزم، فيكون المعنى: فَلَيعلَمنّ الله الذين ثبتوا في الحرب والذين انهزموا، كما قال: [البسيط]

لَيثٌ بِعَثَّرَ يَصطادُ الرجالَ إذا ... ما الليثُ كذّبَ عن أقرانه صَدَقا

وجُعِلتْ فَلَيَعْلَمَنَّ في موضع ليبيّنَنّ مجازاً.

﴿.. ساء ما يحكمون﴾ [٤]

قدّر أبو إسحاق **﴿ما﴾** تقديرين: أحدهما أن تكون في موضع نصب بمعنى ساء شيئاً

مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ
لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ
خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾

يحكمون، والتقدير الآخر: أن يكون ﴿ما﴾ في موضع رفع بمعنى ساء الشيء حُكمهم، وقدّرها أبو الحسن بن كيسان تقديرين آخرين سوى ذينك: أحدهما أن يكون ﴿ما﴾ مع يحكمون بمنزلة شيء واحد، كما تقول: أعجبني ما صنعت أي صنيعك، قال: وإن قلت: ساء صنيعك لم يجز، والتقدير الآخر: أن يكون ﴿ما﴾ لا موضع لها من الإعراب وقد قامت مقام الاسم لساء، وكذا نِعْمَ وبئس.

قال أبو الحسن بن كيسان: وأنا أختار أن أجعل لما موضعاً في كل ما أقدر عليه نحو قول الله جلّ وعزّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكذا ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وكذا ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص: ٢٨] ﴿ما﴾ في موضع خفض في هذا كله وما بعدها تابع لها، وكذا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦] ﴿ما﴾ في موضع نصب وبعوضة تابعة لها.

﴿مَنْ كان يرجو لقاء الله..﴾ [٥]

أهل التفسير على أنّ المعنى: مَنْ كان يخاف الموت فليفعلْ عملاً صالحاً فإنّه لا بدّ أن يأتيه و﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء، و﴿كان﴾ في موضع الخبر وفي موضع جزم بالشرط و﴿يرجو﴾ في موضع خبر كان، والمجازاة ﴿فإنّ أجل الله لآت﴾.

﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حُسْناً..﴾ [٨]

قال أبو إسحاق: مثل ووصّينا الإنسان بوالديه ما يحسُنُ قال: ورويتُ إحساناً، والمعنى: ووصينا الإنسان بوالديه أن يُحسن إليهما إحساناً.

﴿وليَعْلَمنّ الله الذين آمنوا وليَعْلَمنّ المنافقين﴾ [١١]

قيل: معناه: يُبيّن أمرهم؛ لأن المُبَيِّن للأمر هو العالم به.

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا..﴾ [١٢]

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

قال أبو إسحاق: أي الطريق الذي نسلكه في ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خطاياكُمْ﴾ قال: هو أمر في تأويل شرط وجزاء أي إنْ تبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم، كما قال: [الوافر]

فقلتُ ادعي وأدعو إنَّ أندى ... لِصوت أن يُنادي داعيانِ

أي إن دعوتِ دعوتُ، ويجوز ﴿ولِيَحمِل﴾ بكسر اللام وهو الأصل إلا أن الكسرة حُذفت استخفافاً، حقيقة المعنى. والله أعلم. : اتبعوا سبيلنا ونحن لكم بمنزلة المأمورين في حمل خطاياكم إنْ كانت لكم خطايا كما تقول: قلّدني وِزرَ هذا.

﴿ولَيَحْمِلُنّ أثقالهم..﴾ [١٣]

جمع ثقل، والثقل في الأذن، وربما دخل أحدهما على الآخر.

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبِث فيهمْ ألف سنة إلاّ خمسينَ عاماً..﴾ [١٤]

في الكلام حذف، والمعنى: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ليدعوهم إلى الإيمان، فدعاهم إليه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وأظهر البراهين فكذّبوه، ودلّ على هذا الحذف ﴿فأخذهمُ الطُّوفانُ وهمْ ظالمون﴾ وأنّ هذه القصة قد ذُكرت في غير موضع من القرآن.

﴿ألف سنة﴾ منصوب على الظرف ﴿إلاّ خمسينَ﴾ منصوب على الاستثناء من الموجب وهو عند سيبويه بمنزلة المفعول؛ لأنه مستثنى عنه كالمفعول، وعند الفراء بإنْ؛ لأنها عنده ﴿إنْ﴾ دخلت عليها ﴿لا﴾ فالنصب عنده بإنْ، والرفع عنده بلا إذا رَفعتَ. فأمّا أبو العباس محمد بن يزيد فهو عنده مفعول محضٌ كأنك قلت عنده: استثنيت زيداً. قال أبو جعفر: ورأيتُ أبا إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٦٣] يذهب إلى أن قول أبي العباس هذا خطأ، ولا يجوز عنده فيه إلا ما قال سيبويه.

ونملي كلام أبي إسحاق في الاستثناء الذي ذكره في الآية نصّاً لحسنه، وأنه قد شرح فيه أشياء من هذا الباب، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٦٣]: الاستثناء في كلام العرب توكيد العدد وتحصيله؛ لأنك قد تذكر الجملة ويكون الحاصل أكثرها، فإذا أردت التوكيد في تمامها قلت: كُلّها وإذا أردت التوكيد في نقصانها أدخلت فيها الاستثناء تقول: جاءني إخوتك، تعني: إن جميعهم جاءك وجائز أن تعني: أنّ أكثرهم قد جاءك، وإذا قلت: جاءني إخوتك كلّهم أكّدت معنى الجماعة وأعلمت أنه لم يتخلّف منهم أحد، وتقول: جاءني إخوتك إلاّ زيداً فتؤكد أن الجماعة تنقص زيداً، وكذلك رؤوس الأعداد تُشبَّهُ بالجماعات، تقول: عندي عشرةٌ فجائز أن تكون ناقصة وجائز أن تكون تامة فإذا قلت: عندي عشرةٌ إلاّ نصفاً أو عشرة كاملة أعلمت تحقيقها، وكذلك إذا قلت: لبث ألفاً إلاّ خمسين عاماً فهو كقولك: عشرةٌ إلاّ نصفاً؛ لأنك

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾

استعملت الاستثناء فيما كان أملك بالعشرة من التسعة لأن النصف قد دخل في باب العاشر ولو قلت: عشرةٌ إلاّ واحداً أو إلاّ اثنين كان جائزاً وفيه قبحٌ؛ لأن تسعة وثمانية يؤدي عن ذلك العدد ولكنه جائز من جهة التوكيد إنّ هذه التسعة لا تزيد ولا تنقص لأن قولك: عشرة إلاّ واحداً قد أخبرت بحقيقة العدد فيه. والاختيار في الاستثناء في الأعداد التي هي عقود الكسور والصحاح أن يُستثنى. فأما استثناء نصف الشيء فقبيح جداً لا تتكلم به العرب فإذا قلت: عندي عشرةٌ إلاّ خمسة فليس تكون الخمسة مستثناة من العشرة؛ لأنها ليست تقرب منها، وإنما يُتكلم بالاستثناء كما يُتكلم بالنقصان فتقول: عندي درهمٌ ينقص قيراطاً فلو قلت: عندي درهم ينقص خمسة دوانق أو ينقص نصفه كان الأولى بذلك: عندي نصف درهم؛ لأن نصف درهم لا يقع عليه اسم درهم، وإخوتك يقع على بعضهم اسم الإخوة ﴿فأخذهمُ الطوفانُ﴾ مشتق من طاف يطوفُ، وهو اسم موضع على ما أحاط بالأشياء من غرق أو قتل أو غيرهما ﴿وهمْ ظالمون﴾ ابتداء وخبر في موضع الحال.

﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة..﴾ [١٥]

﴿وإبراهيم..﴾ [١٦]

معطوف على الهاء. قال الكسائي: ﴿وإبراهيم..﴾ منصوب بأنجينا، يعني: أنه معطوف على الهاء، وأجاز أن يكون معطوفاً على نوح، والمعنى وأرسلنا إبراهيم، وقول ثالث: أن يكون منصوباً بمعنى: واذكر إبراهيم.

﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً..﴾ [١٧]

نُصِبَ بـ ﴿تعبدون﴾ و﴿ما﴾ كافة، ولا يجوز أن يكون صلة لأن إنّ لا تقع على الفعل فإن كان بعد ﴿ما﴾ اسم فقلت: إنما زيدٌ جالسٌ، فما أيضاً كافة، وأجاز بعض النحويين أن يكون صلة فتقول: إنما زيداً جالسٌ. ويجوز في غير القرآن رفع أوثان على أن تجعل ﴿ما﴾ اسماً لأن و﴿تعبدون﴾ صلتها، وحذفت الهاء لطول الاسم، وجعلت أوثاناً خبر إنّ. فأمّا ﴿وتخلُقُونَ إفكاً﴾ فهو منصوب بالفعل لا غير.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى﴾

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء..﴾ [٢٢]

ذكر أبو إسحاق فيه قولين: أحدهما أن المعنى: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء، والآخر ولا لو كنتم في السماء. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يحكي عن محمد بن يزيد قال: المعنى: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا مَنْ في السماء على أن مَنْ ليست موصولة ولكن يكون نكرة ويكون في السماء من نعتها، ثم أقام النعت مقام المنعوت.

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٦٥]: وهذا خطأ لأن مَنْ إذا كانت نكرة فلابدّ من نعتها فقد صار بمنزلة الصلة لها فلا يجوز حذف الموصول وإبقاء الصلة وكذا نعتها إذا كان بمنزلة الصلة، ولكن الناس خوطبوا بما يعرفون، وعندهم أنه من كان في السماء فالوصول إليه أبعد، فالمعنى: وما أنتم بمعجزين في الأرض، ولو كنتم في السماء ما أعجزتم، ومثله ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

﴿فما كان جواب قومه..﴾ [٢٤]

خبر كان، واسمها ﴿إلاّ أن قالوا﴾ ويجوز رفع ﴿جواب﴾ تجعله اسم كان والخبر ﴿أن قالوا﴾ [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٦٦].

﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودةُ بينكم في الحياة الدنيا..﴾ [٢٥]

هذه قراءة الحسن ومجاهد وأبي عمرو والكسائي. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٦٦]: وقُرِىءَ ﴿مودةُ بَيْنِكُمْ﴾. وقرأ أهل المدينة وعاصم وابن عامر ﴿مودةً بَيْنَكُمْ﴾ وقرأ حمزة ﴿مودةَ بَيْنِكُمْ﴾. القراءة الأولى برفع ﴿مودة﴾ فيها ثلاثة أوجه، ذكر أبو إسحاق منها وجهين: أحدهما أنها مرفوعة على خبر إنّ ويكون ما بمعنى الذي، والتقدير إنّ الذي اتخذتموه من دون الله أوثاناً مودةُ بينِكُمْ، والوجه الآخر أن يكون على إضمار مبتدأ أي هي مودةُ أو تلك مودةُ بينكمْ، والمعنى: أُلْفَتُكمْ وجماعتكمْ مودة بينكم، والوجه الثالث الذي لم يذكره أن يكون ﴿مودة﴾ رفعاً بالابتداء و ﴿في الحياة الدنيا﴾ خبره، فأما إضافة مودة إلى بينكمْ فإنه جعل بينكمْ اسماً غير ظرف، والنحويون يقولون: جعله مفعولاً على السعة، وحكى سيبويه: [الرجز]

مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾

«يــا ســارِقَ الــلــيــلــة أهــلَ الــدارِ»

[الكتاب: ١/٨٩]

ولا يجوز أن يضاف إليه وهو ظرف لعلّة ليس هذا موضع ذكرها، والقراءة الثانية على أنه جعل بينكم ظرفاً فنصبه، والقراءة الثالثة على أنه نصب مودة لأنه جعلها مفعولاً من أجلها، كما تقول: جئتُك ابتغاء العلم، وقصدت فلاناً مودّة له.

﴿.. وآتيناه أجرهُ في الدنيا..﴾ [٢٧]

مفعولان، قال أبو جعفر: قد ذكرناه وبيّنا معناه **﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾** ليس **﴿في الآخرة﴾** داخلاً في الصلة وإنما هو تبيين وقد ذكرناه في غير هذا الموضع بأكثر من هذا.

﴿ولوطاً إذ قال لقومه..﴾ [٢٨]

قال الكسائي: المعنى: وأنجينا لوطاً أو أرسلنا لوطاً، قال: وهذا الوجه أحبُّ إليّ.

﴿أئنكُم..﴾ [٢٩]

قراءة الكوفيين **﴿أئنكُمْ﴾** في الأولى والثانية على الاستفهام، وكذا قراءة أبي عمرو إلاّ أنه يُخفف، وقرأ نافع **﴿إنكم﴾** بغير استفهام في الأولى واستفهم في الثانية، وهذه القراءة على اتّباع السواد، وهي على الإلزام لا على الاستفهام، كذا قال محمد بن يزيد في قول الشاعر: [الخفيف]

ثــمّ قــالــوا تُــحــبُّــهــا قــلــتُ بَــهــراً

[ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٤٣١]

والقراءة الأولى عند أبي عبيد بعيدة للجمع بين الاستفهامين. قال أبو جعفر: وليس الأمر كذلك لأن هذا الاستفهام بعد استفهام وليس يُنكر في مثل هذا استفهامان وقد شبهه بما لا يشبهه مما ذكره في هذه السورة.

وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ
إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا
كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ
لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ
وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿.. إنّا مُنجّوك وأهلك..﴾ [٣٣]

عطف على الكاف في التأويل، ولا يجوز العطف على موضعها بغير تأويل لئلاّ يُعطف ظاهر مخفوض على مكنيّ، **﴿إلاّ امرأتك﴾** استثناء من موجب.

﴿.. فأخذتهم الرجفة..﴾ [٣٧]

﴿وعاداً وثمودَ..﴾ [٣٨]

قال الكسائي: قال بعضهم: هو راجع إلى أول السورة [الآية: ٣] **﴿ولقدْ فتنا الذين من قبلهم وعاداً وثمودَ﴾**، قال: وأحبُّ إليّ أن يكون على **﴿فأخذتهمُ الرجفة﴾** وأخذت عاداً وثمودَ. وزعم أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٦٨] أن التقدير: وأهلكنا عاداً وثمودَ.

﴿وكانوا مستبصرين﴾ فيه قولان: أحدهما أن المعنى وكانوا مستبصرين في الضلالة، والقول الآخر وكانوا مستبصرين؛ أي قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين، وهذا القول أشبه. والله أعلم. لأنه إنما يقال: فلان مستبصر إذا عرف الشيء على الحقيقة، ومن كفر فلم يعرف الشيء على حقيقته فلا يخلو أمره من إحدى جهتين: إما أن يكون معانداً وإما أن يكون قد ترك ما يجب عليه من الاستدلال وتَعرُّف الحق، وهو على أحد هذين يعاقَب.

﴿وقارون وفرعون وهامان..﴾ [٣٩]

قال الكسائي: إنْ شئت كان على عاد وكان فيه ما فيه وإن شئت كان على **﴿فصدَّهم عن السبيل﴾** وصدّ قارون وفرعون وهامان.

﴿فكلاً أخذنا بذنبه..﴾ [٤٠]

قال الكسائي: **﴿فكلاً﴾** منصوب بأخذنا.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ
ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ
ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟
أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ
وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾

﴿مَثَل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت..﴾ [٤١]

الكاف في موضع رفع على التأويل، لأنها خبر الابتداء في موضع نصب على الظرف. والعنكبوت مؤنثة، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣١٥] تذكيرها وأنشد: [الوافر]

على هطّالهم منهم بيوتٌ كأنّ العنكبوتَ هو ابتناها

[معاني القرآن للفراء: ٢/٣١٧]

قال أبو جعفر: وفي جمع العنكبوت وجوه يقال: عناكبُ وعناكيبُ وعِكابٌ وعُكُبٌ وأعكبٌ، وقد حكي أنه يقال: عَنكبٌ. **﴿وإنّ أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ﴾** قال الضحّاك: ضرب مثلاً لضعف آلهتهم ووهنها شبهها ببيت العنكبوت.

قال: **﴿إنّ الله يعلمُ ما يدعون..﴾ [٤٢]**

أي ما تعبدون من دونه من شيء. قال أبو جعفر: **﴿مِنْ﴾** ههنا للتبعيض ولو كانت زائدة للتوكيد لانقلب المعنى.

﴿.. إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر..﴾ [٤٥]

مذهب أبي العالية أن المعنى: إنّ مما يُتلى في الصلاة، والتقدير على هذا: إنّ تلاوة الصلاة مثل **﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾** [يوسف: ٨٢]. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا غير هذا. **﴿وَلَذِكرُ الله أكبرُ﴾** مذهب الضحّاك أن المعنى: ولذكر الله عندما يحرمُ فيُترك أجلّ الذكر، وقيل: المعنى: ولذكر الله النهي عن الفحشاء والمنكر أكبر أي كبير، وأكبر يكون بمعنى كبير [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/١٦٩، ١٧٠].

﴿ولا تُجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسنُ إلاّ الذين ظلموا منهم..﴾ [٤٦]

بدل من أهل، ويجوز أن يكون استثناء.

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿وما كنتَ تتلو من قبله من كتاب ولا تخطُّهُ بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ [٤٨]

فجعل الله جلّ وعزّ هذا دليلاً على نبوّته؛ لأنه لا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب ولم يكن بمكة أهل الكتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم، وزالت الريبة والشكّ بهذه الأشياء.

﴿بل هو آياتٌ بيناتٌ..﴾ [٤٩]

أي بل الكتاب، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣١٧/٢] أن في قراءة عبد الله **﴿بل هي آياتٌ بيناتٌ﴾** بمعنى: بل آيات القرآن آيات بينات، قال: ومثله ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ﴾ [الجاثية: ٢٠] ولو كانت هذه لجاز، ونظيره ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف: ٩٨].

﴿وقالوا لولا أُنزل عليه آياتٌ من ربه..﴾ [٥٠]

﴿أَوَلَمْ يكفهمْ أنا أنزلنا عليك الكتاب..﴾ [٥١]

وكان طلبهم لهذا تعنّتاً وتهزّؤاً لأنه قد ظهر من الآيات ما فيه كفاية فكان هذا مما لا نهاية له فأمر أن يقول لهم **﴿إنّما الآيات عند الله﴾** أي يأتي منها بما فيه الصلاح. **﴿وإنّما أنا نذيرٌ مبينٌ﴾** قيل: معناه يبيّن لهم ما يجب عليهم، وبيّن الأول بقوله **﴿أَوَلَمْ يكفهمْ أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾** أنّا في موضع رفع بـ **﴿يكفي﴾**.

﴿وكأين من دابة لا تحملُ رزقَها..﴾ [٦٠]

هذه «أيّ» دخلت عليها كاف التشبيه فصار فيها معنى «كمْ» [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ١٧٣] والتقدير عند الخليل وسيبويه [الكتاب: ٢٩٨/١] رحمهما الله: كالعدد، وشرح هذا أبو الحسن

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

ابن كيسان فقال: أي شيء من الأشياء، فالمعنى على قول الخليل وسيبويه: كشيء كثير من العدد، قال: ولهذا قال الكسائي: الأصل في «كَمْ» كما، فإذا قلت: كم مالك؟ فالمعنى: كأيّ شيء من العدد مالك؟ قال: ومثل ذلك في الإبهام: له كذا وكذا درهماً، أي له كالعدد المذكور أو المشار إليه، ثم كثر استعمالهم لذلك حتى قالوا له: كذا وكذا وإن لم يتقدم شيءٌ ولم يُشَرْ إلى شيء.

فإذا قلت: له عندي كذا وكذا درهماً، وجب له عند الكوفيين أحد عشر درهماً، فإذا قلت: له عندي كذا وكذا درهماً، وجب أحدٌ وعشرون درهماً، وإذا قلت: له عندي كذا درهم كانت مائةً، وإذا قلت: كذا دراهم كانت ثلاثةً، ولا يجوز عند البصريين الخفض بوجه، وهي عندهم مبهمة تقع للقليل والكثير.

وزعم أبو عبيدة أن الحيوان والحياة والحيّ واحد. وغيره يقول: إنّ الحيّ جمعٌ على فُعُول مثل عصيّ.

﴿.. وَلِيَتَمَتَّعُوا..﴾ [٦٦]

لام كي، ويجوز أن تكون لام أمر، لأن أصل لام الأمر الكسر [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٧٤] إلاّ أنه أمرٌ فيه معنى التهديد، ومن قرأ ﴿وَلْيَتَمَتَّعُوا﴾ بإسكان اللام لم يجعلها لام كي، لأن لام كي لا يجوز إسكانها.

﴿.. وإنّ الله لَمَعَ المحسنين﴾ [٦٩]

لام توكيد، ودخلت اللام في ﴿مع﴾ على أحد أمرين منهما أن تكون اسماً ولام التوكيد إنما تدخل على الأسماء، ومنها أن تكون حرفاً فتدخل عليها لأن فيها معنى الاستقرار، كما تقول: إنّ زيداً لفي الدار، و﴿معْ﴾ إذا سكنت فهي حرف لا غير، وإذا فُتحت جاز أن تكون اسماً وأن تكون حرفاً، والأكثر أن تكون حرفاً جاء لمعنى إلاّ أنها فُتحتْ لِما وقع فيها مما ليس في أخواتها.

٣٠ ـ سورة الروم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ④﴾

شرحُ إعرابِ سُورةِ الرّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ﴾ [١]

﴿غُلِبَتِ الرومُ﴾ [٢]

﴿في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبِهِم سَيَغلِبُونَ﴾ [٣]

قال أبو جعفر: هذه قراءة أكثر الناس، ورُوي عن أبي عمرو وأبي سعيد الخدري أنهما قرأا ﴿الٓمٓ غَلَبَتِ الروم﴾ [معاني القرآن: ٢/٣١٩] وقرأا ﴿سَتُغلَبُونَ﴾، وحكى أبو حاتم أن عِصْمَةَ روى عن هارون أن هذه قراءة أهل الشام، وأحمد بن حنبل يقول: إنّ عصمة هذا ضعيف، وأبو حاتم كثير الرواية عنه والحديث يدلّ على أن القراءة ﴿غُلِبَتْ﴾ بضم الغين [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٧٥]، وكان في هذا الإخبار دليل على نبوّة محمد ﷺ؛ لأنّ الروم غلبتها فارس فأخبر الله جلّ وعزّ أن الروم ستَغلبُ فارس في بضع سنين، وأن المؤمنين يفرحون بذلك لأن الروم أهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله جلّ وعز به مما لم يكن، وأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يراهنهم على ذلك، وأن يبالغ في الرهان ثم حُرّم الرهان ونُسخ بتحريم القمار.

﴿وهم من بعد غلبهم﴾ زعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣١٩] أن الأصل من بعد غَلَبَتِهِم فحذفت التاء كما حذفت في قوله: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، وهذا غلط لا يخفى على كثير من أهل النحو؛ لأن ﴿إقام الصلاة﴾ مصدر حُذف منه لاعتلال فعله فجعلت التاء عوضاً من المحذوف، و﴿غَلَب﴾، ليس بمعتل ولا حُذف منه شيء وقد حكى الأصمعي: طَرَدَ طَرْداً وحَلَب حَلَباً وغَلَب غَلَباً فأيّ حذف في هذا؟ وهل يجوز أن يقال: في أكل أكلاً وما أشبهه حُذف منه؟

﴿في بضع سنين..﴾ [٤]

﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾

حُذفت الهاء من بضع فرقاً بين المذكر والمؤنث، وفتحت النون من سنين لأنه جمع مذكر مسلَّم، ومن العرب من يقول في بضع سنين كما يقول: من غسلين وإنْ جاز فجمع سنة بالواو والنون والياء والنون، لأنه قد حذف منها شيء فجعل هذا الجمع عوضاً، وكُسرت السين وكانت مفتوحة في سنة؛ لأن الكسرة جُعلت دليلاً على أنه جمعٌ على غير ما يجب له، هذا قول البصريين، ويلزم الفرّاء أن يضمّها إلا أنه يقول: الضمّة دليل على الواو، وقد حذف من سنة واو في أحد القولين ولا يضمها أحد علمناه.

﴿لله الأمر منْ قبلُ ومنْ بعدُ﴾ ويقال: من قبل ومن بعد، وحكى الكسائي عن بعض بني أسد ﴿لله الأمر من قبلِ ومن بعدُ﴾ الأول مخفوض منوّن، والثاني مضموم بلا تنوين. وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٢٠]، ﴿من قبلِ ومن بعدِ﴾ مخفوضين بغير تنوين، وللفرّاء في هذا الفصل من كتابه في القرآن أشياء كثيرة، الغلط فيها بيّن فمنها أنه زعم أنه يجوز ﴿من قبلِ ومن بعدِ﴾ كما قال الشاعر [ديوان الأعشى: ١٥٩]: [مجزوء الكامل]

إلاّ عُلالةَ أو بُدا هةِ سابحٍ نهدِ الجُزارة

[معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٢١]، [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٧٧]

وكما قال: [المنسرح]

يا مَنْ رأى عارضاً أُكفكِفُهُ بينَ ذراعَيْ وجبهةِ الأسدِ

[معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٢٢]

والغلط في هذا بيّن؛ لأنه ليس في القرآن: لله الأمر من قبلِ ومن بعدِ ذلك، فيكون مثل قوله بين ذِراعيْ وجبهةِ الأسد، الاترى أنك تقول: أخذته بنِصْفِ وَرُبعِ الدرهم، ولا يجوز أخذته بنصفِ وربعِ، وتقول قَطَعَ الله يدَ ورجلَ زيدٍ؟ ولا يجوز يدَ ورجلَ، على أنّ هذا أيضاً ليس بكثير في كلام العرب وإنما يُحمل كتاب الله على الكثير والفصيح، ولا يجوز أن يقاس عليه ما لا يُشبهه.

ولو قلت: اشتريتُ دار وغلامَ عمرو، لم يجز عند أحد علمناه ومن ذلك أنه زعم أنه يجوز من قبل ومن بعد وأنت تريد الإضافة وهذا نقض الباب كلّه لأن الضم إنّما كان فيه لعدم الإضافة وإرادتها، فإذا خفضت وأنت تريدها تناقض الكلام وإنما يجوز «من قبلٍ ومن بعدٍ» على أنهما نكرتان. قال أبو إسحاق: والمعنى من متقدّم ومن متأخّر، ومنها أنه شبّه من قبلُ ومن بعدُ بقولهم: من علُ، وأنشد: [الرجز]

إن تأتِ منْ تحتُ أجئْها من علُ

[معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣١٩]

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

وليس: من قبل ومن بعد من باب من علِ.

قال سيبويه [الكتاب: ٢/٤٥]: ولم يُسكِنوا من الأسماء ما ضارع المتمكّن ولا ما جُعل في موضع بمنزلة غير المتمكّن، فالمضارع: من علُ، حرّكوه لأنهم يقولون: من علٍ فأمّا المتمكّن الذي جُعل بمنزلة غير المتمكن فقولهم: أبدأ بهذا أولُ ويا حَكَمُ، أفلا ترى أن سيبويه لحذقه قد فصل بين «من علُ» وبين «أولُ» ثم جاء الفرّاء فجمع بينهما، وأنشد الذي ذكرناه، وأنشد: [الطويل]

فــوالــلــه مــا أدري وإنــي لأوجــل عــلــى أيّــنــا تــعــدو الــمــنــيّــةُ أولُ

[القرطبي في «تفسيره»: ١/ ٢٧٨]

فخلط الجميع في الباب وجاء بهما في ﴿قبلُ وبعدُ﴾ وأحدهما مخالف لقبلُ وبعدُ؟ فأمّا الكلام في قبلُ وبعدُ على مذهب سيبويه وعلى مذهب البصريين إنّ سبيلهما أن لا يعربا لأنهما قد كانتا حُذف منهما المضاف إليه والإضافة فصارتا معرفتين من غير جهة التعريف، فزال تمكّنُهُما فلم يُخْليا من حركة لأنهما قد كانتا مُعربتين فاختيرلهما الضم لأنه قد يلحقهما بحق الإعراب الجرّ والنصب، فأعطيتا غير تينك الحركتين فضمّتا إلاّ أن أبا العباس محمد بن يزيد قال: لما كانتا غايتين أُعطياه ما هو غاية الحركات.

﴿ويومئذ يفرحُ المؤمنون﴾ في معناه قولان: أحدهما أنهم فرحون بغلبة الروم فارس؛ لأن الروم أهل كتاب فهم إلى المسلمين أقرب من الأوثان، والقول الآخر وهو أولى أن فرحهم إنما هو لإنجاز وعد الله جلّ وعزّ؛ إذ كان فيه دليل على النبوة لأنه أخبر جلّ وعزّ بما يكون في بضع سنين فكان فيه.

﴿وعْدَ الله..﴾ [٦]

مصدر مؤكّد، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٧٧]: ويجوز ﴿وعدُ الله﴾ بالرفع بمعنى: ذلك وعدُ الله. ﴿ولكنّ أكثرَ الناس لا يعلمون﴾ وهم الكفار وهم أكثر.

﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا..﴾ [٧]

ثم بيّن ما يجهلونه بقوله ﴿وهمْ عن الآخرة همْ غافلون﴾ ﴿هم﴾ الأول ابتداء والثاني ابتداء ثانٍ والجملة خبر الأول [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٧٨]، وفي الكلام معنى التوكيد، ويجوز أن يكون ﴿هم﴾ الثاني بدلاً من الأول كما تقول: رأيته إياه، وفي الكلام أيضاً معنى التوكيد.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾

﴿.. وإنَّ كثيراً من الناس بلقاء ربِّهِمْ لكافرون﴾ [٨]

اللام للتوكيد، والتقدير: لكافرون بلقاء ربهم على التقديم والتأخير، وعلى هذا تقول: إنَّ زيداً في الدار لجالس، ولو قلت: إنَّ زيداً لفي الدار لجالسٌ، لجاز، فإنْ قلت: إنَّ زيداً جالس لفي الدار، لم يجز لأن اللام إنما يؤتى بها توكيداً لاسم إنَّ وخبرها، فإذا جئت بهما لم يجز أنْ تأتي بها وكذا إنْ قلت: إنَّ زيداً لجالس لفي الدار لم يجز.

﴿.. وأثاروا الأرض..﴾ [٩]

لأن أهل مكة لم يكونوا أصحاب حرث [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٧٩].

﴿ثُمَّ كان عاقبةُ الذين..﴾ [١٠]

اسم كان، وذكّرت لأن تأنيثها غير حقيقي **﴿السُّوأى﴾** خبر كان ومن نصب **﴿عاقبة﴾** جعل **﴿السوأى﴾** اسم كان، وروي عن الأعمش أنه قرأ **﴿ثُمَّ كان عاقبةَ الذين أساؤوا السُّوءُ﴾** برفع السوء **﴿أن كذَّبوا﴾** في موضع نصب، والمعنى لأن كذّبوا.

﴿ويومَ تقومُ الساعةُ يُبلِسُ المجرمون﴾ [١٢]

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي **﴿يُبلَسُ﴾** بفتح اللام والمعروف في اللغة أبلَسَ الرجلُ إذا سكتَ وانقطعتْ حجّتهُ ولم يؤمّلْ أن تكون له حجة، وقريب منه تحيّر، كما قال الراجز [ديوان العجاج: ١٢٣]:

قـــال نـــعـــم أعـــرفـــهُ وأبـــلـــســـا

[معاني القرآن للفراء: ٢/٣٢٣]

وقد زعم بعض النحويين أنّ **﴿إبليس﴾** مشتق من هذا وأنه أُبلِسَ أي انقطعت حجته، ولو كان كما قال لوجب أن ينصرف وهو في القرآن غير منصرف فاحتج بعضهم بأنه اسم ثُقِلَ لأنه لم يُسَمَّ به غيره.

﴿ولم يكنْ لهم منْ شُركائِهِمْ شُفعاءُ..﴾ [١٣]

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

قيل: يعني: بشركائهم ما عبدوه من دون الله جلّ وعزّ. ﴿وكانوا بشركائهمْ كافرين﴾ قالوا: ليسوا بآلهة.

﴿فأمّا الذين آمنوا..﴾ [١٥]

سمعتُ أبا إسحاق يقول: معنى ﴿أمّا﴾ دعْ ما كنّا فيه وخذ في غيره، وكذا قال سيبويه: إنّ معناها مهما يكنْ من شيء أي مهما يكن من شيء فخذ في غير ما كنّا فيه. ﴿الذين آمنوا﴾ في موضع رفع بالابتداء ﴿فهم﴾ ابتداء ثان وما بعده خبر عنه والجملة خبر ﴿الذين﴾. قال الضحّاك: ﴿في روضة﴾ في جنة، والرياض الجنات، وقال أبو عبيدة: الروضة ما كان في تَسَفُّل فإنْ كان مرتفعاً فهو تُرعَةٌ، وقال غيره: أحسن ما تكون الروضة إذا كانت في موضع مرتفع غليظ، كما قال الأعشى [ديوان الأعشى: ٥٧]: [البسيط]

ما روضةٌ من رياض الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ

إلاّ أنه لا يقال: لها روضة إلاّ إذا كان فيها نبتٌ، فإن لم يكن فيها نبت وكانت مرتفعة فهي تُرعةٌ وقد قيل في الترعة غير هذا.

قال الضحّاك: ﴿يُحبرون﴾ يكرمون، حكى الكسائي حَبَرتُهُ أي أكرمته ونعّمتُهُ. قال أبو جعفر: سمعت علي بن سليمان يقول: هو مشتق من قولهم: على أسنانه حَبْرَةٌ أي أثر فَيُحبَرون أي يتبيّنُ عليهم أثر النعيم، والحِبْرُ مشتق من هذا.

﴿فسبحان الله حين تُمسُون وحين تُصبحون﴾ [١٧]

أهل التفسير على أن هذا في الصلوات [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٨٠]. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: حقيقته عندي فسبِّحوا الله في الصلوات لأن التسبيح يكون في الصلاة، وعن عكرمة أنه قرأ ﴿فسبحان الله حيناً تُمسون وحيناً تصبحون﴾ وهو منصوب على الظرف، والمعنى حيناً تمسون فيه وحيناً تصبحون حتى يعود على حين من نعمته شيء، ومثله في القرآن ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: حروف الخفض لا تُحذف ولكن تقدّر فيها الهاء فقط.

﴿وله الحمد..﴾ [١٨]

ويجوز النصب على المصدر.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

﴿ومن آياته أنْ خلقكُم من تُراب..﴾[٢٠]

﴿..أنْ خلق لكمْ من أنفسكمْ أزواجاً لتسكنوا إليها..﴾[٢١]

﴿أنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وكذا **﴿..أنْ خلقَ لكمْ من انفسكمْ أزواجاً لتسكنوا إليها﴾**. **﴿وجعل بينكم مودةً ورحمةً﴾** روي عن ابن عباس: المودّة حب الرجل امرأته، والرحمة رحمته إياها أن يُصيبها سوء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ١٨٢].

﴿ومنْ آياته خلقُ السموات والأرض واختلاف ألسنتكمْ وألوانكم..﴾[٢٢]

بيّن جلّ وعزّ آياته الدالة عليه بخلق السموات والأرض واختلاف اللسان في الفم واختلاف اللغات واختلاف الألوان والصور على كثرة الناس، فما تكاد ترى أحداً إلا وأنت تفرّق بينه وبين الآخر، فهذا من أدلّ دليل على المدبّر والباري؛ لأن من صنع شيئاً غيره لم يكن فيه هذا التفريق.

﴿ومنْ آياته أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمره..﴾[٢٥]

أي تقوم بلا عمد بقدرته [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٨٢]، وجعله أمراً مجازاً كما يقال: هذا أمرٌ عظيمٌ.

﴿..يسمعون﴾[٢٣]

﴿..ثم إذا دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾[٢٥]

وفي معنى **﴿..يسمعون﴾** قولان: يُقبلون مثل قوله: سمع الله لمَن حمده، والآخر أن منهم من كان إذا تلِيَ القرآن وهو حاضر سدّ أذنيه لئلاّ يسمع، فلمّا بيّن جلّ وعزّ الدلالة عليه قال **﴿..ثم إذا دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾** أي الذي فعل هذه الأشياء قادر على أن يبعثكم، وأجمع القرّاء على فتح التاء ههنا في **﴿تخرجون﴾** واختلفوا في التي في (الأعراف) فقرأ أهل المدينة **﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾** [الأعراف: ٢٥]، وقرأ أهل العراق بالفتح، وإليه يميل أبو عبيد

وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

والمعنيان متقاربان إلاّ أن أهل المدينة فرّقوا بينهما لنسق الكلام، فنسق الكلام في التي في «الأعراف» بالضم أشبه؛ إذ كان الموت ليس من فعلهم، فكذا الإخراج والفتح في سورة الروم أشبه بنسق الكلام أي إذا دعاكم خرجتم أي أطعْتمْ فالفعل بهم أشبه.

﴿وله مَنْ في السموات والأرض كلٌ له قانتون﴾ [٢٦]

قال أبو الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: **«كلُّ قنوت في القرآن فهو طاعة»** [القرطبي في «تفسيره»: ١٤/ ٢٠، ١٥/ ٢٣٩] قال أبو جعفر: المعنى: كل من في السموات والأرض له مطيعون طاعة انقيادهم على ما شاء من صحة وسقم وغنى وفقر، وليست هذه الطاعة التي يجازون عليها [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٨٣].

﴿.. وهو أهونُ عليه..﴾ [٢٧]

وقد ذكرناه. **﴿وله المثل الأعلى﴾** أي ما أراده جلّ وعزّ كان، وقال الخليل رحمه الله: المثل: الصفة.

﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكمْ هلْ لكم مِنْ ما ملكت أيمانكمْ منْ شركاء في ما رزقناكم..﴾ [٢٨]

﴿شركاء﴾ في موضع رفع و**﴿مِنْ﴾** زائدة للتوكيد. **﴿فأنتمْ فيه سواءٌ﴾** مبتدأ وخبر وليست سواء ههنا التي تكون ظرفاً **﴿تخافونهمْ كخيفتكمْ انفسكمْ﴾** نُصب بالفعل والكاف والميم في موضع خفض، وهي أيضاً في موضع رفع في التأويل كما تقول: عجبتُ من ضربكمْ عمراً، ويجوز من ضربكم عمرٌو؛ لأنّ المصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول به، وتقول: عجبتُ من وقعِ أنيابِهِ بعضها على بعض، وإن شئت رفعت لأن أنيابه في موضع رفع في التأويل إلاّ أن الرفع في الظاهر قبيح عند الكوفيين، فإنْ قلت: عجبت من وقع بعضها على بعض، حسن الرفع عند الجميع **﴿كذلك﴾** الكاف في موضع نصب، والتقدير: نفصّل الآيات تفصيلاً كذلك.

﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهمْ..﴾ [٢٩]

جمع هوى لأن أصله فَعَلٌ.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فأقم وجهك للدين..﴾ [٣٠]

أي اجعل جهتك للدين ﴿حنيفاً﴾ على الحال، قال الضحّاك ﴿حنيفاً﴾ مسلما حاجاً. قال وفطرة ﴿الله﴾ دين الله. قال أبو اسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٨٤]: ﴿فطرة الله﴾ نُصبَ بمعنى اتبع فطرة الله، قال: لأن معنى ﴿فأقم وجهك للدين﴾ اتّبع الدين واتبع فطرة الله. قال محمد بن جرير: ﴿فطرة﴾ مصدر من معنى فأقم وجهك؛ لأنّ معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرةً. وقد ذكرنا فطرة الله بأكثر من هذا في «المعاني»، والحديث «كلّ مولود يولد على الفطرة»، وقول الفقهاء فيه، وقد قيل: معناه يولد على الخلقة التي تعرفونها، وقيل: معنى فطرة الله التي فطر الناس عليها أي اتبعوا دين الله الذي خلق الناس له، وسمّيت الفطرة ديناً لأن الناس يخلقون له، قال جلّ وعزّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] واحتجّ قائل بقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

﴿منيبين إليه..﴾ [٣١]

منصوب على الحال. قال محمد بن يزيد: لأن معنى ﴿فأقم وجهك﴾ فأقيموا وجوهكم، وهو قول أبي إسحاق واحتج بقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٢٥]: المعنى: فأقم وجهك ومن معك منيبين، وردّ أبو العباس قول من قال: التقدير: لا يعلمون منيبين؛ لأنّ معنى منيبين راجعون فكيف لا يعلمون راجعين، وأيضاً فإن بعده ﴿واتقوه﴾ وإنما معناه فأقيموا وجوهكم واتقوه ﴿ولاتكونوا من المشركين﴾.

﴿من الذين فرّقوا دينهمْ..﴾ [٣٢]

تأوّلته عائشة رضي الله عنها وأبو هريرة وأبو أمامة رحمهما الله على أنه لأهل القبلة، وقال الربيع بن أنس: الذين فرّقوا دينهم أهل الكتاب. وفارقوا دينهم تركوا دينهم الذي يجب أن يتبعوه، وهو التوحيد. ﴿وكانوا شِيَعاً﴾ أي فِرَقاً.

﴿كلُّ حزب بما لديهمْ فرحون﴾ قيل: هم فرحون لأنهم لم يتبينوا الحق وعليهم أن يتبيّنوه، وقيل: هذا قبل أن تظهر البراهين، وقول ثالث أن العاصي لله جلّ وعزّ قد يكون فرحاً بمعصيته، وكذلك الشيطان، وقطّاع الطرق وغيرهم، والله أعلم.

وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٢٥] أنه يجوز أن يكون التمام ﴿ولا تكونوا من المشركين﴾ ويكون المعنى من الذين فارقوا دينهم ﴿وكانوا شِيَعاً﴾ على الاستئناف، وأنه يجوز أن يكون متصلاً

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾
لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ
ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ
ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِىٓ أَمْوَٰلِ

بما قبله. قال أبو جعفر: إذا كان متصلاً بما قبله فهو عند البصريين على البدل بإعادة الحرف كما قال جلّ وعزّ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥] ولو كان بلا حرف لجاز.

﴿.. دَعَوا ربَّهمْ مُنيبين إليه..﴾ [٣٣]

على الحال. وعن ابن عباس: أي مقبلين إليه بكلّ قلوبهم.

﴿ليكفروا بما آتيناهمْ..﴾ [٣٤]

لام كي، وقيل: هي لام أمر فيه معنى التهديد، كما قال جلّ وعزّ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] وكما تقول: كلّمْ فلاناً حتى نرى ما يلحقك منّي، وكذا **﴿فتمتّعوا﴾**، ودلّ على ذلك **﴿فسوف تعلمون﴾**.

﴿أم أنزلنا عليهمْ سُلطاناً..﴾ [٣٥]

استفهام فيه معنى التوقيف. قال الضحّاك: **﴿سلطاناً﴾** أي كتاباً، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٢٥] أن العرب تؤنّث السلطان، وتقول: قضت به عليك السلطان. فأمّا البصريون فالتذكير عندهم أفصح، وبه جاء القرآن، والتأنيث جائز عندهم؛ لأنه بمعنى الحجة، وقولنا سلطان معناه صاحب سلطان أي صاحب الحجة؛ إلاّ أن محمد بن يزيد قال غير هذا فيما حكى لنا عنه علي بن سليمان قال: سلطان جمع سليط كما تقول: رغيفٌ ورغفانٌ، فتذكيره على معنى الجميع وتأنيثه على معنى الجماعة.

﴿.. وإنْ تُصبهمْ سيئة بما قدمت أيديهمْ إذا همْ يقنطون﴾ [٣٦]

التقدير عند سيبويه: قنطوا، فلهذا كان جواب شرط.

﴿فآت ذا القربى حقه..﴾ [٣٨]

تأوّله مجاهد وقتادة على أنه قريب الرجل، وجعلا صلة الرحم فرضاً من الله جلّ وعزّ حتى قال مجاهد: لا يُقبل صدقة من أحد ورحِمُهُ محتاجةٌ، وقيل: ذو القربى القربى بالنبي ﷺ، وحقّه مبيّن في قوله جلّ وعزّ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١]، **﴿وابن السبيل﴾** الضيف فجعل الضيافة فرضاً، **﴿وأولئك﴾** مبتدأ و**﴿هُمْ﴾** مبتدأ ثان

ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٖۚ سُبْحَٰنَهُۥ
وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

﴿المُضْعِفُونَ﴾ خبر الثاني والجملة خبر الأول، وفي معنى المُضعفين قولان: أحدهما تُضاعفُ لهم الحسنات، والآخر أنه قد أُضعف لهم الخير والنعيم أي هم أصحاب أضعاف، كما يقال: فلان مُقْوٍ أي له أصحابٌ أقوياء، ويقال: فلان رَدِيءٌ مُردِيء أي هو رديءٌ في نفسه وأصحابه أردياء.

﴿وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس..﴾ [٣٩]

فأمّا قوله جلّ وعزّ: ﴿وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس﴾ فقد ذكرنا قول العلماء فيه أنه يُهْدي الرجل إلى الرجل الهدية يريد عليها المكافأة ولا يريد الثواب فذلك مباح إلاّ أنه لا يثاب عليه لأنه لم يقصد به ثواب الله جلّ وعزّ غير أن الضحاك قال: نهى النبي ﷺ عن ذلك خاصة بقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] وقد قيل: معنى وما آتيتم من رباً هو الربا الذي لا يحلّ.

وقال قائل هذا القول: معنى فلا يربو عند الله فلا يحكَمُ به لآخذه لأنه ليس له وإنما هو للمأخوذ منه. وتثنية الربا رِبَوانّ، كذا قول سيبويه [الكتاب: ٢/ ٣ ـ ٩]، ولا يجوز عند أصحابه غيره. وسمعت أبا إسحاق يقول وذكر قول الكوفيين لا يكفيهم في قولهم رِبَيان أن يخطئوا في الخط فيكتبوا الربا بالياء حتى يُخطِئوا في التثنية واستعظم هذا، وقد قال الله جلّ وعزّ: ﴿ليربو في أموال الناس﴾، فهذا أبين أنه من ذوات الواو، وأن القول كما قال أبو إسحاق.

﴿ظهر الفسادُ في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس..﴾ [٤١]

في معناه قولان: أحدهما ظهر الجدب في البر أي في البوادي وقراها، وفي البحر أي في مدن البحر مثل ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي ظهر قلّة الغيث وغلاء السعر بما كسبت أيدي الناس من المعاصي لنُذيقهمْ عقاب بعض الذين عملوا ثم حذف.

والقول الآخر: أن معنى ﴿ظهر الفساد﴾ ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم فهذا هو الفساد على الحقيقة، والأول مجاز إلاّ أنه على الجواب الثاني يكون في الكلام حذف واختصار دلّ عليه ما بعده، ويكون المعنى: ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله عنهم الغيث وأغلى سعرهم ليذيقهمْ عقاب بعض ماعملوا ﴿لعلّهمْ يرجعون﴾ وروى داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس ﴿لعلّهم يرجعون﴾ لعلّهم يتوبون.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا
نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى
الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ
عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي
الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

﴿.. من قبلِ أن يأتيَ يومٌ لا مردَّ له من الله..﴾ [٤٣]

أي لا يردّه الله جلّ وعزّ عنهم فإذا لم يردّه لم يتهيأ لأحد دفعه، ويجوز عند غير سيبويه «لا مردٌّ له» وذلك عند سيبويه بعيد إلاّ أن يكون في الكلام عطف. **﴿يومئذ يَصَّدَّعون﴾** الأصل يتصدعون أُدغمت التاء في الصاد لقربها منها، ويقال: تَصَدّع القوم إذا تفرقوا، ومنه اشتق الصُّداع لأنه يفرق شُعَبَ الرأس.

﴿.. وكان حقاً علينا..﴾ [٤٧]

خبر كان **﴿نصرُ المؤمنين﴾** اسمها، ولو كان في غير القرآن لجاز رفع حقّ ونصب نصر، لأن حقاً، وإنْ كان نكرة، فبعده علينا، ولجاز رفعهما على أنْ تضمر في كان والخبر في الجملة. وفي الحديث «مَنْ ردَّ عن عرض صاحبه ردَّ الله عنه نار جهنم، ثم تلا رسول الله ﷺ **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾**».

﴿.. وَيَجعلُهُ كِسفاً..﴾ [٤٨]

جمع كِسْفَة وهي القطعة، وفي قراءة الحسن وأبي جعفر وعبد الرحمن الأعرج **﴿كِسْفاً﴾** [معاني القرآن وإعرابه: ١٨٩/٤] بإسكان السين، وهو أيضاً جمع كِسْفَة كما يقال: سِدْرَةٌ وسِدْرٌ، وعلى هذه القراءة يكون المضمر الذي بعده عائداً عليه أي فترى الودق يخرج من خلال الكِسْف؛ لأنّ كل جمع بينه وبين واحده الهاء لا غير، التذكير فيه حَسَن، ومن قرأ كِسَفاً فالمضمر عنده عائد على السحاب، وفي قراءة الضحاك **﴿فترى الوَدْقَ يخرج من خَلَلِه﴾** ويجوز أن يكون خِلالٌ جمع خَلَل.

﴿وإنْ كانوا من قبلِ أن يُنزَّل عليهمْ من قبله لَمُبْلِسين﴾ [٤٩]

﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض..﴾ [٥٠]

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

قد ذكرناه، وكان أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٨٩/٤] يذهب إلى أنه على التوكيد ويقول: إنّ قول قطرب: التقدير: من قبل التنزيل خطأ لأنّ المطر لا ينفكّ من التنزيل، وأنشد [ذو الرمة ديوانه: ٦١٦]: [الطويل]

مَشَيْنَ كما اهتزّت رماحٌ تَسَفَّهتْ ... أعاليَها مَرُّ الرياحِ النّواسِمِ

فأنث المرَّ، لأن الرياح لا تنفكّ منه، ولأن المعنى تسفّهت أعاليها الرياح، فكذا معنى من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبل المطر. ويقال: آثْرْ وإثْرْ ﴿كيف يُحيي الأرض﴾ لا يجوز فيه الإدغام لئلا يجمع فيه ساكنان.

﴿ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً..﴾ [٥١]

قيل: التقدير: فرأوا الزرع مصفراً، وقيل: فرأوا السحاب، وقيل: فرأوا الريح، وذكّرت الريح لأنها للمُرسَل منها، وقال محمد بن يزيد: لا يمتنع تذكير كل مؤنث غير حقيقي نحو أعجبني الدار، وما أشبهه ﴿لظلّوا﴾ قال الخليل رحمه الله: معناه لَيَظلّنّ. قال أبو إسحاق: وجاز هذا لأن في الكلام معنى المجازاة.

﴿فإنك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصُمّ الدّعاء..﴾ [٥٢]

جُعلوا بمنزلة الموتى والصمّ، لأنهم لا ينتفعون بما يسمعون [معاني القرآن وإعرابه: ١٩٠/٤].

﴿وما أنت بهاد العُمْي عن ضلالتهم..﴾ [٥٣]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣٢٦/٢]: ويجوز من ضلالتهم بمعنى: وما أنت بمانعهم من ضلالتهم، وعن بمعنى: وما أنت بصارفهم عن ضلالتهم.

﴿الله الذي خلقكم من ضَعْف..﴾ [٥٤]

قال عطية عن ابن عمر رحمه الله قال: قرأت على رسول الله ﷺ ﴿من ضَعْف﴾ فقال لي: ﴿من ضُعْف﴾ وقرأ عيسى بن عمر ﴿من ضُعُف﴾، وقرأ الكوفيون ﴿من ضَعْف﴾ وهو المصدر، وأجاز النحويون منهم من ضَعَف، وكذا كل ما كان فيه حرف من حروف الحلق ثانياً أو ثالثاً. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٩١/٤]: تأويله: الله الذي خلقكم من النطفة التي حالكم معها الضُعفُ ثم جعل من بعد الضعف الشبيبة.

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ
وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ
لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ
وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ

﴿ويوم تقومُ الساعةُ يُقسِمُ المُجرمون ما لَبِثوا غير ساعة..﴾ [٥٥]

وليس في هذا ردّ لعذاب القبر إذ كان قد صحّ عن النبي ﷺ من غير طريق أنه تعوّذ منه، وأمر أن يُتعوَّذ منه، من ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال: سمع ﷺ أمَّ حبيبة تقول: اللهمّ أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي ﷺ: **«سألتِ الله في آجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولكن سليه أن يُعيذك من عذاب جهنم أو عذاب القبر»** [م: ٦٧١٢] في أحاديث مشهورة.

وفي معنى **﴿ما لبثوا غير ساعة﴾** قولان: أولهما أنه يريد لا بدّ من خَمْدَة قبل يوم القيامة ولحق الفناء الذي كُتب على الخلق مَن رُحِمَ ومن عُذِّب، فعلى هذا قالوا: ما لبثنا غير ساعة لأنهم لم يعلموا مقدار ذلك، والقول الآخر: أنهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها وإن كانوا قد أقسموا على غيب وعلى غير ما يدرون، قال الله جلّ وعزّ: **﴿كذلك كانوا يُؤفكون﴾** أي كذلك كانوا يكذبون في الدنيا.

وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز أن يكون فيها كذب لما هم فيه، والقرآن يدلّ على غير ذلك، قال الله جل وعزّ: **﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾** وقال جلّ ثناؤه: **﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾** [المجادلة: ١٨].

﴿..لقدْ لبِثتمْ في كتاب الله إلى يوم البَعْثِ..﴾ [٥٦]

وردَّ عليهم المؤمنون فقالوا: **﴿..لقدْ لبِثتمْ في كتاب الله إلى يوم البَعْثِ﴾** قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٩٢]: أي في اللوح المحفوظ، وحكى يعقوب عن بعض القرّاء **﴿إلى يومِ البَعَثِ﴾** فهذا مما فيه حرف من حروف الحلق.

﴿فيومئذ لا ينفعُ الذين ظلموا معذِرَتُهمْ..﴾ [٥٧]

لمّا ردَّ عليهم المؤمنون سألوا الرجوع إلى الدنيا واعتذروا فلم يُعذروا **﴿ولا هم يُستعتبون﴾** ولا حالهم حال من يُستعتب فيرجع.

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل..﴾ [٥٨]

يدلّهم على ما يحتاجون إليه.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿.. ولا يستخفنَّك..﴾ [٦٠]

في موضع جزم بالنهي فأكد بالنون الثقيلة فبُني على الفتح، كما يُبنى الشيئان إذا ضُمّ أحدهما إلى الآخر. **﴿الذين لا يُوقنون﴾** في موضع رفع، ومن العرب من يقول: الذون في موضع الرفع.

٣١ ـ سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا

شرحُ إعرابِ سُورةِ لُقْمَانَ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تلك..﴾ [٢]

في موضع رفع على إضمار مبتدأ أي هذه تلك، ويقال: تِيكَ. ﴿آياتُ الكتاب الحكيم﴾ بدل من ﴿تلك﴾.

﴿هدىً ورحمةً..﴾ [٣]

نصب على الحال [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٩٣]، مثل ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣] وهذه قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم والكسائي، وقرأ أبو حمزة ﴿هدىً ورحمةٌ﴾ بالرفع، وهو من جهتين: إحداهما على إضمار مبتدأ لأنه أول آية، والأخرى أن يكون خبر تلك.

﴿الذين يُقيمون الصلاة..﴾ [٤]

في موضع رفع على إضمار مبتدأ، لأنه أول آية أو في موضع نصب بمعنى: أعني، أو في موضع خفض على أنه نعت للمحسنين.

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث..﴾ [٦]

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء أو بالصفة. وعن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أن ﴿لهو الحديث﴾ مهنا الغناء [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٩٤].

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

وأنه ممنوع بالكتاب والسنة فيكون التقدير: ومن الناس من يشتري ذا لهو أو ذات لهو، مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أو يكون التقدير: لمّا كان إنما يشتريها ويبالغ في ثمنها كأنه اشترى اللهو. ﴿لِيُضِلَّ عن سبيل الله﴾ أي ليضلَّ غيره ومن قرأ ﴿لِيَضِلَّ﴾ فعلى اللازم له عنده، ﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾ قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ عطفاً على ﴿لِيضل﴾. والرفع من وجهين: إحداهما أن يكون معطوفاً على يشتري، والآخر أن يكون مستأنفاً، والهاء كناية عن الآيات، ويجوز أن تكون كناية عن السبيل لأن السبيل يذكّر ويؤنّث.

﴿.. كأنّ في أُذُنَيهِ وقراً..﴾ [٧]

اسم كأن وتُحذف الضمة لثقلها فيقال: أُذْنٌ.

﴿خلق السموات بغير عمد ترونها..﴾ [١٠]

يكون ﴿ترونها﴾ في موضع خفض على النعت لعمد أي بغير عمد مرئية [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٩٥]، ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: الأولى أن يكون مستأنفاً ويكون بغير عمد التمام. ﴿أنْ تميد﴾ في موضع نصب أي كراهة أن تميد، والكوفيون يقدّرونه بمعنى لئلا تميد.

﴿فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ عن ابن عباس: من كل نوع حسن، وتأوّله الشعبي على الناس لأنهم مخلوقون من الأرض، قال: فمن كان منهم يصير إلى الجنة فهو الكريم، ومن كان يصير منهم إلى النار فهو اللئيم، وقد تأوّل غيره أن النطفة مخلوقة من تراب وظاهر القرآن يدلّ على ذلك.

﴿هذا خلقُ الله..﴾ [١١]

مبتدأ وخبر ﴿فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ ﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء وخبره ﴿ذا﴾ وذا بمعنى الذي وخَلَق واقع على هاء محذوفة على هذا، تقول: ماذا تعلّمت أنحوٌ أم شعرٌ؟ ويجوز أن يكون ﴿ما﴾ في موضع نصب بخَلَق و﴿ذا﴾ زائدة، وعلى هذا تقول: ماذا تعلّمت أنحواً أم شعراً؟ بل ﴿الظالمون﴾ رفع بالابتداء ﴿في ضلال مبين﴾ في موضع الخبر.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن
جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ
أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة..﴾ [١٢]

مفعولان، ولم ينصرف لقمان لأن في آخره ألفاً ونوناً زائدتين فأشبه فَعْلاَن الذي أنثاه فَعْلى فلم ينصرف في المعرفة لأن ذلك ثقل ثان وانصرف في النكرة لأن أحد الثقلين زال. وزعم عكرمة أن لقمان كان نبياً وفي الحديث أنه كان حبشياً [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٢٧].

﴿أن اشكرْ لله﴾ فيه تقديران: أحدهما أنْ تكون **﴿أنْ﴾** بمعنى أيْ مفسّرة أي قلنا له: اشكرْ، والقول الآخر: أنها في موضع نصب والفعل داخل في صلتها، كما حكى سيبويه: كتبتُ إليه أن قُم، إلاّ أن هذا الوجه بعيد **﴿ومنْ يشكرْ فإنما يشكرُ لنفسه﴾** جزم بالشرط، ويجوز الرفع على أن مَنْ بمعنى الذي.

﴿وإذْ قال لقمان لابنه وهو يعظهُ..﴾ [١٣]

﴿إذ﴾ في موضع نصب، والمعنى واذكر، وحكى أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٩٦] في كتابه في القرآن أن **﴿إذ﴾** في موضع نصب بآياتنا، وأنّ المعنى: ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال، قال أبو جعفر: وأحسبه غلطاً لأن في الكلام واواً تمنع من ذلك وأيضاً فإن اسم لقمان مذكور بعد، قال: **﴿يا بُنَيِّ﴾** بكسر الياء؛ لأنها دالة على الياء المحذوفة ومَنْ فتحها فلخفّة الفتحة عنده.

﴿ووصّينا الإنسان بوالديه..﴾ [١٤]

﴿وإن جاهداك على أن تُشرك بي ماليس لك به علمٌ..﴾ [١٥]

فأمّا **﴿ووصّينا الإنسان بوالديه﴾** فمعترض بين كلام لقمان كما روى شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قالت أم سعد لسعد: أليس قد أمر الله جلّ وعزّ ببرّ الوالدة؟ فوالله لا أطعَمُ ولا أشربُ حتى تكفر بمحمد، وكانوا إذا أرادوا أن يطعموها أوجروها بالعصا وجعلوا في فيها الطعام والشراب، فنزلت: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾** إلى **﴿وإن جاهداك على أن تُشرك بي ماليس لك به علمٌ﴾** الآية.

فأمّا نصب **﴿وهناً على وهن﴾** قال أبو جعفر: فما علمت أن أحداً من النحويين ذكره فيكون مفعولاً ثانياً على حذف الحرف أي حَمَلَتْه بضعف على ضعف أو فازدادتْ ضعفاً على ضعف،

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٖ مِّنْ خَرْدَلٖ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

و﴿معروفاً﴾ نعت لمصدر محذوف، وزعم أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٩٦] في كتابه أنّ ﴿أنْ﴾ في موضع نصب وأن المعنى ووصينا الإنسان بوالديه أن اشكرْ لي ولوالديك، وهذا القول على مذهب سيبويه بعيد ولم يذكر أبو إسحاق فيما علمت غيره، وأجود منه أن تكون ﴿أنْ﴾ مفسّرة والمعنى قلنا له: اشكر لي ولوالديك.

﴿.. إنّها..﴾ [١٦]

الكناية عن القصة أو عن الفَعْلَةِ أو بمعنى إنّ التي سألتني عنها لأنه يُروى أنه سأله، والبصريون يجيزون: إنها زيدٌ ضربتُهُ، بمعنى: أنّ القصة، والكوفيون لا يجيزون هذا إلا في المؤنث. ﴿إنْ تكُ مثقالَ حبّة من خردل﴾ خبر ﴿تكُ﴾ واسمها مضمر فيها، واستبعد أبو حاتم أن يقرأ ﴿أن تك مثقالُ حبة﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٢٨] بالرفع؛ لأن مثقالاً مذكّر فلا يجوز عنده إلا بالياء. قال أبو جعفر: وهذا جائز صحيح وهو محمول على المعنى لأن المعنى واحد، وهذا كثير في كلام العرب يقال: اجتمعتْ أهلُ اليمامة لأن من كلامهم اجتمعتْ اليمامة، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٢٨] أن مثل الآية قول الشاعر:

وتَشْرقُ بالقول الذي قد أذعتَه ... كما شرقتْ صدرُ القناة من الدم

[القرطبي في «تفسيره»: ٩/ ١٣٢]

﴿يا بُنيّ أقمِ الصلاةَ..﴾ [١٧]

معنى إقامة الصلاة إتمامها بجميع فروضها، كما يقال: فلانٌ قيّمٌ بعمله الذي وليه أي قد وفّى العمل جميع حقوقه، ومنه: هذا قوام الأمر ﴿واصبرْ على ما أصابك﴾ وهو أن لا يخرج من الجزع إلى معصية الله، وكذا الصبر عن المعاصي.

﴿ولا تُصَعِّرْ خدّكَ للناس..﴾ [١٨]

قد ذكرناه وحُكي عن محمد بن يزيد أنه قال: ﴿تُصاعِرُ﴾ من واحد مثل عافاه الله ﴿ولا تمشِ في الأرض مَرَحاً﴾ أي متبختراً متكبراً، وهو مصدر في موضع الحال.

﴿واقصدْ في مشيك..﴾ [١٩]

أي توسّط، والتوسط أحمَد الأمور، وكذا ﴿واغضُضْ من صوتك﴾ أدّبه الله جلّ وعزّ

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ
﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا

بالأمر بترك الصياح في وجوه الناس تهاوناً بهم **﴿إنّ أنكر الأصوات لصوتُ الحمير﴾** قال أبو عبيدة [مجاز القرآن: ٢/١٢٧]: أي أشدّ، وقال الضحّاك: وهما جميعاً على المجاز. وفي الحديث **«ما صاح حمارٌ ولا نبح كلبٌ إلاّ أن يرى شيطاناً»** [القرطبي في «تفسيره»: ١٤/٧٢].

﴿ألم تروا أنّ الله سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض..﴾ [٢٠]

وذلك من نعم الله جلّ وعزّ على بني آدم، فالأشياء كلّها مسخرةٌ لهم من شمس وقمر ونجوم وملائكة تحوطهم، وتجرّ إليهم منافعهم، ومن سماء وما فيها لا يُحصى **﴿وأسبغ عليكم نعمهُ ظاهرةً وباطنةً﴾** على الحال، ومَنْ قرأ **﴿نِعْمَةً ظاهرةً وباطنةً﴾** [معاني القرآن: ٢/٣٢٩] جعله نعتاً، وهي قراءة ابن عباس من وجوه صحاح مروية وفسّرها الإسلام، وشرح هذا أن سعيد بن جبير قال في قوله جلّ وعزّ: **﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾** [المائدة: ٦] قال: يدخلكم الجنة، وتمام نعمة الله على العبد أن يدخله الجنة، فكذا لمّا كان الإسلام يؤول أمره إلى الجنة سُمّيَ نعمة، وعن ابن عباس قال **﴿ومن الناس مَنْ يجادل في الله بغير علم﴾** قال: هو النضر بن الحارث.

﴿..أولو كان الشيطانُ يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ [٢١]

أي أولو كان كذا يتّبعونه، على التوبيخ لهم.

﴿ومن يُسلمْ وجهه إلى الله..﴾ [٢٢]

وقراءة أبي عبد الرحمن السلمي **﴿ومن يُسلِّمْ وجهه إلى الله﴾**، قال: **﴿يُسْلِمْ﴾** في هذا أعرف، كما قال جلّ وعزّ: **﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾** [آل عمران: ٢٠] ومعنى **﴿أسلمتُ وجهي لله﴾** قصدت بعبادتي إلى الله وأقررت أنه لا إله غيره، ويجوز أن يكون التقدير: ومن يُسْلِمْ نفسه إلى الله مثل **﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾** [القصص: ٨٨] معناه إلا إياه، ويكون يُسلِّمُ على التكثير إلاّ أن المستعمل في سلّمت أنه بمعنى دفعت يقال: سلّمت في الحنطة، وقد يقال: أسلَمْتَ. وروى جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله جل وعزّ: **﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾** قال: لا إله إلا الله [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/١٩٩].

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾

﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلامٌ..﴾ [٢٧]

﴿أنّ﴾ في موضع رفع، والتقدير: ولو وقع هذا و**﴿أقلام﴾** خبر أن **﴿والبحرُ يَمُدُّهُ﴾** مرفوع من جهتين: إحداهما العطف على الموضع، والأخرى أن يكون في موضع الحال، وقرأ أبو عمرو وابن أبي إسحاق **﴿والبحرَ يَمُدُّهُ﴾** بالنصب على اللفظ، وحكى يونس عن ابن أبي عمرو بن العلاء قال: ما أعرف للرفع وجهاً إلا أن يجعل البحر أقلاماً، وأبو عبيد يختار الرفع لكثرة من قرأ به إلا أنه قال: يلزم من قرأ بالرفع أن يقرأ ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾ [المائدة: ٤٥]. قال أبو جعفر: هذا مخالف لذاك عند سيبويه، قال سيبويه [الكتاب: ١/ ٢٨٥]: أي والبحرُ هذا أمره، يجعل الواو تؤدي عن الحال، وليس هذا في **﴿والعينُ بالعينِ﴾** **﴿يَمُدُّهُ﴾**، وحُكي **﴿يُمِدُّهُ﴾** على أنهما لغتان بمعنى واحد، وحُكي التفريق بين اللغتين وأنه يقال فيما كان يزيد في الشيء: مدّهُ يمُدُّهُ كما تقول: مدَّ النيلُ الخليجَ، أي زاد فيه، وأمدَّ الله جلّ وعزّ الخليج بالنيل. وهذا أحسن القولين، وهو مذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٢٩]، ويجوز **تَمُدُّه** **﴿من بعده سبعةُ أبحُرٍ﴾** على تأنيث السبعة **﴿ما نفدتْ كلماتُ الله﴾** قال قتادة: قالوا: إنّ ما جاء به محمد ﷺ سينفدُ فأنزل الله جلّ وعزّ يعني هذا.

﴿ما خَلقُكمْ ولا بَعثُكمْ إلاّ كنفسٍ واحدة..﴾ [٢٨]

قال الضحاك: أي ما ابتداء خلقكم جميعاً إلاّ كخلْقِ نفس واحدة، وما بعثكم يوم القيامة إلا كبعث نفس واحدة. قال أبو جعفر: وهكذا قدّره النحويون بمعنى إلاّ كخلق نفس واحدة مثل ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

﴿يولِجُ الليلَ في النهار ويولجُ النهار في الليل..﴾ [٢٩]

عن ابن مسعود أنه قال: قِصَر نهار الشتاء في طول ليله، وقِصَر ليل الصيف في طول نهاره.

﴿وإذا غشيهمْ موجٌ كالظُلل..﴾ [٣٢]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

لأن سبيل الموج إذا اشتدّ أن يرتفع. قال الفرّاء: يعني بالظُّلل السحاب. قال الخليل وسيبويه رحمهما الله في قاض وجاز: يوقف عليهما بغير ياء، وعلّتهما في ذلك أن يُعرف أنه في الوصل كذلك، وكان القياس أن يُوقف عليهما بالياء لأن التنوين يزول في الوقف، وحكى يونس أن بعض العرب الموثوق بلغتهم يقف بالياء فيقول: جاءني قاضي وجازي.

﴿إنّ الله عنده علم الساعة ويُنزّل الغيث..﴾ [٣٤]

زعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٣٠] أنّ في هذا معنى النفي أي ما لم يعلمه أحدٌ إلاّ الله جلّ وعزّ. قال أبو جعفر: إنما صار فيه معنى النفي والإيجاب بتوقيف الرسول ﷺ على ذلك لأنه ﷺ في قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] لا يعلمها إلا هو أنها هذه.

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٠٢]: فمن زعم أنه يعلم شيئاً من هذا فقد كفر ﴿إنّ الله عنده علم الساعة ويُنزّلُ الغيث ويعلمُ ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تدري نفسٌ بأيّ أرض تموت﴾ ومن العرب من يقول: بأيّة أرض. فمن قال: بأيّ أرض قال: تأنيث الأرض يكفي من تأنيث أي، ومن قال: بأيّة أرض قال: أي تنفرد وتأتي بغير إضافة لو قال: جاءتني امرأةٌ، قلت: أيّة. ﴿إنّ الله عليمٌ خبيرٌ﴾ نعت لعليم أو خبر بعد خبر.

٣٢ ـ سورة السجدَة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ
لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا
بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾

شرحُ إعرابِ سُورةِ السجدةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ [١]

﴿تنزيلُ الكتاب لا ريب فيه..﴾ [٢]

الاجتماع على رفع تنزيل، ورفعه من ثلاثة أوجه: أحدها بالابتداء والخبر ﴿لاريب فيه﴾ [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٠٣] والثاني على إضمار مبتدأ أي هذا المتلوّ تنزيل، والثالث بمعنى: هذه الحروف تنزيل، و﴿الم﴾ تدلّ على الحروف كلّها كما تدل عليها أ ب ت ث. ولو كان تنزيل منصوباً على المصدر لجاز كما قرأ الكوفيون ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ٣ ـ ٥].

﴿أمْ يقولون افتراه..﴾ [٣]

﴿أمْ﴾ تدلّ على خروج من حديث إلى حديث ﴿بلْ هو الحقُّ منْ ربك﴾ مبتدأ وخبره.

﴿الله الذي خلق السموات والأرض..﴾ [٤]

وكذا ﴿الله الذي خلق السموات والأرض﴾ ﴿مالكم منْ دونه من وليّ﴾ أي للكافرين من مولى يمنع من عذابهم ﴿ولا شفيع﴾ ويجوز بالرفع على الموضع ﴿أفلا تتذكّرون﴾ هذه الموعظة.

﴿الذي أحسن كلَّ شيء خَلَقَهُ..﴾ [٧]

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾

وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير ﴿خَلْقَهُ﴾ بإسكان اللام ونصبه في هذه القراءة على المصدر عند سيبويه مثل ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وعند غيره على البدل من ﴿كل﴾ أي الذي أحسن خلق كل شيء وهما مفعولان على مذهب بعض النحويين بمعنى: أَفْهَمَ كلَّ شيء خَلْقَهُ، و﴿خَلَقَهُ﴾ على أنه فعل ماض في موضع خفض نعت لشيء والمعنى على ما يُروى عن ابن عباس: أحكَمَ كلَّ شيء خَلَقَهُ أي جاء به كما أراد لم يتغيرْ عن إرادته، وقول آخر أن كل شيء يخلقه حَسَن لأنه لا يقدر أحد أن يأتي بمثله، وهو دالّ على خالقه. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٠٤]: ويجوز الذي أحسن كلُّ شيء خَلْقُهُ بالرفع بمعنى ذلك خَلْقُهُ ﴿وبدأ خلْقَ الإنسان مِنْ طين﴾ يعني آدم ﷺ.

﴿ثم جعل نسلهُ مِنْ سُلالة..﴾ [٨]

مشتق من سللتُ الشيء، وفُعالة للقليل. ﴿من ماء مهين﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٠٥]: أي ضعيف، وقال غيره: أي لا خَطَرَ له عند الناس.

﴿ثم سوّاهُ..﴾ [٩]

يعني الماء ﴿ونفخَ فيه من روحه﴾ أي الذي يحيا به ﴿وجعلَ لكمُ السمعَ والأبصارَ﴾ فوحّد السمع وجمع الأبصار، لأنّ السمع في الأصل مصدر، ويجوز أن يكون واحداً يدلّ على جمع ﴿والأفئدة﴾ جمع فؤاد وهو القلب.

﴿وقالوا أئذا ضللْنا في الأرض إنّا لفي خلق جديد..﴾ [١٠]

ويقرأ ﴿ائنّا﴾، وفي هذا سؤال صعبٌ من العربية يقال: ما العامل في ﴿إذا﴾ و﴿إنّ﴾ لا يعمل ما بعدها فيما قبلها؟ والسؤال في الاستفهام أشدّ لأن ما بعد الاستفهام أجدر أن لا يعمل فيما قبله من ﴿أنّ﴾ كيف وقد اجتمعا؟ فالجواب على قراءة من قرأ ﴿إنّا﴾ أن العامل ضللنا، وعلى قراءة من قرأ ﴿أئنا﴾ أن العامل مضمر، والتقدير أنُبعثُ إذا مُتْنا، وفيه أيضاً سؤال يقال: أين جواب إذا على القراءة الأولى لأن فيها معنى الشرط؟ فالقول في ذلك أن بعدها فعلاً ماضياً فلذلك جاز هذا، وعن أبي رجاء وطلحة أنهما قرآ ﴿أئذا ضَلِلْنا﴾ وهي لغة شاذة، وعن الحسن ﴿أئذا صلِلْنا﴾ بالصاد، وهكذا رواها الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٣١]، وزعم أنها تروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا يعرف في اللغة صَلِلْنا ولكن يعرف صَلَلْنا، يقال: صَلّ اللحم وأصَلّ، وخَمّ وأخَمّ إذا أنْتَنَ.

۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟
رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ
نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا
نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا
ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾

﴿قلْ يتوفاكم ملكُ الموتِ..﴾ [١١]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٠٥]: هو من تَوفيةِ العدد أي يستوفي عددكُمْ أجمعين.

﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهمْ عند ربهمْ..﴾ [١٢]

مبتدأ وخبر. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٠٦]: المخاطبة للنبي ﷺ مخاطبة لأُمته، والمعنى ولو ترون، ومذهب أبي العباس غير هذا، وأن يكون المعنى: يا محمد قل للمجرم: ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك وحُذف جواب ﴿لو﴾ والقول.

﴿ولو شئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هُداها..﴾ [١٣]

مفعولان، قيل في معناه قولان: أحدهما أن سياق الكلام يدلّ على أنه في الآخرة أي لو شئنا لرددناهم إلى الدنيا والمحنة كما سألوا **﴿ولكن حقَّ القولُ منّي لأملأنَّ جهنَّم من الجنّة والناس أجمعين﴾** أي حقّ القول منّي لأعذبنّ من عصاني بعذاب جهنم، وعلم الله جلّ وعزّ أنه لو ردّهم لعادوا كما قال ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿فذوقوا بما نسيتمْ لقاء يومكمْ هذا..﴾ [١٤]

في معناه قولان: أحدهما أنه من النسيان الذي لا ذِكْرَ معه أي لم تعملوا لهذا اليوم فكنتم بمنزلة الناسين، والآخر أن نسيتمْ بمعنى تركتم، وكذا ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ واحتجّ محمد بن يزيد بقوله ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [طه: ١١٥] قال: والدليل على أنه بمعنى ترك أن الله جلّ وعزّ أخبر عن إبليس أنه قال له: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ [الأعراف: ٢٠] فلو كان آدم ﷺ ناسياً لكان قد ذكّره: وأنشد: [البسيط]

كأنّه خارجاً منْ جنبِ صفحتِهِ سفّودُ شَرْبٍ نسوهُ عند مفتأدِ

[ديوان النابغة الذبياني: ٣٢]

أي تركوه ولو كان من النسيان لكانوا قد عملوا به مرّةً.

﴿إنّما يؤمنُ بآياتنا الذين إذا ذُكّروا بها خرّوا سُجداً..﴾ [١٥]

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

أي إنما يؤمن بالعلامات والبراهين والحجج الذين إذا ذكّروا بها خضعوا لله وسبّحوا بحمده. ﴿وهمْ لا يستكبرون﴾ عن عبادته ولا الانقياد لما أبانه.

﴿تتجافى جنوبهم..﴾ [١٦]

في موضع نصب على الحال أو رفع لأنه فعلٌ مستقبل ولم يتبيّنْ فيه الإعراب لأنه فعل مقصور. ومعنى مقصور أنه قُصِرَ منه الإعراب، ومعنى منقوص أنه نُقِصَ منه الإعراب، ﴿يدعون﴾ في موضع نصب على الحال ﴿خوفاً﴾ مفعول من أجله. ويجوز أن يكون مصدراً ﴿وطَمَعاً﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٠٧/٤] مثله أي خوفاً من العذاب وطمعاً في الثواب، ﴿ومما رزقناهمْ يُنفقون﴾ تكون ﴿ما﴾ بمعنى الذي وتكون مصدراً، وفي كلا الوجهين يجب أن تكون منفصلة من ﴿مِنْ﴾.

﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفي لهم من قُرة أعين..﴾ [١٧]

ويقرأ ﴿ما أُخفي لهم﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣٣٢/٢] بإسكان الياء على أنه فعل مستقبل، وفي قراءة عبد الله ﴿ما نُخفي﴾ بالنون، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٠٧/٤]: ويقرأ ﴿ما أخفيَ لهم﴾ بمعنى ما أخفى الله لهم فإن جعلتَ ﴿ما﴾ بمعنى الذي كانت في موضع نصب على الوجوه كلّها، وإنْ جعلتها بمعنى أي وقرأتَ بقراءة المدنيين كانت في موضع رفع، وإنْ قرأتَ بغيرها كانت في موضع نصب ﴿جزاءً﴾ مفعول من أجله أو مصدر.

﴿أفمن كان مؤمناً كمنْ كان فاسقاً لا يستوون﴾ [١٨]

لأن لفظ ﴿مَنْ﴾ تؤدي عن الجماعة فلهذا قال: لا يستوون، هذا قول كثير من النحويين، وقال بعضهم: يستوون لاثنين إلاّ أنّ الاثنين جمع، لأنه واحد جُمع مع آخر، والحديث يدلّ على هذا القول لأنه عن ابن عباس رحمه الله وغيره قال: نزلتْ ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ﴿كمن كان فاسقاً﴾ في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٠٨/٤].

﴿أمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات..﴾ [١٩]

في موضع رفع بالابتداء فوصفه الله جلّ وعزّ بالإيمان، وخبر الابتداء ﴿فلهمْ جنّاتُ المأوى﴾ والمعنى: فله ولنظرائه، فعلى هذا جاء الجمع.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما..﴾ [٢٠]

وكذا ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلّما﴾ ظرف.

﴿ولنُذيقنّهم..﴾ [٢١]

لام قسم ﴿من العذاب الأدنى﴾ أي الأقرب، وأكثر أهل التفسير على أنها المصيبات في الدنيا.

﴿ومَنْ أظلمُ..﴾ [٢٢]

أي لنفسه ﴿ممن ذُكّر بآيات ربه﴾ أي بحججه وعلاماته ﴿ثمّ اعرض عنها﴾ بترك القبول فأعلمَ أنه ينتقم منه، فقال جلّ وعزّ: ﴿إنّا من المجرمين منتقمون﴾.

﴿ولقدْ آتينا موسى الكتاب..﴾ [٢٣]

مفعولان ﴿فلا تكنْ في مرية من لقائه﴾ قد ذكرناه، وقد قيل: إن معناه فلا تكن في شك من تلقّي موسى ﷺ الكتاب بالقبول، وعن الحسن أنه قال في معناه: ولقد آتينا موسى الكتاب فأوذي وكُذّب فلا تكن في شك من أنه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والأذى، وهو قول غريب إلاّ أنه من رواية عمرو بن عبيد.

﴿وجعلنا منهم ائمةً..﴾ [٢٤]

والكوفيون يقرؤون ﴿أئمّة﴾ وهو لحن عند جميع النحويين، لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة وهو من دقيق النحو، وشرحه أن الأصل أَأْمِمَةٌ ثم أُلقيت حركة الميم الأولى على الهمزة، وأُدغمت الميم في الميم وخُفّفت الهمزة الثانية لئلاّ تجتمع همزتان، والجمع بين همزتين في حرفين بعيد، فأمّا في حرف واحد فلا يجوز البتة إلاّ بتخفيف آدم وآخر وهذا آدم من هذا. ﴿لِمَا صبروا﴾ لصبرهم و﴿لمّا صبروا﴾ أي حين صبروا جعلناهم أئمة [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٠٩].

﴿أو لم يهدِ لهمْ..﴾ [٢٦]

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وقتادة ﴿أو لمن نَهدِ لهم﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٣٢] بالنون

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾

فهذه قراءة بيّنة، والقراءة الأُولى فيها إشكال لأنه يقال: الفعل لا يخلو من فاعل فأين الفاعل لـ ﴿يَهدِ﴾؟ فتكلم النحويون في هذا، فقال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٣٣]: ﴿كم﴾ في موضع رفع بـ ﴿يهدِ﴾، وهذا نقض لأصول النحويين في قولهم: إنّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، ولا في كم بوجه أعني ما قبلها، ومذهب أبي العباس أنّ ﴿يهدِ﴾ يدلّ على الهدى فالمعنى أولم يهد لهمْ الهدى، وقيل: المعنى: أَوَلَمْ يهدِ الله لهم فيكون معنى الياء ومعنى النون واحداً، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢١٠]: ﴿كم﴾ في موضع نصب بأهلكنا. ﴿إنّ في ذلك لآيات﴾ في موضع نصب بأنّ ﴿أفلا يسمعون﴾ بمعنى أفلا يقبلون؟ مثل: سمع الله لمن حمده.

﴿أولَمْ يرَوا أنّا نسوقُ الماءَ إلى الأرض الجُرُزِ..﴾ [٢٧]

روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: هي أرض اليمن، وقال سفيان: وحدّثني معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: هي أبين، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة إلى ﴿الأرض الجرز﴾ قال: هي الظمأى، وقال جويبر عن الضحاك ﴿إلى الأرض الجرز﴾ قال: الميتة العطشى، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٣٣]: هي التي لا نبات فيها، وقال الأصمعي: الأرض الجرز التي لا تُنبت شيئاً. قال محمد بن يزيد: يبعد أن تكون إلاّ أرضاً بعينها لدخول الألف واللام إلاّ أنه يجوز على قول ما قال ابن عباس والضحّاك.

قال أبو جعفر: الإسناد عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه، وهذا إنما هو نعت، والنعت للمعرفة يكون بالألف واللام، وهو مشتق من قولهم: رجلٌ جَرُوزٌ إذا كان لا يُبقي شيئاً إلاّ أكله، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٣٣] وغيره أنه يقال: أرض جُرُزٌ وجُرْزٌ وجَرَزٌ، وكذلك بُخلٌ ورُعبٌ ورَهبٌ في الأربعة أربع لغات.

﴿فنُخرجُ به زرعاً﴾ يكون معطوفاً على نسوق، أو منقطعاً مما قبله ﴿تأكلُ منه أنعامهمْ﴾ في موضع نصب على النعت ﴿وأنفسهم﴾ أي ويأكلون منه، والنفس في كلام العرب على ضربين: أحدهما أنه يراد بها الانفصال، والآخر أنه يراد بها جملة الشيء وحقيقته، قال جلّ وعزّ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] أي تعلم ما أعلم، ولا أعلم ما تعلم ﴿أفلا يُبصرون﴾ يكون ﴿ألا﴾ للتنبيه.

﴿ويقولون متى هذا الفتح..﴾ [٢٨]

﴿متى﴾ في موضع رفع ويجوز أن تكون في موضع نصب على الظرف. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٣٣]: يعني فتح مكة، وأولى من هذا ما قاله مجاهد قال: يعني: يوم القيامة. قال أبو

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

جعفر: ويوم فتح مكة قد نفع من آمن إيمانه، ويُروى أن المؤمنين قالوا: سيحكم الله جلّ وعزّ بيننا يوم القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء، فقال الكفار على التهزي: متى هذا الفتح؟ أي هذا الحكم. ويقال للحاكم: فاتح وفتّاح؛ لأن الأشياء تنفتح على يديه وتنفصل، وفي القرآن ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿قُلْ يومَ الفتحِ..﴾ [٢٩]

على الظرف، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٣٣] الرفع.

﴿فأعرِض عنهمْ..﴾ [٣٠]

قيل معناه أعرض عن سفههم ولا تجبْهم إلا بما أُمرت به. ﴿وانتظرْ إنّهم مُنتظرون﴾ أي انتظر يوم الفتح، يوم يحكم الله لك عليهم، فإن قال قائل: فكيف ينتظرون يوم القيامة وهم لا يؤمنون به؟ ففي هذا جوابان: أحدهما أن يكون المعنى أنهم ينتظرون الموت، وهو من أسباب القيامة فيكون هذا مجازاً، والآخر أن فيهم من يشك ومنهم من يوقن بالقيامة فيكون هذا لهذين الصنفين والله جلّ وعزّ أعلم.

٣٣ ـ سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ
ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ
ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾

شرحُ إعرابِ سُورةِ الأحزَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يا أيها النبي..﴾ [١]

ضممت أيّاً لأنه نداء مفرد والتنبيه لازم لها، والنبي نعت لأيْ عند النحويين إلاّ الأخفش فإنه يقول: إنه صلة لأيّ، وهو خطأ عند أكثر النحويين لأن الصلة لا تكون إلاّ جملة، والاحتيال له فيما قال: إنه لما كان نعتاً لازماً سمّاه صلة فهكذا الكوفيون يسمّون نعت النكرة صلة لها، وأجاز بعض النحويين النصب، **﴿اتّقِ الله﴾** حذفت الياء لأنه أمر. **﴿ولا تُطع الكافرين والمنافقين﴾** أي لا تطعهم فيما نُهيت عنه ولا تَمِل إليهم، ودلّ بقوله جلّ وعزّ: **﴿إنّ الله كان عليماً حكيماً﴾** على أنه إنما كان يميل إليهم استدعاء لهم إلى الإسلام أي لو علم الله جلّ وعزّ أن ميلك إليهم فيه منفعة لما نهاك عنه لأنه حكيم.

﴿واتّبعْ ما يُوحى إليك..﴾ [٢]

أي من اجتنابهم.

﴿وتوكّل على الله..﴾ [٣]

أي في الخوف من ضررهم **﴿وكفى بالله وكيلاً﴾** أي كافياً لك مما تخافه منهم، **﴿وكيلاً﴾** نصب على البيان أو على الحال.

﴿ما جعل الله لرجل منْ قلبين في جوفه..﴾ [٤]

ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

﴿مِنْ﴾ زائدة للتوكيد، وشِبْهُ هذا بالأول أنه لم يجعل للإنسان قلبين: قلباً يخلص به لله جلّ وعزّ، وقلباً يميل به إلى أعدائه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٢١٣، ٢١٤]. ﴿وما جعل الله أزواجكمُ اللائي تُظَهِّرُونَ منهن أمهاتكم﴾ مفعولان وهو مشتق من الظهر لأن الظهر موضع الركوب. وكانت العرب تطلّق بالظّهار.

﴿وما جعل أدعياءكمْ أبناءكم﴾ اجتمع أهل التفسير على أن هذا نزل في زيد بن حارثة. وفي الحديث أن خديجة رضي الله عنها وهبته لرسول الله ﷺ، فجاء أبوه حارثة إلى رسول الله ﷺ فقال: خذ مني فداه، فقال له: أنا أُخيِّرُهُ، فإنْ أراد أن يقيم عندي أقام، وإن اختارك فخذه، فاختار المقام فأعتقه النبي ﷺ، وقال: «هو ابني يرثني وأرثه» [القرطبي في «تفسيره»: ١٤/ ١١٨]، ثم أنزل الله جلّ وعزّ: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ أي ادعوهم لآبائهم. قال ابن عمر: ما كنا ندعوه إلاّ زيد بن محمد فنسب كل دعيّ إلى أبيه. ﴿ذلكم قولُكُمْ بأفواهكم﴾ ابتداء وخبره أي هو قول بلا حقيقة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٢١٤]. ﴿والله يقول الحقّ﴾ أي القول الحق نعت لمصدره، ويجوز أن يكون مفعولاً.

﴿. . فإنْ لم تعلموا آباءهمْ فإخوانكم في الدين. . ﴾ [٥]

أي فهم إخوانكم ﴿ومواليكمْ﴾ عطف عليه. ﴿وليس عليكمْ جناحٌ فيما أخطأتُم به﴾ قول قتادة: هو أن يُنسب الرجل إلى غير أبيه، وهو يرى أنه أبوه. قال أبو جعفر: وقد قيل: إنّ هذا مجمل أي وليس عليكم جناح في شيء أخطأتم به [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢١٥]، وكانت فُتيا عطاء على هذا إذا حلف رجل ألاّ يفارق غريمه حتى يستوفي منه حقّه فأخذ منه ما يرى أنه جيد من دنانير فوجدها زجاجاً أنه لا شيء عليه، وكذا عنده إذا حلف أنه لا يسلّم على فلان فسلّم عليه وهو لا يعرفه أنه لا يحنث؛ لأنه لم يعمد لذلك ﴿ولكنْ ما تعمّدتْ قلوبكمْ﴾ ﴿ما﴾ في موضع خفض ردّاً على ﴿ما﴾ التي مع أخطأتم، ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ، والتقدير: ولكن الذي تؤاخذون به ما تعمّدت قلوبكم.

﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين منْ أنفسهم. . ﴾ [٦]

في معناه قولان: أحدهما: النبي أولى بالمؤمنين من بعضهم لبعض مثل ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، والآخر أنه إذا أمر النبي ﷺ بشيء ودعت النفس إلى غيره كان أمر النبي ﷺ أولى

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا
(٧) لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن
فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)﴾

وأزواجه، وفي الحديث «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من ترك مالاً فلورثته ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعلي**» [خ: ٢٢٩٨، م: ٤١٣٤، د: ٢٩٥٤، ت: ١٠٧٠، حم: ٢/٢٩٠]. ﴿**أمهاتهم**﴾ أي في الحرمة ولا يحلّ لهم تزوجهن. ﴿**وأولو الأرحام**﴾ مبتدأ. و﴿**بعضهم**﴾ مبتدأ ثان أو بدل ﴿**أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين**﴾ فيكون التقدير: وأولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين، ويجوز أن يكون المعنى: أولى من المؤمنين والمهاجرين ﴿**إلاَّ أنْ تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً**﴾ في موضع نصب استثناء ليس من الأول. قال محمد بن الحنفية رحمة الله عليه: نزلت في إجازة الوصية لليهودي والنصراني. ﴿**كان ذلك في الكتاب مسطوراً**﴾ أي مكتوباً في نسق كالسطر، ويقال: سَطَرٌ والجمع أسطارٌ، ومن قال: سَطْرٌ قال: أسْطُرٌ وسُطورٌ يصلح لهما جميعاً إلاَّ أنه بالمسكّن أولى وأكثر.

﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم..**﴾ [٧]

قال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم**﴾ قال: على قومهم وعن أبيّ بن كعب قال: هو مثل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال: فأخذ ميثاقهم وعلى الأنبياء. صلوات الله عليهم. منهم النور كأنه السُّرُجُ، ثم أخذ ميثاق النبيين خاصة للرسالة قال: ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم**﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢١٦/٤، ٢١٧] الآية قال: ﴿**ومن نوح**﴾ ولم يقلْ: ونوح لأنّ المُظْهَرَ إذا عطف على المضمر المخفوض أعيد الحرف تقول: مررتُ به وبزيد ﴿**وإبراهيم**﴾ عطف مظهر على مظهر فلم يُعِدِ الحرف وكذا ﴿**وموسى وعيسى**﴾.

﴿**ليسألَ الصادقينَ عنْ صدقهمْ..**﴾ [٨]

قد ذكرناه.

﴿**.. فأرسلنا عليهمْ ريحاً..**﴾ [٩]

وفي الحديث «**نُصِرتُ بالصَّبا وأُهلِكتْ عادٌ بالدَّبُورِ**» [خ: ١٠٣٥، م: ٢٠٨٤، حم: ٢٢٨/١] وكان في هذه الريح أعظم الآيات والدلالات للنبي ﷺ؛ لأن الله جلّ وعزّ أرسل على أعدائه ريحاً شديدة البرد فقطعت خيامهم وشغلتهم ببردها، والمؤمنون خِذاءهُمْ لم يلحقهم منها شيء.

﴿**.. وتظنون بالله الظُّنُونا**﴾ [١٠]

هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾

والكوفيون يقرؤونها بغير ألف [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢١٨]، وذلك مخالف للمصحف وإن كان حسناً في العربية، وأولى الأشياء في هذا أن يُوقف عليه بالألف ولا يُوصل لأنه إن وُصل بالألف كان لاحناً، وإن وصل بغير ألف كان مخالفاً للمصحف، وإذا وقف بالألف كان متبعاً للسواد موافقاً للإعراب؛ لأن العرب تُثبت هذه الألف في القوافي وتُثبتها في الفواصل ليتّفق الكلام.

﴿هُنالك ابتُلي المؤمنون..﴾ [١١]

أي في ذلك الوقت اختُبر المؤمنون. واللام زائدة للتوكيد، وإن كانت مكسورة والكاف للخطاب. ﴿وَزُلزِلُوا زِلزالاً شَديداً﴾، ويقال: زَلزالٌ في المضاعف خاصة وغير المضاعف لا يجوز فيه الفتح. ويقال: دَحرَجْتُهُ دِحْراجاً.

﴿وإذْ..﴾ [١٢]

في موضع نصب بمعنى واذكر.

﴿وإذْ قالتْ طائفةٌ منهمْ يا أهل يثرب..﴾ [١٣]

وكذا ﴿وإذْ قالتْ طائفةٌ منهمْ يا أهل يثرب﴾ قال أبو عبيدة [مجاز القرآن: ١/ ١٣٤]: يثرب اسم أرض والمدينة منها. ﴿لا مقام لكم﴾ أي مكان يقيمون فيه، وأنشد: [الوافر]

فـأنّـي مـا وأيّـك كـان شـرّاً ... فـسِـيـقَ إلـى الـمَـقَـامَـةِ لا يَـرَاهـا

وقرأ أبو عبد الرحمن والأعرج ﴿لا مُقام لكم﴾ يكون مصدراً من أقام يُقيمُ أو موضعاً يُقيمون فيه أو يُقامون ﴿ويستأذنُ فريقٌ منهمُ النبيّ يقولون إنّ بُيوتَنا عَوْرةٌ وما هي بعَوْرة﴾ وقراءة أبي رجاء وتروى عن ابن عباس ﴿إنّ بيوتنا عورة وما هي بعورة﴾ وهذا اسم الفاعل من عَوِرَ يَعوَرُ عورَةً، ويجوز أن يكون مصدراً أي ذات عَورَة، ويجوز أن يكون في موضع اسم الفاعل على السعة كما تقول: رجلٌ عَدْلٌ، أي عادل ويقال: أعوَرَ المكانُ إذا تُبيّنت فيه عَورَة وأعوَرَ الفارسُ إذا تبيّن منه موضع خلل. ﴿إنْ يريدون إلاّ فِراراً﴾ أي ليس قصدهم ما قالوا وإنما قصدهم الفرار.

﴿ولو دُخِلَتْ عليهمْ من أقطارِها..﴾ [١٤]

وهي البيوت أو المدينة ﴿ثم سُئلوا الفتنة لأتوها﴾ هذه قراءة أهل الحرمين، وقراءة أهل

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾

البصرة وأهل الكوفة ﴿لأتوها﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٣٧] وهو اختيار أبي عبيد، واحتج بحديث الجماعة الذين فيهم بلال أنهم أعطوا الفتنة من أنفسهم غير بلال. قال أبو جعفر: الحديث في أمر بلال لا يُشبه الآية، لأن الله جلّ وعزّ خبّر عن هؤلاء بهذا الخبر، وبلال وأصحابه إنما أُكرهوا، وفي هذه الآية ﴿ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارها﴾ أي لو دخل عليهم الكفار لجاوزوهم، وهذا خلاف ما عاهدوا الله عليه.

﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولُّون الأدبار..﴾ [١٥]

وفي القصة ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولُّون الأدبار﴾ فهذا يدلّ على ﴿لأتوها﴾ مقصوراً. ﴿وما تَلَبَّثُوا بها إلاّ يسيراً﴾ أي كان العذاب يأخذهم أو يهلكون.

﴿.. وإذاً لا تُمتَّعون إلاّ قليلاً﴾ [١٦]

وفي بعض الروايات ﴿وإذاً لا تمتعوا﴾ تنصب بإذن، والرفع بمعنى لا تمتعون إذنْ فتكون إذنْ ملغاة، ويجوز إعمالها فهذا حكمها إذا كان قبلها الواو أو الفاء، فإن كانت مبتدأة نصبتَ بها فقلت: إذنْ أُكرِمَكُم. وروى سيبويه [الكتاب: ١/ ٤١٢] عن بعض أصحاب الخليل عن الخليل ـ رحمه الله ـ أن ﴿أنْ﴾ معها مضمرة وسماعه منه النصب بها، فإن توسّطتْ لم يجز أن تنصب عند البصريين تقول: أنا إذنْ أُكرمك، وكنت إذنْ أُكرمك، وإنّي إذنْ أُكرمك، والفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٣٨] ينصب هنا أعني في ﴿إنّ﴾ خاصة، وأنشد: [الرجز]

إنّـــي إذاً أهــلِــك أو أطـــيــرا

والشعر منصوب وعلّته في ﴿إنّ﴾ أنّها لا تتصرف.

﴿قد يعلمُ الله المعوِّقينَ منكم..﴾ [١٨]

أي المتعرِّضين لأن يصدّوا الناس عن النبي، مشتق من عاقني عن كذا أي صرفني عنه، وعوّق على التكثير. ﴿والقائلين لإخوانهم هلُمّ إلينا﴾ على لغة أهل الحجاز وغيرهم يقول: هلُمّوا للجماعة وهلُمّي للمرأة؛ لأن الأصل «ها» التي للتنبيه ضُمّتْ إليها ﴿لمّ﴾ ثم حُذفت الألف استخفافاً، وبنيت على الفتح، ولم يجز فيها الكسر ولا الضم لأنها لا تتصرّف. ومعنى ﴿هلُمّ﴾ أقبِل.

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

﴿أشحّةً..﴾ [١٩]

نصب على الحال. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٢٠]: ونصبه عند الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٣٨] من أربع جهات: إحداهما أن يكون على الذم، ويجوز عنده أن يكون نصباً: يعوّقون أشحّةً، ويجوز عنده أن يكون التقدير: والقائلين أشحّةً، ويجوز عنده ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً يأتونه أشحّةً أي أشحّة على الفقراء بالغنيمة، جبناء.

قال أبو جعفر: لا يجوز أن يكون العامل فيه المعوّقين ولا القائلين لئلاّ يفرّق بين الصلة والموصول. **﴿فإذا جاء الخوف رأيتهمْ ينظرون إليك تدور أعينهمْ كالذي يُغشى عليه من الموت﴾** وصفهم بالجبن، وكذا سبيل الجبان ينظر يميناً وشمالاً محدّداً بصره وربما غُشي عليه **﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكمْ بألسنة حِدَاد﴾** وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٣٩] **﴿صلقوكمْ﴾** بالصاد. وخطيب مسلاق ومصلاق إذا كان بليغاً. **﴿أولئك لم يومنوا﴾** أي وإن كان ظاهرهم الإيمان فليسوا بمؤمنين لأن المنافق كافر على الحقيقة، وصفهم الله جلّ وعزّ بالكفر. **﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾** أي يقول الحق.

﴿يحسبون الأحزابَ لم يذهبوا..﴾ [٢٠]

أي لجبنهمْ. وقرأ طلحة **﴿وإن يأتِ الأحزاب يَوَدُّوا لو أنهم بُدّاً في الأعراب﴾** يقال: باد وبُدّاً بالقصر مثل غاز وغُزّى، ويُمدّ مثل صائم وصُوّام. وقرأ الحسن وعاصم الجحدري **﴿يسّاءلون عن أنبائِكمْ﴾** [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٣٩] والأصل يتساءلون ثم أُدغم. **﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلاّ قليلاً﴾** نعت لمصدر أو لظرف.

﴿لقد كان لكمْ في رسول الله أُسْوَةٌ حسنةٌ..﴾ [٢١]

أي في خروجه إلى الخندق وصبره، وقرأ عاصم **﴿أُسْوَةٌ﴾** بضم الهمزة. والكسر أكثر في كلام العرب والجمع فيهما جميعاً واحد عند الفرّاء، والعلة عنده في الضم على لغة من كسر في الواحد الفرق من ذوات الواو وذوات الياء فيقولون: كِسوةٌ وكِسىً، ولحيَةٌ ولِحىً. **﴿لمنْ كان يرجو الله واليوم الآخر﴾** لا يجوز عند النحويين الحذّاق أن يكتب **﴿يَرْجُو﴾** إلاّ بغير ألف إذا كان لواحد؛ لأن العلّة التي في الجمع ليست في الواحد. **﴿وذكر الله كثيراً﴾** أي ذكراً كثيراً.

وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

﴿ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب..﴾ [٢٢]

ومن العرب من يقول: راءَ على القلب. **﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسولهُ﴾** إنْ جعلت **﴿ما﴾** بمعنى الذي فالهاء محذوفة، وإن جعلتها مصدراً لم يحتج إلى عائد. **﴿وما زادهمْ إلاّ إيماناً وتسليماً﴾** قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٤٠]: وما زادهم النظر إلى الأحزاب. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: رأى يدل على الرؤية، وتأنيث الرؤية غير حقيقي، والمعنى وما زادهم الرؤية، مثل من كَذَبَ كان شراً له.

﴿من المؤمنين رجالٌ..﴾ [٢٣]

رُفع بالابتداء، وصلح الابتداء بالنكرة لأن **﴿صدقوا﴾** في موضع النعت. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٢٢]: **﴿ما﴾** في موضع نصب. قال أبو جعفر: يقال: صدقتُ العهد أي وفيت به. **﴿فمنهم منْ قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾** **﴿مَنْ﴾** في موضع رفع بالابتداء. وقد ذكرنا معناه.

﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهمْ لم ينالوا..﴾ [٢٥]

قال محمد بن عمرو عن أبيه عن جده عن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله **﴿وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم﴾** أبو سفيان وعُيَيْنَةُ بن بُرْد، رجع أبو سفيان إلى تهامة وعيينة إلى نجد. **﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾** بأن أرسل عليهم الريح حتى رجعوا فرجعتْ بنو قُرَيظَةَ إلى صياصيهمْ. قال أبو جعفر: فكُفي أمر بني قريظة بالرعب حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رحمة الله عليه فحكم بقتل مقاتليهمْ وسبي ذراريهم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٢٢٣]. **﴿وكان الله قوياً﴾** أي لا يُرَدُّ أمره. **﴿عزيزاً﴾** لا يُغلب.

﴿وأنزل الذين ظاهروهمْ من أهل الكتاب منْ صياصيهمْ وقذف في قلوبهمُ الرُّعب..﴾ [٢٦]

وبيّن هذا في بني قريظة، قال جلّ ثناؤه: **﴿وأنزل الذين ظاهروهمْ من أهل الكتاب منْ صياصيهمْ وقذف في قلوبهمُ الرُّعب﴾** قال محمد بن يزيد: أصل الصِيصيَة ما يُمتَنَع به فالحصن

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

صيصيةٌ، ويقال لقرون البقر: صَياص لامتناعها. وكذا يقال في شوكة الديك قال: ويقال لشوكة الحائك: صيصيةٌ تشبيهاً بها، وأنشد: [الطويل]

كوقعِ الصَّياصي في النَّسيجِ المُمَدَّدِ

﴿فريقاً﴾ نصب بتقتلون ﴿وفريقاً﴾ نصب بتأسرون، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٤١] ﴿تأسُرُون﴾ بضم السين.

﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً..﴾ [٢٧]

لأن المهاجرين لم تكن لهم بالمدينة دور.

﴿.. فتعالَيْنَ..﴾ [٢٨]

نون المؤنث فيه وهي لا تُحذف لأنه مبني ولو حُذفتْ لأشكل. قال الخليل رحمه الله: الأصل في ﴿تعال﴾: ارتفع، ثم كثر استعمالهم حتى قيل للمتعالي: ﴿تعال﴾ أي انزلْ.

﴿ومن يقنتْ منكنّ لله ورسوله وتعملْ صالحاً..﴾ [٣١]

هذه قراءة أهل الحرمين والحسن وأبي عمرو وعاصم، وقرأ سائر الكوفيين ﴿ويَعْمَلْ صالحاً﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٤١] وأبو عبيد يميل إلى هذه القراءة لأنه عطف على الأول. وقد أجمعوا على الأول بالياء فقرؤوا ﴿ومن يقنت﴾. قال أبو جعفر: الثاني مخالف للأول؛ لأن الأول محمول على اللفظ وليس قبله ما يتبعه، والثاني قبله ﴿منكنّ﴾ وهذه النون للتأنيث فتعمل بالتاء أولى لأنه يلي مؤنثاً وإن كان بالياء جائزاً حسناً، وبعده ﴿نُؤْتِها أجرَها مرّتين﴾ بالتأنيث في السواد وكذا ﴿واعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ أهل التفسير على أن الرزق الكريم ههنا الجنة.

﴿يا نساء النبي لستُنّ كأحد من النساء إن اتقيْتُنّ..﴾ [٣٢]

ولم يقل: كواحدة لأن ﴿أحداً﴾ نفي عام يقع للمذكر والمؤنث، والجميع على لفظ واحد. ﴿فلا تخضعْنَ بالقول﴾ في موضع جزم بالنهي إلا أنه مبني كما بُني الماضي، هذا مذهب سيبويه [الكتاب: ١/ ٤، ٦]، وقال أبو العباس محمد بن يزيد حكاه لنا علي بن سليمان عنه، ولا أعلمه في

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

شيء من كتبه، قال: إذا اعتلّ الشيء من جهتين وهو اسم مُنع الصرف، فإذا اعتلّ من ثلاث جهات بُني لأنه ليس بعد ترك الصرف إلاّ البناء فهذا الفعل معتلّ من ثلاث جهات: منها أن الفعل أثقل من الاسم وهو جمع، والجمع أثقل من الواحد وهو للمؤنث، والمؤنث أثقل من المذكر، وهذا القول عند أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٢٤، ٢٢٥] خطأ، وقال: يلزمه ألا يصرف فرعون إذا سمّي به امرأة لأن فيه ثلاث علل.

﴿فَيَطمَعَ الذي في قلبه مرضٌ﴾ منصوب لأنه جواب النهي، وقد بيّناه بأكثر من هذا، وحكى أبو حاتم أن الأعرج قرأ ﴿فَيَطمِعَ الذي في قلبه مرضٌ﴾ بفتح الياء وكسر الميم. قال أبو جعفر: أحسبُ هذا غلطاً وأنْ يكون قرأ ﴿فَيَطمَعِ الذي﴾ بفتح الميم وكسر العين يعطفه على ﴿يخضعن﴾ وهذا وجه جيد حسن، ويجوز ﴿فَيُطمِعَ﴾ الذي بمعنى فيُطمعَ الخضوع أو القول ﴿وقُلْنَ قولاً معروفاً﴾.

﴿وَقِرْنَ في بُيوتِكُن..﴾ [٣٣]

هذه قراءة أبي عمرو والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ أهل المدينة وعاصم ﴿وقَرْنَ﴾ بفتح القاف. و﴿وقِرْنَ﴾ بكسر القاف فيه تقديران: أما مذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٤٢] وأبي عبيد فإنه من الوقار ويقال: وَقَرَ يَقِرُ وُقوراً إذا ثبت في منزله، والقول الآخر أن يكون من قَرَّ في المكان يَقِرُّ بكسر القاف، فيكون الأصل وقِرِرْنَ حذفت الراء الأولى استثقالاً للتضعيف وأُلقيت حركتها على القاف فصار وقِرْنَ كما يقال: ظِلْتُ أفعلُ بكسر الظاء.

فأما و﴿قَرْنَ﴾ فقد تكلم فيه جماعة من أهل العربية فزعم أبو حاتم أنه لا مذهب له في كلام العرب، وزعم أبو عبيد إنّ أشياخه كانوا ينكرونه من كلام العرب. قال أبو جعفر: أمّا في قول أبي عبيد: إنّ أشياخه أنكروه، ذكر هذا في «كتاب القراءات» فإنه قد حكى في «الغريب المُصَنّف» نقض هذا. حكي عن الكسائي أن أهل الحجاز يقولون: قَرِرتُ في المكان أقَرُّ، والكسائي من أجلّ مشايخه، ولغة أهل الحجاز هي اللغة القديمة الفصيحة.

وأما قول أبي حاتم: أنه لا مذهب له فقد خولف فيه، وفيه مذهبان أحدهما ما حكاه الكسائي، والآخر ما سمعت علي بن سليمان يقوله، قال: هو من قَرِرْتُ به عيناً أقَرُّ فالمعنى: واقرِرن به عيناً في بيوتكن، وهذا وجه حسن إلاّ أن الحديث يدلّ على أنه من الأول كما روي أن عمار قال لعائشة رضي الله عنهما: إنّ الله جلّ وعزّ أمركِ أن تَقَرّي في منزلك، فقالت: يا أبا اليقظان ما زلت قوّالاً بالحق، فقال: الحمد لله الذي جعلني كذلك على لسانك.

وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ

﴿ولا تبرّجنَ﴾ قال أبو العباس: حقيقة التبرج إظهار الزينة وإظهار ما سترُهُ أحسن، وهو مأخوذ من السعة يقال: في أسنانه تبرج إذا كانت متفرقة. قال: و﴿الجاهلية الأولى﴾ كما تقول: الجاهلية الجَهْلاَء، قال: وكانت النساء في الجاهلية الجهلاء يظهرون ما يقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخِلمِهَا، فينفرد خِلْمُها بما فوق الإزار إلى الأعلى، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى الأسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل.

﴿إنّما يريد الله ليُذهب عنكمُ الرجس أهل البيت﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٢٦]: قيل: يراد به نساء النبي ﷺ، وقيل: يراد به نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته. قال أبو جعفر: والحديث في هذا مشهور عن أم سلمة وأبي سعيد الخدري أن هذا نزل في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وكان عليهم كساء، وقوله ﴿عنكم﴾ يدل على أنه ليس للنساء خاصة. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٢٦، ٢٢٧]: ﴿أهلَ البيت﴾ نصب على المدح، قال: وإنْ شئت على النداء. قال: ويجوز الرفع والخفض. قال أبو جعفر: إن خُفِضت على أنه بدل من الكاف والميم لم يجز عند محمد بن يزيد، قال: لا يُبْدَل من المُخَاطِبِ ولا من المخاطَبِ، لأنهما لا يحتاجان إلى تبيين.

﴿ويُطهّركمْ تطهيراً﴾ مصدر فيه معنى التوكيد حُوّلت المخاطبة على الحديث المروي إلى أزواج النبي ﷺ.

﴿واذكُرْنَ ما يُتْلى في بُيوتكُنّ..﴾ [٣٤]

فقال جلّ وعزّ: ﴿واذكُرْنَ ما يُتْلى في بُيُوتكُنّ﴾.

خُفِّفت النون الأولى لأنها بمنزلة واو المذكر، تقول في المذكر: واذكروا، وثُقِّلتْ في الثاني لأنها بمنزلة الميم والواو في قولك: في بيوتكمْ، إلاّ أن الواو يجوز حذفها لثقلها، وأنّ قبلها ميماً يدل عليها. ﴿من آيات الله والحكمة﴾ أكثر أهل التفسير على أن الحكمة ههنا السنّة، وبعضهم يقول: هي من الآيات.

﴿إنّ المسلمين..﴾ [٣٥]

اسم إنّ ﴿والمسلمات﴾ عطف عليه، ويجوز رفعهنّ عند البصريين، فأمّا الفرّاء فلا يجيزه إلاّ فيما لا يتبيّن فيه الإعراب. ﴿والحافظين فروجهمْ والحافظات﴾ التقدير: والحافظاتِها ثم

أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾

حذَف، ويجوز على هذا: ضربني وضربتُ زيدٌ، فإن لم تَحذف قلت: وضربتهُ، ومثلهُ: ونخلعُ ونتركُ من يفجركَ، وإن لم تحذفْ قلت: ونتركه. وحكى سيبويه [الكتاب: ١/٣٧، ٦٢]: متى ظننتَ أو قلت زيداً منطلقاً، فإن لم تَحذفْ قلت: متى ظننت أو قلت: هو زيداً منطلقاً، وإن شئت قلت: متى ظننت أو قلته زيداً منطلقاً فهذا كله على إعمال الأول فإنْ أعملتَ الثاني قلت: متى ظننتَ أو قلت زيدٌ منطلقٌ، هذه اللغة الجيدة، وإن شئت قلت: متى ظننتَ أو قلتَ زيداً منطلقاً، على إعمال الثاني وتكون قلتَ عاملةً كظننت.

﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ مثله قال مجاهد: لا يكون ذاكراً الله كثيراً جلّ وعزّ [إلاّ] قائماً وجالساً ومضطجعاً. وقال أبو سعيد الخدري: مَنْ أيقظ أهله بالليل فصلّيا أربع ركعات كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً..﴾ [٣٦]

قال الحسن: ليس لمؤمن ولا مؤمنة إذا أمر الله بأمر ورسوله بأمر أن يعصياه، وقرأ الكوفيون ﴿أنْ يكونَ لهُمُ الخِيَرَةُ﴾ وهو اختيار أبي عبيد لأنه قد فرّق بين المؤنث وبين فعله. قال أبو جعفر: القراءة بالياء جائزة فأما أن تكون مقدمة على التاء فلأنّ اللفظ مؤنث فتأنيث فعله حسن، والتذكير على أنّ ﴿الخِيَرَةُ﴾ بمعنى التخيّر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٢٢٨].

﴿وإذ تقول..﴾ [٣٧]

في موضع نصب وهي غير مُعربة لأنها لا تتمكّن ﴿للذي أنعمَ الله عليه وأنعمت عليه أمسكْ عليكَ زوجك﴾ قال بعض العلماء: لم يكن هذا من النبي ﷺ خطيئة، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار منه؟، وقد يكون الشيء ليس بخطيئة إلاّ أن غيره أحسن منه، وأخفى ذلك في نفسه خشية أن يفتن الناس.

﴿ما كان على النبي مِن حرج فيما فرض الله له..﴾ [٣٨]

﴿مِنْ﴾ زائدة للتوكيد ﴿سُنَّةَ الله﴾ مصدر لأن قبله ما هو بمعنى سنّ ذلك.

﴿الذين يُبلّغون رسالات الله..﴾ [٣٩]

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٣٠]: ﴿الذين﴾ في موضع جر على النعت لقوله ﴿الذين خلوا من قبلُ﴾ قال: ويجوز أن يكون في موضع رفع، قال: ويجوز أن يكون في موضع نصب على المدح.

﴿ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم..﴾ [٤٠]

وقد كان لرسول الله ﷺ أولادٌ منهم إبراهيم والقاسم والطيب، والحسن والحسين رضي الله عنهما ولدا رسول الله ﷺ كما أن عيسى عليه السلام من ولد آدم ﷺ، ففي هذا جوابان: أحدهما، وهو قول أبي إسحاق، أن المعنى ما كان محمد أبا أحد ممن تبنّاه ولكنّه أبو أُمّته في التبجيل والتعظيم، وأنّ نساءه رضي الله عنهنّ عليهم حرام، وجواب آخر يكون هذا على الحقيقة أنّ النبي ﷺ في وقت نزلت فيه هذه الآية لم يكن أبا أحد من الرجال، ومَنْ ذكرنا من إبراهيم والقاسم والطيب ماتوا صبياناً.

﴿ولكن رسولَ الله﴾ قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٦٠] والفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٤٤]: أي ولكن كان رسول الله وأجاز **﴿ولكن رسولُ الله وخاتمُ النبيين﴾** بالرفع على إضمار مبتدأ، وزعم الفرّاء أنه قد قرئ به، وقرأ الحسن والشعبي وعاصم **﴿وخاتَمَ النبيين﴾** بفتح التاء أي آخر النبيين، كما قرأ علقمة بن قيس ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦] أي آخره، وخاتِمٌ من خَتَمَ فهو خَاتِمٌ وفي قراءة عبد الله [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٤٤] **﴿ولكنّ نبياً خَتَمَ النبيين﴾** ويقال للذي يُلْبَسُ: خاتِمٌ وخَاتَمٌ وخَيتامٌ وخاتامٌ. **﴿وكان الله بكلّ شيء عليماً﴾** خبر كان، والتقدير: عليم بكل شيء.

﴿وسَبّحوهُ بكرةً وأصيلاً..﴾ [٤٢]

قال محمد بن يزيد: الأصيل: العشيّ وجمعه أصائلُ، والأصُلُ بمعنى الأصيل وجمعه آصال، وقال غيره: أُصُلٌ جمع أصيل كرغيف ورُغُف.

﴿هو الذي يُصلّي عليكم وملائكتُهُ..﴾ [٤٣]

الأصل في الصلاة عند أهل اللغة الدعاء كما قال الأعشى [ديوانه: ١٠١]: [البسيط]

عليكِ مثلُ الذي صلّيتِ فاغتمضي ... يوماً فإنّ لِجَنْبِ المرء مُضْطَجَعَا

أي الزمي مثل الدعاء الذي دعوتِ لي به لأنّ قبله:

تقولُ بنتي وقد قرّبتُ مرتحلاً ... يا ربّ جَنّبْ أبي الأوصابَ والوجَعَا

ويروى: عليكِ مثل الذي صلّيتِ، أي عليك مثل دعائك. وسُمّيت الصلاة صلاةً لما فيها

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

من الدعاء، ولهذا وغيره يقول فقهاء أهل المدينة يجوز للمرء أن يدعو في صلاته بما أراد، إلاّ أن محمد بن يزيد زعم أن أصل الصلاة: الترحّم، وأخرجها كلّها من باب واحد، والصلاة من الله رحمتُهُ عبادَه، ومن الملائكة رقّةٌ لهم واستدعاء الرحمة من الله جلّ وعزّ إيّاهم، والصلاة من الناس لطلب الرحمة من الله جلّ وعزّ بأداء الفرض أو النفل. إلا أن في الحديث أنّ بني إسرائيل سألوا موسى (عليه السلام): أيصلّي ربك جلّ وعزّ؟ فأعظم ذلك فأوحى جلّ وعزّ إليه: «إنّ صلاتي أي رحمتي سبقتْ غضبي».

﴿ليُخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ قال الضحّاك: ﴿الظلمات﴾ الكفر و﴿النور﴾ الإيمان، ويجوز ﴿الظُّلَمَاتِ﴾ تُبدلُ من الضمة فتحةٌ لخفّة الفتحة إلاّ أن الكسائي كان يقول: ظُلَماتٌ جمع ظُلَم، وظُلَمٌ جمع ظُلْمة، ومن قال: ظُلْمَاتٌ حذف الضمة لثقلها.

﴿تحيتُهُم يومَ يلقونهُ سلامٌ..﴾ [٤٤]

مبتدأ وخبر. وأجلّ ما روي فيه أن البراء بن عازب قال: تحيّتهم يوم يلقونه سلام، يُسلِّمُ مَلَكُ الموت على المؤمنين عند قبض روحه، لا يقبضُ روحه حتى يسلّم عليه، وتأوّله أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٣١] على أن هذا في الجنة، واستشهد بقوله ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ وفرّق محمد بن يزيد بين التحية والسلام، فقال: التحية تكون لكل دعاء، والسلام مخصوص، ومنه ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

﴿يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً﴾ [٤٥]

نصب على الحال. قال سعيد عن قتادة: ﴿شاهداً﴾ على أمته بالبلاغ و﴿مبشّراً﴾ بالجنة و﴿نذيراً﴾ من النار.

﴿داعياً إلى الله..﴾ [٤٦]

أي إلى شهادة أنْ لا إله إلاّ الله، ﴿بإذنه﴾ قال: بأمره، ﴿وسراجاً منيراً﴾ قال: كتاب الله جلّ وعزّ. قال أبو جعفر: التقدير على قوله: وداعياً إلى توحيد الله جلّ وعزّ وذا سراج أي ذا كتاب بيّن، وأجاز أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٣١] أن يكون بمعنى: وتالياً كتاباً.

﴿وبشر المؤمنين بأنّ لهم..﴾ [٤٧]

والباء تحذف من مثل هذا، ولا يجوز دخول اللام في الخبر.

﴿ولا تُطع الكافرين والمنافقين ودعْ أذاهمْ..﴾ [٤٨]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ
تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ
وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى
هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى
قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

تأوّله أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٣١] بمعنى: دع الأذى الذي يؤذونك به أي لا تُجازِهم عليه حتى تُؤمر فيهم بشيء. وتأوّله غيره: لا تُؤذهم، وكان هذا عنده من قبل أن يؤمر بالقتال.

﴿.. فما لكم عليهنّ من عدّة..﴾ [٤٩]

﴿مِن﴾ زائدة للتوكيد.

﴿.. وامرأةً مؤمنةً..﴾ [٥٠]

عطف أي وأحللنا لك امرأة مؤمنة. **﴿إنْ وهبت نفسها للنبي﴾** قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٣٢]: إن وهبتْ نفسها للنبي حلّت له، وقرأ الحسن **﴿أنْ وَهَبتْ﴾** بفتح الهمزة، و**﴿أنْ﴾** في موضع نصب. قال أبو إسحاق: فهي لأن وهبت، وقال غيره: إنْ وهبت بدل الاشتمال من امرأة **﴿خالصة﴾** نصب على الحال. **﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهمْ وما ملكتْ أيمانُهمْ﴾** قال: قتادة الذي فرض جلّ وعزّ عليهم في أزواجهم أنه لا نكاح إلا بوليّ وشاهدين عدلين وصداق، وأن لا يتزوج الرجل أكثر من أربع، وقال غيره: يدلّ على هذا **﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾** [النور: ٣٢]، **﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾** [النساء: ١٩] **﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾** [الطلاق: ٢] مع ما يقوّي ذلك الحديث عن النبي ﷺ و**﴿ما ملكت أيمانكم﴾** فالذي فرض فيه ألاّ يحلّ من النساء إلاّ سبي من لا ذمة له **﴿لكي لا يكون عليك حرجٌ﴾** أي لا تعدّ هذا، وقيل: هو راجع على قوله **﴿إنّا أحللنا لك أزواجك﴾** وما بعده.

﴿ترجِئ من تشاءُ منهُنّ..﴾ [٥١]

بالهمز مِنْ أرجأت الأمر إذا أخّرته. ويقرأ **﴿تُرجي﴾** بغير همز [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٢٣٣]، وقد تكلّم النحويون في الحيلة له فقال بعضهم: هي لغة وإن كانت ليست بالفصيحة، ومنهم من قال: على بدل الهمزة على لغة من قال: قَرَيْتُ. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾

سليمان يقول: الصحيح من قول سيبويه أنه لا يجيز بدل الهمزة لأن أبا زيد قال له: من العرب من يقول في قرأت قَرَيْتُ مثل رميت، فقال سيبويه: كيف يقولون في المستقبل؟ قال: يقولون يقراهُ، قال له سيبويه: كان يجب أن يقولوا: يقري مثل رَمَيْتُ أرمي. قال أبو الحسن: وهذا من كلام سيبويه يدلّ على أنه لا يجوز عنده، قال: وسمعت محمد بن يزيد يقول: هو من رجا يرجو مثل، يقال: رجا وأرجَيْتُهُ أي جعله يرجو. ﴿ذلك أدنى أن تقرَّ أعيُنهنَّ﴾ قد ذكرناه. وقيل فيه: ذلك أقرب ألاّ يحزنَّ إذا لم تجتمع إحداهن مع الأخرى، وتعاين الأثرة والميلَ. ﴿ويَرضَيْنَ بما آتيتَهنّ كُلُّهنّ﴾ على توكيد المضمر أي ويرضين كلّهن، وأجاز أبو حاتم وأبو إسحاق ﴿ويرضين بما آتيتهنّ كُلَّهن﴾ على التوكيد للمضمر الذي في ﴿آتيتهنّ﴾، والفرّاء [معاني القرآن: ٣٤٦/٤] لا يجيزه لأن المعنى ليس عليه إذْ كان المعنى وترضى كلّ واحدة منهنّ، وليس المعنى بما آتيتهن كلّهن. قال أبو جعفر: والذي قال حَسَن.

﴿ولا يحلُّ لك النساء من بعدُ..﴾ [٥٢]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣٤٦/٢]: اجتمعت القُرّاء على القراءة بالياء ﴿لا يحلُّ لك﴾ وزعم أنه لو كان لجميع النساء لكان بالتاء أجود. وقال أبو جعفر: وهذا غلط بيِّنٌ، وكيف يقال: اجتمعت القرّاء على الياء، وقد قرأ أبو عمرو بالتاء بلا اختلاف عنه، وإذا كان لجماعة النساء كان بالياء جائزاً حسناً. وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: من قرأ ﴿لا تحلّ لك النساء﴾ قدّره بمعنى جماعة النساء، ومن قرأ بالياء قدّره بمعنى جميع النساء، والفرّاء يقدّره إذا كان بالياء: لا يحلّ لك شيء من النساء فحمل التذكير على هذا.

﴿إلاّ ما ملكتْ يَمِينُك﴾ في موضع رفع على البدل من النساء، ويجوز أن يكون في موضع نصب على الاستثناء. ﴿ولا أن تَبَدَّلَ بهنّ من أزواج﴾ في موضع رفع عطفاً على النساء أي لا يحل لك النساء التبدل بهنّ، ومن قال: إنّ الآية لا يجوز فإنما أجاز ذلك لأنها في معنى النهي، وإنْ كان لفظهما لفظ الإخبار لا يجوز أن تنسخ.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم..﴾ [٥٣]

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿أنْ﴾ في موضع نصب على معنى إلا بأن يؤذن لكم، ويكون استثناء ليس من الأول ﴿إلى طعام غيرَ ناظرين إناهُ﴾ نصب على الحال [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٣٤] أي لا تدخلوا في هذه الحال، ولا يجوز في غير الخفض على النعت للطعام؛ لأنه لو كان نعتاً لم يكن بدّ من إظهار الفاعلين وكان يكون ﴿غير ناظرين إناه﴾ أنتم، ونظير هذا من النحو: هذا رجلٌ مع رجل ملازم له، وإن شئت قلت: هذا رجلٌ ملازمٌ له هو، ومررت برجل معه صقرٌ صائد به، وإن شئت قلت: صائدٌ به هو.

﴿ولكنْ إذا دُعيتمْ فادخلوا﴾ الفاء في جواب إذا لازمة لما فيها من معنى المجازاة. ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ في موضع نصب عطفاً على غير. ويجوز أن يكون خفضاً عطفاً على ما بعد غير ﴿فيستحيي منكمْ والله لا يستحيي من الحقّ﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٣٥]: ويقال: يستحي بياء واحدة تُحذفُ الياء تخفيفاً. قال أبو جعفر: وقد ذكرت هذا في السورة التي تذكر فيها البقرة. ﴿وما كان لكم أنْ تؤذوا رسول الله﴾ في موضع رفع اسم كان ﴿ولا أن تنكحوا﴾ معطوف عليه.

﴿إنّ الله ومَلائِكَتَهُ..﴾ [٥٦]

عطف، وحُكي ﴿ومَلائِكَتُهُ﴾ بالرفع وأجاز الكسائي على هذا: إنّ زيداً وعمروٌ منطلقان، ومنع هذا جميع النحويين غيره. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: الآية لا تشبه ما أجازه لأنك لو قلت: إنّ زيداً وعمروٌ منطلقان، أعملت في منطلقين شيئين وهذا محال، والتقدير في الآية: إنّ الله جلّ وعزّ يصلّي على النبي وملائكته يصلّون على النبي ﷺ ثم حُذفتْ من الأول لدلالة الثاني. والذي قال حَسَنٌ.

ولقد قال بعض أهل النظر في قراءة من قرأ ﴿إنّ الله وملائكتَهُ﴾ بالنصب مثال ما قال علي بن سليمان في الرفع قال: لأن ﴿يصلّون﴾ إنما هو للملائكة خاصة لأنه لا يجوز أن يجتمع ضمير لغير الله جلّ وعزّ مع الله إجلالاً له وتعظيماً، ولقد قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، وأنكر ذلك وعلّمهُ النبي ﷺ فقال له: «قلْ: ما شاء الله ثم شئتَ».

﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله..﴾ [٥٧]

﴿الذين﴾ في موضع نصب وما بعده صلته، وهو يقع لكل غائب مذكر وأخواته ﴿مَنْ﴾

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

و ﴿ما﴾ و ﴿أي﴾ ومؤنّثه ﴿التي﴾ فإذا قلت: رأيتُ مَنْ في الدار، كان للآدميين خاصة، وإذا قلت: رأيت الذي في الدار، كان مبهماً للآدميين وغيرهم، وإذا قلت: رأيت ما في الدار، كان لما لا يعقل خاصة ولنعت ما يعقل، لو قال قائل: ما عندك؟ فقلت: كريم، كان حسناً. قال محمد بن يزيد: ولو قلت: رجلٌ، كان جائزاً؛ لأنه داخل في الأجناس، ولا يجوز أن تقول: زيدٌ ولا عمروٌ إلاّ أنّ ﴿مَنْ﴾ و ﴿ما﴾ يكونان في الاستفهام والجزاء بغير صلة لأنك لو وصلتهما في الاستفهام كنت مستفهماً عما تعرفه، والجزاء مبهمٌ لا يختص شيئاً دون شيء؛ فلهذا لم تجز فيه الصلة، و ﴿يؤذون﴾ مهموز لأنه من آذى والأصل مهموز مثل آمَنَ فإنْ خَفّفتَ الهمزة أبدلتَ منها واواً فقلت: يؤذون؛ لأنه لا سبيل إلى أن يجعلها بين بين لأنها ساكنة.

﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات..﴾ [٥٨]

في موضع رفع بالابتداء، ويجوز أن يكون في موضع نصب على العطف.

﴿يا أيها النبي قلْ لأزواجك..﴾ [٥٩]

واحدها زوج، يقال للمرأة: زوج وزوجة، والفصيح الكثير بغير هاء وبها جاء كل ما في القرآن، ولا يجوز أن تجمع زوجة على أزواج، إنما أزواج جمع زوج مثل حوض وأحواض، والأصل زوجٌ مثل فَلْس وأفلس استثقلوا الحركة في الواو، وقد جاء في فَعْل أفعالٌ فردّوه إليه فقالوا أزواجٌ وأحواضٌ وللكثير حياضٌ وزياجٌ، وفي قولهم: زوج بغير هاء قولان: أحدهما أن تأنيه تأنيث صيغة مثل عقرب وعَناق، وليس بجار على الفعل فيلزمه الهاء، والجاري على الفعل متزوّجة، والقول الآخر أن العرب تقول لكل مقترنين: زوجان. يقال لِلْخُفَّيْنِ: زوجان، وكذا النعلان والمقراضان والمقصّان، قال الله جلّ وعزّ: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠] وقال جلّ وعزّ: ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [ص: ٥٨].

﴿وَبَنَاتِكَ﴾ جمع مسلّم، وهو جمع بِنْت مثل هَنَة وهَنَات والمحذوف منه ياء، وقد قال بعض النحويين: المحذوف منه واو واستدلّ بقولهم البنوّة. قال أبو جعفر: وهذا لعمري مما تقع فيه المغالطة لأنه ليس فيه دليل لأنهم قد قالوا: الفتوّة وهو من ذوات الياء، يدلّك على ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦]. قال أبو جعفر: وأحسن ما سمعت فيه قول أبي إسحاق قال: هو عندي مشتق من بنى يبني.

﴿ونساء المؤمنين﴾ قيل: نساء جمع جواب للأمر، والأمر محذوف والتقدير عند المازني:

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ

قل لهنّ أدنين يُدنين ﴿مِنْ جلابيبهنّ﴾ عن ابن مسعود وابن عباس الجلباب: الرداء، قال محمد بن يزيد: الجلباب كل ما ستر من ثوب أو ملحفة أي يُرخينَ على وجوههنّ منه. ﴿ذلك أدنى أن يُعرفْنَ فلا يُؤذَيْنَ﴾ أي يُعرفنَ بالستر والصيانة.

﴿لئنْ لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ والمُرجفون في المدينة..﴾ [٦٠]

أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد، كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن أبي رزين قال: المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة هم شيء واحد يعني أنهم قد جمعوا هذه الأشياء، وعن ابن عباس ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ قال: فجورٌ وشكٌ، قال: لئن لم ينتهوا عن أذى النبي ﷺ وعن أذى النساء.

﴿.. أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تقتيلا﴾ [٦١]

وفي هذه الآية للعلماء غير قول: فمنها أنهم لم ينتهوا وأن الله جلّ وعزّ قد أغراه بهم لأنه قد قال جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤] وأنه أمره بلعنهم فهذا هو الإغراء فهذا قول، وقال أبو العباس محمد بن يزيد: قد أغراه بهم في الآية التي تلي هذه مع اتصال الكلام بها، وهو قوله جلّ وعزّ: ﴿.. أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تقتيلاً﴾ فهذا فيه معنى الأمر بقتلهم وأخذهم أي هذا حكمهم وهذا أمرهم أن يُؤخذوا ويُقتّلوا إذ كانوا مقيمين على النفاق والإرجاف، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «خمسٌ يُقتَلْنَ في الحَرَم» [د: ١٨٤٧، حم: ٦/ ٢٠٣، ت: ٨٣٨، ٨٣٩، جه: ٣٠٨٩] فهذا فيه معنى الأمر ﴿كالآية سواء﴾، وهذا من أحسن ما قيل.

﴿لنُغْرِيَنَّكَ﴾ لام القسم واليمين واقعة عليها وأُدخلت اللام في إن توطئةً لها ﴿ثم لا يُجاوِرُونَكَ فيها إلاّ قليلاً﴾ فكان الأمر كما قال جلّ وعزّ: لأنهم لم يكونوا إلا أقلاّء فهذا أحدُ جوابَي الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٥٠]، وهو الأولى عنده أي إلا في حال قتلهم، والجواب الآخر أن يكون المعنى إلا وقتاً قليلاً.

﴿ملعُونِينَ..﴾ [٦١]

هذا تمام الكلام عند محمد بن يزيد، وهو منصوب على الحال أي ثم لا يجاورونك إلا أقلاّء، عن بعض النحويين أنه قال: يكون المعنى أينما أُخذوا ملعونين، وهذا خطأ لا يعمل ما كان مع المجازاة فيما قبله.

﴿سُنّة الله..﴾ [٦٢]

ﭐلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا
سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

نصب على المصدر أي سنّ الله جلّ وعزّ فيمن أرجَفَ بالأنبياء وأظهرَ نفاقه أن يُؤخذ ويُقتل.

﴿إن الله لعن الكافرين وأعدّ لهمْ سعيراً﴾ [٦٤]

﴿خالدين فيها أبداً..﴾ [٦٥]

فأنّث لأنّ السعير بمعنى النار.

﴿يومَ تُقلّبُ وُجوهُهمْ في النار..﴾ [٦٦]

وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٥٠]: ﴿يوم تَقَلَّبُ﴾ بمعنى تتقلّب. ﴿ويوم تُقلّبُ وُجوهَهُمْ في النار﴾ ﴿يقولون يا ليتنا أطعْنا الله وأطعنا الرسولا﴾ هذه الألف تقع في الفواصل لتتفق فيوقَفُ عليها ولا يُوصل بها.

﴿..إنا أطَعْنا سادَتِنا..﴾ [٦٧]

وقرأ الحسن ﴿..إنا أطَعْنَا سَادَتِنَا﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٥٠]بكسر التاء لأنه جمع مسلّم لسادة، وكان في هذا زجر عن التقليد.

﴿..والعَنْهُمْ لَعْناً كبيراً﴾ [٦٨]

وقرأ عاصم وابن عامر ﴿..والعَنْهُمْ لَعْناً كبيراً﴾ و ﴿كثيراً﴾ في هذا أشبه كما قال جلّ وعزّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] وهذا اللعن كثير.

﴿.. وكانَ عند الله وجيهاً﴾ [٦٩]

خبر كان، ولو قلت: كان عبد الله عندنا جالساً، كان في نصبه وجهان: يكون خبر كان ويكون على الحال. والوجيه عند العرب العظيم القدر، الرفيع المنزلة، ويروى أنه كان إذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ [٧٠]

قال الحكم بن أبان عن عكرمة ﴿قولوا قولاً سديداً﴾ قال: لا إله إلاّ الله وما أشبهها من الصدق والصواب. قال أبو جعفر: الاسم من هذا السّداد بفتح السين وقد اسْتَدّ فلانٌ، القياس من

عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

فَعَلِهِ سَدٌ والأصل سَدَدَ. فأما السِّداد بكسر السين فما غُطّيَ به الشيء، وهو سِدادٌ من عَوَزٍ.

﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها..﴾ [٧٢]

قد ذكرناه، ومن حسن ما قيل في معناه أنّ معنى عرضنا أظهرنا كما تقول: عَرَضْتُ الجارية على البيع، والمعنى إنا عرضنا الأمانة وتضييعها على أهل السموات وأهل الأرض من الملائكة والجنّ والإنس فأَبَيْنَ أن يحملنها أي أن يحملن وزرها، كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

﴿وحملها الإنسان﴾ قال الحسن يُراد به الكافر والمنافق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٣٨]، قال: ﴿إنه كان ظلوماً﴾ لنفسه ﴿جهولا﴾ بربّه، فيكون على هذا الجواب مجازاً، مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وفيه جواب آخر على أن يكون حقيقةً أنه عرض على السموات والأرض والجبال الأمانة وتضيعها وهي الثواب والعقاب أي أظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها وأطعْنَ فما أُمِرنَ به وما سُخِّرنَ له، وحملها الإنسان على ما مرّ من الجواب الذي تقدم قبله.

﴿ليعذِّبَ الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات..﴾ [٧٣]

أي بالحجج القائمة عليهم من عرض الأمانة عليهم، وهي إظهار ما أظهر لهم من الوعيد. قال عبد الله بن مسعود: الأمانة: الصلاة والصيام وغسل الجنابة، وعن أُبيّ بن كعب قال: من الأمانة أن المرأة أُوتُمِنَتْ على فرجها، وفي حديث مرفوع «الأمانة الصلاة» [الطبري في تفسيره: ٢٢/٢٣، ٥٤] إن شئت قلت صلّيت، وإن شئت قلت لم أُصلّ، وكذا الصيام وغسل الجنابة. وقرأ الحسن ﴿ويتوبُ الله﴾ بالرفع يقطعه من الأول أي يتوب عليهم بكل حال. ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ خبر بعد خبر لكان، ويجوز أن يكون نعتاً لغفور، ويجوز أن يكون حالاً من المضمر.

٣٤ ـ سورة سَبَإٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

شرحُ إعرابِ سُورةِ سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض..﴾ [١]

﴿الذي﴾ في موضع خفض على النعت أو البدل، ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ، وأن يكون في موضع نصب بمعنى أعني. وحكى سيبويه: الحمد لله أهل الحمد بالنصب والرفع والخفض. **﴿وهو الحكيم الخبير﴾** مبتدأ وخبره.

﴿يعلمُ..﴾ [٢]

في موضع نصب على الحال، ويجوز أن يكون مستأنفاً.

﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي..﴾ [٣]

قَسَم، والجواب **﴿لَتأتِيَنَّكُمْ﴾** وقرأ أهل المدينة **﴿عالمُ الغيب﴾** بالرفع لأن جواب القسم قد تقدم فحسن الرفع بالابتداء والخبر ما بعده، ويجوز أن يكون مرفوعاً على إضمار مبتدأ، ويجوز النصب بمعنى أعني، وقرأ أبو عمرو وعاصم **﴿عالمِ الغَيبِ﴾** على النعت، وقرأ سائر الكوفيين **﴿علاّمِ الغيب﴾** بالخفض على النعت أيضاً، فعالمٌ يكون للقليل والكثير، وعلاّم للكثير لا غير، والمستعمل والأشبه في مثل هذا: عالم الغيب فإن قلت: علام الغيوب كان علاّم أشبه.

وقرأ يحيى بن وثاب والكسائي **﴿لا يعزِبُ﴾** بكسر الزاي، يقال: عَزَبَ يعزِبُ ويَعزُبُ، قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٥١]: والكسر أحبّ إليّ، وهي قراءة الأعمش. **﴿ولا أصغر من ذلك ولا**

ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ
﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ

أكبر﴾ بالفتح تعطفهما على ﴿ذرّة﴾، وقراءة العامة بالرفع على العطف على مثقال.

﴿ليجزي..﴾ [٤]

منصوب بلام كي، والتقدير: لتأتينكم ليُجزيَ.

﴿..أولئك لهم عذابٌ من رجز أليمٌ﴾ [٥]

وقرأ طلحة وعيسى ﴿..أولئك لهم عذابٌ من رجز أليمٌ﴾ بالرفع على النعت لعذاب.

﴿ويَرى..﴾ [٦]

في موضع نصب معطوفة على ليجزي، ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه مستأنف ﴿الذين﴾ في موضع رفع بيرى ﴿أوتوا العلم﴾ خبر ما لم يُسمَّ فاعله، ﴿الذي﴾ في موضع نصب على أنه مفعول أول ليرى ﴿هو الحقّ﴾ مفعول ثان ﴿وهو﴾ فاصلة والكوفيون يقولون: عماد، ويجوز الرفع على أن يكون ﴿هو﴾ مبتدأ و﴿الحق﴾ خبره والنصب أكثر فيما كانت فيه الألف واللام عند جميع النحويين، وكذا ما كان نكرة لا تدخله الألف واللام فيشبه المعرفة، فإنْ كان الخبر اسماً معروفاً نحو قولك: كان أخوك هو زيدٌ، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٥٢] أن الاختيار فيه الرفع وكذا: كان أبو محمد هو عمرو، وعلّه في اختياره الرفع أنه لمّا لم يكن فيه ألف ولام أشبه النكرة في قوله: كان زيدٌ هو جالسٌ؛ لأن هذا لا يجوز فيه إلاّ الرفع.

﴿وقال الذين كفروا هلْ نَدُلُّكُمْ على رجل..﴾ [٧]

وإن شئتَ أدغمت اللام في النون لقربها منها ﴿يُنَبِّئُكُمْ إذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ والمعنى: يقول لكم، و﴿إذا﴾ في موضع نصب، والعامل فيها مُزِّقتم، ولا يجوز أن يكون العامل فيها يُنبِّئكم لأنه ليس يخبرهم ذلك الوقت، ولا يجوز أن يكون العامل فيها ما بعد أنّ لأنه لا يعمل فيما قبله، وأجاز أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٤١] أن يكون العامل فيها محذوفاً، والتقدير: إذا مُزِّقتم كلّ مُمَزّق بُعِثتم.

﴿أفْترى..﴾ [٨]

لما دخلتْ ألف الاستفهام واستغنيتَ عن ألف الوصل فحذفتها كان فتح ألف الاستفهام فرقاً بينها وبين ألف الوصل.

﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩) ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢)﴾

﴿ولقد آتينا داود منّا فضلاً..﴾ [١٠]

مفعولان. **﴿يا جبالُ أوّبي معه والطيرَ﴾** أي رجّعي الحنين فكانت الجبال تُجيبه إذا تلا الزبور، وهو من آب يؤوبُ إذا رجع **﴿والطيرُ﴾** بالرفع قراءة الأعرج وأبي عبد الرحمن، والرفع من جهتين: أحدهما على العطف على الجبال، والأخرى على العطف على المضمر الذي في أوّبي، وحسن ذلك، لأن بعده **﴿معه﴾**، والنصب عند أبي عمرو بن العلاء بمعنى: وسخّرنا له الطير، وقال الكسائي: هو معطوف على **﴿فضلاً﴾** أي آتيناه الطير، وعند سيبويه [الكتاب: ١/٣٠٥] معطوف على الموضع أي نادينا الجبال والطير، ويجوز أن يكون مفعولاً معه، كما تقول: استوى الماءُ والخشبةَ، أي مع الخشبة. قال أبو جعفر: سمعت أبا إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٤٣] يجيز قمت وزيداً.

﴿وألنّا له الحديد﴾ قيل: إنه أول من سُخِّرَ له الحديد، وقيل: أعطي من القوة أنه كان يثني الحديد. والله جلّ وعزّ أعلم بذلك. وقال الحسن: وكان داود ﷺ يأخذ الحديد فيكون في يده مثل العجين فيعمل منه الدروع.

﴿أنِ اعملْ سابغات..﴾ [١١]

لأبي إسحاق فيه جوابان: أحدهما أن تكون **﴿أنْ﴾** بمعنى أي مفسّرة تؤدي عن معنى: قلنا له اعمل، والجواب الآخر أن يكون في موضع نصب أي وألنّا له الحديد لها ووصلت أن بلفظ الأمر. **﴿سابغات﴾** في موضع نصب وأقيمت الصفة مقام الموصوف أي اعملْ دروعاً سابغات، والدروع مؤنثة إذا كانت للحرب، ودرع المرأة مذكر. **﴿وقدّرْ في السّردِ﴾** قال ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: قدّر المسمار لا يكون دقيقاً فيسلس ولا غليظاً فيفصمها [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٢٤٤].

﴿ولِسُليمانَ الريحَ..﴾ [١٢]

جعله الكسائي نسقاً على **﴿وألنّا له الحديد﴾** وقال: المعنى: وألنّا لسليمان الريح، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٤٥]: التقدير وسخّرنا لسليمان الريح، وقرأ عاصم **﴿ولسليمان الريحُ﴾** بالرفع بالابتداء أو بالاستقرار أي لسليمان الريح ثابتة وفيه ذلك المعنى، فإن قال قائل: إذا

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

قلت: أعطيتُ زيداً ديناراً ولعمرو درهمٌ، فرفعت لم يكن فيه كمعنى الأول، وجاز أن يكون لم تُعطه الدرهم، قيل: الأمر كذا، الآية على خلاف هذا من المعنى لأن الريح لم يسخرها أحدٌ غير الله جلّ وعزّ.

﴿غُدُوُّهَا شهرٌ﴾ أي مسيرة شهر، وكذا ﴿ورواحُها شهرٌ﴾ وروى الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان سليمان ﷺ إذا جلس نُصبتْ حواليه أربعمائة ألف كرسي ثم جلس رؤساء الإنس مما يليه، وجلس سِفلَةُ الإنس مما يليهم، وجلس رؤساء الجن مما يلي سِفلَةَ الإنس وجلس سِفلةُ الجن مما يليهم، وموكّل بكل كرسي طائرٌ يعمل بعينه ثم تقلّهم الريح والطير تُظِلّهم من الشمس، فيغدو من بيت المقدس إلى اصطخر فيقيلُ بها ثم يروح من اصطخر فيبيتُ في بيت المقدس ثم قرأ ابن عباس ﴿غُدُوُّهَا شهرٌ ورواحُها شهرٌ﴾. ﴿ومن الجنّ مَنْ يعملُ بين يديه﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بمعنى: وسخّرنا، ويجوز أن يكون في موضع رفع كما تقدم في الريح، ومَن ﴿يزغْ منهم عن أمرنا نُذقهُ من عذاب السعير﴾ شرط وجوابه و﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء وهو تام.

﴿يعملونَ لهُ ما يشاء من مَحاريبَ وتماثيل..﴾ [١٣]

لم ينصرفا لأن هذا الجمع ليس له نظير في الواحد، ولا يجمع كما يجمع غيره من الجموع، والمحراب في اللغة كل موضع مرتفع، وقيل للذي يصلّى إليه: محراب، لأنه يجب أن يُرْفَعَ ويُعَظَّم، وقال الضحاك: ﴿من محاريب﴾ أي من مساجد وتماثيل، قال: صوَرٌ، فقال قوم: عملُ الصور جائز لهذه الآية ولما أخبر الله جلّ وعزّ عن المسيح ﷺ، وقال قوم: قد صحّ النهي عن النبي ﷺ عنها والتوعّد لمن عملها أو اتخذها فنسخ ﷺ بهذا ما كان مباحاً قبله، وكانت في ذلك الحكمة لأنه بعث ﷺ والصُّورُ تُعبدُ، وكان الأصلح إزالتها.

﴿وَجِفَانٍ كالجَوابي وقُدُور راسيات﴾ الأولى أن يكون بالياء، ومنْ حذف الياء قال: سبيل الألف واللام أن يدخلا في النكرة فلا يُغيّرها عن حالها فلمّا كان يقال: جواب ودخلت الألف واللام أُقرّ على حاله بحذف الياء، وواحد الجوابي جابيةٌ وهي القِدْرُ العظيمة والحوض الكبير الذي يُجبى إليه الشيء أن يُجمَعُ، ومنه جَبَيْتُ الخراج وجَبيتُ الجَراد أي جعلت كساء فجمعته فيه، إلاّ أن ليثاً روى عن مجاهد قال: الجوابي جمع جَوْبَة. قال أبو جعفر: الجوبةُ الحفرةُ الكبيرة تكون في الجبل يجتمع فيها ماء المطر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٢٤٦].

﴿وقدور راسيات﴾ قال سعيد بن جبير: هي قدور النحاس تكون بفارس. قال الضحّاك:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

هي قدور كانت تُعمَلُ من حجارة الجبال. ﴿اعملوا آل داود شُكراً﴾ أي الذي يقال لهم ﴿آل داود﴾ نداء مضاف ونَصْبُ شكر عند أبي إسحاق من جهتين: إحداهما اعملوا للشكر أي لتشكروا الله جلّ وعزّ، والأخرى أن يكون التقدير اشكروا شُكراً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٤٦/٤، ٢٤٧]. ﴿وقليلٌ منْ عبادي الشَّكُورُ﴾ مبتدأ وخبره، والشكور على التكثير لا غير، وشاكر يقع للقليل والكثير، والشكر لا يكون إلاّ في شيء بعينه، والحمد أعمّ منه.

﴿فلمّا قضينا عليه الموتَ ما دلَّهم على موته إلاّ دابةُ الأرض تأكلُ منسأتَهُ..﴾ [١٤]

قراءة أهل المدينة وأبي عمرو، وقرأها الكوفيون بالهمز واشتقاقها يدلّ على أنها مهموزة لأنها مشتقة من نَسَأتُهُ أي أخّرتُهُ ودفعتهُ فقيل لها: مِنْسَأةٌ لأنه يُدفَع بها الشيء ويؤخّر، قال مجاهد وعكرمة: هي العصا فمن قرأ ﴿مِنْساته﴾ أبدل من الهمزة ألفاً، فإن قال قائل: الإبدال من الهمزة قبيح إنما يجوز في الشعر على بُعد وشذوذ، وأبو عمرو بن العلاء لا يغيب عنه مثل هذا ولا سيما وأهل المدينة على هذه القراءة، فالجواب عن هذا أن العرب استعملت في هذه الكلمة البدل ونطقوا بها هكذا كما يقع البدل في غير هذا ولا يقاس عليه حتى قال أبو عمرو: ولستُ أدري ممّ هي؟ إلاّ أنها غير مهموزة، وهذا كلام العلماء لأن ما كان مهموزاً قد يترك همزه وما لم يكن مهموزاً لم يجز همزه بوجه.

﴿فلمّا خرَّ تَبيَّنتِ الجنُّ﴾ موته وقال غيره: المعنى تبيّنَ أمر الجن [معاني القرآن وإعرابه: ٢٤٧/٤] مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وقيل: المعنى: تبيّنت الجن للإنس، وفي التفسير بالأسانيد الصحاح تفسير المعنى، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: أقام سليمان بن داود صلّى الله عليهما حولاً لا يُعلم بموته وهو متكئ على عصاه والجن متصرفة فيما كان أمرها به ثم سقط بعد حول. وقرأ ابن عباس ﴿فلما خرّ تبيّنت الإنس أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ قال أبو جعفر: وهذه القراءة عن ابن عباس على سبيل التفسير، فأما أنْ فموضعها موضع رفع على البدل من الجن أي تبيّن أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب، وهذا بدل الاشتمال، ويجوز أن يكون في موضع نصب بمعنى اللام.

﴿لقد كان لسبأ..﴾ [١٥]

بالصرف والتنوين على أنه اسم للحيّ. وهو في الأصل اسم رجل جاء بذلك التوقيف عن النبي ﷺ، وقرأ أبو عمرو ﴿لقد كان لسبأَ﴾ بغير صرف جعله اسماً للقبيلة، وهو اختيار أبي عبيد

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾

واستدلّ على أنه اسم قبيلة أن بعده ﴿في مساكنهم﴾ ولو كان كما قال لكان في مساكنها ﴿آيةٌ﴾ اسم كان أي علامة دالّة على قدرة الله جلّ وعزّ وإنعامه على عباده أنه جعل لأهل سبأ جنتين عن يمين وشمال ومما اجتمع من مطر بين جبلين في وجهه مُسَنّاة، قال يحيى ابن سليمان الجُعْفي: المسنّاة هي التي يسمّيها أهل مصر الجِسْرَ فكانوا يفتحونها إذا شاؤوا فإذا رُوِيَتْ جنتهم سدّوها.

﴿جنّتان﴾ بدل من الآية ويجوز أن يكون مرفوعاً على إضمار مبتدأ، ويجوز أن تنصب ﴿آية﴾ على أنها خبر كان، ويجوز أن تنصب جنتين على الخبر أيضاً في غير القرآن، والتقدير: قيل لهم: كُلُوا من رزق ربكم واشكروا له. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٥٧، ٣٥٨]: تم الكلام.

﴿بلدةٌ﴾ بالرفع على إضمار مبتدأ أي هذه بلدة ﴿وربٌّ﴾ على إضمار مبتدأ أيضاً ﴿غفورٌ﴾ من نعته. فأمّا ﴿في مساكنهم﴾ فهي قراءة الحسن وأبي رجاء وأبي جعفر وشيبة ونافع وعاصم وأبي عمرو. وقرأ إبراهيم النخعي وحمزة ﴿في مَسْكَنِهِمْ﴾ وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي ﴿في مَسْكِنِهِمْ﴾ بكسر الكاف. قال أبو جعفر: ﴿مساكن﴾ في هذا أبين لأنه يجمع اللفظ والمعنى فإذا قلت: مَسْكَنهم كان فيه تقديران: أحدهما أن يكون واحداً يؤدي عن الجميع، والآخر أن يكون مصدراً لا يثنى ولا يجمع، كما قال جلّ وعزّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] فجاء السمع مفرداً، وكذا ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥] ومن قال: مَسْكِن بكسر الكاف جعله مثل مَسْجِدٍ، وهو خارج عن القياس لا يوجد مثله إلاّ سماعاً.

﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهمْ سَيْلَ العَرِمِ..﴾ [١٦]

قال عمرو بن شرحبيل: ﴿العَرِمِ﴾ المُسَنّاة، وقال محمد بن يزيد: العَرِم كل حاجز بين شيئين، وهو الذي يُسمّى السُّكْرَ وهو جمع عَرِمة. ﴿وبدلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وقرأ أبو عمرو ﴿ذواتي أُكُلِ خَمْطٍ﴾ بغير تنوين مضافاً، قال أهل التفسير والخليل رحمه الله: ﴿الخَمْطُ﴾ الأراك وقال محمد بن يزيد: الخَمْطُ: كل ما تغير إلى ما لا يُشتهى واللبن خمطٌ إذا حمض. والأولى عنده في القراءة ﴿ذواتي أُكُلٍ خمطٍ﴾ بالتنوين على أنه نعت لأُكُل أو بدل منه لأن الأُكُل هو الخمط بعينه عنده، فأما الإضافة فباب جوازها أن يكون تقديرها ذواتي أُكُلِ حُمُوضَة أو أُكُلِ مرارة ﴿وشيءٍ مِنْ سِدْرٍ قليلٍ﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٥٩]: هو السَّمُرُ.

﴿ذلك جزيناهمْ بما كفروا..﴾ [١٧]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٤٩]: ﴿ذلك﴾ في موضع نصب أي جزيناهم ذلك ﴿وهلْ يُجازَى إلاّ الكَفُورُ﴾ قراءة أهل الحرمين وأبي عمرو وعاصم، وقرأ الكوفيون إلاّ عاصماً

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ
﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

﴿وهل نُجازي إلاّ الكَفُورَ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣٥٩/٢] وهذا عند أبي عبيد أولى لأن قبله ﴿جزيناهم﴾ ولم يقل جُوزُوا. قال أبو جعفر: الأمر في هذا واسع، والمعنى فيه بينٌ لو قال قائل: خلق الله جلّ وعزّ آدم من طين، وقال آخر خُلِقَ آدم من طين لكان المعنى واحداً. وفي الآية سؤال لا أعلم في السورة أشدّ منه يقال: ما معنى: وهل يُجازى إلاّ الكفور ولم يذكر أصحاب المعاصي غير الكفار؟، وقد تكلم العلماء في هذا فقال قوم: ليس يُجازى بمثل هذا الجزاء الذي هو الاصطلام والهلاك إلاّ من كفر، فأمّا قطرب فجوابه على هذه الآية على خلاف لأنه جعلها في أهل المعاصي غير الكفار وجرى على مذهبه وقوله من كَفَر بالنعم فعمل الكبائر، وأولى ما قيل في هذه الآية وأجلّ ما روي فيها أن الحسن قال: مِثلاً بمثل. وروى أيوب عن أبي مُلَيْكَةَ عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حُوسِبَ هلك» [ت: ٣٣٣٨، حم: ١٠٨/٦، د: ٣٠٩٣] فقلت: يا نبي الله فأين قوله جلّ وعزّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] قال: «إنما ذلك العرضُ ومن نُوقِشَ الحساب هلك». قال أبو جعفر: وهذا إسنادٌ صحيح، وشرحه أن الكافر يُكافأ على أعماله ويحاسب عليها ويُحبط ما عمل من خير، ويبين لك هذا قوله جلّ وعزّ في الأول: ﴿ذلك جزيناهمْ بما كفروا﴾ وفي الثاني ﴿وهل يُجازى﴾ فمعنى ﴿يُجازى﴾ يكافأ بما عمل، ومعنى ﴿جزيناهم﴾ وفيناهم فهذا حقيقة اللغة وإن كان جازى يقع بمعنى جَزَى مجازاً.

﴿وجعلنا بينهمْ وبين القرى التي باركنا فيها قُرىً ظاهرةً..﴾ [١٨]

قال أبو العباس: الظاهرة المرتفعة ﴿وقدّرنا فيها السَّيْرَ﴾ أي جعلناه بمقدار يسيرون ويبيتون في قرية، قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣٥٩/٢]: ﴿وقدّرنا فيها السير﴾ أي جعلنا بين كل قريتين نصف يوم فهذا التقدير. ﴿سيروا فيها ليالي وأياماً﴾ ظرفان ﴿آمنين﴾ على الحال.

﴿فقالوا ربّنا باعِدْ بينَ أسفارنا..﴾ [١٩]

فيه ستة أوجه من القراءات: قرأ الحسن وأبو الرجاء وأبو مالك وأبو جعفر وشيبة ونافع ويحيى بن وثاب والأعمش وعاصم وحمزة والكسائي ﴿ربّنا باعِدْ بين أسفارِنا﴾، وقرأ مجاهد وابن كثير وأبو عمرو ﴿ربّنا بَعِّدْ بينَ أسفارنا﴾ وقرأ محمد بن الحنفية ويُروى عن ابن عباس وأبي صالح ﴿ربُّنا باعَدَ بين أسفارنا﴾، وقرأ يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر ويُروى عن ابن عباس ﴿ربُّنا بَعَّدَ بين أسفارنا﴾، وقرأ سعيد بن أبي الحسن وهو أخو الحسن البصري ﴿فقالوا ربّنا بَعُدَ بَيْنُ أسفارنا﴾ فهذه خمس قراءات، وروى الفرّاء [معاني القرآن: ٣٥٩/٢] وأبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٠/٤] السادسة ﴿ربُّنا بَعُدَ بَيْنَ أسفارنا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾

قال أبو جعفر: القراءة الأولى ربّنا نصب على أنه نداء مضاف وهو منصوب على أنه مفعول به لأن معناه ناديتُ ودعوتُ، وكذلك القراءة الثانية و ﴿باعدْ﴾ و ﴿بعّدْ﴾ واحد في المعنى، كما تقول: قَارِبْ وقرِّبْ، والمعنى على ما روى محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال: كانوا آمنين يخرجون إلى أسفارهم ولا يتزوّدون، يبيتون في قرية ويقيلون في قرية، فبطروا النعمة فقالوا: ربّنا بَعّدْ بين أسفارنا فعاقبهم الله جلّ وعزّ. والقراءة الثالثة ﴿ربُّنا﴾ رفع بالابتداء و ﴿باعَدَ﴾ فعل ماض في موضع الخبر، وكذا الرابعة، وقد فسّرها ابن عباس قال: شكوا أن ربهم باعَدَ بين أسفارهم. القراءة الخامسة ﴿ربَّنا بَعُدَ بينُ أسفارنا﴾ ﴿ربنا﴾ نداء مضاف ثم أخبروا بعد ذلك فقالوا ﴿بَعُدَ بينُ أسفارنا﴾ ورفع ﴿بين﴾ بالفعل أي بعد ما يتصل بأسفارنا، والقراءة السادسة مثل هذه إلاّ أنها تنصبُ ﴿بين﴾ على أنه ظرف، وتقديره في العربية: بَعُدَ سَيْرُنَا بينَ أسفارنا.

وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال: إحداهما أجود من الأخرى، لا يقال ذلك في الأخبار إذا اختلفت معانيها ولكن خبّر عنهم أنهم دَعَوا أن يُبَعَّدَ بين أسفارهم بَطَراً وأشراً، وخبّر أنهم لمّا فُعِلَ بهم ذلك خبّروا به وشكوا، كما قال ابن عباس ﴿وظلموا أنفسهم﴾ أي بكفرهم ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ أي يُتحدّثُ بهم بأخبارهم، وتقديره في العربية ذوي أحاديث.

﴿ومزّقناهم كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي لمّا لَحِقَهُمْ ما لحقهم تفرّقوا وتمزّقوا. قال الشعبي: فلحقتِ الأنصار بيثرب، وغسان بالشام، وأسد بعُمان، وخزاعة بتهامة. ﴿إنّ في ذلك لآيات لِكُلِّ صَبّار شَكُور﴾ ﴿صبّار﴾ تكثير صابر، والصابر الذي يصبر عن المعاصي يمدحُ بهذا الاسم وإن أردت أنه صبر على المعصية لم يُستعمل فيه إلاّ صابر عن كذا، قال جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظَنَّهُ..﴾ [٢٠]

فيه أربع أوجه من القراءات: قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وأبو عمرو وابن كثير وابن عامر يروى عن مجاهد ﴿ولقد صَدَقَ﴾ بالتخفيف ﴿عليهم إبليسُ﴾ بالرفع ﴿ظَنَّهُ﴾ بالنصب، وقرأ ابن عباس ويحيى بن وثاب والأعمش وعاصم وحمزة والكسائي ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد، وقرأ أبو الهجهاج ﴿ولقد صَدَّقَ عليهم إبليسَ ظَنُّهُ﴾ بنصب إبليس ورفع ظنه، قال أبو حاتم: لا وجه لهذه القراءة عندي، والله جلّ وعزّ أعلم. قال أبو جعفر: وقد أجاز هذه القراءة الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٦٠] وذكرها أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٢٥١]، وقال: المعنى صدّق ظنُّ إبليسَ إبليسَ بما اتبعوه، والقراءة الرابعة ﴿ولقدْ صَدَقَ عليهم إبليسُ ظَنُّهُ﴾ برفع إبليس وظنه.

والقراءة الأولى ﴿ولقد صَدَقَ عليهم إبليس ظَنَّه﴾ معناها في ظنه، قال أبو إسحاق: هو

وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

منصوب على المصدر، والقراءة الثانية ﴿ولقد صدَّقَ عليهم إبليسُ ظنُّهُ﴾ بنصب ﴿ظنّه﴾ بوقوع الفعل عليه. قال مجاهد: ظنّ ظنّاً فكان كما ظن فصدّق ظنه، وعن ابن عباس إن قال إبليس: خُلق آدم من طين فهو ضعيف وأنا من نار فلأحتَنِكَنَّ ذريّتَهُ إلاّ قليلاً فكان كما قال. وقال الحسن: ما ضربهم بسوط ولا بعصاً، وإنما ظنّ ظنّاً فكان كما ظنّ بوسوسته. ﴿إلاّ فريقاً من المؤمنين﴾ نصب بالاستثناء، وفيه قولان: أحدهما أنه يُراد به بعض المؤمنين فأما ابن عباس فعنه أنه قال: هم المؤمنون كلّهم.

﴿وما كان له عليهمْ مِنْ سُلطان..﴾ [٢١]

﴿من﴾ زائدة للتوكيد. وأهل التفسير يقولون السلطان الحجة ﴿إلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يومنُ بالآخرة﴾ وقد علم الله جلّ وعزّ ذلك غيباً، وهذا علم الشهادة الذي تجب به الحجة، هذا قول أكثر أهل اللغة، وهو عند بعضهم مجاز أي ليكون هذا علمه جارٍ عليه، وقول ثالث، وهو مذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٦٠] يكون المعنى إلاّ لنعلم ذلك عندكم، كما قال: ﴿أينَ شُركائي﴾ أي على قولكم وعندكم.

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله..﴾ [٢٢]

في الكلام حذف، والمعنى: قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهةٌ لكم مِنْ دون الله لينفعوكم أو ليدفعوا عنكم ما قضاه الله جلّ وعزّ عليكم فإنهم لا يملكون ذلك ﴿ولا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهمْ فيهما من شرك وما له منهمْ منْ ظهير﴾ قال الضحاك والسدي أي من مُعين.

﴿ولا تنفعُ الشفاعةُ عندهُ إلاّ لمنْ أذِنَ له..﴾ [٢٣]

أَذِنَ وأُذِنَ بمعنى واحد كما مرّ في ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ﴾ [سبأ: ١٧] و﴿مَنْ﴾ ههنا للشافعين، ويجوز أن تكون للمشفوع لهم، وزعم أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٥٢] أنها للشافعين أشبه بالمعنى، قال: لأنّ بعده ﴿حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهمْ﴾ فيكون هذا للملائكة صلوات الله عليهم. وفي هذا خمس قراءات: قراءة العامة ﴿حتى إذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهِمْ﴾، وعن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد ﴿حتى إذا فَزَّعَ عن قلوبهم﴾ بفتح الفاء والزاي فهاتان القراءتان بمعنى واحد أي فَزَّعَ الله جلّ وعزّ عن قلوبهم أي كشف عنها الفزع أي تعدّاها الفزع، وكذا يقول سيبويه

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

[الكتاب: ٢/٢٠٨] في قول العرب: رَمَيتُ عن القوس أي تعدّى رَمْيي القوس، وقد ذكرنا معناه.

وروى هيثم عن عوف عن الحسن أنه قرأ ﴿حتى إذا فُرِغَ عن قلوبهم﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٦١] بضم الفاء وبراء غير معجمة وبعدها غين معجمة وكذا قرأ أبو مجلز. وروى مطر الورّاق عن الحسن ﴿حتى إذا فَرَّغَ عن قُلُوبِهِم﴾ وهاتان القراءتان يزول معناهما إلى معنى الأوّلين لأن المعنى حتى إذا فُرِّغ عن قلوبهم الفَزَع أي أزيل عن قلوبهم، إلاّ أن مجاهداً قال في تفسير هذه الآية على ما رواه عنه ورقاء عن أبي نجيح: إنها في يوم القيامة، قال: إذا كُشِف الغطاء، وروى أيوب وحميد الطويل عن الحسن ﴿حتى إذا فُرِغَ عن قلوبهم﴾ بضم الفاء وبراء مخففة غير معجمة وبعدها غين معجمة فهذه الروايات عن الحسن مستقيمات الطرق لا مطعنَ في واحد رواها، وكلّها صحاح عنه.

﴿قالوا ماذا قال ربُّكم﴾ ﴿ماذا﴾ في موضع نصب بقال: ويجوز أن يكون ﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء و﴿ذا﴾ في موضع الخبر، ومعناه معنى الذي ﴿قالوا الحقُّ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٦٢] على أن ﴿ماذا﴾ في موضع نصب أي قال الحق، ويجوز رفع ﴿الحق﴾ [معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٦٦٢] على أن في موضع رفع ﴿وهو العليّ الكبير﴾ ابتداء وخبر. و﴿العليّ﴾ الجبار المتعالي، و﴿الكبير﴾ السيّد المقصود.

﴿قلْ مَنْ يرزُقُكُمْ مِنَ السمواتِ والأرض قُل الله..﴾ [٢٤]

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وهي اسم تام لأنها للاستفهام و﴿يرزقكم﴾ في موضع الخبر ويجوز إدغام القاف في الكاف فتنقلب القاف كافاً ﴿وإنّا﴾ والأصل وإنّنا فحُذفتْ النون تخفيفاً ﴿أو إيّاكُم﴾ معطوف على اسم ﴿إنّ﴾ ولو عُطف على الموضع لكان أو أنتم ويكون ﴿لَعَلَى هُدىً﴾ للأوّل لا غير لو قُلتَ: أو أنتم، فإذا قلت: أو إياكم كان للثاني أولى وحذفت من الأول، ويجوز أن يكون للأول وهو اختيار أبي العباس، قال: ومعناه معنى قول المستبصر بصاحبه على صحة الوعيد واستظهار بالحجة الواضحة: أحدنا كاذبٌ وقد عرف المعنى [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٢٥٣]، وكما تقول: أنا أفعلُ كذا وتفعل أنت كذا وأحدُنا مُخطئٌ وقد عُرف أنه هو المخطئ، وهكذا ﴿وإنّا أو إيّاكم لعلى هُدىً أو في ضلال مُبين﴾.

﴿قلْ أروني الذين ألحقتُمْ به شُركاء..﴾ [٢٧]

تكون ﴿أروني﴾ ههنا من رؤية القلب أي عرِّفوني هذه الأصنام والأوثان التي جعلتموها

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

شركاء لله جلّ وعزّ، هل شاركته في خلق شيء فبيّنوا ما هو وإلاّ فلم تعبدونها؟ ويجوز أن يكون من رؤية البصر فيكون **﴿شركاء﴾** حالاً. قال أبو إسحاق [**معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٥٤**]: والمعنى أروني الذين ألحقتموهم به شركاء ثم حذف لأنه في الصلة. قال: ثم قال جلّ وعزّ: **﴿كلاّ﴾** ردع وتنبيه أي ارتدعوا عن هذا القول، وتنبهوا على ضلالكم.

﴿وما أرسلناك إلاّ كافةً..﴾ [٢٨]

نصب على الحال، قال أبو إسحاق [**معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٥٤**]: والمعنى أرسلناك جامعاً للناس لأنه ﷺ أرسل إلى العرب والعجم.

﴿قل لكم ميعادُ يوم لا تستأخرون عنه ساعةً ولا تستقدمون﴾ [٣٠]

وأجاز النحويون **﴿لكم ميعادٌ يومٌ﴾** [**معاني القرآن للفراء: ٢/٣٦٢**] على أنه بدل من ميعاد، وأجازوا **﴿ميعادٌ يوماً لا تستأخرون عنه﴾** على أن يكون ظرفاً وتكون الهاء تعود على يوم، ولا يجوز الإضافة كما تقول: إنّ يوماً زيدٌ فيه أميرٌ عبدُ الله فيه وزيرٌ، بتنوين يوم لا غير، فإن حذفت فيه جاز حذف التنوين ونصبت عبد الله على أنه اسم إنّ، ويجوز **﴿ميعادٌ يومَ لا تستأخرون﴾** بغير تنوين في يوم على أن يكون الهاء التي في **﴿عنه﴾** تعود على ميعاد لا على يوم.

﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه..﴾ [٣١]

قال سعيد عن قتادة: **﴿ولا بالذي بين يديه﴾** من الكتب والأنبياء عليهم السلام. **﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾** **﴿الظالمون﴾** بالابتداء مرفوعون، و**﴿موقوفون﴾** خبره، والجملة في موضع خفض بالإضافة، ولا يجوز أن تنصب **﴿موقوفون﴾** على الحال؛ لأن إذ ظرف زمان فلا تكون خبراً عن الجثث، وجواب **﴿لو﴾** محذوف لعلم السامع **﴿يرجعُ بعضهمْ إلى بعض القول﴾** أي يجاوبه، واللغة الفصيحة هذه يقال: رجعتُ زيداً. **﴿يقول الذين استُضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكُنّا مؤمنين﴾** هذه اللغة الفصيحة ومن العرب من يقول: لولاكُم، حكاها سيبويه [**الكتاب: ١/٣٨٨**] ويكون **﴿لولا﴾** تخفض المضمر وترفع المظهر بعدها بالابتداء وتحذف خبره، ومحمد بن زيد يقول: لا يجوز **﴿لولاكم﴾** لأن المضمر عَقِبَ المُظهر، فلمّا كان المظهر مرفوعاً بإجماع وجب أن يكون المضمر أيضاً مرفوعاً.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

﴿.. بل كنتم مجرمين﴾ [٣٢]

أي أنتم اخترتم الكفر ولم يكن لنا عليكم سبيل إلا أن دعوناكم فاستجبتم لنا.

﴿.. بل مكرُ الليل والنهار..﴾ [٣٣]

قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/٦٦٣]: أي هذا مكر الليل والنهار. قال أبو جعفر: والمعنى والله جلّ وعزّ أعلم: مكركم في الليل والنهار أي مشارتكم إيانا ودعاؤكم لنا إلى الكفر الذي حملنا على هذا. قال محمد بن يزيد: أي بل مكركم الليل والنهار كما تقول العرب: نهارُهُ صائمٌ، وليلُهُ قائمٌ، وأنشد: [الطويل]

لقد لُمتِنا يا أمّ غَيلانَ في السُّرَى ونِمْتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائمِ

[ديوان جرير: ٥٥٤]

وأنشد سيبويه: [الرجز]

فنامَ ليلي وتجلّى همّي

[رؤبة بن العجاج ديوانه: ١٤٢]

أي نمت فيه، وروى جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير **﴿بل مكرُ الليل والنهار﴾** قال: مرُّ الليل والنهار عليهم فغفلوا، وقرأ راشد **﴿بل مكرَ الليلِ والنهارِ﴾** بالنصب كما يقال: رأيتُهُ مَقْدَم الحاجّ، وإنما يجوز هذا فيما يُعرف، ولو قلت: رأيتُهُ مَقْدمَ زيد لم يجز **﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾** قال: ويقال: نديدٌ، وأنشد: [الوافر]

أتيماً تجعلون إليّ نِدّاً وما تيمٌ لذي حَسَبٍ نديدِ

[القرطبي في «تفسيره»: ٨/ ٣٤٠]

﴿وأسروا النّدامة لما رأوا العذاب﴾ في معناه قولان: أحدهما أن معنى أسروا أظهروا وأنه من الأضداد، كما قال: [الطويل]

تجاوزتُ أحراساً إليها ومعشراً عليّ حراصاً لو يُسِرُّونَ مقتلي

[ديوان امرىء القيس: ١٣]

وقد روي يُشِرُّونَ. وقيل: وأسرّوا الندامة تبيّنت الندامة في أسرار وجوههم. وقيل: الندامة لا تظهر، وإنّما تكون في القلب، وإنّما يظهر ما يتولّد عنها.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾

﴿. . إلاّ قالَ مُترفوها . . ﴾ [٣٤]

قال سعيد عن قتادة: مترفوها جبابرتها ورؤوسها وقادة الشر [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٥٥].

﴿قُلْ إنّ ربي يبسطُ الرزقَ لمن يشاءُ ويقدرُ ولكنّ أكثرَ الناس لا يعلمون﴾ [٣٦]

أحسن ما قيل في هذا قاله الحسن، قال: يَخيرُ له والمعنى على قوله **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** أن الله جلّ وعزّ إنّما يبسط الرزق لمن يشاء، ويَقْدِرُ على المحنة ويفعل بهم الذي هو خير لهم.

﴿وما أموالُكُم ولا أولادُكُم بالتي تُقرّبُكُم عندنا زُلْفى. . ﴾ [٣٧]

قال الأخفش: أي إزلافاً، وهو اسم المصدر وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٦٣] أن **﴿التي﴾** تكون للأموال والأولاد جميعاً، وله قول آخر، وهو مذهب أبي إسحاق، يكون المعنى: وما أموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى، ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم حذف، وأنشد الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٦٣]: [الخفيف]

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ ـدك راض والرأيُ مختلفُ

وأنشد: [الكامل]

إنّي ضَمِنْتُ بما أتاني ما جنى وأبي وكان وكنتُ غيرَ غَدُورِ

ويجوز في غير القرآن باللتين وباللاتي وباللواتي وباللذين للأولاد خاصة. **﴿إلاّ مَنْ آمنَ﴾** في موضع نصب بالاستثناء، وزعم أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٥٥] أنه في موضع نصب على البدل من الكاف والميم التي في **﴿تقربكم﴾** وهذا القول كأنه غلط لأن الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل، ولو جاز هذا لجاز: رأيتُكَ زيداً، وقول أبي إسحاق هذا هو قول الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٦٣] إلاّ أن الفرّاء لا يقول بدل لأنه ليس من لفظ الكوفيين ولكن قوله يؤول إلى ذلك وزعم أن مثله **﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** [الشعراء: ٨٩] يكون منصوباً عنده بـ **﴿ينفع﴾** وأجاز الفرّاء أن يكون **﴿مَنْ﴾** في قوله جلّ وعزّ: **﴿بالتي تقربكم عندنا زُلْفى إلاّ مَنْ آمن﴾** في موضع رفع بمعنى: ما هو إلاّ من آمن كذا قال، ولست أحصّل معناه. **﴿فأولئك لهم جزاءُ الضِّعفِ بما عملوا﴾** وأجاز النحويون **﴿أولئك لهم جزاءً الضِّعفُ﴾** يكون بدلاً من جزاء أو على إضمار مبتدأ، وأجازوا **﴿أولئك لهم جزاءُ الضِّعفَ﴾** بمعنى أولئك لهم أن نجزيهم الضعفَ،

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ
وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا
ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا
هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ
﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ
إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

وأجازوا ﴿**أولئك لهم جزاءُ الضعفُ**﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٦٤]، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٥٥، ٢٥٦]: والمعنى أولئك لهم الضعفُ جزاءً أي في حال مجازاتهم.

﴿**وهم في الغُرُفاتِ آمِنُون**﴾ وعن الحسن ﴿**في الغُرْفاتِ**﴾ بإسكان الراء، وعن الأعمش وحمزة ﴿**في الغُرفَةِ**﴾. قال أبو جعفر: ﴿**الغُرُفاتِ**﴾ جمع غُرْفَة على جمع التسليم إلاّ أن الراء ضمت فرقاً بين الاسم والنعت، ومن قال: غُرْفات حذف الضمة لثقلها، ومن قال: غُرَفَات أبدل من الضمة فتحةً لأنها أخف، ويجوز أن يكون ﴿**غُرَفَاتٌ**﴾ جمع غُرَف ومن قرأ ﴿**الغُرفَة**﴾ أتى بواحدة على جماعة، والجمع أشبه لأن الإخبار عن جمع.

﴿**.. وما أنفقتم مِنْ شيءٍ فهو يُخلفُهُ..**﴾ [٣٩]

وهذا فيما أُنفق في طاعة الله جلّ وعزّ فهو مُخلَفٌ لا محالة إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة.

﴿**وهو خيرُ الرازقين**﴾ أي يرزق العباد.

﴿**ويوم يحشُرهُمْ جميعاً..**﴾ [٤٠]

على الحال ﴿**ثمَّ يقولُ للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعْبُدُون**﴾ قال سعيد عن قتادة هذا استفهام مثل قوله جلّ وعزّ لعيسى عليه السلام: ﴿**ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ**﴾ [المائدة: ١١٦]. قال أبو جعفر: والمعنى أن الملائكة صلوات الله عليهم إذا أكذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم.

﴿**قالوا سبحانك أنت وليُنا مِنْ دونهِمْ..**﴾ [٤١]

أي أنت المتوليّ لنا دونهمْ ﴿**بلْ كانوا يعبُدُون الجنّ**﴾ أي يطيعونهم ﴿**أكثرهمْ بهم مؤمنون**﴾ بقبولهم منهم، وهو مجاز.

﴿**قلْ إنما أعظكم بواحدة..**﴾ [٤٦]

شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن
ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا
فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾

قال سفيان عن ليث عن مجاهد: ﴿بواحدة﴾ قال: لا إله إلاّ الله، وقال غيره: تقديره بخصلة واحدة ثم بيّنها بقوله جلّ وعزّ: ﴿أنْ تقوموا لله مثنى وفُرادى﴾ وتكون ﴿أنْ﴾ في موضع خفض على البدل من واحدة أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ، ومذهب أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٦/٤، ٢٥٧] أنها في موضع نصب بمعنى لأنْ تقوموا ﴿مثنى وفرادى﴾ على الحال وهو لا ينصرف لعلّتين قد ذكرناهما، ﴿ثم تتفكروا﴾ معطوف على تقوموا.

﴿قل إنّ ربي يقذِفُ بالحق علاّمُ الغُيوبِ..﴾ [٤٨]

وقرأ عيسى بن عمر ﴿علاّمَ الغُيُوب﴾ على أنه بدل أي قل إنّ ربي علاّم الغيوب يقذفُ بالحق. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٧/٤]: والرفع من جهتين: على الموضع لأن الموضع رفع على البدل مما في ﴿يقذف﴾. قال أبو جعفر: وفي الرفع وجهان آخران: يكون خبراً بعد خبر، ويكون على إضمار مبتدأ، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣٦٤/٢] أن الرفع في مثل هذا أكثر في كلام العرب إذا أتى بعد خبر ﴿إنّ﴾ ومثله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤].

﴿قل جاء الحقُّ..﴾ [٤٩]

قال سعيد عن قتادة قال: القرآن، قال أبو جعفر: والتقدير جاء صاحب الحق أي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج الحق. ﴿وما يُبدئُ الباطلُ﴾ قال سعيد عن قتادة، قال: الباطل إبليس، والتقدير في العربية: صاحب الباطل، وقال الضحّاك: الباطل: الآلهة، وقال: وما يُبدئ وما يُعيدُ أي ما يحيي وما يميت، وقال قتادة: ﴿ما يُبدئُ وما يُعيدُ﴾ ما يخلق وما يبعث، وقال غيره: ﴿ما يبدىء الباطل﴾ أي ما يبتدي بحجة و﴿ما يعيد﴾ ما يحكي عن غيره حجةً ﴿ما﴾ الأولى في موضع نصب بيبدئ، و﴿ما﴾ الثانية في موضع نصب بـ ﴿يعيد﴾. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٨/٤]: والأجود أن تكون ﴿ما﴾ نافية.

﴿قل إن ضللتُ فإنما أضِلُّ على نفسي..﴾ [٥٠]

شرط وجوابه، وكذا ﴿وإن اهتديتُ فبما يُوحي إليّ ربي﴾ فإنْ جعلت ﴿ما﴾ بمعنى الذي كانت الهاء محذوفة، وإن جعلتها مصدراً لم يحتج إلى عائد ﴿إنه سميعٌ قريبٌ﴾ أي يسمع ممن دعاه قريب الإجابة له.

﴿ولو ترى إذْ فَزِعوا فلا فَوْتَ..﴾ [٥١]

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ۝٥٤﴾

حذف جواب ﴿لو﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٨/٤]: المعنى: «ولو ترى إذ فزعوا لرأيت ما يُعتبر به عبرةً شديدةً أي فلا فوت لهم أي فلا يُمكنهم الفوت».

﴿. . وأنّى لهمُ التناوُشُ. .﴾ [٥٢]

وقرأ أبو عمرو والكسائي والأعمش وحمزة ﴿. . وأنّى لهمُ التناؤشُ﴾ بالهمز وأبو عبيد يستبعد هذه القراءة، لأن ﴿التناؤش﴾ البُعْدُ فيكون: فكيف يكون وأنّى لهم البعد من مكان بعيد. قال أبو جعفر: والقراءة جائزةٌ حسنةٌ ولها وجهان في كلام العرب ولا يُتناول بها هذا المُتناول البعيد: فأحد الوجهين أن يكون الأصل غير مهموز ثم هُمزت الواو لأن الحركة فيها خفيفة، وذلك كثير في كلام العرب، وفي المصحف الذي نقلته الجماعة عن الجماعة ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١] والأصل «وُقِّتَتْ» لأنه مشتق من الوقت. ويقال في جمع دار: أدؤرٌ. والوجه الآخر قد ذكره أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٨/٤، ٢٥٩]: قال: يكون مشتقاً من «النَّئِيش» وهو الحركة في إبطاء أي من أين لهم الحركة فيما قد بَعُدَ وقد كفروا به من قبل؟

﴿. . ويقذِفون بالغيب من مكان بعيد. .﴾ [٥٣]

والعرب تقول لكل من يتكلم بما لا يحقّه: هو يقذف ويرجم بالغيب [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٦٥] ﴿من مكان بعيد﴾ على التمثيل بمن يرجم ولا يصيب برجمه، ومن قرأ ﴿ويُقذَفُونَ﴾ فمعناه عنده يُقذَفُ به إليهم مَنْ يغويهم ويُضِلُّهم.

﴿وَحِيلَ بينهمْ وبين ما يشتهون. .﴾ [٥٤]

قيل: حيلَ بينهمْ وبين النجاة من العذاب، وقيل: حيلَ بينهمْ وبين ما يشتهونه في الدنيا من أموالهم وأهليهم، ومذهب قتادة أن المعنى أنهم كانوا يشتهون أن يقبل منهم أن يطيعوا الله جلّ وعزّ وينتهوا إلى ما يأمرهم به، فحيلَ بينهمْ وبين ذلك، لأن ذلك إنما كان في الدنيا، وقد زالت في ذلك الوقت، والأصل في حيل «حُول» فقُلبتْ حركة الواو على الحاء فانقلبت ياءً فحُذفتْ حركتها لثقلها. ﴿إنهمْ كانوا في شكٍّ﴾ أي في الدين والتوحيد ﴿مريب﴾ أي يُسْتَرابُ به.

٣٥ ـ سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣)﴾

شرحُ إعرابِ سُورةِ فَاطِر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمدُ لله فاطر السموات والأرض..﴾ [١]

فيه ثلاثة أوجه: الخفض على النعت، والرفع على إضمار مبتدأ، أو النصب على المدح، وحكى سيبويه [الكتاب: ١/٢٤٨]: الحمد لله أهلَ الحمد مثلَهُ، وكذا **﴿جاعلِ الملائكة رُسُلاً﴾** ولا يجوز فيه التنوين لأنه لما مضى. **﴿رُسُلاً﴾** مفعول ثان، ويقال: على إضمار فاعل لأن **﴿فاعلاً﴾** إذا كان لما مضى مضافاً لم يعمل شيئاً. **﴿أُولي أجنحة﴾** نعت، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٦١]: أي أصحاب أجنحة **﴿مثنى وثُلاث ورُباع﴾** لم ينصرف لأن فيها علّتين: إحداهما أنها معدولة فهذا اتّفاق، واختلف في الثانية لأن النحويين القدماء لم يذكروها، قال أبو إسحاق: العلّة الثانية أنه عُدل في حال نكرة وقال غيره: العلة الثانية أنه صفة، وقول ثالث أنه معدول عن اثنين اثنين فهذه علة ثانية.

﴿ما يفتحِ الله للناس من رحمة فلا مُمسِكَ لها..﴾ [٢]

وأجاز النحويون [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٦٦] في غير القرآن: فلا مُمسِكَ لهُ، على لفظ **﴿ما﴾** **﴿ولها﴾** على المعنى وأجازوا: **﴿وما يُمسِكُ فلا مُرسِلَ لها﴾** على معنى **﴿ما﴾**، وأجازوا: فلا ممسكٌ لها، يكون بمعنى ليس، وكذا **﴿فلا مرسلٌ له﴾** وأجازوا **﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾** تكون **﴿ما﴾** بمعنى الذي.

﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هلْ من خالق غيرُ الله..﴾ [٣]

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾

هذه قراءة شيبة ونافع وأبي عمرو وعاصم، وقرأ شقيقُ بن سلمة ويزيد بن القعقاع ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي ﴿هل منْ خالقٍ غيرِ الله﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣٦٦/٢] ويجوز نصب غير على الاستثناء، والرفع من جهتين: إحداهما بمعنى: هل من خالق إلاّ الله، بمعنى ما خالق إلاّ الله، والوجه الثاني أن يكون نعتاً على الموضع، لأن المعنى هو خالقٌ غيرُ الله، والخفض على اللفظ، وقال حماد بن سلمة: حدثنا حميد الطويل قال: قلت للحسن: مَنْ خلق الشر؟ فقال: سبحان الله، هل من خالق غير الله جلّ وعزّ، الله خلق الخير والشر.

﴿وإن يكذّبوك فقد كُذِّبتْ رسُلٌ من قبلك..﴾ [٤]

تأسِّياً له ﷺ ﴿وإلى الله تُرجعُ الأمور﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٦٣/٤]: أي الأمور مرجعها إلى الله جلّ وعزّ فيجازي من كذّب وينصر من كُذِّب من رُسُلِهِ.

﴿يا أيها الناس إنّ وعدَ الله حقٌّ فلا تغُرّنّكُمُ الحياةُ الدنيا..﴾ [٥]

قال سعيد بن جبير: غرور الحياة الدنيا أن يُشغل الإنسان بنعيمها وفتنتها عن عمل الآخرة حتى ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]. **﴿ولا يغُرّنّكُمْ بالله الغَرور﴾**. وقال شعبة عن سماك **﴿ولا يغرنكم بالله الغُرُورُ﴾** بضم الغين. وفيه ثلاثة أقوال: منها أن يكون جمع غارٍّ، كما تقول جالسٌ وجلوسٌ، وهذا أحسن ما قيل فيه، ويكون معناه كمعنى **﴿الغَرُور﴾**، قال أبو حاتم: الغُرُورُ جمع غَر. وغَرّ مصدر، والقول الثالث يكون الغُرُور مصدراً، وهذا بعيد عند أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٦٣/٤، ٢٦٤] لأن غررته مُتعدٍّ، والمصدر من المتعدي إنما هو على فَعْل نحو ضربتهُ ضرباً إلاّ أشياء يسيرة سُمعتْ لا يقاس عليها قالوا: لزمتُهُ لُزُماً، ونهكه المرض نُهوكاً. فأمّا معنى هذا الحرف فأحسن ما قيل فيه ما قاله سعيد بن جبير، قال: الغُرُورُ بالله جلّ وعزّ أن يكون الإنسان يعمل المعاصي ثم يتمنى على الله جلّ وعزّ المغفرة.

﴿إنّ الشيطان لكمْ عدوٌّ..﴾ [٦]

ويكون عدوّ بمعنى مُعاد فيُثنّى ويُجمع ويُؤنث، ويكون بمعنى النسب فيكون موحّداً بكل حال كما قال جلّ وعزّ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧] وفي المؤنث على هذا عدوّ أيضاً، فأمّا قول بعض النحويين: إن الواو خفيفة فجاؤوا بالهاء فخطأ بل الواو حرفٌ جَلْدٌ. **﴿فاتخذوهُ عدوّاً﴾** مفعولان. **﴿إنما يدعو حزبه﴾** كفّتْ **﴿ما﴾** **﴿إنّ﴾** عن العمل فوقع بعدها الفعل **﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾**.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾

﴿الذين كفروا﴾ [٧]

يكون بدلاً من ﴿أصحاب﴾ ويكون في موضع خفض، ويكون بدلاً من حزبه فيكون في موضع نصب، أو يكون بدلاً من الواو فيكون في موضع رفع، وقول رابع، وهو أحسنها، يكون في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره ﴿لهمْ عذابٌ شديدٌ﴾، فأمّا ﴿والذين آمنوا﴾ ففي موضع رفع بالابتداء وخبره ﴿لهمْ مغفرةٌ وأجرٌ كبير﴾.

﴿أفمَنْ زُيِّنَ له سوءُ عمله..﴾ [٨]

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وخبره محذوف لما دلّ عليه، قال الكسائي: والذي دلّ عليه فلا ﴿تذهبْ نفسُك عليهم حسرات﴾ والمعنى: أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً ذهبت نفسك عليهم حسرات، قال: وهذا كلام عربي حسن ظريف لا يعرفه إلاّ قليل. والذي قاله الكسائي أحسن ما قيل في الآية لما ذكره فمن الدلالة على المحذوف، والمعنى أن الله جلّ وعزّ نهى النبي ﷺ عن شدّة الاغتمام بهم والحزن عليهم كما قال جلّ وعزّ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الشعراء: ٣] قال أهل التفسير: أي: قاتلٌ نفسك، وقرئ على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل ابن إسحاق قال: حدّثنا نصر بن علي قال: سألت الأصمعي عن قول النبي ﷺ في أهل اليمن: «هم أرقُّ قلوباً وأبخعُ طاعةً» [حم: ٢/ ٤٧٤] ما معنى أبخع طاعة؟ قال: أنصح طاعة، قال: فقلت له: إنّ أهل التفسير مجاهداً وغيره يقولون في قول الله جلّ وعزّ ﴿لعلك باخعٌ نفسك﴾ معناه: قاتل نفسك فقال: هو من ذلك بعينه كأنه من شدّة النصح لهم قاتل نفسه، وقراءة أبي جعفر ﴿فلا تُذْهِبْ نَفْسَكَ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٦٧] والمعنيان متقاربان و﴿حسرات﴾ منصوب على أنه مفعول من أجله أو مصدر.

﴿.. وبلَد ميّت..﴾ [٩]

وميّت واحد، وكذا مَيْتَةٌ وميّتةٌ واحد. هذا قول الحذّاق من النحويين، وقال محمد بن يزيد: هذا قول البصريين ولم يستثنِ أحداً واستدل على ذلك بدلائل قاطعة من كلام العرب وأنشد: [الخفيف]

ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ إنما المَيْتُ ميّتُ الأحياءِ
إنما المَيْتُ من يعيش كئيباً كاسفاً بالُه قليلَ الرّجاءِ

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ

ويروى «قليل الرّجاء» قال: فهل ترى بين ميت وميّت من فرق؟ وأنشد: [البسيط]

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيسارٌ بنو يَسَرٍ سُوّاسُ مَكْرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ

قال: قد أجمعوا على أن قوله: هَيْنُونَ وهَيِّنُونَ واحد، فكذا مَيْتٌ وميّتٌ وسَيْدٌ وسيّدٌ، قال: وزعم سيبويه أن قولهم كان كَيْنُونَةً وصار صَيْرُورةً الأصل فيه كَيِّنونة وصَيِّرورة، وكذا قَيْدودة، وردّ محمد بن يزيد على الكوفيين قولهم: إنه فَعْلُولٌ من جهتين: إحداهما لأنه ليس في كلام العرب فَعْلُولٌ، والثانية أنه لو كان كما قالوا لكان بالواو. قال أبو جعفر: وهذا كلام بيّنٌ حسنٌ في كينونة لأنها من الكون وفي القيدودة لأنها من الأقود. ﴿كذلك النشور﴾ أي كذلك تَحيَوْنَ بعد ما مِتّم، من نَشَرَ الإنسان نُشُوراً إذا حَيِيَ وأنشره الله جلّ وعزّ.

﴿من كان يُريدُ العزة..﴾ [١٠]

التقدير عند الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٦٧]: مَن كان يريد علم العزّة، وكذا قال غيره من أهل العلم مَنْ كان يريد عِلْمَ العزّة التي لا ذلّة معها؛ لأن العزة إذا كانت تؤدي إلى ذلّة فإنها هي تعرّضٌ للذلة، والعزّة التي لا ذلة معها لله جلّ وعزّ ﴿جميعاً﴾ على الحال. وقدّر أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٦٤] معناه: من كان يريد بعبادة الله جلّ وعزّ العزة به فإنّ الله يعزّه في الآخرة والدنيا. ﴿إليه يصعدُ الكلمُ الطّيّبُ﴾ تم الكلام، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ﴿إليه يصعدُ الكلامُ﴾ والكَلِمُ جمعُ كَلِمَة، وأهل التفسير ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وشهر بن حَوْشَب وغيرهم قالوا: والمعنى: العمل الصالح يرفع الكَلِمَ الطيب، وهذا ردّ على المرجئة.

﴿والعملُ الصالحُ﴾ رفع بالابتداء أو على إضمار فعل، فأما أن يكون مرفوعاً بمعنى ويرفعه العمل الصالح فخطأ؛ لأنّ الفاعل إذا كان قبل الفعل لم يرتفع بالفعل [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٦٥]، هذا قول جميع النحويين إلاّ شيئاً حكاه لنا علي بن سليمان عن أحمد بن يحيى أنه أجاز: زيدٌ قامَ بمعنى قام زيدٌ. قال أبو جعفر: ويبيّن لك فساد هذا قول العرب: الزيدان قاما، ولو كان كما قال لقيل: الزيدان قام. ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ بمعنى والذين يعملون السيئات فتكون السيئات مفعولة، ويجوز أن يكون التقدير: والذين يسيئون فيكون السيئات مصدراً. ﴿لهمْ عذابٌ شديدٌ﴾ خبر ﴿الذين﴾ ﴿ومكرُ أولئك﴾ مبتدأ، وهو ابتداء ثان و﴿يبور﴾ خبر الثاني، ويجوز أن يكون خبراً عن الأول، ويكون هذا زائدة. وتقول: بارَ يبورُ إذا هلك ومنه بارتِ السوق، ـ ونعوذ بالله جلّ وعزّ ـ بَوَار الأيّم.

﴿والله خلقكم من تراب..﴾ [١١]

أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

قال سعيد عن قتادة قال: يعني آدم عليه السلام والتقدير على هذا خلق أصلكم من تراب ﴿ثمّ من نُطفةٍ﴾ قال: أي التي أخرجها من ظهور آبائكم. ﴿ثم جعلكمْ أزواجاً﴾ قال: أي زوّج بعضكم بعضاً. ﴿وما يُعَمَّرُ من مُعَمَّر ولا يُنقَصُ من عُمُرِهِ إلاّ في كتاب﴾. حدّثنا علي بن الحسين عن الحسن بن حمد قال: حدّثنا ابن عوانة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: وما يُعَمَّرُ من مُعَمَّر إلاّ كُتِبَ عمره كم هو سنةً؟ كم هو شهراً؟ كم هو يوماً؟ وكم هو ساعةً؟ ثم يُكتبُ عند عمره نقصَ كذا، نقص كذا حتى يوافق النقصان العمر، ومذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٦٨] في معنى ﴿وما يعُمرُ من مُعَمَّر﴾ أي ما يطوّل من عمره وما يُنقَصُ من عمره يعني آخر أي ولا ينقص الآخر من عمر [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٦٨] ذاك. ﴿إلاّ في كتاب إنّ ذلك على الله يسير﴾ والفعل منه يَسُرَ ولو سمّيتَ به إنساناً انصرف لأنه فَعِيلٌ.

﴿وما يستوي البحران هذا عذبٌ فراتٌ..﴾ [١٢]

روى ابن عباس قال: فراتٌ: حلوٌ، وأجاجٌ: مالح مرّ، وقرأ طلحة ﴿وهذا مِلَحٌ أُجاجٌ﴾ بفتح الميم وكسر اللام بغير ألف، وأما المالح فهو الذي يجعل الملح لإصلاح الشيء. ﴿ومِنْ كُلٍّ تأكلون لحماً طريّاً﴾ لا اختلاف في هذا أنه منهما جميعاً. ﴿وتستخرجون حِلْيَةً تلبسونها﴾ مذهب أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٦٦] أن الحلية إنما تُستخرج من الملح فقيل: منهما لأنهما مختلطان، وقال غيره: إنما تُستخرج الأصداف التي فيها الحلية من الدّر وغيره، ومن المواضع التي فيها العذب والملح نحو العيون، وقال محمد بن يزيد قولاً ثالثاً هو أحسنها قال: إنما تستخرج الحلية من الملح خاصة، وليس هذا عنده لأنهما مختلطان ولكن جمعا ثم خبّر عن أحدهما كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] وكما تقول: لو رأيتَ الحسن والحجاج لرأيت خيراً وشراً، وكما تقول: لو رأيتَ الأصمعي وسيبويه لملأتَ يَدكَ لغة ونحواً، فقد عُرِفَ معنى هذا، وهو كلام فصيح كثير فكذا ﴿ومن كلٍّ تأكلون لحماً طريّاً وتستخرجون حليةً تلبسونها﴾ فاجتمع في الأول وانفرد الملح بالثاني فصارا مجتمعين في كل هذا. قال: ﴿وترى الفُلْكَ فيه مواخرَ﴾ أي في الملح خاصة، ولولا ذلك لقال: فيهما، [ويقال]: مَخَرَتِ السفينة تَمخُرُ وتمخر إذا شقّتِ الماء، كما قال طرفة: [الطويل]

يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حَيْزُومُها بها ... كما قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلُ باليدِ

[ديوان طرفة بن العبد: ٧]

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ
لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ
شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ
لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

وقيل: الأجل المسمّى ههنا القيامة لأنها عند الله جلّ وعزّ مسمّاة لوقت معلوم.

﴿. والذين تدعون من دونه ما يملكون من قِطْمِير﴾ [١٣]

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: القطمير جِلْدُ النواة.

﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دُعاءَكُم. .﴾ [١٤]

شرط ومجازاة **﴿ولو سَمِعُوا ما استجابوا لكم﴾** فيه معنى الأول وإن كانت لولا يجازى بها، قال قتادة **﴿ما استجابوا لكم﴾** ما تبعوكم ولا تبلوا منكم. **﴿ويومَ القيامة يكفرون بشرككم﴾** قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٦٧]: أي يقولون: ما كانوا إيانا يعبدون **﴿ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خبير﴾** قال قتادة: الله جلّ وعزّ أخبر أنه يكون هذا منكم يوم القيامة.

﴿يا أيها الناس أنتمُ الفقراءُ إلى الله. .﴾ [١٥]

بتخفيف الهمزة الثانية أجود الوجوه عند الخليل رحمه الله، ويجوز تخفيف الأولى وحذفها وتخفيفهما جميعاً وتحقيقهما جميعاً. **﴿والله هو الغني الحميد﴾** تكون **﴿هو﴾** زائدة فلا يكون لها موضع من الاعراب، وتكون مبتدأة فيكون موضعها رفعاً.

﴿إن يشأ يُذهِبكُم. .﴾ [١٦]

شرط ومجازاة وفيه حذف تستعمله العرب كثيراً، والتقدير: إن يشأ أن يذهبكم يذهبكم وحُذفت مِنْ **﴿يشأ﴾** الضمة التي كانت على الهمزة فلما سُكِّنَتْ حُذفت الألف التي قبلها **﴿ويأتِ﴾** معطوف على يذهبكم.

﴿ولا تزرُ. .﴾ [١٨]

مقطوع مما قبله والأصل تَوْزِرُ حُذفت الواو إتباعاً ليزر. **﴿وازرةٌ﴾** نعت لمحذوف أي نفس وازرة، وكذا **﴿وإنْ تدعُ مثقلةٌ﴾** قال الفراء [معاني القرآن: ٢/٣٦٨]: أي نفس مثقلة أو دابة قال: وهذا يقع للمذكر والمؤنث، قال الأخفش: أي وإن تدعُ مُثقلةٌ إنساناً **﴿إلى حِملِها﴾** والحِمْلُ ما

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾

كان على الظهر، وحَمْلُ المرأة وحَمْلُ النخلة حكاهما الكسائي بالفتح لا غير، وحكى ابن السكّيت: إنّ حَمْلَ النخلة يفتَحُ ويُكسَرُ.

﴿ولو كان ذا قُربى﴾ التقدير على قول الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٦٤، ٦٦٥]: ولو كان الإنسان المدعو ذا قربى، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٦٨]: ﴿ولو كان ذو قربى﴾، قال أبو جعفر: وهذا جائز عند سيبويه [الكتاب: ١/ ١٣١]، ومثله ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] وتكون ﴿كان﴾ بمعنى وقع أو يكون الخبر محذوفاً أي وإن كان فيمن تطلبون ذو عسرة، وحكى سيبويه: الناس مجزيُّون بأعمالهم إنْ خيرٌ فخيرٌ، على هذا، وإنْ خيراً فخيراً، على الأول.

وروى الحكم بن أبان عن عكرمة أنه قال: بلغني أن اليهودي والنصراني يرى الرجل المسلم يوم القيامة فيقول له: ألَمْ أكنْ قد أسديتُ إليك يداً؟ ألمْ أكنْ قد أحسنتُ إليك؟ فيقول: بلى فيقول: انفعْني، فلا يزال المسلم يُنقِص من عذابه، وأن الرجل ليأتي إلى أبيه يوم القيامة فيقول: ألم أكن بك بارّاً وعليك مشفقاً وإليك محسناً؟ وأنت ترى ما أنا فيه فهب لي حسنة من حسناتك أو تحمّلْ عني سيئة فيقول: إنّ الذي سألتني يسير ولكني أخاف مثل ما تخافُ، وإنّ الأب ليقول لابنه مثل ذلك فيردّ عليه نحواً من هذا، وإنّ الرجل ليقول لزوجته: ألم أكن حَسَنَ العشرة لكِ فتحمّلي عني خطيئةً لعلّي أنجو فتقول: إنّ ذلك ليسير ولكنّي أخاف مما تخاف منه، ثم تلا عكرمة ﴿وإن تدعُ مُثقَلَة إلى حِمْلِها لا يُحملُ منه شيءٌ ولو كان ذا قُرْبى﴾. ﴿إنّما تنذر الذين يخشون ربّهم﴾ وهو ينذر الخلق كلهم فخصّ الذين يخشون ربهمْ لأنهم الذين ينتفعون بالنذارة.

﴿وما يستوي الأعمى والبصيرُ..﴾ [١٩]

رُوي عن ابن عباس قال: المؤمن والكافر.

﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ [٢٠]

قال: و﴿الظلمات﴾ الضلالة و﴿النور﴾ الهدى.

﴿ولا الظلّ ولا الحرور﴾ [٢١]

و﴿الظّلّ﴾ الجنة و﴿الحَرُورَ﴾ النار. قال الأخفش سعيد [معاني القرآن: ٢/ ٦٦٥]: ﴿لا﴾ زائدة والمعنى: ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور. وقيل: الحَرُورُ لا يكون إلاّ بالليل، والسموم يكون بالنهار. وقيل: الحَرُورُ يكون فيهما، وهذا أصح القولين؛ لأن الحرور فَعُولٌ من الحَرّ، وفيه معنى التكثير أي الحر المؤذي.

وقرأ الحسن ﴿وما أنتَ بِمُسمع مَن في القُبُورِ﴾ بحذف التنوين تخفيفاً أي هم بمنزلة أهل القبور في أنهم لا ينتفعون بما يسمعونه ولا يقبلونه.

وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

﴿.. بالبيّنات وبالزُّبُر..﴾ [٢٥]

وفي موضع آخر ﴿وَالزُّبُرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] بغير باء والمعنى واحد، غير أن الكثير في كلام العرب بغير باء وما بعده بالباء أيضاً فتكون الباء إذا دخلت توكيداً أو عطف جملة وحُذف الفعل لدلالة الأوّل عليه.

﴿ألم تر أن الله أنزلَ من السماءِ ماءً فأخرجنا به ثمرات مُختلفاً ألوانُها..﴾ [٢٧]

نصبتَ ﴿مختلفاً﴾ لأنه نعت لثمرات و﴿ألوانها﴾ مرفوع بمُختلف، وصلح أن يكون نعتاً لثمرات لما عاد عليه من ذكره، ويجوز رفعه في غير القرآن، ومثله: رأيتُ رجلاً خارجاً أبوه ﴿ومِنَ الجبالِ جُدَدٌ﴾ جمع جُدّة. قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٦٥]: ولو كان جمع جديد لقيل جُدُدٌ مثل رَغيف ورُغُف. ﴿بيضٌ وحُمْرٌ مُختلفٌ ألوانُها﴾ رَفَع ﴿مختلف﴾ ههنا ونَصب ثم لأن ما قبله ههنا مرفوع فهو نعت له، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء والخبر.

﴿ومن الناس والدّوابّ والأنعام مختلفٌ ألوانُهُ كذلك..﴾ [٢٨]

فقيل: ههنا ﴿ألوانه﴾ وثَمّ ﴿ألوانُها﴾ لأن تقديره وخَلْقٌ مُختلفٌ ألوانُهُ، ومختلفٌ نعتٌ أُقيم مقامَ المنعوت، والكاف في موضع نعت لأنها نعت لمصدر محذوف. ﴿إنما يخشى اللهَ مِنْ عبادِهِ العلماءُ﴾ قال مجاهد: إنما العالم من يخشى الله جلّ وعزّ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كفى بخشية الله جلّ وعزّ علماً وبالاغترار به جهلاً.

﴿إنّ الذين يتلون كتاب الله..﴾ [٢٩]

قال أحمد بن يحيى: خبر ﴿إنّ﴾ ﴿يرجون تجارةً لن تبور﴾.

﴿ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا منْ عبادنا..﴾ [٣٢]

جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾

هذه الآية مشكلةٌ لأنه قال جلّ وعزّ: ﴿**اصطفينا من عبادنا**﴾ ثم قال جلّ وعزّ: ﴿**فمنهمْ ظالمٌ لنفسه**﴾ وقد كنا ذكرناها إلاّ أنا نُبَيِّنُهَا ههنا بغاية البيان، وقد تكلّم جماعة من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم، فمن أصح ما رُوي في ذلك ما قُرئ على أبي بكر محمد بن جعفر بن الإمام عن يوسف بن موسى عن وكيع بن الجراح قال: حدّثنا سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس ﴿**فمنهم ظالمٌ لنفسه**﴾ قال: الكافر، وقُرئ على أحمد بن شعيب عن الحسين بن حبيب عن الفضل بن موسى عن حسين عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تعالى ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مُقتصد ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله**﴾ قال: نجت فرقتان، فهذا قول، ويكون التقدير في العربية ﴿**فمنهم**﴾ فمن عبادنا ﴿**ظالمٌ لنفسه**﴾ أي كافر، وقال الحسن: أي فاسق، ويكون الضمير الذي في يدخلونها يعود على المقتصد والسابق لا على الظالم.

فأما معنى ﴿**الذين اصطفينا من عبادنا**﴾ ففيه قولان: أحدهما أن الذين اصطفوا هم الأنبياء صلوات الله عليهم أي اختيروا للرسالة، وقيل: المعنى الذين اصطفوا لإنزال الكتاب عليهم فهذا عام.

﴿**. . يدخلونها. .**﴾ [٣٣]

وقيل: الضمير في ﴿**. . يدخُلُونَهَا**﴾ يعود على الثلاثة الأصناف على أن لا يكون الظالم ههنا كافراً ولا فاسقاً، فمن روي عنه هذا القول أعني أن الذين يدخلونها هذه الثلاثة الأصناف عمر وعثمان وأبو الدرداء وابن مسعود وعقبة بن عمرو وعائشة رضي الله عنهم، ولولا كراهة الإطالة لذكرنا ذلك بأسانيده وإنْ كانتْ ليست مثل الأسانيد الأُولى في الصحة وهذا القول أيضاً صحيح عن عبيد بن عمرو وكعب الأحبار وغيرهما من التابعين، والتقدير على هذا القول: أن يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغائر، والمقتصد، قال محمد بن يزيد: هو الذي يعطي الدنيا حقَّها، والآخرة حقَّها فيكون ﴿**جناتُ عدن يدخُلُونها**﴾ عائداً على الجميع على هذا الشرح والتبين.

وفي الآية قول ثالث يكون ﴿**الظالم**﴾ صاحب الكبائر، والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته. فيكون ﴿**جنّات عدْن يدخُلُونها**﴾ الذين سبقوا بالخيرات لا غير. وهذا قول جماعة من أهل النظر قالوا: لأن الضمير في حقيقة النظر لما يليه أولى، وقد ذكرنا قول العلماء المتقدمين قبل هذا.

﴿**يُحَلّونَ فيها من أساور منْ ذهب**﴾ جمع أسورة، وأسورةٌ جمع سِوَار وسُوَار، وقد حُكي أنه يقال: اسْوَارٌ وجمع إسوار أساوير، وقد حُكي أنّ في حرف أُبي ﴿**أساوير**﴾ وحذفُ الياء من

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ
لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا
يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾

مفاعل هذا جائز غير أن المعروف أن الأسوار هو الرجل الجيّدُ الرمي من الفُرس، ﴿ولُؤلُؤاً﴾ قراءة أهل المدينة. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٧٠]: لأن معنى من أساوِر ومعنى أساورَ واحد، والخفض قراءة أهل الكوفة، وهو أبين في العربية لأنه مخفوض معطوف على مخفوض.

وقرأ عاصم الجحدري ﴿جنّاتِ عدْنٍ يدخُلُونها﴾ بكسر التاء تكون في موضع جر على البدل من الخيرات، ويجوز أن يكون في موضع نصب على لغة من قال: زيداً ضربتهُ. وزعم بعض أهل النظر أن قوله جلّ وعزّ: ﴿يُحَلّون فيها من أساوِرَ﴾ للنساء لأن قوله جلّ وعزّ: ﴿من عبادنا﴾ مشتمل على الذكور والإناث، وهذا خطأ بيّن، لأنه لو كان للنساء لكان يُحَلّيْنَ ولكن هو للرجال لا غير إلاّ أنه يجوز أن يُحلّى به النساء فإذا حُلّي به النساء فهو لأزواجهن.

﴿وقالوا الحمدُ لله الذي أذهبَ عنّا الحَزن..﴾ [٣٤]

عن ابن عباس قال: النار، وقال سعيد عن قتادة قال: كانوا يعملون في الدنيا وينصبون ويلحقهم الحَزن [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٧٠] وقال شمر بن عطية في قول الله جلّ وعزّ: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهبَ عنّا الحَزن﴾ قال: همُّ الطّعامِ، قال: ﴿إنّ ربّنا لغفورٌ شكورٌ﴾ غَفرَ لهم الذنوب التي عملوها، وشكر لهم الخير الذي دلّهم عليه فعملوه.

﴿الذي أحلّنا دارَ المُقامةِ من فضلِهِ..﴾ [٣٥]

يكون ﴿الذي﴾ في موضع نصب نعت لاسم ﴿إنّ﴾ ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ، أو على خبر بعد خبر إنّ، وعلى البدل من غفور، أو على البدل من المضمر الذي في ﴿شكور﴾ ويجوز أن يكون في موضع خفض على النعت لاسم الله جلّ وعزّ قال الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٧٠]: ﴿المُقامةُ﴾: الإمامة والمُقامَةُ: المَجلِسُ الذي يقام فيه. ﴿ولا يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ﴾ أي تعب والنُّصبُ الشرُّ والنُّصُبُ ما يُنصب لذبح أو غيره، وقرأ أبو عبد الرحمن ﴿ولا يَمَسُّنا فيها لَغُوبٌ﴾ بفتح اللام يكون مصدراً كالوَقُودِ والطَّهُورِ وقيل: هو ما يُلْغَبُ منه.

﴿والذين كفروا..﴾ [٣٦]

مبتدأ، والخبر ﴿لهمْ نارُ جهنمَ﴾ ويجوز أن يكون الخبر ﴿لا يُقضى عليهم فيموتوا﴾ وحُذفت النون؛ لأنه جواب النفي، وقرأ الحسن ﴿يُقضى عليهم فيموتون﴾ على العطف، قال الكسائي ﴿ولا يؤذنُ لهم فيعتذرون﴾ بالنون في المصحف لأنه رأس آية ﴿ولا يقضى عليهم فيموتوا﴾ بغير نون لأنه ليس برأس آية، ويجوز في كل واحد منهما ما جاز في صاحبه.

وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن
تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ
ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

﴿وهم يصطرخون فيها..﴾ [٣٧]

الطاء مبدلة من تاء لأن الطاء بالصاد أشبه لأنهما مُطبقتان، ويقال: اصطرخ إذا استغاث **﴿ربَّنا أخرجنا﴾** أي يقولون **﴿نعملْ صالحاً﴾** جواب المسألة أي إن أخرجتنا عملنا صالحاً غير الذي كنا نعمل **﴿أولمْ نُعمّرْكُمْ﴾** أي فيقال لهم، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: **«من عمّرَ ستين سنةً فقد أعذر الله إليه في العمر»** [حم: ٢/ ٤٠٥]، وكذلك روى سهل بن سعد عن النبي ﷺ مثل معناه وقال ابن عباس في قوله جلّ وعزّ: **﴿أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر﴾** قال: ستين سنة **﴿وجاءكمُ النذير﴾** أي المُنذر وفي فَعيل معنى المبالغة، قيل: يعني به النبي ﷺ، وقيل: هو من أنذرهم، وقيل: يعني به الشيب [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٧٠]، [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٧٢]، والله جلّ وعزّ أعلم.

﴿إنّ الله عالمُ غيبِ السمواتِ والأرض..﴾ [٣٨]

إذا كان بغير تنوين صلح أن يكون للماضي والمستقبل والحال، وإذا كان منوناً لم يجز أن يكون للماضي.

﴿هو الذي جعلكمْ خلائفَ في الأرض..﴾ [٣٩]

جمع خليفة أي تخلفون من كان قبلكم وفي هذا معنى التنبيه والاعتبار أي فتحذرون أن تنزل بكم العقوبة، كما نزلت بمن كان قبلكم **﴿فمنْ كفرَ فعليهِ كفرهُ﴾** مثل **﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾** [يوسف: ٨٢] أي عقوبة كفره **﴿ولا يزيدُ الكافرين كُفرُهُمْ عند ربهمْ إلاّ مقتاً﴾** مفعولان، وكذا **﴿ولا يزيد الكافرين كُفرُهُمْ إلاّ خساراً﴾**.

﴿قلْ أرأيتمْ شركاءكمْ..﴾ [٤٠]

منصوب بالرؤية، ولا يجوز رفعه، وقد يجوز الرفع عند سيبويه في قولهم: قد علمتُ زيدٌ أبو مَنْ هو؛ لأن زيداً في المعنى يُستفهمُ عنه، ولو قلت: أرأيتَ زيداً أبو مَنْ هو؟ لم يجز الرفع والفرق بينهما أن معنى هذا: أخبِرْني عنه، وكذا معنى هذا: أخبروني عن شركائكم [معاني القرآن

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ۝٤٣﴾

وإعرابه للزجاج: ٤/ ٢٧٢] الذين تدعون من دون الله أعَبَدتُموهُم لأن لهم شِركة في خلق السموات أم خلقُوا من الأرض شيئاً أم آتيناهم كتاباً بهذا أي أم عندكم كتابٌ أنزلناه إليهم بالشركة أو بأنا أمرناهم بعبادتهم؟ فكان في هذا ردّ على كل من عَبَدَ غير الله جلّ وعزّ لأنهم لا يجدون في كتاب من الكتب أن الله جلّ وعزّ أمر أنْ يُعبد غيره ﴿على بيّنات منه﴾ قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وعاصم والكسائي، وقرأ أبو عمرو وابن كثير والأعمش وحمزة ﴿على بيّنة منه﴾ قال أبو جعفر: والمعنيان متقاربان إلاّ أن القراءة ﴿بيّنات﴾ أولى لأنه لا يخلو مَنْ قرأ ﴿على بيّنة﴾ أن يكون خالف السواد الأعظم أو يكون جاء به على لغة من قال: جاءني طلحة، فوقف بالتاء، وهذه لغة شاذة قليلة ﴿بلْ إنْ يَعِدُ الظالمون بعضُهُمْ بعضاً﴾ ﴿إنْ﴾ بمعنى ﴿ما﴾ فلذلك رفعتَ الفعل. ﴿بعضهم بعضاً﴾ ﴿بعضهم﴾ ﴿إلاّ غُرُوراً﴾ أي إلاّ غروراً بالباطل.

﴿إنّ الله يُمْسِكُ السموات والأرض أنْ تزولا..﴾ [٤١]

﴿أنْ﴾ في موضع نصب بمعنى كراهة، أو يحمل على المعنى لأن المعنى: إنّ الله يمنع السموات والأرض من أن تزولا [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٧٣] ﴿ولئِنْ زالتا إنْ أمسكهما من أحد﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٧٠]: أي ولو زالتا ما أمسكهما من أحد من بعده و﴿إنْ﴾ بمعنى ﴿ما﴾ قال: وهو مثل قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١].

﴿وأقسموا بالله جهدَ أيمانِهِمْ..﴾ [٤٢]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٧٤]: كانوا حلفوا واجتهدوا، قال أبو جعفر: فاليمين وقعتْ على ﴿ليكُونُنَّ أهدى من إحدى الأمم﴾ قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٦٧]: فأنّث إحدى لتأنيث أُمّة ﴿فلمّا جاءهم نذيرٌ ما زادهم إلاّ نفوراً﴾ أي عن الحق.

﴿استكباراً..﴾ [٤٣]

مفعول من أجله أي تكبّراً عن الحق ﴿ومَكْرَ السَّيِّئ﴾ معطوف عليه، قال سعيد عن قتادة: أي ومكر الشرك، قال أبو جعفر: أصل المكر السيّئ في اللغة الكذب والخديعة بالباطل، وقرأ الأعمش وحمزة ﴿ومَكْرَ السَّيِّئْ ولا يحيق المكرُ السَّيِّئُ إلا بأهلِهِ﴾ فحذف الإعراب من الأول وأثبته في الثاني. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٧٥]: وهو لحن لا يجوز، قال أبو جعفر: وإنما صار لحناً لأنه حذف الإعراب منه، وزعم محمد بن يزيد أنّ هذا لا يجوز في كلام

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

ولا شعر، لأن حركات الإعراب لا يجوز حذفها لأنها دخلت للفروق بين المعاني، وقد أعظم بعض النحويين أن يكون الأعمش على جلالته ومحلّه يقرأ بهذا، وقال: إنما كان يقف عليه فَغَلِطَ من ادّعى عنه، قال: والدليل على هذا أنه تمام الكلام، وأنّ الثاني لمّا لم يكن تمام الكلام أعربه، والحركة في الثاني أثقل منها في الأول؛ لأنها ضمة بين كسرتين، وقد احتج بعض النحويين لحمزة في هذا بقول سيبويه، وأنه أنشد هو وغيره: [الرجز]

إذا اعوَجَجْنَ قُلْتُ صاحِبْ قَوِّمِ ... بالدوِّ أمثالَ السَّفِينِ العُوَّمِ

وقال الآخر: [السريع]

فاليومَ أشرَبْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إثماً من الله ولا وَاغِلِ

[معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٧٥]

وهذا لا حجة فيه لأن سيبويه لم يجزه وإنما حكاه عن بعض النحويين، والحديث إذا قيل فيه عن بعض العلماء لم يكن فيه حجة فكيف وإنما جاء به على الشذوذ، وضرورة الشعر، قد خولف فيه؟ وزعم أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٧٥]، [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٧١] أن أبا العباس أنشده: [الرجز]

إذا اعوَجَجْنَ قُلْتُ صاحِ قَوِّمِ

وأنه أنشده «فاليومَ فاشربْ» بالفاء. ﴿فهل ينظرون إلاّ سُنَّةَ الأولين﴾ أي إنما ينظرون العقاب الذي نزل بالكفار الأولين ﴿فلنْ تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً﴾ أي أجرى الله جلّ وعزّ العذاب على الكفار، وجعل ذلك سنّة فيهم فهو يعذّب بمثله من استحقه لا يقدر أحد أن يبدّل ذلك، ولا يحوّله.

﴿..لِيُعجِزَهُ..﴾ [٤٤]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٧٦] ﴿..لِيُعجِزَهُ﴾ لِيَفُوتَهُ.

﴿ولو يُؤاخِذُ الله الناس بما كسبوا..﴾ [٤٥]

مهموز؛ لأن العرب تقول: أخذت فلاناً بكذا وكذا، ولا يقال: واخذتُ، ولكن إنْ خفّفت الهمزة في يؤاخذ جاز فقلتَ: يواخذ تقلبها واواً. فإن قال قائل: فلم لا يقلبها ألفاً وهي

....

مفتوحة؟ قلت: هذا محال لأن الألف لا يكون ما قبلها أبداً إلا مفتوحاً ﴿على ظَهرِهَا﴾ يعود على الأرض وقد تقدم ذكرها. ﴿فإذا جاء أجلُهُم فإنّ الله كان بعباده بصيراً﴾ لا يجوز أن يكون العامل في إذا بصيراً، كما لا يجوز: اليوم أنّ زيداً خارجٌ، ولكن العامل فيها جاء لشبهها بحروف المجازاة، وقد يجازى بها، كما قال:

إذا قَصُرَتْ أسيافُنَا كانَ وَصْلُهَا ... خُطَانا إلى أعدائِنا فَنُضَارِبُ

[ديوان قيس بن الخطيم: ٣٤]

٣٦ ـ سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾

شرحُ إعرابِ سُورةِ يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يس﴾ [١]

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لكل شيء قلب، وقلبُ القرآن ﴿يس﴾، مَنْ قرأها نهاراً كُفِيَ هَمَّه، ومن قرأها ليلاً غُفِرَ ذنبه. قال شهر بن حوشب: يقرأ أهل الجنة ﴿طه﴾ و﴿يس﴾ فقط. قال أبو جعفر: في ﴿يس﴾ أوجه من القراءات، قرأ أهل المدينة والكسائي ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ بإدغام النون في الواو، وقرأ أبو عمرو والأعمش وحمزة ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ بإظهار النون، وقرأ عيسى بن عمر ﴿يسينَ والقرآنِ الحكيم﴾، وذكر الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٧١] قراءة رابعة ﴿ياسينِ والقرآنِ﴾.

قال أبو جعفر: القراءة الأولى بالإدغام على ما يجبُ في العربية لأن النون تُدغم في الواو لشبهها بها، ومن بيَّن قال: سبيلُ حروف التهجّي أن يُوقف عليها، وإنما يكون الإدغام في الإدراج، وذكر سيبويه [الكتاب: ٢/٣٠] النصب وجعله من جهتين: إحداهما أن يكون مفعولاً لا يصرفه، لأنه عنده اسم أعجمي بمنزلة هابيل، والتقدير: اذكرْ ياسين، وجعله سيبويه اسماً للسورة، وقوله الآخر أن يكون مبنياً على الفتح مثل «كيف» و«أين»، وأما الكسر فزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٧١] أنه مشبهٌ بقول العرب: جيرِ لأفعلن وجيرِ لا أفعل.

﴿والقرآن الحكيم﴾ [٢]

﴿والقرآن﴾ قَسَم والواو مبدلة من باء لشبهها بها، كما أبدلوا من رُبَّ، ﴿الحكيم﴾ من نعت القرآن. قال أبو إسحاق: لأنه أحكم بالأمر والنهي والأمثال وأقاصيص الأمم السالفة.

﴿إنّك لمن المرسَلين﴾ [٣]

جواب القسم، وإنّ مكسورة لأن في خبرها اللام ولو حُذفت اللام لكانت أيضاً مكسورة

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾

إلاّ في قول الكسائي فإنّه يُجيز فتحها؛ لأن في الكلام معنى: أقسم.

﴿على صراط مستقيم﴾ [٤]

قال الضحّاك: أي على طريقة مستقيمة، قال قتادة: أي على دين مستقيم، قال أبو إسحاق: ﴿**على صراط مستقيم**﴾ خبر بعد خبر، قال: ويجوز أن يكون من صلة المرسلين أي الذين أُرسلوا على صراط مستقيم.

﴿تنزيلُ العزيز الرَّحيم﴾ [٥]

هذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو، وقرأ الكوفيون وعبد الله بن عامر اليحصبي ﴿**تنزيلَ العزيزِ الرَّحيم**﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٧٨/٤] بالنصب وحُكي الخفض. قال أبو جعفر: فالرفع على إضمار مبتدأ أي الذي أُنزل إليك تنزيل العزيز الرحيم، والنصب على المصدر، والخفض على البدل من القرآن.

﴿لِتُنذِرَ قوماً ما أُنذِرَ آباؤهم..﴾ [٦]

﴿**ما**﴾ لا موضع لها من الإعراب عند أكثر أهل التفسير؛ لأنها نافية، وعلى قول عكرمة موضعها النصب؛ لأنه قال: قد أُنذر آباؤهم فتكون على هذا مثل قوله ﴿**فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً**﴾ [فصلت: ١٣] أي بصاعقة. ﴿**فهمْ غافلون**﴾ ابتداء وخبر.

﴿لقد حقّ القولُ على أكثرهمْ..﴾ [٧]

أي حق القول عليهم بالعذاب لكفرهم، ومثله ﴿**وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [الزمر: ٧١].

﴿إنّا جعلنا في أعناقهمْ أغلالاً..﴾ [٨]

عن ابن عباس أنه قال: إن أبا جهل أقسم لئن رأيتُ محمداً ﷺ يصلّي لأدمغنّه، فأخذ حَجَراً والنبي ﷺ يصلّي ليرميه به، فلما أومأ به إليه جفّتْ يدُهُ على عنقه، والتصق الحجر بيده، فهو على هذا تمثيل أي بمنزلة من غُلّتْ يده إلى عنقه.

وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: قرأ ابن عباس ﴿**إنّا جعلنا في أيمَانِهِمْ أغلالاً فهي إلى الأذقان**﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣٧٣/٢] قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٢٧٩/٤]: وقُرئ ﴿**إنّا جعلنا في أيديهمْ أغلالاً**﴾ قال أبو جعفر: هذه القراءة على التفسير، ولا يقرأ بما خالف المصحف، وفي الكلام حذف على قراءة الجماعة فالتقدير: إنا جعلنا في أعناقهم وفي أيديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان، فهي كناية عن الأيدي لا عن الأعناق، والعرب تحذف مثل هذا، ونظيره

﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾

كثير ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] فتقديره: وسرابيل تقيكم البرد فحذف لأن ما وقى الحر وقى البرد، ولأن الغُل إذا كان في العنق فلابد من أن يكون في اليد ولا سيما وقد قال جلّ وعزّ: ﴿فهي إلى الأذقان﴾ فقد أعلم الله جلّ وعزّ أنها يراد بها الأيدي ﴿فهم مقمحون﴾ أجلّ ما روي فيه ما حكاه عبد الله بن يحيى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أراهم الإقماح فجعل يديه تحت لحيته وألصقهما ورفع رأسه، قال أبو جعفر: وكان مأخوذاً مما حكاه الأصمعي قال: يقال أكْمَحْتُ الدّابّةَ إذا جَذَبْتَ لِجامها لترفعَ رأسها. قال أبو جعفر: والقاف مُبدلة من الكاف لقربها منها، كما يقال: قَهَرْتُهُ وكَهَرْتُهُ، قال الأصمعي: ويقال: أكفَحْتُ الدابة إذا تلقّيتَ فاها باللجام لتضربَهُ به، مشتقّ من قولهم: لقيتُهُ كِفَاحاً أي وَجْهاً لوجه، وكَفَحْتُ الدّابة بغير ألف إذا جَذَبْتَ عنانها لتقف ولا تجري.

﴿وجعلنا من بينِ أيديهمْ سداً ومنْ خلفهمْ سداً..﴾ [٩]

قال محمد بن إسحاق في روايته: جلس عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأميّة بن خلف يراصدون النبي ﷺ ليبلغوا من أذاه فخرج عليهم يقرأ أول ﴿يس﴾ وفي يده تراب فرماهم به، وقرأ ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهمْ سداً﴾ إلى رأس العشر، فأطرقوا حتى مرّ النبي ﷺ، وقد قيل: إنّ هذا تمثيل كما يقال: فلان حمار أي لا يُبصر الهدى، كما يقال: [البسيط]

لـهـم عـن الـرشـد أغـلالٌ وأقـيـادُ

[ديوان الأفوه الأودي: ١٠]

وقراءة ابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر وعمر بن عبد العزيز ﴿فأعْشَيْنَاهُمْ﴾ قال أبو جعفر: القراءة بالغين أشبه بنسق الكلام، ويقال: غَشِيَهُ الأمر وأغشيتُهُ إياه فإنما يقال لمن ضعفَ بصرُهُ حتى لا يبصر بالليل، أو لمن فعل فعله، كما قال: [الطويل]

متى تأتِهِ تَعشُو إلى ضوءِ نارِهِ تجدْ خَيْرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ

قال قتادة: ﴿فهم لا يُبصرون﴾ الهدى.

﴿وسواءٌ عليهمْ أأنذرتهمْ..﴾ [١٠]

قيل: المعنى لا يكترثون بذلك ولا يعبؤون به ولا يؤمنون. قال ابن عباس: فما آمن منهم أحد.

﴿إنّما تُنذِرُ مَنِ اتّبعَ الذِّكرَ..﴾ [١١]

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

أي إنما ينتفع بالإنذار. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٨٠]: ومعنى ﴿وخَشِيَ الرحمن بالغيب﴾ خاف الله جلّ وعزّ من حيث لا يراه أحد إلاّ الله جلّ وعزّ ﴿فبَشِّرْهُ بمغفرة وأجر كريم﴾ قال الضحاك عن ابن عباس في معنى كريم: أي حَسَن، وقيل: يراد به الجنة والله جلّ وعزّ أعلم.

﴿إنّا..﴾ [١٢]

الأصل في ﴿إنّا﴾ إنّنا حذفت النون لاجتماع النونات ﴿نُحْيِي﴾ حذفت منه الضمة لثقلها، ولا يجوز إدغام الياء في الياء ههنا لئلا يلتقي ساكنان ﴿ونكتُبُ ما قدّموا وآثارهم﴾ أي ذكرَ ما قدّموا، وأقيم المضاف إليه مقام المضاف، وتأوّله ابن عباس بمعنى: خطاهم إلى المساجد، وهو أولى ما قيل فيه؛ لأنه قال: إن الآية نزلت في ذلك لأن الأنصار كانت منازلهم بعيدة من المسجد.

وفي حديث عمرو بن الحارث عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «يُكتَبُ له برجل حسنةٌ، ويُحَطّ عنه برجل سيئةٌ ذاهباً وراجعاً إذا خرج إلى المسجد» [حم: ٢٨١، ٧٧٤]، [القرطبي في «تفسيره»: ٣/ ٤٢٤] وتأوّله غير ابن عباس ﴿ونكتُبُ ما قدّموا وآثارهم﴾ يعني نكتب ما قدّموا من خير وما سَنُّوا من سنة حسنة يُعمل بها بعدهم. وواحد الآثار: أثَر، ويقال: إثْر. ﴿وكلَّ شيءٍ أحصيناهُ﴾ منصوب على إضمار فعل، ويجوز رفعه بالابتداء إلاّ أنّ نصبه أولى ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل. وهذا قول الخليل وسيبويه رحمهما الله. قال مجاهد: ﴿في إمام مبين﴾ في اللوح المحفوظ.

﴿واضربْ لهم مثلاً أصحابَ القرية..﴾ [١٣]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٨١]: أي اذكر لهم مثلاً، والضرب هو المثال والجنس، يقال: هذا من ضَرْب هذا، أي من مثال هذا وجنسه والمعنى ومثّل لهم مثلاً. ﴿أصحابَ القرية﴾ بدل من مَثَل فالمعنى مثّل أصحاب القرية ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ أي جاء أهلَها المرسلون.

﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث..﴾ [١٤]

وقرأ عاصم ﴿فَعَزَزْنَا﴾ وربما غلط في هذا بعض الناس فتوهم أنه من عَزّ يَعِزُّ، وليس منه إنما هو من قول العرب: عَازَني فلانٌ فعَزَزْتُهُ أعزُّهُ أي غلبتُهُ وقهرتُهُ، وله نظائر في كلامهم، وتأوّل الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٧٣] ﴿فعزّزنا بثالث﴾ أن الثالث أُرسل قبل الاثنين وأنه شمعون وأنّ معنى

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾

فعزّزنا به أنه غلبهم. والظاهر يدل على خلاف ما قال، ولو كان كما قال لكان الأولى في كلام العرب أن يقال: بالثالث إذ كان قد أرسل قبل، كما يقال: في أول الكتاب سلامٌ عليكَ وفي آخره والسلام، وكما يقال: مَرَرتُ برجل من قصته كذا فقلت للرّجل.

﴿قالوا ما أنتم إلاّ بشرٌ مثلُنا..﴾ [١٥]

مبتدأ وخبره.

﴿..لَنَرْجُمَنَّكُمْ..﴾ [١٨]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣٧٤/٢] ﴿..لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ أي لنقتلنكم قال: وعامة ما في القرآن من الرجم معناه القتل.

﴿قالوا طائركم معكم أينْ ذُكّرتُم..﴾ [١٩]

فيه سبعة أوجه من القراءات: قرأ أهل المدينة ﴿أينْ ذُكرتم﴾ بتخفيف الهمزة الثانية، وقرأ أهل الكوفة ﴿إإنْ﴾ بتحقيق الهمزتين، والوجه الثالث ﴿أاإنْ﴾ بهمزتين بينهما ألف، أدخلت الألف كراهة للجمع بين الهمزتين، والوجه الرابع ﴿أاإنْ﴾ بهمزة بعدها ألف وبعد الألف همزة مخففة، والقراءة الخامسة ﴿أإنْ ذكرتم﴾ بهمزتين إلاّ أنّ الثانية همزة مخففة، والوجه السادس ﴿أأنْ﴾ بهمزتين محققتين مفتوحتين، حكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣٧٤/٢] أنّ هذه قراءة أبي رَزين. وقرأ عيسى بن عمر والحسن البصري ﴿قالوا طائركم معكم أينَ ذكّرتم﴾ بمعنى حيثُ والمعنى: أينَ ذُكرتم تطيّركم معكم. ومعنى أأنْ: ألأنْ، وقرأ يزيد بن القعقاع والحسن وطلحة ﴿ذُكِرتُمْ﴾ بالتخفيف وزعم الفرّاء أن معنى ﴿طائركم معكم﴾ أي رزقكم وعملكم و﴿بل﴾ للخروج من كلام إلى كلام ﴿أنتم قومٌ مُسرِفُونَ﴾ ابتداء وخبر.

﴿وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى..﴾ [٢٠]

وفي موضع آخر ﴿رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠] والمعنى واحد إلاّ أن حق الظروف أن تكونَ في آخر الكلام، وتقديمها مجاز، ألاترى أن معنى: إنّ في الدار زيداً، إن زيداً في الدار، ﴿قال يا قوم اتّبعوا المُرسَلينَ﴾.

﴿اتّبعوا من لا يسألكم أجراً..﴾ [٢١]

وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ
عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾
قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾

هذا يدلّ على إعادة الفعل ﴿وهم مهتدون﴾ محمول على معنى ﴿مَنْ﴾.

﴿وما لي لا أعبدُ..﴾ [٢٢]

وقرأ الأعمش وحمزة ﴿وما لي لا أعبُدُ﴾ بإسكان الياء وهذه ياء النفس تُفتح وتُسكّن، إذا كان ما قبلها متحركاً، فالفتح لأنها اسم فكُره أن يكون اسم على حرف واحد ساكناً، والإسكان لاتصالها بما قبلها، وموضع ﴿لا أعبد﴾ موضع نصب على الحال.

﴿.. إن يُردْنِ الرحمنُ بضُرٍّ..﴾ [٢٣]

شرط ومجازاة، وعلامة الجزم فيه حذف الضمة من الدال وحذفت الياء التي قبل الدال لالتقاء الساكنين، والقول في الياء التي بعد النون كما تقدم من الفتح والإسكان إلاّ أنك إذا أسكنتها حذفتها في الإدراج لالتقاء الساكنين، وجواب الشرط ﴿لا تُغنِ عنّي﴾.

﴿إنّي آمنتُ بربّكُم فاسمعونِ﴾ [٢٥]

فأما ما رُوي عن عاصم أنه قرأ ﴿إنّي آمنتُ بربّكُمْ فاسمعونَ﴾ بفتح النون فلحنٌ لأنه في موضع جزم فإذا كسرتَ النون جاز لأنها النون التي تكون مع الياء لا نون الإعراب، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٨٣]: أشهدَ الرسُلَ على إيمانه فقال: ﴿إنّي آمنتُ بربّكم فاسمعونِ﴾.

﴿قيل ادخُلِ الجنةَ..﴾ [٢٦]

في الكلام حذف لعلم السامع والتقدير: فقتلوه فقيل: ادخل الجنة فلمّا رأى ما هو فيه من النعيم ﴿قال يا ليت قومي يعلمون﴾.

﴿بما غفر لي ربّي..﴾ [٢٧]

فيه ثلاثة أوجه: تكون ﴿ما﴾ مصدراً، وتكون بمعنى ﴿الذي﴾، والثالث استفهاماً، وهذا ضعيف لأن الأكثر في الاستفهام: بِمَ غفرَ لي ربّي؟ بغير ألف ﴿وجعلني من المُكرمين﴾ قال أبو مجلز: أي بإيماني وتصديقي الرسل، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٨٣]: ﴿من المكرمين﴾ أي أدخلني الجنة.

﴿وما أنزلنا على قومه مِنْ بعده من جُنْد من السماء..﴾ [٢٨]

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ۝٢٩ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٣٠﴾

أي لم يُنزل جنداً من السماء ينتصرون له.

﴿إن كانت إلاّ صيحة واحدة..﴾ [٢٩]

في ﴿كانت﴾ مُضمر أي إنْ كانت عقوبتهم أو بليّتهم إلاّ صيحة. قرأ أبو جعفر ﴿إن كانتْ إلاّ صيحةٌ واحدةٌ﴾ بالرفع. قال أبو حاتم: ينبغي ألاّ يجوز لأنه إنما يقال: ما جاءني إلاّ جاريتُك، ولا يقال: ما جاءتني إلاّ جاريتك، لأن المعنى ما جاءني أحدٌ إلاّ جاريتك أي فلو كان كما قرأ أبو جعفر لقال: إنْ كان إلاّ صيحةٌ واحدةٌ، قال أبو جعفر: لا يمتنع من هذا شيء، يقال: ما جاءتني إلاّ جاريتك، بمعنى ما جاءتني امرأة أو جارية. والتقدير بالرفع في القراءة ما قاله أبو إسحاق، قال: المعنى: إن كانت عليهم صيحةٌ إلاّ صيحةٌ واحدةٌ وقدّره غيره بمعنى: ما وقعت إلاّ صيحة واحدة ﴿وكان﴾ بمعنى: وقع كثير في كلام العرب.

وقرأ عبد الرحمن بن الأسود، ويقال: إنه في حرف عبد الله كذلك: ﴿إنْ كانت إلاّ زقيةٌ واحدةٌ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٢٧٥]. قال أبو جعفر: هذا مخالف للمصحف، وأيضاً فإن اللغة المعروفة: زقا يزقو إذا صاح فكان يجب على هذا أن يكون إلاّ زقوةً. قال قتادة: ﴿فإذا هُم خامدون﴾ أي هالكون.

﴿يا حسرةً..﴾ [٣٠]

منصوب لأنه نداء نكرة لا يجوز فيه إلاّ النصب عند البصريين، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٧٦] أنّ الاختيار النصب وأنها لو رُفعت النكرة الموصولة بالصفة لكان صواباً، واستشهد بأشياء منها أنه سمع من العرب: يا مهتمٌ بأمرنا لا تهتم، وأنشد: [الكامل]

يـا دارُ غَـيّـرَهَـا الـبِـلَـى تـغـيـيـرا

قال أبو جعفر: في هذا بطلان باب النداء أو أكثره لأنه يرفع النكرة المحضة ويرفع ما هو بمنزلة المضاف في طوله ويحذف التنوين متوسطاً ويرفع ما هو في المعنى مفعول بغير علة أوجبت ذلك. فأما ما حكاه عن العرب فلا يشبه ما أجازه، لأن تقدير: يا مهتمُّ بأمرنا لا تهتمّ، على التقديم والتأخير، والمعنى: يا أيها المهتمّ لا تهتمّ بأمرنا. وتقدير البيت: يا أيها الدار، ثم حوّل المخاطبة أي يا هؤلاء غيّر هذه الدار البلى، كما قال جلّ وعزّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]. وكان أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٨٤] يقول: بأن قوله جلّ وعزّ: ﴿يا حسرةً على العباد﴾ من أصعب ما في القرآن من المسائل، وإنما قال هذا لأن السؤال فيه أن يقال: ما الفائدة في نداء الحسرة؟

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

قال أبو جعفر: وقد شرح هذا سيبويه بأحسن شرح، ومذهبه أن المعنى إذا قيل: يا عجباه فمعناه يا عجبُ هذا مِنْ أبانك، ومن أوقاتك التي يجب أن تحضرها، والمعنى على قوله أنه يجب أن تحضر الحسرة لهم على أنفسهم لاستهزائهم بالرسل، وفي معنى الآية قول غريب، إسناده جيد، رواه الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: لمّا رأى الكفار العذاب قالوا: يا حسرة على العباد، يعنون بالعباد الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إليهم، تحسّروا على فواتهم وإن لم يحضروا حتى يؤمنوا، قال الله تعالى ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الحجر: ١١].

﴿ألم يَرَوا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم..﴾ [٣١]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٧٦]: ﴿كم﴾ في موضع نصب من وجهين: أحدهما بـ ﴿يَرَوا﴾، واستشهد على هذا القول بأنه في قراءة عبد الله بن مسعود ﴿ألم يروا مَنْ أهلكنا﴾، والوجه الآخر أن تكون ﴿كم﴾ في موضع نصب بأهلكنا. قال أبو جعفر: القول الأول محال لأن ﴿كم﴾ لا يعمل فيها ما قبلها لأنها استفهام، ومحال أن يدخل الاستفهام في حيّز ما قبله، وكذا حكمها إذا كانت خبراً، وإن كان سيبويه قد أومأ إلى بعض هذا فجعل ﴿أنهم﴾ بدلا من ﴿كم﴾ وقد رد عليه محمد بن يزيد هذا أشدّ ردّ، وقال: ﴿كم﴾ في موضع نصب بأهلكنا ﴿وأنهم﴾ في موضع نصب. والمعنى عنده: بأنهم أي ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون بالاستئصال.

﴿وإنْ كلٌّ لمّا جميعٌ لدينا مُحضَرون﴾ [٣٢]

هذه إنْ الثقيلة في الأصل خُفّفت فزال عملها في أكثر اللغات، ولزمتها اللام فرقاً بينها وبين ﴿إنْ﴾ التي بمعنى ﴿ما﴾. وقرأ الكوفيون ﴿وإنْ كلٌّ لمّا﴾ وفيه قولان: أحدهما أنّ ﴿لمّا﴾ بمعنى إلا و﴿إنْ﴾ بمعنى ﴿ما﴾، حكى ذلك سيبويه [الكتاب: ١/٢٨٣، ١/٤٥٥] في قولهم: سألتك بالله لمّا فعلت، وزعم الكسائي أنه لا يعرف هذا. والقول الآخر أن المعنى: وإن كل لَمِنْ ما، وهذا قول الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٧٦، ٣٧٧]. قال وحذفت ما، كما يقال عَلْماءِ بنو فُلان، أراد به: على الماء بنو فلان.

﴿وآيةٌ لهمُ الأرض المَيْتةُ أحييناها..﴾ [٣٣]

﴿آية﴾ رفع بالابتداء، والخبر ﴿لهم﴾، ويجوز أن يكون الخبر ﴿الأرض الميتةُ﴾، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٨٦]: ويقال: الميّتةُ، والتخفيف أكثر.

﴿ليأكُلوا من ثمرهِ وما عملتهُ أيديهمْ..﴾ [٣٥]

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ
ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ
﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ
سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ما﴾ في موضع خفض على العطف أي ومما عمله أيديهم، ويجوز أن تكون ﴿ما﴾ نافية لا موضع لها أي ولم تعمله أيديهم فإذا كان بحذف الهاء كانت ﴿ما﴾ في موضع خفض، وحذف الهاء لطول الاسم، ويبعد أن تكون نافية.

﴿سبحان الذي خلقَ الأزواج كلَّها..﴾ [٣٦]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٨٦]: أي الأجناس من الحيوان والنبات.

﴿وآيةٌ لهمُ الليلُ..﴾ [٣٧]

وعلامة دالة على توحيد الله.

﴿والشمس تجري..﴾ [٣٨]

ويكون تقديره وآية لهم الشمس، ويجوز أن تكون الشمس مرفوعة بإضمار فعل يفسّره الثاني، ويجوز أن تكون مرفوعة بالابتداء.

﴿والقمرُ قدّرناه منازلَ..﴾ [٣٩]

يكون تقديره: وآية لهم القمر، ويجوز أن يكون القمر مرفوعاً بالابتداء. وقرأ الكوفيون ﴿والقمرَ﴾ بالنصب على إضمار فعل، وهو اختيار أبي عبيد، قال: لأن قبله فعلاً وبعده فعلاً مثله قبله ﴿نسلخُ﴾ وبعده ﴿قدّرناه﴾، قال أبو جعفر: أهل العربية جميعاً فيما علمتُ على خلاف ما قال، منهم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٧٨]، قال: الرفع أعجب إليّ، وإنما كان الرفع عندهما أولى لأنه معطوف على ما قبله فمعناه: وآيةٌ القمر والذي قاله: من أنّ قبله ﴿نسلخُ﴾ فقبله ما أقرب إليه منه وهو يجري وقبله، والشمس بالرفع، والذي ذكره بعده وهو ﴿قدّرناه﴾ قد عَمِلَ في الهاء. ووجه ثان في الرفع يكون مرفوعاً بالابتداء، ويقال: القمرُ ليس هو المنازل فكيف قال: قدّرناه منازل؟ ففي هذا جوابان: أحدهما أن تقديره قدرناه ذا منازل مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، والتقدير الآخر أن المعنى: قدّرنا له منازل ثم حذف اللام، وكان حذفها حسناً لتعدّي الفعل إلى مفعولين مثل ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

﴿لا الشمسُ ينبغي لها أنْ تُدرك القمرَ..﴾ [٤٠]

رفعت الشمس بالابتداء، ولا يجوز أن تعمل ﴿لا﴾ في معرفة. وقد تكلم العلماء في معنى

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾

هذه الآية فقال بعضهم: معناها أن الشمس لا تدرك القمر فيبطل معناه، وقيل: القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة فهي لا تدركه. وأحسن ما قيل في معناه وأبينه مما لا يُدفع أن سير القمر سيرٌ سريع فالشمس لا تدركه في السير.

﴿ولا الليل سابقُ النهارِ﴾ مما قد تكلموا فيه أيضاً، وقال بعضهم: هذا يدل على أن النهار مخلوق قبل الليل وأن الليل لم يسبقه بالخلق، وقيل: لا يجوز أن يتقدم أحدهما صاحبه؛ لأن وجود هذا عدم هذا ولا يقع فيهما القبل والبعد، وهذا قول أهل النظر، وقيل: كل واحد منهما يجيء في وقته لا يسبق أحدهما صاحبه.

قال أبو جعفر: حدثنا محمد بن الوليد وعلي بن سليمان عن محمد بن يزيد قال: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ ﴿ولا الليلُ سابقُ النهارَ﴾ فقلت ما هذا؟ قال: أردتُ سابقٌ النهار فحذفتُ التنوين لأنه أخفّ، قال أبو جعفر: يجوز أن يكون النهار منصوباً بغير تنوين ويكون التنوين حُذف لالتقاء الساكنين.

﴿وآيةٌ لهم أنّا حملنا ذُرّياتهمْ في الفُلْك المشحون﴾ [٤١]

هذه الآية من أشكل ما في السورة لقوله جلّ وعزّ: ﴿حملنا ذرّياتهمْ﴾ لأنهم هم المحمولون، فسمعت علي بن سليمان يقول: الضميران مختلفان والمعنى: وآية لأهل مكة أنا حملنا ذريات قوم نوح في الفلك [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٨٨]، وفيها قول آخر حسن، وهو أن يكون المعنى أن الله جلّ وعزّ خبّر بلطفه وامتنانه أنه خلق السفن يحملُ فيها من يصعب عليه المشي والركوب من الذريات والصغار، ويكون الضميران على هذا متفقَين.

﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ [٤٢]

والأصل: يركبونه حُذفت الهاء لطول الاسم، وأنه رأس آية. وفي معناه ثلاثة أقوال: مذهب مجاهد وقتادة وجماعة من أهل التفسير أن معنى ﴿منْ مثله﴾ للإبل، والقول الثاني أنه للإبل والدوابّ وكل ما يركب، والقول الثالث أنه للسفن، وهذا أصحّها لأنه متصل الإسناد عن ابن عباس رواه محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ قال: خلق لهم سفناً أمثالها يركبون فيها.

﴿وإن نشأ نُغرِقْهُمْ فلا صريخَ لهمْ..﴾ [٤٣]

وبغير هذا الإسناد أن ابن عباس احتج في أن هذا ليس للإبل بأن بعده ﴿وإن نشأ نُغرِقْهُمْ

إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا
تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً
وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

﴿فلا صريخَ لهم﴾ وهو حسن لأن بعده ما لا يجوز فيه إلاّ الرفع لأنه معرفة وهو ﴿ولا هم يُنقذُون﴾ والنحويّون يختارون: لا رجلٌ في الدار ولا زيدٌ.

﴿إلاّ رحمةً منّا..﴾ [٤٤]

قال الكسائي: هو نصب على الاستثناء، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٨٩]: نصبَ لأنه مفعول له أي للرحمة ﴿ومتاعاً﴾ معطوف عليه. قال قتادة: ﴿إلى حين﴾ أي إلى الموت.

﴿ما ينظرون إلاّ صيحةً واحدةً تأخُذُهم وهمْ يخصّمون﴾ [٤٩]

وفي قوله جلّ وعزّ: ﴿ما ينظرون إلاّ صيحةً واحدةً تأخُذُهم وهمْ يخصّمون﴾ خمس قراءات [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٧٩]: قرأ أبو عمرو وابن كثير ﴿وهم يَخَصّمُونَ﴾ بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد، وكذا روى ورش عن نافع، فأمّا أصحاب القراءات وأصحاب نافع سوى ورش فإنهم رووا عنه ﴿وهم يَخْصّمُونَ﴾ بإسكان الخاء وتشديد الصاد على الجمع بين ساكنين، وقرأ عاصم والكسائي ﴿وهم يَخِصّمُونَ﴾ بكسر الخاء وتشديد الصاد، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة ﴿وهم يَخْصِمونَ﴾ بإسكان الخاء وتخفيف الصاد، وفي حرف أُبيّ ﴿وهم يختصمون﴾.

قال أبو جعفر: القراءة الأولى ﴿وهم يَخَصّمُونَ﴾ أبينها، والأصل: يختصمون فأدغمت التاء في الصاد فقلبت حركتها إلى الخاء، وإسكان الخاء لا يجوز لأنه جمع بين ساكنين وليس أحدهما حرف مدّ ولين وإنما يجوز في مثل هذا إخفاء الحركة فلم يُضبطْ كما لم يضبط عن أبي عمرو ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] إلاّ من رواية من يضبط اللغة، كما روى سيبويه عنه أنه كان يختلس الحركة. فأمّا ﴿يَخِصّمون﴾ فالأصل فيه أيضاً يختصمون فأُدغمت التاء في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٧٩] أن هذه القراءة أجود وأكثر، فترك ما هو أولى من إلقاء حركة التاء على الخاء واجتُلِبَ لها حركة أُخرى وجمع بين ياء وكسرة، وزعم أنه أجود وأكثر، وكيف يكون أكثر وبالفتح قراءة أهل مكة وأهل البصرة وأهل المدينة؟ قال عكرمة في قوله جلّ وعزّ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٢٩] قال: هي النفخة الأُولى في الصُّور.

﴿فلا يستطيعون توصيةً..﴾ [٥٠]

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾

روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: ينفخ في الصور والناس في أسواقهم: فمِنْ حالب لقحةً، ومن ذارع ثوباً، ومن مارٍّ في حاجة ﴿فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ وذكر الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٨٠] فيه قولين أحدهما لا يرجعون إلى أهليهم قولاً، والقول الآخر لا يرجعون من أسواقهم إلى أهليهم.

﴿ونُفِخَ في الصُّور..﴾ [٥١]

في معناه قولان: قال قتادة: ﴿الصور﴾ جمع صورة أي نُفخ في الصورِ الأرواحُ، وصُورَةٌ وصُورٌ مثل سُورَةِ البناء وسُور. قال العجّاج [ديوانه: ٢٢٤]: [الرجز]

فَـرُبَّ ذي سُـرادِقٍ مَـحْـجُـورِ سُرتُ إليه في أعالي السُّور

وقد روي عن ابن هرمز أنه قرأ ﴿ونُفِخَ في الصُّوَرِ﴾ فهذا لا إشكال فيه. فأما ﴿الصُّوْر﴾ بإسكان الواو فالصحيح فيه أنه القَرْنُ، جاء بذلك الحديث والتوقيف عن رسول الله ﷺ وذلك معروف في كلام العرب، وأنشد أهل اللغة: [الرجز]

نحنُ نَطَحْنَاهُمْ غَداةَ الغَوْرَيْنْ بالضّابِحَاتِ في غُبَارِ النَّقْعَيْنْ

نَطْحاً شديداً لا كَنَطْحِ الصُّورَيْنِ

﴿قالوا يا ويلنا..﴾ [٥٢]

منصوب على أنه نداء مضاف أي احضر فهذا من أيامك ومن ابّانك، ويجوز أن يكون منصوباً على معنى المصدر، ويكون المنادى محذوفاً على أن الكوفيين يقدّرونه ﴿وَيْ لنا﴾ منفصلةً فإذا قيل لهم فَلِمَ قلتم: وَيْلَ زيدٍ؟ ففتحتم اللام وهي لام خفض؟ ولِمَ قلتم: ويلٌ له؟ فضممتم اللام ونوّنتموها ثم حكيتم: ويلُ زيد بالضم غير منوّن، اعتلّوا بعلل لا تصحّ. قال أبو جعفر: وسنذكرها إن شاء الله فيما يُستقبل.

﴿مَنْ بعثنا مِنْ مرقدنا﴾ يقال: كيف قالوا هذا وهم من المعذّبين في قولكم في قبورهم؟ فالجواب أن أُبَيّ بن كعب قال: ناموا نومة. وقال أبو صالح: إذا نُفخ النفخة الأولى رُفع العذاب عن أهل القبور، وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة فلذلك قولهم: ﴿مَنْ بعثنا من مرقدنا﴾. قال مجاهد: أي فيقول لهم المؤمنون ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ وقال قتادة: فقال لهم مَنْ هدى الله ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٨٠]: أي فقال لهم الملائكة ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متفقة لأن الملائكة من المؤمنين وممن هدى الله وقرأ

إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾

مجاهد، ويُروى عن ابن عباس ﴿يا ويلنا مِنْ بَعْثِنَا﴾. قال أبو جعفر: وعلى هذا يتأوّل قول الله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] وكذا الحديث **«المؤمن عند الله خيرٌ من كلّ ما خَلَق»** [جه: ٣٩٤٧]، [القرطبي في «تفسيره»: ١٥/٤٢] ويجوز أن يكون الملائكة صلّى الله عليهم وغيرهم من المؤمنين قالوا ﴿**هذا ما وعد الرحمن**﴾ والتمام على هذا ﴿**من مرقدنا**﴾، ﴿**وهذا**﴾ في موضع رفع بالابتداء وخبره ﴿**ما وعد الرحمن**﴾، ويجوز أن يكون ﴿**هذا**﴾ في موضع خفض على النعت لمرقدنا فيكون التمام ﴿**من مرقدنا هذا**﴾ ويكون ﴿**ما وعد الرحمن**﴾ في موضع رفع من ثلاث جهات ذكر أبو إسحاق منها اثنتين، قال: يكون بإضمار ﴿**هذا**﴾، والثانية: أن يكون بمعنى: حق ما وعد الرحمن، وقال أبو جعفر: والثالثة: أن يكون بمعنى: بَعْثُكُمْ ما وَعَدَ الرحمن.

﴿**.. فإذا هم جميعٌ ..**﴾ [٥٣]

مبتدأ وخبره وجميع نكرة و﴿**مُحْضَرُونَ**﴾ من نعته.

﴿**إن أصحاب الجنة اليوم في شُغُل فاكهون**﴾ [٥٥]

قال عبد الله بن مسعود وابن عباس: شغلهم بافتضاض العذارى، وقال أبو قلابة: بينما الرجل من أهل الجنة مع أهله إذ قيل له: تحوّل إلى أهلك فيقول: أنا مع أهلي مشغول فيقال له: تحوّل أيضاً إلى أهلك، وقيل: أصحاب الجنة في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصي ومصيرهم إلى النار وما هم فيه من أليم العذاب وإن كانوا أقرباءهم وأعليهم. وقرأ الكوفيون ﴿**في شُغُل**﴾ بضم الشين والغين، وعن مجاهد ﴿**في شَغَل**﴾ وحكى أبو حاتم أن هذا يروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قرأ به وهي لغات بمعنى واحد ويقال: شَغْلٌ بفتح الشين وإسكان الغين ﴿**فاكهون**﴾ خبر إنّ، وعن طلحة بن مصرف أنه قرأ ﴿**فاكهين**﴾ نصبه على الحال.

﴿**هم وأزواجُهُم في ظلال على الأرائك مُتكئون**﴾ [٥٦]

مبتدأ وخبره، ويجوز أن يكون هم توكيداً ﴿**وأزواجهم**﴾ عطفاً على المضمر و﴿**متكئون**﴾ نعتاً لقوله فاكهون.

﴿**لهم فيها فاكهةٌ ولهم ما يدّعون**﴾ [٥٧]

الدال الثانية مبدلة من تاء لأنه يفتعلون من دعاء.

سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾

﴿سلامٌ..﴾ [٥٨]

مرفوع على البدل من ﴿ما﴾ [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٩٢]، ويجوز أن يكون ﴿ما﴾ نكرة و﴿سلام﴾ نعتاً لها أي ولهم ما يدعون مُسَلَّم، ويجوز أن يكون ﴿ما﴾ رفعاً بالابتداء ﴿سلام﴾ خبراً عنها، وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿سلاماً﴾ يكون مصدراً، وإنْ شئت في موضع الحال أي ولهم الذي يدعون مُسلَّماً، و﴿قولاً﴾ مصدر أي نقوله قولاً يوم القيامة، ويجوز أن يكون معناه: قال الله جلّ وعزّ هذا قولاً.

﴿وامتازوا اليومَ أيُّها المجرمون﴾ [٥٩]

ويقال: تميّزوا وانمازوا.

﴿ألمْ أعهدْ إليكُم..﴾ [٦٠]

ويقال: أعهِدْ بكسر الهاء يكون من عَهِدَ يَعْهِدُ، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٩٢]: ويجوز أن يكون عَهِدَ يَعْهِدُ مثل حَسِبَ يَحسِبُ ﴿أن لا تعبُدُوا الشيطان﴾ قال الكسائي: ﴿لا﴾ للنهي.

﴿وأن اعبُدُوني..﴾ [٦١]

من كسر النون فعلى الأصل، من ضم كَرِهَ كسرةً بعدها ضمة.

﴿ولقدْ أضلَّ منكم جِبِلاً..﴾ [٦٢]

هذه قراءة أهل المدينة والعاصمين، وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٩٣] وعيسى وعبد الله بن عبيد بن عمير والنضر بن أنس ﴿ولقدْ أضلّ منكم جُبُلاًّ﴾ بضم الجيم والباء وتشديد اللام، وقرأ ابن كثير والكوفيون إلاّ عاصماً ﴿جُبُلاً﴾ بضم الجيم والباء وتخفيف اللام، وقرأ أبو عمرو ﴿جُبْلاً﴾ بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، وقرأ أبو يحيى والأشهب العقيلي ﴿جِبْلاً﴾ بكسر الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام.

قال أبو جعفر: فهذه خمس قراءات أبينها القراءة الأولى، الدليل على ذلك أنهم قد أجمعوا على أن قرؤوا ﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤] ويكون جِبِل جمع جِبِلَّة، والاشتقاق فيه كله واحد، وإنما هو من: جَبَلَ الله الخلقَ أي خلقهم، وقد ذُكرتْ قراءة سادسة وهي ﴿ولقدْ أضلَّ منْكم جِيلاً كثيراً﴾ بالياء ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ أي قد كنتم تعقلون، وهذا على جهة التوبيخ، وكذا ﴿ألم أعهد﴾ أي قد عهدت.

اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

﴿ولو نشاءُ لطمسنا على أعينِهِم..﴾ [٦٤]

أي لو شئنا لأعميناهم في الدنيا عقوبة على عصيان الله جلّ وعزّ، ولكنا أخّرنا عقوبتهم إلى يوم القيامة **﴿فاستبقوا الصراط﴾** أي فبادروا الطريق إلى منازلهم في أول ما يعمون ليلحقوا بأهليهم.

﴿ولو نشاءُ لمسخناهمْ على مكانتهمْ..﴾ [٦٧]

أي لو نشاء لمسخناهم في الموضع الذي اجترؤوا فيه على معصية الله جلّ وعزّ **﴿فما استطاعوا مُضِيّاً﴾** أي فلم يستطيعوا أن يهربوا **﴿ولا يرجعون﴾** إلى أهليهم، وحكى الكسائي: طَمَسَ يَطمِسُ ويَطْمُسُ **﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾** على مكانتهم يقال: مكانٌ ومكانةٌ ودارٌ ودارةٌ. وحكى ابن الأعرابي أن العرب تقول في جمع مكان أمكنة ومكِنَاتٌ، وأنّ منه حديث النبي ﷺ **«أقِرّوا الطيرَ على مكناتها»** [د: ٢٨٣٥، حم: ٦/٣٨١].

قال أبو جعفر: مَكِنَاتٌ جمع مكِنَة ومكان بمعنى واحد، وقد تكلم الناس في معنى هذا الحديث فقال بعض الناس: لا تنفروها بالليل ولا تصطادوها إلاّ أن الشافعي رحمه الله فسّره لسفيان بن عيينة على غير هذا، قال: كانت العرب تزجر الطير في مكناتها إذا أرادوا الحاجة يتفاءلون بها ويتطيّرون فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك فقال: **«أقِرّوا الطّيرَ على مكِناتها»** أي لا تزجروها فإن الأمور تجري على ما قضى الله جلّ وعزّ. وقد رُوي عن عبد الله بن سلام غير هذا في تأويل هذه الآية وتأولها على أنها يوم القيامة، قال: إذا كان يوم القيامة ومُدّ الصراط نادى منادٍ: ليَقُمْ محمد ﷺ وأمّته فيقومون بَرُّهُمْ وفاجرهم فيتبعونه ليجاوزوا الصراط، فإذا صاروا عليه طمس الله جلّ وعزّ أعين فُجّارهمْ فاستبقوا الصراط فمن أين يبصرونه حتى يجاوزوه: ثم يُنادي: ليقُمْ عيسى ﷺ وأمّته فيقومون برّهم وفاجرهم فتكون سبيلهم تلك السبيل، وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم.

﴿ومَنْ نُعمِّرْهُ نُنكِّسْهُ في الخَلقِ..﴾ [٦٨]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٩٣]: يُبدّلُ من القوة ضعفاً، ومن الشباب هرماً. وعاصم والأعمش وحمزة يقرؤون **﴿نُنكِّسْهُ﴾** على التكثير والتخفيف، يقع للقليل والكثير بمعنى واحد.

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾

﴿وما علّمناه الشِّعرَ..﴾ [٦٩]

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: [الرجز]

أنـــا الــنـــبــــيّ لا كَـــذِبْ أنـــا ابــنُ عـــبــد الــمـطــلــب

[م: ٤٥٩١]

فتكلّم العلماء في هذا فقال بعضهم: إنما الرواية بالإعراب، فإن كانت بالإعراب لم تكن شعراً لأنه إذا فتح الباء من البيت الأول أو ضمّها أو نوّنها وكسر الباء من البيت الثاني خرج عن وزن الشعر، وقال بعضهم: ليس هذا الوزن من الشعر.

قال أبو جعفر: وهذا مكابرة العيان لأن أشعار العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره، ومن حسن ما قيل في هذا قول أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٩٣]: إن معنى **﴿وما علّمناه الشعر﴾** أي وما علّمناه أن يشعر أي ما جعلناه شاعراً، وهذا لا يمنع أن ينشد شيئاً من الشعر، وقد قيل: إنما خبر الله جلّ وعزّ ما علّمه الشعر، ولم يخبر أنه لا ينشد شعراً، وهذا ظاهر الكلام، وقد قيل فيه قول بيّن زعم صاحبه أنه إجماع من أهل اللغة، وذلك أنهم قالوا: كل من قال قولاً موزوناً لا يقصد به إلى شعر فليس بشعر وإنما وافق الشعر، وهذا قول بيّن. **﴿وما ينبغي له﴾** قال أبو إسحاق: أي وما يَتَسهّلُ له، وتأويله على معنى وما يتسهّل قول الشعر لا الإنشاد **﴿إنْ هو إلاّ ذكرٌ﴾** أي ما الذي أنزلنا إليك **﴿إلاّ ذكرٌ وقرآنٌ مبينٌ﴾**.

﴿لِتُنذِرَ مَنْ كان حَيّاً..﴾ [٧٠]

هذه قراءة أهل المدينة، ومال إليها أبو عبيد، قال: والشاهد لها **﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾** [الرعد: ٧]، وقراءة أبي عمرو وأهل الكوفة **﴿لِيُنذِرَ﴾** يكون معناها: ليُنذر الله جلّ وعزّ، أو ليُنذر القرآن، أو ليُنذر محمد ﷺ. وقرأ محمد بن السميفع اليماني **﴿لِيُنذَرَ من كان حيّاً﴾**، قال جويبر عن الضحّاك: **﴿من كان حيّاً﴾** أي من كان مؤمناً أي لأن المؤمن بمنزلة الحيّ في قبوله ما ينفعه **﴿ويحِقَّ القولُ على الكافرين﴾** أي يحقّ عليهم أن الله جلّ وعزّ يعذبهم وإنما يحق عليهم هذا بعد كفرهم. وحكى بعض النحويين: **﴿لتنذر من كان حيّاً﴾** أي لتعلم من قولهم: نذرتُ بالقوم أنذرُ إذا علمت بهم فاستعددتُ لهم، وحكى: ويحق القول على الكافرين بمعنى يُوجِبُ الحجة عليهم.

﴿أولم يَرَوا أنّا خلقنا لهمْ ممّا عمِلتْ أيدينا أنعاماً فهمْ لها مالكون﴾ [٧١]

إن جعلتَ **﴿ما﴾** بمعنى الذي حذفتَ الهاء لطول الاسم، وإن جعلت **﴿ما﴾** مصدراً لم يحتجْ إلى إضمار الهاء. وواحد الأنعام نَعَم، والنَّعمُ مذكر.

وَذَلَّلْنَهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَنُ أَنَّا خَلَقْنَهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾

﴿.. فمنها رَكُوبُهُم..﴾ [٧٢]

روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قرأت ﴿فمنها رَكُوبَتُهُم﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٨١] قال أبو جعفر: حكى النحويون الكوفيون أن العرب تقول: امرأة صبورٌ وشكورٌ بغير هاء، ويقولون: شاةٌ حلوبةٌ، وناقةٌ ركوبةٌ لأنهم أرادوا أن يفرّقوا بين ما كان له الفعل وبين ما كان الفعل واقعاً عليه فحذفوا الهاء مما كان فاعلاً، وأثبتوها فيما كان مفعولاً، كما قال عنترة: [الكامل]

فيها اثنتان وأربعون حَلُوبَةً سُوداً كخافِيَةِ الغُرابِ الأسحَمِ

[القرطبي في «تفسيره»: ٤/٧٨]

فيجب على هذا أن يكون ﴿رَكُوبَتُهُم﴾، فأمّا أهل البصرة فيقولون: حُذفت الهاء على النسب، والحجة للقول الأول ما رواه الجرمي عن أبي عبيدة [مجاز القرآن: ٢/١٦٥] قال: الركوبةُ تكون للواحدة والجماعة، والركوب لا يكون إلا للجماعة، فعلى هذا يكون على تذكير الجمع، وزعم أبو حاتم أنه لا يجوز ﴿فمنها رُكُوبُهُم﴾ بضم الراء لأنه مصدر والرُّكوب ما يُركَبُ، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٨١]: ﴿فمنها رُكُوبُهُم﴾ بضم الراء، كما تقول: فمنها أُكُلُهُم، ومنها شُرْبُهُم.

﴿ولهم فيها منافعُ ومشاربُ..﴾ [٧٣]

لم ينصرفا، لأنهما من الجموع التي لا نظير لها في الواحد ولا يُجمَعُ.

﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم يُنصَرون﴾ [٧٤]

هذه اللغة الفصيحة، ومن العرب مَنْ يأتي بأنْ فيقول: لعله أنْ يُنصر.

﴿لا يستطيعون نَصْرَهُم..﴾ [٧٥]

يعني الآلهة، وجُمِعُوا على جمع الآدميين لأنه أخبر عنهم بخبرهم ﴿وهم﴾ يعني الكفار ﴿لهم﴾ الآلهة ﴿جُندٌ مُحضَرُون﴾ قال الحسن: يمنعون منهم ويدفعون عنهم، وقال قتادة: يغضبون لهم.

﴿فلا يحزُنْكَ قولُهم..﴾ [٧٦].

هذه هي اللغة الفصيحة، ومن العرب من يقول: يُحزِنْكَ ﴿إنّا﴾ بكسر الهمزة فيما بعد القول لأنه مستأنف.

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ
بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا
أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿.. قالَ من يُحيي العظامَ وهي رَميمٌ﴾ [٧٨]

حذفت الضمة من الياء لثقلها، ولا يجوز الإدغام لئلاّ يلتقي ساكنان وكذا.

﴿قلْ يُحييها الذي أنشأها أول مرة..﴾ [٧٩]

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً..﴾ [٨٠]

فذكّر الشجر، ومن العرب من يقول: الشجرُ الخضراءُ كما قال جلّ وعزّ: ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥٢، ٥٣].

﴿أَوَليس الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ بقدرُ على أن يخلقَ مثلهم بلى..﴾ [٨١]

وحكى أن سلاماً أبا المنذر قرأ **﴿أَوَليس الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ يقدرُ على أن يخلقَ مثلهم بلى﴾** أي إنّ خلق السموات والأرض أعظم من خلقهم، فالذي خلقَ السموات والأرض يقدر على أن يبعثهم.

﴿إنما أمرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كنْ فيكونُ﴾ [٨٢]

وقرأ الكسائي **﴿إنما أمرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كنْ فيكونَ﴾** بالنصب عطفاً على يقول.

﴿فسبحان الذي بيده ملكوتُ كلّ شيء وإليه تُرجعون﴾ [٨٣]

قال سعيد عن قتادة: **﴿ملكوت كل شيء﴾** مفاتح كل شيء. قال أبو جعفر: ملكوتي وملكوتٌ في كلام العرب بمعنى ملك، والعرب تقول: «جَبَرُوتي خَيرٌ من رَحَمُوتي».

٣٧ ـ سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥﴾

شرحُ إعرابِ سُورةِ الصّافاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والصافاتِ صَفّاً﴾ [١]

﴿فالزاجِرَاتِ زَجْراً﴾ [٢]

﴿فالتاليات ذِكْراً﴾ [٣]

هذه قراءة أكثر القرّاء، وقرأ حمزة بالإدغام فيهن. وهذه القراءة التي نفر منها أحمد بن حنبل لمّا سمعها، قال أبو جعفر: هي بعيدة في العربية من ثلاث جهات: إحداهنّ أن التاء ليست من مخرج الصاد ولا من مخرج الزاي ولا من مخرج الذال، ولا هي من أخواتهن، وإنما أختاها الطاء والدال، وأخت الزاي الصاد والسين، وأخت الذال الظاء والثاء، والجهة الثانية أن التاء في كلمة وما بعدها في كلمة أخرى، والجهة الثالثة أنك إذا أدغمت فقلت: والصافات صفّا فجمعت بين ساكنين من كلمتين فإنما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا إذا كانا في كلمة واحدة نحو دابّة، ومجاز قراءة حمزة أن التاء قريبة المخرج من هذه الحروف **﴿والصافات﴾** خفض بواو القسم والواو بدل من الباء والتقدير: أحلف بالصّافات، وحقيقته بربّ الصافات **﴿فالزاجرات﴾** عطف، وكذا **﴿فالتاليات﴾**.

﴿إنّ إلهكمْ لواحدٌ﴾ [٤]

جواب القسم وأجاز الكسائي فتح أنّ في القسم.

﴿ربُّ السموات والأرض..﴾ [٥]

خبر بعد خبر، ويجوز أن يكون بدلاً من واحد، ويجوز أن يكون مرفوعاً على إضمار

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾

مبتدأ، وحكى الأخفش: ﴿ربَّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما وربَّ المشارقِ﴾ بالنصب على النعت لاسم ﴿إنّ﴾.

﴿إنّا زيّنّا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكبِ﴾ [٦]

هذه قراءة الحسن وأهل المدينة ويحيى بن وثاب وهي المعروفة من قراءة أبي عمرو، وحكى يعقوب القارىء أن أبا عمرو والأعمش قرآ ﴿بزينةٍ الكواكبَ﴾ بتنوين زينة ونصب الكواكب. وهي المعروفة من قراءة عاصم، وأما حمزة فقرأ ﴿بزينةٍ الكواكبِ﴾ [معاني القرآن: ٢/ ٣٨٢] بتنوين زينة وخفض الكواكب، وقراءة رابعة تجوز وهي ﴿بزينةٍ الكواكبُ﴾ بتوين زينة ورفع الكواكب، فالقراءة الأولى ﴿بزينةِ الكواكبِ﴾ بحذف التنوين من زينة للإضافة، وهي قراءة بيّنة حسنة أي: إنا زيّنا السماء الدنيا بتزيين الكواكب أي بحسنها، وقراءة عاصم بتنوين زينة ونصب الكواكب فيها ثلاثة أقوال: أحدهن أن تكون الكواكب منصوبةً بوقوع الفعل عليها أي بأنّا زيّنا الكواكب، كما تقول: عجبتُ من ضربٍ زيداً، وقال الله جلّ وعزّ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤، ١٥] إلا أن هذا أحسن للتفريق، والقول الثاني أن يكون التقدير: أعني الكواكب، والقول الثالث ذكره أبو إسحاق أن يكون الكواكب بدلاً من زينة على الموضع؛ لأن موضعها نصب، وقراءة حمزة ﴿بزينةٍ الكواكبِ﴾ على بدل المعرفة من النكرة.

﴿وحِفظاً..﴾ [٧]

نصب على المصدر والفعل محذوف، وهو معطوف على ﴿زيّنا﴾ ﴿مِنْ كل شيطان مارد﴾ نعت لشيطان، وكل عاتٍ من الجن والإنس، فالعرب تسمّيه شيطاناً [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٩٨].

﴿لا يَسَّمَّعُونَ إلى الملأ الأعلى..﴾ [٨]

هذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم، وقرأ سائر الكوفيين ﴿لا يَسَّمَّعُونَ﴾ على أن الأصل: يتسمّعون فأدغمت التاء في السين لقربها منها، ومال أبو عبيد إلى هذه القراءة واحتج في ذلك أن العرب لاتكاد تقول: سمعتُ إليه، ولكن تسمّعتُ إليه، قال: فلو كان يسمعون الملأ بغير ﴿إلى﴾ لكان مخففاً. قال أبو جعفر: يقال: سمعتُ منه كلاماً وسمعت إليه يقول كذا، ومعنى سمعتُ إليه: أملتُ سمعي إليه. فأما قوله: لو كان يَسْمَعُون الملأ، فكأنه غَلِطَ، لأنه لا يقال: سمعتُ زيداً، وتسكت إنما تقول: سمعتُ زيداً يقول كذا وكذا فيسمعون إلى الملا على هذا أبين. وقد روى الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس: ﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ قال: هم يسمعون وهم لا يتسمّعون، وهذا قول بيّنٌ ﴿ويُقذَفُونَ مِنْ كلّ جانب﴾.

دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ
خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾

﴿دُحُوراً..﴾ [٩]

مصدر، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ﴿دَحُوراً﴾ بفتح الدال يجعله مصدراً على فَعُول بمنزلة القبول، وأما الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٨٣] فقدّره على أنه اسم الفاعل أي ويُقذفون بما يدحرهم أي بدُحُور ثم حذف الباء، والكوفيون يستعملون هذا كثيراً، كما أنشدوا لجرير: [الوافر]

تَمُرُّونَ الدِّيارَ ولَمْ تَعُوجُوا كَلامُكُمُ عَلَيَّ إذاً حَرامُ

قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعتُ أبا العباس محمد بن يزيد يقول: قرأت على عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ﴿مررتم بالديار﴾.

﴿إلاّ من خَطِفَ الخَطْفَةَ..﴾ [١٠]

فيه لغات قد قُرِىء ببعضها، وهي غير مخالفة للخط يقال: إذا أُخِذَ الشيءُ بسرعة خَطِفَ وخَطَفَ وخَطَّفَ وخِطِّفَ وخِطَّف والأصل في المشدّدات اختطف فأدغمت التاء في الطاء لأنها أختها وفُتحت الخاء، لأن حركة التاء أُلقيتْ عليها ومَنْ كسرها فلالتقاء الساكنين، ومن كسر الطاء أتبع الكسر بالكسر. ﴿فأتبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ﴾ نعت لشهاب. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٩٩]: يقال: تبعه وأتبَعَهُ إذا مضى في أثره، وشهابٌ وشُهُبٌ، والقياس في القليل أشْهِبَةٌ وإن لم يسمع من العرب، وحكى الأخفش سعيد: في الجمع شُهُبٌ ثُقُبٌ وثواقب وثقابٌ، وحكى الكسائي: ثَقَبَ يثقُبُ ثَقابةً وثُقوباً.

﴿فاستَفْتِهِمْ أهُمْ أشدُّ خلقاً أم من خلقْنا..﴾ [١١]

﴿مَنْ﴾ بمعنى الذين والمعنى: أم الذين خلقناهم، وقد تقدم ذكر الملائكة وغيرهم ﴿إنا خلقْناهم منْ طين لازب﴾. وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٨٤] عن العرب: طينٌ لاتبٌ بمعناه أي لازق.

﴿بل عجبْتَ ويسخرون﴾ [١٢]

هذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم، وقرأ الكوفيون إلاّ عاصماً ﴿بل عجبْتُ﴾ بضم التاء وإليها يذهب أبو عبيد، واحتجّ بقول الله جلّ وعزّ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥] ولا حجة فيه، ومعناه على ما قاله أبو حاتم: وإن تعجبْ فلك في قولهم عجب ولمن سمعه وفيه عجب. والقراءة بضم التاء مروية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن ابن مسعود رحمه الله رواها شعبة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ ﴿بل عجبْتُ﴾ بضم التاء ويُروى عن ابن عباس [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٨٤].

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝١٥ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾

قال أبو جعفر: سمعت علي بن سليمان يقول: معنى القراءتين واحد، والتقدير: قل يا محمد: بل عجبتُ لأن النبي ﷺ مُخاطبٌ بالقرآن، وهذا قول حسن. ﴿ويسخرون﴾ بالسين في السواد، ويجوز في غير القرآن عند الخليل رحمه الله أن يقال: «صَخِرتُ منه» بالصاد، ولغة شاذة «سَخِرتُ به» بالباء.

﴿وإذا رأوا آيةً يستسخرون﴾ [١٤]

أي يستدعون السُّخريَّ و ﴿إذا﴾ في موضع نصب بإضمار فعل قبلها، ولا يعمل فيها ما بعدها. وحكى الكسائي: دَخِرَ يَدْخَرُ دُخُوراً.

﴿فإنما هي زَجْرَةٌ واحدةٌ..﴾ [١٩]

والجمع زَجَراتٌ بتحريك الجيم فرقاً بين الاسم والنعت.

﴿وقالوا يا ويلنا..﴾ [٢٠]

منصوب على أنه مصدر عند البصريين، وزعم الفرّاء أن تقديره يا وَيْ لنا. ووَيْ بمعنى: حَزَنَ ولو كان كما قال لكان منفصلاً وهو في المصحف متّصل، ولا نعلم أحداً يكتبه إلاّ متّصلاً فزاد الكوفيون على هذا، فحكى بعضهم لغات شتّى أنه يقال: ويلٌ للشيطان، وويلاً للشيطان، وويلِ للشيطان، ووَيْلَ الشيطان، وويلُ الشيطانِ، وويلِ الشيطان. فأما ويلٌ للشيطان فبيّنٌ لا نظر فيه، وويلاً للشيطان جائز بمعنى: ألزَمهُ الله ويلاً. وأما ويلِ للشيطان فشاذ وهو مُشبّهٌ بالأصوات، فأمّا ويلَ الشيطان فهو عند البصريين منصوب على معنى ألزمه الله ويلاً أيضاً، وقال الفرّاء: لمّا كثُر استعمالهم إياه جعلوه بمنزلة اسم ضُمّ إلى اسم، كما قالوا: يا لَبَكر، وهي لام الخفض، ومن قال: ويلِ الشيطان جاء به على الأصل، ومن قال: ويلُ الشيطان فالأصل عنده ويلٌ للشيطان ثم حذَف لكثرة اللامات كما قُرىء ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] بمعنى إن وليِّيَ الله فحذف لكثرة الياءات.

قال أبو جعفر: لا تُعرف هذه القراءة ولكن قرأ عاصم الجحدري ﴿إنّ وَلِيَّ الله الذي نزّل الكتاب﴾ بمعنى إنّ وليَّ الله الذي نزّلَ الكتاب جبريل ﷺ الذي نزّل الكتاب ثم أُقيم النعت مقام المنعوت. ﴿هذا يومُ الدين﴾ ابتداء وخبر. قال أبو جعفر: قال الضحّاك وعطية العوفي: أي هذا يوم الحساب.

﴿هذا يوم الفصلِ الذي كنتمْ به تكذّبون﴾ [٢١]

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾

﴿الذي﴾ في موضع رفع على النعت لليوم، ويجوز أن يكون في موضع خفض على النعت للفصل.

﴿احشُروا الذين ظلموا وأزواجهم..﴾ [٢٢]

﴿من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [٢٣]

معطوف على ﴿الذين﴾. وواحدهم زوج قال سفيان عن سماك عن النعمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ﴿وأزواجهم﴾ قرناؤهم وهو مُبيّنٌ في حديث شريك عن سماك عن النعمان قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول في قول الله جلّ وعزّ: **﴿احشروا الذين ظلموا وازواجهم﴾** قال: الزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر، وصاحب السرقة مع صاحب السرقة، وقال سفيان عن أبيه عن المسيب بن رافع عن ابن عباس: **﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾** قال: أشباههم.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال لا تُدفع لجلالة قائلها وأنها معروفة في اللغة يقال: هذا زوج هذا أي قرينه وشبهه، ومن هذا قيل للرجل: زوج المرأة وللمرأة زوج الرجل وقيل للخفّين: زوجان لأن كل واحد منهما زوج لصاحبه، ولا يقال للاثنين إلا زوجان، وقال سعيد عن قتادة: **﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾**، قال: الكفار مع الكفار. **﴿وما كانوا يعبدون منْ دون الله﴾** قال: الأصنام **﴿فاهدوهمْ إلى صراط الجحيم﴾** يقال: هديتُهُ إلى الطريق وهديته الطريق أي دللته عليه، وأهديتُ الهديّة وهديتُ العروس، ويقال: أهديتها أي جعلتها بمنزلة الهدية [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٠١].

﴿وَقِفُوهُمْ إنّهم مسئولون﴾ [٢٤]

وحكى عيسى بن عمر ﴿أنّهم﴾ بفتح الهمزة. قال الكسائي: أي لأنهم وبأنهم.

﴿ما لكمْ لا تَناصَرُونَ﴾ [٢٥]

في موضع نصب على الحال.

﴿بل هُمُ اليومَ مستسلمون﴾ [٢٦]

قال قتادة: مستسلمون في عذاب الله.

﴿وأقبلَ بعضُهُمْ على بعض يتساءلون﴾ [٢٧]

فربّما توهم الجاهل أن هذا من قوله جلّ وعزّ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وليس منه في شيء؛ لأن قوله جلّ وعزّ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾

﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ۝٣٠ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝٣١ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ۝٣٢﴾

إنما هو لايتساءلون بالأرحام فيقول أحدهم: أسألك بالرحم التي بيني وبينك إمّا نفعتني، أسقطتَ حقاً لك عليّ أو وهبتَ لي حسنةً؛ لأن قبله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي ليس ينتفعون بالأنساب التي بينهم كما جاء بالحديث «إن الرجل يوم القيامة ليُسَرُّ بأن يصبح له على أبيه أو على ابنه حقّ فيأخذه منه لأنها الحسنات والسيئات» [القرطبي في «تفسيره»: ١٥/٧٤]، وفي حديث آخر «رحم الله امرأً كانت لأخيه عنده مظلمةٌ في مال أو عرض فأتاه فاستحلّه قبل أن يطلبه به فيأخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنات زِيدَ عليه من سيئات المُطالِب» [ابن حبان في «صحيحه»: ٧٣٥].

و﴿يتساءلون﴾ ههنا إنما هو أن يسأل بعضهم بعضاً ويوبّخه في أنه أضلّه أو فتح له باباً من المعصية.

﴿إنكمْ كنتمْ تأتوننا عن اليمين﴾ [٢٨]

بيّن ذلك أنّ بعده ﴿إنكمْ كنتمْ تأتوننا عن اليمين﴾ قال سعيد عن قتادة: أي تأتوننا عن طريق الخير وتصدّوننا، وعن ابن عباس نحو منه، وقيل: تأتوننا عن اليمين من الجهة التي نحبّها ونتقاد إليها وتَغُرّونا بذاك، والعرب تتفاءل لِما كان على اليمين، وتسمّيه السانح، وقيل: تأتوننا مجيء مَنْ إذا حلف لنا صدّقناه.

﴿قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾ [٢٩]

قال قتادة: هذا قول الشياطين لهم.

﴿وما كان لنا عليكم من سلطان..﴾ [٣٠]

﴿سلطان﴾ في موضع رفع لأن ﴿من﴾ زائدة للتوكيد ﴿بلْ كنتمْ قوماً طاغين﴾ أي متزايدين في الكفر، وطغى الماء إذا زاد.

﴿فحقّ علينا قول ربّنا..﴾ [٣١]

أي فحق علينا ما كتبه الله جلّ وعزّ، وما أعلم به ملائكته صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا موافق للحديث «إنّ الله جلّ وعزّ كتبَ للنار أهلاً وللجنة أهلاً لا يُزادُ فيهم ولا يُنقص منهم» [القرطبي في «تفسيره»: ١٥/٧٥].

﴿فأغويناكمْ إنّا كنّا غاوين﴾ [٣٢]

أي كنا سبباً لغيّكم.

فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا
اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾
إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾

﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ [٣٣]

أي الضالّ والمُضِلّ، ولو كان في غير القرآن لجاز نصب مشتركين.

﴿إنّا كذلك نفعلُ بالمجرمين﴾ [٣٤]

الكاف من كذلك في موضع نصب نعت لمصدر.

﴿إنهم كانوا إذا قيل لهمْ لا إله إلاّ الله يستكبرون﴾ [٣٥]

يكون يستكبرون في موضع نصب على خبر كان، ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر ﴿إنّ﴾ وكان ملغاة.

﴿إنكمْ لذائقوا العذاب الأليم﴾ [٣٨]

الأصل لذائقون حُذفت النون استخفافاً، وخُفضتْ للإضافة، ويجوز النصب، كما أنشد سيبويه: [المتقارب]

فألفيتُهُ غيرَ مُستعتِبٍ ولا ذاكِرِ اللهَ إلاّ قليلا

[القرطبي في «تفسيره»: ٢/٢١١]

وأجاز سيبويه ﴿والمقيمي الصلاةَ﴾ على هذا.

﴿إلاّ عبادَ الله المُخلَصِينَ﴾ [٤٠]

نصب على الاستثناء.

﴿فواكهُ..﴾ [٤٢]

بدل من رزق.

﴿على سُرُر متقابلين﴾ [٤٤]

قال عكرمة: لا ينظر بعضهم في قفا بعض، ويجوز سُرْرٌ لثقل الضمة مع التضعيف.

﴿يُطافُ عليهمْ بكأس من معين﴾ [٤٥]

رُوي عن ابن عباس قال: الخمر، وعن مجاهد قال: هي خمر بيضاء، وقال الضحاك:

بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾

كل كأس في القرآن فهي خمر، وحكى من يوثق به من أهل اللغة أن العرب تقول للقدح إذا كان فيه خمر: كأس، فإن لم يكن فيه خمر فهو قدح، كما يقال للخوان إذا كان عليه طعام: مائدة فإن لم يكن عليه طعام لم يُقلْ له مائدة، قال أبو الحسن بن كيسان: ومثله ظعينة للهودج إذا كانت فيه امرأة. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٠٣]: ﴿بكأس من معين﴾ خمر، تجري العيون على وجه الأرض.

﴿..لَذَّةٍ..﴾ [٤٦]

قال: و﴿..لَذَّةٍ..﴾ بمعنى ذات لذة.

﴿لا فيها غولٌ..﴾ [٤٧]

ويقال بمعناه: غُيْلَةٌ وغائلة، وهو ما يؤذي الإنسان من الصداع أو غيره ﴿ولا هم عنها يُنزَفُون﴾ قراءة أهل المدينة وأهل البصرة وعاصم، وقرأ سائر الكوفيين إلا عاصماً ﴿يُنزِفُونَ﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٣٠٣] بكسر الزاي. قال أبو جعفر: والقراءة الأولى أبين وأصح في المعنى لأن معنى ﴿يُنزَفُونَ﴾ عند جلة أهل التفسير منهم مجاهد: لاتذهب عقولهم فنفى الله جلّ وعزّ عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر، فأما معنى ﴿يُنزِفُونَ﴾ فالصحيح فيه أنه يقال: أنزفَ الرجل إذا نَفِدَ شرابه [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٨٥]، وهذا يبعد أن يُوصف به شراب أهل الجنة، ولكن مجازه أن يكون بمعنى: لاينفد أبداً.

﴿وعندهمْ قاصراتُ الطَّرف عِينٌ﴾ [٤٨]

عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب قالوا: قَصَرْنَ طرفهنّ على أزواجهن فلا يبغين غيرهم، وقال عكرمة: قاصرات الطرفِ أي محبوسات على أزواجهن، والتفسير الأول أبين لأنه ليس في الآية مقصورات، موضع آخر ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ﴾ [الرحمٰن: ٧٢] من قول العرب: إمرأة قصيرةٌ ومقصورةٌ إذا حُبِست على زوجها ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء والأصل فيه فُعْلٌ فكسِرَتِ العين لئلا تنقلب الياء واواً.

﴿كأنهن بَيضٌ مكنونٌ﴾ [٤٩]

قال مطر الوراق: أي بيضٌ محضونٌ أي لم ترسّخه الأيدي. قال أبو جعفر: هكذا تقول العرب إذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كأنه بَيْضُ النّعام المغطى بالريش.

﴿فأقبلَ بعضهم على بعض يتسآءلون﴾ [٥٠]

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤﴾

وإدغام التاء في السين جائز في العربية. قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٦٩]: إنما سأل عن صاحبه ثم أخبر.

﴿إنّي كان لي قرينٌ﴾ [٥١]

فقال: ﴿إنّي كان لي قرينٌ﴾ قال سعد بن مسعود: وشريكه قرينه، وهما رجلان من بني إسرائيل اشتركا في تجارة فربحا ستة آلاف دينار، فأخذ كل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، فافترقا فلقي أحدهما صاحبه فقال له: هل علمت أني تزوجت امرأة من أفضل نساء بني إسرائيل بألف دينار؟ فمضى صاحبه فأخذ ألف دينار تصدّق بها على المساكين والفقراء وقال: اللهمّ إنّ صاحبي تزوج امرأة يموت عنها، ويكبر وتفارقه، وإني أسألك أن تنكحني امرأة من نساء أهل الجنة بهذه الألف.

ثم إنّ صاحبه لقيه فقال له: هل علمت أني اشتريت مسكناً من أفضل مساكن بني إسرائيل بألف دينار؟ فمضى صاحبه فتصدّق بألف دينار على الفقراء والمساكين وقال: اللهم إني اشتريت منك مسكناً من مساكن أهل الجنة بهذه الألف دينار.

ثم لقي صاحبه فقال: هل علمت أني اشتريت جنة من أفضل جنان بني إسرائيل بألف دينار فصرت من أفضلهم بزوجتي ومسكني وجنتي؟ فمضى صاحبه فتصدق بالألف الباقي على الفقراء والمساكين وقال: اللهم إنّي قد اشتريت منك جنة الخلد بهذا الألف، ثم إن صاحبه الذي اكترى أجرّاء لجنته، فإذا هو بصاحبه فيهم فعرفه فدعا به فقال له: أشحٌ هذا أم أفسدتَ ملكك؟ فحدّثه بالقصة، فقال له: أتتوهم أنك ستُبعث ثم تُدان بما عملت إنك لمغرور وإنّ هذا لباطل، ففيهما أنزل الله جلّ وعزّ: ﴿قال قائلٌ منهم إني كان لي قرين﴾ إلى ﴿من المحضرين﴾ [٥٢].

﴿إإنكَ لمنَ المُصَدّقين﴾ [٥٣]

قال أبو جعفر: التقدير ﴿أإنّكَ لمن المُصَدّقين﴾ بأنّا مدينون أي مُحاسبون مُجازون بأعمالنا ثم حذفت الياء وكُسرت ﴿إنّ﴾، لأن في خبرها اللام، ولا يجوز أنك لَمِنَ المصدّقين لأنه لامعنى للصدقة ههنا.

﴿قال هلْ أنتمْ مُطّلِعُون﴾ [٥٤]

وحكي ﴿هل أنتم مُطْلِعُونَ﴾. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٠٤، ٣٠٥]: يقال: طَلَعَ وأطلَعَ بمعنى واحد، وقد حُكي: ﴿هل أنتم مُطْلِعُونِ﴾ بكسر النون وهو لحن لايجوز لأنه

﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨﴾

جمع بين النون والإضافة، ولو كان مضافاً لكان: هل أنتم مُطلِعيّ، وإن كان سيبويه والفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٨٦] حكيا مثله، وأنشدا: [الطويل]

هُـمُ الـقـائـلـونَ الـخـيـرَ والآمِـرُونَـهُ إذا ما خَشُوا من مُحْدَثِ الأمرِ مُعْظَما

وأنشد الفرّاء «والفاعلونَهُ»، وأنشد سيبويه وحده: [الطويل]

ولـم يَـرتَـفِـقْ والـنـاسُ مـحـتَـضِـرونَـهُ جـمـيـعـاً وأيـدي الـمُـعـتَـفِـيـنَ رَوَاهِـقُـهْ

وأنشد الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٨٦] وحده: [الوافر]

ومـــا أدري وظَـــنِّـــي كُـــلُّ ظَـــنٍّ أَمُـسْـلِـمُـنـي إلـى قـومـي شَـرَاحِ

أما البيتان اللذان أنشدهما سيبويه وشَركهُ الفرّاء في أحدهما فلا يُعرف مَنْ قالهما ولا تثبت بهما حجة، ولو عُرف مَنْ قالهما لكانا شاذّين خارجين عن كلام العرب، وما كان هكذا لم يحتجّ به في كتاب الله جلّ وعزّ، ولا يدخل في الفصيح، وأما البيت الذي أنشده الفرّاء فالقول فيه ما حكاه أبو إسحاق قال: أنشدنا محمد بن يزيد «أأسلَمني» وزعم الفرّاء أنه يريد بشراحِ شراحيل، وهذا من أقبح الضرورات أن يُرَخّمَ في غير النداء، وإنما لم يجز ﴿هل أنتم مُطْلِعُونِ﴾ بكسر النون لأنه جاء إلى ما لاينفصل مما قبله بالنون وهذا ما لاوجه له، وهذا قول من يوثق به من النحويين منهم محمد بن يزيد، وهو أيضاً قول الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٨٦] غير أنه أفسده بعد ذلك فقال: ضَارِبُني مُشبَّهٌ بيضربني.

﴿فاطَّلَعَ فرآه..﴾ [٥٥]

وحُكي ﴿فاطْلَعَ فرآه﴾ وفيه قولان: أحدهما أن يكون فعلاً مستقبلاً أي فأطلعَ أنا، ويكون منصوباً على أنه جواب الاستفهام، والقول الثاني على أنه يكون فعلاً ماضياً ويكون أطلَعَ واطّلَعَ واحداً ﴿فرآهُ في سواء الجحيم﴾ عن عبد الله بن مسعود قال: في وسطها والحسك حواليه.

﴿قال تالله إن كِدتَ لتُردِينِ﴾ [٥٦]

قال الكسائي: أي لتهلكني، وقال محمد بن يزيد: لو قيل: لَتُرْدِينِ لتوقعني في النار لكان جائزاً.

﴿ولولا نعمةُ ربّي لكُنتُ مِنَ المُحضَرِينَ﴾ [٥٧]

ما بعد لولا مرفوع بالابتداء عند سيبويه والخبر محذوف، قال الفرّاء: أي لكنت معك في النار مُحضَراً.

﴿أفما نحنُ بميتين﴾ [٥٨]

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾

﴿إلاّ موتَتَنا الأُولى..﴾ [٥٩]

يكون استثناء ليس من الأول، ويكون مصدراً لأنه منعوت.

﴿إنّ هذا لهو الفوزُ العظيمُ﴾ [٦٠]

يكون هو مبتدأ، وما بعده خبراً عنه، والجملة خبر ﴿إنّ﴾ ويجوز أن يكون هو فاصلاً.

﴿لِمثلِ هذا فَلْيعمَلِ العاملون﴾ [٦١]

والأصل لِيَعملْ بكسر اللام، فحُذفت الكسرة لثقلها. والتقدير ـ والله جلّ وعزّ أعلم ـ فليعمل العاملون لمثل هذا، فإن قال قائل: فالفاء في العربية تدلّ على أن الثاني بعد الأول فكيف صار ما بعدها يُنوى به التقديم؟ فالجواب أن التقديم كمثل التأخير لأنّ حقّ حروف الخفض وما معها أن تكون متأخرة.

﴿أذلك خيرٌ..﴾ [٦٢]

مبتدأ وخبره ﴿نُزُلاً﴾ على البيان والمعنى أنعيمُ أهل الجنة خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم خير نزلاً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٠٦/٤]، والنزل في اللغة الرزق الذي له سعة، وكذا النُزْلُ والنُزُلُ إلاّ أنه يجوز أن يكون النُزل بإسكان الزاي لغة، ويجوز أن يكون أصله النُزُلُ فحذفت الضمّة لثقلها، ومنه: أُقيمَ للقومِ نُزُلُهم، واشتقاقه أنه الغذاء الذي يصلح أن ينزلوا معه، ويقيموا فيه. وشجرة الزقوم مشتقة من التزقم، وهو البلع على الجهد والشدة، فقيل لها شجرة الزقوم لأنهم يبتلعونها على جهد وتقف في حلوقهم لكراهيتها ونتنها.

﴿إنّا جعلناها فتنةً للظالمين﴾ [٦٣]

مفعولان.

﴿إنها شجرةٌ..﴾ [٦٤]

خبر ﴿إنّ﴾ ولا يجوز حذف الألف من ﴿إنها﴾ كما حذفت الواو من إنه لثقل الواو وخفة الألف ﴿تخرجُ في أصلِ الجحيم﴾ خبر بعد خبر مثل ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٥ ـ ١٦] ويجوز أن يكون ﴿تخرج﴾ نعتاً للشجرة.

﴿طلعها..﴾ [٦٥]

مبتدأ، وخبره في الجملة أو تجعل الكاف بمعنى مثل فتكون خبراً.

فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾

﴿فإنهم لآكلون منها..﴾ [٦٦]

دخلت اللام للتوكيد.

﴿..لَشَوْباً..﴾ [٦٧]

وكذا ﴿..لَشَوْباً﴾ حكى الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٨٧]: شَابَ طعامَهُ وشرابَهُ إذا خلطهما بشيء سواهما، يشوبُهما شوباً وشابةً.

﴿فهم على آثارهم يُهْرَعُونَ..﴾ [٧٠]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٨٧]: الإهراع الإسراع فيه شبيه بالرعدة، وقال محمد بن يزيد: المُهْرَعُ المُسْتَحَثُّ يقال: جاء فلانٌ يُهْرَعُ إلى النار إذا استَحَثَّهُ البردُ إليها، وحكى أبو إسحاق: هُرِعَ وأُهرِعَ جميعاً.

﴿ولقدْ نادانا نوحٌ..﴾ [٧٥]

من النداء الذي هو استغاثة ودعاء ﴿فَلَنِعْمَ المُجيبون﴾ قال الكسائي: فلنعم المجيبون له كنا [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٣٠٧].

﴿ونجّيناهُ وأهلَهُ..﴾ [٧٦]

عطف على الهاء.

﴿وجعلنا ذُرِّيَّتَهُ..﴾ [٧٧]

مفعول أول و﴿هم﴾ زائدة تُسَمّى فاصلة ﴿الباقين﴾ مفعول ثان. فأما معنى ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فمن أحسن ما روي فيه ما ذكر عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب في قوله جلّ وعزّ: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ أن الناس كلهم من ولدِ نوح ﷺ وأنهم كلهم من ثلاثة أولاد لنوح: سام وحام ويافث فالعرب يعني يمنيّها ونزارها والروم والفرس من ولد سام، والسودان يعني جميع أجناسهم من السند والهند والزغاوة وغيرهم والبربر والقبط من ولد حام، والصقالب والترك ويأجوج ومأجوج من ولد يافث. والخير من ولد سام. قال أبو جعفر: صرفت

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾

نوحاً وساماً وإن كانت أسماء أعجمية لأنها على ثلاثة أحرف فخفّت، هذا الصحيح، وقد قيل إنها عربية مشتقة.

﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ [٧٨]

﴿سلامٌ على نوح في العالمين﴾ [٧٩]

زعم الكسائي أن فيه تقديرين: أحدهما وتركنا عليه في الآخرين يقال: سلام على نوح أي تركنا عليه هذا الثناء، وهذا مذهب أبي العباس؛ قال: والعرب تحذف القول كثيراً. والقول الآخر أن يكون المعنى وألقينا عليه وتمّ الكلام، ثم ابتدأ فقال: سلام على نوح، قال الكسائي: وفي قراءة ابن مسعود ﴿سلاماً﴾ منصوب بتركنا أي تركنا عليه ثناء حسناً [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨].

﴿إنّا كذلك نَجزي المحسنين﴾ [٨٠]

أي يبقى عليهم الثناء الحسن، والكاف في موضع نصب أي جزاء كذلك.

﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ [٨٢]

الواحد: آخر والأصل فيه أن يكون معه ﴿من﴾ إلاّ أنها حُذفت؛ لأن المعنى معروف لا يكون آخر ومعه شيء من جنسه.

﴿وإنّ من شيعتهِ لإبراهيم﴾ [٨٣]

نصب بإنّ.

﴿إذ جاء ربّهُ بقلب سليم﴾ [٨٤]

قال عوف الأعرابي: سألتُ محمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ فقال: الناصح لله في خلقه.

﴿إذ قالَ لأبيهِ وقومهِ ماذا تعبُدُون﴾ [٨٥]

تكون ﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء و﴿ذا﴾ خبره، ويجوز أن تكون ﴿ما﴾ و﴿ذا﴾ في موضع نصب بتعبدون.

﴿أئفكاً..﴾ [٨٦]

نصب بـ ﴿تعبدون﴾. قال أبو العباس محمد بن يزيد: والإفك أسوأ الكذب وهو الذي لايثبت ويضطرب، ومنه ائتفكتْ بهم الأرض، ﴿آلهةً﴾ بدل من إفك.

فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾

﴿فما ظَنّكم..﴾ [٨٧]

مبتدأ وخبره [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٠٨/٤].

﴿فَنَظَرَ نَظرةً في النجوم﴾ [٨٨]

يكون جمع نجم، ويكون واحداً مصدراً، وهذا قول الخليل أي فيما نجم له من الرأي.

﴿فقال إنّي سقيمٌ﴾ [٨٩]

عن ابن عباس قال: مريض، وقال الضحّاك: أي مطعون فينحّوا عنه لئلاّ يعديهم، وصدق إبراهيم في هذا لأن كل أحد سـيـسقم بالموت، كما قال جلّ وعزّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] فالمعنى: إني سقيم فيما استقبل فتوهموا أنه سقيم الساعة. قال أبو جعفر: وهذا من معاريض الكلام [معاني القرآن للفراء: ٣٨٨/٢].

﴿فتولَّوا عنه مُدْبِرينَ﴾ [٩٠]

نصب على الحال.

﴿فراغَ إلى آلهتِهِمْ فقال ألا تأكلون﴾ [٩١]

فخاطبها كما يُخاطب من يعقل، لأنهم أنزلوها بتلك المنزلة في عبادتهم إياها، وكذا **﴿قال ألا تأكلون﴾** متعجباً منها.

وكذا **﴿مالكم لا تَنطِقُون﴾ [٩٢]**

وكذا **﴿فراغَ عليهمْ..﴾ [٩٣]**

ولم يقل: عليها ولا عليهنّ **﴿ضرباً﴾** مصدر.

﴿فأقبلوا إليه يَزِفّون﴾ [٩٤]

وقرأ مجاهد ويحيى بن وثاب والأعمش **﴿فأقبلوا إليه يُزِفّون﴾** بضم الياء وزعم أبو حاتم أنه لايعرف هذه اللغة وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفرّاء [معاني القرآن: ٣٨٨/٢، ٣٨٩] وشبّهها بقولهم: أطرَدتُ الرجل، أي صيّرتُهُ إلى ذلك وطردتُهُ: نحيّتُهُ. وأنشد هو وغيره: [الطويل]

تمنّى حُصَينٌ أن يسودَ جِذاعه ... فأضحى حُصَينٌ قد أذلّ وأقهرا

أي صُيّر إلى ذلك فكذا **﴿يُزِفّون﴾** يصيرون إلى الزفيف. قال محمد بن يزيد: الزفيف: الإسراع، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٠٩/٤]: الزفيف: أول عَدْوِ النعام. قال أبو

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

حاتم: وزعم الكسائي أن قوماً قرؤوا ﴿فأقبلوا إليه يَزِفُون﴾ من وزَفَ يَزِفُ مثل وَزَنَ يَزِنُ فهذه حكاية أبي حاتم، وأبو حاتم لم يسمع من الكسائي شيئاً، وروى الفرّاء وهو صاحب الكسائي عن الكسائي أنه لايعرف ﴿يَزِفُون﴾ مخففة، قال الفرّاء: وأنا لا أعرفها، قال أبو إسحاق: وقد عرفها غيرهما أنه يقال: وَزَفَ يَزِفُ إذا أسرع، ولا أعلم أحد قرأ ﴿يَزِفُون﴾.

﴿قال أتعبُدُون ما تنحِتُون﴾ [٩٥]

ويقال: نَحَتَ يَنْحِتُ وينحَت، لأنه فيه حرف من حروف الحلق.

﴿والله خلقكمْ وما تعملون﴾ [٩٦]

﴿ما﴾ في موضع نصب أي وخلق ما تعملون، ويجوز أن يكون في موضع نصب بـ﴿تعملون﴾ أي وأي شيء تعملون.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: فلما صار في البنيان قال: حسبي الله ونعم الوكيل.

﴿وقال إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين﴾ [٩٩]

والأصل إنّني حُذفتْ لاجتماع النونات.

﴿ربِّ هبْ لي من الصالحين﴾ [١٠٠]

أي صالحاً من الصالحين، وحَذْفُ مثل هذا كثير.

﴿فبشّرناهُ بغُلام حليم﴾ [١٠١]

أي إنه يكون حليماً في كبره [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٨٩].

﴿فلمّا بلغَ معهُ السّعْيَ قال يا بُنيّ إني أرى في المنامِ أني أذبحُك..﴾ [١٠٢]

قال أبو جعفر: فاختلف العلماء في المأمور بذبحه، فقال أكثرهم: الذبيح إسحاق، فممّن قال ذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله ذلك الصحيح عنه، ورواه الثوري عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: المفديّ إسحاق، وروى الثوري وابن جريج عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الذبيح إسحاق، وهذا هو الصحيح عن عبد الله بن مسعود رواه شعبة عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً قال: أنا ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن

....

إبراهيم خليل الله، وقد روى حماد بن زيد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين» [ت: ٣١١٦، حم: ٢/٣٣٢].

وروى أبو الزبير عن جابر قال: الذبيح إسحاق، وذلك مروي أيضاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن عمر أن الذبيح إسحاق عليه السلام، فهؤلاء ستة من الصحابة ومن التابعين وغيرهم منهم علقمة والشَّعْبي ومجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله بن أبي الهذيل ومالك ابن أنس وكعب الأحبار قالوا: الذبيح إسحاق ﷺ.

قال أبو جعفر: أما من قال: هو إسماعيل ﷺ فأبو هريرة، وهو يروي عن ابن عمر، ثم تكلم العلماء بعد ذلك فمنهم من قال: نصُّ التأويل يدل على أنه إسماعيل عليه السلام لأن الله جلّ وعزّ قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ [الصافات: ١١٢] فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً فهذا قد قيل، وليس بقاطع والله جلّ وعزّ أعلم لأن البشارة بنبوّته في ما رُوي بشارةٌ ثابتة بعد الأمر بذبحه ثواباً على ما كان منه، فأمّا وعده بأن يكون من إسحاق ابن، فكيف يأمره بذبحه فقد يجوز أن يكون ولد لإسحاق غير ولد لأنه قد بلغ السعي، فظاهر التنزيل يدلّ على أن الذبيح إسحاق؛ لأنه أخبر جلّ وعزّ أنه فدى الغلام الحليم الذي بشّر به إبراهيم حين قال: ﴿هب لي من الصالحين﴾ فإذا كان المفدى هو المبشّر به وقد بيّن أن الذي بشر به هو إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وأن كل موضع من القرآن ذكر بتبشيره إياه بولد فهو إسحاق نبياً أي بتبشيره إياه بقوله بغلام حليم إنما هو إسحاق فأما اعتلال من اعتلّ بأن قرني الكبش كانا معلّقين في الكعبة فليس يمتنع أن يكون حمل من الشام إلى مكة على أن جماعة من العلماء قد قالوا كان الأمر بالذبح.

فأما قوله ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾ فمن المشكل وقد تكلم العلماء في معناه فقال بعضهم: كان إبراهيم ﷺ أمر إذا رأى رؤيا فيها كذا وكذا أن يذبح ابنه واستدلّ صاحب هذا القول بأنها في قراءة ابن مسعود ﴿إنّي أرى في المنام أفعلُ ما أُمرتُ به﴾ فهذه قراءة على التفسير دالة على أنه أمر بهذا قبلُ إذْ كان مما لايؤتى مثله برؤيا، وقال صاحب هذا القول: وقد ذبحه إبراهيم ﷺ لأن معنى ذبحتُ الشيء قطعته، وليس هذا مما يجوز أن يُنسخ بوجه. واستدل عليه بقول مجاهد: قال إسحاق لإبراهيم عليهما السلام: لاتنظر إلى وجهي وترحمني، ولكن اجعل وجهي إلى الأرض فأخذ إبراهيم السكين فأمرّها على حَلْقه فانقلبت فقال له: ما لك؟ فقال: انقلبت السكين، قال: اطعنّي بها طعنةً ففعل فلم تضرّه، ثم فداه الله جلّ وعزّ.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾

قال ابن عباس: فداه الله بكبش قد رعى في الجنة أربعين سنة. وقال الحسن: ما فدى الله إسماعيل إلاّ بتيس من الأروى أهبِط عليه من ثبير، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣١١، ٣١٢]: يقال: إنه فُدي بوعل، والوعل التيس الجبليّ، وأهل التفسير على أنه فُدي بكبش.

﴿فانظرْ ماذا ترى﴾ أي ماذا تأتي به من رأيك، وقرأ أهل الكوفة إلاّ عاصماً ﴿فانظر ماذا تُرِي﴾.

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٩٠]، المعنى فانظر ماذا تُري من صَبْرِك أو جَزَعِك، وأما غيره فقال: معناه: ماذا تشير وأنكر أبو عبيد ﴿تُرِي﴾، وقال: إنما يكون هذا من رؤية العين خاصة، وكذا قال أبو حاتم، قال أبو جعفر: وهذا غلط هذا يكون من رؤية العين وغيرها وهو مشهور يقال: أرَيتُ فلاناً الصواب، وأريتُهُ رُشدَهُ وهذا ليس من رؤية العين ﴿قال يا أبتِ افعَلْ ما تومرُ﴾ والقول الآخر في رؤيا إبراهيم ﷺ أنه لم يعزم على ذبحه من أجل الرؤيا، وإنما أضجعه ينظر الأمر ألا ترى أنه قال: ﴿يا أبتِ افعلْ ما تُؤمَرُ﴾ أي إن أُمرتَ بشيء فافعله.

﴿فلمّا أسْلما..﴾ [١٠٣]

قال قتادة: أسلم أحدهما لله جلّ وعزّ نفسه وأسلم الآخر ابنه. ﴿وتلّهُ للجبين﴾ يقال: كَبّهُ وحوّل وجهه إلى القبلة، وجواب لمّا محذوف عند البصريين أي فلمّا أسلما سعِدا وأُجزِلَ لهما الثواب.

﴿..ناديناه..﴾ [١٠٤]

وقال الكوفيون: الجواب ﴿..ناديناه﴾ والواو زائدة. قال أبو جعفر: والواو من حروف المعاني فلا يجوز أن تزاد. وفي قراءة ابن مسعود ﴿فلمّا سلّما وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقتَ الرؤيا﴾ أي فَعَلتَ ما أُمِرتَ به.

﴿..إنّا كذلك نجزي المحسنين﴾ [١٠٥]

وما رأيته في النوم. ﴿..إنّا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي نجزيهم بالخلاص من الشدائد في الدنيا والآخرة.

﴿إنّ هذا لهو البلاءُ المبينُ﴾ [١٠٦]

أي النعمة الظاهرة يقال: أبلاه الله بلاءً وإبلاءً إذا أنعم عليه، وقد يقال: بلاه، قال زهير [ديوانه: ١٠٩]: [الطويل]

وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

جزى اللهُ بالإحسانِ ما فَعَلا بكُمْ ... وأبلاهُما خيرَ البلاءِ الذي يَبْلُو

فزعم قوم أنه جاء باللغتين، وقال آخرون: بل الثاني من بلاه يبلوه إذا اختبره ولا يقال في الاختبار إلا بلاه يبلوه، ولا يقال من الابتلاء بلاه، وأصل هذا كله من الاختبار لأن الاختبار يكون بالخير والشر، قال جلّ وعزّ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وقال ابن زيد: هذا في البلاء نزل به في أن يذبح ابنه، قال: وهذا من البلاء المكروه.

﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [١٠٧]

الذبح اسم المذبوح وجمعه ذبوح والذَّبح بالفتح المصدر.

﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ [١١٢]

وروى الثوري عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله جلّ وعزّ: **﴿وبشّرناه بإسحاق نبيّاً من الصالحين﴾** قال: بُشِّرَ بنبوّته، وذهب إلى أن البشارة به كانت مرتين.

﴿وباركنا عليه وعلى إسحق..﴾ [١١٣]

أي ثنّنا عليهما النعمة.

﴿ونجّيناهما وقومَهُما من الكَرْبِ العظيم﴾ [١١٥]

قال أبو إسحاق: في معنى **﴿ونجّيناهما وقومَهُما من الكَرْبِ العظيم﴾** من الغرق الذي لحق آل فرعون.

﴿ونصرناهم..﴾ [١١٦]

موسى وهارون وقومهما، وذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٩٠] إلى أنه لموسى وهارون وحدهما واعتلّ بأن الاثنين جمع.

﴿وإنّ إلياسَ لَمِنَ المُرسَلين﴾ [١٢٣]

روى أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣١٢] عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ

قال: إسرائيل هو يعقوب وإلياس هو إدريس، وقيل: هو الخضر. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٩١]: إن أخذتَ إلياس من الأليس صرفته.

﴿أَتَدْعُونَ بَعلاً..﴾ [١٢٥]

روى الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ﴿أَتَدْعُونَ بَعلاً﴾ قال: صنماً، وروى عطاء بن السايب عن عكرمة عن ابن عباس ﴿أتدعونَ بعلاً﴾ قال: ربّاً. قال أبو جعفر: القولان صحيحان أي تدعون صنماً عملتموه ربّاً [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٩٢]. ﴿أتدعون﴾ بمعنى أتسمّون، حكى ذلك سيبويه ﴿وتذرون أحسنَ الخالقين﴾.

﴿الله ربكم وربَّ آبائكمُ الأولين﴾ [١٢٦]

بالنصب قراءة الربيع بن خُثيم والحسن وابن أبي إسحاق ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وإليها يذهب أبو عبيد وأبو حاتم، وحكى أبو عبيد: أنها على النعت. قال أبو جعفر: وهذا غلط وإنما هو البدل ولايجوز النعت ههنا لأنه ليس بتحلية، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر وشيبة ونافع ﴿اللهُ ربُّكُمْ﴾ بالرفع، قال أبو حاتم: بمعنى هو الله ربُّكُمْ. قال أبو جعفر: وأولى مما قال أنه مبتدأ وخبر بغير إضمار ولا حذف، ورأيت علي بن سليمان يذهب إلى أن الرفع أولى وأحسن لأن قبله رأس آية فالاستئناف أولى.

﴿سلامٌ على آل ياسين﴾ [١٣٠]

قراءة الأعرج وشيبة ونافع وفيها قراءتان أخريان: قرأ عكرمة وأبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي ﴿سلامٌ على إلياسين﴾ وقرأ الحسن ﴿سلامٌ على الياسين﴾ بوصل الألف كأنها ﴿ياسين﴾ دخلت عليها الألف واللام للتعريف. فمن قرأ ﴿سلام على آل ياسين﴾ كأنه ـ والله أعلم ـ جعل اسمه ﴿الياس﴾ و﴿ياسين﴾ ثم سلّم على آله أي أهل دينه ومن كان على مذهبه وعلم أنه إذا سلم على آله من أجله فهو داخل في السلام، كما قال النبي ﷺ: «صلِّ على آل أبي أوفى» [خ: ٤١٦٦، م: ٢٤٨٩، د: ١٥٩٠، ن: ٢٤٥٨، جه: ١٧٩٦] وقال جلّ وعزّ: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فأما ﴿الياسين﴾ فللعلماء فيها غير قول: روى هارون عن ابن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣١٢] قال: إلياسين مثل إبراهيم يذهب إلى أنه اسم له، وأبو عبيد [مجاز القرآن: ٢/ ١٧٢، ١٧٣] يذهب إلى أنه جُمِعَ جمع التسليم على أنه وأهل مذهبه يُسلّم عليهم، وأنشد: [الرجز]

نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾

قَـدْنِـي مِـنْ نَـصْـرِ الـخُـبَـيْـبَـيْـنَ قَـدِي

وإنما يريد أبا خُبيب عبد الله بن الزبير فجمعه على أن مَنْ كان على مذهبه داخل معه، وغير أبي عبيدة يرويه «الخُبَيْبَيْنِ» على التثنية يريد عبد الله ومصعباً. قال أبو جعفر: ورأيت علي بن سليمان يشرحه بأكثر من هذا الشرح، قال: العرب تسمّي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون: المَهالبةُ على أنهم سَمَّوا كل واحد بالمهلّب، قال فعلى هذا ﴿سلام على الياسين﴾ سمّى كل رجل منهم الياس.

وقد ذكر سيبويه [الكتاب: ٢/١٠٣، ١٠٤] «في كتابه» شيئاً من هذا إلا أنه ذكر أن العرب تفعل هذا على وجه النسبة فيقولون: الأشعرون يريدون به النسب، واحتجّ أبو عبيدة في قراءته ﴿سلام على الياسين﴾ بأنه اسمه كما أن اسمه الياس لأنه ليس في السورة «سلام على آل» لغيره من الأنبياء صلّى الله عليه، وكما سمي الأنبياء، كذا سُمّي هو، وهذا الاحتجاج أصله لأبي عمرو بن العلاء وهو غير لازم لأنّا قد بيّنا قول أهل اللغة أنه إذا سلّم على آله من أجله فهو مسلّم عليه، والقول بأنّ اسمه الياس والياسين يحتاج إلى دليل ورواية فقد وقع في الأمر إشكال كان الأولى اتباع الخط الذي في المصحف وفي المصحف، ﴿سلام على آل ياسين﴾ بالانفصال فهذا ما لا إشكال فيه، وللفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٩١] في هذا قول حسن ليس بالمشروع سنذكره ونشرحه إنْ شاء الله، وذلك أنه شبّهه بقول الله جلّ وعزّ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وقال جلّ وعزّ: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]، قال: وهما بمعنى واحد وموضوع واحد وشرح هذا أن الياس اسم أعجمي والأسماء الأعجمية إذا وقعت إلى العرب غيّرتها بضروب من التغيير فيقولون: إبرهيم وإبراهيم وإبرهام هكذا أيضاً سيناء وسينين والياس والياسين ويس في قراءة سلام ﴿على آل ياسين﴾ بمعنى واحد.

﴿.. إلاّ عَجُوزاً..﴾ [١٣٥]

نصب على الاستثناء.

و﴿.. مُصبِحِينَ..﴾ [١٣٧]

نصب على الحال.

﴿وبالليلِ..﴾ [١٣٨]

عطف على المعنى أي في الصبح وفي الليل.

﴿وإنّ يونُسَ لَمِنَ المُرسَلِينَ﴾ [١٣٩]

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

لم ينصرف لأنه اسم أعجمي ولو كان عربياً لانصرف، وإنْ كانت في أوّله الياء لأنه ليس في الأفعال يُفعُلُ، كما أنك إذا سمَّيت بِيُعْفُر صرفته وإن سمَّيته بِيَعْفُر لم تصرفه.

﴿إذ أبَقَ..﴾ [١٤٠]

قال محمد بن يزيد: أصل أبَقَ تباعد ومنه: غلام آبِقٌ وأبِقٌ، وقال غيره: إنما قيل يونس أبَقَ لأنه خرج لغير أمر الله جلّ وعزّ مستتراً من الناس ﴿إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٩٣]: الفلك يُذكّر ويؤنّث ويذهب به إلى معنى الجميع، وقال غيره: إذا ذُهِبَ به إلى معنى الجمع فهو جمع فَلَك مثل: وَثَن ووُثْن.

﴿فساهَمَ..﴾ [١٤١]

قال محمد بن يزيد: فقارَعَ، قال: وأصله من السّهام التي تُجالُ ﴿فكان من المُدْحَضِينَ﴾ أي من المغلوبين به، قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٩٣]: يقال: دَحَضَتْ حُجَّتُهُ وأدحضها الله وأصله من الزلَق.

﴿فالتقمهُ الحوتُ وهو مُليمٌ﴾ [١٤٢]

من ألامَ إذا أتى بما يجب أن يلام عليه مثل: أحمَقَ فهو مُحْمِقٌ، فأما المَلُومُ فهو الذي يُلامُ استحق ذلك أو لم يستحق.

﴿فلولا أنه كان من المُسَبِّحِينَ﴾ [١٤٣]

قال الكسائي: لم يكسر ﴿أنّ﴾ لدخول اللام لأن اللام ليست لها. قال أبو جعفر: والأمر كما قال إنما اللام في جواب لولا وعن ابن مسعود وابن عباس ﴿فلولا أنه كان من المسبّحين﴾ قالا أي من المصلين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣١٣]. قال قتادة: كان يصلّي قبل ذلك فحفظ الله جلّ وعزّ له ذلك فنجّاه. قال الربيع بن أنس: لولا أنه كان قبل ذلك له عمل صالح.

﴿لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إلى يوم يُبْعَثُونَ﴾ [١٤٤]

قال: ومكتوب في الحكمة أن العمل الصالح يرفع ربّه إذا عثَرَ. قال سعيد بن جبير: لما قال: لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قذفه الحوت.

﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيمٌ..﴾ [١٤٥]

ومما يُسألُ عنه يقال: خبَّر الله جلّ وعزّ ههنا أنه نُبِذ بالعراء وقال جلّ وعزّ: ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩] فالجواب أن الله جلّ وعزّ خبَّر ههنا أنه نبذه بالعراء

وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾

وهو غير مذموم ولولا نعمة الله جلّ وعزّ عليه لنبذه بالعراء وهو مذموم. وحكى الأخفش في جمع سقيم: سَقْمَى وسَقَامَى وسِقَام.

﴿وأنبتنا عليه شجرةً من يقطين﴾ [١٤٦]

جمع يقطينة قال محمد بن يزيد: يقال لكل شجرة ليس لها ساق [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٣١٤] يفترش ورقها على الأرض: يقطينة نحو الدُّبّاءِ والبطّيخ والحنظل، فإنْ كان لها ساقٌ يقلّها فهي شجرةٌ فقط، وإن كانت قائمة أي بغير ورق مفترش فهي نَجْمَةٌ وجمعها نَجْمٌ.

﴿وأرسلناهُ إلى مائةِ ألفٍ أو يزيدون﴾ [١٤٧]

قال أبو جعفر: قد ذكرت حديث ابن عباس أنه قال: كانت الرسالة بعدما نبذه الحوت وليس له طريق إلاّ عن شَهْرِ بن حَوْشَب، وأجود منه إسناداً، وأصح ما حدّثناه علي بن الحسين قال: حدّثنا الحسن بن محمد قال: حدّثنا عمرو العنقري قال: حدّثنا إسرائيل عن ابن إسحاق عن عمرو بن ميمون قال: حدّثنا عبد الله في بيت المال عن يونس النبي عليه السلام قال: إنّ يونس عليه السلام وعدَ قومه العذابَ، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ففرّقوا بين كل والدة وولدها، وخرجوا وجاروا إلى الله جلّ وعزّ، واستغفروا فكفّ الله جلّ وعزّ عنهم العذاب، وهذا يونس عليه السلام ينتظر العذاب فلم يَرَ شيئاً.

وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل، فخرج يونس عليه السلام مغاضباً فأتى قوماً في سفينة فحملوه وعرفوه، فلمّا دخل السفينة ركدت السفينة، والسفن تسير يميناً وشمالاً، فقالوا: ما لسفينتكم؟ قالوا: لاندري فقال يونس صلّى الله عليه: إن فيها عبداً آبقاً من ربه جلّ وعزّ وإنها لن تسير حتى تلقوه، قالوا: أما أنت يا نبي الله فإنّا لانلقيك، قال: فاقترِعوا فمن قُرِعَ فَلْيَقَعْ فاقترعوا فَقَرَعَهُمْ يونس عليه السلام فأبوا أن يدعوه قالوا: فاقترعوا ثلاثاً فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس عليه السلام ثلاث مرات أو قال ثلاثاً فوقع.

وقد وكّل الله جلّ وعزّ به حوتاً فابتلعه فمرّ يهوي به إلى قرار الأرض، فَسَمِعَ يونس صلّى الله عليه تسبيح الحصى فنادى في الظلمات أنْ لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين قال: ظلمة الليل، وظُلمةُ البحر، وظُلمةُ بطن الحوت.

قال: ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾ قال: كهيئة الفرخ المَمْعُوطِ الذي ليس عليه ريش، قال: وأنبت الله جلّ وعزّ عليه شجرة من يقطين فنبتت، فكان يستظلّ بها، فيبست، فبكى عليها، فأوحى الله جلّ وعزّ إليه أتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم؟

﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

قال: وخرج يونس عليه السلام فإذا هو بغلام يرعى فقال: يا غلامُ مَنْ أنتَ؟ قال: من قوم يونس، قال: فإذا جئتَ إليهمْ فأخبرهم أنك قد لقيتَ يونس. قال له: إن كنتَ يونس فقد عَلِمْتَ أنه مَنْ كَذَبَ قُتِلَ إذا لم يكن له بَيِّنَةٌ، فمن يشهد لي؟ قال: هذه الشجرة وهذه البقعة قال: فَمُرْهُما فقال لهما يونس صلّى الله عليه: إذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له، قالتا: نعم، فرجع الغلام إلى قومه، وكان في منعة، وكان له إخوة، فأتى الملك فقال: إنّي قد لقيتُ يونس، وهو يقرأ عليكم السلام، قال: فأمَرَ به أن يُقتل، فقالوا: إنّ له بينة فأرسلوا معه فأتى الشجرة والبقعة، فقال لهما: نشدتكما بالله جلّ وعزّ أشهدكما يونس عليه السلام، قالتا: نعم، قال: فرجع القوم مذعورين يقولون: شَهِدَتْ له الشجرة والأرض فأتوا الملك فأخبروه بما رأوا.

قال عبد الله: فتناول الملك بيد الغلام فأجلسه في مجلسه، فقال: أنت أحقُّ بهذا المكان منّي، قال عبد الله: فأقام لهم ذلك الغلام أمرهم أربعين سنة.

فقد تبيّن في هذا الحديث أن يونس صلى الله عليه كان قد أرسل قبل أن يلتقمه الحوت بهذا الإسناد الذي لايؤخذ بالقياس، وفيه أيضاً من الفائدة أن قوم يونس صلّى الله عليه آمنوا وندموا قبل أن يروا العذاب لأن فيه أنه أخبرهمْ أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ففرّقوا بين كل والدة وولدها، والفاء في اللغة تدل على أن الثاني يلي الأول فكان حكم الله جلّ وعزّ فيهم كحكمه في غيرهم في قوله جلّ وعزّ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، وقال جل ثناؤه ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٨] وقد قال بعض العلماء: إنهم رأوا مخايل العذاب فتابوا. قال أبو جعفر: وهذا لايمتنع فأما قوله جلّ وعزّ: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨] فهو استثناء ليس من الأول.

وقد ذكرنا معنى ﴿أو يزيدون﴾، وقول الفرّاء [معاني القرآن: ٣٩٣/٢] أنها بمعنى ﴿بل﴾، وقول غيره أنها بمعنى الواو، وأنه لايصح هذان القولان، لأن ﴿بل﴾ ليس هذا من مواضعها، لأنها للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده، وتعالى الله جلّ وعزّ عن ذلك أو الخروج من شيء إلى شيء، وليس هذا موضع ذلك، والواو معناها خلاف معنى ﴿أو﴾ فلو كانت إحداهما بمعنى الأخرى لبطلت المعاني، ولو جاز ذلك لكان وأرسلناه إلى أكثر من مائة ألف أخصر، وفي الآية قولان سوى هذين: أحدهما أنّ المعنى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر، وإنما خُوطب العباد على ما تعرفون، والقول الآخر أنه كما تقول: جاءني زيد أو عمرو، وأنت تعرف مَنْ جاءك منهما إلاّ أنك أبهمت على المُخاطَب.

﴿فآمنوا فمتعناهم حتى حين﴾ [١٤٨]

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

وفي قراءة ابن مسعود ﴿فآمنوا فمتعناهم حتى حين﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٩٣] والمعنى واحد.

﴿فاستفتهم..﴾ [١٤٩]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣١٤]: أي فاسألهم سؤال توبيخ وتقرير ﴿أَلِربّكَ البناتُ ولهُمُ البنون﴾ لأن معنى ﴿فاستفتهم﴾ فقل لهم.

﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً..﴾ [١٥٠]

جمع أنثى. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣١٤]: ﴿أم﴾ بمعنى: أبل. ﴿وهم شاهدون﴾ ابتداء وخبر في موضع الحال.

﴿ألا إنهم..﴾ [١٥١]

﴿إنّ﴾ بعد ﴿ألا﴾ مكسورة لأنها مبتدأة، وحكى سيبويه أنها تكون بعد ﴿أما﴾ تكون مفتوحة ومكسورة فالفتح على أن تكون أما بمعنى حقاً، والكسر على أن تكون أما بمعنى ألا. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: يجوز فتحها بعد ﴿ألا﴾ تشبيهاً بأما. فأما في الآية فلا يجوز إلا كسرها لأن بعدها اللام.

﴿أصطفى البناتِ على البنين﴾ [١٥٣]

استفهام فيه معنى التوبيخ، فأما ما روى عن أبي جعفر وشيبة ونافع أنهم قرؤوا ﴿وإنهم لكاذبون اصْطَفَى البنات﴾ بوصل الألف [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٩٤] فلا يصح عنهم.

﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ [١٥٤]

وزعم أبو حاتم أنه لاوجه له لأن بعده ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ فالكلام جار على التوبيخ. قال أبو جعفر: هذه القراءة وإنْ كانت شاذة فهي تجوز من وجهتين: إحداهما أن تكون تبيناً لما قالوا ويكون ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ منقطعاً مما قبله، والجهة الأخرى أنه قد حكى النحويون منهم الفرّاء أن التوبيخ يكون استفهاماً وبغير استفهام، كما قال جلّ وعزّ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

﴿وجعلوا بينهُ وبين الجِنَّةِ نسباً﴾ أكثر أهل التفسير على أن الجنة ههنا الملائكة وقال أهل الاشتقاق: قيل لهم: جِنّةٌ لأنهم لايرون، وثَمَّ قولٌ آخر غريب رواه إسرائيل عن السُّدّي عن أبي مالك قال: إنما قيل للملائكة جِنّة لأنهم على الجنان، والملائكة كلّهم جِنّةٌ.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝١٦٠ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝١٦٣ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ۝١٦٤﴾

﴿.. ولقدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إنَّهُمْ لَمُحضَرون﴾ [١٥٨]

كُسرتْ إنّ لدخول اللام.

﴿إلاّ عبادَ الله..﴾ [١٦٠]

نصب على الاستثناء ﴿المُخلَصين﴾ من نعتهم.

﴿فإنكم وما تعبدون﴾ [١٦١]

﴿ما أنتمْ عليه بفاتِنين﴾ [١٦٢]

أهل التفسير مجمعون فيما علمته على أن المعنى: ما أنتم بمضلين [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٩٤] أحداً إلاّ من قدّر الله جلّ وعزّ أن يضلّ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣١٥]، فروى فضيل ابن عياض عن منصور عن إبراهيم قال: ليس بتابعكم على عبادة آلهتكم وعبادتكم إلاّ من كتب الله جلّ وعزّ عليه أن يَصلى الجحيم. وروى عمر بن ذر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما أنتم بمضلّين ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ وعن ابن عباس ما أنتم بمضلّين إلا من قدّر عليه الله أن يضلّ. وروى أبو الأشهب جعفر بن حيان عن الحسن قال: يا بني إبليس ما أنتم بمضلّين أحداً من الناس إلاّ من قدّر الله عليه أن يضلّ. قال أبو جعفر: ففي هذه الآية رد على القدرية من كتاب الله جلّ وعزّ، وفيها من المعاني أن الشياطين لايصلون إلى إضلال أحد إلا من كتب الله جلّ وعزّ عليه أنه لايهتدي، ولو علم الله جلّ وعزّ أنه يهتدي لحال بينه وبينهم، وعلى هذا قوله جلّ وعزّ: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] أي لست تصلُ منهم إلى شيء إلاّ إلى ما في علمي. قال الفرّاء: أهل الحجاز يقولون: فَتَنْتُهُ، وأهل نجد يقولون: أفْتَنْتُهُ.

﴿إلاّ مَنْ هو صالُ الجحيم﴾ [١٦٣]

وعن الحسن أنه قرأ ﴿إلاّ مَنْ هو صالُ الجحيم﴾ بضم اللام فجماعة من أهل العربية يقولون: لحنٌ لأنه لا يجوز: هذا قاضٌ فاعلم. قال أبو جعفر: ومن أحسن ما قيل فيه ما سمعتُ من علي بن سليمان يقول: هو محمول على المعنى لأن معنى ﴿مَنْ﴾ جماعة فالتقدير فيه صالون، فحُذفت النون للإضافة وحُذفت الواو لالتقاء الساكنين، وفيهما قول آخر أن يكون على القلب فإذا قُلب قيل: صايل ثم يُحذف الياء فيقال: صالٌ كما يقال: شاكٌ.

﴿وما مِنّا إلاّ لهُ مَقامٌ معلومٌ﴾ [١٦٤]

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ۝١٦٧ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝١٦٩ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝١٧٠ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝١٧٢﴾

فيه تقديران عند أهل العربية: أحدهما وما منّا إلاّ من لَهُ وحُذفت مَنْ وهذا مذهب الكوفيين، وفيه ما لاخفاء فيه من حذف الموصول، والقول الآخر أن المعنى: وما منّا ملك إلاّ له مقامٌ معلومٌ [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣١٦]، وهذا قول البصريين، فأمّا اتصال هذا بما قبله فإنه فيما يروى أن الملائكة تبرّأت ممّنْ يعبدها، وتعجبت من ذلك لاجتهادها فقالت: وما منّا إلاّ له مقامٌ معلومٌ.

﴿وإنّا لنحنُ الصافّون﴾ [١٦٥]

﴿وإنّا لنحنُ المُسَبِّحون﴾ [١٦٦]

وفي الحديث عن جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد فقال: «ألا تصفّون كما تصفُّ الملائكةُ عند ربهم»، فقلنا: يا رسول الله كيف تصفُّ الملائكة عند ربهم؟ قال: «يتمّمون الصفوف ويتراصّون في الصفّ» [م: ٩٦٧، د: ٦٦١، ن: ٨١٥، جه: ٩٩٢].

﴿وإنْ كانوا ليقولون﴾ [١٦٧]

لمّا خُفّفت ﴿إنْ﴾ دخلت على الفعل ولزمتها اللام فرقاً بين النفي والإيجاب. والكوفيون يقولون: ﴿إنْ﴾ بمعنى ﴿ما﴾ واللام بمعنى إلاّ.

﴿لو أنّ عندنا ذِكْراً من الأولين﴾ [١٦٨]

﴿لَكُنّا عِبادَ الله المُخلَصين﴾ [١٦٩]

أي لو جاءنا ذكرٌ كما جاء الأوّلين لأخلصنا العبادة.

﴿فكفروا..﴾ [١٧٠]

أي بالذكر، والفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٩٥] يقدره على حذف أي فجاءهم محمد ﷺ بالقرآن فكفروا به ﴿فسوفَ يعلمونَ﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣١٦]: أي فسوف يعلمون مغبّة كفرهم.

﴿ولقد سبقتْ كلمتُنا لِعِبادِنا المُرسلين﴾ [١٧١]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٩٥]: بالسعادة، وقال غيره: التقدير ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين.

﴿إنّهُمْ لَهُمُ المَنصُورُنَ﴾ [١٧٢]

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ۝١٧٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٤ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٥ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝١٧٦ فَإِذَا
نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝١٧٧ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٨ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٩ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ
رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾

فلمّا دخلت اللام كسرت ﴿إنّ﴾.

﴿وإن جُندَنَا لَهُمُ الغالِبُون﴾ [١٧٣]

على المعنى، ولو كان على اللفظ لكان هو الغالب مثل قوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١]. وقال الكسائي: جاء ههنا على الجمع من أجل أنه رأس آية.

﴿فَتَولَّ عَنْهُم حتى حين﴾ [١٧٤]

قال قتادة: أي إلى الموت، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣١٦/٤]: أي الوقت الذي أُمهلوا إليه.

﴿فإذا نَزَلَ بِساحَتِهِم..﴾ [١٧٧]

أي العذاب، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣١٧/٤]: وكان عذابُ هؤلاء بالقتل. و﴿ساء﴾ بمعنى: بئس، ورفع ﴿صباح﴾ بها.

﴿سُبحانَ ربِّكَ رَبِّ العِزّةِ..﴾ [١٨٠]

على البدل قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣١٧/٤]: ويجوز النصب على المدح، والرفع بمعنى: هو ربُّ العزة.

﴿وسلامٌ على المُرسَلينَ﴾ [١٨١]

﴿والحمدُ للهِ رَبِّ العالمين﴾ [١٨٢]

ولو كان في غير القرآن لجاز النصب على المصدر.

٣٨ ـ سورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾

شرحُ إعرابِ سُورةِ ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ص..﴾ [١]

بإسكان الدال لأنها حروف تهجٍّ، والأجود عند سيبويه [الكتاب: ٢/٣٤] فيها الإسكان. ولا تُعرب؛ لأنّ حكمها الوقوف عليها وقراءة الحسن ﴿صادِ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/٣٩٦] بكسر الدال بغير تنوين، ولقراءته مذهبان: أحدهما أنه مِنْ صادَى يُصادي إذا عارض، ومنه ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ..﴾ [عبس: ٦] فالمعنى: صادِ القرآن بعملك أي قابله به، وهذا المذهب يروى عن الحسن أنه فسّر به قراءته رواية صحيحة عنه أن المعنى: اتلُهُ وتَعَرّضْ لقراءته، والمذهب الآخر أن تكون الدال مكسورة لالتقاء الساكنين. وقراءة عيسى بن عمر ﴿صَادَ﴾ بفتح الدال، له فيها ثلاثة مذاهب: أحدهنّ أن يكون بمعنى اتلُ صَادَ، والثاني أن يكون فُتِحَ لالتقاء الساكنين، واختار الفتح للإتباع، الثالث أن يكون منصوباً على القَسَم بغير حروف. وقراءة ابن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣١٩] بكسر الدال والتنوين على أن يكون مخفوضاً على حذف حرف القسم. قال أبو جعفر: وهذا بعيد وإن كان سيبويه قد أجاز مثله، ويجوز أن يكون مُشَبَّهاً بما لايتمكن من الأصوات وغيرها. وصاد إذا جعلته اسماً للسورة لم ينصرف كما أنك إذا سمّيت مؤنثاً بمذكر لم ينصرف وإن قلّت حروفه. ﴿والقُرآنِ﴾ خفض بواو القسم بدل من الباء ﴿ذي الذكرِ﴾ نعت وعلامة الخفض الياء، وهو اسم معتل والأصل فيه ذَوَي على فَعَل.

﴿بلِ الذين كفروا..﴾ [٢]

في موضع رفع بالابتداء ﴿في عزة﴾ خبره أي في تكبّر وامتناع من قبول الحق، كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] ﴿وشِقَاقٍ﴾ من شاقّ يشاقّ إذا خالف، واشتقاقه أنه صار في شقّ غير الشقّ الآخر.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

﴿كم أهلكنا من قَبلِهِم..﴾ [٣]

﴿كم﴾ في موضع نصب بأهلكنا ﴿فَنَادَوا﴾ قال قتادة: فنادوا في غير نداء. قال أبو جعفر: ومعناه على قوله في غير نداء ينجي، كما قال الحسن: نادوا بالتوبة وليس حين توبة ولا ينفع العمل، وهذا تفسير من الحسن لقوله جلّ وعزّ: ﴿ولاتَ حينَ مناص﴾، قال: ليس حين. فأما إسرائيل فيروي عن أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس ﴿ولات حين مناص﴾ قال: ليس بحين نُزُو ولا فرار، قال: ضَبِطَ القوم جميعاً. قال أبو جعفر: وأصله من ناصَ ينوصُ إذا تأخر، ويقال: ناص ينوص إذا تقدم.

وأما ﴿ولات حين﴾ فقد تكلم النحويون فيه وفي الوقوف عليه، وكثّر فيه أبو عبيد القاسم ابن سلام في «كتاب القراءات»، وكل ما جاء به فيه إلا يسيراً مردود. قال سيبويه [الكتاب: ٢٨/١]: لاتَ مُشَبَّهَةٌ بليس، والاسم فيها مضمر أي ليست أحياننا حين مناص، وحُكي أن من العرب من يرفع بها فيقول ﴿ولاتَ حينُ مناص﴾، وحُكي أن الرفع قليل، ويكون الخبر محذوفاً كما كان الاسم محذوفاً في النصب أي ولات حينُ مناص لنا، والوقوف عليها عند سيبويه والفرّاء [معاني القرآن: ٣٩٨/٢]، وهو قول أبي الحسن بن كيسان وأبي إسحاق، ولات بالتاء ثم تبتدئ حين مناص.

قال أبو الحسن بن كيسان: والقول كما قال سيبويه؛ لأنه شبّهها بليس فكما تقول ليست تقول: لاتَ، والوقوف عليها عند الكسائي بالهاء وَلاه، وهو قول محمد بن يزيد، كما حكى لنا عنه علي بن سليمان، وحُكي عنه أن الحجة في ذلك أنها ﴿لا﴾ دخلت عليها الهاء لتأنيث الكلمة، كما يقال: ثَمَّة ورُبَّة.

وأما أبو عُبيد فقال: اختلف العلماء فيها فقال بعضهم: لاتَ ثم تبتدىء فتقول: حين ثم لم يذكر عن العلماء غير هذا القول، وكلامه يوجب غير هذا، ثم ذكر احتجاجهم بأنها في المصاحف كلّها كذا، ثم قال: وهذه حجة لولا أن ثَمّ حججاً تردّها، ثم ذكر حججاً لايصح منها شيء، وسنذكرها إن شاء الله تعالى، ونبيّن ما يردّها، قال: والوقوف عندي بغير تاء ثم تبتدىء بحين مناص، ثم ذكر الحجج فقال: إحداهنّ أنّا لم نجد في كلام العرب لاتَ إنما هي ﴿لا﴾. قال أبو جعفر: لو لم يكن في هذا من الردّ إلا اجتماع المصاحف على ما أنكره، فكيف وقد روى خلاف ما قال جميع النحويين المذكورين من البصريين والكوفيين، فقال سيبويه: ﴿لاتَ﴾ مشبهة بليس، وقال الفرّاء عن الكسائي أحسبه أنه سأل أبا السمّال فقال: كيف تقف على ولات؟ فوقف عليها بالهاء. قال أبو عبيد: والحجة الثانية أن تفسير ابن عباس يدلّ على ذلك؛ لأن ابن عباس قال: ليس حِينَ نُزُوٍ ولا فرارٍ.

قال أبو جعفر: تفسير ابن عباس يدلّ على أن الصحيح غير قوله، ولو كان على قوله لقال ابن عباس: ليس تحين مناص، ولم يروِ هذا أحد. قال أبو عبيد: والحجة الثالثة أنّا لم نجد العرب تزيد هذه التاء إلا في حين وأوان والآن، وأنشد لأبي وجزة السعدي: [الكامل]

العاطِفُونَ تَحِينَ ما مِنْ عاطِفٍ والمُطْعِمُونَ زَمانَ أيْنَ المُطْعِمُ

وأنشد لأبي زيد الطائي: [الخفيف]

طَلَبُوا صُلْحَنا وَلاتَ أوانٍ فأجَبْنا أن لَيْسَ حِينَ بَقاءِ

[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٢٠]

وأنشد: [الخفيف]

نَوِّلِي قَبلَ يَومِ بَيْنِي جُمَانا وصِلِينا كما زَعَمْتِ تَلانا

[ديوان جميل بن معمر: ٢١٨]

قال أبو جعفر: وإنشاد أهل اللغة جميعاً على غير ما قال. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٢٩٧]: أنشدني المفضل:

تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْلَى لاتَ حِيناً وأضحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينا

قال أبو جعفر: فأما البيت الأول الذي أنشده لأبي وجزة فقرأه العلماء باللغة على أربعة أوجه كلّها على خلاف ما أنشده، وفي أحدها تقديران: رواه أبو العباس محمد بن يزيد «العاطِفُونَ ولاتَ ما مِنْ عاطِفٍ»، والرواية الثانية «العاطفون ولات حينَ تَعَاطُفٍ»، والرواية الثالثة رواها أبو الحسن بن كيسان «العاطِفُونَه حِينَ ما مِنْ عاطِفٍ» جعلها هاء في الوقف وتاء في الإدراج، وزعم أنها لبيان الحركة شُبِّهتْ بهاء التأنيث، والرواية الرابعة هي «العاطِفُونَهْ حَين ما من عاطف». وفي هذه الرواية تقديران: أحدهما، وهو مذهب إسماعيل بن إسحاق، أن الهاء في موضع نصب كما تقول: الضاربون زيداً، فإذا كَنَيْتَ قلت: الضاربوه، وأجاز سيبويه الضاربونه في الشعر، فجاء إسماعيل بالبيت على مذهب سيبويه في إجازته مثله. والتقدير الآخر «العَاطِفُونَهْ» على أن الهاء لبيان الحركة، كما تقول: مرَّ بنا المسلمونَهْ، في الوقف ثم أجريتْ في الوصل مجراها في الوقف، كما قرأ أهل المدينة ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩].

وأما البيت الثاني فلا حجة له فيه لأنه يُوقف عليه ولاتْ أوان غير أن فيه شيئاً مُشكلاً لأنه رُوي «ولاتَ أوانٍ» بالخفض، وإنما يقع ما بعد لاتَ مرفوعاً ومنصوباً، وإن كان قد روي عن عيسى بن عمر أنه قرأ ﴿ولاتِ حينِ مناص﴾ بكسر التاء من ﴿لات﴾ والنون من ﴿حين﴾ فإن الثبتَ عنه أنه قرأ ﴿ولاتِ حينَ مناص﴾ فبنى لات على الكسر ونصب حين، فأما «ولاتَ أوانٍ»

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾

ففيه تقديران: قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/٦٧٠]: فيه مضمر أي ولاتَ حينَ أوان. قال أبو جعفر: وهذا القول بيّن الخطأ، والتقدير الآخر عن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٢٠، ٣٢١]، قال: تقديره: ولاتَ حينَ أواننا فحذف المضاف إليه فوجب ألاّ يُعرب فكسره لالتقاء الساكنين، وأنشد محمد بن يزيد: «ولاتَ أوانٌ» بالرفع.

وأما البيت فبيت مُوَلّدٌ لا يُعرف قائله، ولا يصح به حجة، على أن محمد بن يزيد رواه «كما زعمت الآن» وقال غيره: المعنى كما زعمتِ أنتِ الآن، فأسقط الهمزة من أنت والنون، وأما احتجاجه بحديث عبد الله بن عمر لمّا ذكر للرجل مناقب عثمان رضي الله عنه، قال: اذهب بها تَلانَ إلى أصحابك، فلا حجة فيه لأن المُحدِّثَ إنما يروي هذا على المعنى، والدليل على هذا أن مجاهداً روى عن عمرو بن عمر هذا الحديث، وقال فيه: اذهب فاجْهَدْ جَهْدَكَ، ورواه آخر اذهَبْ بها الآن معك، فأمّا احتجاجه بأنه وجدها في الإمام «تحِينَ» فلا حجة فيه لأن معنى الإمام أنه إمام للمصاحف فإن كان مخالفاً لها فليس بإمام لها، وفي المصاحف كلّها ولاتَ. فلو لم يكن في هذا إلا هذا الاحتجاج لكان مقنعاً. وجمع مناص مَنَاوِصُ.

﴿.. أن جاءهم..﴾ [٤]

في موضع نصب، والمعنى مِنْ أن جاءهم.

﴿أجَعَلَ الآلهة إلهاً واحِداً..﴾ [٥]

مفعولان.

﴿وانطلَقَ الملأ منهمْ أنِ امشُوا..﴾ [٦]

﴿أنْ﴾ في موضع نصب، والمعنى بأن امشوا، والملأ: الأشراف، وقد سُمُّوا، في رواية محمد بن إسحاق، أنهم أبو جهل بن هشام وشيبة وعتبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وأميّة بن خلف والعاصي بن وائل وأبو مُعَيْط جاؤوا إلى أبي طالب، فقالوا له: أنت سيدنا فأنصفنا في قومنا وأنفسنا فاكفنا أمر ابن أخيك وسفهاء معه قد تركوا آلهتنا وطعنوا في ديننا، فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال له: إنّ قومك يدعونك إلى السواء والنصفة فقال ﷺ: «إني أدعوهم إلى كلمة واحدة» فقال أبو جهل: وعشراً، فقال: يقولون: ﴿لا إله إلاّ الله﴾ فقاموا، وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾، الآيات.

قال أبو جعفر: وقيل المعنى وانطلق الأشراف منهم فقالوا للعوام: ﴿امشوا واصبروا على

مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾

آلهتكم﴾ أي على عبادة آلهتكم ﴿إنّ هذا لشيءٌ يُراد﴾ أي إن هذا الذي جاء به محمد عليه السلام لشيء يراد به زوال نِعَم قوم وغِيَرٌ تنزل بهم.

﴿ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلا اختلاقٌ﴾ [٧]

﴿أأنزِلَ عليه الذكر من بيننا بلْ همْ في شكٍّ من ذكري..﴾ [٨]

أي تكذيب وابتداع، يقال: خَلَقَ واختَلَقَ أي ابتَدَعَ، وخَلَقَ الله الخلْقَ من هذا أي ابتدعهمْ على غير مثال، ثم بيّن أنهم حسّاد لقولهم ﴿أأنزِلَ عليه الذِّكْر من بيننا بلْ همْ في شكٍّ من ذكري..﴾ وهو القرآن ﴿بل لمّا يذوقوا عذابِ﴾ والأصل إثبات الياء، وجاز الحذف لأنه رأس آية.

﴿أم عندهمْ خزائنُ رحمةِ ربّك العزيز الوهّاب﴾ [٩]

قيل: أم لهم هذا فيمنعوا محمداً ﷺ مما أنعم الله به عليه.

وكذا ﴿أم لهمْ مُلكُ السموات والأرض وما بينهما﴾ [١٠]

أي فإن ادّعوا ذلك ﴿فلْيَرتقُوا في الأسباب﴾ أي في أسباب السموات، وقيل: في الأسباب التي ذُكرت التي لاتكون إلاّ لله جلّ وعزّ، والأصل فَلْيَرْتَقُوا، حُذفت الكسرة لثقلها، يقال: رَقِيَ يَرْقَى، وارتَقَى يَرتَقِي، إذا صعد، ورَقَى يَرْقِي رَقْياً مثل رَمَى يَرمِي رَمْياً، من الرقية.

﴿جُندٌ ما هنالك مهزومٌ من الأحزاب﴾ [١١]

ثم وعد الله نبيّه النصر فقال جلّ ذكره: ﴿جُندٌ ما هنالك مهزومٌ من الأحزاب﴾ فهزم الله جلّ وعزّ الأحزاب كما وعده، و﴿ما﴾ زائدة للتوكيد، وتأوّل الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٩٩] معنى مهزوم أنه مغلوب على أن يصعد إلى السماء.

﴿كذّبتْ قبلهمْ قومُ نوحٍ..﴾ [١٢]

أنّث ﴿قوم﴾ على معنى الجماعة، ولو جاء مذكّراً لجاز على معنى الجميع، وصُرِفَ نوحٌ وإن كان أعجمياً، لأنه على ثلاثة أحرف فخفّ، ومُنع ﴿فرعون﴾ من الصرف؛ لأنه قد جاوز ثلاثة أحرف فلم يصرف لعجمته وأنّه معرفة، وزعم محمد بن إسحاق [أنّ] اسم فرعون الوليد ابن مصعب، قال: وقد قيل: إن اسمه مصعب بن الريان، وقال غيره: بعضهم كان يُسمّي مَنْ مَلَكَ مصر فرعون، كما يُسمّى من مَلَكَ اليمن تُبّعاً، وهم التبابعة، ومَنْ مَلَكَ فارس كِسرَى، وقال

إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

محمد بن يزيد: كَسْرَى بفتح الكاف، ومن ملك الروم قيصر وهِرَقْل و﴿ذو الأوتاد﴾ نعت.

﴿إنْ كُلٌّ..﴾ [١٤]

بمعنى ما كلّ ﴿إلاّ كذّبَ الرُّسُلَ فحقَّ عقاب﴾ الأصل إثبات الياء، وحذفت لأنه رأس آية والكسرة دالّة عليها.

﴿وما يَنْظُرُ هؤلاء..﴾ [١٥]

بمعنى: ما ينتظر، ومنه ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] ﴿إلاّ صيحةً واحدةً﴾ قال عبد الله بن عمر: لم تكن صيحة في السماء إلا بغضب من الله جلّ وعز على أهل الأرض. ﴿ما لها من فواق﴾ وقراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وأبي عمرو وعاصم، و﴿من فُواق﴾ بضم القاف قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي، وأصح ما قيل فيهما أنهما لغتان بمعنى واحد، وحكى ذلك الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٤٠٠].

﴿وقالوا ربّنا عجّل لنا قِطَّنا..﴾ [١٦]

من أحسن ما قيل في معناه ما قاله سعيد بن جبير قال: قالوا: ربّنا عجّلْ لنا نصيبنا في الآخرة قبل يوم الحساب. وهو مشتق من قَطَطْتُ الشيء أي قَطَعْتُهُ، فالنصيبُ قِطعَةٌ تُقْطَعُ للإنسان، وذلك معروف في كلام العرب أن يقال في النصيب: قِطٌّ ويقال للكتاب المكتوب بالجائزة: قِطّ كما قال الأعشى [ديوانه: ٢١٩]: [الطويل]

ولا المَلِكُ النُّعْمَانُ يومَ لَقِيتُهُ ... بإمّتِهِ يُعْطِي القُطُوطَ وَيَأْفِقُ

[معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٢٣]

«بإمّتِهِ» أي بنعمته وحاله الجليلة، و«يأفق» يُصلِحُ، «القُطُوطُ» جمع قِطّ وهو الكتاب بالجائزة، ويقال في جمعه: قِطَطَةٌ، وفي القليل: أَقُطّ وأقطاطٌ.

﴿.. واذكر عبدنا داود ذا الأيْدِ..﴾ [١٧]

نعت. والأيد والآد كما يقال: العيب والعاب، ومنه رجل أيِّدٌ. ﴿إنّه أوّابٌ﴾ قال الضحاك: أي توّاب، وعن غيره أنه كان كلّما ذكر ذنبه أو خطر على باله استغفر منه، كما قال النبي ﷺ: «إني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرّة» [م: ٦٧٩٨، د: ١٥١٥] ويقال: آبَ يؤوبُ إذا رجع، كما قال: [مخلع البسيط]

وكلُّ ذي غَيْبَةٍ يؤوبُ ... وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ

[ديوان عبيد بن الأبرص: ٢٦]

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾

﴿إنّا سخّرنا الجبال معه يُسبِّحنَ..﴾ [١٨]

في موضع نصب على الحال. ويروى أنها كانت تجيبه بالتسبيح، وقيل: سخّرها الله جلّ وعزّ لتسير معه فذلك تسبيحها؛ لأنها دالّة على تنزيه الله جلّ وعزّ عن شبه المخلوقين **﴿بالعَشِيّ والإشراقِ﴾** من أشرقت الشمس إذا أضاءت وصفت. وعن ابن عباس قال: صلاة الضحى مذكورة في كتاب الله جلّ وعزّ، وقرأ **﴿يُسبّحنَ بالعشيّ والإشراقِ﴾**.

﴿والطّيرَ مَحْشُورَةً..﴾ [١٩]

معطوف على الجبال، قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٤٠١]: ولو قرىء **﴿والطّيرُ محشورةٌ﴾** لجاز لأنه لم يظهر الفعل.

﴿وشددْنا مُلْكَهُ..﴾ [٢٠]

وكذا لو قرىء **﴿وشدّدنا مُلْكَهُ﴾**، **﴿وآتيناهُ الحكمةَ﴾** مفعولان **﴿وفَصْلَ الخطابِ﴾** معطوف عليه.

﴿وهلْ أتاكَ نبأُ الخَصْمِ..﴾ [٢١]

وبعده **﴿إذ تَسوّروا المحرابَ﴾** لأنّ الخصم يؤدي عن الجمع وهو مصدر في الأصل من خَصَمْتُهُ خصماً، وحقيقته في العربية إذا قلتَ: القومُ خصمٌ له، معناه ذَوُو خصم ثم أقمت المضاف إليه مقام المضاف، وقد يقال: خُصُومٌ كما يقال: عدولٌ.

﴿إذْ دخلوا على داودَ..﴾ [٢٢]

فجاءت إذ مرتين لأنهما فعلان، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٤٠١] إحداهما بمعنى **﴿لمّا﴾**. وقول آخر أن تكون الثانية وما بعدها تبييناً لما قبلها. **﴿قالوا لا تَخَفْ﴾** حُذفت الضمة من الفاء للجزم، وحذفت الألف المنقلبة من الواو لئلاّ يلتقي ساكنان **﴿خَصْمَانِ﴾** وقبل هذا **﴿إذ تسوّروا المحراب﴾** لأن اثنين جمع، قال الخليل رحمه الله: كما تقول: نحن فعلنا، إذا كنتما اثنين، وقال الكسائي: جمع لما كان خبراً، فلمّا انقضى الخبر وجاءت المخاطبة خبّر الاثنان عن أنفسهما فقالا **﴿خَصْمَانِ﴾**. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٢٦]: أي نحن خصمان، وقال غيره: القول محذوف أي يقول خصمان. قال أبو إسحاق: ولو كان بالنصب خَصْمَيْنِ لجاز أي أتيناك خصمين.

﴿بغى بعضُنا على بعضٍ﴾ قال الكسائي: ولو كان بغى بعضهما على بعض لجاز، وقال

إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ
وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

غيره: بغى بعضنا يجوز أن يراد به داود ﷺ ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تُشْطِطْ﴾ وقرأ الحسن وأبو رجاء ﴿ولا تَشْطُطْ﴾ بفتح التاء وضم الطاء الأولى، وقال أبو حاتم لايُعرف هذا في اللغة. قال أبو جعفر: يقال أشَطَّ يُشِطُّ إذا جار في الحكم أو القول، وشطَّ يَشُطُّ ويَشِطُّ إذا بَعد فَيَشْطِط في الآية أبين ويَشْطُط يجوز أي لاتبعد عن الحق، كما قال: [المتقارب]

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا ... ولَلدارُ بعدَ غدٍ أبعدُ

[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٣٢٦]، [ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٣٠٨]

﴿إنّ هذا أخي له تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً..﴾ [٢٣]

وقرأ الحسن ﴿تَسْعٌ وتَسعون نعجة﴾ بفتح التاء فيها، وهي لغة شاذة وهي الصحيحة من قراءة الحسن. والعرب تكني عن المرأة بالنعجة والشاة. وعن عبد الله بن مسعود رحمه الله أنه قرأ ﴿وعازّني في الخطاب﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٤٠٤].

﴿قالَ لقدْ ظَلَمَكَ بسؤالِ نَعجَتِكَ إلى نِعاجِهِ..﴾ [٢٤]

فيقال: إن هذه خطيَّة داود ﷺ لأنه قال: لقد ظلمك من غير تثبيت بيِّنة، ولا إقرار من الخصم ولا سؤال لخصمه: هل كان هذا كذا أم لم يكن؟ هذا قول، فأما قول العلماء المتقدمين الذين لايُدفع قولهم، منهم عبد الله بن مسعود وابن عباس رحمهما الله فإنهم قالوا: ما زاد داود ﷺ على أن قال للرجل: انزل عن امرأتك. قال أبو جعفر: فعاتبه الله جلّ وعزّ على هذا، ونبّهه عليه، وليس هذا بكبير من المعاصي، ومن يُخطئ إلى غير هذا، فإنما يأتي بما لايصح عن عالم ويلحقه فيه الإثم العظيم.

﴿بسؤال نعجتك﴾ إضافة على المجاز أي بسؤاله نعجتك. ﴿وإن كثيراً من الخُلطاءِ﴾ جمع خليط، وهو الشريك فهذا جمع ما لم يكن في واو، ولايجوز في طويل طُولاء لثقل الحركة في الواو ﴿وظنَّ داودُ أنما فتنّاه﴾ قال أبو عمر والفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٤٠٤]: ظنّ بمعنى أيقن إلاّ أن الفرّاء شرحه بأنه لا يجوز في المعاني أن يكون الظن بمعنى اليقين. وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ ﴿أنّما فَتَّنّاه﴾ بتشديد التاء والنون على التكثير، وعن قتادة أنه قرأه ﴿أنّما فَتَنَاهُ﴾ بتخفيفهما ﴿فاستغفرَ ربَّهُ وخرَّ راكعاً﴾ على الحال.

﴿فغفرنا له ذلك..﴾ [٢٥]

يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا
ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾
وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾

في موضع نصب بغفرنا، ويجوز أن يكون في موضع رفع أي: الأمر ذلك ﴿وإنّ له عندنا لزُلفى﴾. قال مجاهد عن عبيد بن عمر قال: الزلفى الدنوّ من الله جلّ وعزّ يوم القيامة.

﴿يا داودُ إنا جعلناك خليفةً في الأرض..﴾ [٢٦]

أي مكّناك لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فتخلف من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين ﴿إنّ الذين يَضِلّونَ عنْ سبيلِ الله﴾ بفتح الياء بلا اختلاف فيها، وهو فعل لازم ولو ضممت الياء كان متعدّياً. ﴿بما نَسُوا يومَ الحسابِ﴾ أي تركوا العمل. يقال: نَسِيَ الشيء إذا تركه.

﴿وما خلقنا السماء والأرضَ وما بينهما باطلاً ذلك ظَنُّ الذين كفروا..﴾ [٢٧]

وشرح هذا أنهم كانوا يقولون: ليست ثَمّ عقوبةٌ ولا نارٌ فالكافر والعاصي يَسْعَدانِ باللّذاتِ وغصب الأموال، والمظلوم يشقى، لأنهما يصيران إلى شيء واحد، فرد الله جلّ وعزّ هذا عليهم بأنه ما خلق السماء والأرض وما بينهما باطلاً؛ لأن الذي ادّعوه باطل وذلك منهم ظنّ.

﴿أم نجعلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض..﴾ [٢٨]

وبيَّنَ ذلك جلّ وعزّ بقوله: **﴿أمْ نجعلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾** فكان في هذا رد على المرجئة؛ لأنهم يقولون: يجوز أن يكون المفسد كالمصلح أو أرفع درجةً منه، وبعده أيضاً **﴿أم نجعلُ المتّقينَ كالفُجّار﴾**.

﴿كتابٌ أنزلناهُ إليك..﴾ [٢٩]

بمعنى هذا كتاب ﴿مباركٌ﴾ من نعته.

﴿.. نِعْمَ العبدُ..﴾ [٣٠]

مرفوع بِنِعْم.

﴿إذْ عُرِضَ عليه بالعشِيّ الصافِنات الجِيادُ﴾ [٣١]

﴿الجياد﴾ جمع جواد للفَرَس إذا كان شديد الجري، كما يقال للإنسان: جواد إذا كان سريع

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ
وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا
يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ
وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾

العطية غزيرها غير أنه يقال: قومٌ أجوادٌ وخيل جياد، وقد قيل: جياد جمع جايد. وقائل هذا يحتج بأنه لو كان جمع جواد لقيل جِوَادٌ، كطويل وطِوال. ويقال في جمع جَواد: جُودَاءُ وأجوِداءُ وجُوْدٌ بإسكان الواو وجُوُودٌ بضمّها.

﴿فقالَ إنّي أحببتُ حُبَّ الخيرِ..﴾ [٣٢]

الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٤٠٥] يقدّره مفعولاً أي آثرت حبّ الخيل، وغيره يقدّره مصدراً وهو يقدّر الخيل بمعنى الخير، وغيره يقول: معنى ﴿أحببتُ حبَّ الخير﴾ أنه كان في صلاة فجيء إليه بخيل لتُعرَضَ عليه قد غُنِمَتْ فأشار إليها بيده لأنه يصلّي حتى توارت الخيل، وسترها جدُرُ الإصطبلاتِ.

﴿رُدُّوها عليّ فطَفِقَ مَسْحاً﴾ [٣٣]

فلمّا فرغ من صلاته قال: ﴿رُدُّوها عليّ فطَفِقَ مَسْحاً﴾ أي فأقبل يمسحها مسحاً.

وفي معناه قولان: أحدهما أنه أقبل يمسحُ سُوقَها وأعناقها بيده إكراماً منه لها، وليُريَ أن الجليل لايقبحُ به أن يفعل مثل هذا بخيله. وقال قائل هذا القول: كيف يقتلها وفي ذلك إفساد المال ومعاقبة من لاذنب له؟ وقيل: المسحُ ههنا القطعُ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٣١] أُذِنَ له في قتلها. والسُّوقُ جمع ساق مثل دار ودور، وفي أقلّ العدد أَسْوقٌ. والساقُ مؤنثة.

﴿ولَقدْ فَتَنّا سُليمانَ..﴾ [٣٤]

أي اختبرناه بما يثقل عليه ﴿وألقينا على كُرسيّه جسداً﴾ قيل: يعني به ولداً له ميتاً، وذلك أنه طاف على جواريه، وقال أرجو أن تلد كل واحدة منهنّ ذكراً، وفي الحديث أنه لم يقل: إن شاء الله فلم تحملْ إلاّ واحدة منهنّ، ومات الولد وألقِيَ على كرسيّه فتنةً على محبة الدنيا، والرغبة فيها، واستدعاه الولد، وأنه لا ينبغي أن يكون كذا ﴿ثم أناب﴾ أي رجع عما كان عليه. وقد قيل: جسد شيطان [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٣٢].

﴿قالَ ربِّ اغفرْ لي..﴾ [٣٥]

قيل: ليس في هذا دليل على أن ذلك الفعل منه ذنب؛ لأنه قد يكون له أن يستغفر مما عمله قبل النبوة أو يستغفر مما يعرض له.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝٤١
ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٤٣﴾

﴿وإنّ له عندنا لزلفى..﴾ [٤٠]

أي قربى ﴿وحُسْنَ مآب﴾ أي مرجع [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٣٣٢].

﴿واذكرْ عبدنا أيوبَ..﴾ [٤١]

على البدل ﴿إذْ نادى ربّهُ أنّي مسّني الشيطانُ بنُصْب وعذاب﴾ وقرأ عيسى بن عمر ﴿إنّي﴾ بكسر الهمزة. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٤٠٥]: واجتمعت القراء على أن قرؤوا ﴿بِنُصْب﴾ بضم النون والتخفيف. وهذا غلط ويُعَدُّ مناقضة أيضاً، لأنه قال: اجتمعت القراء على هذا، وحكى بعده أنهم ذكروا عن يزيد بن القعقاع أنه قرأ ﴿بِنَصَبٍ﴾ بفتح النون والصاد فغلط على أبي جعفر، وإنما قرأ أبو جعفر ﴿بِنُصُب﴾ بضم النون والصاد، كذا حكاه أبو عبيد وغيره، وهو يُروى عن الحسن فأما ﴿بِنَصَب﴾ فهو قراءة عاصم الجحدري ويعقوب الحضرمي وقد رويت هذه القراءة أيضاً عن الحسن، وقد حكي ﴿بِنَصْب﴾.

وهذا كله عند أكثر النحويين بمعنى النَّصَب. فنُصْبٌ ونَصَبٌ كحُزْن وحَزَن، وقد يجوز أن يكون نُصُبٌ جمع نَصَب كوَثَن ووثُن، ويجوز أن يكون نُصُبٌ بمعنى نُصْب حُذفت منه الضمة فأما ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] فقيل: إنه جمع نصاب ونَصَب على أصل المصدر. وقد قيل في معنى ﴿مسّني الشيطانُ بِنُصْب وعذاب﴾: أنه ما يلحقه من وسوسته لاغير، والله أعلم.

﴿اركُضْ بِرجلكَ..﴾ [٤٢]

قال الكسائي: أي قلنا، وقال محمد بن يزيد: الرَّكْض: التحريك ولهذا قال الأصمعي: يقال: ركَضْتُ الدابةَ ولايقال: ركَضَتْ هي، لأن الركض إنما هو تحريك راكبها برجليه ولا فعل لها في ذلك، وحكى سيبويه: رَكضتُ الدابةَ فركَضَتْ هي مثل جَبَرت العَظْمَ فَجبَرَ وحَزَنْتُهُ فحَزَنَ.

﴿ووهبنا له أهله ومثلهمْ معهم..﴾ [٤٣]

تأوّل هذا مجاهد على أن الله جلّ وعزّ ردَّ عليه أهله فأعطاه مثلهم في الآخرة فصار له أهله في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة. فأما ما يُروى عن عبد الله بن مسعود لمّا بلغه أن مروان قال: إنما أُعطي عوضاً من أهله ولم يعطهم بأعيانهم، فقال: ليس كما قال، بل أُعطي أهله ومثلهم معهم، فتأوّل هذا القول بعض العلماء على أن الله جلّ وعزّ ردَّ عليه من غاب من أهله، وَوُلِدَ له مثل من ماتَ وأُعطي من نسلهمْ مثلهمْ ﴿رحمةً﴾ بالنصب على المصدر. قال أبو إسحاق: هو مفعول له ﴿وذكرى﴾ معطوف على الرحمة. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٣٥]: معنى ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ أنّ ذا العقل إذا ابتُلي ذكَرَ بلاءَ أيوب ﷺ صَبَرَ.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ
ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وخذ بيدك ضِغثاً..﴾ [٤٤]

أي وقلنا له: وخذ بيدك ضغثاً. قال: وهي الحزمة من الحشيش وما أشبه ذلك [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٣٥].

﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب..﴾ [٤٥]

على البدل، وقراءة ابن عباس ﴿واذكُرْ عَبْدَنَا﴾ [معاني القرآن: ٢/٤٠٦] بإسناد صحيح، رواها ابن عيينة عن عمر عن عطاء عنه، وهي قراءة ابن كثير، فعلى هذه القراءة يكون ﴿إبراهيم﴾ بدلاً من عبدنا، وإسحاق ويعقوب على العطف، والقراءة بالجمع أبيَن، وشرح هذا من العربية أنك إذا قلتَ: رأيتُ أصحابنا زيداً وعمراً وخالداً، فزيد وعمرو وخالد بدل منهم، فزيد وحده بدل، وهو الصاحب، وعمرو وخالد عطف على صاحبنا وليسا بداخلين في المصاحبة إلاّ بدليل غير هذا أنه قد علِمَ أن قوله جلّ وعزّ: ﴿وإسحاق ويعقوب﴾ داخل في العبودية.

﴿أُولي الأيدي والأبصار﴾، فأمّا ﴿الأبصار﴾ فمتفقٌ على تأويلها أنها البصائر في الدين، وأما ﴿الأيدي﴾ فمختلف في تأويلها، فأهل التفسير يقولون: إنها القوة في الدين، وقوم يقولون: الأيدي جمع يد، وهي النعمة أي هم أصحاب النِّعَم أي الذين أنعم الله عليهم، وقيل: هم أصحاب النِّعَم والإحسان لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيراً.

﴿إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ [٤٦]

﴿ذكرى﴾ في موضع خفض إلاّ أن فيها ألف التأنيث وخفضها بالإضافة [معاني القرآن للفراء: ٢/٤٠٧]، وقراءة الكوفيين ﴿بخالصةِ ذكرى الدار﴾ على البدل. وهذا بدل المعرفة من النكرة ﴿اخلصناهم﴾ جعلناهم مُخلَصين ومُخلِصين من الأدناس قد أخلصوا العمل لله جلّ وعزّ يذكرون الدار، وهي الآخرة، ويذكرونها لايريدون بذلك الدنيا ولا التعمّل لأهلها.

﴿وإنهم عندنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأخيار﴾ [٤٧]

أي من الذين اصطفيناهم من الأدناس [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٣٣٦] ومُصْطَفَيْنَ جمع مُصطفى زدتَ على مصطفى ياء ساكنة ونوناً، والألف من مصطفى ساكنة حُذفت الألف لالتقاء الساكنين وكانت أولى بالحذف لأن قبلها فتحة. والأخيار جمع خيِّر وكأنه جُمع على حذف الزائد كأنك جمعت خيراً، كما تقول: مَيْتٌ وأموات، ويقال: رجلٌ خيْرٌ وخَيِّرٌ كما يقال: هَيْنٌ وهَيِّنٌ ولَيْنٌ ولَيِّنٌ.

هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾

﴿هذا ذِكْرٌ..﴾ [٤٩]

مبتدأ وخبره. والمعنى: هذا ذكر جميل في الدنيا ﴿إنّ للمتقينَ لَحُسْنَ مآب﴾ أي مع هذا الذكر الجميل في الدنيا حسن المرجع يوم القيامة.

﴿جنّاتِ عَدْن..﴾ [٥٠]

ثم بيّن بقوله جلّ وعزّ: ﴿جنّاتِ عَدْن﴾ والعدن في اللغة الإقامة يقال: عَدَنَ بالمكان إذا أقام به، غير أن عبد الله بن عمر قال: جنة عَدْن: قصر في الجنة، له خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف خيرة لايدخله إلاّ نبي أو صديق أو شهيدٌ ﴿مُفتّحة لَهُمُ الأبواب﴾ رُفعت الأبواب لأنها اسم ما لم يُسمّ فاعله، وأجاز الفرّاء[معاني القرآن: ٤٠٨/٢] ﴿مفتحةٌ لهم الأبوابَ﴾ على أن مُفتّحة للجنات، وأنشد هو وسيبويه: [الوافر]

وما قومي بثعلبةَ بن سعدٍ ولا بفزارةَ الشُّعْرِ الرِّقابا

قال الفرّاء[معاني القرآن: ٤٠٩/٢]: أي مُفتحةً الأبوابَ ثم جئتَ بالتنوين ونصبت وأنشد سيبويه: [الوافر]

ونأخُذُ بَعْدهُ بذنابِ عَيْشٍ أجبَّ الظّهرِ ليسَ له سَنامُ

﴿مُتّكئينَ فيها..﴾ [٥١]

نُصِبَ لأنّه نعت للجنات.

﴿وعندهمْ قاصراتُ الطَّرفِ أترابٌ﴾ [٥٢]

نعت لقاصرات لأن قاصرات نكرة وإنْ كان مضافاً إلى معرفة، والدليل على ذلك أن الألف واللام يدخلانه، كما قال الشاعر: [الطويل]

من القاصراتِ الطّرفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ من الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأثّرا

[معاني القرآن للفراء: ٤٠٩/٢]، [ديوان امرىء القيس: ٦٨]

وزعم الفرّاء أن المعنى: مُفتّحة لهم أبوابها، وأنّ الألف واللام بدل من الهاء والألف، وأجاز: مَرَرتُ برجل حَسَنةِ العينُ، المعنى حسنةٍ عينُهُ. قال أبو إسحاق: ولايجوز أن تكون الألف واللام بدلاً من الهاء واللام لأن الألف واللام حرف جاء لمعنى والهاء والألف اسم ومحالٌ أن يقوم أحدهما مقام صاحبه، وإنّما المعنى: مُفتّحة لهم الأبواب منها.

﴿هذا وإنّ للطّاغينَ..﴾ [٥٥]

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۝٥٨ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝٥٩ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٦٠﴾

والتقدير الأمر هذا ﴿لَشَرَّ مآب﴾ اسم إن.

﴿جهنم..﴾ [٥٦]

بدل من شرّ.

﴿هذا فليذوقوه حَميمٌ وغَسّاقٌ﴾ [٥٧]

﴿هذا﴾ في موضع رفع بالابتداء، وخبره حميمٌ على التقديم والتأخير أي هذا حميمٌ وغسّاقٌ فليذوقوه. ويجوز أن يكون ﴿هذا﴾ في موضع رفع بالابتداء، وفليذوقوه في موضع الخبر. ويجوز أن يكون المعنى الأمر هذا وحميمٌ وغساقٌ إذا لم تجعلهما خبراً فرفعهما على معنى: هو حميمٌ وغسّاق، والفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٤١٠] يرفعهما بمعنى هو حميمٌ وغساقٌ، وأنشد: [البسيط]

حتى إذا ما أضاءَ الصُّبحُ في غَلَسٍ ... وغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ ومَحْصُودُ

ويجوز أن يكون هذا في موضع نصب بإضمار فعل، كما تقول: زيداً أضربه، والنصب في هذا أولى. ﴿وَغَسَاقٌ﴾ بالتخفيف قراءة أهل المدينة وأهل البصرة وبعض الكوفيين. فأما يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي فقرؤوا ﴿وغَسّاقٌ﴾ بالتشديد [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٣٨]. فأما معناه فقال عبد الله بن عمر فيه: هو قيحٌ غليظ لو وقع شيءٌ منه بالمشرق لأنتن مَنْ في المغرب، ولو وقع منه شيء بالمغرب لأنتن مَنْ في المشرق، قال مجاهد: غسّاقٌ: بارد، وعن غير مجاهد أنه يحرق ببرده كما يحرق الحميم بحرّه. وقال قتادة: هو ما يسيل من بين جلودهم ولحمهم.

قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: يقال: غَسَقَتْ عينُهُ إذا سالت، فغسّاق بالتشديد أولى، كما تقول: سَيّال، قال أبو جعفر: وقد خالف في هذا غيره من رؤساء النحويين لأنه إذا قال: غسّاق جعله نعتاً لغير معروف بعينه، وهذا بعيد في العربية فإذا قال: غَسَاق فهو اسم، وهو أولى من أن يقام النعت مقام المنعوت ويحذف المنعوت.

﴿هذا فوجٌ مُقتحِمٌ معكم..﴾ [٥٩]

ابتداء وخبره أي مقتحم معكم النارَ. والتقدير يقال لهم: هذا فوج يدخل معكم النار فيقول الذين في النار ﴿لا مَرْحباً بهِمْ﴾ و﴿مرحباً﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٣٩] منصوب على المصدر ويمعنى لا أصبْتَ رحباً أي سَعَةً.

﴿..بل أنتمْ لا مرحباً بكمْ أنتمْ قدمْتُموهُ لنا..﴾ [٦٠]

قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾

قال الفوج ﴿..بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدَّمتُمُوهُ لنا﴾ أي دعوتمونا إلى العصيان ﴿فبئسَ القرارُ﴾ أي استقرارنا.

﴿قالوا ربّنا من قدَّمَ لنا هذا..﴾ [٦١]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٤١١]: أي من شرّع لنا هذا وسنّه، وقال غيره: أي من قدّم لنا هذا العذاب بدعائه إيّانا إلى المعاصي ﴿فزِدْهُ عذاباً ضِعْفاً في النار﴾ أي عذاباً بكفره وعذاباً بدعائه إيّانا فصار ذلك ضِعفاً.

﴿وقالوا ما لنا لانرى رجالاً..﴾ [٦٢]

﴿ما﴾ في موضع رفع و﴿لانرى﴾ في موضع نصب على الحال.

﴿أتّخذْناهُمْ سُخريّاً..﴾ [٦٣]

بضم السين قراءة الحسن ومجاهد وأبي جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر على الاستفهام وسقطت ألف الوصل لأنه قد استغني عنها، وقرأ ابن كثير والأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿اتّخذْناهُمْ﴾ على أنها ألف وصل في اتّخذناهم، يكون ﴿اتخذناهم﴾ نعتاً للرجال، وأبو عبيد وأبو حاتم يميلان إلى هذه القراءة واحتجا جميعاً بأن الذين قالوا هذا قد علموا أنهم اتّخذوهم سخريّاً فكيف يستفهمون قالا: وقد تقدم الاستفهام. قال أبو جعفر: هذا الاحتجاج لا يلزم، ولو كان واجباً لوجب في ﴿ما لَنا﴾، ولكن الاستفهام ههنا على ما قاله الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٤١١] فيه. قال: هو بمعنى التوبيخ والتعجب ﴿أم زاغتْ عنهمُ الأبصارُ﴾ إذا قرأت بالاستفهام كانت أم للتسوية، وإذا كانت بغير استفهام فهي بمعنى بل.

﴿إنّ ذلك لَحَقٌّ تَخاصُمُ أهلِ النارِ..﴾ [٦٤]

بمعنى هو تخاصم، ويجوز أن يكون بدلاً من الحق، ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، ويجوز أن يكون بدلاً من ذلك على الموضع.

﴿قل إنّما أنا مُنذِرٌ..﴾ [٦٥]

مبتدأ وخبره وكفّتْ ﴿ما﴾ ﴿إنّ﴾ عن العمل ﴿وما من إله إلاّ الله﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة للتوكيد. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٤٠]: ولو قرئ بالنصب ﴿إلاّ اللهَ الواحدَ القهّارَ﴾ جاز على الاستثناء.

رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ
عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن
طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ
إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ
ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ

﴿ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزُ الغفّارُ﴾ [٦٦]

على النعت، وإن نَصبتَ الأول نَصبتَ، ويجوز رفع الأول ونصب ما بعده على المدح.

﴿قل هو نبأٌ عظيمٌ﴾ [٦٧]

أي القرآن خبر جليل، وقيل: المعنى عظيم المنفعة، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٤٠]: هذا الخبر نبأ عظيم.

﴿أنتم عنه معرضون﴾ [٦٨]

أي لا تقبلونه.

﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون﴾ [٦٩]

قال أبو جعفر: قد بيّنا معناه.

﴿إنْ يُوحى إليّ إلاّ أنما أنا نذيرٌ مبينٌ﴾ [٧٠]

﴿أنّ﴾ في موضع رفع لأنها اسم ما لم يُسَمّ فاعله، ويجوز أن يكون في موضع نصب بمعنى إلاّ لأنّما [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٤١١، ٤١٢].

﴿فإذا سوّيتُهُ..﴾ [٧٢]

إذا تَرُدُّ الماضي إلى المستقبل لأنها تشبه حروف الشرط وجوابها كجوابه **﴿ساجدين﴾** على الحال.

﴿.. أستكبرتَ..﴾ [٧٥]

على التوبيخ، ومن وصلَ الألف جعله خبراً **﴿أم كُنْتَ من العالين﴾**. قال ابن عباس: كان في علم الله من الكافرين.

﴿قال أنا خيرٌ منه..﴾ [٧٦]

مبتدأ وخبره. قال الفرّاء: ومن العرب من يقول: أنا أخيرُ منه وأشرُّ منه، وهذا هو الأصل إلاّ أنه حُذفت الألف منه لكثرة الاستعمال.

﴿قال فاخرجْ منها..﴾ [٧٧]

لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ
ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾

قيل: يعني من الجنة ﴿فإنَّك رجيمٌ﴾ أي مرجوم بالكواكب والشهب.

﴿قال ربِّ فأنظِرني إلى يومِ يُبعثون﴾ [٧٩]

وهو يوم القيامة فلم يُجبْ إلى ذلك وأُخِّر.

﴿إلى يومِ الوقتِ المعلوم﴾ [٨١]

وهو يوم يموت الخلق فيه فأُخِّرَ إليه تهاوناً به وأنه لا يَصِلُ إلا إلى الوسوسة، ولا يُفسِدُ إلاّ مَنْ كان لا يصلُحُ لولم يوسوسه.

﴿قال فبعزَّتك لأُغوينَّهم أجمعين..﴾ [٨٢]

أي لأستدعينَّهم إلى المعاصي التي يَغْوونَ من أجلها أي يَخِيبُون.

﴿قال فالحقُّ والحقَّ أقولُ﴾ [٨٤]

هذه قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة والكسائي، وقرأ ابن عباس ومجاهد وعاصم والأعمش وحمزة ﴿قال فالحقُّ والحقَّ أقولُ﴾ برفع الأول وفتح الثاني، وأجاز الفرّاء[معاني القرآن: ٤٠٣/٢] ﴿قال فالحقِّ والحقَّ أقولُ﴾ بخفض الأول ولا اختلاف في الثاني أنه منصوب بأقول، ونصب الأول على الإغراء أي فاتَّبِعوا الحق واستمعوا الحق وقيل: بمعنى أحُقُّ أي أفْعَلُهُ، وأجاز الفرّاء وأبو عبيد أن يكون الحق منصوباً بمعنى حقّاً.

﴿لأملأنَّ جهنَّم..﴾ [٨٥]

﴿لأملأنَّ جهنَّم﴾ وذلك عند جماعة من النحويين خطأ لايجوز: زيداً لأضرِبَنّ لأن ما بعد اللام مقطوع مما قبلها. ومن رفع ﴿الحقّ﴾ رفعه بالابتداء أي فأنا الحق أو والحق مني ورَوَيا جميعاً عن مجاهد: يجوز أن يكون التقدير: هذا الحق.

وفي الخفض قولان: أحدهما أنه على حذف حرف القسم، هذا قول الفرّاء، قال كما تقول: الله لأفعلنّ، وقد أجاز مثل هذا سيبويه وغلّطه فيه أبو العباس، ولم يُجزْ إلاّ النصب لأن حروف الخفض لاتضمر، والقول الآخر: أن تكون الفاء بدلاً من القسم، كما أنشدوا: [الطويل]

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ... فألْهَيْتُها عَنْ ذِي تَمائِمَ مُحْوِلِ

[ديوان امرىء القيس: ١٢]

﴿..وما أنا من المُتكلِّفين﴾ [٨٦]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾

وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: مَنْ سُئل عما لا يعلمُ فليقلْ: لا أعلم ولا يتكلف فإنّ قوله: لا أعلم علمٌ، وقد قال الله جلّ وعزّ لنبيّه ﷺ: ﴿قلْ ما أسألُكُمْ عليهِ من أجر وما أنا من المُتكلّفين﴾.

﴿إنْ هو إلاّ ذكرٌ للعالمين﴾ [٨٧]

أي نبأ القرآن حق بعد حين، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٤٢/٤]: أي بعد الموت، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٤١٣/٢]: بعد الموت وقبله أي سيتبيّن ذلك.

٣٩ ـ سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تنزيل الكتاب...﴾ [١]

رفع بالابتداء، وخبره ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ أي أُنزل من عند الله جلّ وعزّ، ويجوز أن يكون مرفوعاً بمعنى: هذا تنزيلُ الكتابِ. وأجاز الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٤١٤] ﴿تنزيلَ الكتابِ﴾ بالنصب على أنه مفعول. قال الكسائي: أي اتّبعوا واقرؤوا تنزيلَ الكتابِ. وقال الفرّاء: على الإغراء مثل ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] أي الزمُوا كِتابَ اللهِ.

﴿إنا أنزلنا إليكَ الكِتابَ بِالحَقِّ..﴾ [٢]

وإن شئت أدغمت.

﴿فاعْبُدِ اللهَ مُخلِصاً﴾ على الحال ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ مفعول به أي يخلص له الدين.

﴿ألا لله الدينُ الخَالِصُ.﴾ [٣]

أي الذي لا يشوبه شيءٌ، وفي حديث الحسن عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إنّي أتصدّقُ بالشيءِ وأصنعُ الشيءَ أريد به وَجْهَ الله جلّ وعزّ وثناء الناس، فقال النبي ﷺ: «والذي نَفْسُ محمد بيدِهِ لا يقبلُ اللهُ جلّ ثناؤهُ شيئاً شُورِكَ فيه» [القرطبي في «تفسيره»: ١٥/ ٢٣٣] ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ألا لله الدينُ الخَالِصُ﴾.

﴿والذِينَ اتّخذُوا مِن دُونِهِ أولياءَ﴾ في موضع رفع بالابتداء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٤٤]، والتقدير: والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا: ﴿ما نَعبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إلى اللهِ زُلْفَى﴾

لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ
اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ
الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً
مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ
أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

ويجوز أن يكون ﴿الذين﴾ في موضع رفع بفعلهم أي وقال. ﴿زُلْفى﴾ في موضع نصب بمعنى المصدر أي تقرباً.

﴿لو أرادَ اللهُ أن يتخِذَ وَلَداً لاصطَفَى مِمَّا يَخلُقُ ما يَشاءُ..﴾ [٤]

أي لو أراد ذلك أن يسمّي أحداً من خلقه بهذا ما جعله إليهم ﴿سُبْحَانَهُ﴾ مصدر أي تنزيهاً له من الولد.

﴿..يُكوِّرُ الليلَ على النهارِ ويُكوِّرُ النهارَ على الليلِ..﴾ [٥]

قال الضحّاك: أي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا. قال أبو جعفر: وهذا معنى التكوير في اللغة. وقد روي عن ابن عباس غير هذا في معنى الآية، قال: ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل.

﴿..يَخلُقُكُمْ في بُطونِ أُمهاتِكُمْ خَلقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ في ظُلُمَاتٍ ثلاثٍ..﴾ [٦]

أي لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين.

﴿..وإنْ تَشكُرُوا يَرضَهُ لكم﴾ [٧]

أي يرض الشكر لكم [معاني القرآن للفراء: ٢/٤١٥] أن تشكروا يدلّ على الشكر.

﴿..دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً..﴾ [٨]

على الحال.

﴿أمَّن هُوَ قانِتٌ..﴾ [٩]

....

قراءة الحسن وأبي عمرو وأبي جعفر وعاصم والكسائي. وقرأ نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة ﴿أَمَنْ هُوَ﴾، وحكى أبو حاتم عن الأخفش قال: من قرأ في الزمر ﴿أَمَنْ هُوَ﴾ بالتخفيف فقراءته ضعيفة لأنه استفهام ليس معه خبر. قال أبو جعفر: هذا لا يلزم وقد أجمعوا جميعاً على أن قرؤوا ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وهو مثله. وفي القراءة بالتخفيف وجهان حسنان في العربية، وليس في القراءة الأخرى إلاّ وجه واحدٌ، فأحد الوجهين أن يكون نداء، كما يقال: يا زيدُ أقبِلْ، ويقال: أزيدُ أقبِلْ، حكى ذلك سيبويه وجميع النحويين كما قال:

أبني لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ ... إلاّ يداً لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

[ديوان أوس بن حجر: ٢١]

وكما يقال: فلان لا يصلّي ولا يصومُ أمَنْ يُصلّي ويصوم أبْشِر، والوجه الآخر أن يكون في موضع رفع بالابتداء والمعنى معروف أي: أمَنْ هو قانت آناء الليل أفضل أم من جعل للّهِ أنداداً؟ والتقدير: الذي هو قانت. ومن قرأ ﴿أَمَّنْ هُوَ﴾ فتقديره أم الذي هو قانت أفضل ممن ذُكر و﴿أم﴾ بمعنى ﴿ابل﴾.

فأمّا معنى قانت فيما رواه عمرو بن الحارث عن درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخُدريّ عن النبي ﷺ قال: «كلّ قنوت في القرآن فهو طاعة لله جلّ وعزّ» [«المعجم الأوسط»: ٢/ ٢٢٤].

وروى الأعمش عن أبي سفيان عن جابر أنه قال: سئل النبي ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: «طُول القنوت» فتأوّله جماعة من أهل العلم على أنه طول القيام.

وروى عبدالله عن نافع عن ابن عمر سئل عن القنوت قال: ما أعرف القنوت إلاّ طول القيام وقراءة القرآن، وقال مجاهد: من القنوت طول الركوع، وغض البصر. وكان العلماء إذا وقفوا في الصلاة غَضّوا أبصارهم وخضعوا، ولم يلتفتوا في صلاتهم، ولم يعبثوا، ولم يذكروا شيئاً من أمر الدنيا إلاّ ناسين.

قال أبو جعفر: أصل هذا أن القنوت الطاعة، وكل ما قيل فيه فهو طاعة الله جلّ وعزّ وهذه الأشياء كلّها داخلة في الطاعة وما هو أكثر منها، كما قال نافع وقال لي ابن عمر: قُمْ فصلّ فقمت أصلي وكان عليّ ثوب خلق فدعاني فقال لي: أرأيت لو وجّهتك في حاجة وراء الجدار أكنت تمضي هكذا؟ فقلت: لا، كنت أتزين قال: فالله أحقُّ أن يُتزيَّن له.

قال الحسن: ﴿آناء الليل﴾ ساعاته، أوّله وأوسطه وآخره، وعن ابن عباس قال: ﴿آناء

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾

الليل﴾ جوف الليل. قال سعيد بن جبير: ﴿يحذر الآخرة﴾ أي عذاب الآخرة.

﴿قُلْ هَلْ يَستوي الذِينَ يَعلَمُونَ والذينَ لا يَعلَمُونَ﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٤٧]: أي كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذا لا يستوي الطائع والعاصي. وقال غيره: الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فبمنزلة من لم يعلم ﴿ إنّما يتذكّرُ أولُوا الألبابِ﴾ أي إنما ينتفع بذكره وينتفع به ويعتبر أولو العقول الذين ينتفعون بعقولهم فهؤلاء ينتفعون ويُمدَحون بعقولهم لأنهم انتفعوا بها.

﴿قُلْ يا عبادِ الذينَ آمَنُوا اتقوا ربّكُم..﴾ [١٠]

قيل معناه اتقوا معاصيه، والتاء مبدلة من واو ﴿ لِلّذِينَ أحسَنُوا في هذه الدُّنيا حَسَنةٌ﴾ يجوز أن يكون في الدنيا داخلا في الصلة أي لهم حسنة في الآخرة، وإن لم يكن داخلا في الصلة فالمعنى: للذين أحسنوا حسنةً في الدنيا، فالحسنة التي لهم في هذه الدنيا موالاة الله جلّ وعزّ إياهم وثناؤه عليهم وتسميته إياهم بالأسماء الحسنة.

﴿وأرضُ اللهِ واسِعَةٌ﴾ في معناه قولان: أحدهما أنه يراد بها أرض الجنة، والآخر أن معناه أن أرض الله واسعة فهاجروا فيها ولا تقيموا مع من يعمل بالمعاصي. ﴿ إنّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أجرَهُم﴾ صابرٌ يمدح به، إنما هو لمن صبر عن المعاصي، فإن أردت أنه صابر على المعصية قلت: صابرٌ على كذا ﴿بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ قيل: بغير تقدير، وقيل: يراد على الثواب، لأنه لو أُعطي بقدر ما عمِلَ لكان بحساب، وقيل: معنى ﴿ بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعم الدنيا.

﴿قُلِ اللهَ أعبُدُ..﴾ [١٤]

نصب بأعبدُ، وسيبويه يجيز الرفع على حذف الهاء، ولا نعلم أحداً من النحويين وافقه على ذلك في الاسم العلم.

﴿.. قُلْ إنّ الخَاسِرِينَ الّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهليهِمْ..﴾ [١٥]

﴿الذين﴾ في موضع رفع على خبر ﴿ إنّ وأهليهم ﴾ في موضع نصب معطوفون على أنفسهم وعلامة النصب الياء. وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس: ليس من أحد إلاّ وقد خلق الله جلّ وعزّ له زوجة في الجنة فإذا دخل النار خَسِرَ نفسه وأهله.

لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا
الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي
النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ
الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ
يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ..﴾ [١٦]

الواحدة ظُلَّةٌ وهو ما ارتفع فوقهم من النار وثبت ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ مجاز أي مثل ذلك من تحتهم، وقيل: هو حقيقة أي من تحتهم ظُلَلٌ لِمَنْ هو أسفل منهم من أهل النار. ﴿ذلك﴾ في موضع رفع بالابتداء أي ذلك الذي ذكرناه من العذاب يُخوِّفُ اللهُ بِهِ عبادهُ ﴿يا عِبادِ فاتَّقُونِ﴾ بحذف الياء من عبادي؛ لأن النداء موضع حذف، ويجوز إثباتها على الأصل، ويجوز فتحها.

﴿والَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أن يَعْبُدُوهَا..﴾ [١٧]

قال الأخفش [معاني القرآن: ٦٧١/٢]: الطاغوت جمع، ويجوز أن يكون واحدة مؤنثة.

﴿.. وَعْدَ اللهِ..﴾ [٢٠]

نصب على المصدر لأن معنى ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ وعدهم الله جلّ وعزّ ذلك وعداً، ويجوز الرفع بمعنى: ذلك وَعْدُ الله.

﴿فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ في الأرضِ..﴾ [٢١]

واحدها ينبوع، ويقال: يَنْبُعُ وجمعُهُ يَنَابِيعُ وقد نَبَعَ الماءُ يَنْبُعُ ونَبَعَ. وحكى لنا ابن كيسان في قول الشاعر:

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ

[ديوان عنترة: ٢٠٤]

أنّ معناه يَنْبُعُ فأشبع الفتحة فصارت ألفاً ﴿ثُمّ يَهِيجُ﴾ قال محمد بن يزيد: قال الأصمعي يقال: هاجت الأرض تهيج إذا أدبر نَبْتُها وولّى، قال: وكذلك قال غير الأصمعي. ﴿ثم يَجْعَلُهُ حُطاماً﴾ قال: من تحطيم العود إذا تَفَتّتَ من اليُبْسِ. ﴿إنّ في ذلك لَذِكْرَى لأُولي الألبابِ﴾ واحدها ذو، وهواسم للجمع، وزيد في كتابتها واو عند بعض أهل اللغة فرقاً بينها وبين إلى.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإسلامِ..﴾ [٢٢]

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٥١]: هذه الفاء فاء المجازاة ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ قال محمد بن يزيد: يقال: قسا إذا صَلُبَ، قال: وكذلك عتا وعسا مقاربة لها، وقلبٌ قاسٍ أي صُلبٌ لا يرق ولا يلين. ﴿أُولَٰئِكَ﴾ في موضع رفع بالابتداء أي أولئك الذين قست قلوبهم ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿اللهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَدِيثِ كِتاباً مُّتَشابِهاً..﴾ [٢٣]

على البدل من أحسن، ﴿مَّثَانِيَ﴾ نعت لكتاب، ولم ينصرف لأنه جمع لا نظير له في الواحد ﴿تَقْشَعِرُّ منهُ﴾ في موضع نصب على أنه نعت لكتاب. ذلك في موضع رفع بالابتداء أي ذلك الخوف والرجاء ولين القلوب ﴿ هدَى اللهِ﴾

﴿أفَمَن يَتَّقِي بوجهِهِ سُوءَ العَذابِ..﴾ [٢٤]

حذف الجواب. قال الأخفش سعيد [معاني القرآن: ٢/٦٧١]: أي أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب أفضل أم من سَعِدَ؟

﴿فأذاقَهُمُ اللهُ..﴾ [٢٦]

قال محمد بن يزيد: يقال لكل ما نال الجارحة من شيء: قد ذاقته أي قد وصل إليها كما تصل الحلاوة والمرارة إلى ذائقهما، قال: والخزي: المكروه والخزاء: إفراط الاستحياء.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ في هذا القرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرونَ﴾ [٢٧]

﴿قُرآناً عَربِيّاً..﴾ [٢٨]

نصب على الحال. قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/٦٧١، ٦٧٢]: لأن قوله جلّ وعزّ في هذا القرآن معرفة، وقال علي بن سليمان: ﴿عربياً﴾ نصب على الحال وقرآناً توطئة الحال، كما تقول: مَرَرت بزيد رجلاً صالحاً، فقولك صالحاً هو المنصوب على الحال. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٥٢]: ﴿ قرآناً عربياً﴾ على حال، وقال: ﴿قرآناً﴾ توكيد ﴿ غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ نعت. أحسن ما قيل فيه ما قاله الضحاك قال: مختلف.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فيه شُركَاءُ مُتَشاكِسُونَ..﴾ [٢٩]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٤١٩/٢]: أي مختلفون. قال محمد بن يزيد: أي متعاسرون، من شَكِسَ يشكَسُ فهو شَكِسٌ مثل عَسِرَ يَعْسَرُ عسراً فهو عَسِرٌ. **﴿وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُل﴾** هذه قراءة أهل المدينة وأهل الكوفة، وقرأ ابن عباس والحسن ومجاهد والجحدري وأبو عمرو وابن كثير **﴿ورجلاً سالماً﴾** فسّرها ابن عباس قال: خالصاً. قال أبو جعفر: ومال أبو عبيد الى هذه القراءة قال: لأن السالم ضد المشرك، والسلم ضد الحرب ولا معنى للمحارب ههنا. قال أبو جعفر: وهذا الاحتجاج لا يلزم لأن الحرف إذا كان له معنيان لم يُحمَل إلاّ على أولاهما، فهذا وإن كان السلم ضد الحرب فله موضع آخر، كما يقال: كانَ لَكَ في هذا المنزل شُركاءُ فصار سِلماً لكَ، ويلزمه أيضاً في سالم ما لزمه في غيره؛ لأنه يقال: شيء سالم لا عاهة به. والقراءتان حسنتان قد قرأ بهما الأئمة.

﴿إنّكَ مَيّتٌ وإنّهم مَيّتونَ﴾ [٣٠]

وقراءة ابن محيصن وابن أبي إسحاق وعيسى **﴿إنّكَ مائِتٌ وإنّهم مائتون﴾**. قال أبو جعفر: وهي قراءة حسنة ومثل هذه الألف تُحذَف في السواد. ومائت في المستقبل كثير في كلام العرب، ومثله: ما كان مريضاً وإنه لمارض من هذا الطعام. وميّتٌ جائز أيضاً وتخفيفه جائز عند غير أبي عمرو بن العلاء فإنه كان لا يجيز التخفيف في المستقبل.

﴿ثُمّ إنكم يَوْمَ القِيامَةِ عِندَ رَبّكُمْ تَختَصِمُونَ﴾ [٣١]

قيل: يعني في المظالم. وفي الحديث المسند: **«أولُ ما تقع فيه الخُصُوماتُ الدماءُ»**.

﴿.. أليسَ في جَهنّمَ مَثوًى لِلكَافِرين﴾ [٣٢]

﴿مثوى﴾ في موضع رفع ولم يتبيّن فيه الإعراب؛ لأنه مقصور. وهو مشتق من ثَوَى يثوي، ولو كان من أثوَى لكان مُثْوًى، وهذا يدلّ على أن ثَوَى هو اللغة الفصيحة. وقد حكى أبو عبيدة أثوى، وأنشد:

أثْــوَى وقَــصّــرَ لَــيــلَــهُ لِــيُــزَوّدَا

[ديوان الأعشى: ٢٢٧]

والأصمعي لا يعرف إلاّ ثَوَى ويرويه أثوَى.

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن
يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي
بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

﴿والّذِي جاءَ بالصدقِ..﴾ [٣٣]

في موضع رفع بالابتداء، وخبره ﴿أُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ وتأوّله إبراهيم النخعي على أنه للجماعة وقال: ﴿الذي جاء بالصدق﴾ المؤمنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة فيقولون: هذا الذي أعطيتمونا قد اتّبعنا ما فيه [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٥٤]، فيكون ﴿الذي﴾ على هذا بمعنى جمع كما يكون ﴿مَنْ﴾ بمعنى جمع. وقيل: بل حذفت النون لطول الاسم. وتأوّله الشعبي على أنه واحد، وقال: الذي جاء بالصدق محمد ﷺ، وصدّق به أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، والصحابة فيكون على هذا خبره جماعة كما يقال لمن يُعظّم: هم فعلوا كذا وكذا. وجواب آخر أن يكون له ولمن اتّبعه ﷺ، وفي قراءة ابن مسعود ﴿والذين جاءوا بالصدقِ وصَدَّقوا به﴾ فهذه قراءة على التفسير، وفي قراءة أبي صالح الكوفي ﴿والذي جاء بالصدقِ وصَدَقَ به﴾ مخففاً يكون معناه ـ والله أعلم ـ وصَدَقَ فيه كما يقال: فلان بمكّة وفي مكّة.

﴿أليسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ..﴾ [٣٦]

حذفت الياء لسكونها وسكون التنوين بعدها، وكان الأصل ألاّ تحذف في الوقف لزوال التنوين إلاّ أنها حذفت ليعلم أنها كذلك في الوصل، ومن العرب من يثبتها في الوقف على الأصل فيقول: كافي عَبْدِهِ.

﴿.. هل هُنّ كاشفاتُ ضُرِّهِ..﴾ [٣٨]

بغير تنوين قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ أبو عمرو وشيبة وهي المعروفة من قراءة الحسن وعاصم ﴿هل هُنّ كاشفاتٌ ضُرَّهُ﴾ و﴿مُمْسِكَاتٌ رَحْمَتَهُ﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٣٥٥] بالتنوين على الأصل لأنه لما لم يقع بعد ولو كان ماضياً لم يَجُزْ فيه التنوين وحذف التنوين على التخفيف فإذا حُذف التنوين لم يبق بين الاسمين حاجز فخفضت الثاني بالإضافة. وحذف التنوين كثير في كلام العرب موجود حسن. قال الله جلّ وعزّ ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وكذا ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، وكذا ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ﴾[القمر: ٢٧]. قال سيبويه: مثل ذلك كثيرٌ مثلهُ ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١] لأن

قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ
عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ
فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ
ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

معناه كمعنى ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، وأنشد سيبويه [الكتاب: ١/٨٧]:

هَلْ أَنْتَ بَاعِثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا ... أو عَبْدَ رَبٍّ أخا عَوْنِ بنِ مِخْراقِ

وقال النابغة [ديوانه: ٣٤]:

واحكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إذ نَظَرَتْ ... إلى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

معناه وارد الثَّمَدَ فحذف التنوين مثل ﴿كاشفاتُ ضُرِّهِ﴾.

﴿قُلْ يا قومِ اعمَلُوا على مَكانَتِكُم إنِّي عامِلٌ..﴾ [٣٩]

على مكانتي أي على جهتي التي تَمكَّنت عندي.

﴿إِنّا أنزَلْنا عَلَيكَ الكِتابَ لِلناسِ..﴾ [٤١]

قيل: معناه لِتُبَيِّنَهُ للناس بالحق الذي أُمِرُوا به فيه.

﴿.. فَيُمسِكُ التي قَضى عَلَيها المَوتَ..﴾ [٤٢]

وقراءة يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿فيمسك التي قُضِي عليها الموتُ﴾ على ما لم يسمّ فاعله، والمعنى واحد غير أن القراءة الأولى أبينُ وأشبه بنسق الكلام لأنهم قد جمعوا على ﴿ويُرسِلُ﴾ ولم يقرؤوا ويُرسَلُ وقد مرّ في الكتاب الذي قبل هذا العلّة في فتح الواو في قوله جلّ وعزّ:

﴿قُلْ لِلّهِ الشَّفاعَةُ جَميعاً..﴾ [٤٤]

نصب على الحال، فإن قيل: جميع إنما يكون للاثنين فصاعداً والشفاعة واحدة. فالجواب أن الشفاعة مصدر، والمصدر يُؤدّي عن الاثنين والجميع.

﴿وإذا ذُكِرَ اللّهُ وَحدَهُ..﴾ [٤٥]

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِيَ
فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾
أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

نصب على المصدر عند الخليل وسيبويه [الكتاب: ١/١٨٧]، وعلى الحال عند يونس. قال محمد بن يزيد: ﴿اشمأزت﴾ أي انقبضت..

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّمواتِ والأرضِ..﴾ [٤٦]

نصب لأنه نداء مضاف، وكذا ﴿عَالِمَ الغيبِ والشَّهادَةِ﴾ ولا يجوز عند سيبويه أن يكون نعتاً.

﴿.. وبَدَا لَهم مِّنَ اللهِ ما لَمْ يَكُونوا يحتَسِبُونَ﴾ [٤٧]

من أجلّ ما روي فيه ما رواه منصور عن مجاهد قال: عملوا أعمالاً توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات، وقيل: عملوا أعمالا سيئة وتوهموا أنهم يتوبون قبل الموت فأدركهم الموت، وقد كانوا ظنوا أنهم ينجون بالتوبة فبدا لهم مالم يكونوا يحتسبون، ويجوز أن يكونوا توهموا أنهم يُغفر لهم من غير توبة فبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون من دخول النار.

﴿وبَدَا لَهُمْ سَيِّئاتُ..﴾ [٤٨]

أي عقاب سيئات أو ذكر سيئات.

﴿قال إنّما أوتيته على علم﴾ [٤٩]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٥٧]: أي على شرف وفضل يجب لي به هذا الذي أعطيتُه فقد علمت أني سأعطى هذا ﴿بَلْ هِيَ فِتنةٌ﴾ قال الفراء [معاني القرآن: ٢/٤٢٠]: أنّث لتأنيث الفتنة ولو كان بل هو فتنة لجاز. قال أبو جعفر: التقدير: بل أعطيتُهُ فتنة ﴿ولكنَّ أكثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون أنّ إعطاءهم المال اختبارٌ، وقيل: عملهم عمل من لا يعلم.

﴿قد قَالَها الذِينَ..﴾ [٥٠]

على تأنيث الكلمة.

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾
وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن
تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿قُلْ يا عِبادِيَ الذينَ أسرَفوا على أنفُسِهِمْ..﴾ [٥٣]

وإن شئت حذفت الياء لأن النداء موضع حذف. ومن أجلّ ما روي فيه ما رواه محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: لما اجتمعنا على الهجرة اتّعدتُ أنا وهشام بن العاصي بن وائل السهمي وعياش بن عتبة فقلنا: الموعد أضاةُ غِفَر، وقلنا: من تأخر منّا فقد حُبِسَ، فأصبحت أنا وعياش بن عتبة بها، ولم يوافِ هشام وإذا به قد فُتِنَ فَفُتِنَ. وكنا نقول بالمدينة: هؤلاء قوم قد عرفوا الله جلّ وعزّ وآمنوا به وبرسوله ﷺ ثم افتُتِنوا ببلاء لحقهم لا نرى لهم توبةً، وكانوا هم أيضاً يقولون هذا فأنزل اللهُ جلّ وعزّ **﴿قُلْ يا عِبادِيَ الذينَ أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾** إلى آخر القصة.

وروى عبد الأعلى عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: كان قوم من المشركين قَتَلوا فأكثرُوا وزَنَوا فأكثروا فقالوا للنبي ﷺ أو بعثوا إليه: إن ما تدعونا إليه لحسن لو تخبرنا أن لنا توبةً فأنزل الله جلّ وعزّ **﴿قُلْ يا عِبادي الذين أسرَفوا على أنفسهم..﴾** إلى آخر الآيات، قال عبد الله بن عمر: هذه أرجى آية في القرآن فردّ عليه ابن عباس فقال: بل أرجى آية في القرآن **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾** [الرعد: ٦].

وروى حمّاد بن سلمَة عن ثابت عن شهر بن حَوشَب عن أسماء أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ **﴿قُلْ يا عِبادِيَ الذينَ أسرفوا على أنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَّحمَةِ إنّ اللهِ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَمِيعاً ولا يبالي إنَّهُ هُوَ الغفور الرَّحِيمُ﴾** وفي مصحف ابن مسعود **﴿إنّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوب، جَمِيعاً لِمَن يَشاءُ﴾** وهاتان القراءتان على التفسير أي يغفر لمن يشاء، وقد عرَّف الله جلّ وعزّ مَن يشاء أن يغفر له، وهو التائب أو من عمِل صغيرةً ولم يكن له كبيرة ودلّ على أنه يريد التائب ما بعده [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٣٥٧].

﴿وأنيبُوا إلى رَبِّكم..﴾ [٥٤]

فالتائب مغفور له ذنوبه جميعاً، يدلّ على ذلك **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾** [طه: ٨٢]. فهذا الإشكال فيه **﴿وأنِيبُوا إلى ربِّكم وأسلِمُوا لَهُ﴾** قال الضحّاك: أي **﴿أنيبوا﴾** ارجعوا إلى طاعته جلّ وعزّ وأمره. قال أبو جعفر: ثم تواعَد مَنْ لم يَتُبْ فقال: **﴿من قَبْلِ أن يأتيكُمُ العَذابُ ثُمّ لا تُنْصَرونَ﴾** أي فلا يدفعه أحد عنكم.

﴿أن تَقُولَ نَفْسٌ..﴾ [٥٦]

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

في موضع أي كراهة أن تقول، وعند الكوفيين بمعنى لئلاً تقول نفس: ﴿يا حَسْرَتا﴾ والأصل يا حسرتي أي يا ندمي، فأبدل من الياء ألفاً لأنها أخفّ، فالفائدة في نداء الحسرة أنّ في ذلك معنى أنّها لازمة موجودة فهذا أبلغ من الخبر. وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٤٢٢] في الوصل: يا حسرتاهُ على كذا: ويا حسرتاهِ على كذا، وذكر هذا القول في الآية وشبّهه بالندبة. وإثباتُ الهاء في الوصل خطأ عند جميع النحويين غيره، وليس هذا موضع ندبة ولا في السواد هاء ولا قرأ به أحد ﴿على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله﴾ قال الضحّاك: أي في ذكر الله قال: يعني القرآن والعمل به. وفي حديث ابن عجلان عن سعيد المقبريّ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما جلس رجل مجلساً ولا مشى مشياً ولا اضطجع مضطجعاً لم يذكر الله جلّ وعزّ فيه إلاّ كانت عليه تِرَةً يوم القيامة» [د: ٥٠٥٩] أي حسرة. قال إبراهيم التَّيمي: من الحسرات يوم القيامة أن يرى الرجل ماله الذي آتاه الله إيّاه يوم القيامة في ميزان غيره قد ورثه فعمل فيه بالحق، وكان له أجرهُ، وعلى الآخر وِزرهُ. ومن الحسرات أن يرى الرجل عبدَهُ الذي خوّلهُ الله إيّاه جلّ وعزّ في الدنيا أقرب منزلة من الله جلّ وعزّ، أو يرى رجلا يعرفه أعمى في الدنيا قد أبصر يوم القيامة وعمي هو. ﴿وإنْ كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٥٩]: أي ما كنت إلاّ من المستهزئين.

﴿أو تقولَ لو أنّ الله هَداني لَكُنتُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾ [٥٧]

قيل: معناه لو هداني إلى النجاة من النار، وردّني إلى التكليف ﴿لَكُنتُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾ المعاصي.

﴿أو تقولَ حِينَ ترى العَذابَ لو أنّ لي كَرَّةً فأكُونَ..﴾ [٥٨]

نصب على جواب التمني. فإن شئت كان معطوفاً على كرّة لأن معناه أن أكون كما قال:

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرُّ عَيْنِي أحبُّ إليّ من لُبْسِ الشُّفُوفِ

[القرطبي في «تفسيره»: ٦/ ٢١٨]

﴿بَلَى قد جاءتكَ آياتي..﴾ [٥٩]

وقيل: لو أن الله هداني في الدنيا، فردّ عليه فقيل: ﴿بلى قَدْ جاءَتْكَ آياتي﴾ أي قد هديتك بالبيّنات.

بفتح الكاف، والنفس مؤنّثة لأن المعنى للمذكر [معاني القرآن للفراء: ٢/ ٤٢٣]، وقرأ عاصم الجحدري بالكسر على تأنيث النفس، والقراءة بالكسر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٦٠] تروى عن النبي ﷺ.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾

﴿ويَومَ القِيامةِ تَرَى الَّذِينَ كذبوا على اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ..﴾ [٦٠]

مبتدأ وخبره في موضع نصب، ويجوز النصب على أن تكون وجوههم بدلاً من الذين **﴿أَلَيسَ في جَهَنَّمَ مَثوىً للمُتَكَبِّرِينَ﴾** وبيّن رسول الله ﷺ معنى الكبر فقال: **«الكِبرُ سَفَهُ الحقِّ وغَمصُ الناسِ أي احتقارهم»**. وفي حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: **«يُحشَرُ المتكبِّرونَ يومَ القيامةِ كهيئةِ الذَّرِّ يلحقُهُمُ الصَّغارُ حتى يؤتى بِهِمْ إلى سجنٍ في جهنَّم»** [ت: ٢٤٩٢، حم: ٢/١٧٩].

﴿ويُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتقوا بِمَفَازَتِهِم..﴾ [٦١]

هذه قراءة أكثر الناس على التوحيد لأنها مصدر. وقرأ الكوفيون **﴿ بمفازاتهم ﴾** وهو جائز كما تقول: بسعاداتهم، وعن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة قال: «يحشُرُ الله جلّ وعزّ مع كلّ امرئٍ عَمَلَهُ فيكون عمل المؤمن معَهُ في أحسنِ صُورَةٍ، فكلّما كان رعبٌ أو خوفٌ قال له: لا تُرَعْ فما أنتَ بالمرادِ به، ولا أنتَ بالمعنيّ به فإذا كثر ذلك عليه قال له: ما أحسنَكَ فمن أنت؟ فيقول، أمَا تعرِفُنِي؟ أنا عَمَلُكَ الصالحُ حَمَلتَنِي على ثقلي، فواللهِ لأحملنّكَ اليومَ ولأدفَعَنّ عنك فهي التي قال: **﴿ويُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتقوا بمفازتهم لا يمسّهُم السوء ولا هُمْ يحزنُونَ﴾**».

﴿اللهُ خالِقُ كُلِّ شيءٍ وهُوَ على كُلِّ شيءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢]

أي هو حافظه والقائم به.

﴿لَهُ مَقالِيدُ السمواتِ والأرضِ..﴾ [٦٣]

واحدها مِقْلِيدٌ وأكثر ما يستعمل فيه إقْلِيدٌ **﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ﴾** مبتدأ **﴿أُولئِكَ هُمْ﴾** مبتدأ ثان **﴿الخاسِرُونَ﴾** خبر الثاني **﴿وهم﴾** فاصلة، يجوز أن يكون **﴿اولئك﴾** بدلاً من الذين و**﴿وهم﴾** مبتدأ و**﴿الخاسِرُونَ﴾** خبره والجملة خبر الذين.

﴿قُلْ أفَغَيرَ اللهِ تأمُرُونّي أعبُدُ..﴾ [٦٤]

﴿غير﴾ نُصب بأعبُدُ [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٦١] والكسائي يذهب إلى أن التقدير أن أعبُدَ ثم حذف أن فرفع الفعل، وهو أحد قولي سيبويه [الكتاب: ١/٤٥٢] في **﴿اعبُدُ﴾** هذا، وقوله الآخر أنّ التقدير: **﴿أفغيرَ اللهِ أعبُدُ فيما تأمرونّي﴾** وهذا قول بيّن أي أفغيرَ اللهِ أعبُدُ أنتم تامرونّي، وفي

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي

هذا معنى: في أمركم. والأخفش سعيد [معاني القرآن: ٢/٦٧٢] يقول: تأمروني مُلغىً كما تقول: قال ذلك زيدٌ بلغني، وهذا هو قول سيبويه بعينه فأما أن يكون الشيء يعمل نصباً فإذا حذف كان عمله أقوى فعمل رفعاً فبيّن الخطأ، ولو أظهرت ﴿أنْ﴾ ههنا لم يجز وكان تفريقاً بين الصلة والموصول، والأصل: تأمرونني أدغمت النون في النون فأما ﴿تأمُرُونِي﴾ بنون واحدة مخففة فإنما يجيء مثله شاذاً في الشعر، وأبو عمرو بن العلاء رحمه الله يقول: لحنٌ، وقد أنشد سيبويه في مثله:

تَـراهُ كـالـثَـغَـامُ يُـعَـلُّ مِـسْـكـاً ... يَـسُـوءُ الـفـالـيـات إذا فَـلَـيْـنِـي

وسمعت علي بن سليمان يقول: كان النحويون من قبل يتعجّبون من فصاحة جرير وقوله على البديه إنهم يبذّونني. فأما حذف الياء من ﴿تامروني﴾ فسهلٌ لأن النون كأنها عوض منها والكسرة دالّة عليها.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ...﴾ [٦٥]

قال محمد بن يزيد: لَيَفْسُدَنَّ وذهب إلى أنه من قولهم حبِط بَطْنُهُ يَحْبَطُ وحَبَجَ يَحْبَجُ إذا فسد من داء بعينه.

﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ..﴾ [٦٦]

قال أبو جعفر: في كتابي عن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٦١] لفظ اسم الله جلّ وعزّ منصوب باعبُدْ، قال: ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين. قال أبو جعفر: وقد قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٤٢٤]: يكون نصباً بإضمار فعل لأنه أمر. فأما الفاء فقال أبو إسحاق: إنها للمجازاة، وغيره يقول بأنها زائدة.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ..﴾ [٦٧]

قال محمد بن يزيد: أي عظّموه من قولك فلان عظيمُ القدر. قال أبو جعفر: فالمعنى على هذا وما عظّموا الله حقّ عظمتهِ إذ عبدوا معه غيره، وهو خالق الأشياء ومالكها ﴿والأرضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ مبتدأ وخبره، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٤٢٥]: ﴿قَبضَتَه﴾ بالنصب بمعنى في قبضته. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٦١]: لم يُقرأ به، وهو خطأ عند البصريين لا يجوز، لا يقولون: زيدٌ قَبضَتَكَ ولا المالُ قَبضَتَكَ أي في قبضتك، قال: ولو جاز هذا لجاز: زيدٌ دارك، أي في دارك. ﴿والسّمواتُ مَطْوِيّات بِيَمِينِهِ﴾ مبتدأ وخبره، وأجاز الكسائي

ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ
ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ
حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ
﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ
عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

والفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٤٢٥] وأبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٦١، ٣٦٢]: ﴿مَطْوِيَّاتٍ﴾ بكسر التاء، قال أبو إسحاق: على الحال.

﴿. .ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخرى فَإذا هُمْ قِيامٌ يَنظُرُونَ﴾ [٦٨]

وأجاز الكسائي: ﴿قياماً﴾ بالنصب، كما تقول: خرجتُ فإذا زيدٌ جالساً.

﴿وَجِيءَ بالنَّبِيينَ والشُّهداء﴾ [٦٩]

قال زيد بن أسلم في قوله جلّ وعزّ: ﴿وَجِيءَ بالنَّبِيينَ والشُّهَداء﴾: الشهداء: الحَفَظَةُ.

﴿وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ زُمَراً. .﴾ [٧١]

نصب على الحال.

﴿حتى إذا جاءوها فُتِحَتْ أبوابُها﴾ [٧٣]

جواب إذا. وفي قصّة أهل الجنة ﴿وفُتِحَتْ﴾ بالواو، فالكوفيون يقولون: الواو زائدة، وهذا خطأ عند البصريين لأنها تفيد معنى العطف هاهنا والجواب محذوف، قال محمد بن يزيد: أي سعدوا. وحذفُ الجواب بليغ في كلام العرب وأنشد:

فَلَو أنّها نَفْسٌ تَموتُ سَوِيّةً ولكنّها نَفْسٌ تَساقطُ أنفسا

[القرطبي في «تفسيره»: ١٥/ ٢٨٥]

فحذف جواب ﴿لو﴾، والتقدير: لكان أروح. فأما الحكمة في إثبات الواو في الثاني وحذفها من الأول فقد تكلم فيه بعض أهل العلم، يقول: لا أعلم أنه سبقه إليه أحدٌ، وهو أنه قال: لما قال الله جلّ وعزّ في أهل النار ﴿حتى إذا جاءُوها فُتِحَتْ أبوابُها﴾ دلّ بهذا على أنها كانت مغلقة، ولما قال في أهل الجنة ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾ دلّ بهذا على أنّها كانت مفتّحة قبل أن يجيئوها، والله جلّ وعزّ أعلم.

وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿. . وأورثنا الأرضَ نَتَبوّأُ مِنَ الجنة حَيثُ نَشاءُ . . ﴾ [٧٤]

قد ذكرنا قول قتادة: إنها أرض الجنة، وقد قيل: إنها أرض الدنيا على التقديم والتأخير.

﴿حَافِّينَ . . ﴾ [٧٥]

قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/٦٧٣]: واحدهم حافّ، وقال الفرّاء: لا يفرد لهم واحد لأن هذا الاسم لا يقع لهم إلاّ مجتمعين ﴿وَقِيلَ الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ أي يقول المؤمنون: الحمد لله الذي أثابنا، فله الحمد على ما أثابنا من نعمه وإحسانه، ونصرنا على من ظلمنا.

٤٠ ـ سورة غافر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤

شرح إعراب سورة [غافر] الطول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم﴾ [١]

بإسكان الميم الآخرة لأنها حروف هجاء فحكمها السكون لأنها يُوقف عليها. وأما قراءة عيسى بن عمر ﴿حاميمَ تنزيلُ﴾ فمفتوحة لالتقاء الساكنين، ويجوز أن يكون في موضع نصب على إضمار فعل ولم ينصرف لأنها اسم المؤنث، أو لأنها أعجمية مثل هابيل وقابيل.

﴿تنزيلُ الكِتابِ..﴾ [٢]

على إضمار مبتدأ و ﴿تنزيل﴾ في موضع مُنَزَّل على المجاز. ويجوز أن يكون تنزيل رفعاً بالابتداء، والخبر ﴿من اللهِ العزيزِ العليمِ﴾.

﴿غافرِ الذّنبِ وقابلِ التّوبِ شديدِ العِقابِ..﴾ [٣]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٥]: جعلتها كالنعت للمعرفة وهي نكرة. وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٦٦]: هي خفض على البدل. قال أبو جعفر: وتحقيق الكلام في هذا وتلخيصه أن غافر الذنب وقابل التوب يجوز أن يكونا معرفتين على أنهما لما مضى فيكونا نعتين، ويجوز أن يكونا للمستقبل والحال فيكونا نكرتين، ولا يجوز نعتين على هذا ولكن يكون خفضهما على البدل، ويجوز النصب على الحال، فأمّا ﴿شديدِ العِقابِ﴾ فهو نكرة فيكون خفضه على البدل. و﴿التَّوْبِ﴾ جمع توبة أو مصدر. وقال أبو العباس: الذي يَسبقُ إلى القلب أن يكون مصدراً أي يقبل هذا الفعل، كما تقول: قال يقول قولاً، وإذا كان جمعاً فمعناه: يقبل التوبات. ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ على البدل لأنه نكرة وعلى النعت لأنه معرفة.

﴿ما يُجَادِلُ في آياتِ اللهِ إلاّ الّذِينَ كَفَرُوا..﴾ [٤]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

مجاز أي في دفع آيات الله جلّ وعزّ ﴿فلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ في البلادِ﴾ قال أبو العباس: أي تصرفهم، كما يقال: فلان يتقلّب في ماله.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَومُ نُوحٍ..﴾ [٥]

على تأنيث الجماعة أي كَذَّبتِ الرسُلَ. قال أبو العباس: ﴿لِيُدْحِضوا﴾ لِيُزيلوا. ومنه مكانٌ دَحْضٌ أي مَزْلَقَةٌ.

قال: ﴿وكَذَلِكَ حَقَّتْ﴾ [٦]

وجبت ولزمت؛ لأنه مأخوذ من الحق لأنه اللازم. ﴿أنَّهُمْ﴾ قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٧٥]: أي لأنهم وبأنهم. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٦٧]: يجوز ﴿ إِنَّهم ﴾ بكسر الهمزة ﴿أصحابُ النَّارِ﴾ المعذَّبون بها.

﴿الَّذِينَ يَحمِلُونَ العَرْشَ ومَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ..﴾ [٧]

اتّصل هذا بذكر الكفّار لأن المعنى ـ والله أعلم ـ: الذين يحملون العرش ومَن حولهُ يُنَزِّهُون الله جلّ وعزّ عما يقوله الكفّار ﴿ويَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقد غفر لهم لأن الله جلّ وعزّ يحبّ ذلك فهم مطيعون لله جلّ وعزّ بذلك ﴿رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَةً وعلماً﴾ منصوبان على البيان ﴿فاغفرْ للذينَ تابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ ولا يجوز إدغام الراء في اللام لأن في الراء تكريراً.

﴿وأدخلْهُم جَنَّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدْتَهُمْ ومَنْ صَلَحَ مِن آبائِهِمْ وأزواجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ..﴾ [٨]

﴿مَنْ﴾ في موضع نصب معطوف على الهاء والميم التي في ﴿وعَدْتَهم﴾، أو على الهاء والميم في ﴿أدخلْهم﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٥].

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ ومَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ..﴾ [٩]

سمّى العقاب سيئات مجازاً لأنه عقاب على السيئات.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ
﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم
بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ
ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ..﴾ [١٠]

قال الأخفش [معاني القرآن: ٦٧٥/٢]: ﴿لَمقتُ﴾ هذه لام الابتداء ووقعت بعد ﴿ينادون﴾ لأن معناه: يقال لهم، والنداء قول. وقال غيره: المعنى يقال لهم: لَمقتُ الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقت بعضكم بعضاً يوم القيامة لأن بعضهم عادى بعضاً ومَقَتَهُ يوم القيامة، فأذعنوا عند ذلك وخضعوا، وطلبوا الخروج من النار فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ فاعترفْنا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيل﴾.

﴿رَبَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ فاعترفْنا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيل﴾ [١١]

و﴿مِنْ﴾ زائدة للتوكيد.

﴿ذَلِكُمْ..﴾ [١٢]

في موضع رفع أي الأمر ذلكم أي ذلكم العذاب ﴿بأنه إذا دُعِيَ اللهُ وحدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ أي لأنه إذا وُحِّدَ اللهُ كفرتم وأنكرتم، وإن أُشركَ به مُشركٌ صدّقتموه وآمنتم به، والهاء كناية عن الحديث ﴿فالحكمُ لِلَّهِ﴾ أي لله جلّ وعزّ وحده لا لما تعبدونه من الأصنام ﴿العَلِيِّ الكبِيرِ﴾.

﴿مُخلِصِينَ﴾ [١٤]

فادعوه أي من أجل ذلك ادعوه ﴿مُخلِصِينَ﴾ على الحال.

﴿رفيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ..﴾ [١٥]

على إضمار مبتدأ. قال الأخفش: يجوز نصبه على المدح، وقرأ الحسن ﴿لِتُنذِرَ يومَ التلاقِ﴾ وهي مخاطبة للنبي ﷺ، وتأوّل أبو عبيد قراءة من قرأ لينذر بالياء أن المعنى: لينذر الله. وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٦٩/٤]: الأجود أن يكون للنبي ﷺ لأنه أقرب، وحذفت الياء من ﴿التلاق﴾ لأنه رأس آية.

﴿يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ..﴾ [١٦]

﴿هم﴾ في موضع رفع بالابتداء و﴿بارزون﴾ خبره، والجملة في موضع خفض بالإضافة؛

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى
ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ
يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى
ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم

فلذلك حذفت التنوين من يوم وإنما يكون في هذا عند سيبويه إذا كان الظرف بمعنى ﴿إذ﴾ تقول: لَقِيتُكَ يوم زيد أمير، فإذا كان بمعنى «إذا» لم يجز نحو: أنا ألقاك يوم زيدٌ أميرٌ.

﴿لِمَنِ المُلكُ اليومَ للهِ الواحد القهَّارِ﴾ أصحّ ما قيل فيه ما رواه أبو وائل عن ابن مسعود، قال: يُحشَرُ الناسُ على أرض بيضاء مثل الفضة لم يُعصَ اللهُ جلّ وعزّ عليها فيؤمرُ مُنادٍ أن ينادي: لِمَنِ المُلكُ اليومَ؟ فهذا قول بيِّن، فأما أن يكون هذا والخلق غير موجودين فبعيدٌ؛ لأنه لا فائدة فيه. والقول الأول صحيح عن ابن مسعود، وليس هو مما يؤخذ بالقياس، ولا بالتأويل، والمعنى على قوله فينادي منادٍ يوم القيامة ليُقرِّر الناسَ لِمَنِ المُلكُ اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم: لِلّهِ الواحدِ القهّار، فيقول المؤمنون هذا سروراً وتلذذاً، ويقول الكافرون هذا رغماً وانقياداً وخضوعاً.

﴿. . إذِ القُلُوب لَدَى الحناجِرِ كاظِمِينَ. .﴾ [١٨]

نُصِبت كاظمين على الحال وهو محمول على المعنى. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٦٩]: المعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٦] أن يكون التقدير: وأنذِرْهُمْ كاظمين على أنه خبر القلوب، وقال: لأن المعنى إذ هم كاظمين. وقال الكسائي: يجوز رفع كاظمين على الابتداء ﴿ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي قريب ﴿ولا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ من نعت شفيع أي ولا شفيع يسألُ فيُجابُ.

﴿يَعلَمُ خائِنَةَ الأعيُنِ. .﴾ [١٩]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٧٠]: أي من نَظَرٍ ونِيَّةُ الخيانة، وقال الفرّاء: يعلم خائنة الأعين النظرة الثانية ﴿وما تُخفِي الصُّدُورُ﴾ النظرة الأولى.

﴿. . إنّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ. .﴾ [٢٠]

﴿هو﴾ زائدة فاصلة، ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء وما بعدها خبر عنها والجملة خبر ﴿إنّ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا في الأرضِ فَيَنظُرُوا. .﴾ [٢١]

عطفٌ على يسيروا في موضع جزم، ويجوز أن يكون في موضع نصب على أنه جواب،

بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ
﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟
أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ

والجزم والنصب في التثنية والجمع واحد ﴿كيفَ كانَ عاقِبَةُ﴾ اسم كان والخبر في كيف ﴿وَاقٍ﴾ في موضع خفض معطوف على اللفظ، ويجوز أن يكون في موضع رفع على المرضع فرفعه وخفضه واحد لأن الياء تحذف وتبقى الكسرة دالّة عليها.

﴿وَلَقَدْ أَرسَلْنَا مُوسَى بآياتِنا وسُلطانٍ مُبِين..﴾ [٢٣]

في قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] ﴿وسلطان مبين﴾ السلطان الحجة وهو يذكّرُ ويؤنّث.

﴿إلى فِرْعَونَ وهَامَانَ وقارُونَ..﴾ [٢٤]

أسماء أعجمية لا تنصرف وهي معارف [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٧٠]، فإن نكّرتها انصرفت ﴿فَقالُوا سَاحِرٌ كذّابٌ﴾ مرفوع على إضمار مبتدأ أي هو ساحر.

﴿..قالُوا اقتُلوا أبْناءَ الّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ..﴾ [٢٥]

جمع ابن على الأصل، والأصل فيه بَنِيٌ. وقال قتادة: هذا القتل الثاني، فهذا على قوله أنه معاقبة لهم، والقتل الأول كان لأنه قيل لفرعون: إنّهُ يُولَدُ في بني إسرائيل ولد يكون زوال ملكك على يده؛ فأمر بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، ثم كان القتل الثاني عُقوبةً لهم ليمتنع الناس من الإيمان. قال الله جلّ وعزّ: ﴿ما كَيْدُ الكافِرينَ إلاّ في ضَلال﴾ أي إنه لا يمتنع الناس من الإيمان، وإنْ فعل بهم مثل هذا فكيف يذهب باطلا [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٧١]؟

﴿وقَالَ فِرعَونُ ذَرُونِي أقتُلْ مُوسَى ولْيدْعُ رَبَّهُ..﴾ [٢٦]

﴿أقتل﴾ جزم لأنه جواب الأمر ﴿ولْيَدْعُ﴾ جزم لأنه أمر و﴿ذروني﴾ ليس بمجزوم وإن كان أمراً، ولكنّ لفظه لفظ المجزوم وهو مبني، وقيل: هذا يدلّ على أنه قيل لفرعون: إنّا نخاف أن يدعو عليك فيجاب، فقال: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إنّي أخافُ أنْ يُبَدلَ دِينَكُمْ وأنْ يُظْهِرَ في الأرضِ الفَسادَ﴾ هذه قراءة المدنيين وأبي عبد الرحمن وابن عامر وأبي عمرو، وقراءة الكوفيين ﴿أوْ أنْ يُظْهِرَ في الأرضِ الفَسَادَ﴾ وكذا في مصاحف الكوفيين ﴿أوْ﴾ بألف وإليه يذهب أبو عبيد، قال: لأن ﴿أوْ﴾ قد تكون بمعنى الواو لأن في ذلك بطلان المعاني، ولو جاز أن يكون بمعنى الواو لما احتيج إلى هذا ههنا لأن معنى الواو: إني أخافُ الأمرين جميعاً، ومعنى ﴿أوْ﴾ لأحد الأمرين أي إني أخافُ أن يُبدّلَ دينكم فإن أعوزه ذلك أفسد في الأرض.

مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ
كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ
مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ
يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ
(٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن
يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤)

﴿..أن يقولَ رَبِّيَ اللهُ..﴾ [٢٨]

في موضع نصب أي لأن يقول ﴿وإن يَكُ كاذباً فَعَليهِ كَذِبُهُ﴾ ولو كان ﴿يكُنْ﴾ جاز ولكن حذفت النون لكثرة الاستعمال على قول سيبويه، ولأنها نون الإعراب على قول أبي العباس.

﴿..ظَاهِرِينَ..﴾ [٢٩]

نصب على الحال. وقد ذكرنا ما بعده.

﴿مِثْلَ يَوْمِ الأحزابِ﴾ [٣٠]

يعني به من أهلك [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٧٢] والله أعلم.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ..﴾ [٣١]

على البدل ﴿وَعَادٍ وثَمُودَ والذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ لم ينصرف ثمود؛ لأنه اسم للقبيلة وصرفه جائز على أنه اسم للحيّ ﴿والذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ في موضع خفض على النسق.

﴿ويا قومِ إنّي أخافُ عَلَيكُمْ يَوْمَ التنادِ..﴾ [٣٢]

وقراءة الضحاك ﴿يَوْمَ التنادّ﴾ بالتشديد، وقد رويت عن ابن عباس إلاّ أنها من رواية الكلبي عن أبي صالح. قال أبو جعفر: يقال: ندّ البعير يندُّ إذا نَفَرَ من شيء يراه ثم يستعار ذلك لغير البعير. وفي القراءة جمع بين ساكنين إلاّ أنه جائز.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ..﴾ [٣٣]

على البدل من ﴿يوم التناد﴾ ﴿مدبرين﴾ على الحال. ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ﴾ في موضع خفض بِمَنْ، ومَنْ وما بعدها في موضع رفع، ورفعُ هاد وخفضُهُ واحدٌ.

﴿ولَقَدْ جاءَكُم يُوسُفُ مِن قَبْلُ بالبيِّناتِ..﴾ [٣٤]

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ
ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾
أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ
عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ
سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ
سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ
ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾

من قبل موسى صلى الله عليهما فذكَرَ وهب بن مُنبّه: أن فرعون موسى هو فرعون يوسف ﷺ عَمّرَ، وغيره يقول: هو آخر وليس في هذه الآية دليل على أنه هو لأنه إذا أتى بالبيّنات فهي لمن معه، ولمن بعده، وقد جاءهم جميعاً بها وعليهم أن يصدقوه بها. ﴿كذلك يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ..﴾ [٣٥]

في موضع نصب على البدل مِنْ ﴿مَنْ﴾، ويجوز أن يكون في موضع رفع على معنى هم الذين يجادلون في آيات الله أو على الابتداء ﴿مقتاً﴾ على البيان أي كَبُرَ جدالُهم مقتاً ﴿كذلك يَطبَعُ اللهُ على كلّ قَلبِ مُتكبرٍ جَبّارٍ﴾ وقراءة أبي عمرو ﴿على كلّ قَلْبٍ مُتَكبّرٍ جبارٍ﴾ بالتنوين. قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٤/٤]: الإضافة أولى لأن المتكبِّر هو الإنسان وقد يقال: قلب متكبر يُرادُ به الإنسان.

﴿أسبابَ السمواتِ..﴾ [٣٧]

بدل من ﴿الأسباب﴾ ﴿فأطّلِعُ﴾ عطف على ﴿أبلغُ﴾ وقرأ الأعرج ﴿فأطّلِعَ﴾ بالنصب. قال أبو عبيد: على الجواب [معاني القرآن للفراء: ٩/٣]. قال أبو جعفر: معنى النصب خلاف معنى الرفع؛ لأن معنى النصب متى بلغتُ الأسباب اطّلعتُ ومعنى الرفع لعلّي أبلغُ الأسباب ثم لعلّي أطّلعُ بعد ذلك إلاّ أنّ ثم أشدّ تراخياً من الفاء.

﴿وكذلك زُيّنَ لفرعون سوءُ عَمِلِهِ وصَدَّ عن السبيل﴾ وقراءة الكوفيين ﴿وصُدَّ﴾ ويجوز على هذه القراءة ﴿وصِدَّ﴾ تقلب كسرة الدال على الصاد، وقراءة ابن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٥/٤] وعبد الرحمن بن أبي بكرة ﴿وصَدٌّ عن السبيل﴾.

﴿وقال الّذي آمَنَ يا قوم اتّبِعُون أهدِكُمْ سَبيلَ الرشاد..﴾ [٣٨]

وقراءة معاذ ﴿أهدكم سَبيلَ الرَّشّادِ﴾. قال أبو جعفر: وقد ذكرناه.

تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

﴿..لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ..﴾ [٤٣]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٧٦]: أي ليس له استجابة دعوة تنفع، وقال غيره: ليس له دعوة توجب له الألوهة في الدنيا وفي الآخرة.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ..﴾ [٤٤]

أي في الآخرة.

﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا..﴾ [٤٥]

قيل: هذا يدلّ على أنهم أرادوا قتله. قال الكسائي: يقال: حاقَ يَحِيقُ حَيْقاً وحُيُوقاً إذا نزل ولَزِم.

﴿النارُ يُعْرَضُونَ عَلَيها..﴾ [٤٦]

فيه ستة أوجه: تكون النار بدلاً من سوء، ويكون بمعنى هو النار، وتكون بالابتداء، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٩]: تكون مرفوعة بالعائد، فهذه أربعة أوجه وأجاز الفرّاء النصب لأن بعدها عائداً وقبلها ما تتصلُ به، وأجاز الأخفش الخفض على البدل من العذاب.

واحتجّ بعض أهل اللغة في تثبيت عذاب القبر بقوله جلّ وعزّ: **﴿النار يعرضون عليها غدوّاً وعشياً﴾** قال: فهذا في الدنيا، وفي الحديث عن ابن مسعود قال: «إن أرواح آل فرعون ومن كان مثلَهم من الكفار تُعرض على النار بالغداة والعشيّ فيقال هذه داركم» [القرطبي في «تفسيره»: ١٥/ ٣١٩].

وفي حديث صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الكافر إذا ماتَ عُرِضَ على النار بالغداة والعشيّ ثم تلا ﴿النارُ يُعرَضُون عَلَيها غدوّاً وعشياً﴾ وإن المؤمن إذا مات عرضت روحه على الجنة بالغداة والعشي»** [د: ٤٧٥٣]. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٩]: في الغداة والعشيّ أي بمقادير ذلك في الدنيا. قال أبو جعفر: غُدُوّ مصدر جُعِلَ ظرفاً على السعة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ نصبت يوماً بقوله **﴿أَدْخِلُوا﴾** وقراءة الحسن وأبي الحسن وأبي عمرو وعاصم **﴿ادخُلُوا آلَ فرعونَ أشد العذاب﴾** تنصب آلَ فِرعَونَ في هذه القراءة على النداء المضاف ومن قرأ أدخِلُوا آلَ فرعون نصبهم بوقوع الفعل عليهم **﴿وآل فرعون﴾** مَنْ كان على دينه وعلى

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

مذهبه وإذا كان من كان على دينه وعلى مَذهبِهِ في أشدّ العذاب كان هو أقرب إلى ذلك.

وروى قتادة عن أبي حَسّانَ الأعرج عن ناجية بن كعب عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «إنّ العبدَ يُولَدُ مُؤمِناً ويَحيا مُؤمِناً ويَموتُ مُؤمِناً، منهم يحيى بن زكريا صلّى الله عليهما وسلّم ولد مؤمناً وحَيِيَ مؤمناً ومات مؤمناً. وإن العبد يُولَدُ كافراً ويحيا كافراً ويموتُ كافراً، منهم فرعون وُلِدَ كافراً وحَيِيَ كافراً ومات كافراً» [«مجمع الزوائد» للهيثمي: ٧/ ٢١٢]، [والقرطبي في «تفسيره»: ١٥/ ٣٢٠].

﴿..فَيقولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ استكبَرُوا إنّا كُنّا لكم تَبَعاً..﴾ [٤٧]

مصدر فلذلك لم يُجْمَع، ولو جمع لقيل: أتباع.

﴿قالَ الذينَ استكبَرُوا إنّا كُلٌّ فِيهَا..﴾ [٤٨]

قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٧٨]: كل مرفوع بالابتداء، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٠] والكسائي ﴿إنّا كُلاً فيها﴾ بالنصب على النعت. قال أبو جعفر: وهذا من عظيم الخطأ أن يُنعَتَ المضمر، وأيضاً فإنّ ﴿كُلاً﴾ لا تُنعَتُ ولا يُنعتُ بها، هذا قول سيبويه نصّاً، وأكثر من هذا أنه لا يجوز أن يُبدَلَ من المضمر ههنا؛ لأنه مُخاطَبٌ، ولا يُبدَلُ من المخاطِب ولا المُخَاطَب؛ لأنهما لا يُشكِلان فيبدلُ منهما. هذا قول محمد بن يزيد نصّاً. ﴿إن الله قد حكم بينَ العِبادِ﴾ أي حكم بينهم ألاّ يؤاخذ أحداً بذنب غيره.

﴿وقالَ الذينَ في النّار لخَزَنة جَهنَّمَ..﴾ [٤٩]

﴿الذين﴾ في موضع رفع، ومن العرب من يقول: اللذون على أنه جمعٌ مُسلَّمٌ مُعرَبٌ، ومن قال: الذين في موضع الرفع بناه، كما كان في الواحد مبنيّاً. وقال سعيد الأخفش: ضُمّت النونُ إلى الذي فأشبه خمسة عشر فبني على الفتح. وخَزَنَةٌ جمعُ خازن، ويقال: خُزّانٌ وخُزَّنٌ ﴿أدعوا رَبَّكُم يُخَفِّفْ﴾ جواب مجزوم، وإذا كان بالفاء كان منصوباً إلا أن الأكثر في كلام العرب في الأمر وما أشبهه أن يكون بغير فاء، على هذا جاء القرآن بأفصح اللغات، كما قال:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

وفي الحديث عن أبي الدرداء قال: «يُلقَى على أهل النار الجوعُ حتى يَعدِلَ ما هم فيه من العذاب فَيَستَغيثُونَ منه فيغاثون بالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيأكلون فلا يغني عنهم شيئاً

قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غُصّة فيغُصّونَ به، فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص بالماء فيستغيثون بالشراب، فيرفع لهم الحميم بالكلاليب فإذا دنا من وجوههم شواها، فإذا وقع في بطونهم قَطّعَ أمعاءهم وما في بطونهم فيستغيثون بالملائكة فيقولون: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ العَذَابِ﴾ فيجيبونهم: ﴿أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلاّ فِي ضَلالٍ﴾ [٥٠]» [ت/ ٢٥٨٦]

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا..﴾ [٥١]

ويجوز حذف الضمة لثقلها فيقال: ﴿رُسْلنا والذين آمنوا﴾ في موضع نصب عطفاً على الرسل. وفي الحديث عن أبي الدرداء وبعض المحدّثين يقول عن النبي ﷺ قال: «من ردّ عن عرض أخيه المسلم كان حقاً على الله جلّ وعزّ أن يردّ عنه نار جهنم» [ت: ١٩٣١، حم: ٦/ ٤٥٠] ثم تلا ﴿إنا لننصرُ رسلنا والذينَ آمنوا﴾.

وروى سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حمى مُؤمناً من مُنافق يغتابُهُ بعث الله جلّ وعزّ ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من النار، ومَنْ ذكر مسلماً بشيء ليشينه به وقفه الله جلّ وعزّ على جسر جهنم حتى يخرج ممّا قال» [د: ٤٨٨٣].

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأشهَادُ﴾ قال سفيان الثوري: سألت الأعمش عن الأشهاد فقال: الملائكة، وقال زيد بن أسلم: الأشهاد: الملائكة والنبيّون والمؤمنون والأجساد. قال أبو إسحاق: الأشهاد: جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب، قال أبو جعفر: ليس باب فاعل أن يُجمع على أفعال ولا يقاس عليه، ولكن ما جاء منه مسموعاً أدّى كما سُمِعَ وكان على حذف الزائد. وأجاز الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٧٩] والفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٠]: ﴿ويَوْمَ تقومُ الأشهادُ﴾ بالتاء على تأنيث الجماعة.

﴿لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ﴾ [٥٢]

وقرأ أبو عمرو وابن كثير ﴿لا تَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ﴾ قال بعض أهل اللغة: كان الأولى به أن يقرأ ﴿ويومَ تقومُ الأشهادُ﴾ لأن الفعل يلي الأسماء، وأن يقرأ ﴿لا ينفعُ الظالمين﴾ بالياء؛ لأنه قد حال بين الفعل وبين الاسم. قال أبو جعفر: هذا لا يلزمُ لأن الأشهاد واحدهم شاهد مذكر فتذكير الجميع فيهم حسن، ومعذرة مؤنثة في اللفظ فتأنيثها حسن.

ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ
إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ
لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

﴿هُدى..﴾ [٥٤]

في موضع نصب إلاَّ أنه لا يتبيّن فيه الإعراب لأنه مقصور ﴿وذِكْرى﴾ معطوف عليه ونصبهما على الحال.

﴿..وَسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ بالعَشِيِّ والإبْكارِ﴾ [٥٥]

مصدر جعل ظرفاً على السعة، والأبكار جمعُ بكَر.

﴿إنَّ الذينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ بِغَيرِ سُلطَانٍ أتاهُمْ..﴾ [٥٦]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٧٤، ٣٧٧]: المعنى أنّ الذين يجادلون في دفع آيات الله وقدره مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وقال سعيد بن جبير: ﴿بغير سلطان﴾ بغير حجة، والسلطان يُذكّر ويؤنّث ولو كان بغير سلطان أتتهم، لكان جائزاً. ﴿أتاهم﴾ من نعت سلطان وهو في موضع خفض.

﴿إنْ في صُدُورِهِمْ إلاّ كِبْر ما هُمْ بِبالِغِيه﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٧٧]: المعنى ما في صدورهم إلاّ كبر ما هم ببالغي إرادتهم فيه فقدّره على الحذف. وقال غيره: المعنى ببالغي الكبر على غير حذف؛ لأن هؤلاء قوم رأوا أنهم إن اتّبعوا النبي ﷺ قلّ ارتفاعُهم ونقصت أحوالهم، وأنهم يرتفعون إذا لم يكونوا تبعاً فأعلم الله جلّ وعزّ أنهم لا يبلغون الارتفاع الذي أمّلوه بالتكذيب ﴿فاستَعِذْ باللهِ﴾ أي من شرّهم.

﴿لَخَلْقُ السَّمواتِ والأرضِ..﴾ [٥٧]

مبتدأ وخبره وهذه لام التوكيد، وسبيلها أن تكون في أول الكلام لأنها تؤكّد الجملة إلاّ أنها تُزحلَقُ عن موضعها، كذا قال سيبويه: تقول: إن عمراً لَخارجٌ وإنما أُخرت عن موضعها لئلاّ يُجمَعَ بينها وبين ﴿إنّ﴾ لأنهما يؤديان عن معنى واحد، كذلك لا يجمع بين إنّ وأنّ عند البصريين، وأجاز هشام: إنّ أنّ زيداً منطلق حقٌّ، فإن حذفت حقّاً لم يجز عند أحد من النحويين علمته.

﴿إنّ السّاعةَ لآتيةٌ لا ريب فيها﴾ [٥٩]

وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ
بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

ومما دخلت اللام في خبره قوله جلّ وعزّ بعد هذا ﴿إنّ الساعةَ لآتيةٌ لا ريب فيها﴾.

﴿وقالَ ربُّكمُ ادعُوني أستجِبْ لكُم..﴾ [٦٠]

﴿ادعوني﴾ أمر غير معرب ولا مجزوم عند البصريين إلاّ أنْ تكون معه اللام، وعند الفرّاء مجزوم على حذف اللام، ﴿أستجبْ﴾ مجزوم عند الجماعة؛ لأنه بمعنى جواب الشرط وهذه الهمزة مقطوعة لأنها بمنزلة النون في نَفْعَلُ، وسقطت ألف الوصل لأنه قد استُغنِيَ عنها.

﴿الله الذي جَعَلَ لكُمُ الليلَ لِتسكنُوا فيه..﴾ [٦١]

﴿جَعَلَ﴾ هاهنا بمعنى خَلَقَ والعرب تُفرّقُ بين ﴿جَعَلَ﴾ إذا كانت بمعنى خَلَقَ وبين ﴿جَعَلَ﴾ إذا لم تكن بمعنى خلق، فلا تُعدّيها إلاّ إلى مفعول واحد، وإذا لم تكن بمعنى خلق عدّتها إلى مفعولين نحو قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

﴿والنّهارَ﴾ عطف عليه ﴿مُبصِراً﴾ على الحال.

﴿..وَصَوَّرَكُمْ فأحسَنَ صُوَرَكُم..﴾ [٦٤]

وتُروى عن ابن رزين ﴿فأحسنَ صِوَرَكُم﴾ بكسر الصاد وقد بيّنَ هذا سيبويه [الكتاب: ٢/ ٩٧]، وذكر أن الكسرة مجاورة للضمة لأن العرب تقول: رُكبَةٌ ورُكُبَاتٌ ويَحذِفُونَ الضمة فيقولون: رُكْبَاتٌ وكذلك هِنْدٌ وهِنِدَاتٌ ويحذفون الكسرة فيقولون: هِنْدَاتٌ، فتجاورت الضمة والكسرة فجمعوا فِعْلَةً على فُعَل [مثل] رَشْوة ورُشىً، فكذا عنده صُورَةٌ وصِوَرٌ وهذا من أحسن كلام في النحو وأبينه، ونظيره أنهم يقولون: فَخِذٌ وفَخْذٌ وعَضُدٌ وعَضْدٌ، فيحذفون الكسرة والضمة ولا يقولون: في جَمَل جَمْل فيحذفون الفتحة لخفتها، ويقولون: سُورَةٌ وسُوَرٌ ولا يقولون: في فَعْلَة مفتوحة اللام إلا فِعَالٌ نحو: جَفْنَة وجِفَان وفِعْلَة مثل: فُعْلَة يقولون: فيها فِعَلٌ. ألا ترى إلى تجانس فِعْلَة وفُعْلَة ومباينة فَعْلَة لهما.

﴿..مُخلِصينَ..﴾ [٦٥]

على الحال ﴿له الدِّينَ﴾ بوقوع الفعل عليه، والتقدير: قولوا: الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ.

۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا
أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾
هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ
اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ
فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ
﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾

﴿.. ثم لِتكونُوا شُيوخاً..﴾ [٦٧]

وهذا جمع الكثير، ويقال: شِيوخاً، وفي العدد القليل أشياخ والأصل: أشْيُخ مثل فَلْس وأفلُس إلاّ أن الحركة في الياء ثقيلة وقد كان فَعْلٌ يُجمعُ على أفعال وليست فيه ياء تشبيهاً بِفَعَل، قالوا: زَنْدٌ وأزنادٌ، فلمّا استثقلت الحركة في الياء شبّهوا فَعْلاً بِفَعَل فقالوا: شَيْخٌ أشياخ، وإن اضطر شاعر جاز أن يقول: أشْيُخٌ مثل: عين أعيُنٌ إلاّ أنه حَسُنَ في عَين لأنها مؤنّثة، والشَّيْخُ مَن جاوز أربعين سنة. ﴿ومنكم مَّن يُتوفَّى مِن قَبْلُ﴾ قال مجاهد: أي من قبل أن يكون شيخاً. قال أبو جعفر: ولهذا الحذف ضُمّتْ قبل، وقد ذكرنا العلّة في اختيارهم الضمّ لها. قال مجاهد: ﴿ولِتَبلُغُوا أجلاً مُّسَمًّى﴾: الموت للكل.

﴿إذِ الأغلالُ في أعناقِهِمْ والسَّلاسِلُ..﴾ [٧١]

عطف على الأغلال. قال أبو حاتم: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ مُستأنف على هذه القراءة، وقال غيره: هو في موضع نصب على الحال، والتقدير: إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل مسحوبين، وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس أنه قرأ ﴿والسلاسِلَ﴾ بالنصب ﴿يسحبون﴾ والتقدير في قراءته: ويَسحبون السلاسل. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٧٨]: من قرأ ﴿والسَّلاسلِ﴾ بالخفض فالمعنى عنده وفي السلاسلِ يُسحَبون وفي الحميم والسلاسل، وهذا في كتاب أبي إسحاق «في القرآن» كذا، والذي يَبين لي أنه غلط لأن البيّن أنه بقدرة يُسحَبُون في الحميم والسلاسل تكون السلاسل معطوفة على الحميم، وهذا خطأ لا نعلم أحداً يجيز: مررتُ وزيد بعمرو، وكذا المخفوض كلّه وإنما أجازوا ذلك في المرفوع أجازوا: قام وزيدٌ عمروٌ، وهو بعيد في المنصوب نحو: رأيت وزيداً عمراً، وفي المخفوض لا يجوز لأن الفعل غير دالّ عليه.

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ في الأرضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ..﴾ [٧٥]

أي ذلكم العذاب بما كنتم تفرحون بالمعاصي. وفي بعض الحديث لو لم يعذب الله جلّ

ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾

وعزّ إلاّ على فرحنا بالمعاصي واستقامتها لنا، فهذا تأويل، وقيل: إن فرحهم بما عندهم أنهم قالوا للرسل عليهم السلام: نَحنُ نعلم أنّا لا نُبعَثُ ولا نُعذَّبُ، وكذا قال مجاهد في قوله جلّ وعزّ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣] قال ﴿بِما كُنتم تَفرحُونَ في الأرض بغير الحق﴾ أي بما كنتم تأشرون ﴿وبما كنتم تمرحون﴾ أي تبطرون.

﴿.. فَبِئْسَ مَثْوى المُتَكَبِّرينَ.﴾ [٧٦]

في موضع رفع أي قَبحتْ مثوى المتكبّرين.

﴿فإمّا نُرِيَنَّكَ..﴾ [٧٧]

في موضع جزم بالشرط و﴿ما﴾ زائدة للتوكيد وكذا النون وزال الجزم وبُني الفعل على الفتح لأنه بمنزلة الشيئين اللذين يُضَمّ أحدهما إلى الآخر ﴿أو نَتَوفَّيَنَّكَ﴾ عطف عليه ﴿فإلَيْنَا يُرجَعُون﴾.

﴿مِنهُم مَن قَصَصْنَا عليكَ﴾ [٧٨]

الجواب ﴿مِنهُم مَن قَصَصْنَا عليكَ﴾، ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء وكذا ﴿ومنهم مَن لَم نَقصُصْ عَلَيكَ﴾.

﴿الله الذي جَعَلَ لكمُ الأنعامَ..﴾ [٧٩]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٨/٤]: الأنعام ههنا الإبل ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فاحتجّ مَنْ منع أكل الخيل وأباح أكل الجمال بأنّ الله تعالى قال في الأنعام: ﴿ومنها تأكلون﴾، وقال في الخيل والبغال والحمير: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨] ولم يذكر إباحة أكلها.

﴿.. فأيَّ آياتِ الله تُنكِرونَ..﴾ [٨١]

نصبت أيّاً بتنكرون لأن الاستفهام يعمل فيه ما بعده، ولو كان مع الفعل هاء لكان الاختيار

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

الرفع في أيّ، ولو كان الاستفهام بالألف أو [بهل] وكان بعدها اسم بعده فعل معه هاء لكان الاختيار النصب.

﴿.. كانُوا أكثرَ مِنهُم..﴾ [٨٢]

خبر كان ولم ينصرف لأنه على أفعلَ وزعم الكوفيون أن كل ما لا ينصرف يجوز أن ينصرف إلاّ أفعَلَ من كذا، لا يجوز صرفه بوجه في شعر ولا غيره إذا كانت معه ﴿مِنْ﴾. قال أبو العباس: ولو كانت ﴿مِنْ﴾ المانعة لصرفه لوجب أن لا تقول: مررتُ بخَيرٍ مِنْكَ وشَرٍّ مِنْ عَمروٍ، وكيف يجوز صرف ما لا ينصرف وفيه العلل المانعة من الصرف؟ وإذا كان ينصرف فما معنى قولنا لا ينصرف لعلة كذا.

﴿فلمّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيّناتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ..﴾ [٨٣]

في معناه ثلاثة أقوال: قول مجاهد: إنّ الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم، وقالوا: نحن أعلَمُ منهم لَن نُعذّبَ ولَن نُبعثَ، وقيل: فرِحَ الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقيل: الذين فرحوا الرسل لمّا كذبهم قومهم وأعلمهم الله جلّ وعزّ أنه مهلك الكافرين ومنجيهم والمؤمنين ففرحوا بما عندهم من العلم بنجاء المؤمنين، وحاق بالكفار ما كانوا يستهزئون أي عقاب استهزائهم بما جاءت به الرسل.

﴿فلمّا رَأَوْا بَأْسَنَا قالُوا آمَنّا باللهِ وَحْدَهُ..﴾ [٨٤]

﴿سُنّةَ اللهِ..﴾ [٨٥]

مصدر أي سنّ الله عزّ وجلّ في الكافرين أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب. ﴿وخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرُونَ﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٨/٤]: وقد كانوا خاسرين قبل ذلك إلاّ أنه تبيّن لهم الخسران لمّا رأوا العذاب.

٤١ ـ سورة فُصّلَت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾

شرح إعراب سورة السجدة (فصّلت)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [٢]

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [٣]

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً..﴾ [٤]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٧٩]: ﴿تَنزِيلٌ﴾ رفع بالابتداء وخبره: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾.

قال: وهذا قول البصريين. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٢] يجوز أن يكون رفعه على إضمار هذا ﴿قرآناً عربياً﴾، قال الكسائي والفرّاء: يكون منصوباً بالفعل أي فصّلت كذلك، قالا: ويجوز أن يكون منصوباً على القطع. وقال أبو إسحاق: يكون منصوباً على الحال أي فصّلت آياته في حال جمعه. وقول آخر: يكون منصوباً على المدح [معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٦٨٠] أي أعني قرآناً عربياً.

قال الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٢]: ويجوز قرآنٌ عربي بالرفع يجعلانه نعتاً لكتاب، قالا مثل ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الانعام: ٩٢] وقال غيرهما: دلّ قوله جلّ وعزّ: ﴿قرآناً عربياً﴾ على أنه لا يجوز أن يقال فيه شيء بالسريانية والنبطية، ودلّ أيضاً على أنه يجب أن يطلب معانيه وغريبه من لغة العرب وكلامها، ودلّ أيضاً على بطلان قول من زعم أن ثم معنيين معنى ظاهراً ومعنى باطناً لا يعرفه العرب في كلامها ﴿لِقوم يَعلَمُونَ﴾ فدلّ بهذا على أنه إنما يخاطب العقلاء البالغين، وإنّ مَن أشكل عليه شيء من القرآن فيجب أن يسأل من يعلم. ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ في معناه قولان: أحدهما لا يقبلون وكلّهم كذا إلاّ مَنْ آمن، والآخر يجتنبون سماع القرآن.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾
الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ [٥]

جمعُ كنان أي عليها حاجز لا يصل إليها ما يقوله، وكذا ﴿وفي آذاننا وَقْرٌ﴾ أي صمَمٌ، والوقْرُ الحِمْلُ ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٨٠/٤]: أي حاجز لا يُجامعُك على شيء مما تقوله ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ على الأصل، ومن قال: إنا حَذَفَ النون تخفيفاً.

﴿.. يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا..﴾ [٦]

في موضع رفع على أنه اسم ما لم يُسمَّ فاعله.

﴿الَّذِينَ..﴾ [٧]

في موضع خفض نعت ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾. ﴿لا يُؤْتُونَ الزكوٰةَ﴾ في معناه أقوال: فمِن أصح ما رُوِي فيه وأحسنه استقامة إسناد ما رواه عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: التوحيد لله جلّ وعزّ. وروى الحكم بن أبان عن عكرمة ﴿لا يُؤْتُونَ الزكوة﴾ قال لا يقولون: لا إله إلاّ الله. وقال الربيع بن أنس: لا يزكّون أعمالهم فينتفعون بها. وروى إسماعيل بن مسلم عن الحسن ﴿الذين لا يؤتون الزكوٰة﴾ قال: عظم الله جلّ وعزّ شأن الزكاة فذكرها فالمسلمون يزكّون والكفار لا يزكّون، والمسلمون يصلّون والكفار لا يصلّون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [٨]

قال محمد بن يزيد: في معناه قولان: يكون ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع من قولهم مَنَنْتُ الحبل أي قطعته، وقد منّه السفر، أي قطعه ويكون معناه لا يمُنُّ عليهم.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ..﴾ [٩]

قال عبدالله بن سلام وكعب: هما يوم الأحد ويوم الاثنين. وقال مجاهد: كل يوم بألف سنة مما تعدّون. وقال غيره: لو أراد عزّ وجلّ أن يخلقها في وقت واحد لفعل، ولكنّه أراد ما فيه الصلاح ليتبين ملائكته أثر صنعته شيئا بعد شيء فيزداد في بصائرها. الأصل: أإنكم فإن خفّفتَ الهمزة الثانية جعلتها بين بين، وكتابته بالفين لا غير؛ لأن الهمزة الثانية مبتدأة، والمبتدأة لا تكون إلاّ ألفاً، ودخلت عليها ألف الاستفهام، فقولك: أإنكم كقولك: هل إنكم وأم إنكم لا تكتب إلاّ بألف.

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً﴾ قال الضحّاك: تتخذون معه أرباباً وآلهة. قال أبو جعفر: واحد الأنداد ندّ وهو المثل أي تجعلون له أمثالا لاستحقاق العبادة ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ أي ذلك الذي خلق الأرض في يومين والذي جعلتم له أنداداً رب العالمين. قال الضحّاك: العالمون الجنّ والإنس والملائكة، وهذا من أحسن ما قيل في معناه لأن سبيل ما يجمع بالواو والنون والياء والنون أن يكون لِمَا يعقل فهذا للملائكة والإنس والجن.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا..﴾ [١٠]

قال كعب: مادَتِ الأرض فخلق الله فيها الجبال يوم الثلاثاء، وخلق الرياح والماء الملح، وخلق من الملح العذب، وخلق الوحش والطير والهوام وغير ذلك يوم الأربعاء. قال أبو جعفر: واحد الرواسي راسية، ويقال: واحد الرواسي راسٍ. وقيل للجبال: رَوَاسٍ لثباتها على الأرض.

﴿وبَارَكَ فِيها﴾ أي زاد فيها من صنوف ما خلق من الأرزاق وثبّتها فيها، والبركة: الخير الثابت ﴿وَقَدَّرَ فيها أقواتَها﴾ قال عكرمة: جعل في كل بلد ما يقوم بمعيشة أهله فالسابري بسابور، والهروي بهراة، والقراطيس بمصر ﴿في أربَعَةِ أيام﴾ قال محمد بن يزيد: أي ذا وذاك في أربعة أيام. وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٨١/٤]: أي في تمام أربعة أيام.

﴿سواء﴾ مصدر عند سيبويه أي استوت استواء. قال سيبويه: وقد قُرِئ ﴿سواء للسائلين﴾ جعل سواء في موضع مستويات، كما تقول: في أربعة أيام تمام أي تامة، ومثله رجل عدل أي عادل وسواء من نعت أيام، وإن شئت من نعت أربعة. والقراءة بالخفض مروية عن الحسن، وبالرفع عن أبي جعفر أي هي سواء. ﴿للسائلين﴾ فيه قولان: قال الضحّاك: أي لمن سأل عن خلق هذا في كَمْ كان هذا؟ والقول الآخر: وقدّر فيها أقواتها للسائلين أي لجميع الخلق لأنهم يسألون القوت.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ..﴾ [١١]

قالوا: في يوم الخميس ﴿فَقَالَ لها وللأرضِ ائتِيا طَوعاً أو كَرهاً﴾ وعن سعيد بن جبير أنه قرأ ﴿آتيا طوعاً أو كرهاً﴾ أي أعطيا الطاعة. وقرأ ﴿قالتا أتَيْنَا طائعين﴾ ولم يقل: طائعات ففي هذا ثلاثة أجوبة للكسائي قال: يكون أتينا بمن فينا طائعين، يكون لما خَبّرَ عنهن بالإتيان أجرى عليهن ما يجري على من يعقل من الذكور، والجواب الثالث أنه رأس آية.

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ في يَوْمَيْنِ..﴾ [١٢]

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾

على قول من أنّث السماء، ومن ذكّر قال: سبعة سموات فأما قول بعض أهل اللغة أنه ما جمع بالتاء فهو بغير هاء، وإن كان الواحد مذكراً، وحكي: أخذتُ منه أربع سجلاّت، بغير هاء فخطأ لا يعرفه أهل الإتقان من أهل العربية وقد حكوا: هذه أربعة حمّامات لأن الواحد حمّام مذكر، هكذا قال الأخفش سعيد ﴿وَأَوحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ قيل: أمرها ملائكتها، وقيل: ما صنع فيها وعن حذيفة ما يدلّ على الجوابين، قال: وأوحي في كل سماء أمرها، قال للسماء الدنيا: كوني زمردة خضراء، وجعل فيها الملائكة يسبحون. ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً﴾ قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٨١]: أي وحفظناها حفظاً.

﴿فإنْ أعرَضُوا فَقُلْ أنذَرتُكُم صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَة عَاد وثَمُودَ..﴾ [١٣]

وقرأ أبو عبد الرحمن والنخعي ﴿صَعْقَةً مثلَ صَعْقَةِ﴾ ولم تأتهم الصاعقة؛ لأنهم لم يُعرضوا كلّهم وأعرضوا للكلّ، وكل من خوطب بهذا أسلم إلاّ من قُتِلَ منهم. وقراءة رسول الله ﷺ على عتبة بن الوليد كما قرىء على أحمد بن الحجاج عن يحيى بن سليمان قال: حدّثنا محمد بن فضيل قال: حدثنا الأجلح بن عبد الله عن الذيّال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال: قال أبو جهل يوماً، للملا من قريش: إنه قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر فأتاه فكلّمه ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعتُ السحر والكهانة والشعر وعلمتُ من ذلك علماً، وما يخفى عليّ إن كان كذلك، فأتاه عتبة فخرج رسول الله ﷺ إليه، فقال له عتبة: يامحمد ألَنتَ خيرٌ أمْ هاشم؟ ألنتَ خيرٌ أم عبد المطلب؟ ألنتَ خيرٌ أم عبد الله؟ لم يأتوا بمثل ما أتيت به فلم تشتم آلهتنا وتُضلّلُ آباءنا؟ فإنْ كنت إنما بك الرئاسة عقدنا لك اللواء بينا بالرئاسة فكنت ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوّجناك عَشرَ نسوة تختارهنّ من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به أنت وعقِبُكَ من بعدك، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلّم فلما فرغ عتبة من كلامه قال رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ ثم قرأ إلى قوله: ﴿فإنْ اعرضُوا فقُل أنذرتُكم صاعقةً مِثلَ صاعقةِ عاد وثمودَ﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكفّ، ثم رجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل: يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلاّ قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلاّ من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه فأتوا عتبة فخرج إليهم فقال له أبو جهل: والله ياعتبة ما نظنّكَ إلاّ قد صبأت إلى محمد وأعجبك أمرهُ، وما نرى ذلك إلاّ من حاجة أصابتك، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب عتبة وأقسم ألا يكلّم محمداً أبداً، وقال لهم: لقد عَلِمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته فقصّ عليهم ما قال له، وما قال لرسول الله، ثم قال: جاءني والله بشيء

إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ
أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ
لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ
فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟

ما هو بسحر ولا كهانة، قرأ عليٌ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ إلى قوله: فإنْ ﴿أعرضوا فقُل أنذرتُكم صاعقة مِثلَ صاعقةِ عاد وثمودَ﴾ فأمسكتُ على فيه، وناشدتُهُ الرحمَ أنْ يكُفَّ، وقد علمتُم أنّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفتُ أن ينزل بكم العذاب فناشدته الرحم أن يكف.

قال الضحّاك: ﴿صاعقةً مِثلَ صاعقةِ عاد وثمودَ﴾ أي عذاباً. وقال محمد بن يزيد: الصاعقة معناها في كلام العرب المُبيدةُ المُهلِكَةُ المُخمِدَةُ فربّما استعملت للإخماد من غير إهلاك ومنه سُمّي الصَّعِقُ بن حرب لأنه ضُرب ضربة فخمد ثم أفاق.

﴿إذْ جاءتهُمُ الرُسُلُ مِن بَينِ أيديهِم ومِن خلفِهِم..﴾ [١٤]

في معناه ثلاثة أقوال: مذهب الضحّاك: أن الرسل الذين بين أيديهم من قبلَهم، والذين من خلفِهم الذين بحضرتهم. قال أبو جعفر: فيكون الضمير الذي في خلفِهِم يعودُ على الرسل هذا قول وهو مذهب الفرّاء، وقيل: من بين أيديهم الذين بحضرتهم، ومن خلفِهم الذين من قبلهم. وقيل: هما على التكثير أي جاءتهم الرسل من كلّ مكان بشيء واحد، وهو ألاّ يعبدوا إلاّ الله.

﴿فأرسَلْنَا عَلَيهِمْ رِيحاً صَرْصَراً في أيّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ [١٦]

قرأ أبو عمرو ونافع ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ بإسكان الحاء، وأكثر القراء بكسرها فيقول ﴿نَحِسَاتٍ﴾ واحتج أبو عمرو في التسكين على إجماعهم بتسكين الحاء في قولهم: نَحْسٌ وفي قوله جلّ وعزّ: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩] وردَّ عليه أبو عُبيد هذا الاحتجاج لأن معنى ﴿في يومِ نَحْسٍ﴾ في يوم شُؤم [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٨٣] وأن معنى ﴿في أيامٍ نَحِسَاتٍ﴾ في أيام مشؤومات، والقول كما قال أبو عبيد. رَوى جويبر عن الضحّاك ﴿في أيامٍ نَحِسَاتٍ﴾ قال: مشؤومات عليهم، ويحتمل قراءة من قرأ ﴿في أيامٍ نَحْسَاتٍ﴾ بإسكان الحاء أن يكون الأصل عنده نَحِسَاتٍ ثم حذف الكسرة فيكون كمعنى نَحِسَاتٍ، ويَحتمِل أن يكون وصفها بما هو فيها مجازاً واتساعاً.

﴿وأمّا ثَمودُ فَهَدَيْنَاهُم..﴾ [١٧]

يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ

رُفِعت ثمود بالابتداء ولم تصرفه على أنه اسم للقبيلة والمعروف من قراءة الأعمش ﴿وأمّا ثمود﴾ [معاني القرآن للفراء: ١٤/٣] بالصرف على أنه اسم للحيّ إلا أن أبا حاتم روى عن أبي زيد عن المفضل عن الأعمش وعاصم أنهما قرآ ﴿وأمّا ثموداً﴾ بالنصب. وهذه القراءة معروفة عن عبد الله بن أبي إسحاق، والنصب بإضمار فعل على قول يونس قال: زيداً ضَرَبْتُه، وذلك بعيد عند سيبويه. وعلى ذلك أنشد:

فَأَمّا تَمِيمٌ تَمِيمُ بنُ مُرٍّ فَأَلْفَاهُمُ القومُ رَوْبَى نِيَاما

قال الضحّاك: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أخرجنا لهم الناقة تبياناً وتصديقاً لصالح ﷺ ﴿فاستَحَبّوا العَمَى على الهُدَى﴾ قال: أي استحبوا الكفر على الإيمان.

﴿ويَومَ نَحشُرُ أعداءَ الله إلى النارِ..﴾ [١٩]

هذه قراءة نافع، وأما سائر القراء أبو عمرو وأبو جعفر والأعمش وعاصم وحمزة والكسائي فقرؤوا ﴿ويومَ يُحشَرُ أعداءُ الله﴾ على ما لم يُسَمَّ فاعله، وهذا اختيار أبي عبيد، وعارضَ نافعاً في قراءته مُنكراً فقال بعده ﴿فهم يُوزَعُونَ﴾ ولم يقل نَزَعُهم أي يُحشَرُ أولى.

قال أبو جعفر: وهذه المعارضة لا تلزم، والقراءتان حسنتان، والمعنى فيهما واحد غير أن قائلاً لو قال: قراءة نافع أولى بما عليها من الشواهد؛ لأنه قد أجمع القرّاء على النون في قوله جلّ وعزّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥] ومن الدليل على أن معارضته لا تلزم قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] ولم يقل: وحُشِرُوا، وبعدهُ ﴿وعُرِضُوا﴾ لما لم يُسمَّ فاعله، فهذا مثل قراءة نافع ﴿ويَومَ نَحشُرُ أعداءَ الله إلى النار فهم يُوزَعُونَ﴾ والإمالة في قوله جلّ وعزّ ﴿إلى النار﴾ حَسَنة لأن الراء مكسورة وكسرتها بمنزلة كسرتين لأن فيها تكريراً. هذا قول الخليل وسيبويه [الكتاب: ٤٠٦/٢] فَحَسُن معها إمالة الألف للمجانسة.

فأما قول من يقول: تمال الراء وتمال الدال فلا تخلو من إحدى جهتين من الخطأ والتساهل، لأن الإمالة إنما تقع على الألف لأنها حرف هوائي فيتهيأ فيه ما لا يتهيأ في غيره. ويقال: وَزَعتُهُ أزَعُهُ والأصل أوزِعُهُ فحذفت الواو وفتحت لأن فيه حرفاً من حروف الحلق. قال الضحّاك: ﴿يُوزَعُونَ﴾ يُدفَعُون، وقال مجاهد وأبو رزين: ﴿يُوزَعُونَ﴾ يُحبَسُ أولهم على آخرهم.

ويروى عن ابن عباس ﴿يُوزعونَ﴾، قال: يُحبَسُ أولهم على آخرهم حتى يتتامّوا فيُرمى بهم في النار.

وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ
كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ
أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ
أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ
(٢٤) ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ (٢٥)

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ [٢٠]

قال أبو جعفر: والدليل على هذا الجواب أنّ بعده ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ وهذا من مُعجزِ القرآن لأن فيه حذفاً واختصاراً قد دلّ عليه المعنى، والمعنى حتى إذا جاؤوا النار وصاروا بحضرتها سُئِلُوا عن كفرهم ومعاصيهم فأنكروها بعد أن شهد عليهم النبيّون والمؤمنون.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وأبصارُهُمْ بما كانوا يَعمَلُونَ﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ١٩/٣]: الجلد ها هنا الذكر كنّى الله عزّ وجلّ عنه كما كنّى في قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي نكاحاً، وقال غيره: هي جلودهم بعينها جعل الله عزّ وجلّ فيها ما ينطقُ فشهدت عليهم.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبصَارُكُم وَلا جُلُودُكُم﴾ [٢٢]

قال جلّ وعزّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ أي ما كنتم تقدرون على أن تستروا معاصيكم عن سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنكم بهنّ تعملون المعاصي، و﴿أنْ﴾ في موضع نصب أي من أنْ.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ [٢٣]

ابتداء وخبر، ويجوز أن يكون ظنكم بدلاً من ذلكم و﴿أَرْدَاكُمْ﴾ خبر ذلكم، وعلى الجواب الأول أرداكم خبر ثانٍ، فأمّا قول الفرّاء [معاني القرآن: ١٦/٣]: يكون أرداكم في موضع نصب مثل: هذا زيدٌ قائماً، فغلط لأن الفعل الماضي لا يكون حالاً. قال أبو العباس: أرداكم من الرّدَى وهو الهلاك.

﴿فإن يَصبِرُوا فالنّارُ مَثْوًى..﴾ [٢٤]

في موضع جزم بالشرط، وجوابه الجملة الفاء وما بعدها، وكذا ﴿وإن يَستَعتِبُوا﴾.

﴿وقَيَّضنا لَهُمْ قُرناءَ..﴾ [٢٥]

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا

عن ابن عباس أن القرناء الشياطين. وهي آية مشكلة فمن الناس من يقول: معنى هذا التحلية للمحنة، وقيل: قيّضنا لهم قرناء من الشياطين في النار ﴿فزيّنوا لهم﴾ أعمالهم في الدنيا. فإن قيل: فكيف يصح هذا والفاء تدل على أن الثاني بعد الأول؟ قيل: يكون المعنى قدّرنا عليهم هذا وحكمنا به.

ومن أحسن ما قيل في الآية أن المعنى أحوجناهم إلى الإقرار والاقتران فأحوجنا الغنيّ إلى الفقير ليستعين به وأحوجنا الفقير إلى الغني لينال منه، وكذا الزوجان كل واحد منهما محتاج إلى صاحبه فهذا معنى الاقتران وحاجة بعضهم إلى بعض. قيّض الله جلّ وعزّ لهم ذلك ليتعاونوا على طاعته فزيّن بعضهم لبعض المعاصي، قال جلّ وعزّ: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فيه أقوال: يروى عن ابن عباس ﴿ما بين أيديهم﴾ التكذيب بالآخرة والبعث والجنة والنار، ﴿وما خلفهم﴾ الترغيب في الدنيا والتسويف بالمعاصي، وقيل ﴿زَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي ما تقدّمهم من العاصي ﴿وما خلفهم﴾ ما يعمل بعدهم أو بحضرتهم، وقيل: ﴿ما بين أيديهم﴾ ما هم فيه. ﴿وما خلفهم﴾ ما عزموا أن يعملوه. وهذا من أبينها. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وهو أن الله جلّ وعزّ يعذّب من عمل مثل عملهم ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾ أي هم داخلون في أمم قد حق عليهم هذا القول، فهذا قول بيّن، وقد قيل: ﴿في﴾ بمعنى مع كما قال:

وهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ ثَلاثِينَ شَهْراً فِي ثَلاثَةِ أَحْوَالِ

[ديوان امرىء القيس: ٥٥]

﴿وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذا القُرْآنِ والْغَوا فيه..﴾ [٢٦]

وهذا من لَغِيَ يَلْغَى، وهي اللغة الفصيحة، ويقال: لَغَى يَلْغَى لأنّ فيه حرفاً من حروف الحلق، ولغا يلغو، وعلى هذه اللغة قرأ ابن أبي إسحاق وعيسى ﴿والغُوا فيه﴾ بضم الغين. قال محمد بن يزيد: اللغو في كلام العرب ما كان على غير وجهه، ومنه ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] إنما هو ما يصدّ عن الخير ويدعو إلى الشر أي هو مما ينبغي أن يُطرح، ولا يُعرّج عليه كما أن اللغو في الكلام ما لا يفيد معنى.

ويروى عن عبد الله بن عباس في معنى ﴿والغَوا فيه﴾ أن أبا جهل هو الذي قال هذا، قال: فإذا رأيتم محمداً يصلّي فصيحوا في وجهه، وشدوا أصواتكم بما لا يفهم حتى لا يدري ما يقول، ويُروى أنهم إنما فعلوا هذا لمّا أعجزهم القرآن، ورأوا مَن تَدَبَّرهُ آمن به لإعجازه بفصاحته وكثرة معانيه وحسنه ونظمه ورصفه فقالوا: إذا سمعتموه يقرأ فخلّطوا عليه القراءة بالهزء وما لا يحصل، وذلك اللغو لعلّكم تغلبونه.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ
الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا
تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا
إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ..﴾ [٢٨]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٨٤]: النار بدل من جزاء قال: ويجوز أن يكون رفعها بإضمار مبتدأ أيضاً تبيناً عن الجزاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ..﴾ [٣٠]

ويجوز في غير القرآن حذف إحدى التاءين ولا يجوز الإدغام للبعد. و**﴿أنْ﴾** في موضع نصب أي بأن لا تخافوا ولا تحزنوا. ويروى عن ابن عباس أن هذا في يوم القيامة. قال زيد بن أسلم: هذا عند الموت، قال: والبشارة في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ..﴾ [٣١]

أي نحوطكم ونحفظكم بأمر الله عزّ وجلّ، وفي الآخرة نطامنكم ونرشدكم. **﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾**. قال عكرمة عن ابن عباس قال: إذا أراد أحدهم الشيء واشتهاه في نفسه وجده حيث تناله يده.

﴿نُزُلًا..﴾ [٣٢]

قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/٦٨٣]: هو منصوب من جهتين: إحداهما أن يكون مصدراً أي أنزلهم الله ذاك نُزلا، والأخرى أن يكون في موضع الحال أي منزلين نزلا.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا..﴾ [٣٣]

منصوب على البيان، وقد ذكرنا فيه أقوالاً فمِنْ أجمعها ما قاله الضحّاك، قال: هو النبي ﷺ وأصحابه ومن اتّبعهم إلى يوم القيامة إلاّ أن الحديث عن عائشة رضي الله عنها فيه توقيف أنّ هذه الآية نزلت في المؤذّنين [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٨٦]، وهي لا تقول إلاّ ما تعلم أنه كما قالت؛ لأن مثل هذا لا يؤخذ بالتأويل إذا قيل نَزَلَ في كذا، كما قرئ على أبي بكر محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف القطّان قال: حدّثنا عبيد الله بن الوليد عن محمد بن نافع عن عائشة قالت: نزلت في المؤذّنين يعني قوله تعالى **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾**.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

وقرئ على أحمد بن محمد الحجاج عن يحيى بن سليمان عن وكيع قال: حدّثنا عبد الله ابن الوليد الوصّافي عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ومحمد بن نافع عن عائشة في هذه الآية قالت: نزلت في المؤذّنين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال يحيى بن سليمان: وحدّثنا حفص بن عمر قال: حدّثنا الحكم بن أبان عن عكرمة يرفعه قال: أول من يُقضى له بالرحمة يوم القيامة المُؤذّنون وأول المُؤذّنين مؤذّنو مكّة، قال: والمُؤذّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، والمؤذّنون إذا خرجوا من قبورهم أذّنوا فنادوا بالأذان، والمؤذّنون لا يدوّدون في قبورهم.

قال عكرمة: وقال عمر بن الخطاب رحمه الله قال: ما أبالي لو كنت مُؤذّناً أن لا أحُجَّ ولا أعتمر ولا أجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ، قال: وقالت الملائكة عليهم السلام لو كنّا نُزولاً في الأرض ما سبقنا إلى الأذان أحدٌ، وبإسناده عن عكرمة في قوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ﴾ يعني المؤذّنين.

﴿وعمل صالحاً﴾ قال: صلى وصام. قال يحيى بن سليمان: حدّثنا جرير عن فُضيل بن أبي رفيدة قال: قال لي عاصم بن هبيرة، وكان من أصحاب ابن مسعود، وكنت مؤذّناً: إذا فرغت من الأذان وقلت: لا إله إلاّ الله فقل: وأنا من المسلمين ثم قرأ هذه الآية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. إنني على الأصل، ومن قال: ﴿إنّي﴾ حذف لاجتماع النونات، والتقدير عند جماعة من أهل العربية: وقال إنني مسلم من المسلمين، وكذا قال هشام في ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] أي ناصح: من الناصحين. وقال بعض أهل النظر: دلّ هذا من قوله جلّ وعزّ أنه حسن أن يقول: أنا مسلم بلا استثناء أي قد استلمت لله جلّ وعزّ وقبِلتُ أمره فحُكِمَ لي بأنّي مسلمٌ.

﴿ولا تستوي الحسنةُ ولا السّيئةُ..﴾ [٣٤]

قال عطاء: الحسنة لا إله إلاّ اللهُ، والسيئة الشركُ ﴿ادفَعْ بالتي هِيَ أحسَنُ﴾ أي بالحال التي هي أحسن ﴿كأنَّهُ وليٌّ حَميمٌ﴾. قال أبو زيد: الحميم عند العرب: القريب. وقال محمد بن يزيد: ﴿الحميم﴾ الخاص ومنه قول العرب عنده: الخاصة والعامة.

﴿وما يُلقّاها إلاّ الّذينَ صَبَرُوا..﴾ [٣٥]

الكناية عن الحال وعن هذه الكلمة.

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ
وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾

﴿وإمّا ينزغنّك مِنَ الشيطانِ نزغٌ..﴾ [٣٦]

في موضع جزم بالشرط ودخلت النون توكيداً.

﴿خلقهنّ﴾ [٣٧]

وقد ذكرنا ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ وعلى أي شيء يعود الضمير.

﴿يسأمون﴾ [٣٨]

قال محمد بن يزيد: ﴿يسأمون﴾ يملّون، وأنشد بيت زهير [ديوانه: ٣٢]:

وَمَن لا يَزَلْ يَستَحمِلُ النّاسَ أمرَهُ ... ولا يُغنِهَا يَوماً مِنَ الدَّهرِ يُسأَمِ

أي يملّ.

﴿ومِنْ آياتِهِ أنّكَ ترى الأرضَ خاشِعةً﴾ [٣٩]

﴿أنّ﴾ في موضع رفع بالابتداء عند سيبويه [الكتاب: ٤٦٢/١، ٤٦٣]، وإن كان لا يجيز أن يكون ﴿أنّ﴾ في أول الكلام ولكن لمّا كان قبلها شيء صلح الابتداء بها، والرفع عند المازني بإضمار فعل فيما لا يجوز أن يُبتدأ به كما تقول: كيف زيدٌ؟ والتقدير عنده: كيف استقرّ زيد. ﴿خاشعة﴾ منصوبة على الحال ﴿فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزّتْ وربتْ﴾ من ربا يربو فحذفت الألف لسكونها وسكون التاء بعدها، ويقال في تثنية رباً ربوان كذا قال سيبويه [الكتاب: ٣٩/٢] نصّاً، والكوفيون يقولون: ربيان بالياء، ويكتبون ربا بالياء.

قال أبو جعفر: وسمعت أبا إسحاق يقول: ليس يكفيهم أن يغلطوا في الخط حتى يتجاوزوا ذلك إلى التثنية، قال أبو جعفر: والقرآن يدلّ على ما قال البصريون، قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٣٩] وقراءة أبي جعفر ﴿اهتزّتْ وربأتْ﴾ وهو مأخوذ من الربيئة، يقال: رَبَأ يَربأ فهو رابئٌ ورَبُؤ يربُؤ فهو رَبيءٌ، ورَبيئةٌ على المبالغة إذا ارتفع إلى موضع عالٍ يرقب، فمعنى وربأت ارتفعت ﴿إنّ الذي أحياها لَمُحيي الموتى﴾ حذفت الضمة من الياء لثقلها ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين.

﴿يُلحِدون﴾ [٤٠]

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ
مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

مِنَ الحَدّ وهي بالألف أكثر وأشهر.

﴿إنّ الّذِينَ كَفرُوا بالذِّكرِ لمّا جَاءهُم..﴾ [٤١]

في خبر ﴿إنّ﴾ ها هنا أقوال فمن مذاهب الكسائي أنه قد يقدّم قبلها ما يدلّ على الخبر من قوله جلّ وعزّ: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾ [فصلت: ٤٠] وغيره، وقيل: الخبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤] وقيل: المعنى: إنّ الذين كفروا بالذكر لما جاءهم قد كفروا بمعجز، ودلّ على هذا أنّ بعده ﴿وإنّهُ لكِتابٌ عَزِيزٌ﴾ وهذا مذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٩] على معنى قوله، وقيل: الخبر محذوف فمعناه أهلكوا.

﴿لا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيهِ وَلا مِن خَلفِهِ..﴾ [٤٢]

مذهب الضحّاك وسعيد بن جبير أن معناه لا يأتيه كتاب من قبله فيبطله ولا من بعده [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٨٩]. قال أبو جعفر: والتقدير على هذا لا يأتيه الأمر بالباطل من هاتين الجهتين أو لا يأتيه البطول، ويكون فاعل بمعنى المصدر مثل عافاه الله جلّ وعزّ عافية، وقيل: الباطل ههنا الشيطان وقد ذكرنا هذا القول. ﴿تَنزِيلٌ﴾ نعت لكتاب أو بإضمار مبتدأ.

﴿مَا يُقالُ لَكَ إلاّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ..﴾ [٤٣]

قال أبو صالح: أي من الأذى.

﴿وَلَو جَعَلنَاهُ قُرآناً أعجَمِيّاً..﴾ [٤٤]

جعلنا ههنا متعدّية إلى مفعولين وقد ذكرنا هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾ ﴿هُدى﴾ في موضع رفع على أنه خبر هو ﴿وشفاء﴾ معطوف عليه ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾.

حدّثنا محمد بن الوليد عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد عن حجاج عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قتّة عن ابن عباس رحمه الله ومعاوية وعمرو بن العاص رحمهم الله أنّهم قرؤوا ﴿وهو عليهم عَمٍ﴾ [معاني القرآن: ٣/٢٠] وقُرئ على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل بن أبي إسحاق قال: حدّثنا علي بن عبد الله قال: حدّثنا سفيان بن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يحدّث عن ابن عباس أنه قرأ ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمٍ﴾ [معاني القرآن: ٣/٢٠] هذه القراءة مخالفة للمصحف.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾

فإن قال قائل: الإسناد صحيح، قيل له: الإجماع أولى على أنّ الإسناد فيه شيء وذلك أن عمرو بن دينار لم يقل: سمعت ابن عباس فيخاف أن يكون مرسلاً، وسليمان بن قتة ليس بنظير عمرو بن دينار على أن يعقوب القارىء على محلّه من الضبط قد قال في هذا الحديث: ما أدري أقرؤوا ﴿وهو عليهم عَمٍ﴾ أو ﴿وهو عَلَيْهِم عَمِيّ﴾ على أنه فعل ماض. ومع إجماع الجمع سوى من ذكرناه، والذي في المصحف أن المعنى بعمىً أشبه لأنه قال جلّ وعزّ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾ فالأشبه بهذا أعمى.

﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ﴿الذين﴾ في موضع رفع بالابتداء وخبره في الجملة، ومن العرب من يقول: اللذون في موضع الرفع، والذين أكثر وقد ذكرنا العلّة فيه. ﴿أُوْلَئِكَ﴾ في موضع رفع بالابتداء، والجملة خبره ﴿يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ على التمثيل أي لا يفهمون ما يقال لهم، والعرب تقول لمن يَتفهَّم: هو يُخاطَبُ من قريب. قال مجاهد: ﴿من مكان بعيد﴾ أي بعيد من قلوبهم.

﴿وَلَقَدْ آتينا مُوسَى الكِتَابَ..﴾ [٤٥]

مفعولان ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿كلمة﴾ مرفوعة بالابتداء عند سيبويه، والخبر محذوف لا يظهر، وبعض الكوفيين يقول: لولا من الحروف الرافعة. فأما معنى ﴿كلمة﴾ فقيل: أنها تأخير عقوبتهم إلى يوم القيامة وترك أخذهم على المعصية لما عَلِمَ الله عزّ وجلّ في ذلك من الصلاح؛ لأنهم لو أُخذوا بمعاصيهم في وقت العصيان لانتهوا ولم يكونوا تائبين ولا ممتحنين على ذلك، وفي الحديث المسند «لولا أنكم تُذْنِبُونَ لأتى الله بِقوم يُذنِبُونَ فَيَغفِرَ لَهُم» [ت: ٣٥٣٩] أي أنتم تُمتحنون وتؤخَّرُ عقوبتكم لتتوبوا.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ..﴾ [٤٦]

شرط وجوابه الفاء وما بعدها.

﴿.. وما تَخرُجُ مِنْ ثَمَرَات..﴾ [٤٧]

هذه قراءة أهل المدينة، وقراءة أهل الكوفة ﴿من ثَمَرةٍ﴾ وهو اختيار أبي عبيد؛ لأنّ ثمرة تؤدي عن ثمرات، هذا احتجاجه فحمل ذلك على المجاز، والحقيقة أولى وأمضى. فإنه في المصاحف بالتاء، فالقراءة بثمرات أولى. ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ قال محمد بن يزيد: وهو ما يغطيها،

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي

قال: والواحد كُمّ، ومن قال في الجمع: أكِمّة قال في الواحد: كِمَامٌ.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ أي على قولكم ﴿قالوا آذَنَّاكَ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿آذَنَّاكَ﴾ يقول: أعلمناك. ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾، ﴿مِنْ﴾ زائدة للتوكيد أي ما منا شاهد يشهد أن معك إلهاً.

﴿... وَظَنُّوا مَا لَهُم مِن مَّحِيصٍ..﴾ [٤٨]

قال الأخفش [٢/٦٨٥]: ظنوا: استيقنوا. قال: و﴿مَا﴾ حرف فلذلك لا تعمل فيه ظنوا، فلذلك أُلغِيَ. قال أبو عبيدة [مجاز القرآن: ٢/١٩٨]: حاصَ يَحِيصُ إذا حاد، وقال غيره: المحيص: المذهب الذي تُرجى فيه النجاة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ..﴾ [٥٢]

وفي الكلام حذف أي إن كان من عند الله ثم كفرتم به أمصيبون أنتم في ذلك؟

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ...﴾ [٥٣]

في معناه ثلاثة أقوال: منها سَنُريهم ماخبّرهم به النبي ﷺ أنه سيكون من فِتَن وفساد وغلبة الروم وفارس وغير ذلك من أخباره حتى يتبيّن لهم أنّ كلّ ما أخبر به هو الحق، فذا قول، وقيل: المعنى: سنُريهم آثار صنعتنا في الآفاق الدالّة على أنّ لها صانعاً حكيماً ﴿وفي أنفسهم﴾ من أنهم كانوا نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً إلى أن بلغوا وعقلوا وميّزوا حتى يتبين لهم أنّ الله هو الحق لا ما يعبدونه من دونه [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٩١، ٣٩٢]. والقول الثالث رواه الثوري عن عمرو ابن قيس عن المنهال وبعض المحدّثين يقول عن المنهال عن سعيد بن جبير أو غيره في قول الله جلّ وعزّ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ قال: ظهور النبي ﷺ على الناس ﴿وفي أنفسهم﴾ قال: ظهوره عليهم.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب هذا، ونسق الكلام يدلّ عليه، والقول الأول لا يصح؛ لأنه لم يتقدم للأخبار ذكر فيكنّى عنها أعني: ﴿أَنَّهُ الحَقُّ﴾. وفي المضمر ثلاثة أقوال سوى من قال: أنه للخبر: أحدهما أن يكون يعود على اسم الله جلّ وعزّ، والثاني أن

ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

يكون يعود على القرآن فقد تقدّم ذكره في قوله جلّ وعزّ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ﴾ والثالث أن يعود على النبي ﷺ، وهذا أشبهها بنسق الكلام.

﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: منها أن يكون المعنى أو لم يكفِ بربك بما دلّ به من حكمته وخلقه ففي ذلك كفاية، والثاني ﴿أوَلَم يكفِ بربّك﴾ في معاقبته هؤلاء الكفّار المعاندين ففي الله جلّ وعزّ كفاية منهم، والثالث أن المعنى: أو لم يكفك يا محمد ربك أنه شاهد على أعمال هؤلاء، عالمٌ بما يخفون فهذا يكفيك، وهذا أشبه الأقوال بنسق الآية، والله جلّ وعزّ أعلم. وفي موضع ﴿أنه﴾ من الإعراب ثلاثة أقوال: يجوز أن يكون في موضعها رفعاً بمعنى: أولم يكف أنه على كل شيء شهيد على البدل من ربك على الموضع، والموضع موضع رفع بإجماع النحويين، ويجوز أن يكون موضعها خفضاً على اللفظ، ويجوز أن يكون موضعها نصباً بمعنى: لأنه على كل شيء شهيد.

﴿أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِن لِقَاءِ رَبِّهِم..﴾ [٥٤]

أي هم في شك من لقاء ما وُعدوا به من العقاب، و﴿ألا﴾ كلمة تنبيه يوكّد بها صحة ما بعدها ألا ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ أي قد أحاط به علماً مما يشاهد ويغيب. والتقدير: محيط بكلّ شيء جلّ وعزّ.

٤٢ ـ سورة الشورى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ

شرح إعراب سورة [الشورى] حم عسق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عسق﴾ [٢]

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣]

الكاف من ﴿كذلك﴾ في موضع نصب نعت لمصدر، واسم الله عزّ وجلّ مرفوع بيوحي. وأصحّ ما قيل في المعنى أنّه كوحينا إليك وإلى الذين من قبلك يوحى إليك، وأبو عبيدة [مجاز القرآن: ١/ ٢٨] يجيز أن يجعل ذلك بمعنى هذا، ومن قرأ ﴿يُوحَى إليك﴾ جعل الكاف في موضع رفع بالابتداء، والجملة الخبر، واسم ما لم يُسمّ فاعله مضمر في يوحَى، واسم الله عزّ وجلّ مرفوع بالابتداء أو بإضمار فعل أي يوحِيهِ إليك الله جلّ وعزّ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٩٣]. ومن قرأ ﴿نُوحِي﴾ بالنون رفع اسم الله جلّ وعزّ بالابتداء و﴿العزيز الحكيم﴾ خبره، ويجوز أن يكون العزيز الحكيم نعتاً والخبر.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [٤]

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ..﴾ [٥]

أصحّ ما قيل فيه أن المعنى: من أعلاهن، وقيل: من فوق الأرضين. وسمعت علي بن سليمان يقول: الضمير للكفار أي يتفطرن من فوق الكفّار لكفرهن. قال أبو جعفر: ولا نعلم أحداً من النحويين أجاز في بني آدم ﴿رأيتهنّ﴾ إلاّ أن يكون للمؤنث خاصة، فهذا يدلّ على فساد هذا القول، وأيضاً فلم يتقدّم للكفار ذكر يكنى عنهم. ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ
ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ
فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ
لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ يراد به خاص، ولفظه عام أي للمؤمنين، ودلّ عليه ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ..﴾ [٦]

رفع بالابتداء ﴿اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ مبتدأ وخبره في موضع خبر ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿..لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا..﴾ [٧]

﴿مَنْ﴾ في موضع نصب والمعنى لتنذر أهل أم القرى ومَنْ حولها ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ﴾ أي يوم يُجمع فيه الناس ﴿لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ﴾ على الابتداء. وأجاز الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٢] نصب فريق بمعنى وتنذر فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير يوم الجمع.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً..﴾ [٨]

أي مؤمنين قيل: المعنى لو شاء الله لألجأهم إلى الإيمان فلم يكن لهم ثواب فيه فامتحنهم بأن رفع عنهم الإلجاء ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿والظَّالِمُونَ﴾ مرفوعون بالابتداء [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٩٥]، وفي موضع آخر ﴿وَالظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١] والفرق بينهما أن ذاك بعده أعد وليس بعد هذا فعل أي لما أضمر لذاك فعل وواعد الظالمين.

﴿فَاللهُ هُوَ الوَلِيُّ..﴾ [٩]

تكون ﴿هو﴾ زائدة لا موضع لها من الإعراب، ويجوز أن تكون اسماً مرفوعاً بالابتداء و﴿الوليّ﴾ خبرها.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ..﴾ [١٠]

أي مردود إلى الله إما بنصّ وإما بدليل.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ [١١]

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

يكون مرفوعاً بإضمار مبتدأ ويكون نعتاً. قال الكسائي: ويجوز ﴿فَاطِرَ السمواتِ والأرضِ﴾ بالنصب على النداء، وقال غيره: على المدح. ويجوز الخفض على البدل من الهاء التي في عليه.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ قال شعبة عن منصور: ﴿يذرؤكم﴾ يخلقكم، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٩٥]: يذرؤكم: يكثركم، وجعل ﴿فيه﴾ بمعنى به أي يكثركم بأن جعلكم أزواجاً، وقال علي بن سليمان: ﴿يذرؤكم﴾ يُنبِّئُكُمْ من حال إلى حال أي ينبتكم في الجعل. قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب الذي رواه شعبة عن منصور؛ لأن أهل اللغة المتقدمين منهم أبو زيد وغيره رووا عن العرب: ذَرَأَ الله عزّ وجلّ الخلق يَذْرَؤُهُمْ أي خلقهم، وقول أبي إسحاق وأبي الحسن على المجاز، والحقيقة أولى ولاسيّما مع جلالة من قال به، وإنه معروف في اللغة. ويكون فيه على بابها أولى من أن تُجعل بمعنى به، وإن كان يقال: فلان بمكة، فيكون المعنى: فالله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً يخلقكم في الأزواج، وذكر على معنى الجمع. ويكون التقدير: وجعل لكم من الأنعام أزواجاً أي ذكراناً وإناثاً. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي لا يقدر أحد على هذا غيره، والكاف في ﴿كمثله﴾ زائدة للتوكيد لا موضع لها من الإعراب لأنها حرف، ولكن موضع ﴿كمثله﴾ موضع نصب. والتقدير: لَيْسَ مِثْلَهُ شيءٌ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ..﴾ [١٢]

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿له مقاليد﴾ يقول: مفاتيح. ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ خبر ﴿إنّ﴾ والتقدير: إنه عليم بكل شيء.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً..﴾ [١٣]

﴿ما﴾ في موضع نصب بشرع ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ عطف عليها ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾ في موضع نصب أيضاً أي وشرع لكم ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ﴿أنْ﴾ في موضع نصب على البدل من ﴿ما﴾ أي شرع لكم أن أقيموا الدين، ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ أي هو وأن أقيموا الدين، ويجوز أن يكون في موضع خفض على البدل من الهاء أي شرع لكم أن تقيموا لله الدين الذي ارتضاه ولا تتفرّقوا فتؤمنوا ببعض الرسل وتكفروا ببعض، فهذا الذي شرع لكم لجميع الأنبياء صلوات الله عليهم أن يقيموا الدين الذي ارتضاه، وهو الإسلام وأمة محمد ﷺ مُقتدون بهم. وفي الحديث عن النبي ﷺ

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

«اقتدوا بالذين من بَعدي أبي بكر وعمر» [ت: ٣٨٠٥] أي اعملوا كما يعملان من إتباع أمر الله جلّ وعزّ وترك خلاف ما أمِرُوا به، وليس معناه في كل مسألة.

﴿أن أقيموا الدين﴾ جاز أن يكون أقيموا وهو أمرٌ داخلاً في الصلة لأن معناه كمعنى الفعل المضارع، معناه أن تقيموا الدين فلا تفرّقوا فيه.

ومذهب جماعة من أهل التفسير أن نوحاً ﷺ أول من جاء بالشريعة من تحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمّات، وهذا القول داخل في معنى الأول. ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي من إقامة الدين لله جلّ وعزّ وحده ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي من يشاء أن يجتبيه ثم حذف هذا ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ حذفت الضمّة من يهدي لثقلها. وأناب رجع أي تاب.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا إلاَّ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ..﴾ [١٤]

أي من بعد ما جاءهم القرآن. ﴿بَغْيًا﴾ مفعول من أجله، وهو في الحقيقة مصدر.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ..﴾ [١٥]

الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٢] يذهب إلى أن معنى اللام معنى ﴿إلى﴾ وإلى أن معنى ﴿ذلك﴾ هذا أي فإلى هذا فادع أي إلى أن تقيموا الدين ولا تفرقوا فيه.

قال أبو جعفر: واللام بمعنى إلى مثل قوله جلّ وعزّ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] قال العجاج: [ديوانه: ٢٦٦]

وَحَى لَهَا القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ

قال أبو جعفر: وهو مجاز، وقد خُولِفَ الفرّاء فيه، وقيل: اللام على بابها. والمعنى: للذي أوحي إليك من إقامة الدين وترك التفرق فيه، من أجل ذلك فادع، فأما أن يكون ذلك بمعنى هذا فلا يجوز عند النحويين الحذّاق. قال محمد بن يزيد: هذا لمن كان بالحضرة وذلك لمن تراخى ففي دخول أحدهما على الآخر بطلان البيان، وذلك على بابه أي فإلى ذلك الذي تقدم فادعُ.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ جمع هوى مبني على فعل إلاّ أنه اعتل؛ لأن الياء قُلِبت ألفاً لتحركها وتحرّك ما قبلها فجمع على أصله كما يقال: جَمَلٌ وأجمالٌ.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾

﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم﴾ نصب على التبرئة وقد ذكرنا العلة فيه. وأجاز سيبويه الرفع فجعل ﴿لا﴾ بمعنى ليس. المعنى أنه قد تبين الحق وأنتم معاندون وإنما تثبت الحجة على من لم يكن هكذا.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [١٦]

﴿الذين﴾ في موضع رفع بالابتداء و ﴿حجتهم﴾ ابتداء ثانٍ، ﴿داحضة﴾ خبر حجتهم والجملة خبر ﴿الذين﴾، ويجوز أن تكون حجتهم بدلاً من الذين على بدل الاشتمال وفي المعنى قولان: أحدهما أن المعنى: والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب للنبي ﷺ، فتكون الهاء مكنيّة للنبي ﷺ أي من بعد ما دعا على أهل بدر فاستجيب له، ودعا على أهل مكة ومصر بالقحط فاستجيب له، ودعا للمستضعفين أن ينجيهم الله عزّ وجلّ من قريش فاستجيب له في أشياء غير هذه، والقول الآخر قول مجاهد، قال: الذين يحاجون في الله من بعد ما استُجيبَ له قومٌ من الكفار يُجادلون المؤمنين في الله جلّ وعزّ أي في وحدانيته من بعدما استجاب له المؤمنون فيجادلون، وهم مقيمون على الكفر ينتظرون أن تجيء جاهليته. وهذا القول أولى من الذي قبله بالصواب، وأشبه بنسق الآية لأنه لم يتقدم للنبي ﷺ ذكرٌ فيكنى عنه ولا لِدُعائهِ.

﴿اللهُ الَّذِي أَنزَلَ الكِتَابَ..﴾ [١٧]

اسم الله جلّ وعزّ مرفوع بالابتداء و ﴿الذي﴾ خبره وليس بنعت لأن الخبر لا بدّ منه والنعت يُستغنى عنه ﴿أَنزَلَ الكِتَابَ بالحقّ﴾ أي ذكر فيه ما يحق على الناس أن يعملوه ﴿والميزَانَ﴾ عطف على الكتاب أي وأنزل الميزان بالحق ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ تهديد لهم لأنهم حاجوا في الله عزّ وجلّ من بعد ما استجيب له. وقال: قريب والساعة مؤنثة على النسب، وقيل فرقاً بينه وبين القرابة، فأما أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٩٦/٤] فيقول: لأن التأنيث ليس بحقيقي. والمعنى: لعلّ البعث قريب، وذكر وجهاً آخر قال: يكون لعل مجيء الساعة قريب.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا..﴾ [١٨]

وذلك نحو قولهم: ﴿مَتَى هذا الوعدُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنهَا﴾ وهكذا وصف أهل الإيمان يخافون من التفريط لئلا يُعاقبُوا عليه. ﴿ألا إنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

أي لفي ضلال عن الحق، وإنما صار بعيداً لأنهم كفروا معاندةً ودفعاً للحق، ولو كان كفرهم جهلاً لم يكن بعيداً؛ لأنه كان يتبين لهم ويرون البراهين.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ..﴾ [٢٠]

شرط ومجازاة. قال أبو جعفر: قد ذكرنا في معناه أقوالاً، ونذكر ما لم نذكره. وهو أن يكون المعنى: من كان يريد بجهاده الآخرة وثوابها نُعطه ذلك ونزده، ومن كان يريد بغزوه الغنيمة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٣٩٧]، وهو حرث الدنيا على التمثيل، نؤته منها؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يمنع المنافقين من الغنيمة. وهذا قول بيّنٌ إلاّ أنه مخصوص، وقول عام قاله طاوس قال: من كان همّه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ولم ينل من الدنيا إلاّ ما كُتِبَ له، ومن كان يريدُ الآخرة جعل الله جلّ وعزّ غناه بين عينيه ونوّر قلبه، وآتاه من الدنيا ما كُتِبَ له.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا..﴾ [٢٢]

﴿الظالمين﴾ نصب بترى و**﴿مشفقين﴾** نصب على الحال، والتقدير: من عقاب ما كسبوا. قال جلّ وعزّ **﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾** أي العقاب **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ﴾** قال مجاهد: الروضة المكان المُرِبُّ الحَسَن. وحكى بعض أهل اللغة أنها لا تكون إلاّ في موضع مرتفع، كان أحسن لها وأشدّ، وإذا كانت خشنة ولم تكن رخوة كان ثمرها أحسن وألذ، كما قال جلّ وعزّ: **﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾** [البقرة: ٢٦٥] أي مرتفعة. قال الشاعر:

ما روضةٌ مِن رياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ

[القرطبي في «تفسيره»: ١٤/١٠]

فوصف أنها من رياض الحزن، والحزن: ما غلظ من الأرض، ويقال: الحزم بالميم، لما ذكرناه. **﴿ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ﴾** أي ذلك الذي تقدم ذكره للذين آمنوا. و**﴿ذلك﴾** في موضع رفع بالابتداء و**﴿هو﴾** ابتداء ثان، ويجوز أن يكون زائداً بمعنى التوكيد **﴿الفضل﴾** الخبر و**﴿الكبير﴾** من نعته.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ..﴾ [٢٣]

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾

مبتدأ وخبره، وقراءة الكوفيين ﴿يَبْشُرُ﴾ وقد ذكرنا نظيره غير أن أبا عمرو بن العلاء قرأ هذا وحده ﴿يَبْشُرُ﴾ وقرأ غيره ﴿يُبَشِّرُ﴾ وأنكر هذا عليه قوم، وقالوا: ليس بين هذا وبين غيره فرق، والحجة له، ذلك أنه لم يقرأ بشيء شاذ ولا بعيد في العربية ولكن لما كانتا لغتين فصيحتين لم يقتصر على أحدهما فيتوهم السامع أنه لا يجوز غيرها فجاء بهما جميعاً، وهكذا يفعل الحذاق. وفي القرآن نظيره مما قد اجتمع عليه، وهو قوله جلّ وعزّ: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] من أملَّ يمِلُّ وفي موضع آخر ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] من أملى يُملي.

﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾. قال أبو جعفر: قد ذكرنا معناه مستقصى. فأما الإعراب فهذا موضع ذكره ﴿المَوَدَّةَ﴾ في موضع نصب لأنه استثناء ليس من الأول، وسيبويه [الكتاب: ١/٣٦٩، ٣٧٧] يمثله بمعنى ﴿لكنْ﴾، وكذا قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٣٩٨/٤]، قال: ﴿أجراً﴾ تمام الكلام كما قال جلّ وعزّ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] ولو لم يكن استثناء ليس من الأول كانت المودة بدلاً من أجر ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ شرط يقال: اقترف وقرف إذا كسب، وجواب الشرط ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾.

﴿أمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً فَإنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ..﴾ [٢٤]

اختلف العلماء في تفسير هذا فقال أبو إسحاق: معنى ﴿يختم على قلبك﴾ يربط على قلبك بالصبر على أذاهم. قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله لا يُشبِهُ ظاهر الآية. وقال غيره: فإن يشأ الله يختم على قلبك لو افترت، واختلفوا في معنى ﴿يختم﴾ فقال بعضهم: أي يمنعك من التمييز. وقال بعضهم: معنى: ﴿ختم الله على قلبه﴾ جعل عليه علامة من سواد أو غيره تعرف الملائكة بها أنه مُعاقب، كما قال جلّ وعزّ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤] قال أبو جعفر: وفي التفسير أنه إذا عمل العبد خطيئةً رِينَ على قلبه فغُطِي منه شيء فإن زادَ زيدَ في الرَّين حتى يسودَّ قلبه فلا ينتفع بموعظة.

﴿وَيَمْحُ اللهُ البَاطِلَ﴾ منقطع من الأول في موضع رفع، ويجب أن يكتب بالواو إلا أنه وقع في السواد بغير واو، كُتِبَ على اللفظ في الأدراج وإنما حذفت الواو في الأدراج لسكونها وسكون اللام بعدها، فإذا وقفت زالت العلة في حذفها فعلى هذا لا ينبغي الوقوف عليه لأنه إن أثبت الواو خالف السواد وإن حذفها لحن ونظيره ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١]، وكذا ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]. فأما معنى و﴿يَمْحُ اللهُ البَاطِلَ﴾ ففيه احتجاج عليهم لنبوة محمد ﷺ لأن معناه أن الله جلّ وعزّ يزيل الباطل ولا يثبته، فلو كان ما جاء به محمد ﷺ باطلاً لمحاه الله جلّ وعزّ وأنزل

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

كتاباً على غيره، وهكذا جرت العادة في جميع المفترين أن الله سبحانه يمحو باطلهم بالحق والبراهين والحجج ﴿وَيُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي يبيّن الحق.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ [٢٦]

يجوز أن يكون ﴿الذين﴾ في موضع رفع بفعلهم أي ويُجيبُ الذين آمنوا ربّهم فيما دعاهم إليه، ويجوز أن يكون الذين في موضع نصب [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٤] أي ويستجيبُ اللهُ الذينَ آمنوا، وحذفُ اللام من هذا جائز كثير، ومثله ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣] أي كالوا لهم. قال أبو جعفر: هذا أشبهُ بنسق الكلام لأن الفعل الذي قبله والذي بعده لله جلّ وعزّ، وثَمّ حديث عن معاذ بن جبل يدلّ على هذا قال: إنكم تدعون لهؤلاء الصُّناع: غفر الله لك رحمك وبارك عليك، واللهُ جلّ وعزّ يقول: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾. يكون على هذا ﴿ويزيدهم﴾ على ما دعوا، وتمّ الكلام. ﴿والكافرون﴾ مبتدأ والجملة خبره.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ..﴾ [٢٧]

وأجاز الخليل رحمه الله في السين إذا كانت بعدها طاء أن تُقلب صاداً لقربها منها.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [٢٩]

وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٤]: أن قوله جلّ وعزّ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أنه أراد جلّ وعزّ وما بثّ في الأرض دون السماء وأن مثله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢] وإنما يخرجان من الملح، وزعم أن هكذا جاء في التفسير.

قال أبو جعفر: والذي قاله لا يُعرف في تفسير ولا لغة ولا معقول أي يُخبِر عن اثنين بخبر واحد، وهذا بطلان البيان والتجاوز إلى ما يحظره الدين، والعرب تقول لكل ما تحرّكَ من شيء: دَبّ فهو دابٌّ ثم تُدخلُ الهاء للمبالغة فتقول: دابّة. قال أبو جعفر: وسمعتُ علي بن سليمان يقول في دابّة لتأنيث الصيغة.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [٣٠]

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٣١ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝٣٢ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ۝٣٤ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٣٥﴾

هذه قراءة الكوفيين والبصريين، وكذا في مصاحفهم، وقرأ المدنيون ﴿بما﴾ بغير فاء، وكذا في مصاحفهم فالقراءة بالفاء بيّنةٌ لأنه شرط وجوابه. والقراءة بغير فاء فيها للنحويين ثلاثة أقوال: أحدها أن يكون ﴿ما﴾ بمعنى ﴿الذي﴾ فلا تحتاج إلى جواب بالفاء، وهذا مذهب أبي إسحاق. والقول الثاني أن يكون ما للشرط وتكون الفاء محذوفة كما قال:

مَن يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللّهُ يَشْكُرُها ... والشَّرُّ بالشَّرِّ عِنْدَ اللّهِ مِثْلانِ

[القرطبي في تفسيره: ٢/٢٥٨]

وهذا قول أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وزعم أن هذا يدلّ على أن حذف الفاء في الشرط جائز حسن لجلال من قرأ به. والقول الثالث أن ﴿ما﴾ ههنا للشرط إلاّ أنه جاز حذف الفاء لأنها لا تعمل في اللفظ شيئاً وإنما وقعت على الماضي، وهذا أولى الأقوال بالصواب. فأما أن يكون ﴿ما﴾ بمعنى الذي فبعيد لأنه يقع مخصوصاً للماضي، وأما أن يُشبّه هذا بالبيت الذي ذكرناه فبعيد أيضاً لأن حذف الفاء مع الفعل المستقبل لا يجوز عند سيبويه إلاّ في ضرورة الشعر، ولا يُحمَلُ كتاب الله عزّ وجلّ إلاّ على الأغلب الأشهر.

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ..﴾ [٣١]

قال محمد بن يزيد: أي بسابقين، يقال: أعجز إذا عدا فَسَبَق.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِي فِي البَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾ [٣٢]

﴿الجَوَارِي﴾ جمع جارية، والجواري في موضع رفع حُذِفت الضمة من يائها لثقلها.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ..﴾ [٣٣]

شرط ومجازاة ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ عطف.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ [٣٤]

وكذا ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ وكذا ﴿وَيَعْفُ﴾.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [٣٥]

وكذا عند سيبويه ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ هذا الاختيار عنده لأنه كلام معطوف بعضه على بعض، ومثله ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وكذا قول النابغة:

﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

فإن يَهْلِكْ أبو قابوسَ يَهْلِكْ ... رَبيعُ النَّاسِ والبَلَدُ الحَرَامُ

ونُمسِكْ بعدَهُ بِذِنَابِ عَيشٍ ... أجبِّ الظَّهرِ لَيسَ لهُ سَنَامُ

[معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٤]

فجزم ﴿ونمسكْ﴾ على العطف. ويجوز رفعه ونصبه إلاّ أن الرفع عند سيبويه أجود، وهي قراءة المدنيين ﴿وَيَعْلَمُ الذينَ﴾ على أنه مقطوع مما قبله مرفوع، والنصب عنده بعيد، وهي قراءة الكوفيين، والصحيحة من قراءة أبي عمرو، وشَبَّهَهُ سيبويه في البعد بقول الشاعر:

سأتركُ منزلي لِبَني تَميمٍ ... وألحقُ بالحِجازِ فأستريحا

إلاّ أن النصب في الآية أمثل لأنه شرط وهو غير واجب، وأنشد:

ومَن يَغترِب عن قَومِهِ لا يزلْ يَرى ... مَصارِعَ أقوامٍ مَجرّاً ومَسْحَبا

وتُدفَنَ مِنهُ الصالحاتُ وإن يُسِيءْ ... يَكُنْ ما أساءَ النارَ في رأسِ كَبكَبا

فنَصَبَ ﴿وتدفَنَ﴾ ولو رفع لكان أحسن. واختار أبو عبيد النصب وشَبَّهَهُ بقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وهما لا يتجانسان ولا يشتبهان لأن ﴿وَيَعْلَمَ﴾ جواب لما فيه النفي فالأولى به النصب، وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ ليس بجواب فيجب نصبه، وموضع الذين في قوله ﴿ويعلم الناس﴾ موضع رفع بعلم.

﴿وَمَا عِندَ اللهِ..﴾ [٣٦]

مبتدأ و﴿خَيْرٌ﴾ خبره ﴿وَأَبْقَى﴾ معطوف على خير ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ خفض باللام.

﴿والَّذِينَ..﴾ [٣٧]

في موضع خفض معطوف على ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثم﴾ هذه قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿كَبِيرَ الإثم﴾ والقراءة الأولى أبين لأنه إذا قرأ ﴿كبير﴾ توهم أنه واحد أكبرها، وليس المعنى على ذلك عند أحد من أهل التفسير إلاّ شيئاً قاله الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٥] فعكس فيه قول أهل التفسير، قال: ﴿كبير الإثم﴾ الشرك قال: وكبائر يراد بها كبير، وهذا معكوس إنما يقال: كبير يراد به كبائر، يكون واحداً يدلّ على جمع، وزعم أنه يُسْتَحَبُّ لمن قرأ ﴿كبائر الإثم﴾ أن يقرأ ﴿والفواحِشِ﴾ فيخفض، والقراءة بهذا مخالفة بحجّة الإجماع، وأعجب من هذا أنه زعم أنه يستحبّ القراءة به ثم قال: ولم أسمع أحداً قرأ به.

....

والأحاديث عن النبي ﷺ في الكبائر معروفة كثيرة وعن الصحابة وعن التابعين. ونحن نذكر من ذلك ما فيه كفاية لتبيين هذا. ونبيّن معنى الكبائر والاختلاف فيه إذا كان مما لا يسع أحداً جهله، ونبدأ بما صحّ فيها عن الرسول ﷺ مما لا مَطعنَ في إسناده وتوليه من قول الصحابة والتابعين وأهل النظر بما فيه كفاية إن شاء الله، فمن ذلك ما حدّثناهُ محمد بن إدريس ابن أسود عن إبراهيم بن مرزوق قال: حدّثنا وهب بن جرير قال: حدّثنا شعبة عن عُبيدالله بن أبي بكر بن أنس عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«أكبر الكبائر الإشراك باللهِ جلّ وعزّ، وعقوق الوالدين المسلمين، وقتل النفس، وشهادة الزور أو قول الزور»** [ت: ٣٠١٩، حم: ٣/٤٩٥].

وقرىء على أحمد بن شعيب عن عبدة بن عبدالرحيم قال أخبرنا ابن شُميل قال: حدّثنا شعبة قال: حدّثنا فراس قال: سمعت الشعبي يحدّث عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: **«الكبائر الإشراك بالله جلّ وعزّ، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»** [خ: ٦٦٧٥، ٦٩٢٠، ت: ٣٠٢١، ن: ٤٨٨٣، حم: ٢/٢٠١] قال أحمد: وأخبرنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا بقيّةُ حدّثني بحير بن سعد عن خالد بن معد أن أبا رُهم السماعي حدّثه عن أبي أيوب وهو خالد ابن زيد الأنصاري بدري عقبي عن رسول الله ﷺ قال: **«من جاء لا يُشرِك بالله شيئاً ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، واجتنب الكبائر فإنه في الجنة»** [د: ٤٩١٦، جه: ٢٦١٨] فسئل رسول الله ﷺ عن الكبائر قال: فقال: **«الإشراك بالله جلّ وعزّ، وقتل النفس المسلمة، والفرار يوم الزحف»** [الطبراني في «المعجم الكبير»: ١٧/٤٨].

قال أحمد: أخبرنا عمرو بن علي قال: حدّثنا يحيى، قال: حدّثنا سفيان عن الأعمش ومنصور عن أبي وائل عن أبي ميسرة عن عبدالله قال: قلت: يا رسول الله أي الذنوب أعظم؟ قال: **«أن تجعل لله جلّ وعزّ نداً وهو خلقك»**، قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك»**، قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تزني بحليلة جارك»** [خ: ٤٢٠٧، ٤٤٨٣، م: ٢٥٣، د: ٢٣١٠، ت: ٣١٨٢، ن: ٤٠٢٤، حم: ١/٣٨٠].

قال أبو جعفر: فهذه أسانيد مستقيمة وفي حديث أبي أمامة زيادة على ما فيها من الكبائر فيه: أكل مال اليتيم وقذف المحصنة والغلول والسحر وأكل الربا فهذا جميع مانعلمه روي عن النبي ﷺ في الكبائر مفصلا مبيناً، فأما الحديث المجمل فالذي رواه أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي ﷺ أنها سبع فليس بناقض لهذا لأن قذف المحصنة واليمين الغموس والسحر داخلان في قول الزور وحديث ابن مسعود الذي فيه: «أن تقتل ولَدَك خشية أن يأكل معك» داخل في قتل النفس المحرّمة ولم يَقل رسول الله ﷺ: لا تكون الكبائر إلاّ هذه، فيجب التسليم.

وقد روى مسروق عن عبدالله بن مسعود أنه قال: الكبائر من أول سورة النساء إلى رأس

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

ثلاثين آية ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] فأولى ما قيل في الكبائر وأجمعه ما حدّثناه علي بن الحسين قال: قال الحسين بن محمد الزعفراني قال: حدّثنا أبو قطن عن يزيد بن إبراهيم عن محمد بن سيرين قال: سئل ابن عباس عن الكبائر فقال: كل مانهى الله جلّ وعزّ عنه، فهو من الكبائر حتى ذكر الطرفة، وحدثنا بكر بن سهل قال: حدّثنا عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الكبائر كل ما ختمه الله جلّ وعزّ بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

قال أبو جعفر: فهذا قول حسن بيّن لأنّ الله جلّ وعزّ قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ فعقل بهذا أن الصغائر لا يعذّب عليها من اجتنب الكبائر: فإذا أعلم الله جلّ وعزّ أنه يدخل على ذنب النار علم أنه كبيرة، وكذا إذا أمر أن يعذّب صاحبه في الدنيا بالحدّ، وكذا قال الضحّاك: كل موجبة أوجب الله تعالى لأهلها العذاب فهي كبيرة، وكل ما يقام عليه الحد فهو كبيرة. فهذا المعنى الذي بيّنا بعد ذكر الأحاديث المسندة فهو شرح أيضاً لقول الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وكل ما كان مثله.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ [٣٨]

في موضع خفض والمعنى: وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا والذين استجابوا لربهم وَأَقَامُوا ﴿الصَّلَاةَ﴾ أي أتمّوها بحدودها، بركوعها وسجودها وخشوعها. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ مبتدأ وخبره﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ..﴾ [٣٩]

في موضع خفض كالاول ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ وهذا مدح لهم، وُصِفُوا أنهم إذا بغى عليهم باغ أو ظلمهم ظالم لم يستسلموا له لأنهم لو استسلموا له لم يَنْهَوا عن المنكر وفعله ذلك بهم منكر، وفي حديث حذيفة عن النبي ﷺ: «لا يحلّ للمسلم أن يُذلّ نفسه». قيل: كيف يُذِلُّ نفسه؟ قال: «يتكلف من البلاء ما لا يطيقه» [ت: ٢٢٥٤، جه: ٤٠١٦].

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا..﴾ [٤٠]

مبتدأ وخبره. والسيّئة الأولى سيّئة على الحقيقة والثانية على المجاز سُمّيت سيّئة لأنها مجازاة على الأولى ليعلم أنه يقتصّ بمثل ما نيلَ منه ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي فلم يقتصّ فثوابه على الله جلّ وعزّ، كما روى الحسن ومحمد بن المُنْكَدِر وعطاء ومحمد يقول: إن

وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى الظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ الْخَٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ الظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾

رسول الله ﷺ قال: «ينادي منادٍ يوم القيامة: أين مَن له وعد على الله عز وجلّ؟ فَلْيَقُمْ، فيقوم من عفا». وقرأ عطاء ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾.

﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ..﴾ [٤١]

مبتدأ ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ أيضاً، والجملة خبر الأول.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ..﴾ [٤٢]

أي سبيل العقوبة.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [٤٣]

أي من أعاليها وأجلّها أن يعفو ويصفح ويتوقّى الشبهات وإن لم تكن محظورةً ورَعاً وطلباً لرضاء الله عزّ وجلّ فهذه معالي الأمور، وهي من عزم الأمور أي التي يعزم عليها الورعون المتّقون. قال أبو جعفر: وفيه اشكال من جهة العربية وهو أن ﴿لَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ مبتدأ ولا خبر له في اللفظ فالقول فيه: إن فيه حذفاً، والتقدير: ولَمَنْ صبَرَ وعفَا إن ذلك منه لمن عزم الأمور، ومثل هذا في كلام العرب كثير موجود، حكاه سيبويه وغيره: مررتُ بِبُرٍّ قَفيزٌ بدرهم أي قَفيزٌ منه، ويقال: السَّمن منوانِ بدرهم بمعنى منه.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ..﴾ [٤٤]

أي من يُضلّه عن الثواب فما له وليّ ولا ناصر يسأله الثواب ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ﴾ في موضع نصب على الحال ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة للتوكيد.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ..﴾ [٤٥]

على الحال وكذا ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ قال محمد بن كعب: يسارقون النظر إلى النار وَقَالَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هم الذين خُلِقُوا للنّار وخُلِقَتِ النار لهم، خَلَّفوا أموالهم وأهاليهم في الدنيا وحُرِمُوا الجنة وصاروا إلى النار، فخسروا الدنيا والآخرة.

وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ
سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ
لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ
عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ
بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ..﴾ [٤٦]

﴿من أولياء﴾ في موضع رفع اسم كان.

﴿.. مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ..﴾ [٤٧]

أي من مخلص ولا تنكرون ما وقفتم عليه من أعمالكم.

﴿.. وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [٤٨]

ثم قال بعد ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ فجاء الضمير لجماعة لأن الإنسان اسم للجنس بمعنى الجميع، كما قال جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٢، ٣] فوقع الاستثناء لأن الإنسان بمعنى جمع.

﴿.. يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ..﴾ [٤٩]

أي من الأولاد.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً..﴾ [٥٠]

أي يجمع لهم هذا، كما قال محمد بن الحنفية: يعني به التوأم. وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤٠٢/٤]: يزوجهم يقرنُ لهم، وكلُّ قرينين زوجان. ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾ أي لا يولد له، وعقيم بمعنى معقوم، وقد عُقِمت المرأة إذا لم تحمل فهي امرأةٌ عقيمٌ ومعقومةٌ.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً..﴾ [٥١]

﴿أن﴾ في موضع رفع اسم كان و﴿وحياً﴾ يكون مصدراً في موضع الحال، كما تقول: جاء فلان مشياً، ويجوز أن يكون منصوباً على أنه مصدر ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ هذه قراءة أكثر الناس، وقرأ نافع ﴿أو يُرسِلُ رسولاً﴾ بالرفع ﴿فَيُوحِيْ﴾ بإسكان

....

الياء، ولا نعلمه يُروى إلاّ عن نافع إلاّ أنه قال: لم أقرأ حرفاً يجتمع عليه رجلان من الأئمة فلهذا قال عبد الله بن وهب: قراءة نافع سُنّة.

قال أبو جعفر: فأما القول في نصب ﴿يُرسِلَ﴾ و﴿يوحي﴾ ورفعهما فقد جاء به سيبويه عن الخليل بما فيه كفاية لمن تدبّرهُ ونُمليه نصّاً كما قال ليكون أشفى. قال سيبويه [الكتاب: ١/٤٢٨]: سألت الخليل عن قول الله جلّ وعزّ ﴿أو يرسلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ فزعم أن النصب محمول على ﴿أنْ﴾ سوى هذه ولو كانت هذه الكلمة على ﴿أنْ﴾ هذه لم يكن للكلام وجه، ولكنه لما قال: ﴿إلاّ وحياً﴾ كان في معنى إلاّ أن يُوحِيَ وكان ﴿أو يُرسِلَ﴾ فعلاً لا يجري على ﴿إلا﴾ فأجري على ﴿أنْ﴾ هذه كأنه قال: إلاّ أن يُوحِيَ أو يُرسِلَ؛ لأنه لو قال: إلاّ وحياً وإلاّ أن يُرسِلَ كان حسناً، وكان أن يرسل بمنزلة الإرسال فحملوه على ﴿أنْ﴾ إذ لم يجز أن يقولوا: أو إلاّ يرسل فكأنه قال: إلاّ وحياً أو أن يرسل. وقال الحصين بن حمام المرّي:

ولولا رجالٌ مِنْ رِزام أعزّةٌ وآلُ سُبَيْعٍ أو أَسُوءَكَ علقما

[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٠٣، الكتاب لسيبويه: ١/٤٢٩]

يضمر ﴿أن﴾ وذلك لأنه امتنع أن يجعل الفعل على لولا فأضمر ﴿أن﴾ كأنه قال: لولا ذاك أو لولا أنْ أسوءكَ. وبلغنا أن أهل المدينة يرفعون هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْمِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أو يرسلُ رَسُولا فَيُوحِيْ بِإِذْنِهِ﴾ فكأنه ـ والله أعلم ـ قال: الله لا يكلّم البشر إلاّ وحياً أو يُرسِلُ رَسُولاً أي في هذه الحال. وهذا كلامه إيّاهم، كما تقول العرب: تَحِيّتُكَ الضربُ، وعِتَابُكَ السيفُ، وكَلامكَ القتلُ، قال عمرو بن معدي كرب: [ديوانه: ١/٤٢٩]

وخَيلٍ قد دلفتُ لها بِخَيلٍ تَحيّةُ بَينِهِم ضَرْبٌ وجيعُ

[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٠٣]

وسألت الخليل رحمه الله عن قول الأعشى:

إنْ تَركَبوا فَرُكُوبُ الخَيلِ عادتُنا أو تَنزِلُونَ فإنا مَعشَرٌ نُزُلُ

فقال: الكلام ههنا على قولك يكون كذا أو يكون كذا ما كان موضعها لو قال فيه: أتركبون؟، لم ينتقض المعنى صار بمنزلة ﴿ولا سابق شيئاً﴾. وأما يونس فقال: أرفعه على الابتداء كأنه قال: أو أنتم نازلون، وعلى هذا الوجه فسّر الرفع في الآية كأنه قال: أو هو يُرسِلُ رسولاً، كما قال طرفة [ديوانه: ٣٦]:

أو أنا مُفتَدي

وقول يونس أسهل.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيكَ رُوحاً مِن أمرِنا..﴾ [٥٢]

الكاف في موضع نصب أي أوحينا إليك وحياً كذلك الذي قصصنا عليك ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الإيمَانُ﴾ ﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء و ﴿الكتاب﴾ خبره والجملة في موضع نصب بـ ﴿تدري﴾. ويجوز في الكلام أن تنصب الكتاب وتجعل ﴿ما﴾ زائدة كما رُوي: هذا «بابُ علم ما الكلمَ من العربية» [الكتاب لسيبويه: ١/٢] فنصب «الكَلِمَ».

﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً﴾ ولم يقل: جعلناهما فيكون الضمير للكتاب أو للتنزيل أو الإيمان، وأولاهما أن يكون للكتاب ويعطف الإيمان عليه ويكون بغير حذف. ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال الضحاك: الصراط: الطريق والهدى. ويقرأ ﴿وإنك لَتُهدَى﴾ وفي حرف أُبَيّ ﴿وإنك لَتَدعُوهُمْ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿صِرَاطِ اللهِ..﴾ [٥٣]

على البدل، قال أبو إسحاق: ويجوز الرفع والنصب ﴿ألا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأمُورُ﴾ وهي أبداً إليه تعالى. قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/٦٨٧]: يتولى الله الأمور يوم القيامة دون خلقه، وقد كان بعضها إلى خلقه في الدنيا من الفقهاء والسلاطين وغيرهم.

٤٣ ـ سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ
لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾

شرح إعراب سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالكِتَابِ المُبِينِ﴾ [٢]

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ..﴾ [٣]

﴿الكتاب﴾ مخفوض بواو القسم، وهي بدل من الباء لقربها منها ولشبهها بها ﴿المُبِينِ﴾ نعت. وجواب القسم ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ الهاء التي في جعلناه مفعول أول وقرآناً مفعول ثان فهذه جعلنا التي تتعدى إلى مفعولين بمعنى صيّرنا وليست جعلنا التي بمعنى خلقنا؛ لأن تلك لا تتعدى إلاّ إلى مفعول واحد، نحو قوله جلّ وعزّ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وفرّقت العرب بينهما بما ذكرنا. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي تعقلون أمر الله جلّ وعزّ ونهيهُ إذ أنزل القرآن بلسانكم.

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ..﴾ [٤]

أي القرآن في اللوح المحفوظ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٠٥] ﴿لَعَلِيٌّ﴾ أي عالٍ رفيع. وقيل: عليّ أي قاهر مُعجِزٌ لا يُؤتى بمثله ﴿حَكِيمٌ﴾ محكم في أحكامه ووصفه.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً..﴾ [٥]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٨] يقال: أضربتُ عنكَ وضربْتُ عنكَ أي أعرضت عنك وتركتك. وفي نصب صفح أقوال منها أن يكون معنى ﴿أفنضربُ﴾ أفنصفحُ، كما يقال: هو يَدَعُهُ تركاً؛ لأن معنى يَدعُهُ يتركُهُ، ويجوز أن يكون صفحاً بمعنى صافحين، كما تقول: جاء زيدٌ مشياً أي ماشياً، ويجوز أن يكون صفحاً بمعنى ذَوِي صفحٍ، كما يقال: رجل عَدْلٌ أي عادل وكذا رضىً. وهذا جواب حسن واختلف العلماء في معنى ﴿الذِّكر﴾ ههنا فروى جويبر عن الضحّاك

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾

﴿أفنضربُ عنكم الذكر﴾، قال: القرآن. وقال أبو صالح: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ﴾ فقال: أفنذر عنكم الذكر فنجعلكم سُدىً كما كنتم.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال، وإن كانت مختلفة الألفاظ فإن معانيها متقاربة فمن قال: الذكر: العذاب قدَّره بمعنى ذكر العذاب وذكر العذاب إذا أُنزل قرآن. ومن قال: معناه أفنذرُ عنكم الذكر فنجعلكم سُدىً قَدَّره: أفنترك أن ينزل عليكم الذكر الذي فيه الأمر والنهي فنجعلكم مهملين، قال أبو جعفر: وهذا قولٌ حسنٌ صحيح بيِّن أي أفنهملكم فلا نأمركم ولا ننهاكم ولا نعاقبكم على كفركم بعد أن ظهرت لكم البراهين لأن كنتم قوماً مسرفين ؟ وهذا على قراءة من فتح ﴿أنْ﴾ وهي قراءة الحسن وأبي عمرو وابن كثير وعاصم، وسائر القرّاء على كسر ﴿إن﴾ أي متى أسرفتم فَعَلْنا بكم هذا.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ. .﴾ [٦]

﴿كم﴾ في موضع نصب وهي عقيبة رُبّ في الخبر، فمن العرب من يحذف ﴿مِنْ﴾ وينصب، ومنهم من يخفض وإن حذف ﴿مِنْ﴾ كما قال:

كَمْ بِجُودٍ مقرفٍ نالَ العُلَى وكريمٍ بُخْلُهُ قد وَضَعَهُ

[القرطبي في «تفسيره»: ٣/ ٢٧]

وأفصحَ اللغات إذا فصلت أن تأتي بمن، وهي اللغة التي جاء بها القرآن، وكذا كلّ ما جاء به القرآن، وربما وقع الغلط من بعض أهل اللغة فيما يذكرون من فصيح الكلام ، فأمّا المحققون فلا يفعلون ذلك، فممّا ذكر بعضهم في الفصيح من الكلام من زعم أنه يقال: أضربتُ عنِ الشّيء بالألف، وزعم أنها اللغة الفصيحة. سمعت علي بن سليمان يقول: هذا غلط والفصيح : ضَربْتُ عن الشيء، لأن إجماع الحجة في قراءة القرّاء ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً﴾ بفتح النون، وذكر بعضهم أن الفصيح: عَظُم اللهُ أجرك وإجماع الحجة في قراءة القرّاء ﴿ويُعظِمْ له أجراً﴾ في حروف كثيرة.

﴿فأهلَكْنا أشدَّ مِنْهُم بَطْشاً. .﴾ [٨]

منصوب على البيان ﴿وَمَضَى مَثَلُ الأوَّلينَ﴾ قال قتادة: أي نحو عقوبة، يجوز أن تكون ﴿مَثَلُ﴾ ههنا بمعنى صفة أي صِفَتُهُم بأنهم أُهلكوا لمّا كَذَّبوا، ويجوز أن يكون ﴿مثل﴾ على بابه.

﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ مِهاداً. .﴾ [١٠]

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾

﴿الذي﴾ في موضع رفع على النعت للعزيز أو على إضمار مبتدأ لأنه أول آية.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخرَجُونَ﴾ [١١]

الكاف في موضع نصب أي تُخرَجُون خروجاً مثل ذلك. وبيّن معنى هذا عبد الله بن مسعود، وهو مما لا يؤخذ به إلاّ بالتوقيف، قال: يُرسلَ الله جلّ وعزّ ماءً مثل مَنِيّ الرجال وليس شيءٌ خُلِقَ من الأرض إلاّ وقد بقي منه شيءٌ فتنبتُ بذلك الجسمان واللحوم، تنبت من الثرى والمطر، ثم تلا عبد الله ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخرَجُونَ﴾.

﴿وَالَّذِي..﴾ [١٢]

في موضع رفع على العطف ﴿خَلَقَ الأزواجَ﴾ جمع زوج جُمِعَ على أفعال، وسبيل فَعْل من غير هذا الجنس أن يجمع على أفعُل فكرِهُوا أن يقولوا: أزوُجٌ؛ لأن الحركة في الواو ثقيلة فحُوِّل إلى جمع فَعَل؛ لأن عدد الحروف واحد فشبّهوا فَعْلا بِفَعَل كما شبّهوا فَعَلاً بِفَعْل فقالوا: زَمْنٌ وأزمُنٌ.

﴿كُلَّها﴾ توكيد ويسميه بعض النحويين صفة. وباب كلّها الجمع الكثير، والجمع القليل كلّهن. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ إن جعلت ﴿ما﴾ بمعنى الذي فالضمير محذوف لطول الموسم ولو ظهر الضمير لجاز مما تركبونه على لفظ ﴿ما﴾ ومما تركبونها على تأنيث الجماعة، وإن جعلت ﴿ما﴾ مصدراً لم تحتج إلى حذف.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ..﴾ [١٣]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٨]: ولم يقل ظهورها؛ لأنه بمعنى: كثُرَ الدرهم أي هو بمعنى الجنس. قال أبو جعفر: وأولى من هذا أن يكون يعود على لفظ ﴿ما﴾ لأن لفظها مذكر موحّد، وكذا ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ جاء على التذكير.

﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [١٤]

معطوف على ما قبله من القول.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزءاً..﴾ [١٥]

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

ذُكِرَ معناه في ثلاثة أقوال: روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿جزءاً﴾ قال: ولداً وبنات، وقال عطاء: يعني نصيباً شركاً. وقال زيد بن أسلم: إنها الأصنام، فهذان قولان. وذكر أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٧/٤] قولاً ثالثاً وهو أن جزءاً للبنات خاصة وأنشد بيتاً في ذلك أنشده زعم وهو:

إن أجزَأتْ حُرَّةٌ يوماً فلا عَجَبٌ ... قد تُجزِئُ الحُرَّةُ المِذكارُ أحيانا

أي تلد إناثاً. قال أبو جعفر: الذي عليه جماع الحجة من أهل التفسير واللغة أن الجزء النصيب، وهذا مذهب عطاء الذي ذكرناه ومجاهد والربيع بن أنس والضحّاك وهو معنى قول ابن عباس، وقال محمد بن يزيد: الجزء: النصيب. وقول زيد بن أسلم جماع الحجة على غيره أيضاً، والرواية تدل على خلافه ونسق الكلام؛ لأن بعده ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [١٩] وقيل: هذا أيضاً يلي ذاك.

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ..﴾ [١٦]

فهذا يدل على أن هذا ليس للأصنام.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا..﴾ [١٧]

اسم ظل وخبرها، ويجوز في الكلام ظلّ وَجهُهُ مُسودٌّ على أن يكون في ظلَّ ضمير مرفوع يعود على أحد، ووجهه مرفوع بالابتداء ومسودّ خبره، والمبتدأ وخبره خبر الأول، ومثله مما حكاه سيبويه [قوله ﷺ]: «كلّ مولود يُولَدُ على الفِطرةِ حتّى يكون أبواه هُما اللذانِ يُهوّدانِهِ أو ينصّرانِهِ» [د: ٤٧١٤، ت: ٢١٣٨، حم: ٢/٢٣٣، ٢٧٥].

وحكى سيبويه الرفع في اللذين والنصب.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ..﴾ [١٨]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٧/٤]: ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب والمعنى: أو جعلتم من يُنشَّأ؟ وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٢٩/٣]: ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع على الاستئناف، وأجاز النصب، قال: وإذن رددته على أول الكلام على قوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ واختلف القرّاء في قراءة هذا الحرف فقرأ ابن عباس والكوفيّون غير عاصم ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو وعاصم ﴿أَوَمَن يَنْشَأُ﴾، واحتج أبو عبيد للقراءة الأولى بقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥].

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)﴾

قال أبو جعفر: وهما قراءتان مشهورتان قد روتهما الجماعة، وليس فيما جاء به حجة لأنّا نعلم أنه لا يَنْشَأ حتى ولو لزم ما قال لما قيل: مات فلان لقوله جلّ وعزّ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨، الحج: ٦٦] فكان يجب أن يقال: أُمِيتَ وكذا حُيِيَ، والفرق على خلاف ما قال عند النحويين، وذلك أن معنى يُنَشَّأ لِمرّة بعد مرّة على التكثير.

﴿وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمَنِ إِناثاً..﴾ [١٩]

مفعولان أي وصفوا أنه هكذا، وحكموا أنه كذا [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٠٧]. واختُلِف في قراءة هذا أيضاً فقرأ عبد الله بن عباس والكوفيون وأبو عمرو ﴿عباد الرحمن﴾ وقرأ أهل الحرمين والحسن وأبو رجاء ﴿عِندَ الرحمنِ﴾ واحتجّ أبو عبيد لقراءة من قرأ ﴿عباد الرحمن﴾ بأن الإسناد فيها أعلى وأنها ردّ لقولهم: الملائكة بنات الله، فقال: ليسوا بنات هم عباد. قال أبو جعفر: وهما قراءتان مشهورتان معروفتان إلاّ أن أولاهما ﴿عِند﴾ من غير جهة والذي احتجّ به أبو عبيد لا يلزم لأنه احتج بأن الإسناد في القراءة بعباد أعلى. ولعمري إنّها صحيحة عن ابن عباس ولكن إذا تدبّرت ما في الحديث رأيت الحديث نفسه قد أوجب أن يقرأ ﴿عِندَ﴾ لأن سعيد بن جبير احتجّ على ابن عباس بالمصحف، فقال: في مصحفي ﴿عِندَ﴾، وهذه حجة قاطعة؛ لأن جماع الحجة من كتب المصاحف مما نقلته الجماعة على أنه ﴿عِندَ﴾، ولو كان ﴿عباد﴾ لوجب أن يُكتب بالألف كما كُتِبَ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. واحتجاجه بأنه رد لقولهم بنات لا يلزم لأن عباداً إنما هو نفي لمن قال: وَلَد، لأنه يقع للمذكر والمؤنث.

والأشبه بنسق الآية قراءة من قرأ ﴿عِندَ﴾؛ لأن المعنى فيه وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن أي لم يروهم إناثاً فكيف قالوا هذا وهم عند الرحمن وليسوا عندهم؟

﴿أَأُشْهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ قراءة نافع وأما سائر القرّاء فيما علمنا فإنهم قرؤوا ﴿أَشَهِدُوا﴾ وهما قراءتان حسنتان قد نقلتهما الجماعة، والمعنى فيهما متقارب لأنهم إذا شَهِدُوا فقد أُشهِدُوا، وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصافات: ١٥٠] يدل على قراءة من قرأ ﴿أَشَهِدُوا﴾ والأخرى جائزة حسنة، قال جلّ وعزّ: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١].

﴿بَلْ قالُوا إِنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ..﴾ [٢٢]

هذه القراءة التي عليها اجتماع الحجة واللغة المعروفة. والأُمَّةُ: الدين، ومنه ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] أي على دين واحد. وقراءة مجاهد وعمر بن عبد العزيز رحمه الله

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾
فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ
﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ

﴿على إِمّة﴾ بكسر الهمزة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٠٨].

﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ والأصل إننا حُذِفت النون تخفيفاً و ﴿مُهْتَدُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ ويجوز النصب في غير القرآن على الحال وكذا ﴿. .مُقْتَدُونَ﴾ [٢٣] [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٠٨].

﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك. .﴾ [٢٣]

وروى معمر عن قتادة ﴿إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ قال: رؤساؤهم وأشرافهم.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ﴾ [٢٤]

وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْنَاكُمْ﴾ واستبعد أبو عبيد هذه القراءة، واحتج بأن قبله ﴿قُلْ﴾ ولم يقل: قلنا والحجة لهذه القراءة أن قبله ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ فخاطبهم النبي ﷺ بجئنا لهم عنه وعن الرسل عليهم السلام فقال: أو لو جئناكم.

﴿. . بَرَاءٌ. .﴾ [٢٦]

القراءة التي عليها حجة الجماعة والسواد، وعن ابن مسعود أنه قرأ ﴿انني بريء﴾ إلا أن الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٣٠] قال: إنّ مثل هذا يُكتَبُ بالألف، وأجاز في كل همزة أن تكتب ألفاً. قال أبو جعفر: هذا شاذ بعيد يلزم قائله أن يكتب يستهزئ بالألف، وهذا فيه من الإشكال ومخالفة الجماعة أغلظ وأقبح. من قرأ بَراء قال في الاثنين والجميع أيضاً بَراء، والتقدير: إنني ذو بَراء مثل ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ومن قال: بَرِيءٌ قال في جمعه بُرَآء أو بِراء على وزن كرماء وكرام. وحكى الكوفيون جمعاً ثالثاً انفردوا به حكوا: بُرَاء على وزن بُراع وزعموا أنه محذوف مِنْ بُرَآء.

﴿إلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي. .﴾ [٢٧]

في موضع نصب على الاستثناء من قول ﴿ما تعبدون﴾ ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً.

﴿وَجَعَلَها. .﴾ [٢٨]

الهاء والألف كناية عن قوله ﴿إنَّني بَرَاء﴾ وما بعده أي وجعل تَبَرُّؤَهُ من كل ما يعبدون من دون الله جلّ وعزّ وإخلاصه التوحيد لله عز وجلّ.

﴿. .كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ. .﴾ والفاعل المضمر في ﴿جَعَلَها﴾ يجوز أن يكون عائداً على

وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا
نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ
﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا
يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾

قوله ﴿الذي فطرني﴾ أي وجعلها الله تعالى كلمة باقية في عَقِبِهِ، وأهل التفسير على هذا أنّه لا يزال من ولد ابرهيم ﷺ موحّدون. وقيل: الضمير عائد على إبراهيم أي وجعلها كلمة باقية في عقبه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤٠٩/٤] أي عرّفهم التوحيد والتبرؤ من كل معبود دون الله جلّ وعزّ فتوارثوه فصار كلمة باقية في عقبه، ويقال: ﴿في عَقْبِهِ﴾ بحذف الكسرة لأنها ثقيلة.

﴿وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رَجُلٍ..﴾ [٣١]

على عطف البيان الذي يقوم مقام النعت لهذا، هذا قول سيبويه. وغيره يقول: نعت ﴿على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ نعت لرجل وليس الرجل يكون من القريتين، ولكن حقيقته في العربية على رجل من رَجُلَي القريتين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤١٠/٤] ثم حذف مثل ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هؤلاءِ وآباءَهُمْ حتّى جاءَهُمُ الحَقُّ﴾ [٢٩]

فأما قوله جلّ وعزّ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هؤلاءِ وآباءَهُمْ حتّى جاءَهُمُ الحَقُّ﴾ فمعناه لم أُهلِكهم كما أُهلك غيرهم من الكفار.

﴿أهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ..﴾ [٣٢]

﴿هم﴾ رفع على إضمار فعل؛ لأن الاستفهام عن الفعل، ويجوز أن يكون موضعه رفعاً بالابتداء ﴿نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ﴾ أي فكذلك فضّلنا بعضهم على بعض بالاصطفاء والاختيار. ودرجات في موضع نصب مفعول ثان حُذفَ منه ﴿إلى﴾، ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ أي فضّلنا بعضهم على بعض في الرزق لِيُسخِّر بعضهم لبعض، وكل من عمل لرجل عملاً فقد سُخِّرَ له بأجرة كان أو بغير أُجرة. وعن ابن عباس والضحاك ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ قال: العبيد، قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣١/٣]: يقال سُخْرِيّ وسِخْرِيّ بمعنى واحد ههنا وفي ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: ١] وفي ﴿صاد﴾. قال أبو جعفر: والأمر كما قال الفرّاء عند جميع أهل اللغة إلاّ شيئاً ذكره أبو عمرو.

﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً..﴾ [٣٣]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣١/٣] ﴿أنْ﴾ في موضع رفع، ﴿لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ

﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾، ﴿لبيوتهم﴾ فيه غير قول، منه أن المعنى أي على بيوتهم، وقيل: إنه بدل بإعادة الحرف مثل: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]. قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب لأن الحروف لا تُنقَلُ عن بابها إلاّ بحجة يجب التسليم لها، وسُقُفٌ على الجمع قراءة الحسن ومجاهد وأبي رجاء الأعرج وشيبة ونافع وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي، وأما قراءة أبي عمرو وأبي جعفر وابن كثير وشبل وحُمَيد فسقفٌ على التوحيد.

قال أبو جعفر: سُقُفٌ فيما ذكر أبو عبيد جمع سَقْف مثل: رَهْن ورُهُن، ورأيت علي بن سليمان ينكر هذا لأنه ليس بجمع فَعْل مُطّرد. قال: ورُهُنٌ جَمْعُ رِهَان مِثْلُ حِمار وحُمُر، ورهانٌ جمعُ رَهْن مثل عَبد وعباد، وكذا ﴿سُقُفًا﴾. وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٣] أن سقفاً جمع سقيفة، فأما قراءة من قرأ ﴿لِبُيُوتِهِمْ سَقْفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ فتأولها إسماعيل بن إسحاق على أن ﴿مَن﴾ لواحد، قال: والمعنى لجعلنا لكل من كفر بالرحمن لبيوتهم سَقفاً من فضة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٤١٠] إلاّ أنه استبعد هذه القراءة، وحكى أن هذا مُتناولٌ بعيد، واستدلّ على أن القراءة بالجمع أولى؛ لأن بعده ومعارج وسرراً وأبواباً فكذا سُقُفٌ بالجمع أولى. قال أبو جعفر: الذي تأوله بعيد وأولى منه أن يكون سَقْفٌ بمعنى سقف كما قال جلّ وعزّ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥] وكما قال الشاعر:

كُلُوا في بَعْضِ بَطْنِكُم تَعِفُّوا   فإنّ زَمانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ

والأحاديث تدلّ على أن القراءة سُقُف، وكذا نَسَقُ الكلام كما حدّثنا بكر بن سهل قال: حدّثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله جلّ وعزّ ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الآية والتي بعدها قال: يقول سبحانه لولا أن جعل الناس كلّهم كفاراً لَجعلتُ للكفار لبيوتهم سُقفاً من فضّة ومعارج عليها من فضة، وزخرفاً، قال: ذهباً، قال سعيد بن جبير والشعبي: ﴿لبيوتهم سُقُفًا﴾ أي جذوعاً فهذا كلّه يدلّ على الجمع.

﴿وَزُخْرُفًا..﴾ [٣٥]

معطوف على سُقُف. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٣٢]: أنه يجوز أن يكون معناه سُقُفاً مِن فضة ومِنْ زخرف ثم حذفت مِنْ فنصب، والقول الأول أولى بالصواب. وزعم ابن زيد أن الزخرف متاع البيت فأما أكثر أهل التفسير منهم ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة فقالوا: الزخرف: الذهب، وقال الشعبي: الزخرف: الذهب والفضة. قال أبو جعفر: والزخرف في اللغة، على ما حكاه محمد بن يزيد، الزينة قال: يقال: بَنَى داره فزخرفها أي زيّنها وحسّنها.

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فاللام للتوكيد عند البصريين، وعند الكوفيين بمعنى إلاّ و﴿ما﴾ زائدة للتوكيد، وعند بعض النحويين نكرة بمعنى شيء. ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ رفع بالابتداء والتقدير: ثواب الآخرة عند ربك للمتقين.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ..﴾ [٣٦]

قال محمد بن يزيد: يَعْشُ: يتعامى، وأصله من الأعشى، وهو الذي قد ركب بصره ضعف وظلمة. ومنه جاء فلانٌ يعشو، إذا جاءه ليلاً لما يركب بصره من الظلمة. وقال غيره: عشِيَ عن ذكر الرحمن: لم ينتفع بالذكر كما أن الأعشى الذي لا يبصر في الضوء فهو لا ينتفع ببصره كما ينتفع غيره و﴿يعشُ﴾ في موضع جزم بالشرط وعلامة الجزم فيه حذف الواو، وهو مشتق من العشي إلاّ أنه يقال: عَشِيَ يَعْشَى إذا صار أعشى، وعشا يعشو إذا لحقه ما يلحق الأعشى، وهو من ذوات الواو، والياء في عَشِيَ منقلبة من واو، وكذا الألف في عشا الذي هو مصدر. ولهذا قال النحويون: العشا في البصر يُكتَبُ بالألف والدليل على ذلك أنه يقال: امرأة عشواء. ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ﴾ جواب الشرط.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ..﴾ [٣٧]

محمول على المعنى لأن ﴿شيطاناً﴾ يؤدّي عن معنى شياطين.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا..﴾ [٣٨]

قراءة نافع وعاصم وعبد الله بن عامر وهي البيّنة؛ لأن الضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ و﴿القرين﴾، وقراءة أبي عمرو والكوفيين غير عاصم ﴿حتى إذا جاءنا﴾ وهو بمعنى ذلك أي حتى إذا جاءنا هو وقرينه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤١٢]، والعرب تحذف مثل هذا، كما يقال: كَحلتُ عيني، يراد العينان. ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ اسم ﴿ليت﴾ وهي ظرف، كما يقال: يا ليت بيني وبينك بُعداً. ويجوز بُعدُ بمعنى ليت مقدار ذلك، فإن قلتَ: ليت بيني وبينك متباعد رفعتَ.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [٣٩]

﴿أنّ﴾ في موضع رفع [معاني القرآن للفراء: ٣/٣٤] أي لن ينفعكم اشتراككم لأن الإنسان في الدنيا إذا أصيب بمصيبة هو وغيره سهلت عليه بعض السهولة وتأسّى به فحرم الله جلّ وعزّ ذلك أهل النار.

مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾
فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ
مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ..﴾ [٤١]

في موضع جزم بالشرط. والنون للتوكيد ولولا هي لكانت الياء ساكنة.

﴿أو نُرِيَنَّكَ﴾ [٤٢]

وكذا ﴿أو نُرِيَنَّكَ﴾ في موضع جزم، ولولا النون لحذفت الياء ولكنها بنيت معها على الفتح.

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ..﴾ [٤٤]

روى علي بن أبي طلحة عن أبي عباس قال: إن القرآن لشرف لك ولقومك [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤١٣/٤]، وتأول هذا مجاهد على أنه شرف لقريش، قال يقال: ممّن الرجل؟ فيقال: من العرب فيقال: مِنْ أي العرب؟ فيقول: من قريش. وقال غيره: قومه ههنا مَنْ آمن به وكان على منهاجه. وقيل: معنى ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ﴾ وإن الذي أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لذكرٌ أي أُنزل لتذكروا به وتعرفوا أمر دينكم.

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ..﴾ [٤٥]

قال أبو جعفر: في هذه الآية إشكال؛ لأن النبي ﷺ لا يحتاج مسألة، وقد ذكرنا قول جماعة من العلماء فيها فمنهم من قال: في الكلام حذفٌ، والتقدير: وسَلْ من أرسلنا إليه من قبلك رسلا من رسلنا، قال: والخطاب للنبي ﷺ والمراد المشركون به. قال أبو جعفر: أما حذفُ رُسُل ههنا فجائز لأن من رُسُلنا يدلّ عليه، كما قال الشاعر:

كأنّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أُقَيْشِ

والتقدير كأنك جمل من جمال بني أُقيش، وأمّا حذفُ ﴿إليه﴾ فلا يجوز لو قلت: مررت بالذي ضربتُ أو بالذي قام وأنت تقدر حذف حرف الخفض والمضمر لم يجز وإنما يجوز حذف المضمر الذي في الصلة وقوله: المخاطب النبي ﷺ والمراد به المشركون، كلام فيه نظر.

والقول في الآية ـ والله جلّ وعزّ أعلم ـ ما قاله قتادة قال: سل أهل الكتاب أأمَرَ اللهُ جلّ وعزّ إلاّ بالتوحيد والإخلاص. وشرح هذا من العربية: قل يا محمد لِمَن عَبَدَ الأوثان: سل أمم مَنْ قد أرسلنا من رسلنا أي من آمن منهم: هل أمر الله جلّ وعزّ أن يُعبد وثن أو يعبد معه غيره؟ فإنهم لا يجدون هذا في شيء من الكتب، ثم حُذفت أمم وأقيمت ﴿مَنْ﴾ مقامها، مثل ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ..﴾ [٤٩]

وقرأ ابن عامر ﴿يا أيُّهُ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، ﴿السَّاحِرُ﴾ نعت لأيّ على اللفظ، ولا يجوز النصب إلاّ في قول المازني على الموضع لأن موضع أيّ نصب. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤١٤]: إن قال قائل: كيف قالوا يا أيُّها الساحر وقد زعموا أنهم مهتدون؟ فإنما وقع الخطاب على أنه كان عندهم مسمّى بهذا فقالوا: يا أيُّها الساحر على ذلك. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا غير هذا الجواب.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ..﴾ [٥١]

قيل: كان نداؤه كراهة أن يتّبع قومه موسى ﷺ لأنه لمّا دعا كُشفت عنهم العذاب فتبيّن عجز فرعون عن كشفه فكره أن يتّبعوه فقال: أنا أولى بالاتّباع منه ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ في موضع خفض، ولم ينصرف عند البصريين [الكتاب لسيبويه: ٢/٢٣] لأنها مؤنثة سُمّيت بمذكر، وكذا لو سمّيت امرأة بزيد لم ينصرف وأجازوا صرف مصر على أن يكون اسماً للبلد، وترك الصرف أولى؛ لأن المستعمل في مثلها بلدة، فأما الكوفيون فيذهبون إلى أن مصر بمنزلة امرأة سمّيت بهند فكان يجب أن ينصرف إلاّ أنها مُنعت من ذلك لعلّتها في الكلام. ﴿وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾، ﴿تجري﴾ في موضع نصب على الحال. ويجوز أن يكون في موضع رفع على خبر هذه ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ..﴾ [٥٢]

قال الفرّاء: هو من الاستفهام الذي جاء بأمْ لاتصاله بكلام قبله، قال: ويجوز أن تردّه على قوله ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾. وقد شرحناه بأكثر من هذا. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٣٥] أنه أخبره بعض المشيخة أنه يقرأ ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ أما أنا خَيْرٌ﴾ قال أبو جعفر: يقدّره ﴿أمَا﴾ التي بمعنى ﴿ألا﴾ وحقاً، ويكون على هذا ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ تمام الكلام. فهذه القراءة خارجة من حجة الإجماع وكان يجب على هذا أن يكون ﴿أما﴾ بالألف ﴿أنا﴾ مبتدأ و﴿خير﴾ خبره وكذا ﴿هو مهين﴾. وفي معنى ﴿مهين﴾ قولان: قيل معناه الذي يمتهِنُ نفسه في حاجاته ومعاشه ليس له من يكفيه. وقال الكسائي: المهين: الضعيف الذليل، وقد مَهُنَ مَهانَةً، وهذا أولى بالصواب.

﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَساوِرَةٌ مِن ذَهَبٍ..﴾ [٥٣]

هذه قراءة أهل الحرمين وأهل الكوفة وأهل البصرة إلاّ الحسن وقتادة وشيئاً يروى عن عبد الله وأُبَيّ، فأما الحسن وقتادة فقرآ ﴿فَلَولا أُلقِيَ عليه أَسوِرَة﴾ والذي روي عن عبد الله وأُبَيّ ﴿فَلولا أُلقِيَ عليهِ أساوِيرُ﴾ قال أبو جعفر: أساورة جمع إسوار. وحكى الكسائي: إسوار وسِوار وسُوار بمعنى واحد، وأساوير وأساورة واحد مثل زنادقة وزناديق [معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٦٩٠] إلاّ أنه إذا كان بالهاء انصرف لأن الإعراب يقع عليها، وهي بمنزلة اسم ضُمّ إلى اسم. وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٤١٥، ٤١٦]: إنما انصرف لأنّ له في الواحد نظيراً نحو عَلانية وعَباقِية ويجوز أن يكون أساورُ جمع أَسوِرَة ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ على الحال.

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ..﴾ [٥٤]

أي استخفّهم بذلك القول إلى الكفر بموسى ﷺ.

﴿فَلَمّا آسَفُونا﴾ [٥٥]

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فَلَمّا آسَفُونا﴾ قال: يقول أسخطونا.

﴿فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً..﴾ [٥٦]

قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿سُلُفاً﴾ وهو جمع سَليف، وقد سُمِعَ عن العرب سَليف. وروي عن حميد الأعرج أنه قرأ ﴿سُلَفاً﴾ بضم السين وفتح اللام جمع سُلفَة، وأبو حاتم لا يعرف معناه لشذوذه. وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٤١٦]: سُلْفَةٌ أي فرقة متقدمة ومع إنكار أبي حاتم إياه فإن فيه مَطعناً؛ لأن الكسائي رواه عن ابن حُمَيد فذكر إسماعيل بن إسحاق القاضي عن علي بن المديني قال: سألت ابن عيينة عن قراءة حميد ﴿سُلَفاً﴾ فلم يعرفه، فقلت له: إن الكسائي رواه عنك فقال: لم نحفظه.

﴿وَلَمّا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلاً..﴾ [٥٧]

لم ينصرف مريم عليها السلام لأنها معرفة واسم مؤنث، ويجوز أن يكون اسماً أعجمياً فيكون ذلك علّة، ويجوز أن يكون عربياً مبنياً على مَفْعَل جاء على الأصل من رام يريمُ ﴿إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قراءة مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وأبي عمرو وعاصم وحمزة، ويروى عن ابن عباس بكسر الصاد [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٤١٦]. و ﴿يَصُدّونَ﴾ بالضم قراءة

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الحسن وإبراهيم وأبي جعفر وشيبة ونافع ويحيى بن وثاب والكسائي، وتروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي عبد الرحمن السلمي وعبيد بن عمير الليثي.

قال أبو جعفر: حكى الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٣٦/٣، ٣٧] أنّ يَصُدّونَ ويَصِدّونَ لغتان بمعنى واحد، كما يقال: نَمَّ يَنِمُّ ويَنُمُّ وشَدَّ يَشِدُّ ويَشُدُّ، وفرّق أبو عبيد القاسم بن سلام بينهما فزعم أن معنى يَصِدُّ يَضِجُّ ومعنى يَصُدُّ من الصدود عن الحق، وزعم أنها لو كانت يَصُدُّ بالضم لكانت إذا قومك عنه يصُدّون. قال أبو جعفر: وفي هذا ردّ على الجماعة الذين قراءتهم حجّة وقد خالف بقوله هذا الكسائي والفرّاء، والذي ذكره من الحجة ليس بواجب لأنه يقال: صَدَدْتُ من قوله أي لأجل قوله وعلى هذا معنى الآية ـ والله جلّ وعزّ أعلم ـ إنما هو ﴿يَصُدّونَ﴾ من أجل ذلك القول، وقد يجوز أن يكون مع ذلك الصدود ضجيج فيقول المفسّر: معناه يضِجّونَ.

﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ..﴾ [٥٨]

ابتداء وخبر ﴿أم هو﴾ معطوف على آلهتنا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلا﴾ مفعول من أجله أي لم يقولوا هذا على جهة المناظرة ولا على جهة التثبّت، فهذا فرق بين الجدل والمناظرة لأن المتناظرين يجوز أن يكون كل واحد منهما يطلب الصواب، والجدل الذي جادلوا به النبي ﷺ فيما روي عن ابن عباس أنه لمّا أنزل الله جلّ وعزّ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قالوا: أليس قد عُبِدَ عيسى ﷺ وهو عندك رجل صالح فقد جعلته في النار معنا؟ فهذا هو الجدل الذي كان منهم؛ لأن الكلام لا يوجب هذا؛ لأنه قال جلّ وعزّ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ولم يقل مَنْ تَعبُدون و﴿ما﴾ فإنما هي لغير بني آدم ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي كثيرو الخصومة فيما يدفعون به الحق.

﴿إِنْ هُوَ إلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ..﴾ [٥٩]

أي أنعمنا عليه بظهور الآيات على يديه ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤١٧/٤]: يعني عيسى ﷺ أي يدلّهم على نبوّته، وقال غيره: وصفناه لبني إسرائيل بأنه مثل لآدم عليه السلام. وقيل: مَثَلٌ ومِثْلٌ واحد أي هو بشر مثلهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَلائِكَةً في الأرضِ يَخْلُفُونَ..﴾ [٦٠]

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يقول: يخلف بعضهم بعضاً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤١٧/٤]. وفي رواية أبي صالح عنه قال: لو نشاء لجعلناهم خلائف وأهلكناهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٢ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦٤ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٦٥ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ..﴾ [٦١]

قراءة أكثر الناس، ويروى عن ابن عباس وأبي هريرة أنهما قرآ **﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾** وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٣٧] أنهما متقاربتا المعنى. وحُكِيَ عن محمد بن يزيد أنه قال: معنى **﴿لَعِلْمٌ﴾** لَذِكْرٌ وتنبيه وتعريف، ومعنى **﴿لَعَلَمٌ﴾** لدلالة وعلامة. قال أبو جعفر: فأمّا الضمير الذي في **﴿وإنّه﴾** ففي معناه قولان: مذهب ابن عباس وأبي هريرة وأبي مالك ومجاهد والضحّاك أنّ الضمير لعيسى ﷺ، والمعنى لنزوله، والقول الآخر، وهو قول الحسن، أن الضمير للقرآن أي وإن القرآن لَعِلمٌ للساعة لأنه لا ينزل كتاب بعده، والقول الأول أبين وعليه أكثر الناس وقد قيل: في هذا دليل على أنه إذا نزل عيسى ﷺ رفعت المحنة ولم تقبل من أحد توبة.

وفي الحديث عن النبي ﷺ ما يدلّ على ذلك وهو قوله: «فَلَيكسِرَنّ الصليب، وليقتلنّ الخنزير، وتلقي الأرض أفلاذ كبدها» [خ: ٢٢٢٢، م: ٣٨٧، د: ٤٣٢٤، ت: ٢٢٣٣، حم: ٢/٥٣٨] ففي هذا دليل أنه لا أحد يأخذ من أحد زكاة، وأنّ المحنة قد ارتفعت وقربت الساعة **﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾** قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤١٧]: أي فلا تشكّوا **﴿وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾** **﴿مستقيم﴾** نعت لصراط، ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ..﴾ [٦٣]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤١٧، ٤١٨]: أي بالآيات المعجزات **﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾** قال: أي بالإنجيل **﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾** قال أبو عبيدة: بعض بمعنى كل وأنشد:

أو يَخْتَرِمْ بَعضَ النُّفوسِ حِمامُها

قال أبو جعفر: وهذا القول مردود عند جميع النحويين، ولا حجّة عليه من معقول أو خبر؛ لأن بعضاً معناها خلاف معنى **﴿كل﴾** في كل المواضع. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤١٨]: المعنى ولأبيّن لكم في الإنجيل بعض الذي تختلفون فيه، وقال غيره: إنما بيّنَ لهم بعض الذي اختلفوا فيه على الحقيقة، وذلك ما سألوه عنه أو كانت لهم في إخباره إياهم منفعة، وقد يجوز أن يختلفوا في أشياء غير ذلك. والبيت الذي أنشده أبو عبيدة لا حجة فيه لأن معنى «أو يَخْتَرِمْ بَعضَ النُّفوسِ» أنه يعني نفسه وبعض النفوس.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ..﴾ [٦٥]

يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤١٨]: الأحزاب: اليهود والنصارى.

﴿الأَخِلاَّءُ..﴾ [٦٧]

جمع خليل ولم يقل فيه فُعَلاء كراهة التضعيف ﴿بَعْضُهُم﴾ على البدل من الأخلاء، ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ الخبر. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ قال: فكل خُلّة فهي عداوة يوم القيامة إلاّ خلّة المتقين ﴿إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ نصب على الاستثناء من موجب.

﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [٦٨]

مَنْ حَذَفَ الياء، وهو أكثر في كلام العرب قال: النداء موضع حذف [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤١٩]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/٣٧]، ومن أثبتها قال: هي اسم في موضع خفض فأثبتها كما أثبتُ المُظهَرَ.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا..﴾ [٦٩]

في موضع نصب على النعت لعبادي، ويدلّك على أنه نعت له [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤١٩]. وتبيين ما رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: بينما الناس في الموقف إذ خرج مُنادٍ من الحُجُب فنادى ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ففرحتِ الأمم كلّها، وقالت: نحن عباد الله كلّنا، فخرج ثانية فنادى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ فيئست الأمم كلّها إلاّ أُمة محمد ﷺ ومن كان مسلماً.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ..﴾ [٧٠]

أي يقال لهم ذلك ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ عطف على المضمر في ادخلوا و﴿أنتم﴾ توكيد ﴿تُحْبَرُونَ﴾ في موضع نصب على الحال. وعن ابن عباس ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تُكرَمُونَ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤١٩].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ..﴾ [٧١]

وحُكِيَ في الجمع كِوَبَةٌ وكِيَان ويجوز كِيابٌ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ هذه قراءة أهل المدينة وأهل الشام، وكذا في مصاحفهم. وقراءة أهل العراق ﴿تَشْتَهِي﴾ بغير هاء،

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ
الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ
الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ

والقراءتان حسنتان، فإثبات الهاء على الأصل وحذفها لطول الاسم، غير أنه حُكِي عن محمد بن يزيد أنه يختار إثبات الهاء ويقدمه على حذفها في مثل هذا، وعلّته في ذلك أنّ الهاء إنما حُذِفَتْ في ﴿الذي﴾ لطول الاسم، و﴿ما﴾ أنقصُ من الذي، وأيضاً فإنك إذا حَذفتَ الياء في ﴿الذي﴾ وفي ﴿التي﴾ فقد عُرِفَ المذكر من المؤنث، وليس هذا في ﴿ما﴾.

﴿وتلكَ الجنّةُ..﴾ [٧٢]

نعت لتلك التي خبره الابتداء.

﴿إنّ المُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [٧٤]

خبر ﴿إنّ﴾ ويجوز النصب في غير القرآن على الحال.

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [٧٥]

وكذا ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٣٧]: وفي قراءة عبدالله ﴿وهم فيها﴾ يريد جهنم. ومن قال ﴿فيه﴾ أراد العذاب.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ..﴾ [٧٦]

خبر كان، و﴿هم﴾ عند سيبويه فاصلة لا موضع لها من الإعراب بمنزلة ﴿ما﴾ في قوله جلّ وعز ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥، المائدة: ١٣] والكوفيّون يقولون هم عماد. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٣٧]: وفي حرف عبد الله بن مسعود ﴿ولكن كانوا هم الظالمون﴾. قال أبو جعفر: وعلى هذا يكون ﴿هم﴾ في موضع رفع بالابتداء و﴿الظالمون﴾ خبر الابتداء وخبره خبر كان، كما تقول: كان زيدٌ أبوهُ خارجٌ.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ..﴾ [٧٧]

قال مجاهد: ما كنا ندري معنى ﴿يا مالك﴾ حتى سمعنا في قراءة عبدالله ﴿ونادوا يا مالِ﴾. قال أبو جعفر: هذا على الترخيم، والعرب ترخّمُ مالكاً وعامراً كثيراً إلاّ أن هذا مخالف للسواد، وفيه لغتان يقال: يا مالِ أقبلْ، هذا أفصح اللغتين، كما قال:

يا حارِ لا أُرمَيَنْ منكُمْ بداهيةٍ ... لم يلقَها سُوقةٌ قبلي ولا مَلِكُ

[ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٨٠]

ومن العرب من يقول: يا مالُ أقبِلْ، فيجعلون ما بقي اسماً على حاله.

كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿أم يَحْسَبُونَ أنّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلَى . .﴾ [٨٠]

والكوفيون يقرؤون ﴿يَحسِبُونَ﴾ يقال: حَسِبَ يَحسَبُ ويَحسِبُ، لغتان، والقياس الفتح مثل حَذِرَ يَحذَرُ إلاّ أن الكسر أكثر في كلام العرب. ويقال: إن لغة النبي ﷺ الكسر. وفتحت ﴿أن﴾ لأنها في موضع اسم.

﴿قُلْ إنْ كانَ لِلرَّحمَنِ وَلَدٌ فَأنَا أوَّلُ العَابِدِينَ﴾ [٨١]

إن جعلتَ ﴿إنْ﴾ للشرط فكان في موضع جزم وإن جعلتها بمعنى ﴿ما﴾ فلا موضع لكان. وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قل إنْ كان للرحمن ولد﴾ قال: يقول: لم يكن للرحمن ولد. قال أبو جعفر: جعل ﴿إنْ﴾ بمعنى ﴿ما﴾ كما قال جلّ وعزّ: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠] أي ما الكافرون إلاّ في غرور.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إلَهٌ وَفِي الأرْضِ إلَهٌ . .﴾ [٨٤]

قال أبو إسحاق: أي معبود في السماء ومعبود في الأرض. وفي حرف عبدالله ﴿وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله﴾.

﴿. . إلاّ مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ . .﴾ [٨٦]

في موضع نصب على الاستثناء.

﴿وَقِيلِهِ يا رَبِّ﴾ [٨٨]

﴿وقيلَهُ يا رَبِّ﴾ قراءة المدنيين وأبي عمرو والكسائي، وقرأ الكوفيون غير الكسائي ﴿وَقِيلِهِ﴾ بالخفض، وزعم هارون القاري، أنّ الأعرج قرأ ﴿وَقِيلُهُ﴾ بالرفع. قال أبو جعفر: ﴿وَقِيلَهُ﴾ بالنصب من خمسة أوجه: قال الأخفش سعيد: ﴿وَقِيلَهُ﴾ بالنصب من وجهين؛ يكون بمعنى أم يَحسِبُونَ أنّا لا نسمع سِرّهم ونجواهم وقِيلَهُ، والوجه الثاني أن يكون مصدراً.

وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤٢١]: المعنى: وعنده علمُ الساعة ويعلم قيلَهُ لأنّ معنى وعنده علمُ الساعة ويعلَمُ الساعة أي يعلم وقت الساعة وهو الغيب ويعلم قيلَهُ وهو الشهادة.

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٨٩﴾

والقول الرابع أن يكون المعنى إلاّ من شهِدَ بالحق وهم يعلمون الحق وقِيلَهُ.

والقول الخامس ورسلنا لديهم يكتبون ذلك وقيلَهُ. قال أبو إسحاق: والخفض بمعنى: وعنده علم الساعة وعلم قِيلِهِ. قال أبو جعفر: والرفع بالابتداء. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٣٨]: كما تقول نداؤه هذه الكلمة، وقدّرهُ غيره بمعنى: وقِيلُهُ يا ربّ ريقال: قالَ قولا وقيلا وقالا بمعنى واحد.

والقراءة البيّنة بالنصب من جهتين: إحداهما أنّ المعطوف على المنصوب يحسن أن يفرق بينهما وإن تباعد ذلك لانفصال العامل من المعمول فيه مع المنصوب وذلك في المخفوض إذا فرّقت بينهما قبيح، والجهة الأخرى أنّ أهل التأويل يفسّرون الآية على معنى النصب، كما روى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وقِيلِه يا ربّ إنّ هؤلاءِ قومٌ لا يُؤمنون﴾ قال: فأخبر الله جلّ وعزّ عن محمد ﷺ، وروى معمر عن قتادة و﴿قيله يا رب﴾ قال: قول النبي ﷺ، إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون، فالهاء في ﴿وقيله﴾ على هذا عائدة على النبي ﷺ، وقد قيل: إن الهاء راجعة إلى قوله ولمّا ﴿ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ٥٧] أي ويُسمَعُ قول عيسى ابن مريم ﷺ لمّا يئس من صلاحِ قومه وإيمانهم ﴿إنّ هَٰؤلاءِ قومٌ لا يؤمنون﴾.

والأولى بالصواب القول الأول أن تكون الهاء عائدة على نبيّنا ﷺ لجهتين: إحداهما أنّ ذكره أقرب إلى المضمر؛ لأنّ المعنى: قُلْ يا محمد إنْ كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين.

﴿فاصفَحْ عَنْهُمْ﴾ [٨٩]

والجهة الأخرى أن الذي بعده مُخاطبة للنبي ﷺ بإجماع وهو ﴿فاصفَحْ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم ﴿وقُلْ سَلامٌ﴾ أي مسالمة ومتاركة. والتقدير في العربية: أمري سلام. زعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٣٨] أنّ التقدير: سلام عليكم ثم حذف، وهذا خلاف ما قال المتقدّمون، وقد ذكر مثل هذا سيبويه، وقال: نزل بمكة من قبل أن يؤمروا بالسلام، وأيضاً فإنّ رسول الله ﷺ قد نهى أن يُبدأ اليهود والنصارى بالسلام، وحَظَرَ على المسلمين فصحّ أن معنى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣] أنه ليس من التسليم في شيء، وإنما هو من المتاركة والتسليم، وكذا ﴿فاصفَحْ عَنْهُمْ وقُلْ سَلامٌ﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قراءة المدنيين، وهو على هذا من كلام واحد، وقراءة ابن كثير والكوفيين والبصريين ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء على أنه قد تمّ الكلام عند ﴿وقل سلام﴾. والمعنى: فسوفَ يعلمون العقوبة على التهديد.

٤٤ ـ سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾

شرح إعراب سورة حم الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

قُرِئَ على محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف بن موسى عن مهدي بن ميمون قال: حدّثنا عمران القصير عن الحسن قال: من قرأ سورة ﴿الدخان﴾ لَيلة الجمعة غُفِرَ له.

﴿وَالكِتَابِ﴾ [٢]

مخفوض بالقَسَم ﴿المُبِينِ﴾ من نعته.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ..﴾ [٣]

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا عن العلماء أنها ليلة القدر [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٤٢٣]، فأمّا البركة التي فيها فهي نزول القرآن، وقال أبو العالية: هي رحمة كلّها لا يوافقها عبد مؤمن بعمل إحساناً إلاّ غُفِرَ له ما مضى من ذنوبه. وقال عكرمة: يُكتَبُ فيها الحاج حاجّ بيت الله جلّ وعزّ فلا يُغادر منهم أحد ولا يُزاد فيه أحد، فقيل لها: مباركة لثبات الخير فيها ودوامه. والبركة في اللغة: الثبات والدوام.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [٤]

أي فيه الحكمة من فعل الله جلّ وعزّ.

﴿أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا..﴾ [٥]

في نصبه خمسة أقوال: قال سعيد الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٩١]: نصبه على الحال بمعنى آمرين. وقال محمد بن يزيد: نصبه نصب المصادر أي إنّا أنزلناه إنزالاً، والأمر مشتمل على الإخبار. قال أبو عمر الجرميّ: هو حال من نكرة، وأجاز على هذا: هذا رجل مقبلاً. وقال أبو

رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ
يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا
مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤٢٣، ٤٢٤]: ﴿أمراً﴾ مصدر، والمعنى فيها يُفرَقُ فرقاً و ﴿أمراً﴾ بمعنى فرق، والقول الخامس أن معنى يُفرَقُ يَأمُرُ ويُؤتَمَرُ فصار مثل: هو يَدَعُهُ تركاً.

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ..﴾ [٦]

في نصبه خمسة أقوال: قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/٦٩١]: هو نصب على الحال. وقدّره الفرّاء [معاني القرآن: ٢/٣٩] مفعولاً على أنه منصوب بمرسلين، وجعل الرحمة للنبي ﷺ. وقال أبو إسحاق: يجوز أن يكون رحمة مفعولاً من أجله. وهذا أحسن ماقيل في نصبها. وقيل: هي بدل من أمر، والقول الخامس أنها منصوبة على المصدر. ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ يكون ﴿هو﴾ زائداً فاصلاً، ويجوز أن يكون مبتدأ و ﴿السميع﴾ خبره و﴿العليم﴾ من نعته.

﴿رَبِّ السَّمٰوَاتِ..﴾ [٧]

نعت للسميع، ويجوز أن يكون مرفوعاً على إضمار مبتدأ. وهذه قراءة المدنيين والبصريين سوى الحسن فإنه والكوفيين قرؤوا ﴿رَبِّ السَّمواتِ﴾ على البدل بمعنى رحمةً من رَبِّكَ ربِّ السَّموات.

﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آ بَائِكُمُ الأوَّلِينَ﴾ [٨]

وكذا ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آ بَائِكُمُ الأوَّلِينَ﴾ بالرفع والخفض.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ..﴾ [١٠]

وسُمِعَ من العرب في جمع دُخَان دَواخِنُ، وزعم القُتَبِيّ أنه لم يأت على هذا إلاّ دُخَانٌ وعُثَانٌ. قال أبو جعفر: وهذا القول ليس بشيء عند النحويين الحذاق؛ وإنما دواخن جمع داخنة وهذا قول الفرّاء نصّاً وكل من يُوثَقُ بعلمه، وحكى الفرّاء: دَخَنَتِ النارُ فهي دَاخنةٌ إذا أتت بالدخان.

﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ..﴾ [١١]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤٢٥]: أي يقول الناس الذين أصابهم الجدب ﴿هذا عذاب أليم﴾.

﴿أنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى..﴾ [١٣]

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾

في موضع رفع بالابتداء على قول سيبويه، وعلى قول غيره بإضمار فعل. قال أبو الحسن بن كيسان: ﴿أنّى﴾ تجتذب معنى ﴿أينَ﴾ ﴿وكيف﴾ أي من أي المذاهب وعلى أي حال، ومنه ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧] أي من أي المذاهب وعلى أي حال.

﴿إنّا..﴾ [١٥]

أصله إنّنا فحذفت النون تخفيفاً ﴿كاشِفُوا العَذَابِ﴾ الأصل كاشفون حذفت النون تخفيفاً، ومن يحذف النون لالتقاء الساكنين نَصَبَ العذاب ﴿قَلِيلاً﴾ نصب؛ لأنه نعت لظرف أو لمصدر. قال أحمد بن يحيى: إنكم عائدون إلى الشرك. وقيل: إلى عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ نَبطِشُ..﴾ [١٦]

منصوب بمعنى اذكروا، ولا يجوز أن يكون منصوباً بمنتقمين [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٤٢٥]؛ لأن ﴿إنّ﴾ لا يجوز فيها مثل هذا. وقرأ أبو جعفر وطلحة ﴿يوم نَبْطُشُ﴾ وهي لغة معروفة، وقراءة أبي رجاء ﴿يومَ نُبطِشُ﴾ بضم النون وكسر الطاء على حذف المفعول. يقال: بَطَشَ وأبطشه.

﴿وَجَاءَهُم رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [١٧]

قال أحمد بن يحيى: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ أي عند ربه جلّ وعزّ، قال: وقال: ﴿كريم﴾ من قومه [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٤٠].

﴿أَنْ أدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللهِ..﴾ [١٨]

﴿أنْ﴾ في موضع نصب والمعنى بأن ونَصَبْتَ ﴿عبادَ الله﴾ بوقوع الفعل عليهم أي سلّموا إليّ عباد الله أي أطلقوهم من العذاب، ويجوز أن تنصب عباد الله على النداء المضاف، ويكون المعنى: أن أدوا إليّ ما أمركم الله عز وجلّ به يا عباد الله [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٤٢٥].

﴿وَأنْ لا تَعلُوا عَلَى اللهِ..﴾ [١٩]

معطوفة على ﴿أنْ﴾ الأولى ﴿إنّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ قال أبو اسحاق: أي بحجة واضحة بيّنة آني نبي.

﴿وَإنّي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُم﴾ [٢٠]

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

ويجوز إدغام الذال في التاء لقربها منها وأن التاء مهموسة ﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ قال الضحاك: أي أن تشتموني وحُذِفت الياء؛ لأنها رأس آية.

﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾ [٢١]

وكذا ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ [٢٢]

من قال: إنّ هؤلاء فالمعنى عنده: قال: إنّ هؤلاء. [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٢٦]

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي. .﴾ [٢٣]

من سرَى، ومن قال: أسرَى قال: فأسْرِ ﴿لَيْلًا﴾ ظرف.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً. .﴾ [٢٤]

على الحال. قال محمد بن يزيد: يقال: عَيْش راه أي خَفِضٌ وادِعٌ فمعنى ﴿رهواً﴾ أي ساكناً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٢٦] حتى يخلصوا فيه وهو ساكن ولا ينفروا منه. وقيل: الرهو: المتفرق.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. .﴾ [٢٥]

﴿كم﴾ في كلام العرب للتكثير و[ربّ] للتقليل وزعم الكسائي أنّ أصل [كم] كما فإذا قلت: كم مالك؟ فالمعنى كأيّ شيء من العدد مالك؟ وحُذِفت الألف من كما تحذف مع حروف الخفض مثل ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] قيل له: فَلِمَ أسكنت الميم؟ قال: لكثرة الاستعمال كما تُسكّن في الشعر، وأنشد:

فَلِمْ دَفَنْتُمْ عُبَيْدَ اللهِ في جَدَثٍ وَلِمْ تَعَجَّلْتُمْ وَلِمْ تَرُوحُونا

وذكر أبو الحسن بن كيسان: هذا القول فاسد، واستدلّ على ذلك بما تستعمله العرب في جواب ﴿كم﴾ لأنهم يقولون في جواب: كم مالك؟ ثلاثون وما أشبهه، ولو كان كما قال لكان الجواب بالكاف لأنّ قائلا لو قال: كَمَنْ أخوك؟ لقلتَ: كمحمد، ولو قال مثل ما مالُكَ؟ لقلت: مِثْلُ الثياب، ولو قال: كأيّ شيء مالُكَ؟ لقلتَ: كمَالِ زيد. وهذا لا يقال في ﴿كم﴾ فصحّ أنها ليست ﴿ما﴾ دخلت عليها كاف التشبيه، وأنها مثل [من وما] يُستفهَمُ بها عن العدد؛ لأنك لو قلت: أمالُكَ ثلاثون أم أربعون؟ لم يَنتظم معنى ﴿كم﴾ لاشتماله على ذلك كلّه. وهي اسم غير معرب لأنّ فيها معنى الحروف. قال سيبويه: فَبَعُدت عن المضارعة بُعْدَ [كم] و[إذ] من المُتَمَكِّنة.

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [٢٦]

في رواية أبي صالح عن ابن عباس أنّ المقام الكريم المنازل الحسنة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٢٦]. قال أبو جعفر: وهذا معروف في اللغة أن يقال للموضع الذي يُقام فيه: مقامٌ كريمٌ، وفي رواية الضحّاك عن ابن عباس: أن المقام المنابر، وكذا قال سعيد بن جبير، وهو مروي عن عبدالله بن عمر، وقد ذكرناه بإسناده في سورة «الشعراء» [معاني القرآن للفراء: ٣/٤١].

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ..﴾ [٢٧]

قال يعقوب بن السكّيت: النعمة التنعّم. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ﴿فَكِهِينَ﴾ معجبين، وعنه فاكهين: فرحين. وحكى أبو عبيد عن أبي زيد الأنصاري أنه يقال: رجلٌ فَكِهٌ إذا كان طيّب النفس ضحوكاً، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٤١] أنّ فَكِهاً وفاكِهاً بمعنى واحد، كما يقال: حَذِرٌ وحاذِرٌ. فأما محمد بن يزيد فَفرّق بين فَعِل وفَاعِل في مثل هذا تفريقاً لطيفاً فقال: الحذِرُ الذي في خلقته الحذَرُ، والحاذِرُ المستعدُّ. قال أبو جعفر: وهذا قول صحيح بيّن يدلّ عليه أنّ حَذِراً لا يتعدّى عند النحويين.

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ [٢٨]

الكاف في موضع رفع أي الأمر ذلك، ويجوز أن يكون في موضع نصب بمعنى كذلك يَفعلُ بمن يُهلِكُهُ وينتقم منه.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ [٢٩]

أكثر أهل التفسير على أنه حقيقة وأنها تبكي على المؤمن موضع مُصَلاّه من الأرض وموضع مَصْعَدِهِ من السماء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٢٦]. وقيل: هو مجاز، والمعنى: وما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض، وقول ثالث نظير قول العرب: ما بكاه شيء، وجاء بكتْ على تأنيث السماء. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٤١] أنّ من العرب مَنْ يُذكِّرُها.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [٣٠]

نعت للعذاب. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٤١] أن في قراءة عبدالله ﴿من عذاب المُهِينِ﴾ وذهب إلى أنه إضافة الشيء إلى نفسه مثل: ﴿وذلك دينُ القيّمَةِ﴾. قال أبو جعفر: وإضافة الشيء إلى نفسه عند البصريين محال، والقراءة مخالفة للسواد، ولو صحّت كان تقديرها: من عذاب فرعون المهين ثم أُقيم النعت مقام المنعوت ويكون الدليل على الحذف.

مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ المُسْرِفِينَ . .﴾ [٣١]

رُوي عن ابن عباس قال: من المشركين، وعن الضحّاك قال: من القاتلين.

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ . .﴾ [٣٢]

الضمير يعود على بني إسرائيل أي اخترناهم للرسالة والتشريف ﴿على علم﴾ لأن من اخترناه منهم للرسالة يقوم بأدائها ﴿على العالَمِينَ﴾ لكثرة الرسل فيهم وقيل: عالَم أهلِ زمانِهم.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ . .﴾ [٣٣]

أصحّ ما قيل فيه أن البلاء ههنا النعمة مثل: وجَمِيلُ بَلائِهِ لَدَيْكَ. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٤٢/٣]: وقد يكون البلاء ههنا العذاب.

﴿إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ﴾ [٣٤]

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى . .﴾ [٣٥]

أي يقولون هذا على العادة بغير حجة وقد تبيّنت لهم البراهين وظهرت الحجج لهم.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [٣٧]

ولهذا لم يحتج عليهم ههنا وخُوّفوا وهُدّدُوا فقيل ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أي فقد علموا أنّهم كانوا أعزّ منهم. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على قوم، ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء وما بعده خبره، ويجوز أن يكون في موضع نصب بإضمار فعل دلّ عليه أهلكناهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٤٠]

وأجاز الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٤٢/٣] ﴿إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتَهُمْ﴾ بالنصب. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤٢٧/٤]: يكون يوماً منصوب على الظرف، ويكون التقدير أنّ ميقاتهم في يوم الفصل. قال أبو جعفر: يُفرّقُ بين إنّ واسمها بالظرف نقول: إنّ حِذَاءَك زيداً، وإنّ اليوم القِتالَ؛ لأن الظرف معناه في الكلام وإن لم تلفُظ به فهذا لا اختلاف بين النحويين فيه، واختلفوا

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧﴾

في الحال فأجاز الأخفش تقديمها ومنعهُ محمد بن يزيد ، وأجاز الأخفش: إنّ قائمين فيها إخوتكَ تنصب قائمين على الحال. ﴿أجمعين﴾ في موضع خفض توكيد للهاء والميم.

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً﴾ [٤١]

نصبت يوماً على البدل من يوم الأول. قال الضحّاك ﴿مولى عن مولى﴾ أي عن وَلِيّ.

﴿إلاّ مَنْ رَحِمَ اللهُ﴾ [٤٢]

في إعراب ﴿مَنْ﴾ أربعة أوجه: قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٩١] سعيد: ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع على البدل، تقديره بمعنى: ولا ينصر إلاّ من رحم اللهُ. ويجوز أن يكون في موضع رفع على الابتداء أي إلاّ من رَحِمَ اللهُ فَيُغنَى عنه. وقال غيره ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بمعنى: لا يغني إلاّ منِ رحم الله أي لا يشفع إلاّ من رَحِمَ اللهُ ، وهذا قول حسن لأنه قد صحّ عن النبي ﷺ أنه يشفع لأمته حتى يَخرُجَ من النار من كان في قلبه مثقالُ حبة مِن خَردَل من الإيمان، وصحّ عنه أن المؤمنين يشفعون. والقول الرابع في ﴿مَنْ﴾ أنها في موضع نصب على الاستثناء المنقطع. وهذا قول الكسائي والفرّاء.

﴿إنّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ [٤٣]

﴿طَعَامُ الأثِيمِ﴾ [٤٤]

وعن أبي الدرداء قال: طَعَامُ الفاجرِ، وهذا تفسير وليس بقراءة لأنه مخالف للمصحف.

﴿كالمُهلِ تَغلِي فِي البُطُونِ..﴾ [٤٥]

قراءة أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة، وقراءة ابن كثير ﴿كالمُهْلِ يَغْلِي﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٤٣] وهو اختيار أبي عبيد. وهو مخالف لحجة الجماعة من أهل الأمصار. والمعنى فيه أيضاً بعيدٌ على ما تأوّله أبو عبيد لأنه جعل يغلي للمهل؛ لأنه أقرب إليه، وليس المهل الذي يغلي في البطون إنما المهل يغلي في القدور، كما روي عن عبد الله بن مسعود أنه أخذ فضة من بيت المال فأذابها ثم وجّه إلى أهل المسجد فقال: هذا المهل. وعن ابن عباس قال: المُهلُ: دُرديّ الزيت. قال أبو جعفر: إلاّ أنه لا يكون لِدُرديّ الزيت إلاّ أن يَغلي بذلك على ظاهر الآية.

﴿خُذُوهُ فَاعْتُلُوهُ..﴾ [٤٧]

قراءة أهل المدينة. وقرأ أهل الكوفة ﴿فاعتِلُوهُ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٤٣] وهما لغتان إلاّ

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾

أنّ القياس الكسر؛ لأنه مثل ضَرَبَهُ يَضرِبُهُ. وأجاز الخليل وسيبويه: ﴿خذوهو فاعتلوهو﴾ بإثبات الواو في الإدراج إلاّ أن الاختيار حذفُها، واختلف النحويون في ذلك فمذهب سيبويه أن الأصل: ﴿خذوهو﴾ بإثبات الواو إلاّ أنها حُذِفَت لاجتماع حرفين من حروف المدّ واللين. ومذهب غيره أنها حذفت من أجل الساكنين. وقال جويبر عن الضحّاك إنه نزل في أبي جهل ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ إذا أمر به يوم القيامة. قال الضحّاك: ﴿فاعتلوه﴾ فادفعوه، ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي إلى وسط الجحيم.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ..﴾ [٤٨]

رُوي عن ابن عباس: الحميمُ: الحار الذي قد انتهى حرُّهُ.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ..﴾ [٤٩]

كَسَرَت ﴿إنّ﴾ لأنها مبتدأة، ومن قرأ ﴿ذق أنك﴾ جعله بمعنى لأنك وبأنك [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٢٨]. والقراءة بالكسر عليها حجة الجماعة، وأيضاً فإن الكافر أكثر من قوله: أنا العزيز الكريم؛ لأن تأويل من قرأها بالفتح ذُقْ لأنك كنت تقول: أنا العزيز الكريم.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ..﴾ [٥٠]

قيل: دلّ بهذا على أنهم يُعذّبون على الشك وقيل: بل كانوا مع شكّهم يجحدون ما شكّوا فيه. ومن شك في شيء فجحده فهو عاص لله تعالى.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [٥١]

قراءة الكوفيين وأبي عمرو، وقرأ المدنيّون ﴿في مُقام﴾ بضم الميم، قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٤٤] مَقامٌ أجود في العربية لأنه للمكان. قال أبو جعفر: وهذا ما يُنكَر على الفرّاء أن يقال للقراءات التي قد روتها الجماعة عن الجماعة: هذه أجود من هذه؛ لأنها إذا روتها الجماعة عن الجماعة قيل: هكذا أُنزِلَ؛ لأنهم لا يجتمعون على ضلالة فكيف تكون إحداهما أجود من الأخرى؟ ومُقامٌ بالضم معناه صحيح يكون بمعنى الإقامة كما قال:

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها

والمُقام أيضاً الموضع إذا أخذته من أقام، والمَقامُ بالفتح الموضع أيضاً إذا أخذته من قام ﴿أمين﴾ قال الضحّاك: أمِنُوا فيه الجوع والسقم والهرم والموت وأمِنُوا الخروج منه.

قال مجاهد: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] لا يرى بعضهم قفا بعض.

مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ
فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ
﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿كَذلِك﴾ [٥٤]

الكاف في موضع رفع أي الأمر كذلك، ويجوز أن يكون في موضع نصب أي كذلك يفعل بالمتقين **﴿وزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾** قال الضحّاك: الحُورُ: البِيضُ، والعِينُ: الكبارُ الأعين. قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٩١]: ومن العرب من يقول: بِحِير عِين. قال أبو جعفر: هذا على إتباع الأول للثاني، ونظيره رواية من روى «ارجعْنَ مَأزورات غيرَ مأجورات» [جه: ١٥٧٨].

والفصيح البيّن: «ارجعن موزورات» و**﴿بِحُورٍ﴾**، فأمّا **﴿عِينٍ﴾** فهو جمع عيناء وهو فعل كسرت منه فاء الفعل؛ لأن بعدها ياءً.

﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إلاّ المَوْتَةَ الأُولَى..﴾ [٥٦]

نصب لأنه استثناء ليس من الأول.

﴿فَضْلاً..﴾ [٥٧]

منصوب على المصدر، والعامل فيه المعنى، واختلف في ذلك المعنى، فقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٤٢٩] فيه: إنه **﴿يَدْعُون فيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾** [٥٥] قال: ويجوز أن يكون العامل فيه **﴿إنّ المتَّقِينَ في مقامٍ أمينٍ﴾**، وقال غيره: العامل فيه **﴿وَوَقَاهُمْ عذابَ الجحِيمِ﴾**، وجواب رابع أن يكون هذا كلّه عاملاً فيه لأن معناه كلّه تفضّلٌ من الله جلّ وعزّ، وكلّه يحتاج إلى شرح، وذلك أن يقال: قد قال جلّ وعزّ **﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام: ١٢٧] **﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [الأنعام: ١٢٩] فما معنى التفضل ههنا؟ ففي هذا غير جواب منها أن تكليف الله جلّ وعزّ الأعمال ليس لِحاجة منه إليها، وإنما كلّفهم ذلك ليعملوا فيدخلوا الجنة، فالتكليف وإدخالهم الجنة تفضّلٌ منه جلّ وعزّ.

فأصحّ الأجوبة في هذا أن للمؤمنين ذنوباً لا يَخلُونَ منها، وإن كانت لكثير منهم صغائرُ فلو أخذهم الله جلّ وعزّ بها لعذّبهم غيرَ ظالم لهم، فلمّا غفرها لهم وأدخلهم الجنة كان ذلك تفضّلا منه جلّ وعزّ، وأيضاً فإن لله جلّ وعزّ على عباده كلّهم نعماً في الدنيا فلو قوبل بتلك النعم أعمالُهمُ لاستغرقها فقد صار دخولهم الجنة تفضّلا، كما قال ﷺ: «ما أحدٌ يَدخلُ الجنةَ بِعَمَلِهِ» قِيلَ: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني اللهُ منه برحمة» [حم: ٢/ ٤٧٣].

﴿فإنّما يَسّرْنَاهُ بِلِسانِكَ..﴾ [٥٨]

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾

قيل: معنى يسّرناه علمناكه وحفّظناكه وأوحينا إليك لِتَذكّروا به وتعتبروا.

﴿فَارْتَقِبْ..﴾ [٥٩]

أي فارتقبْ أن يحكم الله جلّ وعزّ بَيْنَك وبَيْنَهُمْ ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما أنه مَجاز، وأن المعنى أنهم بمنزلة المرتقبين لأن الأمر حالٌ بهم لا محالة. وقيل: هو حقيقة أي أنهم مرتقبون ما يؤمّلونه.

٤٥ ـ سورة الجَاثيَة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

شرح إعراب سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم﴾ [١]

﴿تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ..﴾ [٢]

﴿تنزيل﴾ مرفوع بالابتداء وخبره **﴿من الله﴾**، ويجوز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر ابتداء محذوف أي هذا تنزيل الكتاب، ويجوز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر عن **﴿حم﴾**، **﴿العزيز الحكيم﴾** نعت وفيه معنى المدح.

﴿إنَّ فِي السَّمواتِ وَالأرضِ لآيات لِلْمُؤمِنِينَ..﴾ [٣]

﴿آيات﴾ في موضع نصب، وكسرت التاء لأنه جمع مُسَلَّم لِيُوافق المؤنث المذكر في استواء النصب والخفض. والتاء عند سيبويه [الكتاب: ١/ ٥] بمنزلة الياء والواو، وعند غيره الكسرة بمنزلة الياء، وقيل: التاء والكسرة بمنزلة الياء فأما الألف فزائدة للفرق بين الواحد والجمع.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ..﴾ [٤]

﴿وَفِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾ [٥]

هذه قراءة المدنيين وأبي عمرو، وكذا التي بعدها. وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي **﴿آيات﴾** مخفوضة في موضع نصب، وكذا التي بعدها. واحتج الكسائي لهذه القراءة بأنه في حرف أُبَيّ **﴿لآيات﴾** فيهن كلهنّ باللام فاستدلّ بهذا على أنه معطوف على ماقبله.

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٤٥]: وفي قراءة عبد الله **﴿وَفِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾** على أن فيها **﴿في﴾** واختيار أبي عبيد ما اختاره الكسائي. قال أبو جعفر: أما قوله جلّ وعزّ: **﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آياتٌ﴾** فلا اختلاف بين النحويين فيه أنّ النصب والرفع جيدان فالنصب

مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

على العطف أي وإنّ في خلقكم، والرفع من ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون معطوفاً على الموضع مثل ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الجاثية: ٣٢]. والوجه الثاني الرفع بالابتداء وخبره وعطفت جملة على جملة منقطعة من الأول كما تقول: إنّ زيداً خارجٌ وأنا أجيئك غداً. والوجه الثالث أنْ تكون الجملة في موضع الحال مثل ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿واختِلافِ اللَّيلِ والنهارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِن رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آياتٌ﴾ [٥]

فأمّا قوله جلّ وعزّ: **﴿واختِلافِ اللَّيلِ والنهارِ وَمَا أنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِن رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾** فقد اختلف النحويّون فيه فقال بعضهم: النصب فيه جائز وأجاز العطف على عاملين، فممّن قال هذا سيبويه والأخفش والكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٤٥]، وأنشد سيبويه:

أكُلَّ امرىءٍ تَحْسَبِينَ امرأً ونَارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نارا

وردّ هذا بعضهم ولم يُجز العطف على عاملين وقال: من عَطَفَ على عاملين أجاز: في الدار زيدٌ والحجرةِ عمروٌ، وقائل هذا القول ينشد **﴿ونارا﴾** بالنصب، ويقول: من قرأ الثالثة **﴿آيات﴾** فقد لَحَنَ. وممّن قال هذا محمد بن يزيد. وكان أبو اسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٤٣١، ٤٣٢] يحتج لسيبويه في العطف على عاملين بأن من قرأ **﴿آياتٌ﴾** بالرفع فقد عطف أيضاً على عاملين؛ لأنه عطف **﴿واختلاف﴾** على **﴿وفي خلقكم﴾** وعطف **﴿آياتٌ﴾** على الموضع فقد صار العطف على عاملين إجماعاً. والقراءة بالرفع بيّنةٌ لا تحتاج إلى احتجاج ولا احتيال. وقد حكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٤٥] في الآية غير ما ذكرناه، وذلك أنه أجاز **﴿واختلافُ الليلِ والنهارِ﴾** بالرفع فيه وفي **﴿آياتٌ﴾** يجعل الاختلاف هو الآيات. وقد كفى المؤونة فيه بأن قال: ولم أسمع أحداً قرأ به.

﴿تِلكَ آياتُ اللهِ..﴾ [٦]

مبتدأ وخبره، ويجوز أن يكون **﴿آيات الله﴾** بدلاً من تلك ويكون الخبر **﴿نتلوها عليك بالحقّ﴾** **﴿فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ الله وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾** قراءة المدنيين وأبي عمرو، وقرأ الكوفيون **﴿تؤمنونَ﴾** بالتاء ورد أبو عبيد قولهم بأن قبله **﴿إنَّ في السَّمواتِ والأرضِ لآيات للمُؤْمِنِينَ﴾**، وكذا **﴿لقوم يُوقِنون﴾** و**﴿لِقَوْمٍ يعقِلُونَ﴾** فوجب على هذا عنده أن يكون **﴿فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ**

وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ
مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا وَلَا مَا
ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ
﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ

وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ وردّ عليهم أيضاً بأن قبله ﴿تِلْكَ آياتُ اللهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ﴾ فكيف يكون بعده ﴿فبأيّ حَديثٍ بَعْدَ اللهِ وآياته تُؤمِنُونَ﴾.

قال أبو جعفر: وهذا الرد لا يلزم لأن قوله جلّ وعزّ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ﴾ وإن كان مخاطبة للنبي ﷺ فإنه مُبلّغ عن الله عزّ وجلّ كل ما أنزل إليه، فلما كان ذلك كذلك كان المعنى: قل لهم: ﴿فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ تُؤمِنُونَ﴾، فهذا المعنى صحيح، قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤] أي يقولون.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أفّاكٍ أثِيمٍ..﴾ [٧]

رُوي عن ابن عباس أنه قال: نزلت في النَّضرِ بنِ كلدة. ﴿ويلٌ﴾ مرفوع بالابتداء. وقد شرحناه فيما تقدم.

﴿هذا هُدًى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذابٌ من رجزٍ أليمٌ﴾ [١١]

وقرأ أهل مكة وعيسى بن عمر ﴿عَذَابٌ مِنْ رِجزٍ أليمٌ﴾ بالرفع على أنه نعت لعذاب. قال محمد بن يزيد: الرِّجزُ أغلظُ العذابِ وأشدّه، وأنشد لرؤبة [ديوانه: ٦٤]:

كَمْ رامَنا مِنْ ذي عَديدٍ مُبْزي حَتّى وَقَمْنا كَيْدَهُ بالرِّجزِ

﴿اللهُ الذي سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ..﴾ [١٢]

مبتدأ وخبره.

﴿..جميعاً..﴾ [١٣]

نصب على الحال ورُوي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿جميعاً مِنَّةً﴾ نصب على المصدر. وأجاز أبو حاتم ﴿جميعاً مَنُّهُ﴾ بفتح الميم والإضافة على المصدر أيضاً بمعنى مَنّاً مَنَّهُ. ويروى عن مسلمة أنه قرأ ﴿جميعاً مَنُّهُ﴾ بالرفع على إضمار مبتدأ.

﴿قُلْ لِلّذينَ آمَنُوا يَغفِرُوا لِلَّذينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللهِ..﴾ [١٤]

﴿يغفروا﴾ في موضع جزم. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٤٥]: هذا مجزوم بالتشبيه بالجزم

رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

والشرط كأنه كقولك: قُمْ تُصِبْ خيراً. وليس كذلك. قال أبو جعفر: يذهب إلى أنه لما وقع في جواب الأمر كان مجزوماً وإن لم يكن جواباً. وهذا غير مُحَصَّل والأولى فيه ما سمعت عليَّ بن سليمان يحكيه عن محمد بن يزيد عن أبي عثمان المازني قال: التقدير: قُل لِلَّذِينَ آمَنُوا اغفِرُوا يَغفِرُوا. وهذا قول محصَّل لا إشكال فيه، وهو جواب كما تقول: أكرِمْ زيداً يُكْرِمك. وتقريره: إن تُكرمهُ يُكرمك.

وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم ﴿لِيَجزيَ قوماً﴾، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿لِنَجزِيَ قوماً﴾ بالنون، وقرأ أبو جعفر القارئ ﴿لِيُجزى قوماً﴾. قال أبو جعفر: القراءة الأولى والثانية حسنتان معناهما واحد، وإن كان أبو عبيد يختار الأولى ويحتج بأنّ قبله ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ فيختار ﴿لِيَجزِيَ قوماً﴾ ليعود الضمير على اسم الله جلّ وعزّ، وهذا لا يوجب اختياراً؛ لأنه كلام الله جلّ وعزّ ووحيه، فقوله جلّ ثناؤه لِنَجزِيَ إخباراً عنه جلّ وعزّ فأما ﴿لِيُجْزِيَ قوماً﴾ فقال أبو إسحاق: هو لحن عند الخليل وسيبويه وجميع البصريين، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٤٦]: هو لحن في الظاهر، وهو عند البصريين لحن في الظاهر والباطن، وإنما أجازه الكسائي على شذوذ بمعنى: لِيُجزَى الجزاءُ قوماً فأضمر الجزاء ولو أظهره ما جاز، فكيف وقد أضمره؟ وقد أجمع النحويون على أنه لا يجوز: ضُرِبَ الضربُ زيداً، حتى أنه قال بعضهم: لا يجوز: ضُرِبَ زيداً سوطاً؛ لأن سوطاً مصدر، وإنما يقام المصدر مقام الفاعل مع حروف الخفض إذا نُعت فإذا لم يكن منعوتاً لم يجز. وهذا أعجب أن يقام المصدر مقام الفاعل غير منعوت مع اسم غير مصدر، وفيه أيضاً علّة أخرى أنه أضمر الجزاء ولم يتقدم له ذكر على أن ﴿يجزي﴾ يدلّ عليه. وهذا، وإن كان يجوز فإنه مجاز، فأما إنشادهم:

وَلَو وَلَدَتْ قُفَيرَةُ جِرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بِذَلِكَ الجِروِ الكِلابا

فلا حجة فيه، ورأيت أبا إسحاق يذهب إلى أن تقديره: ولو ولدت قُفيرةُ الكلاب، والجرو كلب، منصوب على النداء.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ..﴾ [١٦]

﴿ثم جعلناك على شريعةٍ من الأمرِ فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [١٨]

قال مالك بن دينار: سألت مجاهداً عن الحكم فقال: اللبّ. قال محمد بن يزيد:

إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

الشريعة: المنهاج والقصد، ومنه شريعةُ النهر، وطريق شارع أي واضح بيّن، وشرائع الدين التي شرَّعها الله جلّ وعزّ لعباده ليعرفوها، وجَمعُ شريعة شرائع، وحكي أنه يقال: شرعٌ، وحقيقته أن شرعاً جَمعُ شِرْعَة.

﴿.. وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ..﴾ [١٩]

﴿بعضهم﴾ مرفوع بالابتداء وأولياء خبره والجملة خبر ﴿إنّ﴾ ويجوز نصب بعضهم على البدل من الظالمين ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ مبتدأ وخبره، ويجوز النصب بعطفه على ﴿إنّ﴾.

﴿هذا بَصَائِرُ﴾ [٢٠]

قال الكسائي: قال: ﴿هذا بَصَائِرُ﴾ ولم يقل: هذه بصائر لأنه أراد القرآن والوعظ.

﴿أم حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ..﴾ [٢١]

﴿الذين﴾ في موضع رفع بحسب ﴿أن نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أن وصلتها بمعنى المفعولين، والهاء والميم في موضع نصب مفعول أول لنجعلهم، ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في موضع المفعول الثاني ﴿سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدأ وخبره. هذه قراءة أهل الحرمين وأبي عمرو وعاصم، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: ﴿سواءً محياهُمْ ومَمَاتُهُمْ﴾ بنصب سواء، قال أبو عبيد: وكذلك يقرؤها نصباً بوقوع ﴿نجعلهم﴾ عليها. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤٣٣]: وأجاز بعض النحويين ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتَهُمْ﴾ وقد قُرئ به.

قال أبو جعفر: القراءة الأولى: ﴿سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هي التي اجتمعت عليها الحجة من الصحابة والتابعين والنحويين، كما قرئ على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل بن إسحاق عن مُسَدَّد عن يحيى عن عبدالملك عن قيس عن مجاهد في قوله جلّ وعزّ: ﴿سواءٌ محياهم ومماتهم﴾ قال: المؤمن يموت على إيمانه ويُبعَث عليه، والكافر يموت على كفره ويُبعَث عليه.

وعن أبي الدرداء قال: يُبعَث الناس على ما ماتوا عليه، ونحو هذا عن تَميم وحُذَيفة فاجتمعت الحجة على أنه لا يجوز القراءة إلاّ بالرفع، وإن من نصب فقد خرج من هذه التأويلات، و﴿سواءٌ﴾ مرفوع بالابتداء على هذا لا وجه لنصبه لأن المعنى: إنّ المؤمنين مستوون في محياهم ومماتهم، والكافرون مستوون في محياهم ومماتهم، ثم يرجع إلى النصب فهو يكون من غير هذه الجهة، وذلك من جهة ذكرها الأخفش سعيد [معاني القرآن: ٢/٦٩١، ٦٩٢]، قال: يكون المعنى: أم حَسِب الذين اجترحوا السيّئات أن نجعل محياهم ومماتهم مستوياً كمحيا

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

المؤمنين ومماتهم. فعلى هذا الوجه يجوز النصب، وعلى هذا الوجه الاختيار عند الخليل وسيبويه رحمهما الله الرفع أيضاً، ومسائل النحويين جميعاً على الرفع كلهم، تقول: ظننتُ زيداً سواءٌ أبوهُ وأمُّهُ، ويجيزون النصب ومسائلهم على الرفع.

وأعجب ما في هذا إذا كانت مسائل النحويين كذا فكيف قرأ به الكسائي واختاره أبو عبيد؟ فأما القراءة بالنصب ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ ففيها وجهان. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٤٧]: المعنى في محياهم وفي مماتهم ثم حُذِفت ﴿في﴾ يذهب إلى أنه منصوب على الوقت، والوجه الآخر أن يكون ﴿محياهم ومماتهم﴾ بدلا من الهاء والميم التي في ﴿نجعلهم﴾ بمعنى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعل محياهم ومماتهم سواءً كالذين آمنوا وعملوا الصالحات أي كمحيا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومَمَاتِهِم. ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ إن جعلت ﴿ما﴾ معرفة فموضعها رفع، وإن جعلتها نكرة فموضعها نصب على البيان.

﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمواتِ وَالأرْضَ بِالحَقِّ وَلِتُجزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ..﴾ [٢٢]

لام كي لابدّ من أن تكون متعلّقة بفعل إمّا مضمر وإمّا مظهر، وهو ههنا مضمر أي ولِتُجزى كلّ نفس بما كسبت فُعِلَ ذلِكَ.

﴿أفَرَأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ..﴾ [٢٣]

﴿مَنْ﴾ في موضع نصب. وللعلماء في معناها ثلاثة أقوال فمن أجلّها ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿أفَرَأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ﴾ قال: الكافر اتخذ دينه بغير هدًى من الله جلّ وعزّ ولا برهان. وقال الحسن: هو الذي كلما اشتهى شيئاً لم يمتنع منه. وقال سعيد بن جبير: كان أحدهم يعبُدُ الشيء فإذا رأى غيره أحسَنَ منه عبده وترك الآخر. قال أبو جعفر: قول الحسن على التشبيه كما قال جلّ وعزّ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] والأشبه بنسق الآية أن يكون للكفار.

﴿وَأضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: منها أن المعنى أضلّهُ على الثواب على علم منه بأنه لا يستحقه، والقول الثاني أن المعنى على علم منه بأنّ عبادته لا تنفعه، وهذان القولان لم يقلهما متقدّم، وأولى ما قيل في الآية ما رواه علي بن أبي طلحة عن أبي عباس ﴿وَأضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ قال: في سابق علمه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٣٤]. قال سعيد بن جبير: ﴿وَأضَلَّهُ

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ أي على علم قد عَلِمَهُ منه وَخَتَمَ ﴿عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ قال أبو جعفر: قد ذكرناه في سورة «البقرة».

﴿وجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ وفي قراءة عبدالله ﴿وجَعَلَ على بَصَرِهِ غَشَاوَةً﴾ مروية بفتح الغين، وهي لغة ربيعة فيما يظن الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٤٨]. وقراءة عكرمة: ﴿غُشَاوَةً﴾ بضم الغين. وهي لُغة عُكْل. قال أبو الحسن بن كيسان: ويحذف الألف منها فيكون فيها إذا حُذفت الألف ثلاث لغات: غَشْوَةٌ غُشْوَةٌ غِشْوَةٌ. وأما المعنى فمتقارب، إنما هو تمثيل أي لا يبصر الحق فهو بمنزلة من على بصره غِشاوة إلاّ أن الأكثر في كلام العرب في مثل هذا أن يكون على فِعَالة وذلك في كل ما كان مشتملا على الشيء نحو عِمَامَة وكذا وِلايَة.

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا..﴾ [٢٤]

قد ذكرناه إلاّ أن علي بن سليمان قال: المعنى: ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا على قولكم، واستبعد أن يكون المعنى: نَحْيا ونموت على التقديم والتأخير، وقال: إنما يجوز هذا فيما يُعرَفُ معناه نحو ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾ [آل عمران: ٤٣]. قال أبو جعفر: وأهل العربية يخالفونه في هذا، ويجيزون في الواو التقديم والتأخير في كل موضع.

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٤٨]: معنى ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ﴾ أي طول الدهر ومرّ الأيام والليالي والشهور والسنين، وتكلّم جماعة في معنى الآية فقال بعضهم: هؤلاء قوم لم يكونوا يعرفون الله جلّ وعزّ، ولو عرفوه لَعلِمُوا أنه يُهلِكُهُم ويُمِيتُهُم. وقال قوم: يجوز أن يكونوا يعرفون الله جلّ وعزّ وعندهم أنّ هذه الآفات التي تلحقهم إنّما هي بعلل ودوران فلك، يقولون هذا بغير حجة ولا علم. وقال قوم: هؤلاء جماعة من العرب يعرفون الله جلّ وعزّ يدلّ، على ذلك قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وفيهم من يؤمن بالبعث. قال زهير:

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ في كتابٍ فَيُدَّخَرْ ليومِ الحسابِ أو يُعجَّلْ فَيُنْقَمِ

غير أنهم كانوا جَهَلَة لا يعلمون أن الآفات مقدّرة من الله عزّ وجلّ: وهذا أصحّ ما روي في الآية وأشبه بنصها، وقد قامت به الحجة بالظاهر ولأنه مرويّ عن ابن عباس أنه قال في قوله جلّ وعزّ ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال: قالوا: لا نُبعَثُ، بِغَيرِ علم، فقال الله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إنْ هُمْ إلاّ يَظُنُّونَ﴾.

﴿.. مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ..﴾ [٢٥]

خبر كان [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٣٤] ﴿إلاّ أنْ قَالُوا﴾ اسمها، ويجوز ﴿ما كان

قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

﴿حُجَّتُهُمْ﴾ بالرفع على أنه اسم كان؛ لأن الحجة والاحتجاج واحد، ويكون الخبر **﴿إِلَّآ أَن قَالُوا﴾** أي إلاّ مقالتهم.

﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ..﴾ [٢٦]

حُذِفَت الضمة من الياء لثقلها **﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾** عطف عليه وكذا **﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾** **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** قيل: أي بمنزلة من لا يعلم، وقيل: عليهم أن يعلموا.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ..﴾ [٢٧]

أي فهو قادر على أن يحييكم **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾** ظرف منصوب بـ **﴿يَخْسَرُ﴾**.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ..﴾ [٢٨]

على الابتداء، وأجاز الكسائي **﴿كُلَّ أمة﴾** على التكرير على كلّ الأولى. وقد ذكرنا معنى **﴿تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾** وإن أولى ما قيل فيه أنه إلى ما كتب عليها من خير وشر، كما رُوِيَ عن ابن عباس: يُعرَض من خَمِيس إلى خميس ما كَتَبَتْهُ الملائكة عليهم السلام على بني آدم فيُنسخ منه ما يُجزَى عليه من الخير والشر ويُلغَى سائره. فالمعنى على هذا كلّ أمة تُدعى إلى ما كتب عليها وحُصّل فتلزمه من طاعة أو معصية، وإن كان كفراً أُوقِفَ عليه وأُتبِعَ ما كان يعبد، كما قرئ على إسحاق بن إبراهيم بن يونس عن إسحاق بن أبي إسرائيل عن سفيان بن عيينة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربّنا جلّ وعزّ يوم القيامة؟ فقال: **«هل تُضارُّون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب»** قالوا: لا قال: **«فهل تضارُّون في الظهيرة ليس دونها سحاب»** قالوا: لا. قال: **«فوالذي نفس محمد بيده لترونه كما ترونها»**.

قال: **«ويلقى العبدَ ربُّهُ يوم القيامة، فيقول: أي فل ألَمْ أُكرِمك وأُسوِّدك وأُزوِّجك وأُسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي ربّ، قال: فيقول: هل كنت تعلم أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا يا ربّ فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يقول للثاني مثل ذلك فيقول له مثل ذلك ويرد عليه مثل ذلك، ثم يقول للثالث مثل ذلك، فيقول: أي ربّ آمنت بك وبكتابك وصُمتُ وصلّيت وتصدّقت. قال: فيقول: أفلا نبعث شاهدنا عليك؟ قال: فيكفر في نفسه فيقول: من ذا الذي يشهد عليّ؟ فيختم الله جلّ وعزّ على فيه ويقول لفخذه: انطقي فتنطق فخذهُ وعظامه ولحمه بما كان، وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي يسخط عليه وذلك المنافق»** [م: ٧٣٦٤، د: ٤٧٣٠].

قال: «ثم ينادي منادٍ: ألا اتَّبعتْ كلّ أُمّة ما كانت تعبد فيتبع الشياطين والصُّلب أولياؤهما، ويبقينا أيها المؤمنون. قال: فيأتينا ربّنا جلّ وعزّ فيقول: من هؤلاء؟ فيقولون: عبادك المؤمنون آمنّا بك ولم نُشرك بك شيئاً، وهذا مقامنا حتى يأتينا ربنا جلّ وعزّ فيثبّنا. قال: فينطلقون حتى يأتوا الجسر وعليه كلاليب من نار تخطف الناس فهناك حلّت الشفاعة أي اللّهمّ سلّم، فإذا جاوزوا الجسر فكل من أنفق زوجاً مما يملك من المال في سبيل الله فكل خَزَنَةِ الجنة تدعوه: يا عبد الله يا مسلم. هذا خير، فتعال». قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله إنّ هذا العبد لا توى عليه يدع باباً ويلج من آخر قال: فضرب كتفه وقال: «والذي نفسي بيده إنّي لأرجو أن تكون منهم» [ابن حبان في «صحيحه»: ١٦/ ٤٨٠].

وقرىء على أحمد بن شعيب بن عيسى بن حماد قال: أخبرنا الليث بن سعد عن إبراهيم ابن سعد عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربّنا جلّ وعزّ يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «هل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ وهل تُضارون في القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا. قال: «فكذلك ترونه» قال: «يجمع الله جلّ وعزّ الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من يعبد الشمس الشمس، ويتبع من يعبد القمر القمر، ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة بمنافقيها، فيأتيهم الله جلّ وعزّ في الصور التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربّنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأُمتي أول من يجيز ولا يتكلم إلاّ الرسل عليهم السلام. ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب كشوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ فإنه مثل شوك السعدان غير أنه لا يدري ما قدر عظمها إلاّ الله عزّ وجلّ. فيخطف الناس بأعمالهم. فإذا أراد الله جلّ وعزّ أن يُخرج من النار برحمته من شاء أمر الملائكة أن يُخرجوا من كان لا يشرك بالله شيئاً. فمن يقول: لا إله إلاّ الله ممن أراد أن يرحمه فيعرفونهم في النار بآثار السجود، حرّم الله عزّ وجلّ النار على ابن آدم أن تأكل آثار السجود، فيخرجونهم من النار، وقد امتُحِشُوا فيصبُّ عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبّة في حميل السّيل».

قال أبو جعفر: فأمّا تفسير ﴿تُضارون﴾ فمثله مما أخذناه عن أبي إسحاق بشرح كل رواية فيه مما لا يحتاج إلى زيادة، قال: والذي جاء في الحديث مخفّف ﴿تُضَارُونَ وتُضَامُونَ﴾ وله وجه حسن في العربية، وهذا موضع يحتاج أن يُستقصى تفسيره فإنه أصل في السُّنّة والجماعة، ومعناه: لا ينالكم ضيرٌ ولا ضيمٌ في رؤيته أي ترونه حتّى تستووا في الرؤية فلا يضير بعضكم بعضاً. قال: وقال أهل اللغة قولين آخرين قالوا: لا تُضَارّونَ بتشديد الراء ولا تُضامّون بتشديد الميم مع ضم التاء. قال: وقال بعضهم بفتح التاء وبتشديد الراء والميم على معنى تتضارّون وتَتَضامّون. وتفسير

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾

هذا أنه لا يضار بعضكم بعضاً أي لا يخالف بعضكم بعضاً في ذلك. يقال: ضارَرْتُ الرجل أضارّهُ مُضارّةً وضِراراً إذا خالفته. ومعنى لا تُضامُّون في رؤيته: لا ينضم بعضكم إلى بعض فيقول واحد للآخر أرنيه، كما يفعلون عند النظر إلى الهلال.

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالحَقِّ..﴾ [٢٩]

﴿ينطق﴾ في موضع نصب على الحال. ويجوز أن يكون في موضع رفع على خبر هذا و﴿كتابنا﴾ بدل من هذا.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ [٣٠]

﴿الذين﴾ في موضع رفع بالابتداء وخبره ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ [٣١]

﴿الذين﴾ في موضع رفع أيضاً، وحُذف القول كما يحذف في كلام العرب كثيراً، فلمّا حذف حذفت الفاء معه لأنها تابعة له ﴿فاستكبرتم﴾ الاستكبار في اللغة الأنفة من اتباع الحق، وقد بيّن الله جلّ وعزّ على لسان رسوله ﷺ حين سئل: ما الكبر؟ كما قرىء على إسحاق بن إبراهيم ابن يونس عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب عن هشام عن محمد عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ وكان رجلاً جميلاً فقال: يا رسول الله حُبّبَ إليّ الجمال وأُعطيتُ منه ما ترى حتى ما أُحبّ أن يفوقني أحد، إمّا قال: بِشراكِ نَعل وإمّا قال: بِشسع، أفمِنَ الكِبرِ ذلك؟ قال: «لا ولكن الكِبرُ مَن بَطِر الحق وغَمَصَ الناس» [د:٤٠٩٢].

قال إسحاق: وحدّثنا الوليد بن شجاع قال: حدّثنا عطاء بن مسلم الخفاف عن محمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يُحشَرُ المتكبّرونَ ـ أحسَبُهُ قالَ ـ في صُوَرِ الذَّر» [ت: ٢٤٩٢، حم: ٢/١٧٨] قال إسحاق: وحدّثنا محمد بن بكار قال: حدّثنا إسماعيل يعني ابن علية عن عطاء بن السائب عن الأغرّ عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «قال جلّ وعزّ: الكِبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيتُهُ في جهنّم» [م: ٦٦٢٣، د: ٤٠٩٠، جه: ٤١٧٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا..﴾ [٣٢]

وقرأ الأعمش وحمزة ﴿والساعةَ لا ريبَ فيها﴾ عطفاً بمعنى: وإنّ الساعةَ لا ريبَ فيها.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾

والرفع بالابتداء، ويجوز أن يكون معطوفاً على الموضع أي وقيل ﴿الساعةُ لا ريبَ فيها﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٣٥]، ويجوز أن تكون الجملة في موضع الحال. وزعم أبو عبيد أنه يلزم من قرأ بالرفع ههنا أن يقرأ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥] وفي هذا طعن على جماع الحجة لأنه قد قرأها هنا بالرفع وثَمّ بالنصب مَنْ يقوم بقراءتهم الحجة منهم نافع وعاصم قرآ ﴿والساعةُ لا ريبَ فيها﴾ وقرآ ﴿والعينَ بالعينِ﴾ بالنصب، وكذا ما بعده. وفيه أيضاً طعن على عبد الله بن كثير وأبي عمرو بن العلاء وأبي جعفر القارىء وعبد الله بن عامر لأنهم قرؤوا ﴿والساعةُ لا ريبَ فيها﴾ وقرؤوا ﴿والعينَ بالعينِ﴾ بالنصب، وكذا ما بعده إلاّ ﴿والجروحُ قِصاصٌ﴾ والحديث المروي عن النبي ﷺ أنه قرأ ﴿والعينُ بالعينِ﴾ لا يجوز أن يكون في موضع الحال. وقد ذكر أبو عبيد أن مثله ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ [لقمان: ٢٧] وهو مخالف له؛ لأن ﴿والبحرُ﴾ أولى الأشياء به عند النحويين أن يكون في موضع الحال وأبعدُ الأشياء في ﴿الساعة لا ريبَ فيها﴾ أن يكون في موضع الحال.

﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إنْ نَظُنُّ إلاّ ظَنّاً﴾ وهذا من مشكل الإعراب وغامضه لأنه لا يقال: ما ضَرَبتُ إلاّ ضرباً، وما ظَنَنتُ إلاّ ظنّاً، لأنه لا فائدة فيه أن يقع بعد حرف الإيجاب لأن معنى المصدر كمعنى الفعل. فالجواب عن الآية عن محمد بن يزيد على معنيين: أحدهما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي إن نحنُ إلاّ نظُنّ ظنّاً، وزعم أن نظيره من كلام العرب حكاه أبو عمرو بن العلاء وسيبويه [الكتاب: ١/٧٣]: ليس الطيبُ إلاّ المسكُ أي ليس إلاّ الطيب المسكُ، والجواب الآخر أن يكون التقدير: إن نظُنُّ إلاّ أنّكم تظُنّون ظناً.

﴿وحَاقَ بِهِمْ﴾ [٣٣]

قال أبو العباس: ﴿وحَاقَ بِهِمْ﴾ نزل بهم.

﴿اليومَ نَنساكُم﴾ [٣٤]

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿اليومَ نَنساكُمْ﴾ قال: نترككم ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ يكون من النسيان أي تشاغلتم عن يوم القيامة بلذاتكم وأُمور دنياكم فوبّخهُمُ الله عزّ وجلّ على ذلك. ويجوز أن يكون المعنى: كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا [معاني القرآن للفراء: ٣/٤٩]. وحقيقته في العربية: كما تركتم عمل لقاء يومكم مثل ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

﴿فَلِلّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمواتِ وَرَبِّ الأرضِ رَبِّ العَالَمِينَ.﴾ [٣٦]

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

على البدل، ويجوز أن يكون نعتاً.

﴿وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ [٣٧]

قال محمد بن يزيد: الكبرياء الجلال والعظمة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٣٦] ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ مبتدأ وخبره.

٤٦ ـ سورة الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾

شرح إعرب سورة الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [٣]

﴿الذين﴾ في موضع رفع بالابتداء، ومن العرب من يقول: اللذونَ في غير القرآن إذا كان موضع رفع.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [٤]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٤٩]: وفي قراءة عبد الله ﴿قُلْ أَرَيْتُمْ مَّنْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ يعني بالنون، ﴿أريتُمْ﴾ لغة معروفة للعرب كثيرة، وأرأيتم الأصل، ولغة ثالثة أن يخفف الهمزة التي بعد الراء فتجعل بينَ بينَ. ومن قرأ ﴿ما تدعون﴾ جاء به على بابه لأنه للأصنام. ومن قرأ ﴿من﴾ فلأنهم قد عبدوها فأنزلوها منزلة ما يعقل. وعلى هذا أجمعت القرّاء على أن قرؤوا ﴿خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ﴾ ولم يقرؤوا خَلَقْنَ ولا خَلَقَت ولا لَهُنّ ولا لَها.

﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ ﴿أو أثْرة﴾، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٥٠] لغة ثالثة وهي ﴿أثَرة﴾ بفتح الهمزة، وحكى الكسائي لغة رابعة وهي ﴿أو أُثْرة﴾ بضم الهمزة والمعنى في اللغات الثلاث عند الفرّاء واحد، والمعنى عنده: بقيّة من عِلم، ويجوز أن يكون المعنى عنده: شيئاً مأثوراً من كتب الأولين، فأثارةٌ عنده مصدر كالسماحة والشجاعة، وأثْرةٌ عنده بمعنى أثَر كقولهم: قَتَرة وقَتَر، وأثَرَةٌ كخَطفة. فأما الكسائي فإنه

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ
النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ
هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ
كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٨﴾

قال: أَثارةٌ وأَثرَةٌ وأثْرَةٌ كل ذلك تقول العرب، والمعنى فيهن كلهن عنده معنى واحد بمعنى الشيء المأثور. قال أبو جعفر: ومعنى الشيء المأثور المتحدَّثُ به.

ومما صح سنده عن النبي ﷺ أنه سمع عمر وهو يقول: وأبي، فقال: «إنَّ الله جلّ وعزّ ينهاكُمْ أن تَحلِفُوا بآبائكم فمن كان حالفاً فَلْيَحْلِفْ بالله جلّ وعزّ أو ليسكت» [م: ٤٢٣٤، د: ٣٢٤٩] قال عمر: فما حلفت بها بعد ذاكراً ولا آثراً. وفي بعض الحديث «من حَلَفَ بغيرِ الله جلّ وعزّ فقد أشرك» [د: ٣٢٥١، ت: ١٥٣٥] وفي آخر «فقد كفر» فقوله «ذاكراً» معناه مُتكلِّماً بها، وقائلاً بها، كما يقال: ذَكَرتُ لِفلان كذا، ومعنى ﴿ولا آثراً﴾: ولا مُخبراً بها عن غيري أنه حلف بها. ومن هذا حديث مأثور، يقال: أَثَرَ الحديثَ يأثُرُهُ، وأَثِرَ بفعلِ ذلك وآثَرَ فُلانٌ فلاناً، إذا فضّلهُ، وأثار التراب يُثِرْهُ، وَوَثُرَ الشيءُ ويَوثُر إذا صار وطيئاً ومنه قيل: مِيثَرةٌ انقلبت الواو فيها ياء.

وفي معنى قول النبي ﷺ: «من حَلَفَ بغير الله جلّ وعزّ فقد أشرك» أقوال: أصحها أن المعنى: فقد أشرك في تعظيم الله جلّ وعزّ غير الله؛ لأنه إنما يَحلِفُ الإنسان بما يُعظِّمُهُ أكبر العظمة، وهذا لا ينبغي أن يكون إلاّ لله جل عز. وفي قوله ﷺ: «فقد كفر» أقوال: فمن أصحها أن الكفر هو التغطية، والمعنى: فقد غطى وستر ما يجب أن يظهر من تعظيم الله جلّ وعزّ.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ..﴾ [٥]

أي ومن أضل عن الحق ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٥٠]: وفي قراءة عبد الله ﴿ما لا يستجيب لهُ﴾ والقول فيه مثل ما تقدم.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً..﴾ [٦]

أي يتبرؤون منهم ومن عبادتهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ..﴾ [٧]

نصب على الحال.

﴿.. هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ..﴾ [٨]

قال محمد بن يزيد: أي بما تمضون فيه قال: ومنه حديث مستفيض ومُستفاض فيه إذا شاع

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
(٩) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ
يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١)﴾

حتى يتكلم الناس فيه. ﴿كَفَى به شَهيداً﴾ نصب على الحال، ويجوز أن يكون نصباً على البيان والباء زائدة جيء بها للتوكيد؛ لأن المعنى: اكتفوا به، قال: فإذا قلت: كفى بزيد، فمعناه كفى زيدٌ.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ..﴾ [٩]

قال محمد بن يزيد: البِدعُ والبَديعُ: الأوّل. يقال: ابتدع فلان كذا، إذا أتى بما لم يكن قبله، وفلان مُبتدعٌ من البِدعةِ وهي التي لم يتقدم لها شبه، وقال عزّ وجلّ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي مبتدئهما. ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ حُذفت الضمة من الياء لثقلها، وكذا وإن أدري.

﴿.. وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ..﴾ [١٠]

قيل: شاهد بمعنى شهود تشهد جماعة من بني إسرائيل ممّن أسلم على أنهم قد قرؤوا التوراة. وفيها تعريف نزول القرآن من عند الله جلّ وعزّ، ومن أجلّ ما روي في ذلك ما رواه مالك بن أنس عن أبي النضر عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يشهد لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلاّ عبد الله بن سلام ففيه نزلت ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قال أبو جعفر: ومع هذا فقد عارض هذا الحديث علماء جلّةٌ منهم مسروق والشّعبي فقالا: لم تنزل في عبد الله بن سلام؛ لأن السورة مكية وعبد الله بن أسلام بالمدينة، وإنما نزلت في غيره. والحديث صحيح السند وقد احتُجّ على من أنكر ذلك بأن السورة وإن كانت مكية فإنه قد يجوز أن يُضم إليها بعض ما أنزل بالمدينة لأن التأليف من عند الله جلّ وعزّ يأمر به رسول الله ﷺ كما أحب وأراد. فهذا قول بيّن، وقد قيل: إن قريشاً وجهت من مكة إلى المدينة لأنه كان بها علماء اليهود يسألون عن أمر النبي ﷺ فشهد عبد الله بن سلام بنبوته ﷺ فأنزل الله جلّ وعزّ ﴿قُلْ أَرأيتُم إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ الآية، ومع هذا كلّه فإن الحديث، وإن كان صحيح السند فقد قيل: إن الذي في الحديث من قوله: وفيه نزلت ليس من كلام سعد وإنما هو من كلام بعض المحدّثين خُلِط بالحديث ولم يُفصل.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ..﴾ [١١]

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾

روى ابن المبارك عن معمر عن قتادة قال: قال قوم من المشركين: نحن ونحن يفتخرون، لو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان يعنون عماراً وبلالاً وصُهيباً وضروبهم فأنزل الله جلّ وعزّ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥].

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ﴾ زعم سيبويه [الكتاب: ٣٢/١] ﴿إذ﴾ أن لا يجازى بها حتى يُضم إليها [ما]، وكذا [حيث]. قال أبو جعفر: والعلة في ذلك أن [ما] يفصلها من الفعل الذي بعدها فتعمل فيه، وإذا لم تأت بما كان متصلاً بها وهي مضافة إليه فلم تعمل فيه. ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي تقدّم مثلهُ في سالف الدهور.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً..﴾ [١٢]

﴿إماماً﴾ منصوب على الحال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤٤٠/٤] أي يُؤتم به ﴿ورحمةً﴾ عطف على إمام أي ونعمة ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً﴾ منصوب على الحال والضعيف في العربية يتوهم أنه حال من نكرة؛ لأن الذي قبله نكرة والحال من النكرة ليس بجيد، ولا يقال في كتاب الله جلّ وعزّ ما غيرهُ أجود منه فلساناً منصوب على الحال من المضمر الذي في مُصَدِّق، والمضمر معرفة وجاز نصب لسان على الحال؛ لأنه بمعنى مبين، وكان علي بن سليمان يقول في هذا: هو توطئة للحال و ﴿عربياً﴾ منصوب على الحال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤٤١/٤]، كما تقول: هذا زيدٌ رجلاً صالحاً ﴿لِتُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالتاء. هذه قراءة المدنيين، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ واختيار أبي عبيد ﴿لِتنذِرَ﴾ بالتاء، واحتج بقوله جل وعزّ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧].

قال أبو جعفر: والمعنى في القراءتين واحد، ولا اختيار فيهما؛ من قرأ ﴿لِينذر﴾ جعله للقرآن أو لله جلّ وعزّ، وإذا كان للقرآن فالنبي ﷺ هو المنذر به وكذا إذا كان لله جلّ وعزّ فإذا عُرف المعنى لم يقع في ذلك اختيار كما قال جلّ وعزّ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فقد عُلِم أن الغافر هو الله جلّ وعزّ والقراءة نغفر ويغفر واحد، وكذا ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨] و ﴿يَغفِرْ﴾ واحد ليس أحدهما أولى من الآخر ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ في موضع رفع عطفاً على ﴿كتاب﴾ ، ويجوز أن يكون في موضع نصب على المصدر ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤٤١/٤] قال ابن عيينة: الإحسان: التفضل والعدل والإنصاف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا..﴾ [١٣]

أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ

أي على طاعة الله جلّ وعزّ، ثم أخبر جلّ ثناؤه بما لهم فقال: ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي في الآخرة ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلّفوا في الدنيا. كذا قال أهل التفسير.

﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [١٤]

وبعده خبر آخر وهو ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ نصب على الحال. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مصدر.

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً..﴾ [١٥]

هذه قراءة المدنيين والبصريين، وكذا في مصاحفهم، وقرأ حمزة والكسائي ﴿إحساناً﴾ وروي عن عيسى بن عمر أنه قرأ ﴿حَسَناً﴾ بفتح الحاء والسين فأما ﴿حُسْنَى﴾ بغير تنوين فلا يجوز في العربية لأن مثل هذا لا تنطق به العرب إلاّ بالألف واللام الفضلى والأفضل والحسنى والأحسن. وإحسان مصدر أحسَنَ وحُسْناً بمعناه، وحَسَنٌ على إقامة النعت مقام المنعوت أي فعلاً حَسَناً وينشد بيت زهير:

يَطلُبُ شَأْوَ امرأينِ قَدَّمَا حَسَناً فَاتَا المُلُوكَ وبَذّا هَذِهِ السُّوقَا

أي فعلاً حسناً. وهذا مثل هذه القراءة.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ هذه قراءة حمزة والكسائي، وهي مروية عن الحسن، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو عمرو وأبو جعفر وشيبة ونافع ﴿كَرْهاً﴾ بفتح الكاف. وعارض أبو حاتم السجستاني هذه القراءة بما لو صح لوجب اجتنابها؛ لأنه زعم أن الكره: الغضب والقهر، وأن الكره: المكروه، واحتج بأن الجميع قرؤوا ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ﴾ [النساء: ١٩]، وذكر أن بعض العلماء سمع رجلاً يقرأ ﴿حَمَلَتْهُ أمه كَرهاً ووضعته كَرهاً﴾ فقال: لو حملته كرهاً لرمت به، يذهب إلى أن الكره القهر والغضب.

قال أبو جعفر: في هذا طعن على مَنْ تثبتُ الحجة بقراءته، وحكايته عن بعض العلماء لا حجة فيها لأنه لم يسمه ولا يعرف، ولو عُرِفَ لما كان قوله حجة، إلاّ بدليل وبرهان. والحجة في هذا قول من يُعرَفُ ويُقتَدى به. إن الكَره والكُره لغتان بمعنى واحد، بل قد روي عن محمد ابن يزيد أنه قال: الكَرهُ أولى لأنه المصدر بعينه. وقد حكى الخليل وسيبويه رحمهما الله أن كل

ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

فعل ثلاثي فمصدره فَعْلٌ، واستدلاً على ذلك أنك إذا رددته إلى المرة الواحدة جاء مفتوحاً نحو قام قَومةً، وذهب ذَهبةً، فإذا قلت: ذهبَ ذهاباً فإنما هو عندهما اسم للمصدر لا مصدر، وكذلك الكُرهُ اسم للمصدر والكَره المصدرُ.

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ التقدير: وقت حمله مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وقرأ أبو رجاء وعاصم الجحدري ﴿وحَمْلُهُ وفَصْلُهُ﴾ فرويت عن الحسن بن أبي الحسن، واحتج أبو عبيد للقراءة الأولى بالحديث «لا رضاعَ بَعدَ فِصال» [جه: ١٩٤٦] وأبين من هذه الحجة أن فصالاً مصدر مثلُ قِتال، وهذا الفعل من اثنين لأن المرأة والصبي كل واحد منهما ينفصل من صاحبه فهذا مثل القتال، وإن كان قد يقال: فَصَلهُ فَصْلاً وفِصالاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ جمع شدة عند سيبويه مثل نعمة. وقد ذكرناه بأكثر من هذا.

﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الأصل إنَّني حذفت النون لاجتماع النونات.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا..﴾ [١٧]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٥٣]: أي قذراً لكما. وقد ذكرنا ما في أُفّ من اللغات ﴿اتعِدَانِني﴾ وذكر بعض الرواة أن نافع بن أبي نعيم قرأ ﴿اتعِدانَني﴾ بفتح النون الأولى، وذلك غلط غير معروف عن نافع وإنما فتح نافع الياء فغلط عليه. وفتحُ هذه النون لحنٌ ولا يُلتفت إلى ما أنشد وهو:

أعـرِفُ مِـنـهـا الأنـفَ والـعَـيـنـانـا

وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: إن كان مثل هذا يجوز فليس بين الحق والباطل فرق، يتركون كتاب الله جلّ وعزّ ولغات العرب الفصيحة ويستشهدون بأعرابي بَوّال. ﴿أنْ أُخرَجَ﴾ وقرأ الحسن ﴿أنْ اخرُجَ﴾ وتقديره: أن اخرُجَ من قبري ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ أي يسألانه ويطلبان إليه أن يلطف لهما بما يؤمن به. ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾ يدُلك على أنهما احتجا عليه ووعظاه. ونصب ﴿ويلك﴾ على المصدر. وتوهم القائل لهذا القول أن الأمم لمّا لم تخرج من قبورها أحياء في الدنيا أنها لا تُبعث فذلك قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا..﴾ [٢٠]

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

هذه القراءة مروية عن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم وابن أبي إسحاق وحمزة والكسائي. وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿أأذهبتم﴾ وهذه القراءة مروية عن الحسن، والقراءتان عند الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٥٤] بمعنى واحد. قال الفرّاء: العرب تستفهم في التوبيخ ولا تستفهم، فيقولون: ذهبتَ ففعلتَ وفعلتَ، ويقولون: أذهبتَ ففعلتَ وفعلتَ؟ وكلٌّ صوابٌ. قال أبو جعفر: فأما ما روي عن محمد بن يزيد فتحقيق هذا، وهو أن الصواب عنده ترك الاستفهام فيقرأ ﴿أذهبتم﴾ وفيه معنى التقريع، وإن كان خبراً، والمعنى عنده: أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا فذوقوا العذاب. والاستفهام إذا قرأ ﴿أأذهبتم﴾ فهو على التوبيخ والتقرير، وإنما اختار أذهبتم بغير استفهام لأنّ الاستفهام إذا كان فيه معنى التقرير صار نفياً إذا كان موجباً، كما قال جلّ وعزّ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] وإن كان نفياً صار موجباً؛ لأن نفي النفي إيجاب كما قال:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَن رَكِبَ الْمَطَايَا وأنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

إلاّ أنّ من قرأ ﴿أذهبتم﴾ فليس يحمل معناه عنده على هذا، ولكن تقديره: أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا وتطلبون النّجاة في الآخرة ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ العامل في اليوم تُجزونَ يُنوى به التأخير ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ أي استكباركم وفسقكم، وإذا كانت ﴿ما﴾ هكذا مصدراً لم تحتج إلى عائد.

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ..﴾ [٢١]

صُرِف عادٌ لأنه اسمٌ للحي ولو جُعل اسماً للقبيلة لم ينصرف وإن كان على ثلاثة أحرف، وكذا لو سُمّيت امرأة بزيد لم ينصرف وإن سمّيتها بِهند جاز الصرف عند الخليل وسيبويه [الكتاب: ٢/ ٢٣] والكسائي والفرّاء إلاّ أن الاختيار عند الخليل وسيبويه تركُ الصرف، وعند الكسائي والفرّاء الأجود الصّرفُ. فأما أبو إسحاق فكان يقول: إذا سُمّيت امرأة بِهند لم يجز الصرف البتّة. وهذا هو القياس؛ لأنها مؤنثة وهي معرفة. فأما قول بعض النحويين: إنك إذا سميت بفعل ماض لم ينصرف فقد ردّه عليه سيبويه بالسماع من العرب خلاف ما قال، وأن له نصيراً من الأسماء، وكذا يقال: كَتَبْتُ أبا جاد بالصرف لا غير.

﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ قال مجاهد: الأحقاف أرض. وقال ابن أبي نجيح: الأحقاف: اسم أرض. وقال وهب بن مُنبّه: الأحقاف باليمن الأصنام والأوثان وقد قهروا الناس بكثرتهم وقوّتهم. وقال محمد بن يزيد: واحدُ الأحقاف حِقْفٌ وهو رملٌ مُكتنِزٌ ليس بالعظيم وفيه اعوجاج،

﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

قال: ويقال: احقوقفَ الشيء إذا اعوجّ حتى كاد يلتقي طرفاه، كما قال:

سَمَاوةُ الهِلالِ حتّى احقوقفا

[ديوان العجاج: ٤٩٦]

وانصرف الأحقاف وإن كان اسم أرض لأن فيه ألفاً ولاماً. قال سيبويه: واعلم أن كل ما لا ينصرف إذا دخلتهُ ألفٌ ولامٌ أو أضيف انصرف ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير، وهو الرسول. ويجوز أن تكون النذر اسماً للمصدر. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٥٤]: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ من قبله ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ من بعده ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ﴿أَنْ﴾ في موضع نصب أي بان ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ نعت لليوم ولو كان نعتاً لعذاب لنصب. ولا يجوز الجوار في كتاب الله تعالى وإنما يقع في الغلط.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً﴾ [٢٤]

قال محمد بن يزيد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً﴾ فيه جوابان: يكون التقدير: فلمّا رأوا السحاب [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٤٥]، وإن كان لم يتقدم للسّحاب ذكر لأن الضمير قد عُرِف ودلّ عليه ﴿عارضاً﴾، والجواب الآخر أن يكون جواباً لقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ أي فلمّا رأوا ما يوعدون عارضاً ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ يقدر فيه التنوين، وكذا ﴿قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أو ممطرٌ لنا، كما قال:

يا رُبَّ غابِطِنا لو كان يَطْلُبُكُم

[ديوان جرير: ٩٥]

أي غابط لنا ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٥٥]: وفي حرف عبد الله: قل بل ما استعجلتم به هي ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ. قال: وهي وهو مثل ﴿مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧] ويُمْنَى. من قال: ﴿هو﴾، ذهب إلى العذاب، ومن قال: ﴿هي﴾، ذهب إلى الريح.

﴿.. فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنَهُم..﴾ [٢٥]

هذه قراءة أهل الحرمين وأبي عمرو والكسائي، وهي المعروفة من قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس. وقرأ الأعمش وحمزة وعاصم ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ وهي المعروفة من قراءة ابن مسعود ومجاهد، وقرأ الحسن وعاصم الجحدري ﴿فأصبحوا لا تُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ بالتاء ورفع المساكن على اسم ما لم يُسمَّ فاعله. وهذه القراءة عند الفرّاء [معاني

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

القرآن: ٣/ ٥٥] بعيدة؛ لأن فعل المؤنث إذا تقدم وكان بعده إيجاب ذكرته العرب فيما زعم، وحكى: لم يقم إلاّ هندٌ؛ لأن المعنى عنده لم يقم أحد إلاّ هندٌ.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ..﴾ [٢٦]

قال محمد بن يزيد: ﴿ما﴾ بمعنى الذي و ﴿إنْ﴾ بمعنى ﴿ما﴾ أي ولقد مكّنّاهم في الذي مكّنّاكم فيه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٤٤٦] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً﴾ فجاء السمع مفرداً وما بعده مجموعاً ففيه غير جواب: منها أنه مصدر فلم يُجمع لذلك، ومنها أن يكون فيه محذوف أي وجعلنا لهم ذوات سمع، ومنها أن يكون واحداً يدلّ على جمع ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ﴾ تكون ﴿ما﴾ نفياً لا موضع لها من الإعراب، وإن جعلتها استفهاماً كان موضعها نصباً. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٥٦]: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾ أي عادَ، قال: وأهل التفسير يقولون: أحاط ونزل.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ القُرَى..﴾ [٢٧]

هذه لام توكيد. و﴿قد﴾ عند الخليل وسيبويه بمعنى التوقع مع الماضي، فإذا كانت مع المستقبل أدت معنى التقليل، تقول: قد يقومُ أي يقلّ ذلك منه.

﴿فَلَوْلا نَصَرَهُمْ..﴾ [٢٨]

لَولاَ وهلاّ واحد، كما قال:

بَـنِـي ضَـوطَـري لَـولاَ الـكَـمِـيَّ الـمُـقَـنَّـعَـا

[ديوان جرير: ٣٣٨]

أي هلاّ ﴿قُرْبَاناً آلِهَةً﴾ يكون ﴿قرباناً﴾ مصدراً، ويكون مفعولاً من أجله، ويكون مفعولاً و﴿آلِهةً﴾ بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ وإن شئت أدغمتَ اللام في الضاد. وزعم الخليل وسيبويه [الكتاب: ٢/ ٤٠٤] أن الضاد تخرج من الشق اليمين ولبعض الناس من الشق الشمال.

﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ ﴿ذلك﴾ في موضع رفع بالابتداء ﴿إِفْكُهُمْ﴾ خبره والهاء والميم في موضع خفض بالإضافة ومثله سواء في الإعراب والمعنى. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٥٦]: إفْكٌ وأفَكٌ مثل حِذر وحَذَر أي هما بمعنى واحد. ويروى عن ابن عباس أنه قرأ ﴿أَفَكَهُمْ﴾ على أنه فعل ماض، والهاء والميم على هذه القراءة في موضع نصب، وفي إسنادها عن ابن عباس نظر ولكن

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾

قُرِىء على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل بن إسحاق عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة قال: حدثنا عطاء بن السائب قال: سمعت أبا عياض يقرأ ﴿وذلك أفكهم﴾ فعلى هذه القراءة يكون ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ في موضع رفع على أحد أمرين إما أن يكون معطوفاً على المضمر الذي في ﴿أفكهم﴾ ويكون المعنى وذلك أرداهم وأهلكهم هو وافتراؤهم إلاّ أن العطف على المضمر المرفوع بعيد في العربية إلاّ أن يؤكد ويطول الكلام لو قلت: قمتُ وعمروٌ، كان قبيحاً حتى تقول: قمتُ أنا وعمرو أو قمت في الدار وعمرو. والوجه الثاني أن يكون ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ معطوفاً على ذلك أي وذلك أهلكهم وأضلهم وافتراؤهم أيضاً أهلكهم وأضلهم.

والقراءة البيّنة التي عليها حجة الجماعة ﴿وذلكَ إفكُهُمْ﴾ أي وذلك كذبهم، ﴿وما كانوا يفترون﴾ على هذه القراءة معطوف على إفكهم أي وذلك إفكهم وافتراؤهم تكون ما والفعل مصدراً فلا تحتاج إلى عائد لأنها حرف، فإن جعلتها بمعنى الذي لم يكن بدٌّ من عائد مضمر أو مظهر، فيكون التقدير: والذي كانوا يفترونه ثم تحذف الهاء ويكون حذفها حسناً لعلل منها طول الاسم، وأنه لا يشكل مذكّر بمؤنث، وأنه رأس آية، وأنه ضمير متصل، ولو كان منفصلاً لبعد الحذف، وإن كان بعضهم قد قرأ ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٤] بمعنى على الذي هو أحسن، وتأوّل بعضهم قول سيبويه [الكتاب: ١/٢] «هذا بابُ علم ما الكَلِمُ» بمعنى الذي هو الكلم، وروى بعضهم «هذا بابُ عِلمِ ما الكلِمُ» بغير تنوين على أنه حذف أيضاً هو وفيه من البعد ما ذكرنا، فإذا كان متصلاً حسُنَ الحذف كما قرىء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١] وتشتهيه، وحكى أبو اسحاق ﴿وذلك أَفَكَهُمْ﴾ أي أكذبهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ..﴾ [٢٩]

﴿إذ﴾ في موضع نصب قيل: معنى ﴿صرفنا﴾ وفقناهم لذلك فَسُمّيَ صرفاً مجازاً ﴿فلمّا قُضِيَ﴾ أي فرغ من تلاوته ﴿وَلَّوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ أي مخوّفين من ترك قبول الحق، ونصب ﴿منذرين﴾ على الحال.

﴿قالُوا يا قَوْمَنا إنّا سَمِعْنَا كِتَاباً..﴾ [٣٠]

وأجاز سيبويه [الكتاب: ١/٣] في بعض اللغات فتح أنّ بعد القول. ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ﴾ ﴿يهدي﴾ في موضع نصب؛ لأنه نعت لكتاب، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال، وهو مرفوع؛ لأنه فعل مستقبل.

يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ
ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم..﴾ [٣١]

جواب الأمر، وكذا **﴿وَيُجِرْكُمْ﴾**.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ..﴾ [٣٣]

ليس من التعب وإنما يقال في التعب: أعْيَا يُعيي وَعَيِيَ بالأمر يَعْيى وَعيَّ به إذا لم يتجه له **﴿بِقَادِرٍ﴾** هذه قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وأبي عمرو والأعمش وحمزة والكسائي. وقرأ عبد الرحمن الأعرج وابن أبي إسحاق وعاصم الجحدري **﴿يقدر﴾** وقد زعم بعض النحويين أن القراءة بيقدِرُ أولى؛ لأن الباء إنما تدخل في النفي وهذا إيجاب، وتعجّبُ من أبي عمرو والكسائي كيف جاز عليهما مثل هذا حتى غلطا فيه مع محلّهما من العربية. قال أبو جعفر: وفي هذا طعن على من تقوم الحجة بقراءته ومع ذلك فقد أجمعت الأئمة على أن قرؤوا **﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرضَ بِقَادِرٍ﴾** ولا نعلم بينهما فرقاً، ولا تجتمع الجماعة على ما لا يجوز.

وقد تكلم النحويون في الآية التي أشكلت على قائل هذا فقال الكسائي: إنما دخلت الباء من أجل **﴿لم﴾** وهذا قول صحيح، وسمعت علي بن سليمان يشرحه شرحاً بيناً، قال: الباء تدخل في النفي فتقول: ما زيدٌ بقائم، فإذا دخل الاستفهام على النفي لم يغيّره عمّا كان عليه فتقول: أما زيدٌ بقائم؟ فكذا **﴿بِقَادِرٍ﴾** لأن قبله حرف نفي وهو [لم]، وقال أبو اسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤٤٧]: الباء تدخل في النفي ولا تدخل في الإيجاب تقول: ظننت زيداً منطلقاً، ولا يجوز: ظننتُ زيداً بمنطلق فإن جئت بالنفي قلت: ما ظننت زيداً بمنطلق، فكذا قوله جلّ وعزّ: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ﴾** والمعنى: أو ليس الذي خلق السمٰوات والأرض بقادر في رؤيتهم وفي علمهم.

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: لم صارت الباء في النفي ولا تكون في الإيجاب؟ فالجواب عند البصريين أنها دخلت توكيداً للنفي؛ لأنه قد يجوز ألاّ يسمع المخاطب **﴿ما﴾** أو يتوهم الغلط فإذا جئت بالباء علم أنه نفي. وأما قول الكوفيين الباء في النفي حذاء اللام في الإيجاب.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ..﴾ [٣٤]

بمعنى واذكر يوماً.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿.. بلاغٌ ..﴾ [٣٥]

في معناه قولان: أحدهما أنه بمعنى قليل. يقال: ما معه من الزاد إلاّ بلاغٌ أي قليل، والقول الآخر أن المعنى: فيما وُعِظُوا به بلاغ، كما قال الأخفش [معاني القرآن: ٤٤٨/٤]. قال بعضهم: البلاغ: القرآن. وهو مرفوع على إضمار مبتدأ أي ذلك بلاغ، ومن نصبه جعله مصدراً أو نعتاً لساعة ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إلاّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾ أي من فسق في الدنيا. ويقال: إن هذه الآية أرجى آية في القرآن إلاّ أن ابن عباس قال: أرجى آية في القرآن ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

٤٧ ـ سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١﴾

شرح إعراب سورة محمد ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ. .﴾ [١]

﴿الذين﴾ في موضع رفع بالابتداء وهو اسم ناقص ﴿كفروا﴾ من صلته ﴿وصدّوا﴾ معطوف على ﴿كفروا﴾. ﴿وصدّوا﴾ بزيادة ألف بعد الواو وللنحويين في ذلك ثلاثة أقوال: فمذهب الخليل رحمه الله أن هذه الألف زيدت في الخط فرقاً بين واو الإضمار والواو الأصلية نحو [لو] فاختيرت الألف؛ لأنها عند آخر مخرج الواو. وقال الأخفش: لو كتب بغير ألف لقرئ: ﴿كَفَرَ وَصَدَّ﴾ ففرّق بين هذه الواو وبين واو العطف. وقال أحمد بن يحيى: كُتب بألف ليفرّق بين المضمر المتصل والمنفصل فيكتب صدّوهم عن المسجد الحرام بغير ألف ويكتب صدّوهم بألف: كما تقول: قاموا هم.

قال أبو جعفر: فهذه ثلاثة أقوال أصحها القول الأول لأن قول الأخفش يعارض بأنه قد يقال: كفرَ وافْعَلْ فيقع الإشكال أيضاً وقول أحمد بن يحيى في الفرق إنما جعله بين المضمرين وليس يقع في قاموا مضمر منصوب فيجب على قوله أن يكتبه بغير ألف وهو لا يفعل هذا ولا أحد غيره. ومذهب الخليل رحمه الله مذهب صحيح. وهذا في واو الجمع خاصة فأما التي في الواحد نحو قولك: هو يرجو فبغير ألف؛ لأنها ليست واو الإضمار وهي لام الفعل بمنزلة الواو من [لو] فكتابتها بالألف خطأ، وإن كان بعض المتأخرين قد ذكر ذلك بغير تحصيل، ورأيت أبا إسحاق قد ذكره بالنقصان في النحو وذكر أنه خاطبه فيه. ومن العرب من يقول: اللّذونَ فيجعله جمعاً مسلّماً.

فأما ما رواه مجاهد عن ابن عباس في قوله جلّ وعزّ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أنهم كفار أهل مكة فجعل الآية فيهم خصوصاً، والظاهر يدلّ على العموم فيجوز أن تكون نزلت في قوم بأعيانهم ثم صارت عامة لكل من فَعَل فعلهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [٢]

وكذا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فقول ابن عباس أن هذا نزل في الأنصار خاصة وهو بمنزلة ما تقدّم، ﴿والذين﴾ في موضع رفع بالابتداء، والخبر ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قال مجاهد عن ابن عباس: أي أمرهم. وروى الضحّاك عنه: أي شأنهم. قال أبو جعفر: والبال في اللغة يعبّر عنه بالأمر والشأن والحال. قال محمد بن يزيد: وقد يكون للبال موضع آخر يكون بمعنى القلب. يقال: ما يخطر هذا على بالي أي على قلبي.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ..﴾ [٣]

﴿ذلك﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ أي الأمر ذلك، ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء وما بعده خبره، ويكون ذلك إشارة إلى الإضلال والهدى. والعرب قد تشير إلى شيئين بذلك فمنهم من يقول ذانك. وسمعت أبا إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٥] يقول في قول سيبويه: ظننت ذلك، ولم يعدها إلى مفعول آخر: إن ذلك إشارة إلى شيئين، كأن قائلاً قال: ظننت زيداً منطلقاً، فقال له آخر: قد ظننت ذلك.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ..﴾ [٤]

مصدر. أي فاضربوا الرقاب ضرباً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٦]، وقيل: هو على الإغراء، هذا قول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٥٧]. ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾ أي لئلا يهربوا أو يلحقكم منهم مكروه. والإثخان المبالغة بالضرب مشتق من قولهم: شيء ثخين أي متكاثف. ﴿فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ مصدران وحذف الفعل لدلالة المصدر عليه ولأنه أمر. والفداء يُمدّ ويقصر عند البصريين. وأما الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٥٧] فحكى أنه ممدود إذا كُسرَ أوله ومقصور إذا فُتح أوّله وحكى: قم فدىً لك.

﴿حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أهل التفسير على أن المعنى: حتى يزول الشرك، والضمير عند الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٥٧، ٥٨] يحتمل معنيين: أحدهما حتى تضع الحرب أوزارها أي آثامهم، والمعنى الآخر أن يعود على الحرب نفسها. قال أبو جعفر: الحرب في كلام العرب مؤنّثة، ويصغّرونها بغير هاء فيقولون: حُرَيْبٌ، ومثلها قوس وذودٌ يصغّران بغير هاء سماعاً من العرب.

وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾

﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ ﴿ذلك﴾ في موضع رفع أي الأمر ذلك [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٧] أنه لو شاء الله لانتصر منهم، ولكنه أراد أن يثيب المؤمنين، وكانت الحكمة في ذلك ليقع الثواب والعقاب. وقد بيّن ذلك جلّ وعزّ بقوله ﴿وَلَكِن لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ هذه قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ عاصم الجحدري ﴿والذينَ قَتَلُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾، وقرأ أبو عمرو والأعرج ﴿قُتِلُوا﴾ وعن الحسن أنه قرأ ﴿قُتِّلُوا﴾، مشدّدة.

قال أبو جعفر: القراءة الأولى عليها حجّة الجماعة، وهي أبيَن في المعنى، وقد زعم بعض أهل اللغة أنه يختار أن يقرأ ﴿قاتلوا﴾ لأنه إذا قرأ ﴿قُتِلُوا﴾ لم يكن الثواب إلاّ لمن قُتِلَ، وإذا قرأ قَتَلُوا لم يكن الثواب إلاّ لمن قَتَلَ، وإذا قرأ ﴿قاتلوا﴾ عمّ الجماعة بالثواب. وهذه لعمري احتجاج حسنٌ، غير أن أهل النظر يقولون: إذا قُرِيء الحرف على وجوه فهو بمنزلة آيات كل واحدة تفيد معنى، وقد قال النبي ﷺ: «أوتيت جَوامِعَ الكَلِمِ» [م: ١١٧١، ١١٧٢، حم: ٢/٢٥٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ..﴾ [٧]

قيل: المعنى إن تنصروا دين الله وأولياءهُ فجعل ذلك نصرةً له مجازاً، ينصركم في الآخرة أي يدفع الشدائد عنكم. وروى الضحّاك عن ابن عباس: يَنْصُرْكُمْ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ قيل: في موضع الحساب بأن يجعل الحجّة لكم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ [٨]

في موضع رفع بالابتداء، ويجوز أن يكون في موضع نصب على إضمار فعل يُفَسِّرُه ﴿فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ معطوف على الفعل المحذوف.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [٩]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٨]: كَرِهُوا نزول القرآن ونبوّة محمد ﷺ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا..﴾ [١٠]

في موضع نصب عل أنه جواب، ويجوز أن يكون في موضع جزم على أنه معطوف، والجزم والنصب علامتهما حذف النون. ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ﴾ اسم كان ولم يقل: كانت لأنه تأنيث غير حقيقي وخبر ﴿كان﴾ في ﴿كيف﴾، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ روى الضحّاك عن ابن عباس

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝١٣﴾

قال: عَذَابٌ يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ ولم يكن بَعْدُ. وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٨/٥] في الضمير الذي في أمثالها أنه يعود على العاقبة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ..﴾ [١١]

روى إسرائيل عن سماك عن عِكرمة عن ابن عباس ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: ناصرهم. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٥٩/٣]: وفي قراءة عبدالله ﴿ذلك بأنّ الله وليُّ الذينَ آمَنُوا﴾ وهذه قراءة على التفسير. وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٨/٥]: في معنى ذلك بأن الله يتولّى الذين آمنوا في جميع أمورهم وهدايتهم والنصر على عدوهم. وهذه الأقوال متقاربة ومعروف في اللغة أنّ المولى الولي. وهو معنى ما قال ابن عباس: إنّ المولى الناصر، وعلى هذا تُؤُوِّلَ قول النبي ﷺ: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» [ت: ٣٧١٣، حم: ٨٤/١] أي من كنت أتولاّه وأنصره فعلي يتولاّه وينصره. وقيل: المعنى من كان يتولاّني وينصرني فهو يتولّى علياً وينصره. ويبيّن ذلك ما حدّثنا علي بن سليمان عن أبي سعيد السكّري عن يونس، عن محمد بن المستنير قال: إنْ سأل سائل عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ فقال: الله جلّ وعزّ مولى كلّ أحد فكيف قال جلّ وعزّ: وأن الكافرين لا مولى لهم؟ فالجواب أن المولى ههنا الولي وليس الله جلّ وعزّ ولي الكافرين، وأنشد:

فَغَدَتْ كِلاَ الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ ... مَولى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وأَمَامُهَا

أي ولي المخافة.

﴿..وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ..﴾ [١٢]

﴿والنار﴾ مرفوعة بالابتداء و﴿مثوىً﴾ في موضع رفع على أنه الخبر، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٥٩/٣] أن يكون ﴿مثوى﴾ في موضع نصب ويكون الخبر لهم.

﴿وَكَأَيِّ مِن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ [١٣]

التقدير: وكم من أهل قرية. وهي أيّ دَخَلَتْ عليها كاف التشبيه. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٥٩/٣] في معنى ﴿التي أخرجتك﴾: التي أخرجك أهلها إلى المدينة ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ قال الفرّاء: جاء في التفسير: فلم يكن لهم ناصر حتى أهلكناهم، قال: فيكون ﴿فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ اليوم من العذاب.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ..﴾ [١٤]

على اللفظ ولو كان على المعنى لقيل: كانوا على بَيِّنَة من ربّهم، وكذا ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ ولم يقل: لهم سوء أعمالهم، وبعده ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ على المعنى، ولو كان على اللفظ لكان واتّبعَ هواه.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ..﴾ [١٥]

وفي معناه أربعة أقوال: قال محمد بن يزيد: قال سيبويه[الكتاب: ٧١/١]: أي فيما يُتْلَى عليكم ويقصُّ عليكم مَثَل الجنة، وقال يونس: مَثَلٌ بمعنى صفة ومِثْلُهُ فيما ذكرناه ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] قال محمد بن يزيد: وكِلا القولين حسنٌ جميل وقال الكسائي: مثلُ الجنّة كذا وفيها كذا ولهم فيها كذا ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي مثل هؤلاء في الخير كَمَثَل هؤلاء في الشر أي هؤلاء كهؤلاء. والقول الرابع عن أبي إسحاق[معاني القرآن وإعرابه: ٩/٥] قال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ تفسير لقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحج: ١٤] ثم فسّر تلك الأنهار. فالمعنى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ مما قد عرفتموه في الدنيا من الجنات والأنهار جنة ﴿فيها أنهارٌ من مَاء غير آسن﴾ وفي قراءة أهل مكة فيما ذكره أبو حاتم ﴿غير أَسِن﴾ على فَعِل يقال: أَسَنَ الماء يأسِنُ ويأسُنُ أسْناً وأُسُوناً فهو آسِنٌ، وأسِنَ يأسَنُ أسَناً فهو أسِنٌ، وتُحذَفُ الكسرة لثقلها فيقال: أسْنٌ، إذا أنْتَنَ. فإن تغيّر قالوا: أجِنَ الماء يأجِنُ ويأجَنُ ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ نعت خمر بمعنى ذات لذة ويجوز لذّة نعت لأنهار، ويجوز النصب على المصدر، كما تقول: هو لك هبة ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ الكاف في موضع رفع وهي مُرافعة كمَثَل عند الكسائي كما بيّنا، وأما الفرّاء[معاني القرآن: ٦٠/٣] فالتقدير عنده: أمَنْ هو في هذه الجنات كمن هو خالد في النار؟ ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ جمع معىً وهو يذكّر ويؤنّث. وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ في قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ قال: «إذا قُرِّبَ منه تكرّهه، وإذا أُدنِيَ منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ولحم وجهه فيه، فإذا شربَهُ قَطّعَ أمعاءه وخرجَ من دُبُرِه».

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ..﴾ [١٦]

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ۞ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۞﴾

على لفظ ﴿مَنْ﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ على المعنى. قال عبد الله بن بريدة: قالوا ذلك لعبد الله بن مسعود: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ على المعنى أيضاً.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا..﴾ أي قبلوا الهدى وعملوا به ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ قال أبو جعفر: قد ذكرناه. ومن حسن ما قيل في الضمير أن المعنى: زادهم الله جلّ وعزّ هدى بما ينزل من الآيات والبراهين والدلائل والحجج على رسوله ﷺ فيزداد المؤمنون بها بصيرة ومعرفة.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً..﴾ [١٨]

هذه القراءة التي عليها حجة الجماعة. وقد حكى أبو عبيد أن في بعض مصاحف الكوفيين ﴿أنْ تأتِهم﴾ وقرىء على إبراهيم بن محمد بن عرفة عن محمد بن الجهم قال: حدّثنا الفرّاء قال: حدّثني أبو جعفر الرواسي قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء ما هذه الفاء في قوله ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ قال: هي جواب للجزاء، قلت: إنما هي ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ فقال: معاذ الله إنما هي ﴿إِنْ تَأْتِهِم﴾. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٦١]: فظننته أخذها عن أهل مكة لأنه عليهم قرأ. قال: وهي في بعض مصاحف الكوفيين ﴿إِنْ تَأْتِهِمْ﴾ بسنة واحدة ولم يقرأ بها أحد منهم. قال أبو جعفر: ولا يُعرَفُ هذا عن أبي عمرو إلاّ من هذه الطريق. والمعروف عنه أنه قرأ ﴿أن تأتيهم﴾ وتلك الرواية مع شذوذها مخالفة للسواد، والخروج عن حجة الجماعة. ومن جهة المعنى ما هو أكثر، وذلك أنه لو كان ﴿إن تأتِهِمْ بغتةً﴾ لكان المعنى يمكن أن تأتي بغتةً وغير بغتة، وقد قال الله جلّ وعزّ: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ جمع شَرَطٍ أي علاماتها. قال الحسن: موت النبي ﷺ من علاماتها، وقال غيره: بَعْثُ النبي ﷺ من علاماتها؛ لأنه لا نبيّ بعده إلى قيام الساعة. وقد قال (عليه السلام): «أنا والساعةُ كهاتينِ» [خ: ٦٥٠٤، م: ٧٣٢٩، ٧٣٣٠، ت: ٢٢١٤، حم: ٣/ ١٢٤] قال محمد ابن يزيد: وإنما قيل: شرط لأن لهم علامات وهيئات ليست للعامة ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٩٤]: أي فأنّى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة؟ ﴿ذكراهم﴾ في موضع رفع بالابتداء على مذهب سيبويه، وبالصفة على قول الكوفيين.

﴿فاعلم..﴾ [١٩]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١٢]: الفاء جواب للمجازاة أي قد بيّنا أن الله جلّ وعزّ واحد فاعلم ذلك. فأما مخاطبة النبي ﷺ بهذا، وهو عالم به ففي ذلك غير جواب: قال أبو

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾

إسحاق: مخاطبة النبي ﷺ مخاطبة لأمته، وعلى مذهب بعض النحويين أن النبي ﷺ مأمور أن يخاطِب بهذا غيره مثل ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤] وقيل: فاعلم علماً زائداً على علمك لأن الإنسان قد يعلم الشيء من جهات. وجواب رابع أن المعنى تحذير له من المعاصي أي فاعلم أنه لا إله إلاّ الله وحده لا يعاقب على العصيان غيره، ويدلّ على هذا أن بعده واستغفر لذنبك كما تقول للرجل تحذِّره من المعصية: اعلم أنك ميّت فلست تأمُرُه أن يفعل العلم وإنما تحذِّره من المعاصي. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١٢]: ﴿والله يَعْلَمُ مُتَقَلَّبكم﴾ أي مُتصرَّفكم ﴿وَمثواكُم﴾ أي مقامكم في الدنيا والآخرة.

﴿.. وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ..﴾ [٢٠]

قال: ﴿.. وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ..﴾ أي فرض ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ..﴾ [٢١]

فيه أجوبة فقال الخليل وسيبويه جوابان: أحدهما أن تكون ﴿طاعةٌ وقولٌ معروفٌ﴾ مرفوعين بالابتداء أي طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثل، والثاني على خبر المبتدأ أي أمرنا طاعةٌ وقولٌ معروفٌ. وقال غيرهما: التقدير: منّا طاعة. وقول رابع أن يكون ﴿طاعةٌ﴾ نعتاً لسورة بمعنى ذات طاعة. ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾ أي جدّ الأمر. وقيل: هو مجاز أي أصحاب الأمر أي فإذا عزَم النبي ﷺ على الحرب ﴿فَلَوْ صَدَقُوا الله﴾ في القتال ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ من التعلّل والهرب، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١٢، ١٣]: أي لكان صدقُهم الله وإيمانُهم به خيراً لهم.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ..﴾ [٢٢]

هذه القراءة التي عليها الجماعة. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١٣]: ولو جاز عَسِيتُم لجاز عَسِيَ ربكم فهي عنده لا تجوز البتّة. ويُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿إن تُوُلِّيتُم﴾ أي تولاّكُمُ الناس على ما لم يُسَمَّ فاعله ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ ﴿أنْ﴾ في موضع نصب خبر عَسَيْتُم. وهذه اللغة الفصيحة، ومن العرب من يحذف ﴿أن﴾ من الخبر، كما قال:

عَسَى الهمُّ الذي أمسيْتُ فيه ... يكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قريبُ

ومن العرب من يأتي بالاسم في خبرها فينصبه فيقول: عسى زيدٌ قائماً.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ..﴾ [٢٣]

ثم قال جلّ وعزّ بعد: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ﴾ [٢٤]

وقد تقدّم وصفهم بالصّمم والعمى، فمن أصح ما قيل في هذا وأحسنه أن المعنى: أولئك الذين لَعَنَهُمُ اللهُ فلم يُنِلْهُمْ ثواباً فهم بمنزلة الصمّ لا يسمعون ثناء حسناً عليهم، ولا يبصرون ما يُسَرّون به من الثواب، فهذا جواب بيّن. وقد قيل: إنه دعاء، وقد قيل: إنهم لا يَسْمَعُونَ أي لا يعلمون. وقد تأول بعض العلماء حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إنّ الميتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِهِمْ» [خ: ١٣٣٨، م: ٧١٤٦، ٧١٤٧، د: ٤٧٥٢، ن: ٥٠٤٨] أي لَيَعلمُ. وتأوّل حديث النبي ﷺ في أهل القَليبِ الذينَ قتلوا يومَ بدر حين خاطبهم فقال: «هل وَجَدتُم ما وعَدَ ربُّكُم حَقّاً» [م: ٧١٥١، ن: ٢٠٧٣، حم: ٣٨/٢] ثم أخبر أنهم يسمعون ذلك فتأوّل صاحب ذلك التأويل على أنهم يعلمونه، واحتج بقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] وهذا التأويل قد ردّه جماعة من العلماء على مُتأوّليه؛ لأن النبي ﷺ هو المُبيّنُ عن الله عزّ وجلّ، وهو القائل: «إنّ الميتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِهِمْ» والمخبر بعذاب القبر ومساءلة الميت وكذا أكثر أصحابه على ذلك يُخبِرُون بتأدية الأعمال إلى الموتى فالصواب من ذلك أن يقال: إن الله جلّ وعزّ يؤدّي إلى الموتى من بني آدم ما شاء على ما شاء، ويعذّب من شاء ممّن يستحق بما يشاء فأما قوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] و﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] فليس فيه مخالفة لهذا؛ وإنما المعنى ـ والله أعلم ـ إنك لا تُسمعُ الموتى بقدرتك ولا بقوتك، ولكن الله جلّ وعزّ يُسمِعُهُم كيف يشاء، ويدلّ على هذا أن بعده ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [النمل: ٨١] أي لست تهديهم أنت بقدرتك ولكن الله جلّ وعزّ يهدي من يشاء بلطفه وتوفيقه.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ..﴾ أي فيعملون بما فيه ويقفون على دلائله ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أي أقفال تمنعهم من ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى..﴾ [٢٥]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٣/٥]: أي رجعوا بعد سماع الهدى وتبيينه إلى الكفر ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ هذه قراءة أكثر الأئمة، وقرأ أبو عمرو والأعرج وشيبة وعاصم الجحدري ﴿وأُملِيَ لَهُم﴾ على ما لم يُسمّ فاعله، وقرأ مجاهد وسلام ويعقوب ﴿وأُملِيْ لَهُمْ﴾ بإسكان الياء فالقراءة الأولى بمعنى وأملى الله جلّ وعزّ لهم، والقراءة الثانية تؤول إلى هذا المعنى؛ لأنه قد عُلِم أن الله تبارك وتعالى هو الذي أملى لهم، والقراءة الثالثة بيّنة أخبر الله جلّ

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾

وعزّ أنه يملي لهم. والكوفيون يميلون ﴿وأملَى لهم﴾ لأن الألف منقلبة من الياء ومعنى أملَى له: مدّ لَهُ في العمر ولم يعاجله بالعقوبة وهو مشتق من الملاوة، وهي القطعة من الدهر ومنه مَلاكَ الله جلّ وعزّ نعمته: وتَملّ حبيكَ، والمَلَوَانِ: الليل والنهار.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ..﴾ [٢٦]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١٤]: أي الأمر ذلك الإضلال فإنهم قالوا لليهود: سنطيعكم في بعض الأمر أي في التضافر على عداوة محمد ﷺ ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ هذه قراءة أكثر الأئمة، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿واللهُ يَعلَمُ إسرَارَهُم﴾ وهذا مصدر من أسرّ، والأول جمع سرّ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٦٣].

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ..﴾ [٢٧]

فيه حذف أي فكيف تكون حالهم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٤] ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ قال مجاهد: أي وأستاههم ولكن الله جلّ وعزّ كريم يُكنّي.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ..﴾ [٢٨]

أي ذلك جزاؤهم بأنهم اتّبعوا الشيء الذي أسخط الله من تَركِ متابعة النبي ﷺ ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي اتباع شريعته والإيمان به [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٤] ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي فأحبط ذلك، ويجوز أن يكون المعنى فأحبط الله جلّ وعزّ ما عملوا من خير بكفرهم.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ..﴾ [٢٩]

عن ابن عباس قال: هم المنافقون [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٥]، قال: والمرض: الشك والتكذيب ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ قال: عداوتهم للمؤمنين قال محمد بن يزيد: الضِغْنُ ما تُضمِرُهُ مِنَ المكرُوهِ، وقد ضَغِنْتُ عَلَيهِ واضطغَنْتُ.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ..﴾ [٣٠]

ويقال في معناه سيمياء ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ﴾ عن ابن عباس قال: فما رأى النبي ﷺ منافقاً فخاطبه إلاّ عرفه، قال محمد بن يزيد: في لحن القول في فحواه وفي قصده من غير تصريح، قال: وقريب من معناه التعريض. وفي الحديث عن النبي ﷺ «إنكم تختصمون إليّ

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾

ولَعَلَّ بعضَكُم يكُونُ ألحَنَ بِحُجَّتِهِ من صاحبه فأقضي لَهُ على قدر ما أسمَعُ. فمن قضيتُ لهُ بشيء من حق أخيه فإنما أقطعُ له قِطعَةً مِنَ النار» [خ: ٢٤٥٨، ٧١٨١، م: ٤٤٤٨، ٤٤٥٠، د: ٣٥٨٣، ت: ١٣٣٩، ن: ٥٤١٦، جه: ٢٣١٧] قال محمد بن يزيد: معنى «ألحَنَ بِحُجَّتِهِ» أقصَدَ وأمضَى فيها. قال: ومنه قول النبي ﷺ للسَّعدين حين وجَّههما إلى بني قريظة «إن أصبتُماهُمْ على العَهدِ فأعلِنا ذلك، وإن أصبتُماهُم على غير ذلك فالحنا لي لحناً أعرفه ولا تفُتّا في أعضاد المُسلمين» [السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ـ ٤ ص ٢٢١، ٢٢٢].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ..﴾ [٣١]

الابتلاء في اللغة الاختبار فقيل: المعنى لنشدّدنّ عليكم في التعبّد، وذلك في الأمر بالجهاد، والنهي عن المعاصي. ويدلّ على ذلك حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٦] ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ أي ما عملتم فيما تُعُبِّدْتُمْ به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ..﴾ [٣٤]

دخلت الفاء في خبر ﴿إِنَّ﴾ لأن اسمها ﴿الَّذِينَ﴾ وصِلته فعل فأشبه المجازاة فدخلت فيه الفاء، ولو قلت: إنّ زيداً فَمُنطَلِقٌ، لم يجز.

﴿فَلَا تَهِنُوا..﴾ [٣٥]

الأصل تَوهِنُوا حذفت الواو تباعاً ﴿وَتَدْعُوا﴾ عطف عليه، ويجوز أن يكون جواباً. قال محمد بن يزيد: السَّلْمُ والسِّلْمُ والمُسالمة واحد ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ قال مجاهد: الغالبون. ﴿وَاللهُ مَعَكُمْ﴾ أي ينصركم ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ قال الضحّاك: أي لن يظلمكم، وقدّره أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/١٦] على حذف أي لن يَنقصكم ثَواب أعمالكم. وروى يونس عن الزهري عن سالم عن أبيه وعنبسة يقول: عن عمر عن النبي ﷺ قال: «مَنْ فاتَتْهُ صَلاةُ العَصرِ فكأنما وُتِرَ أهلَهُ ومالَهُ» [خ: ٥٥٢، حم: ١٤١٦، د: ٤١٤، ن: ٥١١، جه: ٦٨٥، حم: ٢/ ٥٤] أي نُقِصَ وسُلِبَ.

قال أبو جعفر: وفي اشتقاقه قولان: مذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٦٤] أنه مشتق من الوتر، وهو الذَّحلُ وهو قتل الرجل وأخذ ماله، فالذي تفوته صلاة العصر لما فاته من الأجر والثواب بمنزلة من أُخِذَ أهله وماله أي هو بمنزلة الذي وُتِرَ. والاشتقاق الآخر أن يكون من الوتر وهو الفرد كأنه بمنزلة من قد بقي منفرداً، وخُصّت بهذا لأنها في وقت أشغالهم ومعائشهم،

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

والأصل في يَتِرْكُم يَوْتِرُكُم حُذِفَتِ [الواو، وهو يتعدّى] إلى مفعولين مثل ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥] والتقدير عند الأخفش [معاني القرآن: ٢/٦٩٥]: ولن يتركم في أعمالكم.

﴿إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ..﴾ [٣٦]

مبتدأ وخبره ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ قال أبو إسحاق: وقد عرّفهم أن أجورهم الجنة قال: ويجوز ﴿وَلا يَسْألْكُمْ أمْوَالَكُمْ﴾ يريد على أن يجعله خبراً، والجزم على العطف. قيل: المعنى: ولا يأمُرُكُم أن تُنفِقُوا أموالكم كلَّها في الجهاد ومُواساةِ الفقراء.

﴿..فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا..﴾ [٣٧]

أي تمتنعوا مما يجب عليكم. قال أبو جعفر: وكذا البُخْلُ في اللغة ﴿وَيُخْرِجْ أضْغَانَكُمْ﴾ قيل: أي ويخرج ذلك البخل أضغانكم [معاني القرآن للفراء: ٣/٦٤] أي ما تضمرونه من امتناع النفقة خوف الفقر.

﴿..وَمَنْ يَبْخَلْ فَإنَّما..﴾ [٣٨]

شرط وجوابه ﴿فإنّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي إنما يعود الضرر عليه والعقوبة ﴿وَاللهُ الغَنِيُّ وَأنْتُمُ الفُقَرَاءُ﴾ أي فلم يكلفكم ذلك لمَا علمهُ منكم ﴿وَإنْ تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ قيل: إن تتولّوا عن نصرة النبي ﷺ يأتي بقوم آخرين بدلاً منكم ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أمْثَالَكُمْ﴾ فيما فعلتموه.

٤٨ ـ سورة الفتْح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ②﴾

شرح إعراب سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً..﴾ [١]

الأصل إنّنا، حُذفت لاجتماع النونات. والنون والألف في **﴿إنّا﴾** في موضع نصب، وفي **﴿فتحنا﴾** في موضع رفع وعلامات المُضمر تتّفق كثيراً إذا كانت متصلة. والفتح ههنا فتح الحديبيّة. وقد توهّم قوم أنه فتح مكّة ممن لا علم لهم بالآثار. وقد صحّ عن ابن عباس والبراء وسهل بن حنيف أنهم قالوا: هو فتح الحديبيّة وهو صحيح عن أنس بن مالك كما قرئ على أحمد بن شعيب عن عمرو بن علي قال: حدّثنا يحيى قال: حدّثنا شعبة قال: حدّثنا قتادة عن أنس بن مالك **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾** قال: الحديبيّة. وصحّ عن النبي ﷺ أنه قال عند منصرفه من الحديبيّة: **«لقد أُنزِلتْ عَليّ آيةٌ هي أحبُّ إليّ مِنَ الدنيا وما فيها»** ثم تلا «**﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾**» الآية [خ: ٤١٦٠، ٤١٦١، ٤٨٣٣، ٥٠١٢، ت: ٣٢٦٢].

فإن قيل: لم يكن النبي ﷺ يحب الدنيا، فكيف قال في هذا الفضل العظيم الخطير أحب إلي من الدنيا؟ وإنما تقول العرب هذا في الشيء الجليل فيقولون: هو أسخى من حاتم طيّ. والدنيا لا مقدار لها. وقد قال النبي ﷺ حين مرَّ بشاة ميّتة **«واللهِ للدّنيا أهْوَنُ على الله جلّ وعزّ من هذه على أهلِهَا»** [ت: ٢٣٢١، جه: ٤١١١] ففي ذلك غير جواب منها أن المعنى: لقد أُنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها لو كانت لي فأنفقتها في سبيل الله جلّ وعزّ. وقيل: خوطِبُوا بما يعرفون **﴿فتحاً﴾** مصدر **﴿مُبِيناً﴾** من نعته.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ..﴾ [٢]

لام كي، والمعنى لأنْ. قال مجاهد: **﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾** قبل النّبوة **﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾** بعد

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾

النبوة، قال الشعبي مثله إلاّ أنه قال: إلى أن مات. ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ..﴾ عطف، قيل: يتم نعمته عليه في الدنيا بالنصر وفي الآخرة بالثواب ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ قيل: طريق الجنة. قال محمد بن يزيد: الصراط: المنهاج الواضح. قال أبو جعفر: التقدير: إلى صراط ثم حذفت إلى.

﴿وَيَنصُرَكَ اللهُ..﴾ [٣]

عطف. ﴿نَصْراً عَزِيزاً﴾ مصدر ﴿عزيزاً﴾ من نعته.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ..﴾ [٤]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: السكينة: الرحمة، قال محمد بن يزيد: السكينة فَعِيلةٌ من السكون، ومن السكينة الحِلم والوقارُ وتركُ ما لا يعني. وروى مالك بن أنس عن الزهري عن علي بن الحسين وبعضهم يقول: عن الحسين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مِنْ حُسنِ إسلامِ المرءِ تَركُهُ ما لا يَعْنيه» [ت: ٢٣١٧، ٣٩٧٦].

ومن الرحمة الحديث أنّ النبي ﷺ قَبّلَ الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال له الأقرع بن حابس: إن لي لَعَشَرةَ أولاد ما قَبّلتُ واحداً منهم قط، فقال النبي ﷺ: «من لا يرحَمْ لا يُرْحَمْ» [م: ٥٩٨٢، د: ٥٢١٨، ت: ١٩١١].

وفي بعض الحديث: «أرأيتَ إن كان اللهُ سبحانه قَلَعَ الرحمةَ من قلبِك فما ذنبي» [م: ٥٩٨١، جه: ٣٦٦٥، حم: ٦/٥٦].

وفي رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ قال: بُعِث النبي ﷺ بشهادة أن لا إله إلاّ الله ثم زاد الصلاة ثم زاد الصيام ثم أكملَ لهم دينهم.

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ..﴾ [٥]

مفعولان ﴿خَالِدِينَ﴾ على الحال ﴿وَيُكَفِّرَ﴾ عطف.

﴿..وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ..﴾ [٦]

وكذا ﴿..وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ﴾ نعت. وقرأ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾

مجاهد وأبو عمرو ﴿دَائِرَةُ السُّوْءِ﴾ بضمّ السين، وفتح السين وإن كانت القراءة به أكثر فإن ضمّها فيما زعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٦٥] في هذا أكثر. والسُّوءُ اسم الفعل، والسُّوءُ الشيء بعينه.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً..﴾ [٨]

حال مقدّرة.

﴿لِيُؤْمِنُوا..﴾ [٩]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ مردودة على ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليؤمنوا. والقراءة بالتاء على معنى قل لهم، وقيل: إن المخاطبة للنبي ﷺ مخاطبةٌ لأمته، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ على التكثير، ويقال عَزَرَهُ يَعزِرُهُ. قال الحسن والضحّاك: ﴿تعزّروه﴾: أي تنصروه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١] وتعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي تسبّحوا الله عز وجل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٢]. وقال قتادة: ﴿تعزروه﴾ تعظموه.

﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تسوّدوه وتشرّفوه، وتأوّله محمد بن يزيد على أنه للمبالغة قال: ومنه عزّرَ السلطانُ الإنسانَ أي بالغ في أدبه فيما دون الحدّ. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يتأوّله بمعنى المنع، قال: فعزّرت الرجلَ الجليلَ: منعتَ منه ونصرتَه، وعزرتُ الرجل: ضربتُه دون الحدّ. واشتقاقه: منعته من أن يعود إلى ما ضربته من أجله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ..﴾ [١٠]

اسم ﴿إنّ﴾ ويجوز أن يكون الخبر ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ ويجوز أن يكون الخبر ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقرأ ابن أبي إسحاق ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ﴾ جاء به على الأصل ويجوز ﴿فَسَنُؤْتِيهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ كالأول، ﴿فَسنؤتيهو﴾ بإثبات الواو في الإدراج، ويجوز ﴿فسنؤتيهي﴾ بإثبات الياء في الإدراج تبدل من الواو ياء. حكى هذا كلّه سيبويه وغيره.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ..﴾ [١١]

ويجوز إدغام اللام وإن كان فيه جمع بين ساكنين لأن الأول منهما حرف مدّ ولين، ولا يجوز الإدغام في ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ عند الخليل وسيبويه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٢، ٢٣]؛

بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ
وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا
انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ
قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ
سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا
تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾

لأن في الراء تكريراً فإن أدغمتها في اللام ذهب التكرير. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ جمع على أن اللسان مذكر ومن أنثه قال: ألسُن ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ هذه قراءة أكثر القرّاء، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿ضُرًّا﴾ ففرّق بينهما جماعة من أصحاب الغريب منهم أبو عبيد فقال: الضَّرّ: ضدّ النفع والضُّرّ: البؤس كما قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فعلى هذا يجب أن يكون الضَّرّ هنا أولى ولكن حكى النحويون أن ضرّه ضَرّاً وضُرّاً جائز مثل شَرِبَ شَرْباً وشُرْباً.

﴿.. وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً..﴾ [١٢]

يقال: إن البُورَ في لغة أزدعمان: الفاسد، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٦٦] أن البُورَ في كلام العرب لا شيء، وأنه يقال: أصبحت أعمالُهم بُوراً أي لا شيء.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ..﴾ [١٥]

وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿كَلِمَ اللهِ﴾ جمع كلمة [معاني القرآن للفراء: ٣/٦٦]، وقول سيبويه «هذا بابُ علم ما الكلِم مِنَ العربيّة» يريد به جمع كلمة، يريد ثلاثة أنحاء من الكلام اسماً وفعلاً وحرفاً. والكلام اسم للجنس، وقد أجاز بعض النحويين أن يكون الكلام بمعنى التكليم، وأجاز: سمعتُ كلامَ زيد عمراً. قال أبو جعفر: وحقيقة الفرق بين الكلام والتكليم أن الكلام قد يُسمَعُ بغير متكلم به، والتكليم لا يُسمَعُ إلاّ من متكلّم به.

﴿قُلْ لَن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ﴾ وهو قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣].

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأسٍ شَدِيدٍ﴾ [١٦]

ثم قال جلّ ثناؤه بعد هذا: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأسٍ

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

شديد﴾ يقال: كيف تُدعونَ إلى القتال، وقد قال ﴿ولن تقاتلوا معي عَدُوّاً﴾ وردّ عليهم قولهم ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعكم﴾؟ فالجواب عن هذا أنه إنما قال: ﴿لن تقاتلوا معي عَدُوّاً﴾ وهؤلاء لم يُدعوا في وقت النبي ﷺ، يدلك على ذلك أن بعده ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ ويعضد هذا الجواب جماعة الحجة أن أبا بكر وعمر رحمهما الله هما اللذان دعيا الأعراب إلى القتال، كما قال ابن عباس في قوله جلّ وعزّ ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: إلى بني حنيفة أصحاب مُسيلمة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٤] قال: ويقال: إلى فارس والروم. قال مجاهد وعطية العوفي: ﴿إلى قوم أولي بأس شديد﴾ قال: فارس. قال أبو جعفر: فكانت في هذه الآية دلالة على إمامة أبي بكر وعمر وفضلهما رضي الله عنهما، وأنهما أخذا الإمامة باستحقاق لقول الله جلّ وعزّ ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجراً حَسَناً﴾ ولا يجوز أن يُعطي الله جلّ وعزّ أجراً حسناً إلاّ لمن قاتل على حقّ مع إمام عادل. قال الكسائي: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ على النسق. وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٢٤]: ﴿أو يُسلِمُون﴾ مُستأنفٌ، والمعنى: أو هم يسلمون. قال الكسائي: وفي قراءة أُبَيّ بن كعب ﴿أو يُسلِمُوا﴾ بمعنى: حتى يُسلِمُوا، والبصريون يقولون: بمعنى إلى أن كما قال:

أو نموتَ فنُعذرا

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ..﴾ [١٧]

أصل الحرَج في اللغة الضيق. وعن ابن عباس أن هذا في الجهاد، وأنه كان في وقعة الحديبيّة فيمن تخلّف عنها.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ..﴾ [١٨]

قال جابر: كنا ألفاً وأربعمائة بايعنا على أن لا نفرّ ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ أكثر أهل التفسير على أنه خيبر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٥] كانت لأهل الحديبية، وقيل: هو فتح الحديبية. قال الزهري: وكان فتحاً عظيماً.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [٢٠]

فأما ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ فأهل التفسير على أنها خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ عن ابن

وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

عباس والحسن قال: هو عُيَينَةُ بن حصن الفَزَارِي وقومه وعوف بن مالك النضري ومن معه جاؤوا لينصروا أهل خيبر، ورسول الله ﷺ مُحاصر لهم فألقى في قلوبهم الرعب، قال جلّ وعزّ: ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقيل: المعنى: ولتكون المغانم آيةً أي دلالةً على صدق النبي ﷺ وإخباره بالغيب.

﴿وأخرى..﴾ [٢١]

في موضع نصب اي وعدكم أخرى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ احَاطَ اللهُ بِهَا﴾ اي علم أنها ستكون.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأدبَارَ..﴾ [٢٢]

عن ابن عباس والحسن أيضاً أنه في عيينة وعوف.

﴿سُنَّةَ اللهِ..﴾ [٢٣]

مصدر لان معنى ﴿لَوَلَّوُا الأدْبَارَ﴾ سَنّ اللهُ عزّ وجلّ ذلك. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٢٦]: ويجوز ﴿سُنَّةُ اللهِ﴾ بالرفع أي تلك سنة الله.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ ايْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأيْدِيَكُمْ عَنهُمْ..﴾ [٢٤]

رويت فيه روايات فمن أحسنها أنه في يوم فتح مكة كفّ الله جلّ وعزّ أيدي الكفّار بالرعب الذي ألقاه في قلوبهم وكفّ أيدي المؤمنين بأنّه لم يأمرهم بقتالهم، يدلّ على هذا قوله عزّ وجلّ ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ ولم تنصرف مكة؛ لأنها معرفة اسم للمؤنث [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٦].

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَالهَدْيَ﴾ [٢٥]

ثم بيّن جلّ وعزّ أنه لم يترك أمرهم بقتالهم لأنهم مؤمنون وأخبر أنهم كفار فقال: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَالهَدْيَ﴾ معطوف على الكاف والميم وصدّوا الهَدْيَ ﴿معكوفاً﴾ على الحال ﴿أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ ﴿أن﴾ في موضع نصب أي عن أن يبلغ محلّه، ثم بيّن جلّ وعزّ لِمَ لَم يأمرهم بقتالهم فقال ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أنْ

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾

﴿تَطَؤُوهُمْ﴾، ﴿أَن﴾ في موضع رفع بدل، والمعنى [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٧]: ولولا أن تطؤوهم أي تقتلوهم بالوَطء، وقيل: لأذِنَ لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك.

﴿لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ من أهل مكة بالوَطء، وقيل: المعنى أن الله سبحانه عَلِمَ أن هؤلاء الكُفّار مَن يُسْلِمُ ومَن يُولَدُ له مَنْ يسلم فلم يأمر بقتلهم، ويقال: إن علي هذا نَهى الله جلّ وعزّ عن قتل أهل الكتاب إذا أدّوا الجزية، قال الله جلّ وعزّ ﴿لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾. فأما معنى ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فقيل لئلاّ يقتل المسلمون خطأً فتُؤخذَ الدياتُ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٧] وقيل: مَعَرَّةٌ أي عيب فيقال: لم يتقوا إذ قتلوا أهل دينهم؟ قال الله سبحانه: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ أي لو انمازوا لأمرناكم أن تعذّبوهم بالقتل.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ..﴾ [٢٦]

روي عن ابن عباس قال: هم المشركون صدّوا عن المسجد الحرام ومَنَعُوا الهَدْيَ أن يبلغ مَحِلَّه فأما حقيقة الحميّة في اللغة فهي الأنفةُ والإنكارُ، فإن كانت لما يَجب فهي حسنةٌ ويقال فاعلها حامي الذمار، كما قال:

حَامِي الذِّمَارِ عَلَى مُحَافَظَةِ الـ ـجُلَّى أَمِينُ مُغَيَّبِ الصَّدْرِ

[ديوان زهير بن أبي سلمى: ٩٠]

وإن كانت لما لا يجب فهي ضلال وغلو كما قال جلّ وعزّ ﴿حَمِيَّةَ الجَاهلية﴾ فأمّا ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ فللعلماء فيه قولان: روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ «لا إله إلاّ الله» [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٨] وهي رأس كل تقوى، وكذلك يروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وسلمة بن الأكوع رحمهم الله قالوا: كلمة التقوى ﴿لا إله إلاّ الله﴾، وروى محمد بن إسحاق عن الزهري عن المِسْوَر ومروان ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: يعني «بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ» قال الزهري: لمّا كُتِبَ الكتاب بالمقاضاة وأملاهُ رسول الله ﷺ «بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ» أنكروا ذلك، وقالوا: ما نعرف إلاّ «باسمك اللّهُمّ» فأمر النبي ﷺ أن يكتب كما قالوا. وهذان القولان ليسا بمتناقضين، لأن الله جلّ وعزّ قد ألزم المؤمنين التوحيد وبِسْمِ الله الرحمنِ الرحيم. وقد كانوا أنكروا في هذا الكتاب «مِنْ محمد رسول الله» وقالوا: من محمد بن عبد الله. ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ خبر كان أي أحق بها من غيرهم لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله جلّ وعزّ له.

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ
وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ
ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ
الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤيَا بِالحَقِّ..﴾[٢٧]

ثم بيّن الرؤيا بقوله عز وجل ﴿لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ وتكلّم العلماء في معنى ﴿إن شاء اللهُ﴾ هنا لأن الاستثناء لا يكون في البشارة فيكون فيها فائدة إنما الاستثناء من المخلوقين؛ لأنهم لا يعرفون عواقب الأمور فقيل: الاستثناء من آمنين، وقيل: إنما حُكي ما كان في الرؤيا، وقيل: خوطب الناس بما يعرفون ومن حَسَن ما فيه أن يكون الاستثناء لمن قُتل منهم أو مات، وقد زعم بعض أهل اللغة أن المعنى لتدخُلُن المسجد الحرامَ إن شاء الله. وزعم أنه مثل قوله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وأن مثله: ﴿وإنّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُم لاحِقُونَ﴾. وهذا قول لا يعرّج عليه، ولا يعرف أحد من النحويين ﴿إنْ﴾ بمعنى ﴿إذْ﴾ وإنما تلك ﴿أن﴾ فغلط، وبينهما فصل في اللغة والأحكام عند الفقهاء والنحويين. ﴿مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ نصب على الحال، وهي حال مقدرة. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٦٨/٣] أنه يجوز ﴿مُحَلِّقُونَ رؤوسكم ومقصّرونَ﴾ بمعنى بعضكم كذا وبعضكم كذا وأنشد:

وغُـودِرَ الـبَـقْـلُ مَـلْـوِيٌّ وَمَـخْـضُـودُ

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ..﴾[٢٨]

قيل: بالحجج والبراهين، وقيل: لابدّ أن يكون هذا، وقيل: وقد كان لأن النبي ﷺ بُعث والأديان أربعة فقُهرت كلّها في وقته، وفي خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وفي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المعنى ليظهره على أمر الدين كلّه أي ليبينه له. قال أبو جعفر: هذا من أحسن ما قيل في الآية لأنّه لا معارضة فيه.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ..﴾[٢٩]

مبتدأ وخبره ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ﴾ مثله. وروى قرّة عن الحسن أنه قرأ ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ بالنصب على الحال وخبر ﴿الذين﴾ ﴿تراهم﴾، ويجوز أن يكون الذين في موضع نصب بإضمار فعل يفسّره تراهم. ﴿رُكَّعاً سُجَّداً﴾ على الحال ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أي علامتهم. وأصح ما قيل فيه: أنهم يوم القيامة

....

يُعرفون بالنور الذي في وجوههم. وفي الحديث «تأتي أُمتي غُراً مُحَجَّلِينَ» [خ: ٣، م: ٥٧٩، جه: ٤٢٨٢، حم: ١/٢٩٦].

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ مبتدأ وخبره ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾ تمام الكلام على قول الضحاك وقتادة، ويكون مَثَلُهُمْ ﴿فِي الْإِنْجِيلِ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿كَزَرْعٍ﴾، وعلى قول مجاهد التمام ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ تعطف مثلاً على مثل ثم تبتدئ ﴿كَزَرْعٍ﴾ أي هم كزرع. ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ عن ابن عباس قال: السنبلة بعد أن كانت وحدها تخرج معها سبع سنابل وأكثر وروى حميد عن أنس ﴿أخرج شطأه﴾ قال: نباته [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٩] وفراخه. قال أبو جعفر: إنْ خفَّفتَ الهمزة قُلتَ: شَطَهُ فألقيت حركتها على الطاء وحذفتها ﴿فآزره﴾ قال أهل اللغة: أي لَحِقَ بالأُمهات. وأصل آزره قوّاه ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ جمعُ ساق على فُعُول حُذِف منه ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ قيل: الكفار ههنا الزّرّاع؛ لأنهم يغطّون الزرع، وقيل: هم الذين كفروا بمحمد ﷺ. وهذا أولى؛ لأنه لا يجوز يُعجِبُ الزراع لِيَغيظ بهم الزرّاع ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ تكون ﴿منهم﴾ لبيان الجنس أولى؛ لأنها إذا جُعلت للتبعيض كان معنى آمنوا ثَبَتُوا، وذلك مجاز ولا يُحمل الشيء على المجاز ومعناه صحيح على الحقيقة.

٤٩ ـ سورة الحُجرَات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾

شرح إعراب سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ [١]

﴿يا﴾ حرف ينادى به، و﴿أيّ﴾ مضمومة لأنها نداء مفرد، و﴿ها﴾ للتنبيه، ﴿الذين﴾ في موضع رفع نعت لأيّ. ومن العرب من يقول: اللذون ﴿آمنوا﴾ صلة ﴿الذين﴾. ﴿لا تُقدِّموا﴾ جزم بالنهي، وبعض النحويين يقول: جزم بلا لشبهها بلم، وبعضهم يقول: لقوّتها في قلب الفعل إلى المستقبل لا غير.

ورُوي في نزول هذه الآية أقوال فمن أصحّها سنداً وأبينها ما حدّثناه علي بن الحسين عن الحسن بن محمد قال: حدّثنا حجّاج عن ابن جُرَيج قال: أخبرني ابن أبي مُلَيكة أن عبدالله بن الزبير أخبرهم: أنه قَدِم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أمّر القعقاع بن معبد، وقال عمر رضي الله عنه بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إليّ أو إلى خلافي فقال: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قال الحسن: وحدّثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا سفيان بن حسين عن الحسن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال: لا تذبحوا قبل الإمام. وروى الضحّاك عن ابن عباس ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال: هذا في القتال والشرائع لا تقضوا حتى يأمر رسول الله ﷺ. قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ليست بمتناقضة، بل بعضها يشدّ بعضاً؛ لأن هذه الأشياء إذا كانت ونزلت الآية تأوّلها القوم على ظاهرها في كراهة تقديم القول بين يدي الرسول ﷺ

....

من قبل أن يتشاوروا، وتأوّلها قوم على منع الذبح قبل الإمام، ودلّ على هذا أن فعل الطاعات قبل وقتها لا يجوّز تقديم الصلاة ولا الزكاة. وقراءة ابن عباس والضحّاك ﴿لا تَقَدَّمُوا﴾ وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٦٩] أن المعنى فيهما واحد. قال أبو جعفر: وإن كان المعنى واحداً على التساهل فثمّ فرقٌ بينهما من اللغة قدّمت يتعدّى فتقديره: لا تُقدّموا القول والفعل بين يدي رسول الله ﷺ، وتقدّموا ليس كذا، لأن تقديره لا تقدموا بالقول والفعل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ..﴾ [٢]

قال إبراهيم التيمي: فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله ﷺ لا أكلّمك إلاّ أخا السِّرار. قال ابن أبي مليكة قال عبد الله بن الزبير: فكان عمر بعد نزول هذه الآية لا يُسْمِع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه. وقال أنس: تأخر ثابت بن قيس في منزله، وقال: أخاف أن أكون من أهل النار حتى أرسل إليه النبي ﷺ: «لست من أهلِ النارِ» وعمل جماعة من العلماء على أن كرهوا رفع الصوت عند قبر النبي ﷺ وبحضرة العلماء وفي المساجد، وقالوا: هذا أدب الله جلّ وعزّ ورسوله عليه السلام، واحتجّوا في ذلك بحديث البرّاء وغيره، كما قرئ على بكر بن سهل عن عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن زاذان أبي عمرو عن البراء قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يُلحَد، فجلس النبي ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، والنبي ﷺ مُكِبٌّ في الأرض فرفع رأسه وقال: «استَعِيذُوا باللهِ من عَذَابِ القبرِ» مرتين أو ثلاثاً، وذكر الحديث [د: ٤٧٥٣]. فكان فيما ذكرناه فوائد: منها خروج النبي ﷺ فدلّ هذا على أنه لا ينبغي لإمام ولا لأمير ولا قاض أن يتأخر عن الحقوق من أجل ما هو فيه، وفيه فجلس النبي ﷺ وجلسنا حوله كأنّ على رؤوسنا الطير، أي ساكنين إجلالاً له، فدلّ هذا على أنه كذا ينبغي لِمَنْ جالس عالماً أو والياً يجب أن يُجلّ.

كما روى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس منا من لم يُجِلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقّه» [ت: ١٩١٩، ١٩٢٠، حم: ٢/١٨٥].

﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الكاف في وضع نصب أي جهراً كجهر بعضكم لبعض ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾، ﴿أَنْ﴾ في موضع نصب فقال بعض أهل اللغة: أي لئلاّ تَحبَطَ أعمالكم، وهذا قول ضعيف إذا تُدُبّرَ عُلِمَ أنه خطأ، والقول ما قاله أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٣٢] هو غامضٌ في العربية قال: المعنى لأن تحبط وهو عنده مثل ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] ﴿وأنتم لا تَشْعُرُونَ﴾ قيل: أي لا تشعرون أنّ أعمالكم قد حبطت.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ
﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ
فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ..﴾ [٣]

اسم إنّ، ويجوز أن يكون الخبر ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ ويكون ﴿أولئك﴾ مبتدأ، و﴿الذين﴾ خبره، ويجوز أن يكون ﴿الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ خبر إنّ و﴿أولئك نعتاً للذين﴾، ويجوز أن يكون خبر إنّ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ..﴾ [٤]

اسم ﴿إنّ﴾، والخبر ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ ويجوز أن تَنصِبَ أكثرهم على البدل من الذين، وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿الحُجَرَاتِ﴾ بفتح الجيم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٣]. وقد ردّه أبو عبيد على أنه جمعُ الجمع على التكثير. جَمَعَ حُجْرةً على حُجَر ثم جَمَعَ حُجَراً على حُجَرات. قال أبو جعفر: وهذا خلاف قول الخليل وسيبويه، ومذهبهما أنه يقال: حُجْرةٌ وحُجُراتٌ وغُرفَةٌ وغُرُفاتٌ، فَتُزادُ منها فتحة فيقال: حُجَراتٌ ورُكَباتٌ وتُحذَفُ فيقال؛ حُجْراتٌ ورُكْباتٌ، كما يقال: عَضُد وعَضْد. وروى الضحّاك عن ابن عباس: إنّ الذين يُنادونكَ من وراء الحجرات أعراب من بني تميم منهم عُيَيْنَة بن حصن صاحوا: ألا تخرجُ إلينا يا محمد، اخرُج إلينا يا محمد ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ ما في هذا من القبح.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا..﴾ [٥]

أي عند النداء ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً﴾ أي لكان الصبر خيراً لهم، ودلّ صبروا على المضمر، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفر لهم ورحمهم لأنهم لم يقصدوا بهذا استخفافاً، وإنما كان منهم سوء أدب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا..﴾ [٦]

ويُقرأ ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٢] وهما قراءتان معروفتان إلاّ أنّ ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أبلغ؛ لأن الإنسان قد يَتَثَبَّتُ ولا يَتَبَيَّنُ، ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا﴾ عطفاً على تُصيبوا.

﴿.. وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ..﴾ [٧]

العلماء من أهل السُّنّة يقولون: معنى ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان﴾ وفقكم له، وفعل أفاعيل

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

تُحِبُّون معها الإيمان وتستحسنونه، فلمّا أحبّوه واستَحْسَنُوهُ نُسِبَ الفعل إليه، وكذا فعل أفاعيل كَرِهُوا معها الكفر والفسق والعصيان. فأمّا أن يكون معنى ﴿حَبَّبَ﴾ أمركم أن تُحبوهُ فخطأ من كل جهة، منها أنه إنما يقال: حَبَّبَ فلان إليك نفسه أي أنه فعل أفعالا أحْبَبْتَهُ من أجلها، ومنها أنه قول مُبتدع مخالف صاحبهُ لنصّ القرآن، قال جلّ وعزّ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] ومنه قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ [الفاتحة: ٦] من هذا بعينه، ومنها أنّ نصّ الآية يدلّ على خلاف ما قال جلّ وعزّ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ فلا اختلاف في هذا أنه يرجع إلى الذين حَبَّبَ اليهم الإيمان وزيّنه في قلوبهم وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان. فلو كان معنى حَبَّبَ أمرهم أن يحبوه كان الكفار وأهل المعاصي داخلين في هذا. وهذا خارج من الملّة، و﴿الراشدون﴾ الذين رشدوا للإيمان وتركوا المعاصي.

﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً . .﴾ [٨]

ثم بيّن جلّ وعزّ أنّ ذلك فضلٌ منه ونعمة فقال جلّ وعزّ: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً . .﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٣٥]: ﴿فضلا﴾ مفعول من أجله أي للفضل. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بمصالح عباده ومنافعهم، حكيم في أفعاله.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ . .﴾ [٩]

﴿طائفتان﴾ مرفوعتان بإضمار فعل أي وإن اقتتلت طائفتان، ويجوز أن يكون المضمر كان ولابدّ من إضمار لأن ﴿إنْ﴾ لا يليها إلاّ الفعل؛ لأنها للشرط، وجوابه: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ شرط أيضاً، والجواب ﴿فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي ترجع، فإن قلت: تفي بغير همز فمعناه تكثُرُ. ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ قال محمد بن يزيد: قسط إذا جار، وأقسط إذا عدل، مأخوذ منه أي أزال القسوط، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «كثيراً المُقسطون الذين يعدِلُون في حُكمهم وما وَلُوا على منابر من نور على يمين الرحمن جلّ وعزّ» [حم: ٩/ ٣٥٠].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . .﴾ [١٠]

مبتدأ وخبره لمّا اتّفقوا في الدين رجعوا إلى أصلهم؛ لأنهم جميعاً من بني آدم. وقراءة عبد الرحمن بن أبي بكرة وابن سيرين: ﴿فأصلحوا بينَ إخوانِكم﴾، وقراءة يعقوب: ﴿فأصلحوا بينَ إخوتِكُم﴾ وأخٌ وإخوةٌ لأقلّ العدد وإخوان للكثير و﴿بينَ أخويْكُمْ﴾ بين كلّ مُسلمَيْنِ اقتتلا فقد صار عاماً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ..﴾ [١١]

جزم بالنهي. وروى الضحّاك عن ابن عباس أن بعضهم كان يقول لبعض: إنَّك لغَيرُ رشيد، وما أشبه ذلك، يستهزيء به فنزل هذا، وهو من بني تميم **﴿ولا تَلْمِزوا أنفُسَكُمْ﴾** نهي أيضاً. قال عكرمة عن ابن عباس: أي لا يَعِبْ بعضُكُمْ بعضاً. وسمعت علي بن سليمان يقول: اللَّمزُ في اللغة أن يعيب بالحضرة، والهمز في الغيبة. وقال أبو العباس محمد بن يزيد: اللمز يكون باللسان والعين يَعِيبُهُ ويحدّد إليه النظر وتشيرُ إليه بالاستنقاص، والهمز لا يكون إلاّ باللسان في الحضرة والغيبة، وأكثر ما يكون في الغيبة. فهذا شرح بيّن. وقد أنشد أبو العباس لزياد الأعجم:

إذا لَقِيتُكَ تُبدي لي مُكاشَرَةً وإن تَغَيَّبتُ كُنتَ الهامزَ اللُّمَزَة

[الطبري في «تفسيره»: ٣٠/٢٩١]

قال محمد بن يزيد: واللُّمزُ كالغِيْبَةِ قال: والنبزُ: اللَّقَبُ الثابتُ: قال: والمنابزة: الإشاعة والإذاعة به. قال أبو جعفر: فأما اللَّقب فقد جاء التوقيف فيه عمّن حضر التنزيل وعرف نزول الآية فِيمَ نَزَلَت، كما قرئ على أحمد بن شُعَيب عن حُمَيد بن مسعدة قال: أخبرنا بشر عن داود عن الشعبي قال: قال أبو جُبيرة: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة، قدم رسول الله ﷺ المدينة وللرجل منا اسمان وثلاثة فكان يدعى باسم منها فيقال: يا رسول الله إنه يغضب منه فنزلت **﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالألْقَابِ﴾**.

فأمّا حديث الضحّاك عن ابن عباس كان الرجل يقول للآخر: يا كافر يا فاسق، فنزلت **﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالألْقَابِ﴾** فإسناد الأول أصح منه، ولو صح هذا لم يكن ناقضاً للاول، لأن المعنى في اللقب على ما قال محمد بن يزيد وغيره أنه كلّما كان دائماً يغضبُ الإنسانُ منه ويكرهُ قائلَهُ أن يلقى صاحبه به ويكرهه المقول له به فمحظورٌ التنابزُ به. **﴿بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ﴾** رفع بالابتداء والتقدير: الفسوق بعد أن آمنتم بئس الاسم **﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** قال الضحّاك عن ابن عباس: من لم يَتُب من هذا القول.

﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ..﴾ [١٢]

فسّر ابن عباس الإثم فيم هو؟ قال: أن تقول بعد أن تظنّ، فإن أمسكت فلا إثم، والبيِّنُ في هذا أن الظنّ الذي هو إثم، وهو حرام على فاعله، أن يظُنَّ بالمسلم المستور شرّاً، وأما

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

الظن المندوب إليه فأن تظنَّ به خيراً وجميلاً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٦، ٣٧]، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي لا تبحث عن عيب أخيك بعد أن ستره الله جلّ وعزّ عنه. ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ بيّن الله جلّ وعزّ الغيبة على لسان نبيّه ﷺ، كما قرئ على أحمد بن شعيب عن علي بن حجر قال: حدّثنا إسماعيل قال: حدّثنا العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله جلّ وعزّ ورسوله أعلم قال: «أن تذكُرَ أخاكَ بما يكرَهُ» قيل: أرأيت إن كان ذلك في أخي؟ قال: «إن كانَ فيهِ فقد اغتَبْتَهُ وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ» [د: ٤٨٧٤، ت: ١٩٣٤، دي: ٢/ ٢٩٩].

فهذا حديث لا مَطعَنَ في سنده ثم جرت العلماء عليه، فقال محمد بن سيرين: إن علمت أن أخاك يكره أن تقول: ما أشد سواد شعره، ثم قلتهُ من ورائه فقد اغتبته. فقالت عائشة رضي الله عنها: قلت بحضرةِ النبي ﷺ في امرأة ما أطولَ دِرعَها! فقال النبي ﷺ: «قد اغتبتِها فاستحلّي منها» [د: ٤٨٧٥، ت: ١٩٣٤] وقال أبو نضرة عن جابر عن النبي ﷺ قال: «الغِيبةُ أشدّ من الزنا، لأن الرجل يزني فيتوبُ فيتوبُ اللهُ عليه والرجل يغتابُ الرجلَ فيتوبُ فلا يتاب عليه حتى يستحلّه» [الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/ ٩١].

قال أبو جعفر: وفي الغيبة ما لا يقع فيه استحلال، وهو أعظم، كما روي أن رجلاً قال لمحمد بن سيرين: إني قد اغتبتك فحلّلْني فقال: إني لا أُحِلّ ما حرّم الله تعالى. وروى عقيل عن ابن شهاب أن النبي ﷺ قال: «كلّما كرِهتَ أن تقولهُ لأخيكَ في وجهِهِ ثم قلتَهُ من ورائه فقد اغتبته» [م: ٦٥٣٦] ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ هذا الأصل ثم من خفّف قال: مَيْتاً ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ قال الكسائي: المعنى فكرهتموه فينبغي أن تكرهوا الغيبة. وقال محمد بن يزيد: أي فكرهتم أن تأكلوه فحُمِلَ على المعنى مثل ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ [الشرح: ١، ٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى..﴾ [١٣]

عام والذي بعده خاص لأن الشعوب والقبائل في العرب خاصة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ روى عبدالرحمن في العرب خاصة، قيل: يا رسول الله من خير الناس؟ قال: «من طَالَ عُمرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ» وقالت دُرّة: سئل النبي ﷺ مَنْ خير الناس؟ قال: «آمَرُهُم بالمعروف وأنهاهُم عن المنكر وأوصلُهم للرَّحِم وأتقاهم» قال ابن عباس: ترك الناس هذه الآية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ

﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

أتقاكُمْ﴾ وقالوا: بالنسب. وقال أبو هريرة: ينادي منادٍ يوم القيامة: إني جعلتُ نسباً وجعلتُم نسباً. ﴿إنَّ أكرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أتقاكُمْ﴾ لِيَقُم المتقون، فلا يقوم إلاّ من كان كذلك.

﴿قالَتِ الأعرابُ آمَنّا..﴾ [١٤]

قال محمد بن يزيد: هذا على تأنيث الجماعة أي قالت جماعة الأعراب ﴿قُلْ لَمْ تُؤمِنُوا ولَكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا﴾ والإسلام في اللغة الخضوع والتذلّل لأمر الله جلّ وعزّ والتسليم له والإيمان والتصديق بكلّ ما جاء من عند الله جلّ وعزّ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٨/٥]، فإذا خضع لأمر الله سبحانه وتذلّل له فهو مصدّق، وإذا كان مصدّقاً فهو مؤمن، ومن كان على هذه الصفة فهو مسلم مؤمن إلاّ أن للإسلام موضعاً آخر وهو الاستسلام خوف القتل ﴿وإنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ شيئاً﴾ هذه قراءة أكثر الناس، وبها قامت الحجّة، وقرأ أبو عمرو والأعرج ﴿لا يَألِتْكُمْ﴾ وهي مخالفة للسواد إلاّ أنّ من قرأ بها يَحتجّ بإجماع الجميع على ﴿وَمَا أَلَتْنَهُم﴾ [الطور: ٢١] والقول في هذا: إنّهما لغتان معروفتان مشهورتان، فإذا كان الأمر كذلك فاتّباع السواد أولى.

﴿قُلْ أتُعلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُم..﴾ [١٦]

على التكثير من تُعلِمُونَ.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيكَ أنْ أسْلَمُوا..﴾ [١٧]

﴿أنْ﴾ في موضع نصب بمعنى: يمنون عليك إسلامهم، ويجوز أن يكون التقدير بأنْ ثم حذفت الباء ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيكُمْ أنْ هَدَاكُمْ﴾ أي بأنْ ولأنْ ثم حَذَفَ الحرف فتعدّى الفعل.

﴿.. واللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ..﴾ [١٨]

مبتدأ وخبر أي عالم به، وإذا علمه جازى عليه.

٥٠ ـ سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾

شرح إعراب سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ق..﴾ [١]

غير معربة لأنها حرف تهجٍّ. قال أبو جعفر: قد ذكرنا معناها. ﴿والقُرآنِ﴾ خُفِضَ بواو القسم ﴿المَجِيدِ﴾ من نعته. قال سعيد بن جبير: ﴿المَجِيدِ﴾ الكريم، فأما جواب القسم ففيه أربعة أجوبة: قال الأخفش سعيد [معاني القرآن: ٢/٦٩٦]: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ﴾ وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٤١]: الجواب محذوف أي والقرآنِ المجيدِ لَتُبْعَثُنَّ، وقيل: بل المحذوف ما دلّ عليه سياق الكلام لأنهم قالوا: إن هذا النبيّ عجيب، تَعَجُّبًا مِن أنْ يُبْعَثَ إليهم رجل من بني آدم، فوقع الوعيد على ذلك أي والقرآنِ المجيدِ لَتعلَمُنَّ عاقبة تكذيبكم يوم القيامة فقالوا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا﴾ [ق: ٣].

قال أبو جعفر: فهذان جوابان، ومن قال: معناه: قُضِيَ الأمر والله فليس يحتاج إلى جواب، لأن القسم متوسط، كما تقول: قد كلّمتُكَ والله اليوم. والجواب الرابع أن يكون ﴿ق﴾ اسماً للجبل المحيط بالأرض، قال ذلك وهب بن منبِّه. فيكون التقدير: هو قافٌ والله، فقاف على هذا في موضع رفع. قال أبو جعفر: وأصح الأجوبة أن يكون الجواب محذوفاً للدلالة؛ لأن إذا مِتْنا جواب فلابدّ من أن يكون ﴿إذا﴾ متعلقة بفعل أي أُبْعَثُ إذا، فأما أن يكون الجواب قد علمنا فخطأ؛ لأن ﴿قد﴾ ليست من جواب الأقسام، وقاف إذا كان اسماً للجبل فالوجه فيها الإعراب.

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ..﴾ [٢]

أي لم يُكَذِّبُوكَ لأنهم لا يعرفونك بالصدق، بل عجِبُوا أنْ جاءهم برسالة رب العالمين ﴿فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟
بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن
فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ
مُّنِيبٍ ۝٨﴾

﴿أَإذا مِتْنا..﴾ [٣]

أي أَنُبعَثُ إذا مِتنا ﴿وكُنَّا تُراباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ومعنى بعيد عند الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٧٥] لا يكون. وذلك معروف في اللغة.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [٤]

أي من لحومهم وأبدانهم ﴿وعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ بمعنى حافظ لأنه لا يندرس ولا يتغير.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ..﴾ [٥]

أي لم يكذّبوك لشيء ظهر عندهم ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ روي عن ابن عباس: ﴿مريج﴾: مُنكر. وعنه: مريج: في ضلالة، وعنه: مريج: مُختلف [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٤٢]، وقال مجاهد وقتادة: مريج: ملتبس، وقال الضحّاك وابن زيد: مريج: مختلط. قال أبو جعفر: وهذه الأقوال، وإن كانت ألفاظها مختلفة فمعانيها متقاربة؛ لأن الأمر إذا كان مختلفاً فهو ملتبس مُنكرٌ في ضلالة؛ لأن الحق بيّن واضح.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا..﴾ [٦]

أي أفلم ينظر هؤلاء المشركون الذين أنكروا البعث وجحدوا قدرتنا على إحيائهم بعد البِلَى إلى قدرتنا على خلق السماء حتى جعلناها سَقفاً محفوظاً؟ ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ يكون جمعاً ويكون واحداً أي من فتوق وشقوق.

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا..﴾ [٧]

أي بسطناها ونصبت الأرض بإضمار فعل أي وبسطنا الأرض، والرفع جائز إلاّ أن النصب أحسن لتعطف الفعل على الفعل ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً رست في الأرض أي ثبتت [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٤٢] ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي نوع. قال ابن عباس: ﴿بهيج﴾ حسن.

﴿تَبْصِرَةً..﴾ [٨]

مصدر، ومفعول له أي فعلنا ذلك لِنُبَصّرَكُمْ قدرة الله سبحانه ﴿وذِكْرَى﴾ أي ولتذكروا

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

عظمة الله وسلطانهُ فيعلموا أنه قادر على أن يحيي الموتى ويفعل ما يريد. ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ أي راجع إلى الإيمان وطاعة الله جلّ وعزّ.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً..﴾ [٩]

وهو المطر ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ زعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٧٦]: أن الشيء أُضيف إلى نفسه؛ لأن الحب هو الحصيد عنده. قال أبو جعفر: سمعتُ علي بن سليمان يحكي عن البصريين منهم محمد بن يزيد أن إضافة الشيء إلى نفسه محال، ولكن التقدير حبُّ النبتِ الحصيدِ.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ..﴾ [١٠]

أي وأنبتنا النخل طوالاً [معاني القرآن للفراء: ٣/٧٦]، وهي حال مقدرة ﴿باسقات﴾ على الحال ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ رفعت طلعاً بالابتداء وإن كان نكرة لما فيه من الفائدة.

﴿رِزْقاً لِلْعِبَادِ..﴾ [١١]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٤٣]: رزقاً مصدر، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾ أي مُجدِبَةً، ليس فيها زرع ولا نبات ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ مبتدأ، وخبره أي الخروج من قبوركم كذا يبعث الله جلّ وعزّ ماءً فينبت به الناس كما ينبت الزرع، وقال أبو إسحاق: المعنى كما خلقنا هذه الأشياء نبعثكم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ..﴾ [١٢]

أي كذّبت قبل هؤلاء المشركين الذين كذّبوا محمداً ﷺ قومُ نوحٍ، والتاء لتأنيث الجماعة. ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾. قال مجاهد: الرَّسّ: بئر.

﴿وأصحاب الأيكة﴾ [١٤]

وقال قتادة: الأيكة الشجر الملتف ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ عطف كله. قال أبو مِجْلَز: سأل عبد الله بن عباس كعباً عن تُبّع فقال: كان رجلاً صالحاً أخذ فتية من الأحبار فاستبطنهم فأسلم فأنكر ذلك قومه عليه. وفي حديث سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: «لا تلعنوا تُبَّعاً فإنه كان أسلم» [حم: ٥/٢٣٤٠]

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ التقدير عند سيبويه كلهم ثم حذف لدلالة كلّ، وأجاز النحويون جميعاً: كلُّ مُنطلِقٌ، بمعنى كلّهم. قال أبو جعفر: سمعت محمد بن الوليد يُجيز حذف التنوين فيقول: كلّ منطلق بمعنى كلّهم، يجعله غاية مثل قبلُ وبعدُ. قال علي بن سليمان: هذا كلام من لم يعرف لِمَ بُنِيَ قَبلُ وبعدُ، ونظير هذا من الألفاظ لأن النحويين قد خصّوا الظروف للعلّة التي فيها ليست في غيرها. قال أبو جعفر: وهذا كلام بيّنٌ عند أهل العربية صحيح.

وحذفت الياء من ﴿وعيد﴾ لأنه رأس آية لئلا تختلف الآيات، فأما من أثبتها في الإدراج وحذفها في الوقف فحجّتهُ أن الوقف موضع حذف، الدليل على ذلك أنك تقول: لم يَمضِ، فإذا وصلت كسرت الضاد لا غير، ومعنى ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجب الوعيد من الله جلّ وعزّ للكفار بالعذاب في الآخرة والنقمة.

﴿أفعيينا بالخلق الأول..﴾ [١٥]

يقال: عَيِيتُ بالأمر وعيي به إذا لم يتحصّله، ولم يحسنه، وإذا قلت: عَيِينا لم يجز الإدغام؛ لأن الحرف الثاني ساكن فلو أدغمته في الأول التقى ساكنان. فأما المعنى فإنه قيل لهؤلاء الذين أنكروا البعث فقالوا: ﴿ذلك رَجعٌ بعيدٌ﴾ أفعيينا بابتداء الخلق فنعيا بإحيائكم بعد البِلى. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أفعيينا بالخلق الأول، قال: يقول: لم نَعْيَ به. قال أبو جعفر: وهكذا الاستفهام الذي فيه معنى التقرير والتوبيخ يدخله معنى النفي أي لم نَعْيَ بالخلق الأول ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي من البعث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ..﴾ [١٦]

الضمير الذي في به يعود على ﴿ما﴾، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٧٧] أن يعود على الإنسان أي ونعلم ما توسوس إليه نفسه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ قال ابن عباس: الوريد حبل العنق، وللنحويين فيه تقديران: قال الأخفش سعيد [معاني القرآن: ٢/ ٦٩٧]: ونحن أقرب إليه بالمقدرة من حبل الوريد، وقال غيره: أي ونحن أقرب إليه في العلم بما توسوس به نفسه من حبل الوريد.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ..﴾ [١٧]

ولم يقل: قَعيدان ففيه أجوبة: فمذهب سيبويه والكسائي أن المعنى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ثم حذف. ومذهب الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٦٩٦] والفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٧٧] أن ﴿قعيد﴾ واحد يؤدي عن إثنين، وأكثر منهما، كما قال جلّ وعزّ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر:

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

٦٧]. وقال محمد بن يزيد: إن التقدير في ﴿قعيد﴾ أن يكون يُنوى به التقديم أي عن اليمين قعيد ثم عطف عليه وعن الشمال. قال أبو جعفر: وهذا بيِّن حسن ومثله ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]. وقول رابع أن يكون قعيد بمعنى الجماعة، كما يستعمل العرب في فعيل، قال جلّ وعزّ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ..﴾ [١٨]

الضمير الذي فيه يعود على الإنسان أي ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به إلاّ عند لفظه به ﴿رَقِيبٌ﴾ أي حافظ يحفظ عليه ﴿عَتِيدٌ﴾ مُعَدٌّ. يكون هذا من متصرِّفات فَعِيل يكون بمعنى الجمع وبمعنى مُفْعَل وبمعنى مَفْعُول مثل قَتِيل بمعنى مقتول، وبمعنى فاعل، مثل قدير بمعنى قادر.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ..﴾ [١٩]

أي شِدّتُهُ وغَلَبَتُهُ على فهم الإنسان حتى يكون كالسكران من الشراب أو النوم ﴿بِالحقّ﴾ أي بأمر الآخرة الذي هو حق حتى يتبيَّنهُ عياناً، وقول آخر أن يكون الحق هو الموت أي وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٤٥]. وصحّ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قرأ ﴿وجاءتْ سَكرةُ الحقّ بالموتِ﴾ وكذا عن عبد الله بن مسعود رحمة الله عليه. قال: وهذه قراءة على التفسير. وفي معناها قولان: يكون الحق هو الله جلّ وعزّ أي وجاءت سكرةُ اللهِ بالموت، والقول الآخر قول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٧٨] تكون السكرة هي الحق، وجاءت السكرة الحق أضيف الشيء إلى نفسه. ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي تلك السكرة ما كنت منه تهرب. فأما التذكير فبمعنى ذلك السُّكْرُ.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ..﴾ [٢٠]

أي ما وعد الله عزّ وجلّ الكفار وأصحاب المعاصي بالنار.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ..﴾ [٢١]

محمول على المعنى، ولو كان على اللفظ لكان: وجاء كل نفس معه. والتقدير: ومعها، حذفت الواو للعائد، والجملة في موضع نصب على الحال.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا..﴾ [٢٢]

اختلف أهل العلم في هذه المخاطبة لمن هي؟ فقالوا فيها ثلاثة أقوال: قال زيد بن أسلم

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾

وعبد الرحمن بأن هذه المخاطبة للنبي ﷺ، وحكى عبد الله بن وهب عن يعقوب عن عبد الرحمن قال: قلت لزيد بن أسلم: وهذه المخاطبة للنبي ﷺ؟ فقال: ما أنكرتَ من هذا. وقد قال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٦، ٧] [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٧٨]؟ قال: فهذا قول، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ قال: هذا مخاطبة للكفار، وكذا قال مجاهد، وقال الضحّاك: مخاطبة للمشركين؛ وقال صالح بن كيسان بعد أن أنكر على زيد بن أسلم ما قاله، وقال: ليس عالماً بكلام العرب ولا له رواية وإنما هذه مخاطبة للكفار. فهذان قولان، والقول الثالث ما قاله الحسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال: هذا مخاطبة للبَرّ والفاجر، وهو قول قتادة.

قال أبو جعفر: اما قول زيد بن أسلم فتأويله على أن الكلام تم عنده عند قوله جلّ وعزّ: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ثم ابتدأ يا محمد لقد كُنتَ في غفلة من هذا الدين ومما أوحي إليك من قبل أن تُبعثَ إذ كنت في الجاهلية ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ أي نبصّرناك ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي فعلمُك نافذ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٤٥]. والبصر ههنا بمعنى العلم.

وأولى ما قيل في الآية أنها على العموم للبَرّ والفاجر، يدلّ على ذلك ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦] فهذا عام لجميع الناس بَرّهم وفاجرهم، فقد عُلم أن معنى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وجاءتك أيها الإنسان سكرةُ الموت ثم جرى الخطاب على هذا في ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي لقد كنت أيها الإنسان في غفلة مما عاينتَ فإن كان محسناً ندمَ إذا لم يزدد، وإن كان مسيئاً ندمَ إذ لم يُقلع هذا لمّا كُشِف عنهما الغطاء، فبصرُكَ اليومَ نافذ لما عاينت. وقال الضحّاك: فبصرك لسان الميزان. قيل: فتأول بعض العلماء هذا على التمثيل بالعدل أي أنت أعرفُ خلقِ الله جلّ وعزّ بعملك، فبَصَرُكَ به كلسان الميزان الذي يُعرَفُ به الزيادة والنقصان.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ..﴾ [٢٣]

قال عبد الرحمن بن زيد: ﴿قرينه﴾ سائقه الذي وُكِلَ به ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ قال: هذا ما أخذه وجاء به، ﴿هذا﴾ في موضع رفع بالابتداء و﴿ما﴾ خبر الابتداء و﴿عتيد﴾ خبر ثان، ويجوز أن يكون مرفوعاً على إضمار مبتدأ، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿ما﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٤٥]، ويجوز أن يكون نعتاً [لما] على أن تجعل ﴿ما﴾ نكرة، ويجوز النصب في غير القرآن مثل ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢].

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ..﴾ [٢٤]

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾

اختلف النحويون في قوله: ألقيا، فقال قوم: هو مخاطبة للقرين أي يقال للقرين: ألقيا. فهذا قول الكسائي والفرّاء، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٤/٧٨، ٧٩]: أن العرب تخاطب الواحد بمخاطبة الاثنين فيقول: يا رجلُ قوما، وأنشد:

خَلِيليَّ مُرّا بي على أمّ جُندُبٍ ... لِنَقْضِيَ حاجاتِ الفُؤادِ المعذَّبِ

[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٤٦]

وإنما خاطب واحداً واستدلّ على ذلك بقوله:

ألم تَرَ أنّي كلّما جِئْتُ طارقاً ... وَجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ

وقال قوم: ﴿قرين﴾ للجماعة والواحد والاثنين مثل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]. قال أبو جعفر: وحدّثنا علي بن سليمان عن محمد بن يزيد عن بكر بن محمد المازني، قال: العرب تقول للواحد: قوما على شرط إذا أرادت تكرير الفعل أي قُمْ قُمْ، فجاؤوا بالألف لتدلّ على هذا المعنى، وكذا ﴿أَلْقِيَا﴾ وقول آخر: يكون مخاطبة لاثنين. قال عبد الرحمن بن زيد: معه السائق والحافظ جميعاً. قال مجاهد وعكرمة: ﴿العنيد﴾ المجانب للحق والمعاند لله جلّ وعزّ. قال محمد بن يزيد: عَنِيدٌ بمعنى معاند مثل ضجيع وجَلِيس.

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ..﴾ [٢٥]

أي لِما يجب عليه من زكاة وغيرها. والخير: المال. و﴿مُعتدٍ﴾ على الناس بلسانه ويده. قال قتادة: ﴿مُرِيبٍ﴾ شاكّ.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ..﴾ [٢٦]

يكون ﴿الذي﴾ في موضع نصب بدلاً من كل وبمعنى أعني، ويكون رفعاً بإضمار مبتدأ، وبالابتداء وخبره ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي العَذَابِ الشَّدِيدِ﴾.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ..﴾ [٢٧]

أي ما جعلته طاغياً أي متعدّياً إلى الكفر ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي في طريق جائر عن الحق.

﴿قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ..﴾ [٢٨]

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: اعتذَرُوا بغير عذر فأبطل عليهم حُجّتَهم ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ أي بالوعيد الذي لا حيفَ فيه، ولا خُلفَ له فلا تختصموا لديّ.

مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾

﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ..﴾ [٢٩]

قال مجاهد: أي قد قضيت ما أنا قاض ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي لا آخذ أحداً بجرم أحد.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأتِ..﴾ [٣٠]

والعامل في الظرف ﴿ما يبدّل القول لدي﴾ أو محذوف أي اذكرو أو أنذرهم ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ في معناه قولان: أحدهما أن المعنى: ما في مزيد، ويحتج صاحب هذا القول بقوله جلّ وعزّ: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: ١٣]. وهذا قول عكرمة، ونظيره الحديث حين قيل للنبي ﷺ: ألا تَنزِلُ داراً من دورك؟ فقال: «وهَل تَرَكَ لنا عَقيلٌ من دار» [خ: ١٥٨٨، ٤٢٨٢، م: ٣٢٨١ـ٣٢٨٣، د: ٢٠١٠، ٢٩١٠، جه: ٢٩٤٢، ٢٧٣٠] أي ما ترك لنا داراً حتى باعها وقت الهجرة فهذا قول، والقول الآخر: فهل من مزيد؟ على الاستدعاء للزيادة، وهذا قول أنس بن مالك، ويدلّ عليه الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «لا تزال جهنّم تقولُ: هَل مِن مزيد؟ فيقومُ ربّ العالمين سُبحانه وتعالى فَيجعَلُ قدمه فيها فيقول: قَطْ قطْ» [خ: ١٦٦١، م: ٧١٠٦، ت: ٣٢٧٢، حم: ٣/٢٣٤].

قال أبو جعفر: فهذا الحديث صحيح الإسناد، ويدلّ على خلاف القول الأول، والله جلّ وعزّ أعلم.

﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ..﴾ [٣١]

أي قريب للمتقين. أي للمتّقين معاصيَ الله جلّ وعزّ.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ..﴾ [٣٢]

أي هذا الذي وصفناه للمتّقين، الذي توعدون ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ قال ابن زيد: لكل تائب راجع إلى الله لطاعته، وعن ابن عباس ﴿أواب﴾ مسبّح، وعنه ﴿حفيظ﴾ حفِظَ ذنوبه حتى تاب منها. وقال قتادة: ﴿حفيظ﴾ حافظ لما ائتمنه الله جلّ وعزّ عليه، ومعنى هذا أنه حفظ جوارحه عن معاصي الله تعالى.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ..﴾ [٣٣]

﴿ادخلوها بسلام..﴾ [٣٤]

في موضع خفض على البدل من ﴿كلّ﴾ ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾

و ﴿خَشِيَ﴾ في موضع جزم بالشرط، والتقدير: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ فيقال لهم: ﴿ادخلوها﴾ على معنى ﴿مَنْ﴾، وما قبله على لفظها و ﴿منيب﴾ تائب راجع إلى الله جلّ وعز ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ أي ذلك الذي وصفناه للمتقين يوم لا يزولون عنه.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا..﴾ [٣٥]

أي لهم ما يريدون وزيادة في الكرامة، وفسّر أنس بن مالك معنى ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ فلما لا يجوز أن يُؤخذ باقتراح ولا يؤخذ إلاّ عن النبي عليه السلام في ﴿ولدينا مزيد﴾ قال: قال: «يتجلّى لهم ربُّ العالمينَ فيقول: وعزتي لأتجلّينّ لكم حتى تنظروا إليّ فيقول: مرحباً بعبادي وجيراني وزواري ووفدي، انظروا إليّ» [ت: ٢٥٤٩، جه: ٤٣٣٦] فذلك نهاية العطاء وفضل المزيد.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ..﴾ [٣٦]

أي قبل مشركي قريش الذين كذبوك ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً﴾، المُهلَكون أشد من الذين كذّبوك، منصوب على البيان ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أثّروا وحقيقَتُهُ في اللغة طوّفوا وتوغّلوا. ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٧٩، ٨٠]: أي فهل كان لهم من الموت من محيص، وحذف [كان] للدلالة عليه وقراءة يحيى بن يعمر ﴿فنقبوا﴾ شاذّة خارجة عن الجماعة وهي على التهديد.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى..﴾ [٣٧]

أي إن في إهلاكنا القرون التي أهلكناها وقصصنا خبرها ﴿لَذِكْرَى﴾ يتذكّر بها من كان له قلبٌ يعقل به ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أي أصغى ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ مُتفهِّمٌ غيرُ ساهٍ. والجملة في موضع نصب على الحال.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ..﴾ [٣٨]

أثبت الهاء في ستّة لأنه عدد لمذكر، وفرقت بينه وبين المؤنث. ومعنى يوم: وقت؛ فلذلك ذُكِرَ قبل خلق النهارِ ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ من لَغَبَ يَلْغُبُ، ولَغَبَ إذا تَعِبَ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٤٩].

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ..﴾ [٣٩]

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١﴾

فأنا لهم بالمرصاد ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ قال أهل التفسير: يعني به اليهود؛ لأنهم قالوا استراح يوم السبت، قال جلّ وعزّ: فاصبرْ على ما يقولون فأنا لهم بالمرصاد، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ حمله أهل التفسير على معنى الصلاة.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [٤٠]

وكذا ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال ابن زيد: العَتَمَةُ. وقال مجاهد: الليل كلّه. قيل: يعني المغربَ والعشاءَ الآخرة. قال: وهذا أولى لعموم الليل في ظاهر الآية.

﴿وَإِدْبَارَ السُّجُودِ﴾ فيه قولان: قال ابن زيد: النوافل. قال: وهذا قولٌ بيّنٌ؛ لأن الآية عامة فهي على العموم إلاّ أن يقع دليلٌ غير أن حجّة الجماعة جاءت لأن معنى ﴿وَإِدْبَارَ السُّجُودِ﴾ ركعتان بعد المغرب [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨٠]. قال ذلك عمر وعلي والحسن بن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، ومن التابعين الحسن ومجاهد والشّعبي وقتادة والضحّاك، وبعض المحدّثين يرفع حديث علي عن النبي ﷺ ﴿وَإِدْبَارَ السُّجُودِ﴾ قال: «ركعتان بعد المغرب». وقرأ أبو عمرو وعاصم والكسائي ﴿وأَدبَارَ السُّجُودِ﴾ بفتح الهمزة جعلوه جمع دُبُر، ومن قال: إدبار جعله مصدراً من أدبرَ وأجمعوا جميعاً على الكسر في ﴿وإدبَارَ النُّجُومِ﴾ فذكر أبو عبيد أن السجود لا إدبار له. وهذا مما أُخِذَ عليه، لأن معنى و﴿إدبارَ السُّجود﴾ ما بعده وما يُعقِبُهُ فهذا للسجود، والنجوم والإنسان واحد. وقد روى المحدّثون الجلّة تفسير ﴿وإدبارَ السجود﴾، ﴿وإدبار النجوم﴾ فلا نعلم أحداً منهم فرّق ما بينهما.

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ..﴾ [٤١]

وقرأ عاصم والأعمش وحمزة والكسائي ﴿يومَ يُنادِ المُنَادِ من مكان قريب﴾ بغير ياء في الوصل والوقف، وهو اختيار أبي عبيد اتباعاً للخط. وقد عارضه قوم فقالوا: ليس في هذا تغيير للخط؛ لأن الياء لام الفعل فقد عُلِم أن حقّها الثبات. قال سيبويه: والجيد في مثل هذا إثبات الياء في الوقف والوصل قال: ويجوز حذفها في الوقف. قال أبو جعفر: ذلك أنك تقول: مُنادٍ ثم تأتي بالألف واللام فلا تُغيّرُ الاسم عن حاله.

فأمّا معنى ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾. فقيل فيه: أي حين يوم. قال كعب: المنادي مَلَكٌ ينادي من مكان قريب [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨١]، من صخرة بيت المقدس [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٥٠] بصوت عالٍ: يا أيّتُها العظام البالية والأوصال المتقطعة اجتمعي لفصل القضاء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالحَقِّ..﴾ [٤٢]

أي بالاجتماع للحساب ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ﴾ من قبورهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ..﴾ [٤٣]

حذف المفعول أي نحيي الموتى ونميت الأحياء ﴿وَإِلَيْنَا المَصِيرُ﴾ أي المرجع.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً..﴾ [٤٤]

العامل في ﴿يوم﴾ المصير أي وإلينا مصيرهم يوم تتشقّق و﴿تشّقّق﴾ أُدغمت التاء في الشين، ومن قال: تَشَقَّقُ حذف التاء، ﴿سِراعاً﴾ على الحال، قيل: من الهاء والميم، وقيل: لا يجوز الحال من الهاء والميم لأنه لا عامل فيها، ولكن التقدير فيخرجون سراعاً ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي سهل.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ..﴾ [٤٥]

أي من الافتراء والتكذيب بالبعث ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي بِمُسَلَّط. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٨١]: جُعِل جبّار في موضع سلطان. ومن قال: بجبّار معناه لست تجبرهم على ما تريد فمخطئ؛ لأن فعّالاً لا يكون من أفعل، وإن كان الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٨١] قد حكى أنه يقال: دَرّاك من أدرك فهذا شاذّ لا يُعرَف، وحكى أيضاً جَبَرتُ الرجُلَ، وهذا من الشذوذ، وإن كان بعض الفقهاء مُولعاً بِجَبَرتُ. ﴿فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي وعيدي لمن عصاني وخالف أمري.

٥١ ـ سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾

شرح إعراب سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً..﴾ [١]

﴿والذاريات﴾ خفض بواو القسم، والواو بدل من الباء ﴿ذَرْواً﴾ مصدر، والتقدير: والرياحِ الذارياتِ. يقال: ذَرَتِ الريح الشيء: إذا فَرَّقَتْهُ فهي ذارية، وأذرت فهي مُذرِيَة.

﴿فَالحَامِلاتِ..﴾ [٢]

عطف على الذاريات، والتقدير: فالسحاب الحَامِلاَتِ المطر [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨٢]، هذا التفسير صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل: الحاملات السفن، وقيل: الرياح؛ لأنها تحمل السحاب ﴿وِقْراً﴾ كلّ ما حُمِلَ على الظهرِ فهو وِقْرٌ.

﴿فَالجَارِيَاتِ..﴾ [٣]

عطف، أي فالسفن الجاريات [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨١] ﴿يُسْراً﴾ نعت لمصدر أي جرياً يُسراً.

﴿فَالمُقَسِّمَاتِ..﴾ [٤]

عطف أيضاً، أي فالملائكة [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٥١]، [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨٢] المقسِّمات ما أُمِرُوا به أمراً.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ..﴾ [٥]

أي من الحساب والثواب والعقاب، وهذا جواب القسم.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ..﴾ [٦]

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾

عطف. قال ابن زيد: ﴿لَواقع﴾ لكائن.

﴿وَالسَّمَاءِ..﴾ [٧]

خفض بالقسم. وقيل التقدير: وربِّ السماء، وكذا لكلّ ما تقدم، ﴿ذَاتِ الحُبُكِ﴾ نعت. قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/٦٩٧]: الواحد حِباكٌ. وقال الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٨٢]: حِباكٌ وحبيكةٌ.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ..﴾ [٨]

وجواب القسم ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ قال قتادة: في معنى مختلف، منكم مصدِّق بالقرآن ومكذِّب به. وقال ابن زيد: يقول بعضهم: هذا سِحرٌ، ويقول بعضهم: شيئاً آخر، قولاً مختلفاً ففي أي شيء الحقّ؟

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ..﴾ [٩]

قال الحسن: يُصرف عن الإيمان والقرآن من صُرِف، وقيل: يُصرَفُ عن القول أي من أجله لأنهم كانوا يتلقَّون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون له: سحرٌ وكهانة فيُصرفُ عن الإيمان.

﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ..﴾ [١٠]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله جلّ وعزّ ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾ قال: يقول: لُعِنَ المرتابونَ، وقال ابن زيد: يخترصون الكذب يقولون: شاعرٌ وساحرٌ وجاء بسحرٍ، وكاهنٌ وكهانةٌ وأساطير الأولين اكتتبها فهي تُملَى عليه بُكرةً وأصيلاً فيخترصون الكذب.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ..﴾ [١١]

﴿الذين﴾ في موضع رفع نعت للخرّاصين، وهي مبتدأ، و﴿ساهون﴾ خبره والجملة هي الصلة، وفي غير القرآن يجوز نصب ساهين على الحال. و﴿في غمرة﴾ أي في تغطية الباطل والجهل، ومنه: فلانٌ غَمرٌ، وماء غَمرٌ يُغطّي من دَخَلهُ، ومنه الغَمْرَةُ. قال ابن زيد: ساهون عن ما أنزله الله وعن أمره ونهيه.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ..﴾ [١٢]

عن ابن عباس: يقولون: متى يومُ الحِساب. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ﴿إِيَّان﴾ بكسر الهمزة وهي لغة.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ..﴾ [١٣]

ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾

اختلف النحويّون في نصب ﴿يوم﴾ فقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٥٢]: موضعه نصب، والمعنى يقع الجزاء يوم هُمْ على النار يُفتَنونَ، والنحويّون غيره يقولون: يوم في موضع رفع على البدل من قوله ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ وتكلّموا في نصبه فقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٨٣]: لأنه أُضيف إلى شيئين، وأجاز الرفع فيه على أصله. وقال غيره: لأنها إضافة غير محضة. ومذهب الخليل وسيبويه أن ظروف الزمان غير متمكّنة فإذا أُضيف إلى غير مُعرَب أو إلى جملة مثل هذه بُنِيت على الفتح، وأجازا: مضى يوم قامَ، وأنشد النحويون وأصحاب الغريب لامرئ القيس:

ويــومَ عَــقَــرتُ لِــلْــعَــذارى مَــطِــيَّــتــي

[القرطبي في تفسيره: ٦/ ٤١٢]

بنصب ﴿يوم﴾ وموضعه رفع على رواية من روى ﴿ولا سيَّما يومٌ﴾، وخفض على رواية من روى ﴿ولا سيَّما يومِ﴾. قال أبو جعفر: ولا نعلم أحداً رفعه ولا خفضه، والقياس يُوجِب إجازة هذين. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال: يُعذَّبون [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٥٣]، [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨٣]. وقال محمد بن يزيد: هو من قولهم: فتنتُ الذهب والفضة إذا أحرقتهما لتختبرهما وتخلصهما. وقال بعض المتأخرين: لما كانت الفتنة في اللغة هي الاختبار لم تخرج عن بابها والمعنى عليها صحيح، والتقدير: يوم هم على النار يُختبَرُون فيقال: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ..﴾ [١٤]

قال مجاهد وعكرمة وقتادة: أي عذابكم ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ مبتدأ وخبر لأنهم كانوا يستعجلون في الدنيا بالعذاب تهزّؤاً وإنكاراً [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨٣].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ..﴾ [١٥]

أي إن الذين اتقوا الله تعالى بترك معاصيه وأداء طاعته في بساتين وأنهار، فكذا المتّقي إذا كان مطيعاً، فإن كان متقياً لِلسَّرَقِ غير متّقٍ للزنا لم يُقَل له مُتَّقٍ، ولكن يقال له: متَّقٍ للسَّرَقِ، فكذا هذا الباب كله.

﴿آخِذِينَ..﴾ [١٦]

نصب على الحال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٥٣]، ويجوز رفعه في غير القرآن على خبر ﴿إنّ﴾ فأما معنى ﴿مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ففيه قولان: أحدهما في الجنة، والآخر أنهم عاملون في الدنيا

كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾

بطاعة الله سبحانه وبما افترضه عليهم فهم آخذون به غيرُ متجاوزين له كما روي عن ابن عباس في قوله جلّ وعزّ ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال: الفرائض، وعنه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قال: قبل أن يفرض عليهم الفرائض.

﴿كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ..﴾ [١٧]

تكون ﴿ما﴾ زائدة للتوكيد، ويكون المعنى كانوا يهجعون قليلاً أي هجوعاً قليلاً ويجوز أن يكون ﴿ما﴾ مع الفعل مصدراً ويكون ﴿ما﴾ في موضع رفع وينصب ﴿قليلاً﴾ على أنه خبر ﴿كان﴾ أي كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، قال محمد بن يزيد: إن جعلت [ما] اسماً رفعت ﴿قليلاً﴾. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: يهجعون: ينامون [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٥٣] و[معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨٤].

﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ..﴾ [١٨]

تأوّله جماعة على معنى يُصَلّون؛ لأن الصلاة مسألة استغفار، وتأوّله بعضهم على أنهم يصلون من أول الليل ويستغفرون آخره واستحبَّ هذا الشافعي (رحمه الله)؛ لأن الله سبحانه أثنى عليهم به. وقال عبد الرحمن بن زيد: السَّحَرُ: السُّدسُ الآخِرُ من الليل.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ..﴾ [١٩]

﴿حق﴾ رفع بالابتداء ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ قال أبو جعفر: وقد ذكرنا أقوال جماعة من العلماء في المحروم ثَمّ. وحدّثنا الزهري محمد بن مسلم أنه قال: المحروم الذي لا يَسأل، وأكثر الصحابة على أنه المُحَارفُ. وليس هذا بمتناقض؛ لأن المحروم في اللغة الممنوع من الشيء فهو مشتمل على كل ما قيل فيه.

﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ..﴾ [٢٠]

أي عِبَر وعظات للموقنين تدلّ على بارئها ووحدانيته.

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ..﴾ [٢١]

قال ابن زيد: وفي خلقه إيّاكم، قال: وفيها أيضاً آيات للسان والعين والكلام، والقلب فيه العقل، هل يدري أحد ما العقل وما كيفيته؟ ففي ذلك كله آيات ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ أي أفلا تفكرون فتستدلّوا على عظمة الله جلّ وعزّ وقدرته.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ..﴾ [٢٢]

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

رُفع بالابتداء. واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿رزقكم﴾ وفي الرزق ما هو؟ هل هو الحلال والحرام أم الحلال خاصة؟ فقال الضحاك: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي المطر، وقال سعيد بن جبير: الثلج وكل عين ذائبة، وتأوّل ذلك واصلُ الأحدبُ على أن المعنى: ومن عند الله الذي في السماء صاحب رزقكم. وقال قوم: كُلّ ما كَسَبَهُ الإنسان سُمّيَ رزقاً. وقال قوم: لا يقال رَزَقَهُ الله جلّ وعزّ إلاّ لما كان حلالاً، واستدلّوا على هذا في القرآن فقال الله جلّ وعزّ: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ [المنافقون: ١٠] ولا يأمر بالنفقة إلاّ من الحلال.

واختلف أهل التأويل في ﴿وما تُوعَدونَ﴾ فقال الضحاك: الجنّة والنار، وقال غيره: تُوعَدُونَ من وَعَدَ، ووعد إنما يكون للخير فما تُوعَدُونَ للخير فأما في الشّرّ فيقال: أوعَدَ، وقال آخرون: هو من أوعدَ لأن تُوعَدُون في العربية يجوز أن يكون من أوعَدَ ومن وَعَدَ. والأحسن فيه ما قال مجاهد، قال: ما تُوعَدُونَ من خير وشرّ؛ لأن الآية عامة فلا يُخصّ بها شيء إلاّ بدليل قاطع.

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..﴾ [٢٣]

خفض على القَسَم ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ أي إن قولنا ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وما تُوعدونَ﴾ ﴿لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ برفع ﴿مثل﴾ قراءة الكوفيين وابن أبي إسحاق على النعت لحق، وقرأ المدنيون وأبو عمرو ﴿مثل ما﴾ بالنصب. وفي نصبه أقوال أصحّها ما قال سيبويه أنه مبني لما أضيف إلى غير مَتمكن فبُني ونظيرُهُ ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود: ٦٦] وقال الكسائي: ﴿مِثْلَ ما﴾ منصوب على القطع، وقال بعض البصريين هو منصوب على أنه حال من نكرة، وأجاز الفراء [معاني القرآن: ٣/ ٨٥] أن يكون التقدير: حقاً مثل ما، وأجاز أن يكون ﴿مثلَ﴾ منصوبة بمعنى كمثل ثم حذف الكاف ونصب، وأجاز: زيدٌ مثلَك، ومِثلَ من أنتَ؟ يَنصِبُ ﴿مثلَ﴾ على المعنى على معنى كمثل فألزِمَ على هذا أن يقول: عبدُ اللهِ الأسدَ شِدّةً، يعني كالأسد فامتنعَ منه، وزعم أنه إنما أجازه في [مثل]؛ لأن الكاف تقوم مقامها، وأنشد:

وَزِعتُ بكالهِراوَةِ أعوجيٍّ إذا ونَتِ الركابُ جَرَى وَثَابا

[معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨٥]

قال أبو جعفر: وهذه أقوال مختلفة إلاّ قول سيبويه. وفي الآية سؤال أيضاً وهو أن يقال: جَمَعَ ما بين ﴿ما﴾ و﴿إنّ﴾ ومعناهما واحد. قال أبو جعفر: ففي هذا جوابان للنحويين الكوفيين أحدهما أنه لما اختلف اللفظان جاز ذلك كما قال:

فما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ منايانا ودَوْلَةُ آخرينا

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

فجمع ما بين ﴿ما﴾ و﴿إن﴾ ومعناهما واحد. قال الله جلّ وعزّ: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [فاطر: ٤٠] بمعنى ما يعد الظالمون. والجواب الآخر أن زيادة [ما] تفيد معنى؛ لأنه لو لم تدخل [ما] كان المعنى أنه لحق لا كذبٌ فإذا جئت بما صار المعنى أنه لحقّ، مثلُ: ما إنّ الآدمي ناطقٌ، كما تقول: الحَقّ نُطقُكَ؟ بمعنى أحقٌّ أم كذبٌ؟ وتقول: أحقٌّ إنّكَ تنطقُ؟ فتفيد معنى آخر.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ..﴾ [٢٤]

ولم يقل أضياف؛ لأنّ ضيفاً مصدر، وحقيقته في العربية حديث ذوي ضيف، مثل ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ..﴾ [٢٥]

أي حين دخلوا ﴿فَقَالُوا سَلاماً﴾ منصوب على المصدر، ويجوز أن يكون منصوباً بوقوع الفعل عليه. ويدلّ على صحة هذا الجواب أن سفيان روى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿قَالُوا سَلاماً﴾ قال سداداً. ﴿قَالَ سَلامٌ﴾ مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف أي سلام عليكم، ويجوز أن يكون مرفوعاً على خبر الابتداء والابتداء محذوف أي أمري سلام، وقرأ حمزة والكسائي ﴿قَالَ سِلْمٌ﴾ وفيه تقديران: أحدهما أن يكون سلامٌ وسِلْمٌ بمعنى واحد مثل حِلّ وحَلال، ويجوز أن يكون التقدير: نحنُ سِلْمٌ ﴿قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ على إضمار مبتدأ وإنما أنكرهم فيما قبل؛ لأنه لم يعرف في الأضياف مثلَهم.

﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ..﴾ [٢٦]

أي رجع، وحقيقتهُ رجَعَ في خُفيَة [معاني القرآن للفراء: ٣/٨٦] ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ التقدير فجاء أضيافه ثم حذف المفعول.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ..﴾ [٢٧]

الفاء تدل على أن الثاني يلي الأول و﴿ألا﴾ تنبيه.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً..﴾ [٢٨]

أي ستر ذلك وأضمره ﴿قَالُوا لا تَخَفْ﴾ حُذفت الضمة للجزم والألف لالتقاء الساكنين ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ أي يكون عالماً، وحكى الكوفيون أن عليماً إذا كان للمستقبل قيل: عالم، وكذا نظائره يقال: ما هو كريم وإنه لكارم غداً، وما مات وإنه لمائت وهذا وإن كان يقال فالقرآن قد جاء بغيره [معاني القرآن للفراء: ٣/٨٦ ـ ٨٧].

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝٣٠ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝٣١ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ۝٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ۝٣٣ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥﴾

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ..﴾ [٢٩]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: في صيحة، وكذا قال مجاهد والضحّاك وابن زيد وابن سابط، وقيل: ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ في جماعة نسوة يتبادرن لينظرن إلى الملائكة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ قال مجاهد: ضربت جبهتها تعجباً ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ زعم بعض العلماء أنّ عجوزاً بإضمار فعل أي أتلدُ عجوز؟ قال أبو جعفر: وهذا خطأ؛ لأن حرف الاستفهام لا يحذف، والتقدير على قول أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٥٥]: قالت: أنا عجوزٌ عقيم أي فكيف ألِدُ؟

﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ..﴾ [٣٠]

أي كما قلنا لك [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٥٥]، وليس هذا من عندنا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره ﴿الْعَلِيمُ﴾ أي بمصالح خلقه وبما كان وبما هو كائن.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [٣١]

قال إبراهيم لضيفه: ما شأنكم يا أيها، وحُذِفت (يا)، كما يقال: زيدُ أقبلْ، و ﴿أي﴾ نداء مفرد، وهو اسم تام ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ من نعته.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ [٣٢]

أي قد أجرموا بالكفر، ويقال: جَرَمُوا، إلاّ أنّ أجْرَموا بالألف أكثر.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [٣٣]

أي لنمطر عليهم.

﴿مُسَوَّمَةً..﴾ [٣٤]

في معناه قولان: أهل التأويل على أنّ معناه مُعلّمةً [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٥٦]. قال ابن عباس: يكون الحجر أبيض وفيه نقطة سوداء ويكون الحجر أسود وفيه نقطة بيضاء. والقول الآخر أن يكون معنى مُسوّمة مُرسَلَةً من سَوّمتُ الإبلَ ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي للمتعدين لأمر الله جلّ وعزّ.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..﴾ [٣٥]

كناية عن القرية، ولم يتقدم لها ذكر؛ لأنه قد عرف المعنى، ويجوز أن يكون كناية عن الجماعة.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٦]

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ
﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾

قال مجاهد: لوط ﷺ وابنتاه لا غير.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [٣٧]

قول الفرّاء [معاني القرآن: ٨٧/٣]: إنّ ﴿في﴾ زائدة. والمعنى: ولقد تركناها آية، ومثله عنده ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [طه: ٧] وهذا المتناول البعيد مُستغنى عنه، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥٦/٥]: ولقد تركنا في مدينة قوم لوط عليه السلام آية للخائفين.

﴿وفي موسى..﴾ [٣٨]

أي وفي موسى آيةٌ واعتبار ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة بيّنة يتبيّنُ من رآها أنها من عند الله سبحانه. قال قتادة: بسلطان مُبين أي بعذر مبين.

﴿فَتَوَلَّى..﴾ [٣٩]

فأعرض عن ذكر الله وأدبر ﴿بِرُكْنِهِ﴾ فيه قولان قال أهل التأويل: المعنى بقومه، قال ذلك مجاهد وقتادة، وقال ابن زيد: بجماعته. والقول الآخر حكاه الفرّاء [معاني القرآن: ٨٧/٣] ﴿بركنه﴾: بنفسه، قال: وحقيقة ركنه في اللغة جانبه الذي يتقوّى به ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ على إضمار مبتدأ. وأبو عبيدة يذهب إلى أن [أو] بمعنى الواو، قال: وهذا تأويل عند النحويين الحذّاق خطأ وعكس المعاني، وهو مستغنى عنه ولا ومعناها، وقد أنشد أبو عبيدة لجرير [ديوانه: ٦٦]:

أثعلبةَ الفوارسِ أو رِياحاً عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيّةَ والخِشابا

فهذا أيضاً على ذاك محمول.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ..﴾ [٤٠]

عطف على الهاء ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي فألقيناهم في البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ والاصل مُلْيِم أُلقيت حركة الياء على اللام إتباعاً.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ..﴾ [٤١]

أي وفي عاد آية، والمعنى معقومة فلذلك حُذفت الهاء.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ..﴾ [٤٢]

حُذفت الواو من تَذَرُ لأنها بمعنى تَدَع، وحُذفت من يَدَعُ؛ لانّ الأصل فيها يُودَعُ فوقعت الواو بين ياء وكسرة فحُذفت ﴿إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٨٨/٣]: الرميم:

﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

النَّبت إذا يبس وديس. وقال محمد بن يزيد: أصل الرميم العظم البالي والمتقادم، ويقال له: رِمَّةٌ.

﴿وَفِي ثَمُودَ..﴾ [٤٣]

أي آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ زعم الفرّاء [معاني القرآن: ٨٨/٣] أن الحين ههنا ثلاثة أيام، وذهب إلى هذا؛ لأنه قيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام.

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ..﴾ [٤٤]

أي غَلَوا وتركوا أمر ربهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ ويُروى عن عمر بن الخطاب رحمه الله أنه قرأ: ﴿فأخذتهم الصَّعْقَةُ﴾ وإسناده ضعيف لأنه لا يُعرف إلاّ من حديث السُّدّي، ويدلّك على أن الصاعِقة أولى قوله جلّ وعزّ: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ [الرعد: ١٣] فهذا جمع صاعقة وجمع صعْقة صعَقات وصِعاق ﴿وَهُمْ يَنْظُرونَ﴾ قيل: المعنى: ينتظرون ذلك لأنهم كانوا ينتظرون العذاب لمّا تغيّرت ألوانهم في الأيام الثلاثة.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ..﴾ [٤٥]

أي نهوض بالعقوبة. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٨٨/٣]: ﴿من قيام﴾ أي ما قاموا بها، وأجاز في الكلام من إقامة كأنه تأوّله بمعنى: ما استطاعوا أن يقوموا بها. وزعم أن ﴿مِنْ قِيَامٍ﴾ مثل ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] وما ﴿كانوا مُنْتَصِرِينَ﴾ أي ما كانوا يقدرون على أن يستقيدوا ممّن عاقبهم. وقال قتادة في معنى ﴿وما كانوا منتصرين﴾ وما كانت لهم قوة يمتنعون بها من العقوبة.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ..﴾ [٤٦]

قراءة أهل المدينة وعاصم، وقرأ أبو عمرو والأعمش وحمزة والكسائي ﴿وقومِ نوحٍ﴾ بالخفض معطوفاً على ﴿وفي ثمود﴾، والمعنى في الخفض: وفي قوم نوح آية وعبرة. والنصب من غير جهة فللفرّاء [معاني القرآن: ٨٨/٣، ٨٩] فيه قولان، وبعدهما ثالث عنه أيضاً وهما أن يكون التقدير: فأخذتهم الصاعقة وأخذت قوم نوح، والتقدير الثاني أن يكون التقدير: وأهلكنا قوم نوح، والثالث الذي بعدهما أن يكون التقدير: واذكروا قوم نوح. قال أبو جعفر: ورأيت أبا إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥٧/٥] قد أخرج قوله هذا الثالث، وفيه من كلامه: وليس هذا بأبغض إليّ من الجوابين، وهو يتعجب من هذا ويقول: دلّ بهذا الكلام على أن الأجوبة الثلاثة بغيضة إليه. قال: وفي هذه الآية قول رابع حسنٌ يكون ﴿وقومَ نوح﴾ معطوفاً على ﴿فأخذناه وجُنودَه فَنبذناهم في اليمّ﴾ لأن معناه فأغرقناهم وأغرقنا قوم نوح.

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

فأما القراءة بالنصب فهي البيّنة عند النحويين سوى من ذكرنا ممن قرأ بغيرها، فاحتجّ أبو عبيد للنصب بأنه قبْلَهُ فيما كان مخفوضاً من القصص كلّها بيان ما نَزَلَ بهم نحو ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وليس هذا في قوم نوح، فدلّ هذا على أنه ليس معطوفاً على الخفض لأنه مخالف له. قال: فكيف يكون ﴿وفي قومِ نوحٍ﴾ ولا يذكر ما نَزَلَ بهم؟ وقال غيره: أيضاً العرب إذا تباعد ما بين المخفوض وما بعده لم يعطفوه عليه ونصبوه قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٦٠] ولا نعلم أحداً خفض، وقال جلّ وعزّ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فرفع أكثر القرّاء ولم يعطفوه على ما قبله، وحجة ثالثة ذكرها سيبويه وهي أن المعطوف إلى ما هو أقرب إليه أولى، وحكى: خَشَنْتُ بصَدْرِهِ وصَدرِ زَيد، وأن الخفض أولى لقربه فكذا هذا فأخذتهم الصاعقةُ وأخذتْ قوم نوح أقرب من أن تردّه إلى ثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ نعت لقوم أي خارجين عن الطاعة.

﴿والسَّماءَ..﴾ [٤٧]

نصب بإضمار فعل أي وبنينا السماء ﴿بنَيناها بأيدٍ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿بأيدٍ﴾ بقوة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٥٧، ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ٨٩].

﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا..﴾ [٤٨]

بإضمار أيضاً ﴿فَنِعْمَ المَاهِدُونَ﴾ رفع بنِعْمَ. والمعنى: فنعم الماهدون نحن ثم حَذَفَ.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ..﴾ [٤٩]

قيل: التقدير ومن كلّ شيء خَلَقْنا خَلَقْنا زوجين. قال مجاهد: في الزوجين: الشقاء والسعادة، والهدى والضلالة، والإيمان والكفر. وقال ابن زيد: الزوجان: الذكر والأنثى. وجمعهما الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٨٩] فقال: الزوجان من الحيوان الذكر والأنثى ومن غيرهم الحلو والحامض وما أشبه ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي تتعتبرون وتعلمون أنّ العبادة لا تصلح إلاّ لمن خلق هذه الأشياء.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ..﴾ [٥٠]

أي إلى طاعته ورحمته من معصيته [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٨٩] وعقابه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أي مخوف﴾ عقابه مَنْ عصاه.

﴿وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ..﴾ [٥١]

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾

أي معبوداً آخر إذا كانت العبادة لا تصلح إلاّ له ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي أخوّف من عَبَدَ غيره عذابه وجاء ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ مرّتين، وليس بتكرير؛ لأنه خوّف في الثاني مَن عَبَدَ غير الله جلّ وعزّ، وفي الأول مَنْ لم يفرّ إلى طاعة الله ورحمته، فهذا قد يكون للموحّدين.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ..﴾ [٥٢]

تكون الكاف في موضع رفع أي الأمر كذلك، ويجوز أن تكون في موضع نصب بمعنى: كذلك فَعلَ الذين من قبل قريش ما أتاهم من رسول إلاّ قالوا له هذا.

﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ..﴾ [٥٣]

أي هل أوصى بعضهم بعضاً بهذا ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ المعنى: لم يتواصوا به، بل هم قوم طغوا واعتدوا فخالفوا أمر الله جلّ وعزّ ونهيه.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ..﴾ [٥٤]

قال مجاهد: أي أعرضْ، والتقدير: أعرض عنهم حتى يأتيك أمرنا فيهم، فأتاه الأمر بقتالهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي لا تلحقك لائمة من ربك جلّ وعزّ في تفريط كان منك في إنذارهم فقد أنذرتهم وبلّغتهم.

﴿وَذَكِّرْ..﴾ [٥٥]

أي عِظهم ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويجوز ينفع لأن الذكرى والذكر واحد.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ..﴾ [٥٦]

قيل: يراد ههنا المؤمنون خاصة. واحتجّ صاحب هذا القول بأنه يلي المؤمنين فأنْ يكون الضمير يليهم أولى. ومعنى هذا يروى عن زيد بن أسلم قال: وهذا مذهب أكثر أصحاب الحديث، وقال القتبي: هو مخصوص فهذا هو ذلك القول إلاّ أن العبارة عنه ليست بحسنة. وقيل في الآية: ما رُوِيَ عن ابن عباس أنّ العبادة ههنا الخضوع والانقياد، وليس مسلم ولا كافر إلاّ وهو خاضع لله جلّ وعزّ، منقاد لأمره طائعاً أو كارهاً فيما جبلهُ عليه من الصحةِ والسقم والحسن والقبح والضيق والسعة.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ..﴾ [٥٧]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ما﴾ في موضع نصب و﴿مِنْ﴾ زائدة للتوكيد ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ حُذفت النون علامة للنصب، وحذفت الياء لأن الكسرة دالّة عليها، وهو رأس آية فَحَسُنَ الحذف.

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ..﴾ [٥٨]

أي الرزّاق خلقه المتكفّل بأقواتهم ﴿ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ بالرفع قرأ به من تقوم بقراءته الحجّة على أنه نعت للرزّاق ولذي القوة، أو على أنه خبر بعد خبر، أو على إضمار مبتدأ أو نعت لاسم ﴿إنّ﴾ على الموضع. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿المتين﴾: الشديد. وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش ﴿ذُو القُوَّةِ المَتِينِ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٩٠] بالخفض على النعت للقوة. وزعم أبو حاتم أن الخفض على قرب الجوار. قال أبو جعفر: والجوارُ لا يقع في القرآن ولا في كلام فصيح، وهو عند رؤساء النحويين غلط ممن قاله من العرب. ولكن القول في قراءة من خفض أنه تأنيث غير حقيقي. والتقدير فيه عند أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٥٩]: ذو الاقتدار المتين؛ لأن الاقتدار والقوة واحد، وعند غيره بمعنى ذو الإبرام المتين.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً..﴾ [٥٩]

اسم ﴿إنّ﴾ ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ نعت ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي به.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ [٦٠]

رفع بالابتداء، ويجوز النصب أي ألزمهم الله ويلا ﴿مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي يوعدون فيه بنزول العذاب.

٥٢ ـ سورة الطُور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾

شرح إعراب سورة الطور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ﴾ [١]

خُفض بواو القسم.

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ [٢]

واو عطف، وليست واو قَسَم. قال الضحّاك وقتادة: ﴿مسطور﴾ مكتوب. وأجاز النحويّون: مصطور تُقلب السين صاداً تقرباً إلى الطاء.

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [٣]

من صلة مسطور أي كتب في رق به، وقال الراجز:

إنّـي وأسـطـار سُـطِـرْنَ سَـطْـرا

[ديوان رؤبة: ١٧٤]

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [٤]

عطف، أي المعمور بمن يدخله، يقال: عَمَرَ المَنزِلُ فهو عامر، وعمرته فهو معمور، وإن أردت مُتعدي عمرَ المنزلُ قُلتَ: أعمرتُهُ.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [٥]

معطوف.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [٦]

وكذا ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ وجواب القسم.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [٧]

يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قال قتادة: أي يوم القيامة أي حالٌ بالكافرين.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً..﴾ [٩]

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: تَحرّكاً. قال أبو جعفر: يقال: مارَ الشيءُ إذا دار [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٦١] و[معاني القرآن للفراء: ٣/ ٩١]، ويُنْشَدُ بيتُ الأعشى [ديوانه: ٥٥]:

كأنَّ مِشْيَتَها من بَيْتِ جارتِها ... مَورُ السَّحابةِ لا رَيْثٌ ولاَ عَجَلُ

ويُروَى عن ابن عباس: تمور: تشقَّق.

﴿وَتَسِيرُ الجِبَالُ..﴾ [١٠]

اي من أمكنتها ﴿سَيْراً﴾.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [١١]

دخلت هذه الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة، ومثله فالكَلِمُ اسم وفعل وحرف جاء لمعنى فالتقدير إذا انتبهت له فهو كذا وكذا الآية التقدير فيها: إذا كان هذا فويل يومئذ للمكذّبين.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ..﴾ [١٢]

أي في فتنة واختلاط يلعبون أي غافلين عما يراد بهم، و﴿الذين﴾ في موضع خفض نعت للمكذّبين.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً..﴾ [١٣]

نُصب يوم على البدل من يومئذ. وروى قابوس عن أبيه عن ابن عباس ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً﴾ قال: يُدفَعُ في أعناقهم حتى يردّوا إلى النار.

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [١٤]

أي يقال لهم فحذف هذا.

﴿اصْلَوْهَا..﴾ [١٦]

أي قاسوا حرّها وشدّتها ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ أي على ألمها وشدّتها ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ مبتدأ، أي سواء عليكم الصبر والجزع [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٦٢] ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾

﴿إِنَّ المُتَّقِينَ..﴾ [١٧]

أي الذين اتقوا الله جلّ وعزّ في اجتناب معاصيه وأداء فرائضه ﴿فِي جَنَّات وَنَعِيم﴾ في موضع خبر ﴿إنّ﴾.

﴿فَاكِهِينَ..﴾ [١٨]

على الحال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٦٣]. ويجوز الرفع في غير القرآن على أنه خبر ﴿إنّ﴾ ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ بما أعطاهم ورزقهم ﴿وَوَقَاهُمْ﴾ والمستقبل منه معتلّ من جهتين من فائه ولامه. قال أبو جعفر: فأمّا اعتلاله من فائه فإنّ الأصل فيه: يُوقِيه، حُذِفت الواو لأنها بين ياء وكسرة، واعتلاله من لامه لأنها سكنت في موضع الرفع ولثقل الضمة فيها.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٩]

والتقدير: يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ونصبُ ﴿هنيئاً﴾ على المصدر ومعناه: بلا أذى ولا غم ولا غائلة تلحقكم في أكلكم ولا شربكم [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٦٣].

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُر مَصْفُوفَة..﴾ [٢٠]

﴿متكئين﴾ نصب على الحال ﴿على سرر مصفوفة﴾ جمع سرير، ويجوز ﴿سُرَر﴾ لثقل الضمّة ﴿مصفوفة﴾ نعت ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُور عِين﴾ أي قرنّاهم بهنّ. قال أبو عبيدة: الحَوَرُ شِدّة سَوادِ سواد العين وشدّة بياض بياض العين. قال أبو جعفر: الحَورُ في اللغة البياض، ومنه الخبز الحُوّاري، و﴿عِين﴾ جمع عيناء وهو على فُعْل أُبدل من الضمة كسرة لمجاورتها الياء.

﴿وَالَّذِينَ﴾ [٢١]

مبتدأ ﴿آمَنُوا﴾ صلته ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَان﴾ داخل معه في الصلة ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ خبر الابتداء. وهذه القراءة مأثورة عن عبدالله بن مسعود، وهي متصلة الإسناد من حديث المفضّل الضبّي عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله بن مسعود أنه رد على رجل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَان أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالتوحيد فيهما جميعاً مقدار عشرين مرة وهذه قراءة الكوفيين؛ وقرأ الحسن وأبو عمرو ﴿ذُرِّيَّاتهم﴾ بالجمع فيها جميعاً. وقرأ المدنيون ﴿واتبعتهم ذريّتهم بإيمان ألحقنا بهِمْ ذرّيّاتهِمْ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٩١، ٩٢].

والمعاني في هذا متقاربة وإن كان التوحيد القلب إليه أميل لما رُوي عن عبدالله بن

وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾

مسعود، وعن ابن عباس وقد احتج أبو عُبَيد للتوحيد بقوله جلّ وعزّ: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ [مريم: ٥٨] ولا يكون أكثر من ذرية آدم عليه السلام قال: وهذا إجماع فسبيل المختلف فيه أن يُرَدّ إليه ﴿وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ يقال: أَلَتَهُ يألتُهُ ولاتَهُ يَليتُهُ اذا نقصه [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٩٢] و﴿مِّنْ﴾ في ﴿عملهم﴾ للتبعيض وفي ﴿من شيء﴾ بمعنى التوكيد ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ مبتدأ وخبره أي كل إنسان مُرتَهَن بما عمل لا يؤخذ أحد بذنب أحد.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ..﴾ [٢٢]

وهم هؤلاء المذكورون ﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي يشتهونه، وحُذِفت الهاء لطول الاسم.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ..﴾ [٢٣]

هذه قراءة أهل الحَرَمين وأهل المِصْرين إلاّ أبا عمرو ويروى عن الحسن ﴿لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ﴾. فالرفع من جهتين: إحداهما أن يكون ﴿لا﴾ بمنزلة ﴿ليس﴾. والأخرى أن تُرفع بالابتداء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٦٣، ٦٤]، وشبّهه أبو عبيد بقوله جلّ وعزّ: ﴿لا فيها غَولٌ﴾ واختار الرفع. قال أبو جعفر: وليس يُشبهه عند أحد من النحويين عَلِمته؛ لأنك إذا فصلت لم يجز إلاّ الرفع، وكذا ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧] وإذا لم تفصل جاز الرفع والنصب بغير تنوين فكذلك ﴿لا لَغوٌ فيها ولا تأثيم﴾ ولو كانا كما قال: واحداً لم يجز ﴿لا لَغوَ فيها ولا تأثيم﴾، وقد قرأ به أبو عمرو بن العلاء وهو جائز حَسن عند الخليل وسيبويه وعيسى بن عمر والكسائي والفرّاء ونصبه على التبرية عند الكوفيين. فأما البصريون فإنهم جعلوا الشيئين شيئاً واحداً.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ..﴾ [٢٤]

أي في الصفاء ﴿مَّكْنُونٌ﴾ فهو أصفى له وأخلص بياضاً.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ..﴾ [٢٥]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: قال: هذا عند النفخة الثانية.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ..﴾ [٢٦]

خبر كان أي قبل هذا وجُعِلت ﴿قبلُ﴾ غاية فضُمّت.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ..﴾ [٢٧]

منّ الله عليهم بغفران الصغائر وترك المحاسبة لهم بالنعم المستغرقة للأعمال، كما رُوِيَ

إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾

عن النبي ﷺ: **«لا يدخل أحدَ الجنة بعمله»** قيل: ولا أنت يا رسول الله قال: **«ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني الله منه برحمة»** [خ: ٦٤٦٤، م: ٧٠٥٣، جه: ٤٢٠١].

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ..﴾ [٢٨]

هذه قراءة أبي عمرو وعاصم والأعمش وحمزة، وقرأ أبو جعفر ونافع والكسائي [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٩٣] **﴿أَنَّهُ هو البَرّ الرحيم﴾** قال أبو جعفر: والكسرُ أبين لأنه إخبار بهذا فالأبلغ أن يُبتدأ، والفتح جائز ومعناه: ندعوه لأنه أو بأنه. وقد عارض أبو عبيد هذه القراءة بالفتح لأنه اختار الكسر ولأن معناها: ندعوه لهذا، وهذه المعارضة لا تُوجب منع القراءة بالفتح لأنهم يدعونه لأنه هكذا. وهذا له جلّ وعزّ دائم لا ينقطع. نظير هذا لبَّيك أنَّ الحَمْدَ والنِعْمةَ لك، بفتح أن وكسرها. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس **﴿إنّه هو البَرّ الرحيم﴾** قال: اللطيف بعباده، وقال غيره: الرحيم بخلقه ولا يعذّبهم بعد التوبة.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ..﴾ [٢٩]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٦٤]: أي لستَ تقول قول الكُهّان **﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾** عطف على بكاهن، ويجوز النصب على الموضع في لغة أهل الحجاز، ويجوز الرفع في لغة بني تميم على إضمار مبتدأ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ..﴾ [٣٠]

على إضمار مبتدأ **﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾** قال أبو جعفر: قد ذكرناه.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا..﴾ [٣١]

أي تمهّلوا وانتظروا **﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾** حتى يأتي أمر الله جلّ وعزّ فيكم.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا..﴾ [٣٢]

قال ابن زيد: كانوا في الجاهلية يُسمَّون أهل الأحلام فالمعنى أم تأمرهم أحلامهم بأن يعبدوا أوثاناً صُمّاً بُكماً، وقيل: أم تأمرهم أحلامهم أن يقولوا لمن جاءهم بالحق والبراهين والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف شاعر نتربص به ريبَ المنون. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٩٣] أنّ الأحلام ههنا العقول والألباب **﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾** أي لم تأمرهم أحلامهم بهذا بل جاوزوا الإيمان إلى الكفر.

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ..﴾ [٣٣]

أي ليس يأتون ببرهان أنه تقوّل واختلقه، بل لا يصدّقون والكوفيون يقولون: إنّ ﴿بل﴾ لا تكون إلاّ بعد نفي، فهم يحملون الكلام على هذه المعاني فإن لم يجدوا ذلك لم يجيزوا أن يأتي بعد الإيجاب.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [٣٤]

أي إن كانوا صادقين في أنه تقوّله فهم أهل اللسان واللغة فليأتوا بقرآن مثله [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٦٥].

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ..﴾ [٣٥]

وفيه أجوبة فمن أحسنها: أم خُلقوا من غير أب ولا أمّ فيكونوا حجارة لا عقول لهم يفهمون بها. وقيل: المعنى: أم خُلقوا من غير صانع صَنَعَهُم فهم لا يقبلون من أحد ﴿أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾ أي هم الأرباب، فللربّ الأمر والنهي.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمواتِ وَالأَرْضَ..﴾ [٣٦]

أي هل هم الذين خلقوا السّموات والأرض فلا يقرّوا بمن لا يُشبِهُهُ شيء ﴿بَل لا يُوقِنُونَ﴾ قيل: المعنى: لا يعلمون ولا يستدلّون، وقيل: فِعلُهم فِعلُ من لا يعلم. ومن أحسن ما قيل فيه أنّ المعنى: لا يوقنون بالوعيد وما أعدّ الله جلّ وعزّ من العذاب للكفّار يوم القيامة فهم يكفرون ويعصون لأنهم لا يوقنون بعذاب ربّهم.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ..﴾ [٣٧]

أي فيستغنوا بها ﴿أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ﴾ روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المسيطرون المسلّطون: والمسيطر في كلام العرب المتجبّر المتسلط المستكبر على الله جلّ وعزّ، مشتقّ من السطر كأنه الذي يخطر على الناس منعه مما يريد. وأصله السين ويجوز قلب السين صاداً [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٩٣]؛ لأن بعدها طاء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٦٦]، وعلى هذا السواد في هذا الحرف.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ..﴾ [٣٨]

أي يستمعون فيه الوحي من السماء فيدّعون أنّ الذي هم عليه قد أُوحيَ به ﴿فَلْيَأْتِ

أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾

مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحجة بيّنة كما أتى بها النبي ﷺ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٦٧].

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ..﴾ [٣٩]

كما تقولون، فتلك قسمة جائرة.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ..﴾ [٤٠]

مغرم مصدر أي أم تسألهم مالا فهم من أن يغرموا شيئاً مُثقَلُون أي يثقل ذلك عليهم.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ..﴾ [٤١]

أي هم لا يعلمون الغيب فكيف يقولون: لا نؤمن برسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويقولون: شاعرٌ نتربّص به ريب المنون ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي يكتبون للناس من الغيب ما أرادوا، ويخبرونهم به.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً..﴾ [٤٢]

أي احتيالا على إذلال النبي ﷺ وإهلاكه وعلى المؤمنين ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي المُذلّون المُهلَكون الصائرون إلى عذاب الله جلّ وعزّ.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ..﴾ [٤٣]

أي معبود يستحق العبادة ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزيهاً لله جلّ وعزّ مما يعبدونه من دونه.

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً..﴾ [٤٤]

جمع كِسفة مثل سدرة وسدر. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس كِسفاً قال: يقول: قِطعاً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٦٧].

﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ على إضمار مبتدأ أي يقولوا: هذا الكِسف سحاب مركوم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ [٤٥]

مِن يَذَرُ، حُذِفت منه الواو وإنّما تُحذَف من يَفعِلُ لوقوعها بين ياء وكسرة أو من يفعل إذا كان فيه حرف من حروف الحلق وليس في ﴿يَذَرُ﴾ من هذا شيء يوجب حذف الواو، وقال أبو الحسن بن كيسان: حُذِفت منه الواو لأنه بمعنى يدعُ فاتبعَهُ ﴿حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وقرأ الحسن وعاصم ﴿يُصعَقُونَ﴾ قال الحسن: أي يُماتون، وحكى الفرّاء [معاني القرآن:

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

٩٤/٣] عن عاصم ﴿يُصعِقُونَ﴾ وهذا لا يُعرَفُ عنه قال: يقال: صَعِقَ يَصْعَقُ، وهي لغة معروفة كما قرأ الجميع ﴿يصعقون﴾ في قوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] ولم يقرؤوا فصُعِقَ، ويقال: صُعِقَ يُصعَقُ، وأصعَقُ مُتعدّي صَعِقَ.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [٤٦]

بدل من اليوم الأول ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي ولا يستقيد لهم أحد، ممن عاقبهم ولا يمنع منهم.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ..﴾ [٤٧]

أجلّ ما قيل فيه إسناداً ما رواه أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٦٨/٥] عن البراء ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال: عذاب القبر. وقال ابن زيد: المصائب في الدنيا، ومعنى ﴿دون ذلك﴾ دُونَ يوم يُصعَقُونَ وهو يوم القيامة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون أنهم ذائقو ذلك العذاب، وقيل: يفعلهم فِعْلَ من لا يعلم.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ..﴾ [٤٨]

أي لحكمه الذي قضى عليك، وامضِ لأمره ونهيه، وبلّغ رسالته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي نراك ونرى عملك ونحوطك ونحفظك، وجُمعت عينٌ على أعيُن، وهي مثلُ بَيْت، ولا يقال: أبْيُت لثقل الضمة في الياء إلاّ أن هذا جاء في عين؛ لأنها مؤنثة. وأفعُلٌ في جمع المؤنث كثير، قالوا: شِمالٌ أشمُلٌ وعِناقٌ أعنُق. وقد قيل: أعيان كأبيات.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ في معناه أقوال فقول الضحّاك، إنّ معناه حين تقوم إلى الصلاة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٦٨/٥] بعد تكبيرة الإحرام، تقول: سُبْحانَكَ اللّهُمّ وبحمدِكَ تَبارَكَ اسمُكَ وتعالى جَدُّكَ، وقيل: التسبيح ههنا تكبيرة الإحرام التي لا تتم الصلاة إلاّ بها، لأن معنى التسبيح في اللغة تنزيه الله جلّ وعزّ من كل سوء نَسَبه إليه المشركون وتعظيمه، ومَنْ قال: الله أكبر فقد فعل هذا، وقول ثالث يكون المعنى: حين تقوم من نومك، ويكون هذا عند القائلة يعني صلاة الظهر؛ لأن المعروف من قيام الناس من نومهم إلى الصلاة إنما هو من صلاة الفجر، وصلاة الظهر وصلاة الفجر مذكورة بعد هذا. فأما قول الضحّاك: إنه في افتتاح الصلاة فبعيد لاجتماع الحجة؛ لأن الافتتاح في الصلاة غير واجب ولو أمَرَ الله جلّ وعزّ به لكان واجباً إلاّ أن تقومَ الحجة أنه على الندب والإرشاد.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ..﴾ [٤٩]

....

قال ابن زيد: صلاة العشاء، وقال غيره: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ فيه قولان: أحدهما أنه لركعتي الفجر، وقال الضحاك وابن زيد: صلاة الصبح، قال: وهذا أولى؛ لأنه فرضٌ من الله تعالى. ونَصَبَ ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ على الظرف أي وسبِّحه وقت إدبار النجوم، كما: أنا آتيكَ مَقْدَمَ الحاجِّ، ولا يجوز أنا آتيك مَقْدَمَ زيد، إنما يجوز هذا فيما عُرِفَ. وهذا قول الخليل وسيبويه.

٥٣ ـ سورة النّجْم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦

شرح إعراب سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجمِ..﴾ [١]

﴿ما ضَلَّ صاحِبُكم..﴾ [٢]

خُفض بواو القسم، والتقدير: وربِّ النجم. **﴿إِذَا هَوَى﴾** في موضع نصب أي حين هَوَى، وجواب القسم **﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ..﴾** [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٦٩] أي ما زال عن القصد **﴿وَمَا غَوَى﴾** قيل: أي وما خاب فيما طلبه من الرحمة.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى..﴾ [٣]

قيل: المعنى: وما ينطق فيما يُخبِرُ به من الوحي.

﴿إِنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى..﴾ [٤]

ودلّ على هذا **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾** أي ما الذي يخبر به إلاّ وحي يُوحَى. ويُوحى يَرجِعُ إلى الياء، ولو كان من ذوات الواو لتبع المستقبل الماضي.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى..﴾ [٥]

أي الأسباب، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٩٤] أنه يقرأ **﴿شَدِيدُ القِوَى﴾** بكسر القاف؛ لأن فِعْلَة وفُعْلَة يتضارعان. قال قتادة: شديد القوى جبريل ﷺ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٧٠].

﴿ذُو مِرَّة..﴾ [٦]

قال مجاهد: جبرائيل ﷺ ذو قوة. وقال ابن زيد: المِرَّةُ: القوة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٧٠]، و[معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٦٩٨]. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس **﴿ذُو مِرَّة﴾** أي منظر حسن. قال أبو جعفر: حقيقة المِرَّةِ في اللغة اعتدال الخلق والسلامة من الآفات والعاهات، فإذا كان كذا كان قوياً **﴿فاستوَى﴾** قيل: فاعتدل بعد أن كان ينزل مُسرعاً.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾

﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى..﴾ [٧]

في موضع الحال أي فاستوى عالياً. هذا قول من تجب به الحجّة من العلماء، والمعنى عليه، والإعراب يقوّيه. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٩٥] أنّ المعنى: فاستوى محمد ﷺ وجبريل عليه السلام فجعل وهو كناية عن جبرئيل ﷺ وعطف به على المضمر. قال أبو جعفر: في هذا من الخطأ ما لا [يصح] به عطف على مضمر مرفوع لا علامة له، ومثله مررتُ بزيد جالساً وعمرٌو، ويُعطَفُ به على المضمر المرفوع، وهذا ممنوع من الكلام حتى يؤكّد المضمر أو يطول الكلام ثم شبّهه بقول ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ [النمل: ٦٧] وهذا التشبيه غلطٌ من جهتين: إحداهما أنه قد طال الكلام ههنا وقام المفعول به مقام التوكيد. والجهة الأخرى أنّ النون والألف قد عُطِفَ عليهما ههنا، وقولك: قمنا وزيدٌ أسهلُ من قولك: قام وزيدٌ، وأيضاً فليس المعنى على ما ذكر.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى..﴾ [٨]

شبّهه الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٩٦] بقوله جلّ وعزّ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] لأن المعنى: انشقّ القمر واقتربت الساعة. قال أبو جعفر: وهذا التشبيه غلط بيّنٌ؛ لأن حكم الفاء خلاف حكم الواو لأنها تدلّ على أن الثاني بعد الأول، فالتقدير: ثم دنا فزاد في القرب.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى..﴾ [٩]

قال أبو جعفر: وهذا أيضاً مما يُشكِلُ في العربية لأن ﴿أو﴾ لا يجوز أن تكون بمعنى الواو لاختلاف ما بينهما، ولا بمعنى ﴿بل﴾ لما ذكرنا، وأنّ الاختصار يوجب غير ذلك فالتقدير: فكان بمقدار ذلك عندكم لو رأيتموه قدر قوسين أو أدنى، كما رُوِيَ عن ابن مسعود قال: فكان قدر ذراع أو ذراعين. قال أبو جعفر: القادُ والقِيدُ، والقابُ والقِيبُ، والقِدرُ والقَدْرُ.

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى..﴾ [١٠]

في معناه قولان: روى هشام الدستوائي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: عَبْدُهُ محمد ﷺ فتأوّل هذا على المعنى: فأوحى إلى عبده محمد ﷺ. والقول الآخر أن المعنى: فأوحى جبرائيل إلى محمد ﷺ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٧١] عبدالله، وهو قول جماعة من أهل التفسير منهم ابن زيد قال: وهذا أشبه بسياق الكلام لأن ما قبله وما بعده أخبار عن جبرائيل ﷺ ومحمد ﷺ فلا يخرج ذلك عنهما إلى أحد إلاّ بحجة يجب التسليم بها.

﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى..﴾ [١١]

هذه قراءة أكثر القرّاء، وقرأ الحسن وقتادة ويزيد بن القعقاع وعاصم الجحدري ﴿ما كذّب

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾

الفُؤَادُ﴾ مشدداً. التقدير في التخفيف: ما كذب فؤاد محمد محمداً فيما رآه، وحذفت في كما حذفت ﴿من﴾ في قوله جلّ وعزّ من ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥]. لأنه مما يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف. قال أبو جعفر: وهذا شرح بيّن ولا نعلم أحداً من النحويين بيّنهُ، ومن قرأ كذّب فزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٩٦] أنه يجوز أن يكون أراد صاحب الفؤاد. وأجاز أن يكون معنى ﴿ما كذب﴾ صَدَقَ. والقراءة بالتخفيف أبينُ معنى، وبالتشديد يبعد؛ لأن معناها: قَبِلَهُ وإذا قَبِلَهُ الفؤاد أي علِمهُ فلا معنى للتكذيب. والقراءة بالتخفيف بيّنةٌ أي صَدَقَهُ.

واختلف أهل التأويل في معنى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ فقال ابن عباس وجماعة معه: رأى ربّه جلّ وعزّ قال: وخصّ الله إبراهيم ﷺ بالخُلّةِ وموسى بالتكليم ومحمداً ﷺ بالرؤية كما جاء في الحديث عنه ﷺ: **«رأيتُ ربي جلّ وعزّ فقال: فيمَ يختصِمُ المَلأُ الأعلى»**. والقول الآخر قول ابن مسعود وعائشة رضي الله عنهما أنه رأى جبرائيل على صورته، وقد رفَعَهُ زِرٌّ عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: **«رأيت جبرائيل على صورته، له ستمائة جناح عند سِدرةِ المنتهى»** [خ: ٤٨٥٥، م: ٤٣٨، ت: ٣٠٦٨، ٣٢٧٨، حم: ١/٤٠٧]. وَرَفَعَتْه عائشة أيضاً عن النبي ﷺ وردّتْ على ابن عباس ما قاله.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ..﴾ [١٢]

صحيحة عن النبي ﷺ وابن مسعود وابن عباس ومروية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي قراءة مسروق وأبي العالية ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي، وبها قرأ النخعي غير أن أبا حاتم حكى أنه قال: لم يماروه وإنما جحدوه قال: وفي هذا طعن على جماعة من القرّاء تقوم بقراءتهم الحجة منهم الحسن وشُريح وأبو جعفر والأعرج وشيبة ونافع وأبو عمرو وابن كثير والعاصمان.

والقول في هذا أنهما قراءتان مستفيضتان قد قرأ بهما الجماعة غير أن الأولى مَنْ ذكرناه من الصحابة. فأما أن يقال: لم يماروه فعظيم؛ لأن الله جلّ وعزّ قد أخبر أنهم قد جادلوا، والجدال هو المراء ولا سيما في هذه القصة، وقد مارَوهُ فيها حتى قالوا له: سِرتَ في ليلة واحدة إلى بيت المقدس فَصِفهُ لنا، وقالوا: لنا عِيرٌ بالشام فأخبرنا خَبَرَها، قال محمد بن يزيد: يقال مَرَاهُ بحقِّهِ يَمريه إذا دفعه به ومنعه منه، قال و﴿على﴾ بمعنى ﴿عن﴾. قال أبو جعفر: وذلك معروف في اللغة، وقد ذكرنا أن لغة بني كعب بن ربيعة: رضي الله عليك أي عنك.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ..﴾ [١٣]

أحسن ما قيل فيه وأصحّه أن الضمير يعود على شديد القوى، كما حدثنا الحسن بن غُلَيْب

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾

قال: حدّثنا محمد بن سوّار الكوفي قال: حدّثنا عبدة بن سليمان عن سعيد عن أبي معشر عن إبراهيم عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ثلاث من قال واحدة منهنّ فقد أعظم على الله جلّ وعزّ الفِرْية: من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم الفِرية على الله ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئاً من أمر الوحي فقد أعظم على الله الفرية، والله جلّ وعزّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، ومن زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله جلّ وعزّ الفِرية، والله جل ثناؤه يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] والله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الانعام: ١٠٣] قلت: يا أمّ المؤمنين ألم يقل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]؟ قالت: أنا سألت عن ذلك نبي الله ﷺ فقال: «رأيت جبرائيل عليه السلام نَزَلَ سادّاً الأفق على خلقه وهيئته أو خلقه وصورته». وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٩٦، ٩٧]: ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ مرّة أخرى. قال أبو جعفر: ﴿نَزْلَةً﴾ مصدر في موضع الحال، كما تقول: جاء فلان مشياً أي ماشياً.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ..﴾ [١٤]

والتقدير: ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى أي في نزوله ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ متصل برآه. قال عكرمة عن ابن عباس: سألت كعباً عن سدرة المنتهى فقال: إليها ينتهي علم العلماء، لا يعلم أحد ما وراءها إلاّ الله جلّ وعزّ، وقال الربيع بن أنس: سُمّيت سدرة المنتهى لأنه تنتهي إليها أرواح المؤمنين، ومذهب الضحاك أنه ينتهي إليها ما كان من أمر الله من فوقها أو من تحتها. قال أبو جعفر: وليس قول من هذه إلاّ وهو محتمل لذلك، ولا خبر يقطع العذر في ذلك. والله جلّ وعزّ أعلم.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ..﴾ [١٥]

قال كعب: مأوى أرواح الشهداء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٧٢]. وقال قتادة مأوى أرواح المؤمنين. ويقال: إنها الجنة التي آوى إليها آدم ﷺ، وإنها في السماء السابعة، فأعلمَ الله جلّ وعزّ أن محمداً ﷺ قد أُسري به إلى السماء السابعة على هذا. فأما من قرأ ﴿جَنَّهُ المأوى﴾ فتقديره: جنّهُ سواد الليل. وهي قراءة شاذة قد أنكرها الصحابة سعد بن أبي وقاص وابن عباس وابن عمر. وقال ابن عباس: هي مثل ﴿جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [السجدة: ١٩] قال أبو جعفر: فهذه حجة بيّنة مع إجماع الجماعة الذين تقوم بهم الحجة، وأيضاً فإنه يقال: أجَنَّهُ الليل، وجَنَّ عليه، ولغة شاذة جنّهُ الليل.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ..﴾ [١٦]

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴿٢٣﴾

﴿إذ﴾ متصلة برآه. قال الربيع بن أنس: غشيها نور الرب والملائكة واقعة على الأشجار كالغربان، وكذا قال أبو العالية ويقال: إنه عن أبي هريرة مثله وزاد فيه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ [١٧]

فهنالك كلّمه ربه جلّ وعزّ قال له: سَلْ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ أي ما حاد يميناً وشمالاً متحيّراً ﴿وَمَا طَغَى﴾ أي وما تجاوز ذلك من غير أن يتبيّنه [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٩٧].

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى..﴾ [١٨]

قال ابن زيد: رأى جبرائيل عليه السلام على صورته في السماء.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى..﴾ [١٩]

قال الكسائي: الوقوف عليه اللاه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٧٣]، و[معاني القرآن للفراء: ٣/ ٩٧]، وقال غيره: الوقوف عليه اللات. اشتقّوه من اسم الله جلّ وعزّ. وهو مكتوب في الصحف بالتاء.

﴿ومَنَاةَ﴾ [٢٠]

واشتقّوا العُزّى من العزيز ﴿ومَنَاةَ﴾ من مَنَى الله عز وجلّ عليه الشيء أي قدّرَهُ ﴿الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ نعت لمناة.

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى..﴾ [٢١]

يجوز أن يكون مُقدّماً ما يُنوى به التأخير. ويكون المعنى: إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة ليُسَمُّون الملائكة تسمية الأنثى. أي يقولون: هم بنات الله عزّ وجلّ، ألكم الذكر الذي ترضونه وله الأنثى التي لا ترضونها.

﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى..﴾ [٢٢]

يقال: ضازه يَضِيزُهُ ويضوزُهُ إذا جار عليه.

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم..﴾ [٢٣]

قولهم: الأوثان آلهة والملائكة بنات الله ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي من حجة ولا وحي، وإنما هو شيء اخترعتموه ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ أي ما يتّبعون في هذه

أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم
بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

التسمية إلاّ الظن وهواهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ أي البيان بأن لا معبود سواه وأن عبادة هذه الأشياء شرك وكفر.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى . .﴾ [٢٤]

قيل: أي ليس له ذلك، وقال ابن زيد: أي إنْ كان محمد ﷺ تمنَّى شيئاً فهو له. وشرح هذا القول: إن كان محمد ﷺ تمنى الرسالة فقد أعطاه الله جلّ وعزّ فلا تنكروه.

﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى . .﴾ [٢٥]

يعطي من شاء ما يشاء.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ . .﴾ [٢٦]

لو حذفت ﴿مِنْ﴾ لخفضت أيضاً لأنه خبر و﴿كم﴾ تخفض ما بعدها في الخبر مثل ﴿رُبَّ﴾ إلاّ أن ﴿كم﴾ للكثير و﴿رُبَّ﴾ للقليل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٧٤] ﴿لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ في هذا تنبيه لهم وتوبيخ؛ لأنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فأخبر الله جلّ وعزّ أن الملائكة صلوات الله عليهم وسلّم الذين هم أفضل الخلق عند الله جلّ وعزّ وأكثرهم عملاً بالطاعة لا تغني شفاعتُهم شيئاً إلاّ من بعد إذن الله عزّ وجلّ ورضاه، فكيف تشفع الأصنام لهم؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى . .﴾ [٢٧]

هو قولهم: هم بنات الله عزّ وجلّ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٧٤]. مالهم بذلك من علم ﴿مِن﴾ زائدة للتوكيد والموضع موضع رفع.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾ [٢٨]

أي لا ينفع من الحق ولا يقوم مقامه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا . .﴾ [٢٩]

أي فدَعْ من تولّى عن ذكرنا ولم يؤمن ولم يوحّد، ولم يُرِدْ ثواب الآخرة ولم يرد إلاّ زينة الحياة الدنيا.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ . .﴾ [٣٠]

قال ابن زيد: ليس لهم علم إلاّ الذي هم فيه من الشرك والكفر ومكابرتهم ما جاء من عند

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ
أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾

الله جلّ وعزّ، وقال غيره: ذلك مبلغهم من العلم أنّهم آثروا ما يَفنى من زينة الدنيا ورياستها على ما يبقى من ثواب الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يكون أعلم بمعنى عالم، ويجوز أن يكون على بابه بالحذف، وسبيله الإسلام ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ أي إلى طريق الحق وهو الإسلام وذلك في سابق علمه.

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا..﴾ [٣١]

تكون لام كي متعلقة بالمعنى أي ولله ما في السموات وما في الأرض من شيء يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا﴾ أي كفروا وعصوا ﴿بما عملوا﴾، ويجوز أن يكون اللام متعلقة بقوله جلّ وعزّ ﴿لا تغني شفاعتهم شيئاً﴾، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بما عمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى﴾ عطف. قيل: الحُسنى: الجنة. وقال زيد بن أسلم: ﴿الَّذِينَ أَسَاؤُوا﴾ الكفار و الّذينَ ﴿أَحْسَنُوا﴾ المؤمنون.

﴿الَّذِينَ..﴾ [٣٢]

بدل من الذين قبله ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ قال أبو جعفر: قد ذكرناه في سورة (حمٓ عسٓقٓ) [الشورى: ٣٧] ﴿وَالفَوَاحِشَ﴾ عطف على الكبائر ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ قد ذكرنا ما فيه من قول أهل التفسير. وهو منصوب على أنه استثناء ليس من الأول. ومن أصح ما قيل فيه وأجمعه لأقوال العلماء أنه الصغائر، ويكون مأخوذاً من لَمَمْتُ بالشيء إذا قلَلْتَ نيله. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ﴾ أي لأصحاب الصغائر، ونظيره ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي هو أعلم بما تعملون وما أنتم صائرون إليه حين ابتدأ خلق أبيكم من تراب، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم منكم لمّا إنْ كبرتم، ويجوز أن يكون أعلم بمعنى عالم ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ قال زيد بن أسلم: أي لا تبرّئوها من المعاصي. قال: وشرح هذا: لا تقولوا إنّا أزكياء. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ المعاصي وخاف وأدّى الفرائض.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى..﴾ [٣٣]

أي عن الإيمان. قال ابن زيد: نزلت في رجل أسلم فلقيه صاحبه فعيّره وقال له: أضللتَ آباءك ونسبتهم إلى الكفر وأنت بتنصيرهم أولى فقال: خِفتُ عذابَ الله، فقال: أعطني شيئاً وأنا

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

أتحمّلُ عنك العذاب فأعطاه شيئاً قليلاً فتعاسر وأكدى، وكَتَبَ له كتاباً وأشهد له على نفسه أنه يتحمّلُ عنه العذاب فنزلت ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾.

﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى..﴾ [٣٤]

أي عاسرَهُ، وعن ابن عباس ﴿أكدَى﴾ منع، وقال مجاهد: قَطَعَ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٧٥].

﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى..﴾ [٣٥]

أي أعَلِمَ أن هذا يتحمّل عنه العذاب، كما قال؟ ويرى بمعنى يعلم، حكاه سيبويه.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ..﴾ [٣٧]

أنه لا يُعَذّبُ أحدٌ عن أحد. وروى عكرمة عن ابن عباس ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: كان قبل إبراهيم ﷺ يؤخذ موضع رفع أي ذلك إلاّ تزر وازرة وزرَ أُخرى [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٠١]، والتقدير عند مجاهد: وفَّى بما افترض عليه. قال محمد بن كعب: وفَّى بذبح ابنه. وأولى ما قيل في معنى الآية بالصواب ما دلّ عليه عمومها أي وفَّى بكل ما افتُرِض عليه بشرائع الإسلام. ووفَّى في العربية للتكثير.

﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى..﴾ [٣٨]

﴿أنْ﴾ في موضع نصب على البدل من ﴿ما﴾، ويجوز أن يكون في موضع رفع أي ذلك ﴿ألاّ تزِرَ وازِرةٌ وِزرَ أُخرى﴾، والتقدير عند سيبويه أنه لا تزر وازرة. يقال: وَزَرَ يَزِرُ إذا حمَلَ الوِزرَ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٧٥].

﴿وَأَنْ لَيسَ لِلإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى..﴾ [٣٩]

بمعنى وأنه أيضاً أي لا يجازي إنسانٌ إلاّ بما عمل.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى..﴾ [٤٠]

أن يُظهر الناس يوم القيامة على ما عمله من خير أو شر لأنه يجازى عليه. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٧٦]: ويجوز ﴿وأنّ سَعيهُ سوفَ يَرى﴾ قال: وهذا عند الكوفيين لا يجوز، منعوا: إن زيداً ضربتُ، واعتلّوا في ذلك بأنه خطأ؛ لأنه لا يعمل في زيد عاملان وهما [أنّ] و﴿ضربتُ﴾ وأجاز ذلك الخليل وسيبويه وأصحابهما ومحمد بن يزيد. قال أبو جعفر: وسمعت

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾

علي بن سليمان يقول: سألت محمد بن يزيد فقلت له: أنتَ لا تُجيزُ زيدٌ ضربتُ وتُخالِفُ سيبويه فيه فكيف أجزت إنّ زيداً ضربتُ ﴿وإنّ﴾ تدخل على المبتدأ؟ فقال: هذا مُخالِفٌ لذاك لأن [إن] لما دخلت اضطررتُ إلى إضمار الهاء لأن في الكلام عاملين.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ..﴾ [٤١]

مصدر، الهاء كناية عن السعي الأوفى؛ لأنّ الله عزّ وجلّ أوفى لهم بما وعَدَ وأوعَدَ.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ..﴾ [٤٢]

في موضع نصب اسم ﴿أنّ﴾ إلاّ أنه مقصور لا يتبيّن فيه الإعراب، والمعنى: وأنّ إلى ربك انتهاء جميع خلقه ومصيرهم فيجازيهم بأعمالهم الحسنة والسيئة.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ..﴾ [٤٣]

﴿هو﴾ زائدة للتوكيد، ويجوز أن تكون صفة للهاء. فأما معنى أضحك وأبكى فقيل فيه: أضحك أهل الجنة بدخولهم الجنة، وأبكى أهل النار بدخولهم النار [معاني القرآن للفراء: ٣/١٠١]، وقيل: أضحك من شاء في الدنيا بأن سرّه، وأبكى من شاء بأن غمّهُ، والآية عامة.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا..﴾ [٤٤]

أي أمات من مات، وأحيا من حَيِيَ بأن جعل فيه الروح بعد أن كان نُطفةً.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ..﴾ [٤٥]

كل واحد منهما زوجٌ لصاحبه، والذكر والأنثى بدل من الزوجين.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ..﴾ [٤٦]

أي إذا أمناها الرجل والمرأة. وقيل: هو من منَى اللهُ عليه الشيء إذا قَدَّرَهُ له. فالأول من ﴿أمنى﴾، وهذا من ﴿مَنَى﴾ و﴿يُفعَلُ﴾ في الثلاثي والرباعي واحدٌ، لأن الرباعي يحذف منه حرف فتقول هو يُكرَمُ والأصل يُؤكرِمُ فحُذِفت الهمزة إتباعاً لقولك: أنا أُكرِمُ، وحُذِفت من أكرِمُ لأنه لا يجتمع همزتان.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ..﴾ [٤٧]

أي عليه أن ينشئ الزوجين بعد الموت.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ..﴾ [٤٨]

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝﴾

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أقنى: أرضى[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٧٦]، وقال ابن زيد: أغنى بعضَ خلقِهِ وأفقر بعضهم. قال أبو جعفر: يقال: أقنيتُ الشيء أي اتخذتُهُ عندي وجَعَلتُهُ مقيماً، فأقنى: جَعَلَ له مالاً مُقيماً.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى . .﴾[٤٩]

قال مجاهد: هي الشِّعْرى التي خلف الجوزاء[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٧٧]، و[معاني القرآن للفراء: ٣/١٠٢]، وقال غيره: هما شِعرَيَانِ فالتي عَبَرت هي الشِّعْرىَ العُبورُ الخارجة عن المَجَرةِ التي عَبَدَها أبو كبشة في الجاهلية، وقال: رأيتُها قد عَبَرَت عن المنازل.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأوَلَى . .﴾[٥٠]

قراءة الكوفيين وبعض المكيين. وهي القراءة البيّنة في العربية، حُرِّكَ التنوين لالتقاء الساكنين. وقراءة أبي عمرو وأهل المدينة ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠] بإدغام التنوين في اللام. وتكلّم النحويون في هذا فقال محمد بن يزيد: هو لحنٌ وقال غيره: لا يخلو من إحدى جهتين أن يصرف عاداً فيقول: عاداً الأولى، أو يمنعه الصرف يجعله اسماً للقبيلة فيقول عادَ الأولى. فأما عاداً الأولى فمتوسط، فأما الاحتجاج بقراءة أهل المدينة وأبي عمرو فنذكره عن أبي إسحاق، قال: فيه ثلاث لغات يقال: الأولى بتحقيق الهمزة ثم تخفف الهمزة فتُلقى حركتها على اللام فتقول: ﴿الوْلى﴾ ولا تحذف ألف الوصل لأنها تثبتُ مع ألف الاستفهام نحو ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٧٥] فخالفت ألِفَاتِ الوصل فلم تحذف أيضاً ههنا. واللغة الثالثة أن يقال: ﴿لُولَى﴾ فتحذف ألف الوصل لأنها إنما اجتُلِبت لسكون اللام، فلمّا تحرّكت اللام حُذفت فعلى هذا قراءته ﴿عاداً لُولَى﴾ أدغم التنوين في اللام. قال: وسمعت محمد بن الوليد يقول: لا يجوز إدغام التنوين في هذه اللام لأن هذه اللام أصلها السكون والتنوين ساكن فكأنه جمع بين ساكنين.

قال: وسمعته يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: ما علمت أن أبا عمرو بن العلاء لَحَنَ في صميم العربية في شيء من القرآن إلاّ في ﴿يُؤدِّهْ إليكَ﴾ وفي ﴿وَأَنَّهُ أهْلَكَ عَاداً الأولَى﴾ قال: وأبى هذا أبو إسحاق واحتج بما قدّمنا. فأما الأولى فيقال: لا يكون أُولى إلاّ وثَمّ أُخرى، فهل كان ثَمّ عادٌ آخِرَةٌ؟ فتكلم في هذا جماعة من العلماء. فمن أحسن ما قيل فيه ما ذكره محمد بن إسحاق قال: عاد الأولى عادُ بن إرَم بن عَوص بن سام بن نوح ﷺ، وعاد الثانية بنو لُقيم بن هَزّال بن هُزَيل من ولد عاد الأكبر، وكانوا بمكة في وقت أُهلكت عاد الأولى مع بني عملاق. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٧٧]: فبقوا بعد عاد الأولى حتى بغى بعضهم على بعض وقَتَل

﴿وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ۝٥٦﴾

بعضُهم بعضاً. قال: وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: عادٌ الآخرة ثمودُ، واستشهد على ذلك بقول زهير [ديوانه: ٢٠]:

كـأحـمـرِ عـادٍ ثُـمَّ تُـرْضِـعْ فَـتَـفْـطِـمِ

يريد عاقر الناقة. وجواب ثالث أنه قد يكون شيء له أول ولا آخر له، من ذلك نعيم أهل الجنة.

﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى..﴾ [٥١]

قال بعض العلماء: أي فلم يبقهم على كفرهم وعصيانهم حتى أفناهم وأهلكهم، وهذا القول خطأ؛ لأن الفاء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها فلا يجوز أن تنصب ثموداً بأبقى، وأيضاً فإن بعد الفاء ﴿ما﴾ وأكثر النحويين لا يجيز أن يعمل ما بعد ما فيما قبلها. والصواب أن ثموداً منصوب على العطف على عاد.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ..﴾ [٥٢]

عطف أيضاً ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبلِ هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ أي أظلم لأنفسهم من هؤلاء وأطغى وأشد تجاوزاً للظلم، وقد بيّن ذلك قتادة وقال: كان الرجل منهم يمشي بابنه إلى نوح عليه السلام فيقول: يا بُنَيّ لا تَقبَلْ من هذا، فإنّ أبي مشى بي إليه وأوصاني بما أوصيتُك به، فوصفهم الله جلّ وعزّ بالظلم والطغيان.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ..﴾ [٥٣]

منصوبة بأهوى.

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى..﴾ [٥٤]

الفائدة في هذا معنى التعظيم أي ما غشّى مما قد ذُكر لكم. قال قتادة: غشّاها الصخور أي بعد ما رَفَعها وقَلَبَها.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى..﴾ [٥٥]

أي قل يا محمد لمن يشك ويجادل: بأيِّ نِعَمِ ربِّكَ تمتري أي تشُكُّ، وواحد الآلاء إلى، ويقال: ألىً وإلْيٌ وألْيٌ، أربع لغات قال قتادة: أي فبأي نِعَمِ ربك تَتَمارَى، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٧٨]: المعنى: يا أيها الإنسان فبأيّ نعم ربّك تشك؛ لأن المرية الشك.

﴿هَذَا نَذِيرٌ..﴾ [٥٦]

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾

مبتدأ وخبره. ومذهب قتادة أن المعنى: هذا محمد نذير. وشرحه أن المعنى: هذا محمد من المنذرين أي منهم في الجنس والصدق والمشاكلة وإذا كان مثلهم فهو منهم. ومذهب أبي مالك أن المعنى: هذا الذي أنذرتكم به من هلاك الأمم نذير ﴿مِنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ قال أبو جعفر: وهذا أولى بنسق الآية لأن قبله ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٦ ـ ٣٧] فالتقدير: هذا الذي أنذرتكم به من النذر المتقدمة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٧٨/٥].

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ . .﴾ [٥٧]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ﴿ٱلْأَزِفَةُ﴾ من أسماء القيامة. قال: يقال أَزِفَ الشيءُ إذا قَرُبَ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٧٨/٥]، كما قال:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا ... لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وكَأَنْ قَدِ

[ديوان النابغة: ٣٨]

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ . .﴾ [٥٨]

قيل: معنى ﴿كَاشِفَةٌ﴾ المصدر أي كشفت مثل ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٧٨/٥]: ﴿كاشفة﴾ مَن يبيِّنُ متى هي، وقيل: ﴿كاشفة﴾ من يكشف ما فيها من الجهد أي ليس لوقعتها كاشف إلاّ الله عزّ وجلّ ولا يكشفه إلاّ عن المؤمنين، وتكون الهاء للمبالغة.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . .﴾ [٥٩]

أي مِن أنْ أُوحِيَ إلى محمد ﷺ تعجبون.

﴿وَتَضْحَكُونَ . .﴾ [٦٠]

استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لما فيه من الوعيد وذكر العقاب.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ . .﴾ [٦١]

أي لاهون [معاني القرآن للفراء: ١٠٣/٣] معرضون عن آياته ﴿فاسجُدُوا للّه واعبُدُوا﴾.

﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ . .﴾ [٦٢]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٧٩/٥]: المعنى ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ . .﴾ ولا تسجدوا للاّتِ والعُزّى ومَناة ﴿واعبُدُوا﴾ أي واعبُدوا الله جلّ وعزّ وحده.

٥٤ ـ سورة القَمَر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟
أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤

شرح إعراب سورة القمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ..﴾ [١]

كُسرت التاء لالتقاء الساكنين، ووجب أن تكون التاء ساكنة لأنها حرف جاء لمعنى، هذا قول البصريين. فأما قول الكوفيين فإنه لمّا كانت التاءات أربعاً فَضُمَّت تاءُ المُخاطِب، وفُتحت تاء المخاطب المذكر، وكُسرت تاء المخاطبة المؤنثة فلم تبق حركة فسُكِّنت تاء المؤنثة الغائبة. والمعنى: اقتربت الساعة التي تقوم فيها القيامة فاحذروا منها لئلاّ تأتيكم فجاة وأنتم مقيمون على المعاصي ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ معطوف على اقتربت معناه المضي.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا..﴾ [٢]

شرط وجوابه. والمعنى أنهم سألوا آية فأرُوا القمر منشقّاً، فرأوا آية تدل على حقيقة أمر النبي ﷺ، وأنّ ما جاء به صدق فأعرضوا عن التصديق ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ على إضمار مبتدأ، أي هذا سحر مستمر.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ..﴾ [٣]

أي كذّبوا بحقيقة ما رأوه وتيقّنوه، وآثروا اتّباع أهوائهم في عبادة الأوثان وترك ما أمرهم الله به ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ مبتدأ وخبر. والمعنى: وكل أمر من خير أو شر مستقر قرارهُ ومُتناه مُنتهاهُ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ..﴾ [٤]

أي ولقد جاء هؤلاء المشركين من أخبار الأمم الذين فعلوا كفعلهم فأهلِكُوا ما فيه منتهى

﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾

عمّا هم عليه، كما قال مجاهد: مزدَجَرٌ: منتهى. والأصل عند سيبويه [الكتاب: ٢/٤٢١] مزتجر بالتاء إلاّ أن التاء مهموسة والزاي مجهورة فثقُلَ الجمع بينهما فأُبدِلَ من التاء ما هو من مخرجها وهو الدال. قال أبو جعفر: وهذا من أوجز قوله ولطيفِهِ.

﴿حِكْمَةٌ..﴾ [٥]

بدل من ﴿ما﴾ والتقدير: ولقد جاءهم حكمة ﴿بَالِغَةٌ﴾ أي ليس فيها تقصير، ويجوز أن تكون حكمة مرفوعة على إضمار مبتدأ ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ ويجوز أن تكون ﴿ما﴾ في موضع نصب بـ ﴿تُغني﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٨٥]، والتقدير: فأي شيء تغني النذر عمّن اتّبع هواه وخالف الحق؟ ويجوز أن تكون ما نافية لا موضع لها. وزعم قوم أن الياء حذفت من ﴿تُغْني﴾ في السواد؛ لأن ﴿ما﴾ جُعِلت بمنزلة ﴿لم﴾.

قال أبو جعفر: هذا خطأ قبيح؛ لأن ﴿ما﴾ ليست من حروف الجزم، وهي تقع على الأسماء والأفعال فمحال أن تجزم ومعناهما أيضاً مختلف؛ لأن [معاني القرآن للفراء: ٣/١٠٥] ﴿لم﴾ تجعل المستقبل ماضياً و﴿ما﴾ تنفي الحال.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ [٦]

فأما حذف الياء من ﴿تُغْنِ﴾ في السواد فإنه على اللفظ في الإدراج ومثله ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ تكتب بغير واو على اللفظ في الإدراج. فأما الداعي إذا حذفت منه الياء فالقول فيه أنه بُني على نكرته. فأما البيّن فأن يكون هذا كله مكتوباً بغير حذف.

﴿خُشَّعاً..﴾ [٧]

منصوب على الحال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٨٦]، و[معاني القرآن للأخفش: ٢/٦٩٩] ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾ مرفوع بفعله، هذه قراءة أهل الحرمين، وقرأ أهل الكوفة وأهل البصرة ﴿خَشِعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ [القمر: ٧] وعن ابن مسعود ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣] فمن قال: خاشعاً وَحَّدَ، لأنه بمنزلة الفعل المتقدّم، ومن قال: خاشِعةً أنّثَ كتأنيث الجماعة، ومن قال: خُشَّعاً جمع لأنه جمعُ مُكَسَّرٌ فقد خالف الفعل، ولو كان في غير القرآن جاز الرفع على التقديم والتأخير. ﴿يَخْرُجُونَ﴾ في موضع نصب على الحال أيضاً ﴿مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ واحدها جَدَثٌ، ويقال: جَدَفٌ للقبر، مثل فُوم وثُوم ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في موضع نصب على الحال.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [٨]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا
أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ
وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾

وكذا قوله: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ..﴾ [٩]

على تأنيث الجماعة ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني نوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ على إضمار مبتدأ ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي زُجِرَ وتهدِّدَ بقولهم: ﴿لَئِنْ لم تَنْتَهِ لَنَرْجُمَنَّكَ﴾.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ..﴾ [١٠]

أي بأني قد غُلبتُ وقهرتُ، وقرأ عيسى بن عمر ﴿فدعا ربه إنّي مغلوب﴾ بكسر الهمزة. قال سيبويه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٨٧]: أي قال: إني مغلوب ﴿فَانْتَصِرْ﴾ أي لي بعقابك إياهم.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ..﴾ [١١]

التقدير: فنصرناه ففتحنا أبواب السماء، لأن ما ظهر من الكلام يدلّ على ما حُذِفَ ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أي مندفق. قال سفيان: منهمر ينصبُّ انصباباً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٨٧]، وقال الشاعر:

راحَ تَمْرِيهِ الصَّبا ثم انْتَحَى فيه شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرْ

[ديوان امرىء القيس: ١٤٥]

﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً..﴾ [١٢]

جمع عين في العدد، وقرأ الكوفيون ﴿عِيُوناً﴾ بكسر العين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٨٧]، والأصل الضم فأُبدِلَ من الضمة كسرة استثقالاً للجمع بين ضمة وياء ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ والتقى لا يكون إلاّ لاثنين، المعنى: فالتقى ماء الأرض وماء السماء، وهما جميعاً يقال لهما: ماء لأنّ ماء اسم للجنس. قال أبو الحسن بن كيسان: الأصل في ماء ماهٌ فأبدلوا من الهاء همزة فإذا جمعوا ردّوه إلى أصله فقالوا: أمواه ومياه، ومُوَيْهٌ في التصغير. ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ قيل: أي قدّره الله جلّ وعزّ في اللوح المحفوظ، وقيل: قُدِرَ ماء الأرض كماء السماء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٨٧].

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ..﴾ [١٣]

أي على سفينة ذات ألواح ﴿وَدُسُرٍ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الدُّسُرُ:

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

المسامير [معاني القرآن للفراء: ٣/١٠٦]، وكذا قال محمد بن كعب وقتادة وابن زيد، وقال الحسن: الدسر: صدر السفينة، وقال الضحّاك: الدسر: طَرَفُ السفينة. قال: وأصل هذا من دَسَرَهُ يَدسُرُهُ ويَدسِرُهُ دَسْراً إذا شدَّهُ ودفعَهُ.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا..﴾ [١٤]

أي بمرأى منّا ومسمع، وقيل: بأمرنا. وأعين جمعٌ في القليل، ويقال: أعيانٌ، مثل بيت وأبيات ﴿جَزَاءً﴾ مصدر ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ في معناه أقوال. قال ابن زيد: ﴿مَنْ﴾ بمعنى ﴿ما﴾، وتقديره عنده: للذي كُفِرَ من النعم وجُحِدَ. قال: وهذا يمنعه أهل العربية جميعاً، ومذهب مجاهد أن المعنى جزاءً لله. قال أبو جعفر: وهذا قول حسن أي عاقبناهم وأغرقناهم جزاء لله جلّ وعزّ حين كفروا به وجحدوا وحدانيته فقالوا: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح: ٢٣]، وقيل: جزاءً لمن كان كُفِرَ على لفظ ﴿مَنْ﴾، ولو كان في غير القرآن لجاز على هذا القول كفروا على المعنى.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً..﴾ [١٥]

قيل: المعنى ولقد تركنا هذه العقوبة لمن كَفَرَ وجَحَدَ الأنبياء ﷺ عظةً وعبرةً، ومذهب قتادة: ولقد تركنا السفينة آيةً ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ هذه قراءة الجماعة، وهي صحيحة عن النبي ﷺ كما رواه شعبة وغيره عن ابن إسحاق عن الأسود عن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ بالدال غير المعجمة، وقال يعقوب القارئ: قرأ قتادة ﴿فهل من مُذَّكِر﴾ بالذال المعجمة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٨٨].

قال أبو جعفر: مُدَّكِر أولى لما ذكرنا من الاجتماع في العربية، والأصل عند سيبويه [الكتاب: ٢/ ٤٢٢] مُذْتَكِرٌ فاجتمعت الذال وهي مجهورة أصلية والتاء وهي مهموسة زائدة فأبدلُوا من التاء حرفاً مجهوراً من مَخرجها فصار مُذْدَكِر، فأدغمت الذال في الدال فصار مُدَّكِر، ومَنْ قال مُذَّكِر: أدغم الدال في الذال، وليس على هذا كلام العرب إنما يدغمون الأول في الثاني.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ..﴾ [١٦]

أي فكيف كان عقابي لمن كفر بي وعصاني وبإنذاري وتحذيري من الوقوع في مثل ذلك.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ..﴾ [١٧]

قال ابن زيد: أي بيَّنّا، وقال مجاهد: هوَّنّا [معاني القرآن للفراء: ٣/١٠٨]، وقيل: التقدير:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠﴾

ولقد سهّلنا [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٨٨] القرآن بتبيينا إياه وتفصيلنا لمن أراد أن يتذكره فيعتبر به ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ يتذكر ما فيه، وقيل: هل من طالب خيراً أو علماً فيُعانُ عليه؟ فهذا قريب من الأول لأن الأول أبينُ على ظاهر الآية.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ..﴾ [١٨]

قال أبو جعفر: في هذا حذف قد عُرِفَ معناه أي كذّبت عادٌ هوداً كما كذّبت قريش محمداً ﷺ فليحذروا مثل ما نزل بهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ﴿فكيف﴾ في موضع نصب على خبر كان إلاّ أنها مبنية لأن فيها معنى الاستفهام وفُتِحت لالتقاء الساكنين.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً..﴾ [١٩]

أهل التفسير يقولون: الصَّرصَرُ: البارِدَةُ، وقال بعض أهل اللغة: إنما يقال لها صَرصَرٌ: إذا كان لها صوت شديد من قولهم صَرَّ الشيء إذا صَوَّت، والأصل صَرّرَ فأبدل من إحدى الراءات صاد. ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ قال بعض أهل التفسير: النحس: الشديد، ولو كان كما قال لكان يوم منوّناً ولقيل: نحس ولم يُضَفْ.

﴿تَنزِعُ النَّاسَ..﴾ [٢٠]

قيل: تنزعهم من الحُفَر التي كانوا حفروها ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ النخل تُذكَّر وتؤنّث لغتان جاء بهما القرآن، وزعم محمد بن جرير [الطبري في تفسيره: ٢٧/٩٩] أن في الكلام حذفاً، وأن المعنى: تنزعُ الناس فتتركهم كأعجاز نخل. قال: فتكون الكاف على هذا في موضع نصب بالفعل المحذوف، وهذا لا يحتاج إلى ما قاله من الحذف. والقول فيه ما قاله أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٨٩] قال: هو في موضع نصب على الحال أي تنزع الناس أمثال نخل منقعر، أي في هذه الحال. قال أبو جعفر: وهذا القول حقيقة الإعراب فإن كان على تساهل المعنى فالمعنى يؤول إلى ما قاله محمد بن جرير.

وقد روى محمد بن إسحاق قال: لما هاجت الريح قام نفرٌ سبعةٌ من عاد فاصطفوا على باب الشِّعْبِ فسدُّوا الريح عمّن في الشعب من العيال، فأقبلت الريح تجيء من تحت واحد واحد ثم تقلعُهُ فتقلبُهُ على رأسه، فتدقُّ عُنُقَهُ حتى أهلكت ستة وبقي واحد يقال له: الخَلَجانُ فجاء إلى هود ﷺ، فقال: ما هؤلاء الذين أراهم كالبُخاتي تحت السحاب قال: هؤلاء الملائكة عليهم السلام قال: إن أسلمتُ فمالي؟ قال: تَسْلَم، قال: أيقيدني ربك من هؤلاء الذين في السحاب؟

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾

قال: ويلك هل رأيت ملِكاً يُقيد مِنْ جُندِهِ؟ قال: لو فعل ما رضيتُ، قال: فرجع إلى موضعِهِ، وأنشأ يقول:

لم يَبقَ إلاّ الخَلْجانُ نَفْسُهُ يا شرَّ يومٍ قد دهاني أمسُهُ

[الطبري في تفسيره: ٢٧/٩٩]

ثم لحِقهُ ما لَحِق أصحابه فصاروا كما قال جلّ وعزّ ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾. وقال مجاهد في تشبيههم بأعجاز نخل منقعر: لأنه قد بانت أجسادهم من رؤوسهم فصاروا أجساماً بلا رؤوس، وقال بعض أهل النظر: التشبيه لِلْحُفرِ التي كانوا فيها قِياماً، صارت الحفر كأنها أعجاز نخل. قال أبو جعفر: وهذا القول قول خطأ، ولو كان كما قال لقال: كأنها أو كأنهن، وأيضاً فإن الحُفَر لم يتقدم لها ذكر فيُكنَى عنها. وأيضاً فالتشبيه بالقوم أولى ولا سيما وهو قول من يُحتجّ بقوله.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [٢١]

أي فكيف كان عذابي إياهم على الكفر، وإنذاري إياكم أن ينزل بكم ما نزل بهم. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٨٩]: نُذُر جمع نذير.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ..﴾ [٢٣]

لم يصرف ثمود؛ لأنه اسم للقبيلة ويجوز صرفه على أنه اسم للحي.

﴿فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ..﴾ [٢٤]

نَصَبتَ بشراً بإضمار فعل والمعنى أنتّبع بشراً منّا واحداً ونحن جماعة ﴿إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ أي في حيرة عن الطريق المستقيم وأخذ على العِوَج، ولا تعمل إذن إذا لم يكن الكلام معتمداً عليها ﴿وسُعُرٍ﴾ يكون جمع سعير، ويكون مصدراً من قولهم سُعِرَ الرجل إذا طاش.

﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا..﴾ [٢٥]

استفهام فيه معنى التوقيف ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ الكوفيون يقولون: ﴿بل﴾ لا تكون إلاّ بعد نفي فيحملون مثل هذا على المعنى؛ لأن معنى أأُلقِيَ عليه الذكرُ لم يُلقَ عليه.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً..﴾ [٢٦]

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۝٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۝٢٨ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠﴾

الأصل عند سيبويه غَدْوٌ حُذِفَتْ منه الواو ﴿مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ مبتدأ وخبره في موضع نصب بـ ﴿سيعلمون﴾.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ [٢٧]

وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة ﴿ستعلمون غداً﴾ وأبو عبيد يميل إلى القراءة بالياء لأن بعده ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ ولم يقل: لكم. قال أبو جعفر: التقدير لمن قرأ بالياء قال الله جلّ وعزّ: ﴿سيعلمون غداً﴾، والقول يحذَف كثيراً. والأصل إنّا مُرسِلُونَ حُذِفت النون تخفيفاً وأضيفَ.

﴿فتنةً لهم﴾. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٨٩/٥]: فتنةً مفعول له، وقال غيره: هو مصدر أي فتنّاهم بذلك وابتليناهم. وكان ابتلاؤهم في ذلك أنْ خرجت لهم من صخرة صمّاء ناقةٌ عظيمة فآمن بعضهم، وكانت لعظمها كثيرة الأكل، فشكوا ذلك إلى صالح ﷺ فقالوا: قد أفنَتِ الحشائش والأعشاب ومنعتنا من الماء، فقال: ذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء، تَرِد الماء يوماً، وتردون يوماً فكانت هذه الفتنة.

﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ أي فاصبر على ارتقابك إياهم. والأصل واصتبر أُبدِل من التاء طاء؛ لأن الطاء أشبه بالصاد لأنهما مُطبَقتان. قال أبو إسحاق: ينطبق الحنك على اللسان بهما، قال أيضاً: وهما أيضاً مطبَقتان في الخطّ.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ..﴾ [٢٨]

أي ذو قسمة مثل قولك: رجلٌ عدلٌ ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ مبتدأ وخبر. أي تحضر الناقة يوماً وهم يوماً [معاني القرآن للفراء: ١٠٨/٣]، وغُلِّبَ المذكر على المؤنث فقيل: بينهم.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ..﴾ [٢٩]

وهم التسعة الذين انفردوا لِعَقرِ الناقة، فنادى ثمانية منهم قُدَاراً، فقالوا: هذه الناقة قد أقبلت ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ قيل: أي فتعاطى قَتْلَها، وحقيقته في اللغة فتناول الناقة فقتلها، من قولهم عَطَوْتُ إذا تناولت، كما قال:

وتَعْطو برَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنّهُ أساريعُ ظَبْيٍ أو مَساويكُ إسحِلِ

[ديوان امرىء القيس: ١٧]

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ [٣٠]

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾

أي عقابي إياهم على عصيانهم أي فاحذروا المعاصي ﴿وَنُذُرِ﴾ أي إنذاري إياكم أن ينزل بكم ما نزل بهم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ..﴾ [٣١]

وهذا من التمثيل العجيب لأن الهشيم ما يبس من الشجر وتَهَشَّمَ فصار يُحظَر به بعد أن كان أخضر ناضراً، أي صاروا بعد النعمة رفاتاً، وبعد البهجة حطاماً كهيئة الشجر. ورُوِيَ عن ابن عباس ﴿كهشيم المُحتَظَرِ﴾ أي كالعظام المحترقة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٩٠]. قال أبو جعفر: وحقيقة هذا القول في اللغة كهشيم قد حُظِر به وأحرقَ؛ وقال ابن زيد: هو الشوك تجعله العرب حوالي الغنم مخافة السبع. والتقدير في العربية: كهشيم الرجل المُحْتَظِر، ومَنْ قرأ ﴿كهشيم المُحتَظَرِ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/١٠٨، ١٠٩] فتقديره كهشيم الشيء الذي قد احتُظِرَ.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ..﴾ [٣٣]

أي بالآيات التي أُنذِروا بها.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً..﴾ [٣٤]

أي حجارة تحصبهم ﴿إلاَّ آلَ لُوطٍ﴾ نصب على الاستثناء، وآل الرجل كلّ من كان على دينه ومذهبه كما قال جلّ وعزّ لنوح ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦] وهو ابنه، وآل بمعنى واحد، إلاّ أن النحويين يقولون: الأصل في آل أهل، والدليل على ذلك أنّ العرب إذا صغرت آلاً قالت: أُهَيل.

﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٠٩]: سَحَرٌ ههنا يجري؛ لأنه نكرة كقولك: نَجّيناهم بلَيل. قال أبو جعفر: وهذا القول قول جميع النحويين لا نعلم فيه اختلافاً إلاّ أنه قال بعده شيئاً يُخالَفُ فيه قال: فإذا ألقتِ العربُ مِنْ سَحَر الباء لم يُجْروه فقالوا: فَعَلتُ هذا سَحَر يا هذا [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٠٩]. قال أبو جعفر: وقول البصريين أنّ سَحَرَ إذا كان نكرة انصرف وإذا كان معرفة لم ينصرف، ودخول الباء وخروجها واحد. والعلّة فيه عند سيبويه [الكتاب: ٢/ ٤٣] أنه معدول عن الألف واللام لأنه يقال: أتيتك أعلى السَّحَرِ، فلمّا حذفت الألف واللام وفيه نيتهما اعتل فلم ينصرف تقول: سِرْ بزيد سَحَرَ يا هذا، غير مصروف. ولا يجوز رفعه لِعِلّة ليس هذا موضع ذكرها.

﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا..﴾ [٣٥]

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۝٣٦ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٤٠ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١﴾

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٩٠، ٩١]: نُصِبَتْ نعمة لأنها مفعول لها، قال: ويجوز الرفع بمعنى: تلك نعمة من عندنا ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ الكاف في موضع نصب أي نجزي من شكر جزاء كذلك نجزي النجاء.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا..﴾ [٣٦]

أي التي بَطَشنا بهم ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ أي كذّبوا بها شكًا، كما قال قتادة في ﴿فتماروا بالنُّذُر﴾ أي لم يصدّقوا بها.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ..﴾ [٣٧]

﴿وضيف﴾ بمعنى أضياف لأنه مصدر؛ فلذلك لا تكاد العرب تثنيه ولا تجمعه، وحقيقته في العربية: عن ذوي ضيفه ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ يقال: طَمَسَ عَيْنَهُ وعلى عينه إذا فعل بها فعلا يصير بها مِثْلَ وجهِهِ لا شقّ فيها، ويقال: طَمَسَتِ الريح الأعلامَ إذا سَفَتْ عليها التراب فغطّتها به، كما قال:

مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرى إذا عَرِقَتْ عَارِضُها طَامِسُ الأعلامِ مَجْهُولِ

[ديوان كعب بن زهير: ٣/ ١٠٩]

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي فقالت لهم الملائكة: فذوقوا عذاب الله وعقابه ما أنذركم به.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [٣٨]

قال سفيان: كان مع الفجر صَرَفَتْ بُكرةً ههنا؛ لأنّها نكرة، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٠٩] أن غُدْوةً وبُكرةً يُجريان ولا يُجريان، وزعم أنّ الأكثر في غدوة ترك الصرف، وفي بكرة الصرف. قال أبو جعفر: قول البصريين إنهما لا ينصرفان في المعرفة وينصرفان في النكرة، فإن زعم زاعم أنّ الأولى ما قال الفرّاء لأن بكرة ههنا مصروف، قيل له: هذا لا يلزم؛ لأن بكرة ههنا نكرة وكذا سَحَر، والدليل على ذلك أنه لم يقل: أهلكوا في يوم كذا مِن شَهرِ كذا من سَنَةِ كذا بكرة فتكون معرفة، فلمّا وجب أن تكون نكرة لم يكن فيها ذكر حجّة ولا سيّما وفيه الهاء قيل: ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي يستقر عليهم حتى أهلكهم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ [٤١]

أي أهل دينه والقائلين بقوله كما مرّ. ﴿قد﴾ إذا وقعت مع الماضي دلّت على التوقّع وإذا كانت مع المستقبل دلّت على التقليل تقول: قد يكرمنا فلان أي ذلك يقلّ منه.

﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا..﴾ [٤٢]

في معناه قولان: أحدهما أن المعنى كذبوا بآياتنا التي أريناهم إياها كلها، والآخر أنه على التكثير، كما حكى سيبويه: ما بَقِي منهم مُخْبِر. **﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾** قال قتادة: عزيز في انتقامه، وقال لي غيره: عزيز لا يُغلَبُ، مقتدر على ما يشاء.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ..﴾ [٤٣]

مبتدأ وخبره، قال: وهذا على التوقيف، كما حكى سيبويه: الشقاء أحبُّ إليك أم السعادة؟ **﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾** أي أكُتِبَ لكم أنكم لا تُعذَّبون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ..﴾ [٤٤]

على اللفظ ولو كان على المعنى قيل: منتصرون.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ [٤٥]

قال أهل التفسير: ذلك يومُ بدر **﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾** واحد بمعنى الجمع: كما يقال: كثُرَ الدرهمُ.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ..﴾ [٤٦]

من قال: **﴿بل﴾** لا يكون إلاّ بعد نفي قال: المعنى ليس الأمر كما يقولون: إنهم لا يُبعَثُونَ، بل الساعةُ موعدُهم **﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾** أي من هزيمتهم وتولِّيهم.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ..﴾ [٤٧]

أي ذهاب عن الحق **﴿وَسُعُرٍ﴾** أي نار تُسعَّرُ.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ..﴾ [٤٨]

وفي قراءة ابن مسعود **﴿إلى النار﴾** [معاني القرآن للفراء: ٣/١١٠] وهذه القراءة على التفسير، كما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: **«يحضرُ المقتولُ بَيْنَ يَدَيِ الله جلّ وعزّ فيقول له: فيم قُتِلتَ؟ فيقول: فيك، فيقول: كَذَبتَ أردتَ أن يقال: فلان شجاع، فقد قيل: فيؤمر به فَيُسحَبُ على وجهه إلى النار»**.

﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي يقال لهم.

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ..﴾ [٤٩]

فدلّ بهذا على أنهم يُعذَّبون على كفرهم بالقدر. وزعم سيبويه أن نصب ﴿كُلَّ﴾ على لغة من قال: زيداً ضَرَبْتُهُ. وفي نصبه قولان آخران: أما الكوفيون فقالوا: ﴿إِنَّا﴾ تطلب الفعل والفعلُ بها أولى من الاسم، والمعنى: إنا خلقنا كُلَّ شيءٍ، قالوا: وليس هذا مثل قولنا: زيداً ضَرَبْتُهُ؛ لأنه ليس ههنا حرف هو بالفعل أولى، ألا ترى أنك تقول: أزيداً ضربته؟ فيكون النصب أولى؛ لأن ههنا حرفاً هو بالفعل أولى، والقول الثالث أنه إنما جاز هذا بالنصب وخالف زيدٌ ضَرَبْتُهُ ليدلّ ذلك على خلق الأشياء فيكون فيه ردّ على من أنكر خلق الأفعال.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ..﴾ [٥٠]

مبتدأ وخبره. وقال علي بن سليمان: المعنى إلاّ أمرةٌ واحدةٌ. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ١١١/٣] أنه روي ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةً﴾ بالنصب كما يقال: ما فُلانٌ إلاّ ثِيابَهُ ودابّتَهُ أي إلاّ يَتَعَهّدُ ثِيابَهُ ودابّتَهُ، وكما حكى الكسائي: ما فلانٌ إلاّ عِمّتَهُ أي يَتَعَهّدُ عِمّتَهُ ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ أي في سرعته.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ..﴾ [٥١]

وفيه قولان: أحدهما أن أشياعهم هم الذين أُهلِكُوا من قبلهم؛ لأنهم كفروا كما كفروا، فهل من مُتَعِظ بذلك؟ وسُمّوا أشياعهم لأنهم كذّبوا كما كذّبوا. والقول الآخر أن أشياعهم هم الذين كانوا يعاونونهم على عداوة النبي ﷺ والمؤمنين فأُهلِكُوا، فهل من مُتعظ منكم بذلك؟ والقول الأول عليه أهل التأويل.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ..﴾ [٥٢]

الهاء في فعلوه تعود على الأشياء ﴿في الزبر﴾ مكتوب عليهم قد كتبه الحَفَظةُ.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ..﴾ [٥٣]

يقال: سَطَرَ واستَطَرَ إذا كَتَبَ سَطراً.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ..﴾ [٥٤]

أي الذين اتقوا عقاب الله جلّ وعزّ باجتناب محارمه وأداء فرائضه في ﴿جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ قال

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٩٣]: ﴿نَهَرٍ﴾ بمعنى أنهار. قال أبو جعفر: وأنشد الخليل وسيبويه:

في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وقَدْ شَجِينَا

﴿في مَقْعَدِ صِدْقٍ..﴾ [٥٥]

أي في مجلس حقّ لا لغو فيه ولا باطل ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي يقدر على ما يشاء.

٥٥ ـ سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧﴾

شرح إعراب سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ [١]

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [٢]

رُفع بالابتداء وخبره ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي من رحمته علّم القرآن فبصّر به رضاهُ الذي يقرّبُ منه، وسخطَهُ الذي يباعد منه ومن رحمته.

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [٣]

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [٤]

فهو خبر بعد خبر.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ..﴾ [٥]

مبتدأ، وقيل: الخبر محذوف أي يجريان ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ وقيل: الخبر ﴿بحسبان﴾.[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٩٥].

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ..﴾ [٦]

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: النجمُ ما تبسّط على الأرض من الزرع يعني البقل ونحوه، قال: والشجر ما كان على ساق [معاني القرآن للفراء: ٣/١١٢]، [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٩٦]. قال أبو جعفر: وهذا أحسن ما قيل في معناه أي يسجد له كل شيء أي ينقاد لله جلّ وعزّ.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا..﴾ [٧]

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

نُصِبت بإضمار فعل يعطف ما عَمِلَ فيه لفعل على مثله ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١١٢]: أي العدل، وقال غيره: هو الميزان الذي يُوزَنُ به.

﴿أَلاَّ تَطغَوْا في الميزَانِ..﴾ [٨]

﴿أَنْ﴾ في موضع نصب، والمعنى بأن لا تطغوا، و﴿تطغوا﴾ في موضع نصب بأن، ويجوز أن يكون ﴿أن﴾ بمعنى أي فلا يكون لها موضع من الإعراب، ويكون ﴿تطغوا﴾ في موضع جزم بالنهي [معاني القرآن للفراء: ٣/١١٣].

﴿وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ﴾ [٩]

قال أبو جعفر: وهذا أولى؛ لأن بعده ﴿وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ﴾ وقرأ بلال بن أبي بردة ﴿ولا تَخْسِرُوا﴾ بفتح التاء. وهي لغة معروفة.

﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾ [١٠]

نَصَبَ الأرض بإضمار فعل.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ..﴾ [١١]

مبتدأ ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ عطف عليه، الواحد كُمّ وهو ما أحاط بها من ليف وسعف وغيرهما [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٩٧].

﴿وَالحَبُّ..﴾ [١٢]

مرفوع على أنه عطف على فاكهة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٩٧، ٩٨] أي وفيها الحَبُّ ﴿ذُو العَصْفِ﴾ نعت له ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ عطف أيضاً. وقراءة الأعمش وحمزة والكسائي ﴿ذو العَصفِ والريحانِ﴾ بالخفض بمعنى وذو الريحان.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [١٣]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما. قال أبو جعفر: فإن قيل: إنما تقدّم ذكر الإنسان فكيف وقعت المخاطبة لشيئين؟ ففي هذا غير جواب منها أن الأنام يدخل فيه الجنُّ والإنس فخوطبوا على ذلك، وقيل: لمّا قال جلّ وعزّ: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ﴾ [الحجر: ٢٧] وقد تقدم ذكر الإنسان خوطب الجميع، وأجاز الفرّاء أن يكون على مخاطبة الواحد بفعل الاثنين، وحكى ذلك عن العرب.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ
لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾

﴿خلَقَ الإنسانَ مِن صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ..﴾ [١٤]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الصَّلصَالُ: الطين اليابس. فالمعنى على هذا: خُلق الإنسان من طين يابس يُصوِّتُ؛ كما يُصوِّتُ الطين الذي قد مَسَّتهُ النارُ، وهو الفخار [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/٩٨، ٩٩]. وقيل: الصلصال المُنتِنُ، فَعْلالٌ من صَلَّ اللحمُ إذا أنتَنَ، ويقال أصَلَّ.

﴿وَخَلَقَ الجَانَّ مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ﴾ [١٥]

قيل: المارج مشتق من مرجَ الشيء إذا اختلط. والمارج من بين أصفر وأخضر وأحمر، وكذا لسان النار. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس **﴿مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ﴾** قال: هو من خالص النار.

﴿رَبُّ المَشرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغرِبَيْنِ..﴾ [١٧]

رُفع على إضمار مبتدأ يجوز أن يكون بدلاً من المضمر الذي في خلق، ويجوز الخفض بمعنى فبأيِّ آلاء ربكما رَبِّ المشرقين وربِّ المغربين [معاني القرآن للفراء: ٣/١١٥]، ويجوز النصب بمعنى أعني.

﴿فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [١٨]

ليس بتكرير؛ لأنه إنما أتى بعد نِعَم أُخرى سوى التي تقدمت.

﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلتَقِيَانِ﴾ [١٩]

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: مَرَجَ: أرسَلَ. واختلف العلماء في معنى البحرين ههنا فقال الحسن وقتادة: هما بحرُ الروم وبحرُ فارس، وقال سعيد بن جبير وابن أبزَى: هما بحر السماء وبحر الأرض، وكذا يروى عن ابن عباس إلاّ أنه قال: يلتقيان كلَّ عام. وقول سعيد بن جبير وابن أبزى يذهب إليه محمد بن جرير لِعلَّة أوجبت ذلك عنده نذكرها بعد هذا.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ [٢٠]

قال بعض أهل التفسير: لا يبغيان على الناس، وقال بعضهم: لا يبغي أحدهما على الآخر. وظاهر الآية يدلّ على العموم.

﴿يَخرُجُ مِنهُمَا اللُّؤلُؤُ وَالمَرجَانُ﴾ [٢٢]

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

وقراءة يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة ﴿يَخرجُ﴾ والضمّ أبين لأنه إنما يخرُجُ إذا أُخرِجَ. وتكلّم العلماء في معنى ﴿يَخرجُ مِنهُمَا اللُّؤلُؤ وَالمَرجَانُ﴾ فمذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١١٥] أنه إنما يُخرجُ من أحدهما وجعله مجازاً. وفي هذا من البعد ما لا خفاء به على ذي فهم أن يكون ﴿منهما﴾ من أحدهما. وقيل: يُخرَجُ إنما هو للمستقبل فيقول: إنه يخرجُ منهما بعد هذا. وقيل: يُخرَجُ منهما حقيقة لا مجازاً؛ لأنه إنما يُخرَج من المواضع التي يلتقي فيها الماء الملح والماء العذب. وقول رابع هو الذي اختاره محمد بن جرير وحمله على ذلك التفسير لما كان من تقوم الحجة بقوله قد قال في قوله جلّ وعزّ ﴿مَرَجَ البحرينَ يَلتقيان﴾ إنهما بحر السماء وبحر الأرض، وكان اللؤلؤ والمرجان إنما يوجد في الصدف إذا وقع المطر عليه، ويدلّك على هذا الحديث عن ابن عباس قال: (إذا مَطَرَتِ السماءُ فَتحتِ الصدفُ أفواهها).

﴿وَلَهُ الجَوَارِي المُنشَآتُ فِي البَحرِ كَالأَعلَامِ﴾ [٢٤]

﴿الجواري﴾ في موضع رفع. حذفت الضمة من الياء لثقلها، وحذفه الياء بعيد، ومن حذف الياء قال: الكسرة تدلّ عليها [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٠٠]، وقد كانت تحذف قبل دخول الألف واللام. وقراءة الكوفيين غير الكسائي ﴿وله الجوارِي المُنشِئاتُ﴾ يجعلونها فاعلة و﴿المُنشَآتُ﴾ قراءة أهل المدينة وأبي عمرو، وهي أبين. فأما ما روي عن عاصم الجحدري أنه قرأ ﴿المُنشَيَاتُ﴾ فغير محفوظ لأنه إن أبدل الهمزة قال: المُنشَيَاتُ وإن خفّفها جعلها بين الألف والهمزة فقال: المُنشَاات وهذا المحفوظ من قراءته. ﴿كالأعلام﴾ في موضع نصب على الحال.

﴿كُلُّ مَن عَلَيهَا فَانٍ﴾ [٢٦]

الضمير يعود على ﴿الأرض وَضَعها﴾ أي كل مَن على الأرض يفنى ويهلك. والأصل: فاني استثقلت الحركة في الياء فسكّنت ثم حذفت لسكونها وسكون التنوين بعدها.

﴿وَيَبقَى وَجهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكرَامِ﴾ [٢٧]

﴿ذو﴾ من نعت وجه لأن المعنى ويبقى ربّك، كما تقول: هذا وجه الأرض. وفي قراءة ابن مسعود ﴿ويبقى وجهُ ربك ذي الجلال والإكرام﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/١١٦] من نعت ربك.

﴿يَسأَلُهُ مَن فِي السَّموَاتِ وَالأَرضِ..﴾ [٢٩]

مذهب قتادة وليس بنصّ قوله يفزع إليه أهل السّموَات وأهل الأرض في حاجاتهم لا غناء بهم عنه ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شَأنٍ﴾ أي في شأنهم وصلاحهم وتدبير أمورهم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ [٣١]

فيه خمس قراءات، ذكر أبو عبيد منها اثنتين، قد قرأ بكل واحدة منهما خمسة قُرّاء وهما ﴿سَنَفْرُغُ﴾ و﴿سَيَفْرُغُ﴾ فقرأ بالأولى أبو جعفر وشيبة ونافع وأبو عمرو وعاصم، وقرأ طلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿سَيَفْرُغُ﴾ ولم يذكر أبو عبيد طلحة، وقرأ عبد الرحمن الأعرج وقتادة ﴿سَنَفْرَغُ لكم﴾ بفتح النون والراء. وقرأ عيسى بن عمر ﴿سِنَفْرَغُ﴾ بكسر النون وفتح الراء، وذكر الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١١٦] أنه يقرأ ﴿سَيُفْرَغُ﴾ بضم الياء وفتح الراء.

قال أبو جعفر: القراءتان الأوليان بمعنى واحد. وحكى أبو عبيد أن لغة أهل الحجاز وتهامة فَرَغَ يَفرُغُ وأن لغة أهل نجد فَرِغَ يفرَغُ، وأنه لا يعرف أحداً من القراء قرأ بها. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا من قرأ بها. فمن قال: فَرَغَ يفرُغُ جاء به على الأصل؛ لأن فيها حرفاً من حروف الحلق، وحروف الحلق: الهمزة والعين والغين والحاء والخاء والهاء، وحروف الحلق يأتي منها فَعَلَ يفعَلُ كثيراً نحو ذَهَبَ يذهَبُ وصنَعَ يصنَعُ، ويأتي ما فيه لغتان نحو صبَغَ يصبَغُ ويصبُغُ، ورعَفَ يَرعَفُ ويَرعُفُ، ويأتي منهما ما لا يكاد يُفتَحُ نحو نحتَ ينحِتُ وإنما يرجع في هذا إلى اللغة.

﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ..﴾ [٣٣]

نداء مضاف ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا﴾ على مذهب الضحّاك أن المعنى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ فيقال لكم: يا معشر الجن والإنس، وذكر أن هذا يوم القيامة، تنزل ملائكة سبع السمٰوات فيحيطون بأقطار الأرض، فيأتي الملك الأعلى جلّ وعزّ. وقرأ الضحاك: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ثم يؤتى بجهنم فإذا رآها الناس هربوا، وقد اصطفّت الملائكة على أقطار الأرض سبعة صفوف. وقرأ الضحّاك ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣] ، وقرأ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا﴾ ، وروي عنه أنه قال: إن استطعتم أن تهربوا من الموت، وروي عن ابن عباس: إن استطعتم أن تعلموا ما في السمٰوات وما في الأرض ﴿لا تَنفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطَانٍ﴾ قال عكرمة: أي بحجّة، قال: وكل سلطان في القرآن فهو حجّة، وقال قتادة: بسلطان أي بِمَلَكة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ..﴾ [٣٥]

هذه قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وأبي عمرو وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨﴾

ابن كثير وابن أبي إسحاق وهي مروية عن الحسن ﴿شِوَاظ﴾ بكسر الشين. والفرّاء [معاني القرآن: ٣/١١٧] يذهب إلى أنهما لغتان بمعنى واحد، كما يقال: صِوَارٌ وصُوَارٌ. ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع والكوفيين بالرفع، وقرأ ابن كثير وابن أبي إسحاق وأبو عمرو ﴿ونُحَاسٍ﴾ بالخفض، وقرأ مجاهد ﴿ونِحَاس﴾ بكسر النون والسين، وقرأ مسلم بن جُنْدُب ﴿ونَحُسٌ﴾ بغير ألف وبالرفع.

قال أبو جعفر: الرفع في ﴿وَنُحَاسٌ﴾ أبينُ في العربية؛ لأنه لا إشكال فيه يكون معطوفاً على ﴿شُواظ﴾، وإن خفضتَ عطفتَهُ على نار، واحتجت إلى الاحتيال، وذلك أن أكثر أهل التفسير منهم ابن عباس يقولون: الشواظ: اللهب، والنحاس: الدخان، فإذا خفضت فالتقدير: شواظٌ من نار ونُحاس. والشواظ لا يكون من النحاس كما أن اللهب لا يكون من الدخان إلاّ على حيلة واعتذار والذي في ذلك من الحيلة، وهو قول أبي العباس محمد بن يزيد، أنه لمّا كان اللهب والدخان جميعاً من النار كان كلّ واحد منهما مشتملا على الآخر، وأنشد للفرزدق [ديوانه: ٣٢٩]:

فَبِتُّ أقُدُّ الزادَ بَيْني وبَيْنَهُ ... على ضوءِ نارٍ مَرَّةً ودُخَانِ

فعطف ودخان على نار، وليس للدخان ضوء؛ لأن الضوء والدخان من النار، وإن عطفتَ ودخان على ضوء لم تحتج إلى الاحتيال، وأنشد غيره في هذا بعينه:

شَرابُ ألبانٍ وتَمرٌ وأقِطْ

وإنما الشروب الألبان ولكن الحلق يشتمل على هذه الأشياء، وقال آخر في مثله:

يا ليتَ زوجَكِ قدْ غَدَا ... متقلّداً سَيْفاً ورُمحاً

[القرطبي في تفسيره: ١/١٩١]

لأنهما محمولان، وقد قال الحسن ومجاهد وقتادة في قوله جلّ وعزّ ﴿ونحاس﴾ قالوا: يذاب النحاس فَيُصبُّ على رؤوسهم ﴿فَلا تَنتَصِرَانِ﴾ أي ممن عاقبكما بذلك ولا تستفيدان منه.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ [٣٦]

أي فبأي نعم ربكما الذي جعل الحكم واحداً في المنع من النفوذ، ولم يخصص بذلك أحداً دون أحد.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ..﴾ [٣٧]

وهو يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ قال قتادة: هي اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء، وزاد غيره وهي من حديد ﴿كَالدِّهَانِ﴾ أصح ما قيل فيه، وهو قول مجاهد والضحّاك، أنه جمع دُهن أي صافية ملساء.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ..﴾ [٣٩]

جواب إذا. ﴿لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ قول ابن عباس: لا يُسألون سؤال اختبار؛ لأن الله جلّ وعزّ قد حفظ عليهم أعمالهم، وقول قتادة: إنّهم يُعرفون بسواد الوجوه وزرق الأعين [معاني القرآن للفراء: ٣/١١٧]، [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٠١].

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [٤١]

ويدلّ على هذا أن بعده ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ والسيما والسيماء: العلامة ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ يكون بالنواصي في موضع رفع اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، ويجوز أن يكون مضمراً.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [٤٣]

أي يقال لهم: هذه جهنم التي كانوا يكذّبون بها في الدنيا.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا..﴾ [٤٤]

أي بين أطباقها ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ حكى عبدالله بن وهب عن ابن زيد قال: الآني: الحاضر. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ قال: يقول: قد انتهى حرّه. قال أبو جعفر: وكذا هو في كلام العرب، قال النابغة [ديوانه: ١٢٠]:

وتُخضَبُ لِحيَةٌ غَدَرَتْ وخانَتْ ... بأحمَرَ مِن نَجيعِ الجَوفِ آنِ

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٤٥]

أي فبأي نِعَم ربكما التي أنعم بها عليكم فلم يعاقب منكم إلاّ المجرمين، وجعل لهم سيماء يُعرَفون بها حتى لا يختلط بهم غيرُهم.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [٤٦]

رُفع بالابتداء وبإضمار فعل بمعنى: تجب أو تستقرّ، والتقدير: ولمن خاف مقام ربه فأدى فرائضه واجتنب معاصيه خوف المقام الذي يقفه الله تعالى للحساب، ويبيّن هذا قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ولا يقال لمن اقتحم على المعاصي: خائف، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ قال: وعد الله المؤمنين الذين أدوا فرائضه الجنة.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [٤٨]

نعت للجنّتين، والجنة عند العرب البستان. قال أبو جعفر: واحد الأفنان فَنَنٌ على قول من قال: هي الأغصان، ومَنْ قال: هي الألوان ألوان الفاكهة فواحدها عندهم فنن [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٠٢]، والأول أولى بالصواب؛ لأنّ أكثر ما يجمع فَنٌ فُنُونٌ فيستغنى بجمعه الكثير، كما يقال: شِبعٌ وشُبوعٌ. ومنه: أخذ فلانٌ في فُنُون من الحديث.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [٥٠]

أي في خلالهما نهران يجريان.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [٥٢]

أي من كل نوع من الفاكهة صنفان.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ..﴾ [٥٤]

نُصب متكئين على الحال، والعامل فيه من غامض النحو. قال أبو جعفر: ولا أعلم أحداً من النحويين ذكره إلاّ شيئاً ذكره محمد بن جرير قال: هو محمول على المعنى أي يتنعمون متكئين، وجعل ما قبله يدلّ على المحذوف. قال أبو جعفر: ويجوز أن يكون بغير حذف، ويكون راجعاً إلى قوله جلّ وعزّ: ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ ربّهِ جنّتَان﴾ كما تقول: لفلان تجارةٌ حاضراً، أي في هذه الحال. ﴿ومتكئين﴾ على معنى ﴿مَنْ﴾ ولو كان على اللفظ لكان متكئاً. ﴿وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ﴾ في موضع رفع بالابتداء ﴿دَانٍ﴾ خبره.

﴿فِيهِنَّ..﴾ [٥٦]

قال أبو جعفر: قد ذكرنا هذا الضمير وعلى من يعود. وفيه إشكال قد بيّناه والتقدير: فيهنّ حور [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٠٢] ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾، وقراءة طلحة ﴿لم يَطْمُثْهُنّ﴾ وهما لغتان معروفتان.

﴿كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ﴾ [٥٨]

﴿أنّ﴾ في موضع خفض بالكاف، والكاف في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾

﴿ومن﴾ في موضع نصب اسم ﴿أنّ﴾، وشُدِّدت لأنها بمنزلة حرفين في المذكر، ﴿الياقوت﴾ خبر، ﴿والمرجان﴾ عطف عليه.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ..﴾ [٦٠]

مبتدأ وخبره أي هل جزاء من أحسنَ في الدنيا إلاّ أن يُحسَنَ إليه في الآخرة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٠٣]؟

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ..﴾ [٦٢]

في معناه قولان: أحدهما ومن دونهما في الدرج. وهذا مذهب ابن عباس، وتأوّل أن هاتين الجنتين هما اللتان قال الله جلّ وعزّ فيهما ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، والقول الآخر ومن دونهما في الفضل. وهذا مذهب ابن زيد، قال: وهما لأصحاب اليمين.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [٦٤]

قال أبو حاتم: ويجوز في الكلام مُدْهَمَّتانِ؛ لأنه يقال: ادهمَّ وادهامَّ، ومدهامتان من نعت الجنتين.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ..﴾ [٦٦]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿نضّاختان﴾ قال: فيّاضتان، وقال الضحّاك: ممتلئتان، وقال سعيد بن جبير: نَضَّاخَتَانِ بالماء والفاكهة، قال أبو جعفر: والمعروف في اللغة أنهما بالماء.

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [٦٨]

فيها ثلاثة أقوال: منها أنه قيل: إن النخل والرمان ليسا من الفاكهة لخروجهما منها في هذه الآية، وقيل: هما منها ولكن أُعيد إشادةً بذكرهما لفضلهما [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٠٣]. وقيل: العرب تعيد الشيء بواو العطف إتساعاً لا لتفضيل، والقرآن نزل بلغتهم، والدليل على ذلك ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨] ثم قال جلّ وعزّ: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨] وقال جلّ ثناؤه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] قال أبو جعفر: وهذا بيّن لا لبس فيه.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [٧٠]

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾

وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٢٠]: خَيْراتٌ وخَيِّراتٌ. فأما البصريّون فقالوا: خَيْرَةٌ بمعنى خَيِّرة فخفّف، كما قيل: مَيْتٌ ومَيِّتٌ ﴿وفيهن﴾ يعود على الأربع الأجنة.

﴿حُورٌ..﴾ [٧٢]

﴿حُورٌ..﴾ بَدَلٌ وإن شئت كان نعتاً ﴿مَقْصُوراتٌ﴾ قال مجاهد: قَصَرْنَ طَرْفَهن وأنفسَهُنَّ على أزواجهم فلا يُرِدْنَ غيرهم، وقال أبو العالية: ﴿مقصورات﴾ محبوسات، وقال الحسن: مقصورات: محبوسات لا يطفن في الطرُق. قال أبو جعفر: والصواب في هذا أن يقال: إنّ الله جلّ وعزّ وصفهنّ بأنهن مقصورات فَعَمّ فَنَعُمّ كما عَمّ جلّ وعزّ فيقول: قَصَرْنَ طَرْفَهُنّ وأنفسهن على أزواجهنّ فلا يَرَيْنَ غيرهم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٠٤، معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٢٠]، وهنّ محبوسات في الخيام ومصونات.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [٧٤]

فدلّ بهذا على أن الجن يطؤون.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ..﴾ [٧٦]

نَخُضرٌ جمع أخضر، ورَفْرَف لفظه لفظ واحد، وقد نُعِت بجمع لأنه اسم للجميع كما قال: مررت برهط كرام وقوم لئام وكذا: هذه إبلٌ حِسانٌ وغنمٌ صِغارٌ ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ مثله غير أنه يجوز أن يكون جمع عبقرية، وقد قرأ عاصم الجحدري ﴿متكئين على رفارف خضر وعَباقريّ حِسان﴾ وقد روى بعضهم هذه القراءة عن عاصم الجحدري عن أبي بكرة عن النبي ﷺ، وإسنادها ليس بالصحيح، وزعم أبو عبيد أنها لو صحّت لكانت وعَباقِريَ بغير إجراء، وزعم أنه هكذا يجب في العربية.

قال أبو جعفر: وهذا غلط بين عند جميع النحويين؛ لأنهم قد أجمعوا جميعاً أنه يقال: رجل مَدائنيٌّ بالصرف، وإنما تَوهّمَ أنه جمع، وليس في كلام العرب جمع بعد ألفه أربعة أحرف لا اختلاف بينهم أنك لو جمعتَ عَبقراً لقلت عباقر، ويجوز على بعد عَباقيرُ، ويجوز عباقرة. فأما عَباقِريّ في الجمع فمحال والعلة في امتناع جواز عباقري أنه لا يخلو من أن يكون منسوباً إلى عبقر فيقال: عبقري أو يكون منسوباً إلى عباقر فيُردّ إلى الواحد فيقال أيضاً: عبقريّ كما شرط النحويون جميعاً في النسب إلى الجمع أنّك تنسب إلى واحده فتقول في النسب إلى المساجد: مَسجِديّ وإلى العلوم علميّ وإلى الفرائض فَرَضِيّ فإنْ قال قائل: فما يمنع من أن

﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾

يكون عباقراً اسم موضع ثم ينسب إليه كما يقال: معافريّ؟ قيل له: إن كتاب الله جلّ وعزّ لا يحمل على ما لا يُعرَفُ وتُتْرَكُ حجّة الإجماع.

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ..﴾ [٧٨]

أي البركة في اسمه جلّ وعزّ، والبركة في اللغة بقاء النعمة وثباتها، فحضّهم بهذا على أن يكثروا ذكر اسمه جلّ وعزّ ودعاءه، وأن يذكروه بالإجلال والتعظيم له فقال: ﴿ذِي الجَلالِ وَالإكْرَامِ﴾ أي الجليل الكريم وفي الحديث: «أَلِظُّوا بياذا الجَلالِ والإكرام» [ت: ٣٥٢٥].

٥٦ ـ سورة الواقِعَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [١]

﴿إذا﴾ في موضع نصب لأنها ظرف زمان، والعامل فيها وقعت؛ لأنها تُشبِه حروف الشرط، وإنما يعمل فيها ما بعدها. وقد حكى سيبويه [الكتاب: ١/ ٤٣٣، ٤٣٤] أن من العرب من يجزم بها، قال: وشَبَهُها بحروف الشرط متمكن قوي، وذلك أنها تقلِبُ الماضي إلى المستقبل وتحتاج إلى جواب غير أنه لا يُجازى بها إلاّ في الشعر. فأما مخالفتها حروف المجازاة فإن ما بعدها يكون محدّداً تقول: أجيئُكَ إذا احمَرَّ البسر، ولا يجوز ههنا ﴿أنْ﴾ وكُسِرت التاء من ﴿وقَعتْ﴾ لالتقاء الساكنين، لأنها حرف فحكمها أن تكون ساكنة، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الواقعة والطامّة والصاخّة ونحو ذلك من أسماء القيامة عظّمها الله جلّ وعزّ وحذّرها عباده، وقال غيره: هي الصيحة وهي النفخة الأولى.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ..﴾ [٢]

اسم ليْس، وذُكّرتْ كاذبة عند أكثر النحويين لأنها بمعنى الكذب أي ليس لوقعتها كذِبٌ. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٢١]: مثل عاقبة وعافية.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [٣]

على إضمار مبتدأ، والتقدير: الواقعة خافضة رافعة، وقرأ اليزيدي ﴿خَافِضةً رافِعةً﴾ بالنصب. وهذه القراءة شاذة متروكة من غير جهة منها أن الجماعة الذين تقوم بهم الحجة على خلافها، ومنها أن المعنى على الرفع في قول أهل التفسير والمحققين من أهل العربية. فأما أهل التفسير فإن ابن عباس قال: خَفَضَت أناساً ورفعت آخرين فعلى هذا لا يجوز إلاّ الرفع؛ لأن المعنى خَفَضَت قوماً كانوا أعزاء في الدنيا إلى النار ورَفعت قوماً كانوا أذلاء في الدنيا إلى الجنة

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾

فإذا نُصِب على الحال اقتضت الحال جواز أن يكون الأمر على غير ذلك كما أنك إذا قلت: جاء زيدٌ مسرعاً، فقد كان يجوز أن يجيء على خلاف هذه الحال، وقال عكرمة والضحّاك: ﴿خافضةٌ رافعةٌ﴾ خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى فصار الناس سواء.

قال أبو جعفر: وأما أهل العربية فقد تكلم منهم جماعة في النصب، فقال محمد بن يزيد: لا يجوز، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٢١]: يجوز بمعنى إذا وقعت الواقعة وقعت خافضة رافعة فأضمر وقعت وهو عند غيره من النحويين بعيد قبيح، ولو قلت: إذا جئتك زائراً، تريدُ إذا جئتُك جئتُك زائراً. لم يجز هذا الإضمار؛ لأنه لا يعرف معناه، وقد يتوهّم السامع أنه قد بقي من الكلام شيء. وأجاز أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/١٠٧] النصب على أن يُعمِل في الحال ﴿وقعَتْ﴾، قد بيّنا فساده على أن كل من أجازه فإنه يحمله على الشذوذ فهذا يكفي في تركه.

﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً﴾ [٤]

﴿إذا﴾ في موضع نصب. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/١٠٨]: المعنى إذا وقعت الواقعة في هذا الوقت، ﴿رَجّاً﴾ مصدر.

﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً﴾ [٥]

وكذا ﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً﴾.

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾ [٦]

﴿هباء﴾ خبر كان ﴿منبثّاً﴾ من نعته. وأصحّ ما قيل في معناه ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: الهباءُ المُنْبَثُّ رهج الدواب، وعن ابن عباس: هو الغبار، وعنه: هو الشرر الذي يطير من النار.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً﴾ [٧]

عن ابن عباس قال: أصنافاً ثلاثةً. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/١٠٨]: يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أزواج، واحدها زوج، كما يقال: زوج من الخفاف لأحد الخُفَّين.

﴿فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ..﴾ [٨]

رفع الابتداء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٠٩] ﴿مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ وخبره في موضع خبر الأول، وقيل: التقدير: ما هم، فلذلك صلح أن يكون خبراً عن الأول لمّا عاد عليه ذكره وكذا ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ [القارعة: ١، ٢] يظهر الاسم على سبيل التعظيم والتشديد. وهذا قول حسن؛ لأن إعادة الاسم فيه معنى التعظيم، وكذا ﴿فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦﴾

أصْحَابُ المَيْمَنَةِ﴾ قيل: إنما قيل لهم: أصحاب الميمنة لأنهم أعطوا كتبهم بأيمانهم، وقيل: لأنهم أخذ بهم ذات اليمين. وهذه علامة في القيامة لمن نجا، وقيل: إن الجنة على يمين الناس يوم القيامة.

﴿وَأَصْحَابُ المَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْئَمَةِ﴾ [٩]

وعلى هذا ﴿وَأَصْحَابُ المَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْئَمَةِ﴾ لأن اليد اليسرى يقال لها الشومى.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [١٠]

﴿أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾ [١١]

قال محمد بن سيرين: السابقون الذين صلّوا القِبلَتَين، وأبو إسحاق يذهب إلى أن فيه تقديرين في العربية: أحدهما أن يكون السابقون الأول مرفوعاً بالابتداء والثاني من صفته، وخبر الابتداء ﴿أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾ ويجوز عنده أن يكون السابقون الأول مرفوعاً بالابتداء والسابقون خبره وتقديره: والسابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، قال: أولئك المقربون صفة. قال أبو جعفر: قوله: أولئك صفة، غلط عندي؛ لأن ما فيه الألف واللام لا يوصف بالمبهم. لا يجوز عند سيبويه: مَررتُ بالرجلِ ذلك، ولا مررتُ بالرجلِ هذا، على النعت، والعلّة فيه أن المبهم أعرف مما فيه الألف واللام، وإنما ينعت الشيء عند الخليل وسيبويه بما هو دونه في التعريف، ولكن يكون أولئك المقربون بدلا أو خبراً بعد خبر.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [١٢]

من صلة المقرّبين، أو خبرٌ آخر.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ [١٣]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/١٠٩]: المعنى: هم ثلة من الأولين.

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ [١٤]

عطف عليه.

﴿عَلَى سُرُرٍ..﴾ [١٥]

من العرب من يقول: سُرَر لثقل الضمّة وتكرير الحرف وفي الراء أيضاً تكرير ﴿مَوْضُونَةٍ﴾ نعت.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [١٦]

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١١٠]: هما منصوبان على الحال.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [١٧]

ذكر الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٢٢] معناه على سِنٍّ واحد لا يتغيرون كأنه مشتق من الولادة إلاّ أنه يقال: وَلِيدٌ بين الولادةِ بفتح الواو.

﴿بِأَكْوَابٍ..﴾ [١٨]

اجتزئ بالجمع القليل عن الكثير ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لم ينصرف؛ لأنه جمع لا نظير له في الواحد ﴿وَكَأْسٍ﴾ واحد يؤدي عن الجمع، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾. قال: الخمر، وقال الضحّاك: كل كأس في القرآن فهي الخمر، وقال قتادة: من معين: من خمر تُرَى بالعيون [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١١٠].

﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ﴾ [١٩]

نفى عن الخمر ما يلحق من آفاتها من السكر والصداع، وقيل ﴿يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ يُفرَّقُون عن قِلىً.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [٢٠]

أي يتخيَّرُونها، وحذفت الهاء لطول الاسم.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [٢١]

أهل التفسير منهم من يقول: يخلق الله جلّ وعزّ لهم لحماً على ما يشتهون من شواء أو طبيخ من جنس الطير، ومنهم من يقول: بل هو لحم طير على الحقيقة. وبهذا جاء الحديث عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ما هو إلاّ أنْ تَشْتَهِي الطائرَ في الجنّة وهو يطيرُ فَيقَعُ بَيْنَ يدَيكَ مَشْوِيّاً» [القرطبي في «تفسيره»: ١٧/ ٢٠٤].

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [٢٢]

قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وشيبة ونافع، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ بالخفض، وحكى سيبويه والفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٢٤] أن في قراءة أُبيّ بن كعب ﴿وحوراً عيناً﴾ بالنصب، وزعم سيبويه [الكتاب: ١/ ٨٧] أن الرفع محمول على المعنى؛ لأن المعنى: فيها أكوابٌ وأباريقُ وكأسٌ من معين وفاكهةٌ ولحمُ طير وحورٌ أي ولهم حور عينٌ، وأنشد:

بـادَتْ وغَيَّـرَ آيَهُـنَّ مـعَ البِلَـى ... إلاّ رواكِـدَ جَمْـرُهُـنَّ هَبـاءُ

ومُشَجَّجٌ أمّا سواءُ قَذالِهِ فَبَدَا وغَيَّرَ سارَهُ المَعزاءُ

[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١١١]

فرفع ومشجج على المعنى؛ لأن المعنى: بها رواكدُ وبها مشجَّجٌ. والقراءة بالرفع اختيار أبي عبيد لأن الحور لا يُطاف بهن، واختار الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٢٤] الخفض واحتج بأن الفاكهة واللحم أيضاً لا يطاف بهما وإنما يطاف بالخمر. وهذا الاحتجاج لا ندري كيف هو إذ كان القرّاء قد أجمعوا على القراءة بالخفض في قوله جلّ وعزّ ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فمن أين له أنه لا يُطافُ بهذه الأشياء التي ادّعى أنه لا يُطافُ بها؟ وإنما يُسلَّمُ في هذا لحُجّة قاطعة أو خبر يجب التسليم له.

واختلفوا في قوله جلّ وعزّ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ كما ذكرتُ والخفض جائز على أن يُحمل على المعنى؛ لأن المعنى: ينعمون بهذه الأشياء وينعمُون بحور عين، وهذا جائز في العربية كثير. كما قال [ديوان ذي الرمة: ٦٦٤]:

عَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً حتّى شَتَتْ هَمّالةً عيناها

[معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٢٤]

فحُملت على المعنى، وقال آخر:

يا ليتَ زَوجَكِ قد غَدَا مُتَقَلِّداً سَيفاً ورُمحاً

[معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٢٣]

وقال الآخر:

إذا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يوماً وزَجَّجْنَ الحواجبَ والعُيُونا

[معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٢٣]، [ديوان الراعي النميري: ١٥٦]

والعيون لا تزجّج فحمله على المعنى. فأما ﴿وحوراً عيناً﴾ فهو أيضاً محمول على المعنى؛ لأن معنى الأول يُعطون هذ ويُعطون حُوراً، كما قال:

جئني بمِثلِ بني بدرٍ لِقَومِهِمُ أو مِثلَ أُسرَةِ منظُورِ بنِ سَيّارِ

[القرطبي في تفسيره: ٧/ ٤٩]

أو عامِرَ بنِ طُفَيلٍ في مُركَّبِهِ أو حارِثاً يومَ نادَى القومُ يا حارِ

قال الحسن البصري: الحور الشديدات سواد سوادِ العينِ. وهذا أحسن ما قيل في معناهن. والحَوَرُ: البياض، ومنه الحُوّاريّ، وروي عن مجاهد أنه قال: قيل: حور لأن العَين

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾

تحارُ فيهن، وقال الضحّاك: العِين: المعظمات الأعين. قال أبو جعفر: عِيْنٌ جمع عيناء وهو على فُعْلٍ إلاّ أن الفاء كُسِرت لئلاّ تنقلب الياء واواً فيشكل بذوات الواو، وقد حكى الفرّاء أن من العرب من يقول: حِيرٌ عِينٌ على الإتباعِ.

﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُوِ الْمَكْنُونِ﴾ [٢٣]

ورُوِيَ عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُوِ الْمَكْنُونِ﴾ قال: «كصفاءِ الدرّ الذي في الصَّدفِ الذي لا تمسّهُ الأيدي».

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢٤]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١١١]: نصَبتُ جزاء لأنه مفعول له أي لجزاء أعمالهم. قال: ويجوز أن يكون مصدراً؛ لأن معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ يجزيهم ذلك جزاء أعمالهم.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً﴾ [٢٥]

اللغو: ما يلغى، قيل: معناه: لا يسمعون فيها صَخَباً ولا ضجراً ولا صياحاً. فنفى الله عزّ وجلّ عن أهل الجنة كل ما يلحق الناس في الدنيا في نعيمهم من الضجر، وفي كل ما يلحق في طعامهم وشرابهم من الآفات، وكل ما يلحقهم من العناء والتعب وفي المأكول والمشروب في هذه السورة. وفي بعض الحديث «من داومَ قراءةَ سُورةِ الواقعة كلَّ يوم لم يفتقِرْ أبداً» [القرطبي في «التفسير»: ١٧/١٩٤].

﴿إِلَّا قِيلًا . .﴾ [٢٦]

قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/١١٢] ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ منصوب بيَسمعون أي لا يسمعون إلاّ قِيلاً، وقال غيره: هو منصوب على الاستثناء ﴿سَلَاماً سَلَاماً﴾ يكون نعتاً لقيل أي إلاّ قيلا يُسلَمُ فيه من الصياح والصخب وما يؤثَمُ فيه، ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر، ويجوز وجه ثالث وهو أن يكون منصوباً بقيل، ويكون معنى قيل: أن يقولوا، وأجاز الكسائي والفرّاء الرفع في سلام بمعنى: سلام عليكم، وأنشد الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٢٤]:

فَقُلْنَا السَّلامُ فاتَّقَتْ مِنْ أَميرِهَا ... فَمَا كانَ إلاّ وَمْؤُهَا بالحَواجِبِ

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ . .﴾ [٢٧]

في معناه ثلاثة أقوال: منها أنه إنما قيل لهم أصحاب اليمين لأنهم أعطوا كتبهم بأيمانهم،

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾

ومنها أنه يُؤخذُ بهم يوم القيامة ذات اليمين وذلك أمارةُ من نجا، والقول الثالث أنهم الذين أقسم الله جلّ وعزّ أن يدخلهم الجنة ﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ مبتدأ وخبره في موضع خبر الأول، وقول قتادة: إن المعنى: أي شيء هو وما أعد لهم من الخيرات.

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ [٢٨]

﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ [٢٩]

﴿مخضود﴾ أصح ما قيل فيه أنه الذي خُضِدَ شوكُهُ، أي قطع وقيل: هو مخلوق كذا، والعرب تعرف الطلح أنه الشجر كثير الشوك. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١١٢] يجوز أن يكون في الجنة وقد أزيل عنه الشوك. وأهل التفسير يقولون: إن الطلح الموز. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: يجوز أن يكون هذا مما لم ينقله أصحاب الغريب، وأسماء النبت كثيرة حتى إن أهل اللغة يقولون: ما يُعَابُ على من صَحَّفَ في اسماء النبت لكثرتها.

﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [٣٠]

﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ [٣١]

أي لا يتعب في استقائه.

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ [٣٢]

﴿لا مَقْطُوعَةٍ..﴾ [٣٣]

نعت. وجاز أن تفرّق بين النعت والمنعوت بقولك: لا لِكَثرةِ تصرّفها وأنها تقع زائدة. قال قتادة: في معنى ﴿ولا ممنوعَةٍ﴾ لا يمنع منها شوك ولا بُعْدٌ.

﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [٣٤]

أي عالية، ومنه بناء رفيع.

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [٣٥]

قال مجاهد: خُلِقنَ من زَعفران. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١١٢]: إنشاء من غير ولادة.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [٣٦]

مفعول ثان. وقال أبو عبيدة: في الضمير الذي في ﴿أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ أنه يعود على ﴿وحورٌ عِينٌ﴾، وقال الأخفش سعيد [معاني القرآن: ٢/ ٧٠٢]: هو ضمير لم يجرِ له ذكر إلا أنه قد عُرِف معناه.

عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾

﴿عُرُباً﴾ [٣٧]

جمع عَرُوب. ولغة تميم ونجد عُرْباً يحذفون الضمة لثقلها. ﴿أتْرَاباً﴾ جمع تِرْب.

﴿لأَصْحَابِ اليَمِينِ﴾ [٣٨]

قيل: المعنى: إنا أنشأناهن لأصحاب اليمين، وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عمر رحمة الله عليهما أنهما قالا: أصحاب اليمين: أطفال المؤمنين. وقدّره الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٢٦] بمعنى: لأصحاب اليمين ثُلّةٌ مِنَ الأوّلين وثُلّةٌ مِنَ الآخِرين، وقدّره غيره: المعنى هم ثلة من الأولين أي جماعة ممّن تقدّم قبل مبعث النبي ﷺ وجماعة من أتباع النبي ﷺ. وقال صاحب هذا القول: إنما قيل في الأول ثُلّةٌ من الأولين وقليل من الآخرين، وفي الثاني ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخِرين؛ لأن الأول للسابقين إلى اتباع الأنبياء ﷺ، والسابقون إلى اتباعهم قبل النبي ﷺ أكثر من السابقين إلى اتباع النبي ﷺ. يدلّك على صحة هذا أن قوم يونس ﷺ آمنوا، وهم مائة ألف أو يزيدون، والسحرةُ اتّبعوا موسى ﷺ وهم يروى أكثر من هؤلاء، فلهذا قيل: وقليل من الآخرين، والثلة الثانية لأصحاب اليمين وليست للسابقين، وأصحاب اليمين قد يدخل فيهم المسلمون إلى يوم القيامة، هذا على هذا القول، وقد ذكرنا غيره. والله جلّ وعزّ أعلم.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ..﴾ [٤١]

أي الذين أُعطوا كُتُبَهُم في شمالهم، وقيل: الذين أُخِذَ بِهِم ذات الشمال. قال قتادة: ﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ أي ماذا لهم وما أُعِدَّ لهم.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [٤٢]

أي في حرّ النار وما يلحق من لهبها، وحكى ابن السكّيت في جمع سَموم سِمَام. وقال أبو جعفر: فهذا على حذف الزائد وهو الواو ﴿وحميم﴾ وهو ما يُعذَّبُونَ به من الماء الحار، يُجرَّعونَهُ ويُصَبُّ على رؤوسهم كما قال جلّ وعزّ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٤].

﴿وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ﴾ [٤٣]

ينصرف في المعرفة والنكرة لأنه ليس في الأفعال يفعول.

﴿لا بارِدٍ﴾ [٤٤]

أي لا ظِلٌّ له يَسُرُّ ﴿وَلا كَرِيمٍ﴾ لأنه مؤلم، وخفضت ﴿لا بارد﴾ على النعت ولم تفرق

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۝٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾

﴿لا﴾ بين النعت والمنعوت لِتصرُّفها ﴿وَلا كَرِيمٍ﴾ عطف عليه، وأجاز النحويون الرفع على إضمار مبتدأ كما قال:

وتُرِيكَ وَجْهاً كالصحيفةِ لا ظَمآنُ مُختَلِجٌ ولاَ جَهْمُ

[معاني القرآن للفراء: ٣/١٢٦]

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [٤٥]

أي في الدنيا. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: مُنَعَّمِينَ.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ..﴾ [٤٦]

قال ابن زيد: لا يتوبون ولا يستغفرون. والإصرار في اللغة الإقامة على الشيء وترك الإقلاع عنه ﴿عَلَى الحِنثِ العَظِيمِ﴾ قال الفرّاء[معاني القرآن: ٣/١٢٧]: يقول: الشرك هو الحنث العظيم.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [٤٧]

تعجبوا من هذا فلذلك جاء بالاستفهام. قال أبو جعفر: من قال إذا متنا جاء بالهمزة الثانية بينَ بينَ فهي متحركة كما كانت قبل التخفيف. وهكذا قال محمد بن يزيد، وقال أحمد بن يحيى ثعلب: همزة بَيْنَ بَيْنَ لا متحركة ولا ساكنة. قال أبو جعفر: فأما كتابتها بالألف لا غير؛ لأنها مبتدأة ثم دخلت عليها ألف الاستفهام. فإذا في موضع نصب على الظرف، ولا يجوز أن يعمل فيه لمبعوثون؛ لأنه خبر ﴿إنّ﴾ فلا يعمل فيما قبله، والعامل فيه مِتْنَا. ويقال: مُتْنَا على لغة من قال: مات يموتُ وهي فصيحةٌ ومن قال: مِتْنَا فهو على لغة من قال: ماتَ يَمَاتُ مثل خاف يخاف، وقد قيل: هو على فَعِلَ يَفْعَلُ جاء شاذاً.

﴿أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾ [٤٨]

معطوف على الموضع، ويجوز أن يكون معطوفاً على المضمر المرفوع.

﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ﴾ [٤٩]

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [٥٠]

حكى سيبويه[الكتاب: ١/١٩٨] عن العرب سماعاً: ادخُلُوا الأولَ فالأولَ. وزعم أنه منصوب على الحال وفيه الألف واللام. وقال ابن كيسان: لا نعلم شيئاً يصح في كلام العرب منصوباً على

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝٥٤﴾

الحال وفيه الألف واللام إلاّ هذا، والعلة فيه أنه وقع فرقاً بين معنيين؛ لأنك إذا قلت: دخلوا أولاً أوّلا فمعناه دخلوا متفرّقين، فإذا قلت: دخلوا الأولَ فالأولَ فمعناه: أعرفهم الأولَ فالأولَ، وقال محمد بن يزيد: التعريف إنما وقع بعدُ فلذلك جيء بالألف واللام زائدتين كسائر الزوائد. وحكى سيبويه عن عيسى بن عمر: ادخُلوا الأولُ فالأولُ يحمله على المعنى وقد خطّأه سيبويه لأنه لا يجوز: ادخلُوا الأولُ فالأولُ فالأولُ أي إنما يقال باللام، واحتج غيره لعيسى بن عمر؛ لأنه محمول على المعنى، كما روي عن أبيّ بن كعب أنه قرأ ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْتَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]، وكان يجب أن يُنطق في الأول بفعل لأنه بمنزلة الأفضل، ولكن يُردّ ذلك لأن فاءه وعينه من موضع واحد، ولا يوجد في كلام العرب فعلٌ هكذا، وهو في الأسماء قليل. قالوا: كَوكَبٌ لمعظم الشيء، وقالوا للهو واللعب: دَداً وددن ودَدٌ، وقالوا للسيف الكليل دَدَانٌ لا يعرف في الدال غير هذه.

وفي الحديث عن عمر رضي الله عنه «حتى يَصيرَ الناسُ بَبّاناً واحداً» أي شيئاً واحداً «وبَبَّةٌ» لقب. لا يعرف غير هذين في كلام العرب في الباء. أما قولهم في الطائر بَبْغاء ولِسبع ببَرٌ فأعجميان ولا يكاد يُعرفُ ذلك في غير هذه الحروف إلاّ يسيراً إن جاء، فقد قالوا لضرب من النبت آء ولا يُعرفُ له نظير فلهذا لم يستعمل في أول فعْلٌ. وحكى سيبويه [الكتاب: ٢/٢، ٣] أن «أولَ» يجوز أن يصرف على أنه اسم غير نعت كما يقال: ما ترك أولاً ولا آخراً. وحكى: ترك الصرف على أنه نعت.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ..﴾ [٥١]

أي الجائرون عن طريق الهدى ﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾ بالوعيد والبعث.

﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقُّومٍ﴾ [٥٢]

﴿فَمَالِؤُونَ مِنْهَا..﴾ [٥٣]

على تأنيث الجماعة، ولو كان منه على تذكير الجميع لجاز ﴿الْبُطُونَ﴾ جمع بطن وهو مذكر. فأما قول الشاعر:

فإنَّ كِلاباً هذه عشرُ أبطُنٍ وأنتَ بريءٌ مِن قبائلِها العَشْرِ

فمؤنث لتأنيث القبيلة محمول على المعنى، ولو ذكر على اللفظ لجاز.

﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ..﴾ [٥٤]

﴿عليه﴾ على الشجر على تذكير الجميع، ويجوز أن يكون على الجمع الأكل.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ [٥٥]

هذه قراءة أكثر القرّاء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي ﴿فشاربون شَرْبَ الهيم﴾ بفتح الشين، وزعم أبو عبيد أنها لغة النبي ﷺ كلام هائل. فقال بعض العلماء: قوله لغة النبي ﷺ كلام هائل لا ينبغي لأحد أن يقوله إلاّ بتيقُّن والحديث الذي رواه أصحاب الحديث والناقلون له عن النبي ﷺ يقولون فيه: «إنها أيام أكل وشرب» [حم: ١٦٩/١] بضم الشين سواه أو من قال منهم ونظير هذا قوله: لغة النبي ﷺ «الحربُ خدعةٌ» [خ: ٣٠٣٠، م: ٤٥١٤، د: ٢٦٣٦، ت: ١٦٧٥، جه: ٢٨٣٣، حم: ٩٠/١] وقد سُمع خُدْعَةٌ وخُدَعَةٌ. والقول في هذا على قول الخليل وسيبويه: أن شَرباً بفتح الشين مصدر وشُرباً بضمها اسم للمصدر يُستعملُ ههنا أكثر، ويُستعملُ شَربٌ في جمع شارب، كما قال:

فقُلتُ لِلشَّربِ في دُرْنا وقد ثمِلُوا شِيمُوا وكيفَ يشيمُ الشاربُ الثَّمِلِ

﴿والهِيم﴾ جمع هيماء وأهيم، وهو على فُعْل كُسرت الهاء لأنها لو ضُمّتْ انقلبت الياء واواً. وقد أجاز الفرّاء [معاني القرآن: ١٢٨/٣] أن يكون الهيم جمع هائم.

﴿هَذَا نُزُلُهُم..﴾ [٥٦]

أي الذي ينزلهم الله إياه يوم القيامة، وهو يوم الدين الذي يجازي الناسَ فيه بأعمالهم.

﴿نَحنُ خلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ﴾ [٥٧]

أي نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئاً فأوجدناكم بشراً فلولا تصدقون من فَعَلَ ذلك أنه يحييكم ويبعثكم.

﴿أفَرَأيتُم..﴾ [٥٨]

أي أيُّها المكذّبون بالبعث والمنكرون لقدرة الله جلّ وعزّ على إحيائهم ﴿مَا تُمْنُونَ﴾ في أرحام النساء. قال الفرّاء [معاني القرآن: ١٢٨/٣]: يقال أمنى ومَنى، وأمنى أكثر.

﴿أأنتُم تخلُقُونَهُ..﴾ [٥٩]

أي أنتم تخلقون ذلك المنيّ حتى تصير فيه الروح ﴿أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ﴾

﴿نَحنُ قَدَّرنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ..﴾ [٦٠]

أي فمنكم قريب الأجل وبعيده كل ذلك بقدر ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي في آجالكم وما يُفاتُ علينا فيها بل هي على ما قدّرنا.

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ..﴾ [٦١]

أحسن ما قيل في معناه: نحن قدّرنا بينكم الموت على أن نبدّل أمثالكم أي نجيء بغيركم من جنسكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أحسن ما قيل في معناه: وننشئكم في غير هذه الصُّور، فينشئ الله جلّ وعزّ المؤمنين يوم القيامة في أحسن الصور وإن كانوا في الدنيا قبحاء، وينشئ الكافرين والفاسقين في أقبح الصور وإن كانوا في الدنيا نبلاء.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٦٢]

أي علمتم أنّا أنشأناكم ولم تكونوا فهلا تذَّكّرون فتعلمون أن الذي فَعَلَ ذلك لقادر على إحيائكم. والأصل تتذكرون فأُدغمت التاء في الذال.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [٦٣]

تكون ﴿ما﴾ مصدراً أي حرثكم. ويجوز أن تكون بمعنى الذي أي أفرأيتم الحرث الذي تحرثون.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [٦٤]

معنى تزرعونه تجعلونه زرعاً، ولهذا جاء الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تَقُلْ زرعتُ ولكن قُلْ حرثتُ» [القرطبي في «تفسيره»: ٢١٨/١٧] ثم تلا أبو هريرة ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا..﴾ [٦٥]

أي متهشّماً لا يُنتفعُ به ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ اختلف العلماء في معناه، فقال الحسن وقتادة: تفكّهُون أي تندمون [معاني القرآن وإعرابه: ١١٤/٥] على ما سلف منكم من المعاصي التي عوقبتم من أجلها بهذا، وقال عكرمة: تفكّهون تلاومُون أي على مافاتكم من طاعة الله جلّ وعزّ، وقيل: تفكّهون تنعمون فيكون التقدير على هذا: أرأيتم ما تحرثون فظلتم به تفكّهون. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال ما قاله مجاهد، قال: تفكّهون: تَعَجَّبُونَ أي يعجبُ بعضُكم بعضاً مما نزل به، وأصله من تفكّهَ القومُ بالحديث إذا عجب بعضهم بعضاً منه، ويروى أنّ قراءة عبد الله ﴿فَظِلْتُم﴾ بكسر الظاء. والأصل ظَلِلتُم كما قال:

ظَـلِـلْـتُ بِـهـا أَبْـكِـي وأَبْـكِـي إلـى الـغَـدِ

[ديوان طرفة بن العبد: ٥]

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾

فمن قال: ظَلْتم حذف اللام المكسورة تخفيفاً ومن قال: ظِلْتُم ألقى حركة اللام على الظاء بعد حذفها، والأصل تَتَفَكَّهُونَ.

﴿إنّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [٦٦]

والمعنى تقولون: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قال عكرمة: إنّا لَمُولَعٌ بنا، وقال قتادة: لَمُعَذَّبون، وقيل: قد غرمنا في زرعنا، وقول قتادة حَسَن بيّن؛ لأنه معروف في كلام العرب، إنه يقال للعذاب والهلاك: غرام. قال الأعشى [ديوانه: ٩]:

إنْ يُعَاقِبْ يكُنْ غَراماً وإن يُعـ ... ـطِ جَزِيلاً فإنّهُ لا يُبالي

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [٦٧]

أي ليس نحن مغرَمِينَ لكنّا قد حُرِمنا وحُورِفنا.

﴿أفرَأيْتُمُ الماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [٦٨]

﴿الذي﴾ في موضع نصب و﴿تشربون﴾ صلته والتقدير: تشربونه حذفت الهاء لطول الاسم وحَسُنَ ذلك لأنه رأس آية.

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ﴾ [٦٩]

الأصل: أأنتم خففت الهمزة الثانية فجيء بها بينَ بينَ. والدليل على أنها متحركة وهي بَينَ بَينَ أن النون بعدها ساكنة والاختيار عند الخليل وسيبويه [الكتاب: ١٦٨/٢] أن يؤتى بها بَيْنَ بَيْنَ لثقل اجتماع الهمزتين ﴿أمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً..﴾ [٧٠]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ١٢٩/٣]: الأُجاج: الملح الشديد المرارة ﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ أي فهلاً تشكرون الذي لم نجعله مِلحاً فلا تنتفعون به في مشرب ولا زَرع.

﴿أفرَأيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [٧١]

قال بعض العلماء: أي ترونها بأبصاركم. قال أبو جعفر: وهذا غلط ولو كان كما قال لكان ترون إنما هو من أوريْتُ الزندَ أوريه إذا قَدَحتُهُ.

﴿ءَأَنتُمْ أنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا..﴾ [٧٢]

نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾

أي اخترعتموها وأحدثتموها ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ﴾ وإن شئت جئت بهمزة بَيْنَ بَيْنَ أي بين الهمزة والواو، ولهذا قال محمد بن يزيد: لا يجوز أن تكتب إلاّ بالواو أي بواوين، وكذا ﴿يستهزئون﴾، ومن كتبها بالياء فقد أخطأ عنده، لأن الضمة أقوى الحركات فإذا كانت الهمزة مضمومة متوسطة لم يكن قبلها حكم، ومن أبدَلَ من الهمزة قال المُنْشُونَ والمُسْتَهزُونَ.

قال أبو جعفر: وهذه لغة رديئة شاذة لا توجد إلاّ في يسير من الشعر، وسمعت علي بن سليمان يحكي أن الصحيح من قول سيبويه أنه لا يجيز إبدال الهمزة يعني في غير الشعر، قال: لأن أبا زيد قال له: من العرب من يقول: قرا بغير همزة فقال له سيبويه: فكيف يقولون في المستقبل؟ فقال: يقرأ فقال: هذا إذن خطأ؛ لأنه كان يجب أن يقولوا: يَقرِي حتى يكون مثل رَمَى يرمي. قال أبو الحسن: فهذا من سيبويه يدلّ على أنه لا يجيزه.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً..﴾ [٧٣]

مفعولان أي ذات تذكرة ﴿وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المُقوونَ المسافرون [معاني القرآن للأخفش: ٧٠٣/٢]، وقال ابن زيد: المُقوِي الجائع. قال أبو جعفر: أصل هذا من أقوتِ الدار أي خلت، كما قال عنترة:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَمِ

[ديوان عنترة: ١٨٥]

ويقال: أقوى إذا نزل بالقِيّ أي الأرض الخالية، وأقوى إذا قَوِيَ أصحابه أي خَلَوْا من الضعف.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [٧٤]

أي بذكره وأسمائه الحسنى.

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [٧٥]

قول ابن عباس أنه نزول القرآن.

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [٧٦]

واستدلّ الفرّاء [معاني القرآن: ١٢٩/٣] على صحة ذلك لأن بعده ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ وقول الحسن أي بمساقط النجوم، وزعم محمد بن جرير أنّ هذا القول أولى بالصواب.

فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ
﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ
إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾

﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [٧٧]

لأنّه المتعارف من النجوم أنها هي الطالعة إنَّهُ ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [٧٨]

أي مصون.

﴿لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ﴾ [٧٩]

من نعت الكتاب.

﴿تَنزِيلٌ..﴾ [٨٠]

من نعت القرآن أي ذو تنزيل أي منزّلٌ ﴿مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

﴿أَفَبِهَذَا الحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ [٨١]

أي تُلِينُون الكلام لمن كفر بهذا الكتاب المكنون.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [٨٢]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿وتَجعلُونَ شكركم أنكم تكذّبون﴾ وعن ابن عباس ﴿وتَجعَلُونَ شكركم أنكم تكذّبون﴾. قال أبو جعفر: وهاتان القراءتان على التفسير، ولا يتأوّل على أحد من الصحابة أنه قرأ بخلاف ما في المصحف المُجمع عليه، وكذا التفسير. والمعنى على قراءة الجماعة: وتجعلون شكر رزقكم ثم حذف مثل ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وقد فسّر ابن عباس هذا التكذيب كيف كان منهم قال: يقولون: مُطِرنا بنوء كذا وكذا، وقد سمّى النبي ﷺ هذا كفراً، قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/١١٦]: ونظيره قول المُنجّم: إذا طلع نجم كذا ثم سافر إنسان كان كذا فهذا التكذيب بإنذار الله جلّ وعزّ.

﴿فَلَوْلا إذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ﴾ [٨٣]

﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ..﴾ [٨٤]

مخاطبةٌ لمن حضر ميتاً، فالتقدير فلا تَرجِعُونَها إن كنتم صادقين.

﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [٨٦]

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي غير مُحاسبين، وقال الحسن: غير

تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾

مبعوثين، وقيل: غير مُجازين من قوله عز وجل: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فأما جواب لولا الثانية ففيه قولان: قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٣١]: أجيبتا جميعاً بجواب واحد، وقيل: حُذِفَ من أحدهما ودلّ عليه الآخر.

﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٨٧]

يقال: رَجَعَ ورَجَعْتُهُ فعلى هذا قال ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم لستم مملوكين مدَبّرين. قال أبو جعفر: هكذا حكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٣١] في معنى ﴿مدينين﴾ قال: مملوكين.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [٨٨]

أي فأما إن كان المُتَوفَّى من المُقرَّبين إلى رحمة الله جلّ وعزّ فله رَوْحٌ وريحانٌ. قال أبو جعفر: وهذا الموضع مُشكِلٌ من الإعراب لأنّ ﴿أمّا﴾ تحتاج إلى جواب ويُسأل: لِمَ صار لا يلي ﴿أمّا﴾ إلاّ الاسم وهي تشبه حروف المجازاة، وإنما يلي حروف المجازاة الفعل. وهذا أشكل ما فيها. فأما جواب [أمّا] و[إن] ففيه اختلاف بين النحويين، فقول الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٧٠٣] والفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٣١] أنهما أجيبا بجواب واحد وهو الفاء وما بعدها، وأما قول سيبويه فإن ﴿إنْ﴾ لا جواب لها ههنا؛ لأن بعدها فعلاً ماضياً كما تقول: أنا أكرمُكَ إن جئتني، وقول محمد بن يزيد: إن جواب ﴿إنْ﴾ محذوف لأن بعدها ما يدلّ عليه.

قال أبو جعفر: وسمعت أبا إسحاق يُسألُ عن معنى ﴿أمّا﴾ فقال: هي للخروج من شيء إلى شيء أي دَعْ ما كنا فيه وخذ في شيء آخر. فأما القول في العلّة لِمَ لا يليها إلاّ الاسم؟ فذكر فيه أبو الحسن بن كيسان أن معنى ﴿أما﴾ مهما يكن من شيء فجُعِلت ﴿أمّا﴾ مؤدّية عن الفعل، ولا يلي فِعْلٌ فِعلاً فوجب أن يليها الاسم. وتقديره أن يكون بعد جوابها فإذا أردتَ إعراب الاسم الذي يليها فاجعل موضعها ﴿مهما﴾ وقدّر الاسم بعد الفاء تقول: أما زيداً فَضَربتُ معناه مهما يكن من شيء فَضَربتُ زيداً.

﴿فَرُوحٌ﴾ [٨٩]

وروى بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قرأ ﴿فَرُوحٌ﴾ بضم الراء، وهكذا قرأ الحسن البصري. قال أبو جعفر: وهذا الحديث إسناده صالح وبعضهم يقول فيه: عن بديل عن أبي الجوزاء عن عائشة عن النبي ﷺ، ومعنى الضم حياة دائمة. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ قال: مستراحٌ، وقال سعيد بن جبير: الرَّوحُ الفَرَحُ، وروى هُشَيمٌ عن جويبر عن الضحّاك: فَرَوْحٌ قال: استراحة، وروى غيره عن

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾

الضحّاك فَرَوحٌ قال: مغفرة ورحمة. قال: والروح عند أهل اللغة الفَرَحُ، كما قال سعيد بن جبير، والمغفرة والرحمة من الفرح.

فأما ﴿وريحان﴾ ففي معناه ثلاثة أقوال: منها أنه الرزق، ومنها أنه الراحة، ومنها أنه الريحان الذي يُشَمّ. هذا قول الحسن وقتادة وأبي العالية وأبي الجوزاء، وهو يروى عن عبد الله بن عمر قال: إذا قَرُبَ خرُوجُ رُوحِ المؤمن جاءه الملك بريحان فَشَمَّهُ فَتَخرُجُ روحُهُ. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/١١٧]: الأصل في رَيْحَانٌ رَيْحانٌ والياء الأولى منقلبة من واو. وأصلُهُ رَوْحان، أدغمت الواو في الياء ثم خففت، كما يقال: مَيْتٌ إلاّ أنه لا يؤتى به على الأصل إلاّ على بُعد؛ لأن فيه ألفاً ونوناً زائدتين ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أي وله مع ذلك جنة نَعيم.

﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [٩٠]

أي ممن أخذ به ذات اليمين إلى الجنة.

﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [٩١]

فيه أقوال: قال قتادة ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ سلموا من عذاب الله جلّ وعزّ وسَلَّمت عليهم الملائكة، وقيل: ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي لك منهم سلام أي يُسَلِّمُونَ عليك. وهذا قول نظري لأن المخاطبة للنبي ﷺ فلا يخرج إلى غيره إلاّ بدليل قاطع، وقيل ﴿فسلام لك﴾ فَسَلِّم لك أنك من أصحاب اليمين، وحذفت [أن] والمعنى: لأنك من أصحاب اليمين. وحذفُ ﴿أن﴾ خطأ في العربية لأن ما بعدها داخل في صلتها وإن كان قائل هذا القول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٣١] وقد ذهب إليه محمد بن جرير [جامع البيان: ٢٧/٢٧٨].

﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [٩٢]

أي الجائرين عن الطريق.

﴿فَنُزُلٌ..﴾ [٩٣]

أي عذاب ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ وهو الماء الحار.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [٩٤]

أي إحراقه.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [٩٥]

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾

الكوفيون يجيزون إضافة الشيء إلى نفسه ويجعلون هذا منه، وذلك عند البصريين خطأ لأنه يبين الشيء بغيره، والمضاف إليه يبيّن به. قال مجاهد: حقّ اليقين: حَقّ الخبر اليقين، وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١١٨/٥]: المعنى أن هذا الذي قصصناه في هذه السورة يقين حق اليقين، كما تقول: فلان عالم حَقّ العالم، إذا بالغتَ في التوكيد.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ [٩٦]

أي فنزّه الله جلّ وعزّ عن كفرهم بأسمائه الحُسنى [معاني القرآن وإعرابه: ١١٨/٥]

٥٧ ـ سورة الحديد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة الحديد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ [١]

﴿سَبَّحَ﴾ عَظَّمَ ورفَعَ، مشتق من السباحة وهي الارتفاع. والتقدير: ما في السموات وما في الأرض، وحذفت ﴿ما﴾ على مذهب أبي العباس وهي نكرة لا موصولة لأنه لا يحذف الاسم الموصول، وأنشد النحويون:

لو قُلْتَ ما في قومِها لم تِيثَمِ يفضُلُها في حَسَبٍ ومِيسَمِ

فالتقدير: مَنْ يفضلها. ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ مبتدأ وخبره، أي العزيز في انتقامه ممن عصاه، الذي لا ينتصر منه مَن عاقبه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلْقَه الذي لا يدخل في تدبيره خللٌ.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ [٢]

رفع بالابتداء ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ في موضع نصب على الحال، ومرفوع لأنه فعل مستقبل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ..﴾ [٣]

مثله. ولم يُنطَقْ من الأول بفعل، وهو على أفعل؛ لأن فاءه وعينه من موضع واحد فاستثقل ذلك، والآخر ليس بجارٍ على الفعل لأنه من تأخّر ﴿وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ﴾ قيل: معنى الظاهر الذي ظهرت صنعته وحكمته، وقيل: العالم بما ظهر وما بطن. ومن أحسن ما قيل فيه أنه مِن ظهر أي قوي وعلا، فالمعنى الظاهر على كل شيء العالي فوقه فالأشياء دونه، الباطن لجميع

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه، ومثله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] ويدلُّ على هذا أن بعده ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي لا يخفى عليه شيء.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ..﴾ [٤]

يكون ﴿الذي﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ لأنه أول آية. قال: ويجوز أن يكون نعتاً لما تقدّم، ويجوز أن يكون في موضع نصب على المدح أعني بهذا المدح: الذي خلق السّمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يقال: ولجَ يلجُ إذا دخل، والأصل يولجُ حُذفت الواو لأنها بين ياء وكسرة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ نصب على الظرف، والعامل فيه المعنى أي وهو شاهد معكم حيث كنتم ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي بما تعملونه من حَسَن وسَيِّىء وطاعة ومعصية حتى يجازيكم عليها.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ [٥]

أي سلطانهما فأمره وحكمه نافذ فيهما ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ أي إليه مصيركم ليجازيكم بأعمالكم.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ..﴾ [٦]

أي يدخل نقصان الليل في النهار فتكون زيادة ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يدخل نقصان النهار في الليل فتكون زيادة فيه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٢٢]، كما قال عكرمة وإبراهيم هذا في القصر والزيادة، ولم يحذف الواو من يُولِجُ وهي بين ياء وكسرة لأن الفعل رباعي لا يجوز أن يُغيَّر هذا التغيير ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما تخفونه في صدوركم من حَسَن وسيِّىء أو تهمّون به في أنفسكم. وفي الحديث: «إنّ الدعاء يُستجابُ بعدَ قراءة هذه الآيات الست» [القرطبي في «تفسيره»: ١٧/٢٣٥].

﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ..﴾ [٧]

أي يخلفون من كان قبلهم، وحضهم على الإنفاق لأنهم يفنون كما فني الذين من قبلهم ويورثون ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ فالذين مبتدأ أي الذين آمنوا منكم بالله ورسوله ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي ثواب عظيم.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾

﴿وَمَا لَكُم لا تُؤمِنُونَ بِاللهِ..﴾ [٨]

تؤمنون في موضع نصب على الحال، والمعنى أي شيء لكم إن كنتم تاركين الإيمان؟ ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ قد أظهر البراهين والحجج ﴿لِتُؤمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قال الفراء [معاني القرآن: ٣/ ١٣٢]: القُرّاء جميعاً على ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قال: ولو قرأت ﴿وقد أُخِذَ مِيثَاقُكُمْ﴾ لكان صواباً. قال أبو جعفر: هذا كلامه نصّاً في كتابه وهو غلط، وقد قرأ أبو عمرو ﴿وقد أُخِذَ ميثاقكم﴾ غير أن أبا عبيد قال: والقراءة عندنا هي الأولى ﴿وقد أَخَذَ ميثاقكم﴾؛ لأن الأمّة عليها ولأن ذكر الله جلّ وعزّ قبل الآية وبعدها.

قال أبو جعفر: أما قوله: لأن الأمّة عليها، فحجة بيِّنة لأن الأمّة الجماعة، وأما قوله: لأن ذكر الله عزّ وجلّ اسمه قبل الآية وبعدها، فلا يلزم لأنه قد عُرِف المعنى.

وللعلماء في أخذِ الميثاق قولان: أحدهما أنه أخذ الميثاق حين أخرجُوا من ظهر آدم ﷺ بأن الله عزّ وجلّ ربهم لا إله لهم سواه، وهذا مذهب العلماء من أصحاب الحديث منهم مجاهد، والقول الآخر أنه مجاز لما كانت آيات الله جلّ وعزّ بيّنة والدلائل واضحة وحكمته ظاهرة، يشهد بها من رآها كان علمه بذلك بمنزلة أخذ الميثاق منه.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قيل: المعنى إن كنتم عازمين على الإيمان فهذا أوانه لما ظهرَ لكم من البراهين والدلائل.

﴿لِيُخرِجَكُم مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾ [٩]

ويدلّ على هذا أن بعده ﴿هو الذي يُنَزِّلُ على عبدِهِ آيات بينات﴾ ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، كما قال مجاهد: من الضلالة إلى الهدى ﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي حين بيّن لكم هداكم.

﴿وَمَا لَكُمْ ألاّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ..﴾ [١٠]

﴿أن﴾ في موضع نصب على المعنى وأي عذر لكم في أن لا تنفقوا في سبيل الله ﴿وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فحضّهم بهذا على الإنفاق؛ لأنهم يموتون ويُخلّفون ما بخلوا به ويُورَثونه ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ اختلف العلماء في معنى هذا الفتح

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾

فقال قتادة: الذين أنفقوا من أصحاب رسول الله ﷺ قبل فتح مكة وقاتلوا، أفضل من الذين أنفقوا من بعد فتح مكة وقاتلوا، وكذا قال زيد بن أسلم، وقال الشّعبي: الذين أنفقوا قبل الحُديبية وقاتلوا أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد فتح الحديبية وقاتلوا.

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب؛ لأن عطاء بن يسار روى عن أبي سعيد الخدري قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم فتح الحديبية: «يأتون أقوام تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» قلنا: يا رسول الله أين قريش هم؟ قال: «لا هم أهلُ اليمن أرقُّ أفئدةً وألينُ قلوباً». قلنا: يا رسول الله أهم خير منّا؟ قال: «لا لو أن لأحدهم جبَلَ ذهب ثم أنفقه ما بلغ مُدَّ أحدكم ولا نصيفَهُ. هذا فَضلُ ما بيننا وبينَ الناس» [حم: ١٤/٤٩] ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. حكى أبو حاتم ﴿وَكُلٌّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ بالرفع. قال أبو جعفر: وقد أجاز سيبويه مثل هذا على إضمار الهاء، وأنشد:

فــثــوبٌ نــســيــتُ وثــوبٌ أجــرّ

[ديوان امرىء القيس: ١٥٩]

وأبو العباس محمد بن يزيد لا يجيز هذا في منثور ولا منظوم إلاّ أن يكون يجوز فيه غير ما قدّره سيبويه، وهو أن يكون الفعل نعتاً فيكون التقدير: فَثَمّ ثوبٌ نَسيتُ، فعلى هذا لا يجوز في ثوب إلاّ الرفع، ولا يجيز زيدٌ ضَربتُ؛ لأنه ليس فيه شيء من هذا، فيكون بمعنى: وأولئك كلٌّ وَعَدَ الله، فيكون نعتاً ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ مبتدأ وخبره، أي من إنفاق وبخل حتى يجازيكم عليه.

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً..﴾ [١١]

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء و﴿ذا﴾ خبره و﴿الذي﴾ نعت لذا وفيه قولان آخران: أحدهما أن يكون ﴿ذا﴾ زائداً مع الذي، والقول الآخر أن يكون [ذا] زائداً مع [من]، وهذا قول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٢٣]، وزعم أنه رأى في بعض مصاحف عبد الله، ﴿مَنذا﴾ بوصل النون مع الذال جُعلا شيئاً واحداً، ولا يجيز البصريون أن تُزادَ [ذا] مع ﴿مَنْ﴾ ويجيزون ذلك مع [ما]، لأن [ما] مبهمة فذا تُجانِسُها، وعلى هذا قُرئ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] بالنصب، وزيادة ﴿ذا﴾ مع ﴿الذي﴾ أقرب، ألا ترى أن ﴿الذي﴾ تُصغرُ كما تُصغرُ [ذا] فيقال: اللّذيّا، يقال: ذَيّا وقد عُورِضَ سيبويه في قوله: الذي بمنزلة العمي فقيل: كيف هذا؟ وإنما يقال في تصغير العَمي: العُمَيُّ، ويقال في تصغير الذي: اللّذيّا، ويقال: اللذيان والعُمَيان فيُوخَذُ هذا كلّه مختلفاً، فكيف يكون الذي بمنزلة العَمي؟ وهذا لا يلزم منه شيء، وليس هذا موضع شرحه.

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

﴿قرضاً﴾ منصوب على أنه اسم للمصدر كما يقال: أجابةُ إجابةً، ويجوز أن يكون مفعولاً به كما تقول: أقرضته مالاً. **﴿حَسناً﴾** من نعت قرض. قيل: معنى الحَسَن ههنا الحلال فإن الإقراض أن يُنفِق مُحتَسِباً لله عزّ وجلّ مبتغياً ما عنده **﴿فيضاعفه﴾** له، قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٣٢]: جعله عطفاً على يقرض. كما تقول: من يجيء فيكرمني ويحسن إليّ؟ وقال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١٢٣]: يجوز أن يكون مقطوعاً من الأول مستأنفاً، ومن قرأ **﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾** جعله جواب الاستفهام فنصبه بإضمار [أن] عند الخليل، وسيبويه، والجرمي ينصبه بالفاء **﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾** قيل: الجنة.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ..﴾ [١٢]

نصبت يوماً على الظرف أي لهم أجرٌ في ذلك اليوم، و**﴿ترى﴾** في موضع خفض بالإضافة **﴿يسعى﴾** في موضع نصب على الحال، فأما قوله جلّ وعزّ: **﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾** ولم يذكر الشمائل فللعلماء فيه ثلاثة أقوال: قال الضحّاك: نورهم: هُداهُم، ومال إلى هذا القول محمد بن جرير قال: لأن المؤمنين نورهم حواليهم من كل جهة، فلمّا خصّ الله جلّ وعزّ بين أيديهم وبأيمانهم عُلِمَ أنه ليس بالضياء، والباء بمعنى [في] وقال بعض نحويي البصريين: هي بمعنى عن.

قال أبو جعفر: وقيل: النور هاهنا نور كتبهم وإنما يُعطونَ كُتُبَهُم بأيمانهم من بين أيديهم فلهذا وقع المخصوص. قال أبو جعفر: وأجلّ ما قيل في هذا ما قاله عبد الله بن مسعود رحمة الله عليه، قال: يعطى المؤمنون أنواراً على قدرِ أعمالهم، فمنهم من يُعطى نوراً مثل الجبل، وأقل ذلك أن يُعطى نوراً على إبهامه يضيء مرّة ويطفأ مرّة **﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** أي يقال لهم، وحذف القول **﴿بشراكم﴾** في موضع رفع بالابتداء **﴿جناتٌ﴾** خبره، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٣٢، ١٣٣]: في **﴿جنّات﴾** النصب من جهتين، إحداهما على القطع ويكون اليوم في موضع الخبر وإن كان ظرفاً، وأجاز رفع **﴿اليوم﴾** على أنه خبر **﴿بشراكم﴾**، وأجاز أن يكون **﴿بشراكم﴾** في موضع نصب يعني يُبَشّرونهُم بالبشرى، وأن ينصب **﴿جنات﴾** **﴿بالبشرى﴾**.

قال أبو جعفر: ولا نعلم أحداً من النحويين ذكر هذا غيره، وهو متعسّفٌ لأن **﴿جنات﴾** إذا نصبها على القطع، وليست بمعنى الفعل بعد ذلك وإن نصبها بالبشرى، فإن كان نصبها ببشراكم فهو خطأ بين، لأنها داخلة في الصلة فيفرق بين الصلة والموصول باليوم، وليس هو في الصلة، وهذا لا يجوز عند أحد من النحويين، وإن نصبت **﴿جنات﴾** بفعل محذوف فهو شيء متعسّفٌ ومع هذا فلم يقرأ به أحد، **﴿خالدين﴾** نصب على الحال.

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾

﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ قال الفراء [معاني القرآن: ٣/١٣٣]: وفي قراءة عبد الله ﴿ذلكَ الفوزُ العظيمُ﴾ ليس فيها [هو] قال أبو جعفر: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، و﴿هو﴾ زائدة للتوكيد ﴿الفوز العظيم﴾ خبر ذلك، ويجوز أن يكون ﴿هو﴾ مبتدأ ثانياً والجملة خبر ذلك.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ..﴾ [١٣]

نصبت يوماً على الظرف أي وذلك الفوز العظيم في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون بدلاً من اليوم الذي قبله، ﴿انظرونا﴾ من نظَرَ ينظُرُ بمعنى النظر. وهذه القراءة البيّنة. وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة ﴿وأنظرونا﴾ بفتح الهمزة، وزعم أبو حاتم أن هذا خطأ، قال: وإنما يأتينا هذا من شقّ الكوفة. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: إنما لَحّن حمزة في هذا لأن الذي لحنهُ قدّر ﴿أنظِرنا﴾ بمعنى أخّرنا وأمهلنا، فلم يجز ذلك ها هنا. وهو عندي يحتمل غير هذا: لأنه يقال: أنظِرني بمعنى تمَهّلْ عليّ وترَفّقْ. فالمعنى على هذا يصحّ.

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ مجزوم لأنه جواب. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾ أي قال المؤمنون للمنافقين: ارجعُوا إلى الموضع الذي كنا فيه فاطلبوا ثَمّ النور. قال أبو جعفر: وشرحُ هذا ما روي عن ابن عباس قال: يغشى الناس ظُلمة، المؤمنين والمنافقين والكافرين، فيبعثُ الله جلّ وعزّ نوراً يهتدي به المؤمنون إلى الجنة فإذا تبعَهُ المؤمنون تبعهم المنافقون، فيضرب الله جلّ وعزّ بينهم بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِه العذاب، فينادي المنافقون المؤمنين ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فيقول لهم المؤمنون: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ إلى الموضع الذي كنّا فيه ـ وفيه الظلمة فجاء النور ـ فالتمسوا منه النور [معاني القرآن: ٣/ ١٣٤].

قال أبو جعفر: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ في موضع رفع على أنه اسم ما لم يُسَمّ فاعله، والباء زائدة، وعلى قول محمد بن يزيد: هي متعلقة بالمصدر الذي دلّ عليه الفعل، وضُمّت الضاد في ﴿ضُرِبَ﴾ للفرق، فإن قيل: فلِمَ لم تُكسر؟ فالجواب عند بعض النحويين أنها ضُمّت كما ضُمّ أول الاسم في التصغير وهذا الجواب يحتاج إلى جوابين: أحدهما الجواب: لِمَ ضُمّ أول الاسم المُصَغّر؟ ولِمَ ضُمّ أول فعل ما لم يُسَمّ فاعله؟ والجواب أن أول فعل ما لم يُسمّ فاعله ضُمّ لأنه لمّا وجب الفرق بينه وبين الفعل الذي سُمّي فاعله لم يجز أن يُكسَر إلاّ لعلّة أخرى؛ لأن بينه ما سُمّي فاعله قد يأتي مكسوراً في قول بعضهم: أنت تعلمُ، ونحن نستعينُ، ويأتي مفتوحاً، وهو الباب فلم يبقَ إلاّ الضم، وليس هذا موضع جواب التصغير. ﴿له بابٌ﴾ قال كعب الأحبار: هو باب الرحمة الذي في بيت المقدس، هو الذي ذكره الله جلّ وعزّ. قال قتادة ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الجنة وما فيها ﴿وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ النار [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٣٤].

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ..﴾ [١٤]

أي نصلي معكم ونصوم ونوارثكم ونناكحكم، ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي قد كنتم معنا كذلك ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال مجاهد: بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ قال ابن زيد: بالإيمان ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ قال: شكوا، وقال غيره: ارتبتم: فعلتم فعل المرتابين بوعد الله جلّ وعزّ ووعيده ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي خدعتكم أمانيّ أنفسكم فصددتم عن سبيل الله جلّ وعزّ ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قيل: قضاؤه بمناياكم ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ قال مجاهد وقتادة: الغَرُور: الشيطان. قال أبو جعفر: فَعُولٌ في كلام العرب للتكثير، وهو يتعدى عند البصريين. تقول: هذه غَرُورٌ زيداً. وغفورٌ الذنبَ، وأنشد سيبويه في تعديه إلى مفعول:

ثُـمَّ زادُوا أنَّـهُـمْ فـي قـومِـهِـمْ غُـفُـرٌ ذَنْـبَـهُـمْ غـيـرُ فُـخُـرْ

[ديوان طرفة بن العبد: ٥٨]

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ..﴾ [١٥]

وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿تُؤخَذُ﴾ بالتاء؛ لأن الفدية مؤنثة، ومن ذكّرها فلأنها والفداء واحد وهي البدل والعرض ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لا يؤخذ من الذين كفروا بدل ولا عوض من عذابهم. ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي مسكنكم النار مبتدأ وخبره، وكذا ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي وبئس المصير النار ثم حذف هذا.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ..﴾ [١٦]

وعن الحسن ﴿ألم يَئِنْ﴾ يقال: آنَ يئينُ وأنى يأنى وحانَ يحينُ، ونالَ ينالُ وأنالَ يُنيلُ بمعنى واحد و﴿أن﴾ في موضع رفع بيَأْنِ ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ﴿ما﴾ في موضع خفض أي ولما نزل، هذه قراءة شيبة ونافع، وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير والكوفيون ﴿وما نَزَّلَ مِنَ الحقّ﴾، وعن عبد الله بن مسعود أنه قرأ ﴿وما أنزلَ من الحق﴾ وأبو عبيد يختار التشديد؛ لأن قبله ذِكرَ الله جلّ وعزّ. قال أبو جعفر: والمعنى واحد؛ لأن الحق لا ينزلُ حتى يُنزِله الله جلّ وعزّ، وليس يقع في هذا اختيار ولو جاز أن يقال في مثل هذا اختيار لقيل: الاختيار نزل: لأن قبله ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ولم يقل: لتذكير الله.

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾ يكونوا في موضع نصب معطوف على

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿تخشعَ﴾ أي وألاّ يكونوا، ويجوز أن تكون في موضع جزم. والأول أولى؛ لأنها واو عطف، ولا يقطع ما بعدها مما قبلها إلاّ بدليل ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ﴾ قال مجاهد: الدهر ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي لم تلن ولم تقبل الوعظ ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ مبتدأ وخبره ولم يُعمّوا بالفسق؛ لأن منهم من قد آمنَ، ومنهم من لم تبلغه الدعوة، وهو مقيمٌ على ما جاء به نبيه ﷺ.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا..﴾ [١٧]

قيل: فالذي فعل هذا هو الذي يهدي ويسدّد من أراد هدايته ومن ضلّ عن طريق الحق ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي بالحجج والبراهين لتكونوا على رجاء من أن تعقلوا ذلك. هذا قول سيبويه. وغيره يقول: ﴿لعلَّ﴾ بمعنى ﴿كي﴾ ولو كان كذلك لكان تعقلوا بغير نون.

﴿إِنَّ المُصَّدِّقِينَ وَالمُصَّدِّقَاتِ..﴾ [١٨]

الأصل المتصدّقين ثم أدغمت التاء في الصاد. وفي قراءة أُبيّ ﴿إنّ المتصدّقين﴾ وفي قراءة ابن كثير وعاصم ﴿إِنَّ المُصَدِّقِينَ﴾ أي المؤمنين، من التصديق، والأول من الصدقة ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ..﴾ [١٩]

مبتدأ ﴿أولئك﴾ يكون مبتدأ ثانياً، ويجوز أن يكون بدلاً من الذين، ولا يكون نعتاً لأن المبهم لا يكون نعتاً لما فيه الألف واللام فلا يجوز: مررتُ بالرجلِ هذا، على النعت عند أحد علمته، ولو قلت: مررت بزيد هذا على النعت لجاز، وخبر الابتداء ﴿الصِّدِّيقُونَ﴾ قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ١٢٦/٥]: صِدّيقٌ على التكثير أي كثير التصديق، وقال غيره: هذا خطأ لأن فِعّيلاً لا يكون إلاّ من الثلاثي مثل سِكّيت من سَكَتَ، وصِدّيقٌ للكثير الصدق. ومن هذا قيل لأبي بكر رضي الله عنه: الصِدّيق، حتى كان يعرف بذلك في وقت النبي ﷺ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنّ الله جلّ وعزّ سمّى أبا بكر صدّيقاً» [الهندي في «كنز العمال»: ٣٥٦٣٢].

﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ على هذا معطوفون على الصدّيقين، يدلّ على صحة ذلك ما رواه ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء عن النبي ﷺ قال: «مؤمنو أُمتي شُهداء» [القرطبي في «تفسيره»: ٢٣١/٢٧] ثم تلا «﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أولئك هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾» الآية. قال أبو جعفر: فهذا القول أولى من جهة الحديث والعربية؛ لأن الواو واو عطف فسبيل ما بعدها أن يكون

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

داخلا فيما قبلها إلاّ أن يمنع مانع من ذلك أو يكون حجّة قاطعة، وقد قيل: إن التمام أُولئك هم الصديقون، وإن الشهداء ابتداء. وهذا يُروى عن بن عباس وهذا اختيار محمد ابن جرير وزعم أنه أولى بالصواب؛ لأن المعروف من معنى الشهداء أنه المقتول في سبيل الله جلّ وعزّ ثم استثنى فقال: إلاّ أن يراد بالشهداء أنه يشهد لنفسه عند ربه بالإيمان قال أبو جعفر: وإذا كان ﴿والشهداء﴾ مبتدأ فخبره ﴿عند ربهم﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٢٦، ١٢٧] ويجوز أن يكون خبره ﴿لَهُمْ أجرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ وهذا عطف جملة على جملة، والأول على خلاف هذا يكون ﴿والشهداء﴾ معطوفاً على الصدّيقين ويكون ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ للجميع ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ مبتدأ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾ مبتدأ وخبره في موضع خبر الأول.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ..﴾ [٢٠]

﴿ما﴾ كافة لأنّ عن العمل ولو جعلتها صلة لنصبت الحياة، والدنيا من نعتها، ﴿لَعِبٌ﴾ خبر، والمعنى مثل لعب أي يفرح الانسان بحياته فيها كما يفرح باللعب، ثم تزول حياته كما يزول لعبه وزينته وما يفاخر به الناس ويباهيهم به من كثرة الأموال والأولاد ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾. قال أبو إسحاق [معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١٢٧]: الكاف في موضع رفع على أنها نعت أي وتفاخر مثل غيث قال: ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر. والكفّار: الزرّاع. وإذا أعجب الزرّاع كان على نهاية من الحسن. قال: ويجوز أن يكون الكفار بأعيانهم، لأن الدنيا للكفار أشدّ إعجاباً؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث قال: و﴿يَهِيجُ﴾ يبتدىء في الصفرة ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾ قال: متحطّماً. فضرب الله جلّ وعزّ هذا مثلاً للحياة الدنيا وزوالها ثم خبّر جلّ وعزّ بما في الآخرة فقال: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ﴾، ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ قال محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال: «المَوضِعُ سَوط في الجنّة خيرٌ من الدنيا وما فيها فاقرؤوا إن شئتم: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾» [ت: ١٦٤٨، جه: ٤٣٣٠].

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ..﴾ [٢١]

أي سابقوا بالأعمال التي توجب المغفرة إلى مغفرة من ربكم ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ قال أبو جعفر: قد تكلّم قوم من العلماء في معنى هذا، فمنهم من قال: العَرضُ ههنا السعة ومنهم من قال: هو مثل الليل والنهار إذا ذهبا فالله جلّ وعزّ أعلم أين يذهبان،

....

وأجاب بهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنهم من قال: هذه هي الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، والسماء مؤنثة، ذكر ذلك الخليل رحمه الله وغيره من النحويين سوى الفرّاء، وبذلك جاء القرآن ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١] وحكى الفرّاء أنها تؤنّث وتذكّر، وأنشد:

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْماً لَحِقْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ

[الطبري في «تفسيره»: ٢٩/ ١٣٩]

وهذا البيت لو كان حجة لَحُمِلَ على غير هذا، وهو أن يكون يُحمَل على تذكير الجميع، ذكر محمد بن يزيد أن سماء تكون جمعاً لسَمَاوة وأنشد هو وغيره:

سَمَاوةُ الهِلَالِ حتّى احقَوقَفَا

[القرطبي في «تفسيره»: ١٦/ ٢٠٣]

ويدلّ على صحة هذا قوله جلّ وعزّ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩] وإذا كانت السماء واحدة فتأنيثها كتأنيث عناق، وتجمع على ستة أوجه: منهنّ جمعان مُسَلَّمان، وجمعان مُكَسَّرانِ لأقل العدد، وجمعان مُكَسَّران لأكثره، وذلك قولك سَموات وسماآتٌ وأسمٍ وأسمِيَةٌ وسمايا وسُمِيٌّ وإن شئتَ كسرتَ السين من سِمِيٍّ، وقد جاء فيها آخر في الشعر كما قال:

سَمَاءُ الإلهِ فَوقَ سَبعِ سَمَائِيَا

[ديوان أمية: ٣٧]

فعلى هذا جَمَع سَماءً على سَماء وفيه من الإشكال والنحو اللطيف غير شيء، فمن ذلك أنه شَبّهَ سماء برسالة لأن الهاء في رسالة زائدة. ووزن فَعَال وفِعَال واحد، فكان يجب على هذا أن يقول: سمايا فَعَمِلَ شيئاً آخر فجمعها على سماء على الأصل؛ لأن الأصل في خطايا خطاءٌ ثم عمل شيئاً ثالثاً كان يجب أن يقول: فوق سَبع سَمَاء، فأجرى المعتل مجرى السالم وجعله بمنزلة ما لا ينصرف من السالم، وزاد الألف للإطلاق. والأرض مؤنثة، وقد حُكي فيها التذكير، كما قال:

فَلاَ مُزنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا وَلاَ أَرضَ أَبقَلَ إِبقَالَهَا

[القرطبي في «تفسيره»: ٧/ ٢٢٨]

قال أبو جعفر: وقد ردّ قوم هذا، ورووا ﴿ولا أرضَ أبقَلت إبقَالَهَا﴾ بتخفيف الهمزة. قال ابن كيسان: في قولهم أرَضون حركوا هذه الراء لأنهم أرادوا: أرَضات فَبَنوهُ على ما يجب من الجمع بالألف والتاء، قال: وجمعوه بالواو والنون عوضاً من حذف الهاء في واحدة ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾
ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا

﴿اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ مبتدأ وخبره، أي ذلك الفضل من التوفيق والهداية والثواب فضل الله يؤتيه من يشاء أي يؤتيه إياه من خلقه ﴿وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾ [٢٢]

قال قتادة: ﴿فِي الأَرْضِ﴾ يعني السِّنينَ أي الجدب والقحط ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ الأوصاب والأمراض إلاّ في كتاب ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ يكون من قبل أن نخلق الأنفس [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٣٥، ١٣٦، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٢٨]، هذا قول ابن عباس والضحّاك والحسن وابن زيد، وقيل: الضمير للأرض، وقيل: للمصائب، والأول أولى؛ لأن الجلّة قالوا به، وهو أقرب إلى الضمير. وقال بعض العلماء: هذا معنى قضاء الله وقدره: أنه كتب كل ما يكون ليعلم الملائكة عظيم قدرته جلّ وعزّ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ لأنه جلّ وعزّ إنما يقول للشيء: كُنْ فَيَكُونُ.

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ..﴾ [٢٣]

أي من أمرِ الدنيا إذ أعلمكم الله جلّ وعزّ أنه مفروغ منه مكتوب ﴿وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ وهو الفرح الذي يؤدي إلى المعصية، وقرأ أبو عمرو ﴿ولا تفرحوا بما أتاكُمْ﴾ وهو اختيار أبي عبيد، واحتجّ أنه لو كان آتاكم لكان الأول أفاتكم. قال أبو جعفر: وهذا الاحتجاج مردود عليه من العلماء وأهل النظر؛ لأن كتاب الله عزّ وجلّ لا يُحمَلُ على المقاييس، وإنما يُحمَلُ بما تؤديه الجماعة، فإذا جاء رجل فقاس [فيجب أن لا] يكون مُتّبعاً؛ وإنما تؤخذ القراءة كما قلنا أو كما قال نافع بن أبي نعيم: ما قرأتُ حرفاً حتى يجتمع عليه رجلان من الأئمة أو أكثر. فقد صارت قراءة نافع عن ثلاثة أو أكثر ولا نعلم أحداً قرأ بهذا الذي اختاره أبو عبيد إلاّ أبا عمرو، ومع هذا فالذي رغب عنه معروف المعنى صحيح قد علم كل ذي لُبّ وعلم أن ما فات الإنسان أو أتاه فالله عزّ وجلّ فاتهُ إياه أو آتاه إياه، ولو لم يعلم هذا إلاّ من قوله جلّ وعزّ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي في مشيته متكبّراً وتعظُّماً فخور على الناس بماله ودنياه، وإنما ينبغي أن يتواضع لله جلّ وعزّ ويشكره ويثني عليه.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ..﴾ [٢٤]

أي بحقوق الله جلّ وعزّ عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ﴾ أي بما يفعلونه من ذلك، وفي إعراب ﴿الَّذِينَ﴾ خمسة أوجه منها ثلاثة للرفع واثنان للنصب. يكون ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع رفع

بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

على إضمار مبتدأ، ويجوز أن يكون في موضع رفع على الابتداء وخبره محذوف يدلّ عليه الإخبار عن نظائره، والوجه الثالث أن يكون مرفوعاً بالابتداء ودلّ على خبره ما بعده من الشرط والمجازاة لأنه في معناه. ويجوز أن يكون في موضع نصب على البدل من كل أو بمعنى أعني ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ أي الغني عن خلقه وعما ينفقونه، الحميد إليهم بإنعامه عليهم. ومن قرأ ﴿فإن الله هو الغنيُّ الحميدُ﴾ جعل ﴿هو﴾ زائدة فيها معنى التوكيد أو مبتدأ، وما بعدها خبراً، والجملة خبر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ..﴾ [٢٥]

أي بالدلائل والحجج ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ﴾ أي بالأحكام والشرائع ﴿وَالمِيزَانَ﴾ قال ابن زيد: هو الميزان الذي يتعامل الناس به، وقال قتادة: الميزان الحق ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ﴾ منصرب بلام كي، وحقيقته أنها بدل من ﴿وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/١٣٧] أي للناس ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ قال ابن زيد: البأس الشديد السلاح والسيوف يقاتل الناس بها، قال: والمنافع التي يحفر بها الأرضون والجبال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٢٩] ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ معطوف على الهاء ﴿بِالغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي قوي على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة، عزيز في انتقامه منه؛ لأنه لا يمنعه منه مانع.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ..﴾ [٢٦]

إلى قومهما ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ﴾ أي متبع لطريق الهدى مستبصر ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي خارجون إلى الكفر والمعاصي.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا..﴾ [٢٧]

أي أتبعنا، ويكون الضمير يعود على الذرية أو على نوح وإبراهيم عليهما السلام [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٢٩] لأن الاثنين جمعٌ ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي أتبعنا ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ﴾ يروى أنه نزل جملة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٢٩] ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ ويقال: رآفة، وقد رؤف ورأف ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ نصبت رهبانية بإضمار فعل أي فابتدعوا رهبانية أي أحدثوها، وقيل: هو معطوف على الأول.

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن زيد: أي ما افترضناها ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ نصب على الاستثناء الذي ليس من الأول ويجوز أن يكون بدلاً من المضمر أي ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ لفظه عام ويُراد به الخاص لا نعلم في ذلك اختلافاً، ويدلّ على صحته ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وفي الذين لم يرعوها قولان: مذهب الضحّاك وقتادة أنهم الذين ابتدعوها تهوّدَ منهم قوم وتنصّروا، وهذا يروى عن أبي أمامة، فأما الذي روي عن ابن عباس فإنهم كانوا من بعد من ابتدعها بأنهم كفار ترهّبوا، وقالوا: نتبع من كان قبلنا، ويدلّ على صحة هذا حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ قال: «من آمن بي» ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ قال: «من جحدني».

﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ [٢٨]

قال الضحّاك: من أهل الكتاب ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي في ترك معاصيه وأداء فرائضه ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يعني حظّين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٣١]، كما روى أبو بُردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يُؤتونَ أجرَهُم مرتين: منْ كانَ من أهل الكتاب فآمن بالتوراة والإنجيل ثم آمن بالقرآن، ورجل كانت له جارية فأدّبها فأحسن أدبها ثم تزوّجها، وعبد نصح مولاه وأدّى فرض الله جلّ وعزّ عليه» [خ: ٩٧، ٢٥٤٧، ٣٠١١، م: ٣٨٥، ت ١١١٦، ن: ٣٣٤٤، جه: ١٩٥٦، حم: ٤/ ٤٠٥] ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ عن ابن عباس قال: القرآن واتباع النبي ﷺ، وقال مجاهد: الهُدى. قال أبو إسحاق: ويقال: إنه النور الذي يكون للمؤمنين يوم القيامة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي يصفح عنكم ويستر عليكم ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ذو مغفرة ورحمة لا يعذّب من تاب.

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللهِ..﴾ [٢٩]

﴿لا﴾ زائدة للتوكيد ودلّ على هذا ما قبل الكلام وما بعده أي لأن يعلم، ويُروى عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿لأن يعلمَ أهلُ الكتابِ﴾ وكذا يُروى عن عاصم الجحدري وعن ابن مسعود ﴿لكي يعلَمَ أهلُ الكتابِ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٣٧] وكذا عن سعيد بن جبير، وهذه قراءات على التفسير. ﴿لا يقدِرُونَ﴾ فرفعت الفعل لأن المعنى أنه لا يقدرون، يدلّ على هذا أن بعده

....

﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ﴾، وبعض الكوفيين يقول ﴿لا﴾ بمعنى ﴿ليس﴾، والأول قول سيبويه، وروى المعتمر عن أبيه عن ابن عباس قال: اقرؤوا بقراءة ابن مسعود: ﴿ألاّ يَقْدِرُوا﴾ بغير نون فهذا على أنه منصوب بأن.

قال أبو جعفر: وهذا يعني في العربية أن تقع ﴿أن﴾ معملة بعد ﴿يعلم﴾ وهو من الشواذ، ومن الشواذ أنه رُوِيَ عن الحسن أنه قرأ ﴿لئلاّ يَعلَمُ أهلُ الكتابِ﴾ بالرفع ومجازه ما ذكرناه من أن التقدير فيه أنه: وأن الفضل بيد الله أي بيد الله دُونهمْ؛ لأنه كما رُوِيَ قالوا: الأنبياء منّا فكفروا بعيسى وبمحمد ﷺ فأعلَمَ الله جلّ وعزّ أنّ الفضل بيده يرسِلُ من شاء ويُنعِمُ على من أراد إلاّ أن قتادة قال: لمّا أنزل الله جلّ وعزّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ حسد اليهود المسلمين فأنزل الله جلّ وعزّ ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي من خلقه ﴿وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ أي على عباده.

٥٨ ـ سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾

شرح إعراب سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا..﴾ [١]

قال أبو جعفر بن محمد: إنْ شئتَ أدغمتَ الدال في السين فقلت قد سَّمِعَ، لأن مخرج الدال والسين جميعاً من طرف اللسان [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٣٣]، وإن شئتَ بيَّنتَ فقلت: قَدْ سَمِعَ اللهُ؛ لأن الدال والسين وإن كانتا من طرف اللسان فليستا من موضع واحد؛ لأن الدال والتاء والطاء من موضع واحد، والسين والصاد والزاي من موضع واحد، يُسَمَّين حروف الصفير، وأيضاً فإن السين منفصلة من الدال. ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾ أي تشتكي المجادلة إلى الله جلّ وعزّ ما همّها بظهار زوجها وتسأله الفَرَجَ ﴿وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي تحاور النبي ﷺ والمجادلة ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ أي لما يقولانه وغيره ﴿بَصِيرٌ﴾ بما يعملانه وغيره.

﴿الَّذِينَ..﴾ [٢]

رفع بالابتداء، ويجوز على قول سيبويه أن يكون في موضع نصب ببصير ﴿يظهرون﴾ قراءة الحسن وأبي عمرو ونافع، وقرأ أبو جعفر وشيبة ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿يظَّاهَرونَ﴾ وقرأ أبو عبدالرحمن السلمي وعاصم ﴿يُظَاهِرُونَ﴾؛ وحكى الكسائي أنّ في حرف أبيّ ﴿يتظاهرون﴾ حجة لمن قرأ ﴿يظّاهرون﴾؛ لأن التاء مدغمة في الظاء، وأصحّ من هذا ما رواه نصر بن علي عن أبيه عن هارون قال: في حرف أبيّ ﴿يَتظهّرونَ﴾ حجّة لمن قرأ ﴿يظهرون﴾ لأن التاء أُدغمت في الظاء أيضاً. ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ خبر ﴿ما﴾ شُبِّهتْ بليس، وقال الفراء [معاني القرآن: ٣/١٣٩]: كان بأمهاتهم فلما حُذِفت الباء بقي لها أثر فنصب الاسم. ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ

﴿وَالَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿إِنْ﴾ بمعنى ﴿مَا﴾. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ﴾ أي ما لا يصحُ وَزُوراً قال قتادة: أي كذباً ونَصبتَ منكراً وزوراً ويقولون: لو رفَعتَهُ لانقلب المعنى. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي ذو عفو وصفح عمّن تاب ﴿غَفُورٌ﴾ له لا يعذّبه بعد التوبة، وقيل هذا لأنهم كانوا يُطلّقون في الجاهلية بالظِّهار. قال أبو قلابة: كان الرجل في الجاهلية إذا ظاهر من امرأته فهو طَلاقٌ بتاتٌ فلا يعود إليه أبداً، فأنزل الله عز وجلّ هذا.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا..﴾ [٣]

قال أبو جعفر: اختلف العلماء في معنى العود، فقال قوم ممّن يقول بالظاهر: لا يجب عليه الكفّارة حتى يُظاهِرَ مرة ثانية، وحكوا ذلك عن بُكير بن عبدالله بن الأشجّ، وقال قتادة: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ هو أن يعزم بعد الظهار على وطئها وغشيانها، وقال بعض الفقهاء: عودهُ أن يُمسِكها ولا يطلّقها بعد الظهار فتجبُ عليه الكفّارة، وقال القُتبي: هو أن يعود لما كان يقال في الجاهلية، وقال أبو العالية: ﴿لِمَا قَالُوا﴾ أي فيما قالوا، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٣٩]: لِمَا قالوا، وإلى ما قالوا وفيما قالوا واحد، يريد: يرجِعُونَ عن قولهم، وقال الأخفش [معاني القرآن: ٣/٧٠٥]: فيه تقديم وتأخير أي فتحرير رقبة لما قالوا. ومن أبينها قول قتادة أي ثم يعودون إلى ما قالوا من التحريم فيُحِلّونهُ. ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أو فعليهم تحرير رقبة، ويجوز عند النحويين البصريين فتحريرٌ رقبةً. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ من قبل أن يمسّ الرجل المرأة، ومن قبل أن تمسّ المرأة الرجل. وهذا عام غير أن سفيان كان يقول: له ما دون الجماع.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا..﴾ [٤]

﴿مَن﴾ في موضع رفع بالابتداء أي فمن لم يجد الرقبة، والمفعول يحذف إذا عرف المعنى فعليه صيام شهرين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٣٥]، ويجوز صيام شهرين على أن شهرين ظرف، وإن شئت كان مفعولا على السعة فإذا قلت: صيام شهرين لم يجز أن يكون ظرفاً. وعلى هذا حكى سيبويه فيما يتعدّى إلى مفعولين:

يـــا سَــارِقَ الــلــيــلــةِ أهــلَ الــدارِ

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ أي فمن لم يستطع الصوم لِهرَم أو زمانة فعليه إطعام ستين مسكيناً، ويجوز تنوين إطعام [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٣٦]، وليس ههنا من قبل أن يتماسّا ولكنه يؤخذ من جهة الإجماع. ﴿ذلك لِتؤمنوا بالله ورسوله﴾. قال أبو إسحاق [معاني

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٣٦]: أي ذلك التغليظ، وقال غيره: فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله أي لِتُصدّقوا بما جاءكم فتؤمنوا ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ أي هذه فرائض الله جلّ وعزّ التي حدّها ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي لمن كفر بها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ..﴾ [٥]

أي يخالفون الله ورسوله ويصيرون في حدّ أعدائه ﴿كُبِتُوا﴾ أي غيظوا [معاني القرآن للفراء: ٣/١٣٩]، وقال بعض أهل اللغة: أي هلكوا، قال: والأصل كُبِدوا من قولهم: كَبَدَهُ إذا أصابه بوجع في كبده ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الكاف في موضع نصب؛ لأنها نعت لمصدر ﴿ولهم عذاب مهين﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ..﴾ [٦]

العامل في يوم ﴿عذابٌ﴾ ولا يجوز عند البصريين أن يكون مبنياً إذا كان بعده فعل مستقبل وإنما يبنى إذا كان بعده ماض أو ما ليس بمعرب فإذا كان هكذا بُنيَ؛ لأنه لما كان يحتاج إلى ما بعده ولابدّ له منه أجري مجراه. فأما الكوفيّون فيقولون: إنما بُنِيَ لأنه بمعنى إذا فَبُني لبنائها. ﴿جَمِيعاً﴾ منصوب على الحال أي يوم يبعثهم الله من قبورهم إلى القيامة في حال اجتماعهم ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي فيخبرهم بما أسرّوه وأخفوه وغير ذلك من أعمالهم ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ أي عدّهُ وأثبته وحفظه، ونسيه عاملوه. ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي على كل شيء من أعمالهم شاهد عالم به.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ..﴾ [٧]

أي ألم تنظر بعين قلبك فتعلم أن الله جلّ وعزّ يعلم ما في السّموات وما في الأرض لا يخفى عليه شيء من صغيرة وكبيرة، فكيف يخفى عليه أعمال هؤلاء؟ ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ قال مقاتل بن حيان عن الضحّاك. قال: هو تعالى فوق عرشه وعلمه معهم. وخفض ثلاثة على البدل من ﴿نجوى﴾ ويجوز أن يكون مخفوضاً بإضافة نجوى إليه، ويجوز رفعه على موضع نجوى، ويجوز نصبه على الحال من المضمر الذي في نجوى ﴿إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ مبتدأ وخبره، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٤٠] أن في حرف عبد الله ﴿ولا أربعة إلاّ هو خامسهم﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾

وحكى أبو حاتم أن في حرف عبد الله: ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ اللهُ رابعهم ولا خمسة إلاّ الله سادسهم ولا أقلّ من ذلك ولا أكثر إلاّ اللهُ معهم إذا انتجوا.

قال أبو جعفر: وهذه القراءة إن صحّت فإنما هي على التفسير، لا يجوز أن يُقرأ بها إلاّ على ذلك، وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿ما تكون مِن نَّجوى ثلاثة﴾ وهذه القراءة وإن كانت مخالفة لحجة الجماعة فهي موافقة للسواد جائزة في العربية؛ لأن نجوى مؤنثة باللفظ و﴿من﴾ فيها زائدة. كما تقول: ما جاءني من رجل، وما جاءتني من امرأة، والتقدير: ولا يكون من نجوى أربعة إلاّ هو خامسهم، وحكى هارون عن عمرو عن الحسن أنه قرأ ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثرُ إلاّ هو معهم﴾ عطفه على الموضع﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ أي ثم ينبئهم بما تناجوا به﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من نجواهم وسرارهم وغير ذلك من أعمالهم وأعمال عباده.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ..﴾ [٨]

قال مجاهد: هم قوم من اليهود، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿ينتَجُونَ بالإثم والعُدوانِ﴾ و﴿يَتَنَاجَوْنَ﴾ أبين؛ لأنهم قد أجمعوا على أن قرؤوا ﴿إذا تناجيتُم فلا تتناجوا﴾ [٩] إلاّ شيئاً روي عن ابن مسعود أنه قرأ أيضاً ﴿ويَنتجُونَ بالإثم والعدوانِ وعصيانِ الرسول﴾ ﴿وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾. قال أبو جعفر: قد ذكرنا معناه ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذّبنا الله بما نقول﴾ أي هلاّ يعاقبنا على ذلك [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٣٧] في وقت قولنا: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ مبتدأ وخبره، وحكى النحويون أنه يقال: حَسْبُكَ ولا يُلفظ له بخبر؛ لأنه قد عُرف معناه، وقيل: فيه معنى الأمر؛ لأن معناه اكفُفْ، فلمّا كان الأمر لا يؤتى له بخبر حذف خبر ما هو بمعناه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ [٩]

فيه ثلاثة أجوبة: فلا تتناجوا بتاءين، ولا تَنَاجَوْا بتاء واحدة ولا تَّناجوا بإدغام التاء في التاء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٣٨]. فمن جاء به بتاءين، قال: هي كلمة مبتدأ بها وهي منفصلة مما قبلها، ومن جاء به بتاء واحدة حذف لاجتماع التاءين مثل تذكُرُونَ وتتذكرونَ، ومن أدغم قال: اجتمع حرفان مثلان وقبلهما ألفٌ، والحرف المدغم قد يأتي بعد الألف مثل دَوَابّ ﴿وَتَنَاجَوْا بِالبِرِّ﴾ أي بما يقربكم من الله جلّ وعزّ ﴿والتقوى﴾ أي باتقائه بأداء فرائضه واجتناب ما

إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

نهى عنه. ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي الذي إليه مصيركم ومجمعكم فيجزيكم بأعمالكم.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ..﴾ [١٠]

أصحُّ ما قيل فيه قول قتادة، قال: كان المنافقون يتناجون بحضرة النبي ﷺ فيسوء ذلك المسلمين ويكبر عليهم فأنزل الله جلّ وعزّ ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، ويدلّ على صحة هذا القول ما قبله وما بعده من القرآن. وقال ابن زيد: كان الرجل يناجي النبي ﷺ في الحاجة ويفعل ذلك ليرى الناس أنه ناجى النبي ﷺ فيوسوس إبليس للمسلمين فيقول: إنما هذه المناجاة لجموع قد اجتمعت لكم وأمر قد حضر تُرادُونَ به فيحزنون لذلك. وفي الآية قول ثالث ذكره محمد بن جرير، قال: حدّثنا محمد بن حميد قال: حدّثنا يحيى بن واضح قال: حدّثنا يحيى بن داود البجلي قال: سُئِل عطية العوفي وأنا أسمع عن الرؤيا فقال: الرؤيا على ثلاثة منازل: منها ما يوسوس به الشيطان فذلك قول الله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومنها ما يحدّث الرجل به نفسه في يقظته فيراه في منامه، ومنها أخْذُ باليد، ويقرأ ﴿لِيحزِنَ﴾ والأول أفصح.

﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ قال محمد بن جرير: أي بقضاء الله وقدره، وقيل: ﴿بِإِذْنِ اللهِ بما﴾ أذن الله جلّ وعزّ فيه، وهو غمُّهم بالمؤمنين؛ لأنه جل ثناؤه قد أذن في ذلك﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ أي ليكلوا أمرهم إليه ولا تحزُنْهُمُ النجوى وما يتسارّ به المنافقون إذا كان الله جلّ وعزّ يحفظهم ويحوطهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ..﴾ [١١]

وروي عن الحسن وقتادة أنهما قرآ ﴿إِذَا قِيلَ لَكُم تفاسَحُوا﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٤١]: مثل تعهدْتُ ضيعتي وتعاهدت، وقال أهل اللغة: تعهّدْتُ أفصح، لأنه فعل من واحد، وقال الخليل: لا يقال إلاّ تعهّدتُ؛ لأنه فعل من واحد. وقرأ الحسن وعاصم ﴿في المجالس﴾ وقراءة العامة (في المجلس).

وقال أبو جعفر: واختلف العلماء في معناه فصَحّ عن مجاهد أنه قال: هو مجلس النبي ﷺ خاصة، وصح عن قتادة أنه قال: كان الناس يتنافسون في مجلس النبي ﷺ لا يكاد بعضهم يوسع لبعض فأنزل الله جلّ وعزّ، يعني هذا، وروي عن قتادة أنه في مجلس الذكر، وقال الحسن

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

ويزيد بن أبي حبيب: هذا في القتال خاصة. قال أبو جعفر: وظاهر الآية للعموم، فعليه يجب أن يُحملَ، ويكون هذا لمجلس النبي ﷺ خاصة وللحرب ولمجالس الذكر، ولا نعلم قولاً رابعاً، والمعنى يؤدي عن معنى مجالس، وأيضاً فإن الإنسان إذا خوطب أن يُوسِعَ مجلِسَهُ ومعه جماعة قد أمِرُوا بما أمِرَ به فقد صارت مجالس ﴿يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾ جواب الأمر، وفيه معنى المجازاة، ومكانٌ فسيح أي واسع.

﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ قراءة أبي جعفر ونافع وشيبة وقراءة ابن كثير وأبي عمرو وأهل الكوفة ﴿انشِزُوا فانشِزُوا﴾ وهما لغتان بمعنى واحد، وأبو عبيد يختار الثانية. ولو جاز أن يقع في هذا اختيار لكان الضمّ أولى؛ لأنه فعل لا يتعدى مثل قَعَدَ يقعُدُ؛ لأن الأكثر في كلام العرب فيما لا يتعدى أن يأتي مضموماً وفيما يتعدى أن يأتي مكسوراً مثل ضَرَبَ يَضرِبُ. وأما المعنى فأصحّ ما قيل فيه أنه النشوز إلى كل خير من أمر بمعروف ونهي عن منكر أو قتال عدو أو تفرّق عن النبي ﷺ لئلاً يلحقه أذىً ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ قيل: أي يرفعهم في الثواب والكرامة، وقيل: يرفعهم من الارتفاع أي يرفعهم على غيرهم ممن لا يعلم ليُبَيِّنَ فضلَهم ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي يخبره فيُجازي عليه.

﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً..﴾ [١٢]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كانوا قد آذوا النبي ﷺ بكثرة سِرارِهم فأراد الله جلّ وعزّ أن يُخفّف عنه فأمرهم بهذا فتوقفوا عن السِّرارِ ثم وسّع عليهم ولم يُضيّق. قال مجاهد: لم يعمل أحدٌ بهذه الآية إلاّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تَصَدَّقَ بدينار ثم سارَّ النبي ﷺ ثم نُسِخت، وقال رحمة الله عليه: بي خُفّفَ عن هذه الأمّة، قال لي النبي ﷺ: «ما ترى أيتصدق مَنْ سارَّ بدينار؟» قلت: لا، قال: «فبدرهم؟» قلت: لا، قال: «بكم؟» قلت: بحبة من شعير، فقال: «إنك لزهيد» ثم نزل التخفيف [ت: ٣٣٠٠] ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي لا يكلّفُ من لا يجد.

﴿أأشفقتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ..﴾ [١٣]

أصل الإشفاق في اللغة الحذرُ والخوفُ، ومن هذا لا يحلّ لأحد أن يصف الله جلّ وعزّ بالإشفاق، ولا يقول: يا شفيقُ. قال مجاهد: أأشفقتُمْ أي أشقّ عليكم؟ ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ فإذا تاب عليكم لم يُؤاخِذكم ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي فافعلوا ما لم يسقط

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ
الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

عنكم فرضهُ ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي فيما أمركم به ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي فيجازيكم عليه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم..﴾[١٤]

أي ألم تنظر بعين قلبك فتراهم ﴿مَا هُمْ مِنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ الضمير يعود على الذين وهم المنافقون ليسوا من المؤمنين أي من أهل دينهم ومِلَّتِهم ولا من الذين غضبَ الله عليهم وهم اليهود[معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٤٢] ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يحلفون أنهم مؤمنون.

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ..﴾[١٥]

﴿ما﴾ في موضع رفع أي ساء الشيء الذين يعملونه، وهو غشهم المؤمنين، ونصحهم الكافرين.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً..﴾[١٦]

أي اتخذوا حلفهم للمؤمنين أنهم منهم حاجزاً لدمائهم وأموالهم، وهذا معنى ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ لأن سبيل الله جلّ وعز في أهل الأوثان أنْ يُقتَلُوا، وفي أهل الكتاب أن يقتلوا إلاّ أن يُؤدّوا الجزية، فلمّا أظهر هؤلاء الإيمان وهم كفّار صدّوا المؤمنين بما أظهروه عن قتلهم.

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً..﴾[١٧]

أي لن تنتفعوا بالأموال فتفتدوا بها، ولن ينفعهم أولادهم فينصروهم ويستنقذوهم مما هم فيه من العذاب ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ويجوز النصب على الحال في غير القرآن.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ..﴾[١٨]

أي فيحلفون له على الباطل. وهذا دليل بيّنٌ على بطلان قول من قال: إن أحداً لا يتكلم يوم القيامة إلاّ بالحق لما يُعاين ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي على شيء ينفعهم ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ كُسرت إن لأنها مبتدأة، وسمعت علي بن سليمان يجيز فتحها؛ لأن معنى ألا: حقاً.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ..﴾[١٩]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

هذا مما جاء على أصله ولو جاء على الإعلال لكان استحاذ، كما يقال: استصاب فلان رأي فلان ولا يقال: استصوبَ. قال أبو جعفر: إنما جاء على أصله مما يؤخذ سَمَاعاً من العرب لا مما يقاس عليه، وقيل: يُعَلّ الرباعي إتباعاً للثلاثي، فلمّا كان يقال: استَحوَذَ عليه إذا غلبه ولا يقال حاذ في هذا المعنى، وإنما يقال: حاذَ الإبل إذا جمعها [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤٠/٥]، فلمّا لم يكن له ثلاثي جاء على أصله. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ حزبه: أولياؤه وأتباعه وجموعه، والخاسر الذي قد خَسِرَ في صفقتِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ..﴾ [٢٠]

قال قتادة: يعادونه، وقال مجاهد: يشاقّون، وقيل: معناه يخالفون حدود الله جلّ وعزّ فيما أمر به [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤١/٥]. وحقيقته في العربية: يصيرون في حدّ غير حدّهِ الذي حدّهُ. والأصل يُحَادِدُونَ فأدغمت الدال في الدال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ أي ممّن يلحقه الذل، وأولئك وما بعد خبر عن الذين.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ..﴾ [٢١]

قيل: أي كتب في اللوح المحفوظ، وجعله الفرّاء [معاني القرآن: ١٤٢/٣] مجازاً، جعل كتب بمعنى [قال] أي الله: لأغلبنّ أنا ورسلي أي من حادّنا، ﴿وَرُسُلِىٓ﴾ معطوف على المضمر الذي في ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾ و﴿أَنَا۠﴾ توكيد. قال أبو جعفر: وهذه اللغة الفصيحة، وأجاز النحويون جميعاً في الشعر: لأقومنّ وزيدٌ، وأجاز الكوفيون وجماعة من أهل النظر أن يعطف على المضمر المرفوع من غير توكيد؛ لأنه يتّصل وينفصل فخالف المضمر المخفوض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ أي ذو قوّة وقدرة على أن كتب فيمن خالفه وخالف رسله ﴿عَزِيزٌ﴾ في انتقامه لا يقدر أحد أن ينتصر منه.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ..﴾ [٢٢]

أصحّ ما روي في هذا أنه نزل في المنافقين الذين والوا اليهود لأنهم لا يقرّون بالله جلّ وعزّ على ما يجب الإقرار به، ولا يؤمنون باليوم الآخر فيخافون العقوبة، و﴿يُوَآدُّونَ﴾ في موضع نصب لأنه خبر تجد أو نعت لقوم ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي

....

ولو كان الذين حادّوا الله ورسوله آباءهم. جمعُ أب على الأصل، والأصل فيه أَبَوٌ والتثنية أيضاً على الأصل عند البصريين لا غير، حكى الكوفيون: جاءني أبانِ.

﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ جمع ابن على الأصل والأصل فيه: بَنَيٌ الساقط منه ياء، والساقط من أب واو، فأمّا أبٌ فقد دلّ عليه التثنية، وأمّا ابن فدلّ عليه الاشتقاق. قال أبو إسحاق: هو مشتق من بَناه أبوه يبنيه. قال أبو جعفر: وقد غلط بعض النحويين فقال: الساقط منه واو؛ لأنه قد سمع البنوّة. ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ جمع أخ على الأصل، كما تقول: وَرَلٌ وَوِرلانٌ ﴿أُوْلَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ قيل: هو مجاز، و﴿فِي﴾ بمعنى اللام أي كتب لقلوبهم الإيمان، وقد علم أن المعنى كتب لهم، وقيل: هو حقيقة أي كتب في قلوبهم سِمَةُ الإيمان ليُعلَم أنهم مؤمنون ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ قيل: بنور وهدى، وقيل: بجبرائيل ﷺ ينصرهم ويؤيدهم ويرفقهم ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ على الحال ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي بطاعتهم في الدنيا ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بإدخالهم الجنة ﴿أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أي جنده وجماعته، وتحزّبَ القوم تجمّعوا ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قيل: أي الذين ظفروا بما أرادوا.

٥٩ ـ سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾

شرح إعراب سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرضِ وَهُوَ العَزِيزُ..﴾ [١]

أي في انتقامه ممن عصاه ﴿الحَكِيمُ﴾ في تدبيره، و﴿هو﴾ مبتدأ و﴿العَزِيزُ﴾ خبره و﴿الحَكِيمُ﴾ نعت للعزيز، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ [٢]

أي بمحمد ﷺ ﴿مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ من اليهود وهم بنو النضير [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤٣/٥، ١٤٤] ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ لأوَّلِ الحَشْرِ﴾ صرفت أولاً لأنه مضاف، ولو كان مفرداً كان ترك الصرف فيه أولى على أنه نعت، ومن جعله غير نعت صرفه ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أنْ يَخْرُجُوا﴾ ﴿أنْ﴾ في موضع نصب بظننتم، وهي تقوم مع صلتها مقام المفعولين عند النحويين إلاّ محمد بن يزيد فإن أبا الحسن حكى لنا عنه أن المفعول الثاني محذوف، وكذا القول في ﴿وَظَنُّوا أنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي لم يظنّوا من قولهم: ما كان هذا في حسباني أي في ظني، ولا يقال: في حسابي؛ لأنه لا معنى له هاهنا، ويجوز أن يكون معنى ﴿لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لم يعلموا، وكذا قيل في قول الناس: حَسِيبُهُ الله أي العالِمُ بخبره والذي يجازيه الله جلّ وعزّ، وقيل معنى قولك: حَسْبُكَ الله كافيك الله، من قولهم: أحسَبَهُ الشيءُ، إذا كفاه، وقيل: حَسِيبُكَ أي مُحَاسِبُكَ مثل شريب بمعنى مُشارب، وقيل: حَسِيبُكَ أي مقتدرٌ عليك، ومنه: وكان الله على كل شيء حسيباً.

....

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ ومن قال: في قلوبهم الرُّعب جاء به على الأصل ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويُخرِّبُونَ على التكثير، وقد حكى سيبويه أن ﴿فَعَّلَ﴾ يكون بمعنى أفعَلَ كما قال:

وَمَـــن لا يُــكَــرِّمْ نَــفْــسَــهُ لا يُــكَــرَّمِ

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ أي فاتعظوا واستدلّوا على صدق النبي ﷺ بأن الله جلّ وعزّ ناصره لما يريكم في أعدائه وبصدق ما أخبركم به. واشتقاقُه من عبرَ إلى كذا إذا جاز إليه، والعِبْرَةُ هي المُتجاوزةُ من العين إلى الخدّ. قال الأصمعي: وقولهم: فلانٌ عَبِرٌ أي يفعَلُ أفعالاً يُورِثُ بها أهله العِبرةَ، وفي معنى ﴿يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ قولان: أحدهما أنه من بَصَرِ العين، والآخر أنه من بصر القلب. قال أبو جعفر: وهذا أولى بالصواب، لأن الاعتبار إنما يكون بالقلب، وهو الاتّعاظ والاستدلالُ بما مرَّ. فقد قيل: إن النبي ﷺ خبَّرهم بهذا أنه يكون فكان على ما وصف فيجب أن تعتبروا بهذا وغيره، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] فكان كما قال، وقال جلّ ذكره: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣] فكان ذلك وقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] فلم يتمنّه أحد منهم، وكذا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فقالوا ذلك، وكذا ﴿وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣] كذا قوله ﷺ لعمّار بن ياسر: «تَقْتُلُكَ الفئةُ الباغِيةُ» [م: ٧٢٥١، ت: ٣٨٠٠، حم: ٢/١٦١] وقوله عليه السلام لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم كَتَبَ:

«مِن محمد رسُولِ الله» فسامره محوَها؛ فاستعظَمَ ذلك علي رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ: «إنّكَ سَتُسَام بِمِثْلِها» [شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢/٢٧٥] فكان ذلك على ما قال، وكذلك قوله في ذي الثُّدَيَّة، ومن ينجُو منَ الخوارج، فكان الأمر كما قال، وكذلك قوله في كلاب الحوأب قولاً محدَّداً، وكذلك قوله في فتح المدينة البيضا وفي فتح مصر، وأوصى بأهلها خيراً، فهذا كلّه مما يُعتبرُ به، وقال جلّ وعزّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فعصمه حتى مات على فراشه، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] فاستخلف ممن خوطب بهذا أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم، وكان هذا موافقاً لقوله صلى الله عليه: «الخِلافَةُ بعدي ثلاثون» [ابن حبان في «صحيحه»: ١٥٣١، وابن حجر في «فتح الباري»: ٨/٧٧، ١٢/٢٨٧].

ومما يُعتبر به تمثيلاتهُ التي لا تُدفَعُ، منها حديث أبي رزين العقيلي أنه قال: يا رسول الله كيف يُحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: «يا أبا رزين أما مررتَ بوادي أهلِكَ مَحْلاً،

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾

ثم مررتَ به يهتزُّ خضِراً فكذلك يُحيي اللهُ الموتى، وكذلك آيته تعالى في خلقِهِ» [ابن كثير في تفسيره: ٣/٥٥٦].

فهذا التشبيه الباهر الذي لا يُلحق، وكذلك قوله في تمثيل المّيت بالنائم وبعثه باليقظة. وهذا أشكلُ شيء بشيء، فبهذا يُعتبر أولو الأبصار.

﴿وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيهِمُ الجلاءَ لَعَذَّبَهُمْ في الدُّنْيا..﴾ [٣]

حكى أهل اللغة أنه يقال: جَلا القومُ عن منازلهم وأجليْتُهم هذا الفصيح، وحكى أحمد ابن يحيى ثعلب: أجلَوا، وحكى غيره: جَلَوا عن منازلهم يجلُونَ، واستُعمِلَ فُلانٌ على الجَالِيَةِ والجالّةِ، وقرأ أكثر الناس، وهي اللغة الفصيحة المعروفة من كلام العرب التي نقلتها الجماعة التي تجبُ بها الحجة، **﴿وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ﴾** بكسر الهاء وضم الميم، فممّن قرأ بها: أبو جعفر وشيبة ونافع وعبد الله بن عامر وعاصم، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي (عليهُمُ الجلاء) بضم الهاء والميم وقرأ أبو عمرو بن العلاء **﴿عليهم الجلاء﴾** بكسر الهاء والميم.

قال أبو جعفر: والقراءة الأولى كُسِرَتْ فيها الهاء لمجاورتها الياء فاستُثقلت ضمة بعد ياء، وأيضاً فإن آخر مخرج الهاء عند مخرج الياء، وضمت الميم لأن أصلها الضم فردّت إلى أصلها، وهذه القراءة البيّنة، والقراءة الثانية على الأصل إلاّ أن الأعمش والكسائي لا يقرآن **﴿عليهُمْ﴾** إلاّ أن يلقى الميمَ ساكنٌ، ولا يعرف عن أحد من القراء من جهة صحيحة أنه قرأ **﴿عليهُمْ﴾** إلاّ حمزة، ثم أنه خالف ذلك فقرأ فيهم ولم يَضُمّ إلاّ في عليهُمْ وإليهُمْ ولديهُمْ إلاّ ابن كيسان احتج له في تخصيصه هذه الثلاثة، فقال: عليهُمْ وإليهُمْ ولَديهُمْ ليست الياء فيهن ياء محضة، وأصلها الألف، لأنك تقول: على القوم، فلهذا أقرّوها على ضمتها؛ لأن الياء أصلها الألف، والياء في **﴿في﴾** ياء محضة.

قال: وسألتُ أبا العباس: لِمَ قرأ الكسائي عليهِمْ بكسر الهاء فلمّا قال: **﴿عليهُمْ﴾** ضمّها؟ فقال: إنما كسرها إتباعاً للياء؛ لأن الكسرة أختُ الياء فلمّا اضطرَّ إلى ضم الميم لالتقاء الساكنين لأن الضمّ أصلها كان الأولى أن يُتبعَ الهاء الميم فيضمها أي لأن أصلها الضم وبعدها مضمرم.

قال أبو جعفر: وهذا أحسنُ ما قيل في هذا، فأمّا قراءة أبي عمرو **﴿عَلَيهِمِ الجَلاَءَ﴾** ففيها حجّتان: إحداهما أنه كسر الميم لالتقاء الساكنين. وهذه حجة لا معنى لها؛ لأنه إنما يُكسرُ لالتقاء الساكنين ما لم يكن له أصل في الحركة، فأما أنْ تَدَعَ الأصل وتجتلب حركة أخرى فغير جائز، والحجّة الأخرى صحيحة، وهو إنما كسر الهاء إتباعاً للياء؛ لأنه استثقل ضمّة بعد ياء، وكذلك أيضاً استثقل ضمةً بعد كسرة فأبدل منها كسرة إتباعاً كما فعل بالهاء فقال **﴿عليهمِ الجَلاَءَ﴾**

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ أي مع الخزي الذي لحقهم في الدنيا من الجلاء. قال قتادة: الجلاء الخروج من بلد إلى بلد، وقيل: معنى كُتِبَ حُتِمَ وهو مجاز، وقيل: كتبه في اللوح المحفوظ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ..﴾ [٤]

يكون ﴿ذلك﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ أي الأمر ذلك، ويجوز أن يكون في موضع نصب أي فعلنا بهم ذلك، ويجوز أن يكون في موضع رفع أيضاً أي ذلك الخزي وعذاب النار له بأنهم خالفوا الله ورسوله ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ﴾ في موضع جزم بالشرط، وكُسِرت القاف لالتقاء الساكنين، ويجوز فتحها لِثقل التشديد والكسر إلاّ أن الفتح إذا لم يلقها ساكن أجود مثل ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ [المائدة: ٥٤] وإذا لقيها ساكن كان الكسر أجود، كما قال:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمَيْرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ ولاَ كِلاَبا

﴿فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ جواب الشرط أي شديدٌ عقابه لِمَن حادَّهُ وحادّ رسوله.

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ..﴾ [٥]

في معنى اللينة ثلاثة أقوال عن أهل التأويل: روى سفيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة ابن عباس قال: اللينةُ: النخلُ سوى العَجْوةِ، وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة والزهري ويزيد ابن رومان، وقول مجاهد وعمر بن ميمون: إنه لجميع النخل، وكذا روى ابن وهب عن ابن زيد قال: اللِّينَةُ: النخلُ كانت فيها عَجوة أو لم تكن، وقال سفيان: هي كرائم النخل. وهذه الأقوال صحيحة؛ لأن الأصمعي حكى مثل القول الأول فيكون لجميع النخل، ويكون ما قطعوا منها مخصوصاً تتفق الأقوال. ولِينَةٌ مُشتقّةٌ عند جماعة من أهل العربية من اللون، وانقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلَها، وفي الجمع لِيانٌ كما قال:

وَسَالِفَةٍ كَسَحُوقِ اللِّيَانِ أَضْرَمَ فيها الغَوِيُّ السُّعُرْ

[ديوان امرىء القيس: ١٦٥]

وقال بعضهم: هي مشتقةٌ من لانَ يلِينُ، ولو كانت من اللون، قيل في الجميع لِوان ﴿وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ﴾ أي وليذِلَّ من خَرَجَ من طاعته جلّ وعزّ.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ..﴾ [٦]

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾

هذا عند أهل التفسير في بني النضير؛ لأنه لم يُوجَف عليهم بخيل ولا جمال، وإنما صولحوا على الجلاء فَملّك الله تعالى مالهم النبي ﷺ يحكم فيه بما أراد، وكان فيه فدكُ، فصحّ عن الصحابة منهم عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يأخذ منه ما يكفيه وأهله ويجعل الباقي في السلاح الذي يقاتل به العدو وفي الكُرَاع. فلمّا تُوفي النبي ﷺ طالبت فاطمة رضي الله عنها به على أنه ميراث، فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: أنتِ أعزّ الناس عَلَيّ غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّا مَعاشِرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ ما تَركنا صَدَقةٌ» [حم: ٢/٤٦٣] ولكني أقره على ما كان يفعله فيه، وتابعهُ أصحابهُ بالشهادة على أن النبي ﷺ كذا قال حتى صار ذلك إجماعاً، عَمِلَ به الخلفاء الأربعة لم يغيّروا منه شيئاً وأجروه مجراه في وقت النبي ﷺ، فأمّا معنى «لا نُورثُ ما تركنا صَدقةٌ» فقد تكلّم فيه العلماء فقال بعضهم: معنى «لا نُورثُ» لا أُورث كما يقول الرجل الجليل: فعلنا كذا، وقيل: هو لجميع الأنبياء؛ لأنه لم يُورثْ أحدٌ منهم شيئاً من المال، وقالوا: معنى ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم: ٥] معناه خِفتُ ألاّ يعملوا بطاعة الله جلّ وعزّ. ويدلّ على هذا ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]. ومعنى ﴿يَرِثُنِى﴾ النبوّة والشريعة وكذلك ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦].

ومعنى «ما تركنا صدقة» فيه أقوال: فمن أصحّها أنه بمنزلة الصدقة؛ لأنه ﷺ لم يكن يملك شيئاً، وإنّما أباحه الله جلّ وعزّ هذا فكان يُنفِقُ منه على نفسه ومن يعوله، ويجعل الباقي في سبيل الله. فهذا قول، وقيل: بل قد كان تصدق بكل ما يملكه، وقيل: «ما» بمعنى الذي أي لا نُورَثُ الذي تركناه صدقة وحُذِفت الهاء لطول الاسم. ويقال: «وَجَفَ» إذا أسرع، وأوجَفَهُ غيرُهُ ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ أي كما سلّطه على بني النضير.

﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ..﴾ [٧]

في هذه الآية أربعة أقوال: منها أنه الفيء الأوّل وأنّ ما صُولِحَ عليه المسلمون من غير قتال فهذا حكمه، وقيل: بل هذا غير الأوّل، وهذا حكم ما كان من الجزية ومَالِ الخَراجِ أن يُقسَمَ. وهذا قول مُعْمر، وقيل: بل هذا ما قوتل عليه أهل الحرب، وهذا قول يزيد بن رومان. والقول الرابع أن هذا حكم ما أوجِفَ عليه بِخيل وركاب [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤٥/٥]، وقوتل عليه فكان هذا حكمه حتى نُسِخ بالآية التي في سورة «الأنفال».

....

والصواب أن يكون هذا الحكم مخالفاً للأول؛ لأنه قد صحّ عمّن تقوم به الحجة أنّ الأوّل في بني النضير وأنّه جُعل حكمه إلى النبي ﷺ، وهذا الثاني على خلاف ذلك لأن فيه ﴿لِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

ويدلّك على هذا حديث عمر مع صحّةِ إسناده واستقامة طريقته قرئ على أحمد بن شُعَيْب عن عبيدالله بن سعيد ويحيى بن موسى وهارون به عبدالله قالوا: حدّثنا سفيان عن عمرو عن الزهري عن مالك بن أويس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجِف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنةٍ، وما بقي جعله في السلاح والكراع عدّة في سبيل الله. فقد دلّ هذا على أن الآية الثانية حكمها خلاف حكم الأولى؛ لأن الأولى تدلّ على هذا أن ذلك شيء للنبي ﷺ، والآية الثانية على خلاف ذلك.

قال الله جلّ وعزّ: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ﴾ قيل: هذا افتتاح كلام، وكل شيء لله، والتقدير فلسُبُل الله و﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطّلب ﴿وَالْيَتَامَى﴾ وهم الذين لم يبلغوا الحلم وقد مات آباؤهم، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ وهم الذين قد لحقهم ذلّ المسكنة مع الفاقة، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وهم المسافرون في غير معصية المحتاجون، ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ الضمير الذي في يكون يعود على ما، أي لا يكون ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى دُولة يتداوله الأغنياء فيعملون فيه ما يحبّون، فقسمه الله جلّ وعزّ هذا القسم. وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿كي لا تكون دُولَةٌ﴾ بالرفع وتأنيث ﴿تكون﴾ دولة اسم ﴿تكون﴾ ﴿بين الأغنياء﴾ الخبر، ويجوز أن يكون بمعنى يقع فلا يحتاج إلى خبر مثل ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً﴾ [البقرة: ٢٨٢]، [النساء: ٢٩] ﴿وأغنياء﴾ جمع غَنِيّ، وهكذا جمعُ المعتل وإن كان سالماً جُمِعَ على فُعَلاء وفِعال نحو كريم وكرماء وكرام، وقد قالت العرب في السالم: نَصِيبُ وانصباء شُبّهَ بالمعتل وشبّهوا بعض المعتل أيضاً بالسالم. حكى الفرّاء: نَفِيٌ نُفَراء بالفاء شُبّهَ بالسالم وقُلِبَتْ ياؤه واواً.

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ حكى بعض أهل التفسير أنّ هذا في الغنائم، واحتجّ بأن الحسن قال: وما آتاكم الرسول من الغنائم فخذوه وما نهاكم عنه من الغُلُولِ. قال أبو جعفر: فهذا ليس يدلّ على أن الآية فيه خاصة بل الآية عامة. وعلى هذا تأوّلها أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عبدالله بن مسعود: إنّ الله لعن الواشِمَةَ والمستوشِمَةَ والنامِصَة والمُتَنمِّصَة، فقيل له: قد قرأنا القرآن فما رأينا فيه هذا، فقال: قد لعنهنّ رسول الله وقال الله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وعن ابن عباس نحوٌ من هذا في النهي عن الانتباذ

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

في النقيرِ والمُزَفَّتِ. ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ أي احذروا عقابه في عصيانكم رسوله ﴿إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ أي شديدٌ عقابه لمن خالف رسوله ﷺ.

﴿لِلفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ..﴾ [٨]

قيل: هو بدل ممن قد تقدّم ذكره بإعادة الحرف مثل ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوا۟﴾ [سبأ: ٣٢] لمن آمن منهم، وقيل: التقدير كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم لكي يكون للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أي أخرجَهُم المشركون ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً﴾ في موضع نصب على الحال، وكذا ﴿وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ وَالإيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ..﴾ [٩]

﴿الذين﴾ في موضع خفض أي للذين، ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء، والخبر ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي انتقل إليهم، وإذا كان الذين في موضع خفض كان يُحبُّون في موضع نصب على الحال أو مقطوعاً مما قبله ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ معطوف عليه، وكذا ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي فاقة إلى ما آثروا به. وكلُّ كُوَّة أو خَلل في حائط فهو خصاصة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ جزم بالشرط فلذلك حُذفت الألف منه، ولا يجوز إثباتها إذا كان شرطاً عند البصريين، ويجوز عند الكوفيين وشبّهوه بقول الشاعر:

ألـــم يـــأتيـــك والأنـــبـــاء تُـــنـــمـــي

[القرطبي في «تفسيره»: ٩/ ٢٥٧]

والفرق بين ذا والأول أن الألف لا تتحرك في حال، والياء والواو قد يتحرّكان، وهذا فرق بيّن ولكن الكوفيين خلَطوا حُروفَ المدّ واللين فجعلوا حكمها حكماً واحداً، وتجاوزوا ذلك من ضرورة الشعر إلى أن أجازوه في كتاب الله جلّ وعزّ، وحملوا قراءة حمزة ﴿لَّا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧] عليه في أحد أقوالهم.

وأهل التفسير على أنّ الشُّحّ أخذ المال بغير الحقّ، وقد ذكرنا أقوالهم. والمعروف في كلام العرب أن الشُّحّ أزيدُ من البخل، وأنه يقال: شحّ فلانٌ إذا اشتدّ بخله ومنع فضل المال، كما قال:

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى
قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ
وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ
ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾

ترى اللحز الشحيح إذا أمِرّت عليه لمالِهِ فيها مُهينا

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ..﴾ [١٠]

يكون ﴿الذين﴾ في موضع خفض معطوفاً على ما قبله أي والذين، وعلى هذا كلام أهل التفسير والفقهاء، كما قال مالك: ليس لمن شتم أصحاب الرسول ﷺ في الفيء نصيبٌ لأن الله تعالى قال: ﴿والذينَ جاءُوا من بَعْدِهِمْ يقُولُون ربَّنا اغفِر لنا﴾ الآية، وقال قتادة: لم تؤمَرُوا بسبِّ أصحاب النبي ﷺ وإنما أُمرتم بالاستغفار لهم، وقال ابن زيد في معنى قوله: ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا تُورِّث قلوبنا غِلاً لمن كان على دينك. ﴿ربَّنَا إنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي بخلقك ﴿رَحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا..﴾ [١١]

حُذِفت الألف للجزم، والأصل فيه الهمز لأنه مِن رأى والأصل يَرْأى ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾، ﴿يقولون﴾ في موضع نصب على الحال. وعن ابن عباس: ﴿الذين نافقوا﴾ عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه، وإخوانهم من أهل الكتاب بنو النضير [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤٧/٥] ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ أي من دياركم ومنازلكم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ من ديارنا ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أحَداً أبَداً﴾ أي لا نطيع من سألنا خذلانكم ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ كُسِرت إن لمجيء اللام، وحكى لنا علي بن سليمان عن محمد بن يزيد أنه أجاز فتحها في خبرها اللام؛ لأن اللام للتوكيد فلا تغيّرُ هاهنا شيئاً.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ..﴾ [١٢]

أي لئن أُخرِجَ بنو النضير لا يخرجُ المنافقون معهم فخبّر بالغيب، وكان الأمر على ذلك. ﴿ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولّن الأدبار﴾ فخبّر جلّ وعز بما يعلمه فإن قيل: فما وجه رفع ﴿لئن أُخرِجوا لا يخرجون معهم﴾ وظاهره أنّه جواب الشرط وأنت تقول: إن أُخرِجوا لا يخرجوا معهم، ولا يجوز غير ذلك، واللام توكيد فلم رفع الفعل؟ فالجواب على هذا وهو قول الخليل وسيبويه رحمهما الله على معناهما أنه قسم. والمعنى: والله لا يخرجون معهم إن أُخرِجوا،

لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

كما تقول: واللهِ لا يقومُونَ، ودخلت اللام في الأول لأنه شرط للثاني، وكذا ما بعده، وكذا ﴿ثم لا يُنصَرونَ﴾ معطوف عليه، ويجوز أن يكون مقطوعاً منه.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللهِ..﴾ [١٣]

أي في صدور بني النضير من اليهود [معاني القرآن للفراء: ١٤٦/٣] ونصبت رهبةً على التمييز. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ أي من أجل أنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله جلّ وعزّ فهم يجترئون على معاصيه ولا يتخوّفون عقابه.

﴿لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَة..﴾ [١٤]

نصبت ﴿جميعاً﴾ على الحال. وقريةٌ وقرىً عند الفرّاء [معاني القرآن: ١٤٦/٣] شاذٌ كان يجب أن يكون جمعه قِراء مِثْلُ غَلْوَة وغِلاء. قال أبو جعفر: وأنكر أبو إسحاق هذا وأنْ يقال شاذٌ لما نطق به القرآن، ولكنه مثل ضيعة وضيع جاء بحذف الألف. وقيل: هو اسم للجميع.

﴿أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ وقرأ أبو عمر وابن كثير ﴿أو من وراء جدار﴾ وحُكي عن المكيين ﴿أو من وراء جَدْر﴾ بفتح الجيم وإسكان الدال، ويجوز جُدْر على أن الأصل جُدُر فحُذفت الضمّة لثقلها. وجَدْرٌ لغة بمعنى جدار، وجِدارٌ واحد يؤدّي عن جمع إلاّ أن الجمع أشبه بنسق الآية لأن قبله ﴿إلاّ فِي قُرىً﴾ ولم يقل: إلاّ في قرية ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً﴾ مفعول ثان لتحسب، وليس على الحال. ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون على معاداة أهل الحق. قال مجاهد: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ لأن بني النضير يهود والمنافقين ليسوا بيهود. وفي حرف ابن مسعود ﴿وقلوبهم أشتُّ﴾ يكون أفعل بمعنى فاعل أو يحذف منه ﴿من﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ أي لا يعقلون ما لهم فيه الحظُّ ممّا عليهم فيه النقصُ.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ..﴾ [١٥]

المعنى مَثَلهم كَمَثَلِ الذين من قبلهم حين تمادوا على العصيان فأهلِكوا. واختلف أهل التأويل في ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هاهنا فقال ابن عباس: هم بنو قَيْنقاع، وقال مجاهد: هم أهل بدر. والصواب أن يقال في هذا: إنّ الآية عامة وهؤلاء جميعاً ممن كان قبلهم. ﴿قَرِيباً﴾ نعت لظرف ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أمْرِهِمْ﴾ أي ذاقوا عذاب الله على كفرهم وعصيانهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الآخرة.

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾
فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿كَمَثَلِ الشَّيطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ..﴾ [١٦]

الكاف في موضع رفع أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٤٨]، ومثل بني النضير في قبولهم منهم كمَثَلِ الشيطان. وفي معناه قولان: أحدهما أنه شيطان بعينه غرّ راهباً. وفي هذا حديث مسند قد ذكرناه، وهكذا روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والقول الآخر أن يكون الشيطان ههنا اسماً للجنس، وكذا الإنسان، كما روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: هي عامةٌ.

﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ..﴾ [١٧]

عاقبتهما خبر كان و﴿أَنَّ﴾ وصلتها اسمها. وقرأ الحسن ﴿فكان عاقبتُهما﴾ بالرفع، جعلها اسم كان، وذكّرها؛ لأن تأنيثها غير حقيقي ﴿خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾ على الحال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٤٩]. وقد اختلف النحويون في الظرف إذا كُرّر، فقال سيبويه [الكتاب: ١/٢٧٧]: هذا باب ما يُثنّى فيه المستقر توكيداً فعلى قوله تقول: إن زيداً في الدار جالساً فيها وجالسٌ لا يختار أحدهما على صاحبه، وقال غيره: الاختيار النصب لئلاّ يُلغى الظرف مرّتين، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٤٧]: إن النصب هاهنا هو كلام العرب قال: تقول: هذا أخوك في يده درهمٌ قابضاً عليه، والعلّةُ عنده في وجوب النصب أنه لا يجوز أن يقدم من أجل الضمير، فإن قلت: هذا أخوك في يده درهم قابضٌ على دينار، جاز الرفع والنصب، وأنشد في ما يكون منصوباً:

والزَّعفرانُ على ترائبها شَرِقاً بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحرُ

[معاني القرآن للفراء: ٣/١٤٦]

قال أبو جعفر: وهذا التفريق عند سيبويه لا يلزم منه شيء، وقد قال سيبويه: لو كانت التثنية تنصبُ لنصبت في قولك: عليك زيد حريص عليك. وهذا من أحسن ما قيل في هذا وأبينه لأنه بيّن أن التكرير لا يعمل شيئاً ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ قيل: يعني به بني النضير؛ لأن نسق الآية فيهم. وكل كافر ظالم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ..﴾ [١٨]

أي بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ والأصل ولِتنظُرْ حذفت الكسرة لثقلها واتصالها بالواو أي لتنظُرْ نفسٌ ما قدّمت ليوم القيامة من حَسَن يُنجيها أو قبيح

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

يربقها. والأصل في غد غَدْوٌ وربما جاء على أصله ثم كُرِّر توكيداً فقال جلّ وعزّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ..﴾ [١٩]

يكون نَسِي بمعنى ترك أي تركوا طاعة الله جلّ وعزّ ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ قال سفيان: أي فأنساهم حظّ أنفسهم. ومن حسن ما قيل فيه أنّ المعنى إنّ الله لما عذبهم شَغَلَهم عن الفكرة في أهل دينهم أو في خواصهم، كما قال: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الخارجون عن طاعة الله جلّ وعزّ.

﴿لَا يَسْتَوِي..﴾ [٢٠]

أي لا يعتدل ﴿أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ وفي حرف ابن مسعود ﴿ولا أصحابُ الجنّةِ﴾ تكون لا زائدة للتوكيد. ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي الذين ظفروا بما طلبوا.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً..﴾ [٢١]

نصب على الحال أي فزعاً لتعظيمه القرآن ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ ودلّ بهذا على أنه يجب أن يكون مَنْ معه القرآن خائفاً حَذِراً مُعظِّماً له منزهاً عمّن يخالفه ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ أي يعرّفهم بهذا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فينقادون إلى الحق.

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ..﴾ [٢٢]

﴿هو﴾ مبتدأ، ومن العرب من يُسكِّنُ الواو فمن أسكنها حذفها هاهنا لالتقاء الساكنين، اسم الله جلّ وعزّ خبر الابتداء، ﴿الذي﴾ من نعته ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ في الصلة أي الذي لا تصلح الألوهة إلاّ له؛ لأن كل شيء له هو خالقه فالألوهة له وحده ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ نعت، ولو كان بالألف واللام في الأول لكان الثاني منصوباً، وجاز الخفض ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ والرحمة من الله جلّ وعزّ التفضل والإحسان إلى من يرحمه.

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ..﴾ [٢٣]

ومن نصب قال: إلاّ إياهُ، وأجاز الكوفيون إلاّهُ على أن الهاء في موضع نصب، وأنشدوا:

....

فما نُبالي إذا ما كُنتِ جارتَنا ألاّ يُجاوِرَنا إلاّكِ دَيّارُ

قال أبو جعفر: وهذا خطأ عند البصريين لا يقع بعد﴿إلاّ﴾ ضمير منفصل لاختلافه، وأنشد محمد بن يزيد:

ألاّ يُجاوِرَنا سِواكِ دَيّارُ

﴿المَلِكُ القُدُّوسُ﴾ نعت والملك مشتق من المُلك، والمالك مشتق من المَلْك، و﴿القُدُّوسُ﴾ مشتق من القدس وهو الطهارة كما قال حسان بن ثابت[ديوانه: ٩]:

وجِبريلٌ أمينُ اللهِ فينا وروحُ القُدسِ ليسَ لهُ كِفاءُ

قال كعب: ﴿روح القدس﴾ جبرائيل عليه السلام. قال أبو زيد: القدس: الله جلّ وعزّ وكذا القُدّوس، وقال غيره: قيل لجبرائيل ﷺ، رُوحُ الله لأنه خَلَقَه من غير ذكر وأُنثى، ومن هذا قيل لعيسى ﷺ: روح الله جلّ وعزّ لأنه خَلَقَهُ من غير ذكر، والله القُدّوس أي مُطَهّر مما نسبه إليه المشركون، وقرأ أبو الدينار الأعرابي ﴿المَلِكُ القَدُّوسُ﴾ بفتح القاف. قال أبو جعفر: ونظير هذا من كلام العرب جاء مفتوحاً نحو سَمّور وشَبّوط ولم يجئ مضموماً إلاّ ﴿السُّبّوح﴾ و﴿القُدّوسُ﴾ وقد فُتِحا.

﴿السَّلام﴾ أي ذو السلامة من جميع الآفات. والسلام في كلام العرب يقع على خمسة أوجه: السلامُ: التحيّة، والسلامُ: السَّداد من القول قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ليس يراد به التحيةُ، والسلام جمع سَلامة، والسلام: بمعنى السلامة كما تقول: اللذاذُ واللذاذةُ، ﴿السَّلامُ﴾ اسم الله من هذا أي صاحب السلامة، والسلامُ: شجر قوي واحدها سَلامةٌ. قال أبو إسحاق[معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ١٥٠، ١٥١]: سُمّي بذلك لسلامتِهِ من الآفات.

﴿المُؤمِنُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: منها أن معناه الذي آمن عباده من جوره، وقيل: المؤمن الذي آمن أولياءه من عذابه، وقال أحمد بن يحيى ثعلب: الله جلّ وعزّ المؤمن لأنه يُصَدِّقُ عبادهُ المؤمنين. قال أبو جعفر: ومعنى هذا أن المؤمنين يشهدون على الناس يوم القيامة فيُصدِّقُهم اللهُ جلّ وعزّ.

﴿المُهَيمِنُ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المهيمنُ: الأمينُ، وبهذا الإسناد قال: الشهيد[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٥٠، ١٥١]، وقال أبو عبيدة: المهيمن: الرقيب الحفيظ. قال أبو جعفر: وهذه كلها من صفات الله جلّ وعزّ فاللهُ شاهدٌ أعمال عباده، حافظٌ لها، أمينٌ عليها، لا يظلمهم ولا يَلِتهم من أعمالِهم شيئاً، وحكى لنا علي بن سليمان عن أبي العباس قال:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

الأصل مُؤَيْمِن، وليس في أسماء الله تعالى شيءٌ مُصَغَّرٌ إنما هو مثل مُسَيْطِر أبدل من الهمزة هاءً، لأن الهاء أخفّ.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي العزيز في انتقامه المنيع فلا ينتصر منه مَنْ عاقبه. ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ فيه أربعة أقوال: قال قتادة: الجبّار الذي يُجبِرُ خَلقَهُ على ما يشاء، قال أبو جعفر: وهذا خطأ عند أهل العربية؛ لأنه إنما يجيء من هذا مُجبِرٌ ولا يجيء فَعّالٌ من أفعَلَ، وقيل: ﴿جَبَّارٌ﴾ من جَبَرَ اللهُ خَلقَهُ أي نَعتَهُم وكفاهم. وهذا قول حسن لا طعن فيه، وقيل: جبّار من جَبَرتُ العَظمَ فَجَبَر أي أقمتُهُ بعد ما انكسَرَ، فاللهُ تعالى أقام القلوب لِتفهمها دلائله، وقيل: هو من قولهم: تجبَّرَ النخلُ إذا علا وفات اليدَ، كما قال:

أطَافَتْ بِهِ جِيلانِ عِنْدَ قِطَاعِهِ وَرَدَّتْ عَلَيهِ المَاءَ حَتَّى تَجَبَّرا

[ديوان امرىء القيس: ٥٨]

فقيل: جبّار لأنه لا يدركه أحد ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي العالي فوق خلقه ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نصبت سبحان على أنه مصدر مشتق من سبّحتُهُ أي نَزّهتُهُ وبرّأتُهُ مما يقولُ المشركون، وهو إذا أفردته. يكون معرفة ونكرة فإن جعلتهُ نكرة صرفتهُ فقلتَ: سُبحاناً وإن جعلته معرفةً كما قال:

أقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ

[ديوان الأعشى: ١٤٣]

﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ..﴾ [٢٤]

معنى خَلَقَ الشيء: قدّره كما قال:

ولأنتَ تَفرِي ما خَلَقتَ وبَعْـ ـضُ القَومِ يَخلُقُ ثم لا يَفرِي

[ديوان زهير بن أبي سلمى: ٩٤]

إلاّ أن محمد بن إبراهيم بن عرفة قال: معنى خَلَقَ اللهُ الخلق قدَّرهُ مُختَرَعاً على غير أصل بلا زيادة ولا نقصان، فلهذا ترك استعمالهُ الناس، هذا معنى قوله: ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ قيل: معنى البارئ الخالق، وهذا فيه تساهل لضعف من يقوله في العربية أو على أن يتساهل فيه لأنه قبله الخالق، وحقيقة هذا أن معنى بَرأ الله الخَلق سَوّاهم وعدلهم، ألا ترى اتساق الكلام أن قبلهُ خلق أي قدّر وبعده بَرى أي عدّل وسَوّى وبعده ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ فالصورة بعد هذين؟ وقد قيل: إن المصور مشتق

....

من صارَ يصير، ولو كان كذا لكان بالياء، ولكنه مشتق من الصورة وهي المثال. ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «لله تِسعةٌ وتسعُونَ اسماً» [حم: ٢/ ٣١٤] ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه دال على أن له مُحدِثاً ومُدَبِّراً لا نظير له، فقد صار بهيئته يُسَبِّحُ لله أي مُنزِّهاً له عن الأشياء ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي في انتقامه ممَّن كفر به ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما خلقه؛ لأن حكمته لا يُرَى فيها خَلَلٌ، وقيل: الحكيم بمعنى الحاكم.

٦٠ ـ سورة المُمتحَنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ
يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم
بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾

شرح إعراب سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يا أيها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ..﴾ [١]

﴿أي﴾ نداء مفرد و﴿الذين﴾ من نعته في موضع رفع، وبعض النحويين يجيز النصب على الموضع وقال بعضهم: ﴿أي﴾ اسم ناقص وما بعده صلة له، وهذا خطأ على قول الخليل وسيبويه [الكتاب: ١/٣٠٦]، والقول عندهما أنه اسم تام إلا أنه لا بد له من النعت مثل ﴿مَنْ﴾ و﴿ما﴾ إذا كانا نكرتين، وأنشد سيبويه:

فكفى بنا فضلاً على مَنْ غيرِنا حُبُّ النبيِّ محمدٍ إيانا

[القرطبي في «تفسيره»: ١/٦٧]

قوله ﴿غيرنا﴾ نعت لمن لا يفارقه.

﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ بمعنى أعدائي فَعَدُوّ يقع للجميع والواحد والمذكر والمؤنث على لفظ واحد، لأنه غير جار على الفعل، وإن شئتَ جَمَعتَهُ وثنيته ﴿أولياءَ﴾ مفعول ثان ولم يُصرَفْ أولياء لأن في آخره ألفاً زائدةً وكل ما كان في آخره ألف زائدة فهو لا ينصرف في معرفة ولا نكرة نحو عُرَفاء وشُهَداء، وأصدقاء وأصفياء ومرضى، وتعرف أن الألف زائدة إن نُظِرَ فعلهُ فإنْ وجدتَ بعد اللام من فعله ألفاً فهي زائدة. الا ترى أن عُرفاء فُعَلاء وأصفياء أفعِلاء فبعد اللام ألف، وكذلك مَرضَى فَعْلَى وما كان من الجمع سوى هذا من الجمع فهو ينصرف نحو غلمان ورجال وأعدال وفلوس وشباب إلا أن أشياء وحدها لا تنصرف في معرفة ولا نكرة لثقل التأنيث، فاستثقلوا أن يزيدوا التنوين مع زيادة حرف التأنيث لأنها أريد بها أفعلاء نحو أصدقاء، كأنهم أرادوا

إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾

أشياء، وهو الأصل فثقل لاجتماع الياء والهمزتين فحذفوا إحدى الهمزتين، وما أشبهها مصروفٌ في المعرفة والنكرة نحو أسماء وأحياء وأفياء ينصرف لأنه أفعال فمن ذلك أعدالٌ وأجمالٌ، وكذلك عدوّ وأعداء مصروف.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ مصروف لأنه أفعالٌ ليس فيه ألف زائدة.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ مذهب الفرّاء أن الباء زائدة وأن المعنى تُلقونَ إليهم المودة. قال أبو جعفر: ﴿تُلْقُونَ﴾ في موضع نصب على الحال، ويكون في موضع نعت لأولياء. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٤٧]: كما تقول: لا تَتّخِذ رَجلاً تُلقِي إليهِ كل ما عندك. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ عطف على الرسول أي ويخرجونكم ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ في موضع نصب أي لأن تؤمنوا وحقيقته: كراهة أن تؤمنوا بالله ربكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي﴾ نصبت جهاداً لأنه مفعول من أجله أو على المصدر أي إن كنتم خرجتم مجاهدين في طريقي الذي شرعتهُ وديني الذي أمرتُ به ﴿وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ عطف ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ مثل تُلقُونَ ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ﴾ قراءة أهل المدينة يثبتون الألف في الإدراج، وقراءة غيرهم ﴿وأنَ أعلمُ﴾ بحذف الألف في الإدراج وهذا هو المعروف في كلام العرب؛ لأن الألف لبيان الحركة فلا تَثْبُتُ في الإدراج، لأنَ الحركة قد ثبتت و﴿أعلمُ﴾ بمعنى عالم كما يقال: اللهُ أكبر اللهُ أكبر بمعنى كبيرٌ، ويجوز أن يكون المعنى وأنا أعلمُ بكم بما أخفاه بعضكم من بعض وبما أعلنه ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ ومن يُلقِ إليهم بالمودة ويتخذهم أولياء ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي عن قصد طريق الجنة ومَحجّتِها.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً..﴾ [٢]

شرط ومجازاة فلذلك حذفت النون وكذا ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ تم الكلام.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ..﴾ [٣]

لأن أولادهم وأقرباءهم كانوا بمكة فلذلك تقرّبَ بعضهم إلى أهل مكّة وأعلمهم الله جلّ وعزّ أنهم لن ينفعوهم يوم القيامة. يكون العامل في الظرف على هذا ﴿لن تنفعكم﴾ ويكون ﴿يُفصَل بينكم﴾ في موضع نصب على الحال، ويجوز أن يكون العامل في الظرف ﴿يُفصَلُ بينكُمْ﴾ وهذه قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة، وقد عرف أن المعنى يَفصِل الله جلّ وعزّ بينكم،

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾

وقرأ عبد الله بن عامر ﴿يُفَصَّلُ﴾ على التكثير، وقرأ عاصم ﴿يفصِلُ﴾ وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿يُفَصِّلُ بينَكُمْ﴾ على تكثير يفصل ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾ [٤]

وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٤٩] في جمعها أُسىً بضمّ في الجمع، وإن كانت الواحدة مكسورة ليفرّق بين ذوات الواو وذوات الياء، وعند البصريين أنه يجوز الضم على تشبيه فِعْلة بفُعْلَة، ويجوز الكسر على الأصل ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الأنبياء عليهم السلام ﴿قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ أي حين قالوا لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾ هذه القراءة المعروفة التي قرأ بها الأئمة كما تقول: كريمٌ وكُرماء، وأجاز أبو عمرو وعيسى ﴿إنّا بِراءٌ منكم﴾ وهي لغة معروفة فصيحة كما تقول: كريم وكرام، وأجاز الفرّاء ﴿إنّا بُراءٌ منكم﴾.

قال أبو جعفر: وهذا صحيح في العربية يكون بُراء في الواحد والجميع على لفظ واحد، مثل: إنني بُراء منكم وحقيقته في الجمع إنّا ذوو بُراء. كما تقول: قوم رِضى، فهذه ثلاث لغات معروفة، وحكى الكوفيون لغة رابعة. وحكي أن أبا جعفر قرأ بها وهي ﴿أنا براءٌ منكم﴾ على تقدير بُراع وهذه لا تجوز عند البصريين، لأنه حذف شيء لغير علة. قال أبو جعفر: وما أحسب هذا عن أبي جعفر إلاّ غلطاً لأنه يروى عن عيسى أنه قرأ بتخفيف الهمزة: أنا بُرآ وأحسب أن أبا جعفر قرأ كذا.

﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ معطوف بإعادة حرف الخفض، كما تقول: أخذتُهُ منك ومن زيد، ولا يجوز أخذته منكَ وزيد. ألا ترى كيف السواد فيه ومما، ولو كان على قراءة من قرأ ﴿وَالأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١] لكان: وما تعبدون من دون الله بغير منْ. ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي أنكرنا كفركم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً﴾ لأنه تأنيث غير حقيقي أي لا نودكم ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ استثناء ليس من الأول أي لا تستغفروا للمشركين وتقولوا: تأسّى بإبراهيم ﷺ إذ كان إنما فعل ذلك عن موعدة وعدها إياه قيل: وعده أنه يُظهِرُ إسلامه ولم يستغفر له إلاّ بعد أن أسلم ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ما أقدر أن أدفع عنك عذابه وعقابه.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ في معناه قولان: أحدهما أن هذا قول إبراهيم ومن معه من الأنبياء،

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝٦ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾

والآخر أن المعنى: قولوا: ربنا عليك توكلنا أي وكلنا أمورنا كلها إليك، وقيل: معنى التوكل على الله جلّ وعزّ أن يُعبدَ وحده ولا يُعصى ويُوثَقُ بوعده لمن أطاعه ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أي رجعنا مما تكره إلى ما تحب ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي مصيرنا ومصير الخلق يوم القيامة.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ [٥]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: تقول: لا تسلّطهم علينا فيفتنونا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ولا يجوز إدغام الراء في اللام لئلا يذهب تكرير الراء. ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامك ممن انتقمت منه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرك عبادَك.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾ [٦]

ولم يقل: كانت لأن التأنيث غير حقيقي معناه التأسّي ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ أي ثوابه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي نجاته ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ جُزم بالشرط فلذلك حذفت منه الياء، والجواب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً..﴾ [٧]

﴿أن يجعل﴾ ومن العرب من يحذف ﴿أنْ﴾ بعد ﴿عسى﴾ قال ابن زيد: فُتِحت مكة فكانت المودة بإسلامهم ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ أي على أن يجعل بينكم وبينهم مودة. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي لمن اتخذهم أولياء وألقى إليهم بالمودة إذا تاب رحيم به أنْ يعذّبه بعد التوبة، والرحمة من الله جلّ وعزّ قبول العمل والإثابة عليه.

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ..﴾ [٨]

قال أبو جعفر: قد ذكرناه. وليس لقول من قال: إنها منسوخة معنى [«الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر: ٢٣٧]؛ لأن البِرّ في اللغة إنما هو لينُ الكلام والمواساة، وليس هذا محظوراً أن يفعله أحد بكافر. وكذا الإقساط إنما هو العدل والمكافأة بالحسن عن الحسن. ألا ترى أن بعده ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾؟ و﴿أنْ﴾ في موضع خفض على البدل من ﴿الذين﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٥٧] ويجوز أن يكون في موضع نصب أي لا ينهاكم كراهة هذا.

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَنهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ..﴾ [٩]

﴿أن تولوهم﴾ والأصل تتولوهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ أي ينصرهم ويودّهم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي الذين جعلوا المودة في غير موضعها. والظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ..﴾ [١٠]

على تذكير الجمع ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ نصب على الحال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٥٨] ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي اختبروهن هل خرجن لسبب غير الرغبة في الإسلام ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ أي منكم ثم حُذِفَ لِعلم السامع ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ مفعول ثان ﴿فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ﴾ وذلك لسبب هدنة كانت بينهم ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ لأنه لا تحلّ مسلمة لكافر بحال ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي له أن ينكحها إذا أسلمت وزوجها كافر، لأنه قد انقطعت العصمة بينهما وذلك بعد انقضاء العدّة، وكذا إذا ارتدّ ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾، وهو المهر ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾ وقرأ أبو عمرو ﴿ولا تُمَسِّكوا﴾ يكون بمعناه أو على التكثير، وعن الحسن ﴿ولا تَمَسَّكوا﴾ والأصل تتمسكوا حُذِفت التاء لاجتماع التاءين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٥٩]، و﴿عِصَم﴾ جمع عِصمة يقال: أخذت بعصمتها أي بيدها، وهو كناية عن الجماع و﴿الكوافر﴾ جمع كافرة مخصوص به المؤنث. ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ وذلك في المهر ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ قال الزهري: فقال المسلمون رضينا بحكم الله جلّ وعزّ وأبى الكفار أن يرضوا بحكم الله ويُقرّوا أنه من عنده.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ..﴾ [١١]

في معناه قولان: قال الزهري: الكفار ههنا هم الذين كانت بينهم وبين النبي ﷺ الذمّة، وقال مجاهد وقتادة: هم أهل الحرب ممن لا ذمّة له ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ وقرأ حُميدٌ الأعرج وعكرمة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَعَقَّبْتُمْ﴾ هما عند الفراء [معاني القرآن: ٣/ ١٥١، ١٥٢] بمعنى واحد، مثل ﴿ولا تُصاعِرْ﴾ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ [لقمان: ١٨] وحُكي أنَّ في حرف عبد الله ﴿وإن فاتكم أحدٌ من أزواجكم﴾ وإذا كان للناس صَلُحَ فيه أحد وشيء، وإذا كان لغير الناس لم يصلح فيه أحد. وعن مجاهد ﴿فأعقبتُمْ﴾ وكلّه مأخوذ من العاقبة والعُقبى وهو ما يلي الشيء. ﴿فَـَٔاتُوا ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ اختلف العلماء في حكمها، فقال الزهري: يُعطى للذي ذهبت امرأته إلى الكفار الذين لهم ذمة مثل صداقها، ويُؤخذ ممن تزوج امرأة ممن جاءت منهم فتعطاهُ، وقال مسروق ومجاهد وقتادة: بل يُعطى من الغنيمة. قال أبو جعفر: وهذا التأويل على أن تذهب امرأته إلى أهل الحرب ممن لا ذمّة له ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ أي اتقوه فيما أمركم به ونهاكم عنه.

﴿يَا أيُّها النَّبِيُّ إذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ..﴾ [١٢]

في موضع نصب على الحال ﴿عَلَى أنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً﴾ أي على ألا يعبدن معه غيره ولا يتخذنَ من دونه إلهاً، و﴿يشركن﴾ في موضع نصب بأن، ويجوز أن يكون في موضع رفع بمعنى: على أنهن، وكذا ﴿وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أوْلادَهُنَّ وَلا يَأتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أيْدِيهِنَّ وَأرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ وهذا الفعل كلّه مبني، فلذلك كان رفعه ونصبه وجزمه كله واحداً، وروى ابن ابي طلحة عن ابن عباس ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يقول: لا يَنُحْنَ، وقال ابن زيد: لا يعصينك في كل ما تأمرهُنّ به من الخير [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٦٠] ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولا يجوز إدغام الراء في اللام ويجوز الإخفاء، وهو الصحيح عن أبي عمرو، ويتوهّم من سمعَهُ أنه إدغام.

﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ..﴾ [١٣]

قال ابن زيد: هم اليهود [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٦١] ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصْحَابِ القُبُورِ﴾ قد ذكرناه. فمن أحسن ما قيل فيه، وهو معنى قول ابن زيد: قد يئسوا من ثواب الآخرة لأنهم كفروا بالنبي ﷺ وجحدوا صفته، وهي مكتوبة عندهم، وقد وقفوا عليها، كما يئس الكفار الذين قد ماتوا من ثواب الآخرة أيضاً، لأنهم قد كفروا وجحدوا لكفر هؤلاء.

٦١ ـ سورة الصَّف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

شرح إعراب سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ..﴾ [١]

قال أبو جعفر: قوله ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ..﴾.

أي أذعن له وانقاد على ما أراد جلّ وعزّ فهذا داخل فيه كل شيء؛ لأن ﴿ما﴾ عامة في كلام العرب ﴿وَهُوَ العَزِيزُ﴾ في انتقامه ممّن عصاه ﴿الحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

﴿يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ..﴾ [٢]

﴿لم﴾ الأصل لما حذف الألف لاتصال الكلمة بما قبلها وأنه استفهام [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٦٣].

﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ..﴾ [٣]

نصبت ﴿مقتاً﴾ على البيان والفاعل مُضمر في كَبُرَ أي كبر ذلك القول ﴿أنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿أنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء أو على إضمار مبتدأ، والذي يخرج من هذا ألاّ يقول أحدٌ شيئاً إلاّ ما يعتقد أن يفعله، ويقول: إن شاء الله لئلاّ يُخترم دونه.

﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً..﴾ [٤]

والمحبةُ منه جلّ وعزّ قبول العمل والإثابة عليه ﴿صفّاً﴾ في موضع الحال قيل: فدلّ بهذا على أن القتال في سبيل الله جلّ وعزّ والإنسان راجلاً أفضل منه راكباً ﴿كَأنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ أي قد أحكم وأتقن فليس فيه شيء يزيد على شيء، وقيل: مرصوص: مبني بالرصاص.

﴿وَإذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ..﴾ [٥]

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

أي واذكر، ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ نداء مضاف وحذفت الياء؛ لأن النداء موضع حذف ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ والأصل أنني ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ أي مالوا عن الحق ﴿أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ مجازاة على فعلهم، وقيل: أزاغ قلوبهم عن الثواب ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لا يُوفّقُ للصواب من خرج من الإيمان إلى الكفر. روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأبي أمامة أن هؤلاء هم الحرورية.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ..﴾ [٦]

أي واذكر هذا ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ منصوب على الحال، وكذا ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ هذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وابن كثير، وقراءة ابن محيصن وحمزة والكسائي ﴿من بعدِ اسمُهُ أحمد﴾ حذف الياء في الوصل لسكونها وسكون السين بعدها، وهو اختيار أبي عبيد، واحتجّ في حذفها بأنك إذا ابتدأت قلت: اسمُهُ فكسرتَ الهمزة. وهذا من الاحتجاج الذي لا يحصل منه معنى، والقول في هذا عند أهل العربية أن هذه ياء النفس فمن العرب من يفتحها ومنهم من يُسكّنها، قد قرئ بهاتين القراءتين، وليس منهما إلا صواب غير أن الأكثر في ياء نفس إذا كان بعدها ساكن أن تُحرّك لئلا تسقط وإذا كان بعدها متحرك أن تسكّن، ويجوز في كل واحدة منهما ما جاز في الأخرى. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي فلما جاءهم أحمد بالبينات أي بالبراهين والآيات الباهرة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ..﴾ [٧]

أي ومَنْ أشدّ ظلماً ممن قال لمن جاءه بالبينات: هو ساحر، وهذا سحرٌ مبين أي مبين لمن رآه أنه سحر ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ﴾ وهو إذا دعي إلى الإسلام قال: هذا سحر مبين، وقراءة طلحة ﴿وهو يدّعي إلى الإسلام﴾ ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وهم الذين يقولون في البينات هذا سحر مبين.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ..﴾ [٨]

أي بقولهم هذا ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورَهُ﴾ أي مُكمِلُ الإسلام ومعلّيه. هذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم، وقرأ ابن كثير والأعمش وحمزة والكسائي ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ والأصل التنوين والحذف على التخفيف ﴿وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ وحذف المفعول.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت
طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ [٩]

قول أبي هريرة في هذا: إنه يكون إذا نزل المسيح ﷺ وصار الدين كله دين الاسلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [١٠]

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ..﴾ [١١]

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ..﴾ [١٢]

قال قتادة: فلولا أنه بيّن التجارة لطُلِبت قال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ وكان أبو الحسن علي بن سليمان يذهب إلى هذا ويقول ﴿تؤمنون﴾ على عطف البيان الذي يُشبه البدل، وحكي لنا عن محمد بن يزيد أن معنى ﴿تؤمنون﴾ آمنوا على جهة الإلزام. قال أبو العباس: والدليل على ذلك ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ..﴾ جزم لأنه جواب الأمر وعطف عليه ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنهَارُ﴾.

﴿وأخرى..﴾ [١٣]

فأما قول الأخفش سعيد [معاني القرآن: ٢/٧٠٨]: إنّ ﴿وأُخرى..﴾ في موضع خفض على أنه معطوف على تجارة فهو يجوز، وأصحُّ منه قول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٥٤]: إنّ ﴿أُخرى﴾ في موضع رفع بمعنى ولكم أُخرى يدل على ذلك ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ بالرفع ولم يخفضا، وعلى قول الأخفش: الرفع بإضمار مبتدأ ﴿وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ أي بالنصر والفتح. والنصر في اللغة: المعونة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أنصاراً لله..﴾ [١٤]

قراءة أهل المدينة وأبي عمرو، وقرأ الكوفيّون ﴿كونوا أنصارَ اللهِ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٥٥، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٦٥] بالإضافة وهو اختيار أبي عبيد، وحجته في ذلك ﴿قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أنصارُ اللهِ﴾ ولم يقولوا: أنصارٌ لله. وهذه الحجة لا تلزم لأنهما مختلفان لأن

....

الأول كونوا ممن ينصرون الله فمعنى هذا النكرة فيجب أن يكون أنصاراً لله وإن كانت الإضافة فيه تجوز أي كونوا الذين يقال لهم هذا، والثاني معناه المعرفة. ألا ترى أنك إذا قلت: فلانٌ ناصرٌ لله فمعناه ممن يفعل هذا، وإذا عرّفته فمعناه المعروف بهذا، كما قال:

هُوَ الجَوادُ الذي يُعطِيكَ نائِلَهُ   عَفواً ويُظلَمُ أحياناً فيَظَّلِمُ

[ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٥٢]

فأما قول القُتَبي: معنى ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي مع الله فلا يصح ولا يجوز: قمت إلى زيد مع زيد. قال أبو جعفر: وتقديره: مَنْ يضم نصرته إياي إلى نصرة الله إياي ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ قد بيّناه، قال مجاهد: ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ فقوّينا. قال إبراهيم النخعي في معنى ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أيدهُمُ اللهُ بمحمد ﷺ وتصديقه إياهم أن عيسى ﷺ كلمةُ الله.

٦٢ ـ سورة الجُمُعَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ..﴾ [١]

﴿..بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ..﴾ [٢]

يسبح يكون للمستقبل والحال ﴿المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ نعت وفيه معنى المدح، ويجوز النصب في غير القرآن بمعنى أعني، ويجوز الرفع على إضمار مبتدأ، ويجوز على غير إضمار ترفعه بالابتداء و﴿الذي﴾ الخبر، وقد يكون التقدير هو الملك القدوس ويكون ﴿الذي﴾ نعتاً للملك فإذا خفضت كان ﴿هو﴾ مرفوعاً بالابتداء و﴿الذي﴾ خبره، ويجوز أن يكون ﴿هو﴾ مرفوعاً على أنه توكيد لما في الحكيم ويكون ﴿الذي﴾ نعتاً للحكيم ﴿..بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ داخل في الصلة ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ في موضع نصب أي تالياً عليهم نعت لرسول ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾ معنى يزكيهم يدعوهم إلى طاعة الله عزّ وجلّ فإذا أطاعوه فقد تزكّوا وزكاهم ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ويجوز إدغام اللام في اللام.

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ..﴾ [٣]

في موضع خفض [معاني القرآن للفراء: ٣/١٥٥]؛ لأنه عطف على الأميين، ويجوز أن يكون في موضع نصب معطوفاً على ﴿هم﴾ من يُعلِّمُهُم أو على ﴿هم﴾ من يُزَكِّيهم، ويجوز أن يكون معطوفاً على معنى ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياته﴾ أي يُعرِّفُهم بها.

﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. قال ابن زيد: أي لمن يأتي من العرب والعجم إلى يوم القيامة، وقال مجاهد: لمن ردفهم من الناس كلّهم. قال أبو جعفر: هذا أصح ما قيل به لأن الآية عامة، ولمّا هي

ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿لم﴾ زيدت إليها ﴿ما﴾ توكيداً. قال سيبويه [الكتاب: ١/٤٥٨، ٤٥٩]: ﴿لَمَّا﴾ جواب لمن قال: قد فَعَلَ، و﴿لم﴾ جواب لمن قال: فَعَلَ. قال أبو جعفر: إلاّ أن الجازم عند الجميع لم ولذلك حذفت النون ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ومن أسكنَ الهاء قال: الضمة ثقيلة وقد اتصل الكلام بما قبله.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ..﴾ [٤]

أي ذلك الذي أعطيه هؤلاء تفضلٌ من الله جلّ وعزّ يؤتيه من يشاء ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي لا يُذَمُّ في صرف مَنْ صرفه عنه، لأنه لم يمنعه حقاً له قبله ولا ظلمه بمنعه إياه ولكنه علم أنّ غيره أولى به منه فصرفه إليه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ..﴾ [٥]

أي حُمِّلوا القيام بها والانتهاء إلى ما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي لم يفعلوا ذلك ﴿كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾، ﴿يحمل﴾ في موضع نصب على الحال أي حاملاً فإن قيل: فكيف جاز هذا ولا يقال: جاءني غلامُ هند مسرعةً؟ فالجواب أنّ المعنى: مَثَلُهم مَثَلُ الذين حُمِّلوا التوراة، وزعم الكوفيّون أن يحملُ صلة للحمار، لأنه بمنزلة النكرة وهم يسمّون نعت النكرة صلةً ثم نقضوا هذا فقالوا: المعنى كمثل الحمار حاملاً أسفاراً ﴿بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ أي هذا المثل ثم حذف هذا، لأنه قد تقدم ذكره ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المعنى لا يوفقهم ولا يرشدهم إذ كان في علمه أنّهم لا يؤمنون، وقيل: لا يهديهم إلى الثواب.

﴿قُلْ يَا أيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا..﴾ [٦]

يقال: هاد يهود إذا تاب وإذا رَجَعَ ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ أي سواكم ﴿فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي إن كنتم صادقين أنكم أولياء فإنه لا يعذّب أولياءهُ فتمنّوه لتستريحُوا من كُرَبِ الدنيا وَهَمِّها وغَمِّها، وتصيروا إلى رَوحِ الجنة.

﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أبداً..﴾ [٧]

فكان حقاً كما قال جلّ وعزّ وكفّوا عن ذلك ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي من الآثام ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي ذو علم بمن ظلم نفسه فأوبقها وأهلكها بالكفر.

﴿قُلْ إنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ..﴾ [٨]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾

أي تأبون أن تتمنوه ﴿الذي﴾ في موضع نصب نعت للموت ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ خبر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٧١] إن وجاز أن تدخل الفاء، ولا يجوز: إنّ أخاك فمنطلق لأن في الكلام معنى الجزاء، وأجاز الكوفيون [معاني القرآن للفراء: ٣/١٥٥، ١٥٦]: إنّ ضاربَك فظالم؛ لأن في الكلام معنى الجزاء عندهم، وفيه قول آخر ويكون ﴿الذي تفرّون منه﴾ خبر إن الموت هو الذي تفرّون منه ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عطف جملة على جملة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ عطف على تردّون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ..﴾ [٩]

وقرأ الأعمش ﴿الجُمْعَةِ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/١٥٦] بإسكان الميم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٧١] ولغة بني عقيل ﴿من يوم الجُمَعة﴾ بفتح الميم فمن قرأ ﴿الجُمْعَةِ﴾ فله تقديرات منها أن يكون الأصل الجُمُعَة ثم حذف الضمة لثقلها، ويجوز أن تكون هذه لغة بمعنى تلك، وجواب ثالث يكون مسكّناً؛ لأن التجميع فيه فهو يُشبهُ المفعول به كما يقال: رجل هُزأة أي يُهزأ به ولُحنةٌ أي يَلحَنُ، ومن قرأ: ﴿الجُمَعَة﴾ نسب الفعل إليها أي يجمع الناس، كما يقال: رجل لُحَنَة أي يلحَن الناس وقُرأة أي يُقرىءُ الناس ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ﴾ قال قتادة: أي بقلوبكم وأعمالكم أي امضوا ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ ولا يقال في الماضي: وذَر. قال سيبويه [الكتاب: ١/٨، ٢/ ٢٥٦]: استغنوا عنه بِتَرَكَ، وقال غيره: لأن الواو ثقيلة فعدلوا إلى تَرَكَ؛ لأن معناه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي السعي إلى ذكر الله. قال سعيد بن المسيب: وهي الخطبة خير لكم من البيع والشراء. قال الضحّاك: إذا زالت الشمس حرمَ البَيْعُ والشراء، وقال غيره: ظاهر القرآن يدلّ على أن ذلك إذا أذّنَ المؤذّنُ والإمام على المنبر ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما فيه منفعتكم ومضرّتكم.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ..﴾ [١٠]

أي صلاة الجمعة ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي إن شئتم، يدلّ على ذلك ما قبله، وإن أهل التفسير قالوا: هو إباحة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٧٢]، وفي الحديث عن أنس بن مالك مرفوعاً ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ..﴾. قال أبو جعفر: لعيادة مريض أو شهود جنازة أو زيارة أخ في الله. وظاهر الآية يدلّ على إباحة الانتشار في الأرض لطلب رزق في الدنيا أو ثواب في الآخرة ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً﴾ أي لما علّمكم ووفّقكم ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي تدخلون الجنة فتقيمون فيها. والفلاح: البقاء.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا..﴾ [١١]

اختلف العلماء في اللهو هاهنا، فروى سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: كانت المرأة إذا أُنكِحَتْ حُرِّكَتْ لها المزامير، فابتدر الناس إليها، فأنزل الله جلّ وعزّ هذا. وقال مجاهد: اللهو: الطبل. قال أبو جعفر: والقول الأوّل أولى بالصواب؛ لأن جابراً مُشاهِدٌ للتنزيل، ومال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٥٧] إلى القول الثاني لأنهم فيما ذكر كانوا إذا وافت تجارةٌ ضربُوا لها بطبل، فبدر الناس إليها. وكان الفرّاء يعتمد في كتابه في المعاني على الكلْبي، والكلبي متروكُ الحديث.

فأمّا قوله جلّ وعزّ: ﴿انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ ولم يقل: إليهما فتقديره على قول محمد بن يزيد: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها ثم عُطِفَ الثاني على الأول فدخل فيما دخل فيه. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٥٧] أن الاختيار أن يعود الضمير على الثاني، ولو كان كما قال لكان: انفضوا إليه، ولكنه يحتجّ في هذا بأن المقصود التجارة. وهذا كله جائز أن يعود على الأول أو على الثاني أو عليهما. قال جلّ وعزّ: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ١١٢] فعاد الضمير على الثاني، وقال جلّ وعزّ: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥] فعاد عليهما جميعاً.

﴿وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ نصب على الحال أي قائماً تخطبُ ﴿قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ أي ما عنده من الثواب ﴿وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي فإيّاه فاسألوا وإليه فارغبوا أن يُوسِّعَ عليكم.

٦٣ ـ سورة المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ
(١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا
فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)

شرح إعراب سورة المنافقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ..﴾ [١]

﴿إذا﴾ في موضع نصب بجاءك إلاّ أنها غير معربة لتنقُّلها وفي آخرها ألف. والألف لا تُحرَّكُ، وجواب إذا ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ﴾ وكُسرت ﴿إن﴾ لدخول اللام وانقطع الكلام فصارت إنّ مبتدأة فكُسرت ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وأعيدَ اسم الله تعالى ظاهراً؛ لأن ذلك أفخم قيل: أكذَبَهم اللهُ جلّ وعزّ في ضميرهم. ومن أصح ما قيل في ذلك أنهم أخبروا أنّ أنفسهم تعتقد الإيمان وهم كاذبون فأكذبهم الله [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٥٨].

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً..﴾ [٢]

قال الضحّاك: هو حلفهم بالله أنهم لَمِنكُم، وقال قتادة: جُنَّة إنهم يعصِمُونَ به دماءهم وأموالهم، وقرأ الحسن ﴿اتخذوا إيمانَهُمْ﴾ أي تصديقهم سُتْرةً يَستِرُونَ به كما يَستَترُ بالجُنَّةِ في الحرب فامتُنِعَ من قتلهم وسبي ذراريهم لأنهم أظهروا الإيمان ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ يجوز أن يكون المفعول محذوفاً أي صدّوا الناس، ويجوز أن يكون الفعل لازماً اي أعرضوا عن سبيل الله أي دينه الذي ارتضاهُ وشريعته التي بعث بها نبيَّهُ ﷺ ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من حلفهم على الكذب ونفاقهم، و﴿ما﴾ في موضع رفع على قول سيبويه أي ساء الشيء وفي موضع نصب على قول الأخفش أي ساء شيئاً يعملون.

﴿ذَٰلِكَ..﴾ [٣]

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾

في موضع رفع أي ذلك الحلف والنفاق من أجل أنهم ﴿آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ ﴿فَطُبِعَ على قلوبهم﴾، ويجوز إدغام العين في العين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٧٥/٥]، وترك الإدغام أجود لبعد مخرج العين ﴿فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ حقاً من باطل، ولا صواباً من خطأ لغلبة الهوى عليهم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ..﴾ [٤]

وأجاز النحويون جميعاً الجزم بإذا وأنْ تُجعل بمنزلة حروف المجازاة لأنها لا تقع إلاّ على فعل، وهي تحتاج إلى جواب وهكذا حروف المجازاة، وأنشد الفرّاء [معاني القرآن: ١٥٨/٣]:

واستغنِ ما أغناكَ ربُّك بالغِنَى وإذا تصِبْكَ خَصاصَةٌ فتجمَّلِ

وأنشد الآخر:

نـاراً إذا مـا خَبَـت نيـرانهـم تـقـدِ.

والاختيار عند الخليل وسيبويه والفرّاء [معاني القرآن: ١٥٨/٣] أن لا يجزم بإذا لأن مابعدها موقت فخالفت حروف المجازاة في هذا، كما قال:

وإذا تكـونُ شـديـدَةٌ أدعـى لـهـا وإذا يُحَاسُ الحَيسُ يُدعى جُندُبُ

﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لأن منطقهم كمنطق أهل الإيمان ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ أي لا يفهمون ولا عندهم فقهٌ ولا علمٌ، فهم كالخُشُبِ، وهذه قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وعاصم وحمزة، وقرأ أبو عمرو والأعمش والكسائي ﴿خُشْبٌ﴾ بإسكان الشين وإليه يميل أبو عبيد، وزعم أنه لا يعرف فَعَلَةً تُجمع على فُعُل بضم الفاء والعين.

قال أبو جعفر: وهذا غلط وطعن على ما روته الجماعة وليس يخلو ذلك من إحدى جهتين: إمّا أن يكون خُشُبٌ جمع خَشَبَة كقولهم: ثمرةٌ وثُمُرٌ فيكون غير ما قال من جمع فَعَلة على فُعُل، أو يكون كما قال حُذّاق النحويين: خشبةٌ وخِشَابٌ مثل جَفْنة وجِفَان، وخِشاب وخُشُبٌ مثل حمار وحُمُر أيضاً فقد سُمِع اكمَةٌ وأكُمٌ وأكُمٌ واجمَةٌ وأُجُمٌ.

فأما خُشْبٌ فقد يجوز أن يكون الأصل فيه خُشُباً حذفت الضمة لثقلها، ويجوز وهو أجود أن يكون مثل أُسد وأُسْد في المذكر. قال سيبويه [الكتاب: ١٧٧/٢]: ومثل خشَبَة وخُشب بَدَنَة وبُدْنٌ ومثل مُذكَرَة وثُنٌ وَوُثنٌ قال: وهي قراءة، وأحسب من تأوّل على سيبويه، وهي قراءة يعني ﴿كأنّهم خُشُبٌ﴾ لأن قوله: وهي قراءة تضعيف لها ولكنه يريد فيما يقال: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ [النساء: ١١٧] فهذه قراءة شاذة تروى عن ابن عباس.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي لجبنهم وقلة يقينهم وإنهم يبطنون الكفر، كلّما نزل الوحي فزعوا أن يكونوا قد فُضِحُوا ﴿هُمُ العَدُوُّ﴾ لأن ألسنتهم معكم وقلوبهم مع الكفار فهم عين لهم، وعدوّ بمعنى أعداء ﴿فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ أي عاقبهم فأهلكهم فصاروا بمنزلة من قُتِل. ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي من أين يصرفون عن الحق بعد ظهور البراهين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ..﴾ [٥]

هذا على إعمال الفعل الثاني كما تقول: أقبِلْ يكلمكَ زيدٌ، فإن أعملت الأول قلت: أقبِلْ يُكلمكَ إلى زيد، وتعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم ﴿لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ﴾ يكون للقليل ولَوُّوا على التكثير ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ في موضع الحال ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أي مُعرضون عن المصير إلى النبي ﷺ ليستغفر لهم.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ..﴾ [٦]

رفع بالابتداء ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ في موضع الخبر، والمعنى الاستغفار وتركه ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ لأنهم كفار وإنما استغفر لهم النبي ﷺ؛ لأن ظاهرهم الإسلام فمعنى استغفاره لهم: اللّهُمّ اغفر لهم إن كانوا مؤمنين ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ قيل: أي لا يوفّقهم، وقيل: لا يهديهم إلى الثواب والجنة.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا..﴾ [٧]

أي يتفرّقوا. قال قتادة: الذي قال هذا عبد الله بن أُبيّ، قال: لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه وخلّوا عنه. قال أبو الحسن علي بن سليمان: ﴿هم﴾ كناية عنه وعن من قال بقوله. قال أبو جعفر: وهذا أحسن من قول من قال: ﴿هم﴾ كناية عن واحد. ﴿وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي بيده مفاتيح خزائن السّموات والأرض فلا يُعطي أحدٌ أحداً شيئاً إلاّ بإذنه ولا يمنعه إلاّ بمشيئته ﴿وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾ أن ذلك كذا، فلهذا يقولون: لا تنفقوا على مَنْ عِنْد رَسُولِ الله حتى ينفضوا.

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ..﴾ [٨]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠

وحكى الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٦٠] أنه يقرأ ﴿لَنُخرِجَنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ﴾ بالنون، وأن ذلك بمعنى: لنخرجنّ الأعزّ منها ذليلاً، وحكى الفرّاء: لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، بمعنى ذليلاً أيضاً، وأكثر النحويين لا يجيز أن تكون الحال بالألف واللام غير أن يونس أجاز: مررتُ به المسكينَ، وحكى سيبويه [الكتاب: ١/١٩٨]: ادخُلوا الأوّل فالأوّل، وهي أشياء شاذة لا يجوز أن يُحمل القرآن عليها إلاّ إن علي بن سليمان قال: يجوز أن يكون ﴿لَيُخرِجَنَّ﴾ تعمل عمل لتكوننّ، فيكون خبره معرفة، والأعز والعزيز واحد أي القوي الأمين المنيع كما قال:

إذا ابتَدَرَ القومُ السلاحَ وَجَدتَني عزيزاً إذا بَلّتْ بقائِمِهِ يَدي

[ديوان طرفة بن العبد: ٣٩]

ويروى ﴿منيعاً﴾ والمعنى واحد ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي فكذلك قالوا هذا.

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تُلْهِكُمْ أمْوالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ..﴾ [٩]

أي لا توجب لكم اللهو، كأنه من ألهيته فلَهِي، كما قال:

ومِثلِكِ حُبلى قد طَرَقتُ ومُرضِعٍ فألهَيتُها عن ذي تمائِمَ مُحوِلِ

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ أي المغبونون الرحمة والثواب.

﴿وَأنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْناكُمْ..﴾ [١٠]

قيل: دلّ بهذا على أنه لا يقال: رَزَقَهُ الله جلّ وعزّ إلاّ الحلال ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَ أحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أخَّرْتَنِي إلَى أجَلٍ قَرِيبٍ فَأصَّدَّقَ﴾ جواب، ﴿وَأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عطف على موضع الفاء لا على ما بعد الفاء، وقرأ الحسن وابن محيصن وأبو عمرو ﴿وأكونَ﴾ بالنصب عطفاً على ما بعد الفاء، وقد حُكي أن ذلك في قراءة أُبيّ وابن مسعود كذا ﴿وأكونَ﴾ إلاّ أنه مخالفٌ للسواد الذي قامت به الحجة، وقد احتج بعضهم فقال: الواو تحذف من مثل هذا كما يقال: (كَلَمُنَ) فتكتب بغير واو. وحُكي عن محمد بن يزيد معارضة هذا القول بأن الدليل على أنه ليس بصحيح أن كُتّبَ المُصحَف في نظيره على غير ذلك نحو يكون وتكون ونكون كلّها بالواو في موضع الرفع والنصب ولا يجوز غير ذلك، وقال غيره: حكم (كَلَمُنَ) غير هذا لأنه إنما حذف منه الواو لأنهم إنما أرادوا أن يُروا أن صورة الواو متصلة، فلمّا تقدمت في (هَوّز) لم تحتج إلى

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

إعادتها وكذلك لم يكتبوها في قولهم (أبجد)، فأما في الكلام فلا يجوز من هذا شيء، ولا يحتاج إليه لأن العطف على الموضع موجود في كلام العرب كثير. قال سيبويه: لو لم تكن الفاء لكان مجزوماً يعني لأنه جواب الاستفهام الذي فيه معنى التمني، كما قال: أنشد غير سيبويه:

فأبلوني بليتكم لعلي ... أصالحكم وأستدرج نويا

وأنشد سيبويه في العطف على الموضع:

فإن لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ والداً ... ودُون مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ العَوَاذِلُ

[ديوان لبيد بن ربيعة: ٢٥٥]

لأن معنى مِنْ دُونِ عدنان دُونَ عدنان، وأنشد:

مَعَاوِيَ إنّنا بَشَرٌ فأسْجِحْ ... فَلَسْنَا بالجِبَالِ ولا الحَدِيدَا

[الكتاب لسيبويه: ١/ ٣٤، ٣٥٢]

وكذا قوله:

لا أُمَّ لِي إن كَانَ ذَاكَ وَلاَ أَبُ

[معاني القرآن للفراء: ١/ ١٢١]

وكذا قوله:

لا نَسَبَ اليَوْمَ ولا خُلَّةً ... اتَّسَعَ الخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ

[القرطبي في تفسيره: ٣/ ٢٦٧]

على الموضع وإن جئتَ به على اللفظ قلت ولا خُلّةً، ومثله من القرآن ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] على موضع الفاء، وبالرفع على ما بعد الفاء. وأصل فأصّدّقَ فأتصدّقَ أُدغمت التاء في الصاد، وحَسُنَ ذلك؛ لأنهما في كلمة واحدة ولتقاربهما، وروى الضحاك عن ابن عباس ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ وأزكي ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أحُجّ، وقال غيره: أكُنْ من الصالحين: أؤدي الفرائض وأجتنب المحارم، والتقدير: وأكن صالحاً من الصالحين.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا...﴾ [١١]

نصب بـ ﴿لن﴾ عند سيبويه [الكتاب: ١/ ٤٠٧] وعند الخليل الأصل (لا أن) وحُكي عنه: لا ينتصب فِعلٌ إلاّ بأنْ مضمرة أو مُظهرة، ورد سيبويه ذلك بأنه يجوز: زيداً لَنْ أضرِبَ، ولا يجوز: زيداً يُعجبني أن تضرِبَ، لأنه داخل في الصلة فلا يتقدم. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن

....

سليمان يقول: لا يجوز عندي: زيداً لَنْ أضرِبَ؛ لأن ﴿لن﴾ لا تتصرف فلا يتقدم عليها ما كان من سبب ما عملت فيه كما لا يجوز: زيداً إنّ عمراً يَضرِبُ، وكذا ﴿لم﴾ عنده، وحكيتُ هذا لأبي إسحاق فأنكره وقال: لم يقل هذا أحدٌ، وزعم أبو عبيدة أن من العرب من يجزم ﴿بلن﴾ وهذا لا يُعرف. ﴿يُؤخِّر﴾ مهموز لأن أصله من أخّر وتُكتب الهمزة واواً وإن كانت مفتوحة لِعِلّتين: إحداهما أن قبلها ضمّة، والضمة أغلب لقوّتها، والأخرى أنه لا يجوز أن تكتب ألفاً لأن الألف لا يكون قبلها إلاّ مفتوحاً، ومن خفف الهمزة قلبها واواً فقال: يوَخّر، فإن قيل: لِمَ لا تُجعَلُ بين بينَ؟ فالجواب أنها لو جُعِلت بين بينَ نُحِيَ بها نحو الألف فكان ذلك خطأ؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلاّ مفتوحاً ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ على تحقيق الهمزتين، فإن شئت خففتَ، وأبو عمرو يحذف للدلالة لمّا كانت حركتهما واحدة وكانت الهمزة مستقلة.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي ذو خبرة بعملكم، فهو يحصيه عليكم وليجازيكم عليه. وهذا ترتيب الكلام أن يكون الخافض والمخفوض طرفاً لأنهما تبيين، فإن تقدّم من ذلك شيءٌ فهو يُنوى به التأخير، ولهذا أجمع النحويون أنّ لا يجوز: لَبِسْتُ أَلْيَنَهَا مِنَ الثيابِ؛ لأن الخافض والمخفوض متأخّران في موضعهما، فلا يجوز أن ينوى بهما التقديم، وتصحيح المسألة: لَبِسْ مِنَ الثيابِ أَلْيَنَها، فإن قدّرت ﴿ما﴾ بمعنى الذي فالهاء محذوفة أي خبير بما تعملونه. حذفت لطول الاسم، وإن قدّرت ﴿ما﴾ بمعنى المصدر لم تحتجْ إلى حذف أي والله ذو خبرة بعملكم.

٦٤ ـ سورة التغابُن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٤﴾

شرح إعراب سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ..﴾ [١]

[قد] يكون هذا تمام الكلام، وقد يكون متصلاً ويكون له ما في السّمٰوات وما في الأرض، ويكون **﴿لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ﴾** في موضع الحال أي سلطانه وأمره وقضاؤه نافذ فيهما. **﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** أي ذو قدرة على ما يشاء، يخلق ما يشاء ويحيي ويميت، ويعز ويذلّ، لا يُعجِزُهُ شيء لأنه ذو القدرة التامة.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم..﴾ [٢]

إن شئت أدغمت القاف في الكاف **﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾** أي مصدّق مؤمن أنه خالقهُ وإلهُهُ لا إلهَ لَهُ غيرُهُ **﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** أي عالم بأعمالكم فلا تخالفوا أمره ونهيهُ فيسطو بكم.

﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ..﴾ [٣]

أي بالعدل والإنصاف **﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾** وعن أبي رزين **﴿صِوركم﴾** شبّهَ فُعْلَةً بِفِعْلَة كما أنّ فُعْلَة تُشبَّهُ بِفِعْلَة قالوا: كِسْوة وكُسىً ورِشْوة ورُشى ولِحية ولُحىً ولِحىً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٧٩، ١٨٠] أكثر، وقالوا: قُوّة وقُوىً. قال أبو جعفر: وهذا لمجانسة الضمة الكسرة **﴿وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾** أي مصير جميعكم فيجازيكم على أفعالكم.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ [٤]

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾

ويجوز إدغام الميم في الميم، وكذا ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ والمعنى: ويعلم ما تُسِرّونَهُ وما تُعلِنُونَهُ بينكم من قول وفعل ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي عالم بضمائر صدوركم وما تنطوي عليه نفوسكم الذي هو أخفى من السرّ.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ..﴾ [٥]

الأصل يأتيكم حُذفت الياء للجزم، ومن قال: ألم يأتيكَ الأصل عنده يأتيُكَ فحُذفت الضمة للجزم إلاّ أن اللغة الفصيحة الأولى. قال سيبويه: واعلمْ أن الآخر إذا كان يَسكُنُ في الرفع حُذف في الجزم. قال أبو جعفر: وسمعت أبا إسحاق يقول: قرأنا على محمد بن يزيد: واعلم أن الآخر إذا كان يَسكُنُ في الرفع والجر حُذف في الجزم لئلاّ يكون الجزم بمنزلة الرفع والجر ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي مَسّتهم العقوبة بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ..﴾ [٦]

الهاء كناية عن الحديث وما بعده مفسِّرٌ له خبر عن أنّ ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالحجج والبراهين ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ فقال: يهدوننا، ولفظ بشر واحد. تكلّم النحويون في نظير هذا فقال بعضهم: يهدوننا على المعنى ويهدينا على اللفظ، وقال المازني: وذكر عللاً في مسائل في النحو منها أن النحويين أجازوا أن يقال: جاءني ثلاثةُ نَفَر، وثلاثة رَهط، وهما اسمان للجميع ولم يجيزوا: جاءني ثلاثةُ قوم ولا ثلاثةُ بشر، وهما عند بعض النحويين اسمان للجميع فقال المازني: إنما جاز: جاءني ثلاثة نفر وثلاثة رهط لأن نفراً ورهطاً لأقل العدد فوقع في موقعه. وبشَرٌ للعدد الكثير وقوم للقليل والكثير، فلذلك لم يجز فيهما هذا، وخالفه محمد بن يزيد في اعتلاله في بشر ووافقه في غيره فقال: بشَرٌ يكون للواحد والجميع. قال الله جلّ وعزّ: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] قال: فلذلك لم يجز جاءني ثلاثةُ بشر.

﴿فَكَفَرُوا﴾ أي جَحَدُوا أنبياء الله جلّ وعزّ وآياته ﴿وَتَوَلَّوا﴾ أي أدبروا عن الإيمان وَاسْتَغْنَى ﴿اللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن جميع خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ أي محمود عندهم بما يعرفونه من نعمه وتفضله.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا..﴾ [٧]

﴿أَن﴾ وما بعدها تقوم مقام مفعولين، ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ من قبوركم ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي تُخبرون به وتُحاسبون عليه ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي سهل؛ لأنه لا يعجزه شيء.

فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن
يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾
وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى

﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا..﴾ [٨]

أي القرآن [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٨٠] ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ..﴾ [٩]

العامل في يوم لَتُبْعَثُنَّ، والضمير الذي في يجمعكم يعود على اسم الله، ولا يجوز أن يعود على اليوم، لو قلت: جئتُ يومَ يُوافِقُكَ، لم يجز أن يضاف اليوم إلى فعل يعود عليه منه ضمير لعلّة ليس هذا موضع ذكرها. ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ مبتدأ وخبره، ويجوز في غير القرآن نصب يوم على الظرف ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً﴾ معطوف، ويجوز رفع ويعمل على أنه في موضع الحال ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ أي يمحُ عنه سيئاته ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ نصب على الحال ﴿أَبداً﴾ على الظرف ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ مبتدأ وخبره، والفوز: النجاء.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا..﴾ [١٠]

أي بدلالتنا وحججنا وآي كتابنا ﴿والَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء ﴿أُولئكَ﴾ مبتدأ ثان ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ خبر الثاني والجملة خبر الذين ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ على الحال ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ رفع ببئس المصيرُ مصيرُهم إلى النار.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ..﴾ [١١]

﴿ما﴾ هاهنا نفي لا موضع لها من الإعراب ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ وقراءة عكرمة ﴿يَهْدَ قَلْبُهُ﴾ بفتح الدال ورفع قلبه على أن الأصل فيه يُهدَى قلبه أي يَسْكُنُ فأبدل من الهمزة ألفاً ثم حذفها للجزم، كما قال:

سَـرِيـعـاً وإلاَّ يُـبْـدَ بـالـظُّـلْـمِ يَـظْـلِـمِ

﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي بما كان وبما هو كائن.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ..﴾ [١٢]

أي فيما أمركم به ونهاكم عنه و﴿الرَّسُولَ﴾ عطف ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي أدبرتم واستكبرتم عن

ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ
وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

طاعته وعصيتموه ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي أن يبلّغ، والمحاسبة والعقوبة إلى الله جلّ وعزّ.

﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ..﴾ [١٣]

أي لا تصلح الألوهية إلاّ له ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ أمر، والأصل كسر اللام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ..﴾ [١٤]

﴿عدو﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾، وعدو يكون بمعنى أعداء. قيل: أي يأمرونكم بالمعاصي وينهونكم عن الطاعة، وهذا أشدّ العداوة. ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أي أن تقبلوا منهم. ﴿وَإِنْ تَعْفُوا﴾ حذفت النون للجزم ﴿وَتَصْفَحُوا﴾ عطف عليه. وكذا ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ أي إن تعفوا عما سلف منهم، وتصفحوا عن عقوبتهم وتغفروا ذنوبهم من غير ذلك ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي لمن تاب، رحيم أي لا يعذّبه بعد التوبة.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ..﴾ [١٥]

قال قتادة: أي بلاء. روى ابن زيد عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يخطب فرأى الحسن والحسين يعثران فنزل من على المنبر وضمّهما إليه وتلا ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، قال قتادة: ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي الجنة.

﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ..﴾ [١٦]

﴿ما﴾ في موضع نصب أي فاتقوا الله قدر ما استطعتم أي قدر استطاعتكم مثل ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وقول قتادة: إنّ هذه الآية ناسخة لقوله جلّ وعزّ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قول لا يصحّ، ولا يقع الناسخ والمنسوخ إلاّ بالتوقيف أو إقامة الحجة القاطعة، والآيتان متفقتان لأن الله جلّ وعزّ لا يكلّف ما لا يُستطاع. فمعنى: اتقوا الله حق تقاته هو فيما استطعتم ﴿واسمَعُوا﴾ أي ما تؤمرون به ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لأَنفُسِكُمْ﴾ في نصب ﴿خيراً﴾ أربعة أقوال: مذهب سيبويه أن المعنى وآتوا خيراً لأنفسكم، وقيل: المعنى: يكن خيراً لأنفسكم والقول الثالث: إنفاقاً خيراً لأنفسكم، والقول الرابع أن تنصب خيراً بأنفقوا، ويكون الخير المال ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٦٠] أنه قرئ ﴿ومن يوقَ شِحَّ نفسهِ﴾ بكسر الشين، وهي شاذة ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ أي الذين ظفروا بما طلبوا.

إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً..﴾ [١٧]

أي بإنفاقكم في سبيله ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ مجازاة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ عطف، ويجوز رفعه بقطعه من الأول ونصبه على الصرف ﴿وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي يشكر من أنفق في سبيله، ومعنى شُكرِهِ إياه إثابته له وقبوله عملَه ﴿حليم﴾ في ترك العقوبة في الدنيا.

﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الحَكِيمُ..﴾ [١٨]

يجوز أن يكون ﴿العزيز الحكيم﴾ هو نعت اسم الله جلّ وعزّ، ويكون عالم الغيب خبراً ثانياً أو نعتاً إن كان بمعنى المُضيّ؛ لأنه يكون معرفة، ويجوز أن يكون كلّه بدلاً؛ لأن المعرفة تُبدلُ من النكرة.

٦٥ ـ سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾

شرح إعراب سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ..﴾ [١]

نعت لأيّ فإن هَمَزتهُ فهو مشتقّ من أنبأ أي أخبر، وإن لم تهمز جاز أن يكون من أنبأ وخفّفت الهمزة، وفيه شيء لطيف من العربية وذلك أن سبيل الهمزة إذا خُفّفت وقبلها ساكن أن تُلقى حركتها على ما قبلها، ولا يجوز ذلك هاهنا. والعلّة فيه أن هذه الياء لا تتحرك بحال، فلمّا لم يجز تحريكها قيل: نَبِيّ وخَطيّةٌ ولو كان على القياس لقيل: خَطِيَة، وإنْ جَعَلتَهُ من نبا ينبو لم يهمز، وكانت الياء الأخيرة منقلبة من واو. ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي إذا أردتم ذلك وهو مجاز. فأما القول في ﴿إِذَا طَلَّقْتُمْ﴾ وقبله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ فقد ذكرنا فيه أقوالاً، وقد قيل: هو مخاطبة للنبي ﷺ بمخاطبة الجميع على الإجلال له كما يقال للرجل الجليل: أنتم فعلتم، والمعنى: إذا طلقتم النساء اللاتي دخلتم بهنّ ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فبيّن الله جلّ وعزّ هذا على لسان نبيّه ﷺ بأنه الطلاق في الطهر الذي لم يجامعها فيه.

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ قال السدي: أي احفظوها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي لا تتجاوزوا ما أمركم به ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ ثم استثنى ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾، ﴿أَنْ﴾ في موضع نصب واختلف العلماء في هذه الفاحشة ما هي؟ فمِنْ أجمع ما قيل في ذلك أنها معصية الله جلّ وعزّ، فهذا يدخل فيه كل قول؛ لأنها إن زنت أو سرقت فأخرجت لإقامة الحدّ فهو داخل في هذا، وكذلك إن بذُؤتْ أو نشَزَتْ.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي الأشياء التي حدّها من الطّلاقِ والعِدّةِ وألاّ تخرج الزوجة ﴿وَمَن

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ
ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

﴿يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ﴾ حذفت الألف للجزم ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ قيل: أي منعها مما كان أُبيح له؛ لأنه إذا طلّقها ثلاثاً على أي حال كان لم يحلّ له أن يرتجعها حتى تنكح زوجاً غيره فقد ظلم نفسه بهذا الفعل ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أمراً﴾ أكثر أهل التفسير على أن المعنى أنه إذا طلّقها واحدة كان أصلح له ﴿لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أمراً﴾ من محبته لها.

﴿فَإذا بَلَغْنَ أجلَهُنَّ..﴾ [٢]

أي قاربن ذلك ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي بما يجب لهنّ عليكم من النفقة وترك البذاء وغير ذلك ﴿أوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بدفع صداقهنّ إليهن وما يجب لهن ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أكثر أهل التفسير على أن هذا في الرجعة، وعن ابن عباس: يشهد على الطلاق والرجعة إلاّ أنه إن لم يشهد لم يكن عليه شيء ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِ﴾ أي اشهدوا بالحق إذا شهدتم وإذا أديتم الشهادة كما قال السدّي: ذلك في الحق. ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ﴿ذلكم﴾ مخاطبة لجميع وإخبار عن واحد؛ لأن آخر الكلام لمن تخاطبه وأوله لمن تُخبِرُ عنه أو تسـال.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ أهل التفسير على أن المعنى أنه إن اتقى الله جلّ وعزّ وطلّقَ واحدةً فله مخرج إن أراد أن يتزوّج تزوّج، وإن لم يَتّقِ الله جلّ وعزّ وطلّق ثلاثاً فلا مخرجَ له. وهذا قول صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس بالأسانيد التي لا تُدفَعُ. روى ابن عُلَيّة عن أيوب عن عبد الله بن كثير عن مجاهد، قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال: يا بن عباس إني طلّقتُ امرأتي ثلاثاً فأطرق ابن عباس مليّاً ثم رفع رأسه إلى الرجل فقال: يأتي أحدُكُمُ الحُمُوقَةَ ثم يقول: يا بن عباس طَلّقتُ ثلاثاً فَحرمت عليك حتى تنكحَ زوجاً غيرك، ولم يجعل الله لك مخرجاً، ولو اتقيته لجعل لكم مخرجاً ثم تلا ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ وقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي لا تدفع صحته أنه قال رضي الله عنه في الحرام: إنه ثلاث لا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ..﴾ [٣]

قال قتادة: من حيث لا يرجو ولا يأمل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه، وأحسبني الشيء إذا كفاني، وهذا تمام الكلام، ثم قال: ﴿إنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ قال مسروق: أي بالغٌ أمره توكّلَ عليه أم لم يتوكّل أي مُنفذ قضاؤه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٨٤]. قال هارون

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن

القاري: في رواية عصمة يقرأ ﴿إن الله بالغٌ أمرِهِ﴾ وهذا على حذف التنوين تخفيفاً، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٦٣] ﴿إن اللهَ بالغٌ أمرُهُ﴾ بالرفع بفعله بالغ، ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره في موضع خبر ﴿إنّ﴾. ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ أي للطلاق والعِدّةِ مُنتهىً ينتهي إليه.

﴿وَاللائي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِن نِسَائِكُم..﴾ [٤]

﴿اللائي﴾ في موضع رفع بالابتداء فمن جعل إن ارتبتُم متعلقاً بقوله ﴿لا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ فخبر الابتداء عنده ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أشهُرٍ﴾ ومن جعل التقدير على ما روي أن أُبيّ بن كعب قال: يا رسول الله الصغار والكبار اللائي يئسن من المحيض وَأُولاتُ الأحمالِ لم يذكر عدّتهن في القرآن، فأنزل الله جلّ وعزّ ﴿وَاللائي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ الآية قال: خبر الابتداء ﴿إنْ ارْتَبْتُمْ﴾ وما بعده، ويكون المعنى: إن لم تعلموا وارتبتم في عدّتهن فحكمهن هذا. وأما قول عكرمة في معنى ﴿إنْ ارْتَبْتُمْ﴾ أنّه إن ارتبتم في الدم فلم تدروا أهُو دم حيض أم استحاضة؟ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أشهُرٍ﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٨٥] يقول: قد رُدّ من غير جهة، وذلك أنه لو كان الارتياب بالدم لقيل: إن ارتبتنّ؛ لأن الارتياب بالدم للنساء، وايضاً فإن اليأس في العربية انقطاع الرجاء، والارتياب وجود الرجاء فمحال أن يجتمعا ﴿وَاللائي لَمْ يَحِضْنَ﴾ معطوف على الأول وتم الكلام ثم قال: ﴿وَأُولاتُ الأحمَالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

قال أبو جعفر: في هذا قولان: أحدهما أنه لكل حامل مطلقة مدخول بها أو متوفى عنها زوجها إذا ولدت فقد حلّت، وهذا قول أُبيّ بن كعب وابن مسعود، والقول الثاني أنّ هذا للمطلقات فقط، وأنّ المتوفى عنها زوجها إذا ولدت قبل انقضاء الأربعة الأشهر والعشرِ لم تَحِلّ حتى تنقضي أربعةُ أشهر وعشرٌ، وكذا إن انقضت أربعةُ أشهر ولم تلد لن تَحِلّ حتى تَلِدَ. وهذا قول علي وابن عباس رضي الله عنهما، والقول الأول أولى بظاهر الكلام؛ لأنه قال جلّ وعزّ: ﴿وَأُولاتُ الأحمَالِ﴾ على العموم فلا يقع خصوص إلا بتوقيف من الرسول ﷺ ﴿أولاتُ الأحمالِ﴾ رُفع بالابتداء ﴿أجلُهنّ﴾ مبتدأ ثان ﴿أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ خبر الثاني والجملة خبر الأول، ويجوز أن يكون ﴿أجلهن﴾ بدلاً من ﴿أولات﴾ والخبر ﴿أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أمْرِهِ يُسْراً﴾ أهل التفسير على أن المعنى من يَتّقِ الله إذا أراد الطلاق فطلّق واحدةً كما حُدّ له ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أمْرِهِ يُسْراً﴾ بأن يحلّ له التزوّج لا كمن طلّق ثلاثاً.

﴿ذلك..﴾ [٥]

أي ذلك المذكور من أمرِ الطلاق والحيض والعدد ﴿أمْرُ اللهِ أنزَلَهُ إلَيْكُمْ﴾ لتأتمروا به

كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ﴾ أي يَخفْهُ بأداء فرائضه واجتناب محارمه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ أي يَمحُ عنه ذنوبه ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ أي يجزل له الثواب. قال أبو جعفر: ولا نعلم أحداً قرأ إلاّ هكذا على خلاف قول: عَظَّم الله أجرَكَ.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ..﴾ [٦]

قيل: هذا الضمير يعود على النساء جمع المدخول بهنّ، وقيل: على المطلّقات أقل من ثلاث وإن المطلقات ثلاثاً لا سكنى لهنّ ولا نفقة. وبذلك صحّ الحديث عن النبي ﷺ الذي رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن فاطمة بنت قيس عن النبي ﷺ، ويُستدلّ على ذلك أيضاً بقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ أولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فخُصّ الحوامل وحدهنّ، وأيضاً فإنهن إذا طُلّقنَ ثلاثاً فهنّ أجنبياتٌ ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ شرط ومجازاة ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ قال سفيان: أي ليحث بعضُكُم بعضاً ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ قال السُّدي: أي إن قالت المطلّقة: لا أُرضعُهُ، لم تكره، قال تعالى: ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ..﴾ [٧]

جاءت لام الأمر مكسورة على بابها وسُكّنت في ﴿فَلْيُنْفِقْ﴾ لاتصالها بالفاء؛ ويجوز كسرها أيضاً فأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٦٤] ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلِيُنْفِقْ مما آتاهُ اللهُ﴾ أي على قدر ما رزقه الله من التضييق وقد روي عن ابن عباس: ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللهُ﴾ إن كان له ما يبيعه من متاع البيت باعه وأنفقه. ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ مَا آتاهَا﴾ قال السدي: لا يكلّف الله الفقير نفقة الغني، وقال ابن زيد: لا يكلّف الفقير أن يزكّي ويصدّق ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ أي إمّا في الدنيا وإما في الآخرة ليَرغَبَ المؤمنون في فعلِ الخير.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا..﴾ [٨]

﴿أيّ﴾ مخفوض بالكاف، وصارت كأيّ بمعنى كم للتكثير، والمعنى: وكم من أهل قرية عتوا عن أمر ربهم ثم أقيمَ المضاف إليه مقام المضاف. وقال ابن زيد: عتوا هاهنا عَصَوا وكفروا. والعتوّ في اللغة التجاوز في المخالفة والعصيان. وقد روى عمرو بن أبي سلمة عن عمر بن سليمان في قوله جلّ وعزّ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ الآية، قال: هؤلاء قوم عُذّبوا في الطلاق.

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾

﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾ أي بالنعم والشكر ﴿حِسَاباً﴾ مصدر ﴿شَدِيداً﴾ من نعته. قال ابن زيد: الحساب الشديد: الذي ليس فيه من العفو شيء ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾ أي ليس بمعتاد. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٦٤] : فيه للتقديم والتأخير أي عذبناها عذاباً نُكراً في الدنيا، وحاسبناها حِساباً شديداً في الآخرة.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا..﴾ [٩]

قال السدي: أي عقوبة أمرها [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٨٧] . وأمرُها الكُفرُ والعِصيانُ ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾ أي غُبناً؛ لأنهم باعوا نعيم الآخرة بحظ خَسِيس من الدنيا باتباع أهوائهم.

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً..﴾ [١٠]

وهو عذاب النار ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ نداء مضاف و﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في موضع نصب على النعت لأولي الألباب. ﴿قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾ قال السدي: الذكر: القرآن، والرسول: محمد ﷺ. والتقدير في العربية على هذا: ذكراً ذا رسول ثم حُذف مثل ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، ويجوز أن يكون رسول بمعنى رسالة مثل ﴿أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩] فيكون رسولاً بدلاً من ذكر، ويجوز أن يكون التقدير: أرسلنا رسولاً فدلّ على المضمر ما تقدم من الكلام، ويجوز في غير القرآن رفع رسول، لأن قوله: ﴿ذِكراً﴾ رأس آية، والاستئناف بعد مثل هذا أحسن، كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة: ١٧، ١٨]، وكذا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] فلمّا كملت الآية قال جلّ وعزّ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وكذا ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٥ ـ ١٦].

﴿.. رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ..﴾ [١١]

نعت لرسول ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي من الكفر إلى الإيمان ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ﴾ جزم بالشرط ﴿وَيَعْمَلْ﴾ عطف عليه، ويجوز رفعه على أن يكون في موضع الحال ﴿صَالِحاً﴾ أي بطاعة الله جلّ وعزّ ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ مجازاة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ على الحال ﴿أَبَداً﴾ ظرف زمان ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً﴾ أي وسّع عليه في المطعم والمشرب.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ..﴾ [١٢]

يكون اسم الله تعالى بدلاً على إضمار مبتدأ و﴿الذي﴾ نعت، ويجوز أن يكون ﴿الله خلق سبع سموات﴾ مبتدأ وخبره ﴿وَمِنَ الأرضِ مِثْلَهُنَّ﴾ عطف، وحكى أبو حاتم أن عاصماً قرأ ﴿ومن الأرضِ مِثْلُهُنَّ﴾ قَطَعَهُ من الأول ورفع بالابتداء. ﴿يَتَنَزَّلُ الأمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ قيل: الضمير يعود على السّمٰوات. والأكثر في كلام العرب أنّ ما كان بالهاء والنون فهو للعدد القليل، فعلى هذا يكون الضمير يعود على السّمٰوات، وعلى قول مجاهد يعود على السموات والأرض. ﴿لِتَعْلَمُوا أنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تكون لام كي متعلقة بِيتنزّل ويجوز أن تكون متعلقة بخلق أي خلق السّمٰوات والأرض لتعلموا كُنْه قدرتِهِ وسلطانِهِ، وأنّه لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه. ﴿وأنَّ اللهَ قَدْ احَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ أي ولتعلموا مع علمكم بقدرته أنه يعلم جميع ما يفعله خلقُهُ، فاحذروا أيها المخالِفون أمره وسطوته لقدرته عليكم، وأنه عالم بما تفعلون، وجاز إظهار الاسم ولم يقل: وأنه وقال: وأنّ الله أفخم، وعلى هذا يُتأوّل قول الشاعر:

لا أرى المَوتَ يَسبِقُ الموتَ شيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغنى والفقيرا

[القرطبي في تفسيره: ٤/٦٢]

٦٦ ـ سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ①﴾

شرح إعراب سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أحَلَّ اللهُ لَكَ..﴾ [١]

هذه ﴿ما﴾ دخلت عليها اللام فحذفت الألف فرقاً بين الاستفهام والخبر وأنها قد اتصلت باللام. والوقوف عليها في غير القرآن: لمه، ويُؤتى بالهاء لبيان الحركة وفي القرآن لا يوقف عليها.

واختلفوا في الذي حرّمه رسول الله ﷺ، فروى مالك بن أنس عن زيد بن أسلم قال: حرّم رسول الله ﷺ أمّ إبراهيم، وقال: والله لا أمَسُّكِ. قال أبو جعفر: فعلى هذا القول إنما وقعت الكفّارة لليمين لا لقوله: أنتِ عليَّ حرام، وكذا قال مسروق والشعبي، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: من قال في شيء حلال: هو عليَّ حرام فعليه كفارة يمين، وكذا قال قتادة، وقال مسروق: إذا قال لامرأته: أنتِ عليَّ حرام فلا شيء عليه من الكفارة ولا الطلاق؛ لأنه كاذب في هذا، وقيل: عليه كفّارة يمين، وتأول صاحب هذا القول الآية، وقيل: هي طالقٌ ثلاثاً، إذا كانت مدخولاً بها، وواحدة إذا لم يدخل بها، وقيل: هي واحدة بائنة، وقيل: هي واحدة غير بائنة.

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها في هذه الآية أنّ رسول الله ﷺ إنما كان حرّم على نفسه عَسلا. وروى داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: حرم رسول الله ﷺ وآلى فعُوتِبَ في التحريم وعاتب في الايلاء. قال أبو جعفر: ولا يُعرف في لغة من اللغات أن يقال فيمن جَعل الحلال حراماً: حالف.

﴿تَبْتَغِي﴾ في موضع نصب على الحال ﴿مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ﴾ هذه تاء التأنيث ولو كانت تاء جمع لكسرت ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ أي لخلقه وقد غفر لك ﴿رَحِيمٌ﴾ لا يعذب من تاب.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٢ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾

﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ..﴾ [٢]

أي بيَّنها ﴿وَاللهُ مَوْلاكُمْ﴾ مبتدأ وخبره أي يتولاكم بنصره ﴿وَهُوَ العَلِيمُ﴾ بمصالح عباده ﴿الحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ..﴾ [٣]

﴿فلما نبأت به﴾ وحذف المفعول أي نَبَّأتْ به صاحبتَها، وهما عائشة وحفصة لا اختلاف في ذلك، واختلفوا في الذي أسرّه إليها، فقيل: هو الذي خبّرها به من شربه العسل عند بعض أزواجه، وقيل: هو ما كان بينه وبين أم إبراهيم، وقيل: هو إخباره إياها بأن أبا بكر الخليفة بعده؛ وقد ذكرناه بإسناده. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وحذفَ المفعول أيضاً عرّفها بعضه فقال: قد عرفتُ كذا بالوحي ﴿وأعرض عن بعض﴾ وحذفَ المفعول أيضاً فلم يذكره تكرّماً واستحياء، وقراءة الكسائي ﴿عَرَفَ بعضَهُ﴾، وردّها أبو عبيد ردّاً شنيعاً، قال: لو كان كذا لكان عرف بعضه وأنكر بعضاً. قال أبو جعفر: وهذا الردّ لا يلزم، والقراءة معروفة عن جماعة منهم أبو عبد الرحمن السُّلمي، وقد بيّنا صحتها. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ نبّأ وأنبأ بمعنى واحد فجاء باللغتين جميعاً وبعده ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ﴾.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا..﴾ [٤]

أي مالت إلى محبة ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم من تحريم ما أحل له ﴿وَإِنْ تَظَّاهَرَا عَلَيْهِ﴾ والأصل تتظاهرا أُدغمت التاء في الظاء، وقرأ الكوفيون ﴿تظاهرا﴾ بحذف التاء، ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ﴾ أي وليّه بالنصرة ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ﴾ واختلفوا في صالح، فمن أصحّ ما قيل فيه: أنه لكل صالح من المؤمنين، ولا يُخَصُّ به واحدٌ إلاّ بتوقيف، وقد روي أنه يراد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو كان الداخل في هذه القصة المتكلّم فيها، ونزل القرآن ببعض ما قاله في هذه القصة، وقيل: هو أبو بكر وعمر رضي الله عنهما [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٩٣]، وقيل: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد ذكرنا ذلك بإسناده. ومذهب الفرّاء القول الذي بدأنا به قبله واحد يدلّ على جميع، وكذا ﴿وَالمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ يكون ظهير يؤدّي عن الجمع، وقد ذكرنا فيه غير هذا.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَهُ أزواجاً خيراً مِنكُنّ﴾ [٥]

﴿إن﴾ في موضع نصب بعسى، والشرط معترض، وقراءة الكوفيين ﴿أن يُبْدِلَهُ أزواجاً خيراً منكُنَّ﴾ وقيل: خيراً منكن لأنهنّ لو دُمْنَ على الذي كان حتى يحوجنه إلى طلاقهنّ لأبدِلَ خيراً منهنّ ﴿مُسْلِمَات مُؤمِنَات قَانِتَات تَائِبَات عَابِدَات سَائِحَات ثَيِّبَات﴾ كلّه نعت لأزواج، والواحدة زوج ولغة شاذة زوجة ﴿وَأبْكَاراً﴾ عطف داخل في النعت أيضاً.

﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أنفُسَكُمْ وَأهْلِيكُمْ نَاراً..﴾ [٦]

الفعل من هذا وَقَى يقِي عند جميع النحويين، والأصل عندهم: وقى يَوْقي ثم اختلفوا في العلّة لحذف الواو، فقال البصريّون: حُذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وهي ساكنة ولم تحذف في يوجَلُ، لأن بعدها فتحة والفتحة لا تستثقل، وقال الكوفيون: حُذِفت الواو للفعل المتعدي وأُثبِتَتْ في اللازم فرقاً، فقالوا في المتعدّي: وَعَدَ يَعِدُ وفي اللازم: وَجِلَ يَوْجَلُ، وعارضوا البصريين بقول العرب: وَسِعَ يَسَعُ فحُذِفت الواو بعدها فتحة وكذا: وَلَغَ يَلَغُ، والاحتجاج للبصريين أن الأصل وَسِعَ يُوسِعُ وحُذِفت الواو لِما تقدّم وفُتِحت السين؛ لأن فيه حرفاً من حروف الحلق، وقال الكوفيون: حُذِفت الواو لأنه فعل متعدٍّ، وردّ عليهم البصريون بقول العرب: وَرِمَ يَرِمُ فهذا لازم قد حُذفت منه الواو، وكذا يَئِنّ فقد انكسر قولهم إنه إنما يُحذَف من المتعدي.

قال أبو جعفر: وهذا ردٌّ بيّن ولو جاء ﴿قُوا﴾ على الأصل لكان ايقُوا. ﴿أنفسكُمْ﴾ منصوب بـ ﴿قُوا﴾، كما يقال: أكرِم نفسَكَ ولا يجوز أكرِمْكَ فقول سيبويه: لأنهم استغنوا عنه بقولهم أكرِم نفسَكَ، وقال محمد بن يزيد: لم يجز هذا؛ لأنه لا يكون الشيء فاعلا مفعولا في حال. فأما الكوفيّون فخلطوا في هذه، فمرة يقولون: لا يجوز كما يقول البصريون، ومرة يحكون عن العرب إجازته، حكوا: عَدِمتُني، ولا يجيز البصريون من هذا شيئاً. ﴿وأهليكُم﴾ في موضع نصب معطوف على أنفسكم.

ومن مسائل الفرّاء في ﴿وأهليكم﴾ لِمَ صار ساكناً وهو في موضع النصب؟ فالجواب أن الياء علامة النصب كقولك: رأيت الزيدينِ وحُذِفت النون للاضافة، وحكى الفرّاء أن من العرب من يقول: أهلَةٌ في المؤنث. ﴿ناراً﴾ مفعول ثان ﴿وَقُودُها النّاسُ﴾ مبتدأ وخبره في موضع نصب نعت للنار ﴿وَالحِجَارَةُ﴾ عطف على الناس. ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ﴾ أي غلاظ على

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ
نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ
ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ
ٱلۡمَصِيرُ ۝٩

العصاة، أشداء عليهم، وقيل: ﴿شداد﴾ أقوياء ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ مفعولان على حذف الحرف أي فيما أمرهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وحُذِف المضمر الذي يعود على ﴿ما﴾ وإن جعلتها مصدراً لم تحتج إلى عائد.

﴿يا أيها الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا اليَوْمَ..﴾ [٧]

حُذِفت النون للجزم بالنهي ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في ﴿إنما﴾ معنى التحقيق والإيجاب.

﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً..﴾ [٨]

﴿توبة﴾ مصدر ﴿نَصُوحاً﴾ من نعته أي تنصحون لأنفسكم فيها ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ وأجاز الفراء [معاني القرآن: ١٦٨/٣] ﴿وَيُدْخِلْكُمْ﴾ على الموضع بالجزم لأن عسى في موضع جزم في المعنى لأنها جواب الأمر، وقدّره بمعنى فعسى وعطف ﴿ويدخلكم﴾ على موضع الفاء. قال أبو جعفر: وهذا تعسّف شديد.

﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، ﴿الذين﴾ في موضع نصب على العطف، ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قيل: هذا التمام، والمعنى ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يعطون كتبَهم، وقد رُوي معنى هذا عن ابن عباس. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ ظهر التضعيف لمّا سكن الثاني ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ولا يجوز إدغام الراء في اللام لما فيها من التكرير. ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ خبر ﴿إنّ﴾ و﴿كل﴾ مخفوض، حقه أن يكون في آخر الكلام لأنه تبيين.

﴿يا أيها النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ..﴾ [٩]

قيل: مجاهدة المنافقين باللسان والانقباض وأنه كذا يجب أن يستعمل مع أهل المعاصي إذا لم يُوصَل إلى منعهم منها؛ لأن الانبساط إليهم يُجرِّئهم على إظهارها فأمَرَ الله جلّ وعزّ بمجاهدتهم بهذا، وأصل المجاهدة في اللغة بلوغ الجهد في رضوان الله جلّ وعزّ. ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي هي منزلهم ومسكنهم ﴿وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ أي بئس الذي يصلون إليه النار.

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ..﴾ [١٠]

مفعولان ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ فكانت الفائدة في هذا أنه لا ينفع أحداً إيمانُ أحد ولا طاعة أحد بنسب ولا غيره إذا كان عاصياً الله جلّ وعزّ كما قال رسول الله ﷺ لعمّته صفية: «إني لا أغني عنكم من الله شيئاً» [دي: ٢/ ٣٠٥] وكذا قال لفاطمة رضي الله عنها. ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ ولم يقل: مع الداخلات؛ لأن المعنى مع القوم الداخلين.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ..﴾ [١١]

فلم يضرّها كفر فرعون شيئاً، والأصل ﴿رَبِّي﴾ حُذِفت الياء لأن النداء موضع حذف وإثباتها وحذفها جائز.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ..﴾ [١٢]

عطف أي وضرب الله للذين آمنوا مثلا مريم ﴿ابْنَةَ﴾ من نعتها، وإن شئت على البدل. يقال: ابنةٌ وبنتٌ. ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ الهاء تعود على الفرج. قال أبو جعفر: قد ذكرنا في معناه قولين: أحدهما أنه جيبها، والآخر أنه الفرج بعينه. والحجة لمن قال: أنه الفرج بعينه (استعمال العرب) أحصَنَتْ فَرْجَها على هذا النعت. والحجة لمن قال: هو جيبها أن معنى ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ منعت جيبها حتى ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، و﴿من روحنا﴾ فيه قولان: أحدهما من الروح الذي لنا والذي نملكه، كما يقال: بيت الله، والآخر من روحنا من جبرائيل ﷺ. قال جلّ ثناؤه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾ مَنْ وحّدهُ قال: لأنه مصدر، ومن جَمَعَهُ جعله على اختلاف الأجناس وَكَانَتْ ﴿مِنَ القَانِتِينَ﴾ أي من القوم القانتين، أقيمت الصفة مقام الموصوف.

٦٧ ـ سورة المُلك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة الملك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ..﴾ [١]

أي يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء ودلّ على هذا الحذف ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ..﴾ [٢]

في موضع رفع على البدل من الذي الأول أو على إضمار مبتدأ، ويجوز النصب بمعنى أعني ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ﴿أَيّ﴾ مرفوع بالابتداء، وهو اسم تام و﴿أَحْسَنُ﴾ خبره، والتقدير: ليبلوكم فينظر أيكم أحسن عملا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿.. خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ..﴾ [٣]

فيه مثل الذي في الأول، ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون نعتاً للعزيز ﴿طِبَاقاً﴾ نعت لسبع، ويكون جمع طبقة مثل رَحَبَة ورحاب أو جمع طَبَق مثل جَمَل وجِمَال، ويجوز أن يكون مصدراً. ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم، وقراءة يحيى والأعمش وحمزة والكسائي ﴿مِن تَفَوُّتٍ﴾ وهو اختيار أبي عُبيد. ومن أحسن ما قيل فيه قول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٧٠]: إنهما لغتان بمعنى واحد، ولو جاز أن يقال في هذا اختيار لكان الأول أولى لأنه المشهور في الله أن يقال: تَفاوت الأمر مثل تَبايَنَ أي خالف بعضه بعضاً؛ فَخلقُ الله جلّ وعزّ غير متباين ولا متفاوت؛ لأنه كلّه دالّ على حكمة لا على عبث، وعلى بارئ له ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ وليس قبله ﴿فانظر﴾ ولكنّ قبله ما يدلّ عليه وهو ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾. ﴿هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ في موضع نصب.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

﴿ثُمَّ ارجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ..﴾ [٤]

بمعنى المصدر أو الظرف ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ﴾ جواب الأمر ﴿خَاسِئاً﴾ نصب على الحال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٩٨] ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ مبتدأ وخبره في موضع نصب على الحال.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنيا بِمَصَابِيحَ..﴾ [٥]

على لغة من قال: مصباح ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾ يكون ﴿رجوماً﴾ مصدر يَرجُمُ، ويجوز أن يكون جمع راجم على قول من قال: النجوم هي التي يُرجَم بها، والقول الآخر على قول من قال: إنّ النجوم لا تزولُ من مكانها وإنما يُرجَمُ بالشهب ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي مع ذلك.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ..﴾ [٦]

رفع بالابتداء، وحكى هارون عن أسيد أنه قرأ ﴿وللذين كفروا بربهم عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ عطفه على الأول. ﴿وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ رفع ببئس.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً..﴾ [٧]

أي صوتاً مثل الشهيق

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ..﴾ [٨]

الأصل تتميز. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٧٠]: أي تَقطّعُ. ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ نصب على الظرف بمعنى إذا. ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي قالوا لهم.

﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِن شَيْءٍ..﴾ [٩]

﴿نذير﴾ بمعنى منذر ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ ﴿إن﴾ بمعنى ما.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ..﴾ [١٠]

فيه قولان: أحدهما لو كنا نقبل كما يقال: سَمِعَ الله لمن حَمِدَهُ أي قبل ﴿أو نعقل﴾ أو نفكّر ونتبيّن، والقول الآخر أنهم إذا سمعوا لم ينتفعوا بما سمعوا فهم بمنزلة الصُمّ.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ..﴾ [١١]

ولم يقل: بذنوبهم؛ لأنه مصدر يؤدّي عن الجنس ﴿فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن
رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ..﴾ [١٢]

من أحسن ما قيل فيه أن المعنى: إنّ الذين يخشون ربهم إذا غابوا عن أعين الناس لأنه الوقت الذي تكثر فيه المعاصي فإذا خشوا ربّهم جلّ وعزّ عند غيبة الناس عنهم فاجتنبوا المعاصي كانوا بحضرة الناس أكثر اجتناباً ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ..﴾ [١٣]

كُسرت الواو لالتقاء الساكنين واختير لها الكسر لأنها أصلية. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بحقيقتها.

﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ..﴾ [١٤]

قال أبو جعفر: ربّما توهم الضعيف في العربية أنّ ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب ولو كان موضعها نصباً لكان: ألا يعلم ما خلق؟ لأنه راجع إلى ﴿ذات الصدور﴾ وإنما التقدير ألا يعلمُ مَنْ خَلَقَها سِرَّها وعلانيتها؟ ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلولاً﴾ [١٥]

وكذلك ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً﴾.

أي سهلة تمشون عليها. يقال: ذَلول: بيّنة الذل، وذليلٌ: بيّنُ الذُّلِ ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جمع منكب وهو الناحية ﴿وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ﴾ حُذِف منه، ولو كان على قياس نظائرِهِ لقيل: أُوكُلوا كما تقول: أُوجَروا ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ رُفع بالابتداء.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ..﴾ [١٦]

وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٧١] أن لغة بني تميم أن يزيدوا ألفاً بين الألفين. قال أبو جعفر: يعني يزيدون ألفاً لئلاّ يجمعوا بين همزتين فيقولون: آأمنتم مَن في السماء ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ في موضع نصب على أنها مفعولة ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ في موضع رفع، ويجوز النصب أي فإذا هي مائرة.

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً..﴾ [١٧]

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [١٨]

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ
جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟
فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾

وهو التراب والحصى، ويكون السحاب الذي فيه البرد والصواعق ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ في موضع رفع؛ لأنّ الاستفهام لا يعمل فيما قبله وحُذفت الياء لأنه رأس آية، وكذلك ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ..﴾ [١٩]

نُصب على الحال ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ عطف عليه، ويجوز أن يكون مقطوعاً منه ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ﴾ لأنه جلّ وعزّ خَلَق الجوّ فاستمسكن فيه ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ..﴾ [٢٠]

أي يدفع عنكم إن أراد بكم سوءاً ﴿إِنِ الكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾ أي ما الكافرون في ظنّهم أنّ عبادتهم غير الله جلّ وعزّ تنفعُهُمْ إلاّ في غرور.

﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ..﴾ [٢١]

وحُذِفَ جواب الشرط لأن الأول يدلّ عليه أي إن أمسَكَ رزقه فهل يرزقكم مَنْ تعبُدون مِنْ دونه؟ ﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ والأصل لججوا ثم أُدغم.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ..﴾ [٢٢]

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء ﴿أَهْدَى﴾ خبره ﴿أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ عطف عليه.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ..﴾ [٢٣]

مبتدأ، وخبره ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ ولم يقل: الأسماع لأن السمع في الأصل مصدر.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ..﴾ [٢٤]

مثل الأول.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ..﴾ [٢٥]

﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٠)﴾

﴿متى﴾ في موضع رفع لأنها خبر الابتداء ﴿هذا﴾ على قول سيبويه وعلى قول غيره في موضع نصب لأنه لا يرفع هذا بالابتداء. وأبو العباس يرفعه بمعنى: متى يستقرّ هذا الوعد؟

﴿قُلْ إِنَّمَا العِلْمُ عِندَ اللهِ..﴾ [٢٦]

رفعتَ العِلم بالابتداء، ولا يجوز النصب عند سيبويه على أن يجعل ﴿ما﴾ زائدة، وكذا ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً..﴾ [٢٧]

يجوز أن تكون الهاء تعود على الوعد ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ أصحُّ ما قيل فيه أنه تفتعلون من الدعاء ثم أُدغم. قال أبو عبيد: تدّعون مشتق من يَدعُونَ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا..﴾ [٢٨]

وإن خَفّفتَ همزة أرأيتم جئت بها بين بين والياء ساكنة بحالها ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء. وهو اسم تام.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا..﴾ [٢٩]

أي خالقكم ورازقكم، والفاعل لهذه الأشياء الرحمن ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء والجملة خبره لأنها استفهام، ولا يعمل في الاستفهام ما قبله، ويجوز أن يكون في موضع نصب ويكون بمعنى الذي.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً..﴾ [٣٠]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ١٧٢/٣] لا يُثنّى غورٌ ولا يُجمعُ لأنه مصدر مثل: رضا وعَدْلٌ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٠١/٥] فيقال: ماءانِ غورٌ. قال أبو جعفر: بابه ألا يُثنّى ولا يُجمع فإن أردت اختلاف الأجناس ثنّيتَ وجمعتَ، والتقدير: إن أصبح ماؤكم ذا غور مثل ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وقيل: غور بمعنى غائر ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ يكون فَعيلاً مِنْ مَعَنَ الماء إذا كثُرَ، ويجوز أن يكون مفعولاً ويكون الأصل فيه معيوناً مثل مبيع، ويكون معناه على هذا الماء: يُرى بالأعين.

٦٨ ـ سورة القَلَم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾

شرح إعراب سورة نٓ [القلم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ن...﴾ [١]

في هذه الكلمة نيف وثلاثون جواباً منها ستّة معانٍ وستّ قراءات في إحداهنّ ستّة أجوبة. روى الحكم بن ظُهَيْر، عن أبيه عن أبي هريرة قال: الأرضون على نون ونون على الماء والماء على الصخرة والصخرة لها أربعة أركان، على كلّ ركن منها مَلَكٌ قائم في الماء. وروى يزيد عن عِكرمة عن ابن عباس قال: الر وحم ون حروف الرحمن مقطّعة. وفي حديث مُعاوية بن قُرة عن أبيه مرفوعاً قال: ن لوحٌ من نور. وقال قتادة: نون الدواة.

قال أبو جعفر: فهذه أربعة أقوال، وقيل: التقدير ورَبِّ نون، وقيل: هو تنبيه كما تقدّم في ﴿الم﴾. وأمّا القراءات فهي ستٌّ كما ذكرنا. قرأ أكثر الناس ﴿نون والقلم﴾ ببيان نون، وقرىء بإخفائها، وقرىء بإدغامها [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٠٣] بِغُنّة وبغير غُنّة، ورُوي عن عيسى بن عمر أنه قرأ ﴿نُونَ والقَلمِ﴾ وقرأ ابن إسحاق ﴿نونِ والقلمِ﴾ بالخفض.

فهذه ست قراءات، في المنصوبة منها ستة أجوبة: منها أن تكون منصوبةً بوقوع الفعل عليها أي اذكُر نونَ، ولم تنصرف لأنّها اسم للسورة، وجواب ثان أن تكون لم تنصرف لأنّها اسم أعجميّ هذان جوابان عن الأخفش سعيد، وقول سيبويه [الكتاب: ٢/٣٠]: إنّها شُبِّهَت بأين وكيف، وقول الفرّاء: إنّها شُبِّهَت بِثُمَّ، وقيل: شُبِّهَت بنون الجميع، وقال أبو حاتم: حذفت منها واو القسم فانتصبت بإضمار فعل، كما تقول: الله لقَد كان كذا.

قال أبو جعفر: فهذه ثمانية عشر جواباً. وفي إسكانها قولان فمذهب سيبويه [الكتاب: ٢/٣٤] أن حروف المعجم إنّما سُكِّنَت لأنّها بعض حروف الأسماء فلم يجز إعرابها كما لا يُعرَب وسط الاسم، وردّ عليه هذا القول بعض الكوفيين فقال: إذا قلتَ: زايٌ فقد زدتَ على الحرف ألفاً

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾

وياء، وقال أصحُّ من هذا قول الفرّاء [معاني القرآن: ١/٣٦٨، ٣/١٧٢] قال: لم تعرب حروف المعجم لأنك إنما أردت تعليم الهجاء. قال أبو جعفر: وهذا قول صحيح؛ لأنك إذا أردت تعليم الهجاء لم يجز أن تزيد الإعراب فيزول ذلك عن معنى الهجاء إلاّ أن تنعت أو تعطِف فتُعربُ. ومن بيّن النون قال: سبيل حروف الهجاء أن يُوقف عليها، وأيضاً فإن النون بعيدة المخرج من الواو فأشبهت حروف الحلق، ولهذا لم يقرأ أحدٌ بتبيين النون في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] لقرب الصاد من النون فأدغمها الكسائي؛ لأنه بنى الكلام على الوصل، ومن أدغمَ بِغُنَّة أراد ألا يزيل رسم النون، ومن حذف الغُنّة قال؛ المُدْغَم قد صار حكمه حكم ما أُدغم فيه، ومن قرأ ﴿نونِ والقلم﴾ كَسر لالتقاء الساكنين. قال أبو حاتم: أضمر واو القسم. وإن جمعت نون قُلت: نونات على أنه حرف هجاء، فإن جمعته على أنّه اسم للحوت قُلتَ في الجمع الكثير: نِيان، وفي القليل: أنوانٌ، ويجوز نِوَنَةٌ مثل كُوز وكِوزة، ﴿والقلم﴾ خفض بواو القسم، وهو القلم الذي يكتب به غير أن التوقيف جاء أنه القلم الذي كُتِبَ به في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، روى ذلك القاسمُ بن أبي بزّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ومعاوية بن قرة عن أبيه يرفعه.

﴿وما يَسطرون﴾ واو عطف لا واو قسم، وما والفعل مصدر، ويجوز أن يكون بمعنى الذي، وجواب القسم.

﴿ما أنت بنعمة رَبِّك بمجنُون﴾ [٢]

أي ما أنت بما أنعم الله عليك من العقل والفهم إذْ كان أعقل أهل زمانه ﴿بمجنون﴾، وهو المستورُ العقل. ومن هذا جَن عليه الليل وأجنّه، ومنه قيل: جنينٌ، وللقبر جَننٌ وللترس مِجَنٌ. قال عمرو بن أبي ربيعة:

وكانَ مِجَنّي دُونَ مَن كُنتُ أتقي ثلاثُ شُخوص كاعبان ومُعصِر

وقيل: جِنٌ لأنهم مستورون عن أعين الناس، مسموع من العرب على غير قياس: أُجِنَّ فهو مجنُون، والقياس مُجَنّ. قال أبو جعفر: وحكى لنا علي بن سليمان، عن محمد بن يزيد أنه كان يذهب إلى القياس في هذا كأنه يقال: مجنون مِنْ جُنَّ.

﴿وإنّ لك لأجراً..﴾ [٣]

أي على أداء الرسالة ﴿غير ممنُون﴾ قيل: لا يُمَنُّ به عليك وقيل: غير مقطوع.

﴿وإنّك لَعَلى خُلق عظيم..﴾ [٤]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال: على دين. قال أبو جعفر: فيكون هذا مثل قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً» [ت: ١١٦٢، حم: ٢/٢٥٠] أي أحسنهم ديناً وطريقة ومذهباً وطاعة. وسُئِلَت عائشةُ رضي الله عنها: ما الخلق العظيم الذي كان عليه؟ قالت:

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾

القرآن، وقيل: هو ما كان فيه من البشاشة والسعي في قضاء حاجات الناس وإكرامهم والرفق بهم.

﴿فستبصِرُ ويُبصِرُونَ..﴾ [٥]

أي يوم القيامة. قال محمد بن يزيد: سألت أبا عثمان المازني عن هذا فقال: هذا التمام. وقال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٧١٢]: المعنى: فستبصر ويبصرون بأيكم الفتنة. وقال محمد بن يزيد: التقدير: بأيكم فتنة المفتون. وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٧٣]: الباء بمعنى ﴿في﴾. قال أبو جعفر: فهذه أقوال النحويّين مجموعةً. ونذكر أقوال أهل التأويل.

﴿بأيكُمُ المفتونُ﴾ [٦]

روى سفيان عن خُصَيف عن مجاهد ﴿بأيكُمُ المفتونُ﴾ قال: بأيكم المجنون. وقال الحسن والضحاك: بأيكم الجنون، وقال قتادة: أيكم أولى بالشيطان. فهذه ثلاثة أقوال لأهل التأويل. فقول مجاهد: تكون الباء فيه بمعنى ﴿في﴾ كما يقال: فلان بمكّة وفي مكّة والمعنى عليه: فستعلم وسيعلمون في أي الفريقين المجنون الذي لا يَتبعُ الحقَّ أفي فريقك أم في فريقهم. وعلى قول الحسن والضحاك: فستعلم وسيعلمون بأيكم الفتنة. والمفتون بمعنى الفتنة والفتون، كما يقال: ليس له معقولٌ ولا معقود رأي. قال أبو جعفر: وهذا من أحسن ما قيل فيه، وقول قتادة: إن الباء زائدة.

﴿إنّ ربّك هو أعلمُ بمن ضَلَّ عن سَبِيله.﴾ [٧]

أي هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله من كفار قريش ﴿وهو أعلم بالمُهتدين﴾ بك وبمن اتَّبعَك.

﴿فلا تُطِعِ المُكذبين..﴾ [٨]

﴿ودُّوا لو تُدهنُ فيُدهِنُون﴾ [٩]

معطوف، وليس بجواب ولو كان جواباً حُذِفَت منه النون. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ودُّوا لو تُدهن فيُدهنون﴾ قال: يقول: لو تُرَخِّصُ لهم فيُرَخِّصون. والمعنى على هذا ودّوا لو تلين لهم فلا تنكر عليهم الكفرَ والمعاصي فيلينون لك وينافقونك ويجترؤون على المعاصي، وفي اللين في مثل هذا فساد الدين. وهو مأخوذ من الدُّهن شبِّه التلين به.

﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حلّافٍ مُهين﴾ [١٠]

أي كل معروف بالحلف على الكذب فإذا كان كذلك كان مهيناً عند الله جلّ وعزّ وعند المؤمنين. قال مجاهد: ﴿مهين﴾ ضعيف. قال أبو جعفر: يكون مهين فَعِيل على بابه من هذا القول فيجوز أن يكون بمعنى مهان.

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤﴾

﴿هَمَّاز..﴾ [١١]

من هَمَزه إذا عابه، وأصل الهمز الغمز ﴿مَشَّاء بِنَمِيمٍ﴾ ﴿مشاء﴾ ممدود، لأنها ألف بعدها همزة فالألف خفيّة والهمزة لبعد مخرجها تخفى فقُوّيت بالمدة وكذا الواو إذا كان ما قبلها مضموماً مثلُ السُّوأى، وكذلك الياء إذا كان ما قبلها مكسوراً نحو: سِيءَ بِهِمْ. هذا في المتصل، فللنحويين فيه ثلاثة أقوال: منهم من قال: لا مدّ فيه إذا كان منفصلاً، ومنهم من قال: هو ممدود بمنزلة المتّصل، وإلى هذا كان يذهب أبو إسحاق، ومنهم من قال: المدّ في المُنفِصل أولى منه في المتّصل ليبيّن بالمد انفصال الحرف من الآخر نحو قوله جلّ وعزّ: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] وكذا ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦] وفي الواو والياء ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [التحريم: ٦] و﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الذاريات: ٢١] والقرّاء من أحوج الناس إلى معرفة هذا. وربما وقع الغلط فيه فكان ذلك لحناً فمن قرأ ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨] لم يجز له أن يمدّ هذا؛ لأن الواو ما قبلها مفتوح، ومن قرأ ﴿دَآئِرَةُ ٱلسُّوٓءِ﴾ مدّ؛ لأن الواو ما قبلها مضموم، وإنّما وجب هذا في الواو إذا انضمّ ما قبلها والياء إذا انكسر ما قبلها لأنهما أشبهتا الألف فصارتا حَرفَيْ مدّ ولين كالألف فوجب فيهما المد كما كان في الألف ولمّا انضمّ ما قبل الواو وانكسر ما قبل الياء فصارت الحركة التي قبلهما منهما ضَعُفَتا فقوّيتا بالمدّة ومَنْ قرأ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٠٣] لم يجز له أن يمدّ هذا لانفتاح ما قبل الواو، ويقال: إنّ أكثر من يغلط في هذا من القراء الذين يقرؤون بقراءة حمزة. قال أبو جعفر: من قال: نَمِيمٌ قال: قد نَمَّ ثلاثة أنمة، ومن قال: نميمةٌ قال: نَمَائِمُ.

﴿مَنَّاع..﴾ [١٢]

نعت وكذا ﴿مُعتَدٍ﴾ ولو كانا منصوبين لجاز على النعت لكل أي مُعتد على الناس في معاملاتهم ﴿أثيم﴾ مخالف لربّه في أمره ونهيه، كما قال قتادة: أثيم بربّه.

﴿عُتُلٍّ..﴾ [١٣]

قال أهل التأويل منهم أبو رزين والشعبي. العتلّ: الشديد [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٠٦]، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٧٣]: أي شديد الخصومة بالباطل، وقال غيره: هو شديد الكفر الجافي وجَمعُهُ عُتالٌ ﴿بعد ذلك﴾ قيل: أي مع ذلك ﴿زنيم﴾ نعت أيضاً.

﴿أنْ كانَ ذا مال وبَنِين﴾ [١٤]

﴿أنْ﴾ في موضع نصب أي بأن كان [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٠٦]، وقرأ الحسن وأبو جعفر وحمزة ﴿ءأنْ كان ذا مال وبنين﴾ قال أبو جعفر: هذا على التوبيخ أي أئِنْ كان ذا مال وبنين بكفر أو تطيعه [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٧٣].

إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾

﴿إذا تُتلى عليه آياتُنا قال أساطيرُ الأولين﴾ [١٥]

استهزاءً وإنكاراً.

﴿سَنَسِمُهُ على الخُرطوم﴾ [١٦]

قال أبو جعفر: قد ذكرنا فيه أقوالاً، منها: ما رواه مَعمَر عن قتادة قال: على أنفه، ومما يذكره أن سعيداً روى عن قتادة ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال: شينٌ لا يفارقُهُ، وهذا من أحسن ما قيل فيه أي سنُبيِّن أمره ونُشهِرهُ حتى يتبيَّن ذلك ويكون بمنزلة الموسوم على أنفه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٠٧/٥] على أنه قد روي عن ابن عباس ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال: قاتل يوم بدر فضُرب بسيف ضربةً فكانت سمة له.

﴿إنّا بلوناهُم..﴾ [١٧]

أي تَعبّدناهُم بالشكر على النعم وإعطاء الفقراء حُقوقَهُم التي أوجبناها في أموالهم **﴿كما بلونا أصحاب الجنّة﴾**. قال ابن عباس: هم أهل كتاب **﴿إذ أقسموا ليصرمُنّها﴾** أي لَيَجُذُّنَّها. والجذاذُ القطعُ ومنه: صرم فلان فيئاً، وسَيفٌ صارمٌ **﴿مُصبِحين﴾** نصب على الحال. وأصبح دخل في الإصباح.

﴿ولا يستثنون﴾ [١٨]

ولا يقولون: إن شاء الله فَذُمُّوا بهذا؛ لأن الإنسان إذا قال: لأفعلنّ كذا لم يأمن أن يَضْرِمَ عن ذلك فيكون كاذباً فعليه أن يقول إن شاء الله.

﴿فطاف عليها طائفٌ مِن ربك..﴾ [١٩]

قيل: أرسلتْ عليها نارٌ فأحرقَت حُرُوثَهُمْ **﴿وهُم نائمُون﴾** في موضع الحال.

﴿فأصبحت كالصَّريم﴾ [٢٠]

أي كالشيء المصروم المقطوع. وصريم بمعنى مصروم مثلُ قتيل بمعنى مقتول.

﴿فتنادوا مصبحين﴾ [٢١]

نصب على الحال.

﴿أنِ اغدوا على حرثكم﴾ [٢٢]

﴿أنْ﴾ في موضع نصب أي بأن، ويجوز أن يكون لا موضع لها تفسيراً **﴿إن كُنتُم صارِمين﴾**

فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا
لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾

كنتم في موضع جزم بالشرط استُغني عن الجواب بما تقدّم؛ لأنه فعلٌ ماض.

﴿فانطلقوا وهُم يتخافتون﴾ [٢٣]

في موضع الحال.

﴿أن لا يدخلنّها اليوم عليكُم مِسكينٌ﴾ [٢٤]

الجواب في ﴿أن﴾ كما تقدّم وفي قراءة عبد الله بغير ﴿أن﴾؛ لأن معنى ﴿يتخافتون﴾ يقولون سرّاً [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٧٥].

﴿وغدوا على حَرد قادرين﴾ [٢٥]

أصحُّ ما قيل في معناه على قصد [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٠٧، ٢٠٨]، [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٧٦]، كما قال مجاهد: قد أسّسُوا ذلك بينهم أي عملوه على قَصد وتأسيس ومؤامرة بينهم قادرين عليه عند أنفسهم.

﴿فلمّا رأوها قالوا إنّا لضالّون﴾ [٢٦]

أي قد ضللنا الطريق، وليست هذه جَنّتنا لمّا رأوها محترقة.

﴿بَل نَحنُ مَحرُومُون﴾ [٢٧]

قيل: فقال من يعرفها ويعلم أنهم لم يضلّوا الطريق ﴿بل نحن محرومون﴾ أي حُرمنا ثمارها لما فعلنا [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٠٨].

﴿قال أوسطُهُم..﴾ [٢٨]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿قال أوسطُهُم﴾ أي أعدلُهم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٠٨] ﴿ألم أقل لكُم لولا تُسبّحُون﴾ أي هلاّ.

﴿قالُوا سُبحانَ ربّنا..﴾ [٢٩]

نصب على المصدر ﴿إنّا كُنّا ظالمين﴾ أي جعلنا الشيء في غير موضعه بمَنعنا ما يجب علينا، وكذا الظلم في اللغة وضعُ الشيء في غير موضعه.

﴿فأقبل بعضُهم على بعض يتلاومون﴾ [٣٠]

في موضع نصب على الحال.

قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا
تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿قالوا يا ويلنا..﴾ [٣١]

نداء مضاف والفائدة فيه أنّ معناه: هذا وقت حضور الويل **﴿إنّا كُنّا طاغين﴾** أي في مخالفتنا أمر ربّنا وتجاوزنا إياه.

﴿عسى ربّنا أن يُبدلنا خيراً منها..﴾ [٣٢]

وحكى سيبويه [الكتاب: ١/٢٤] أنّ من العرب من يحذف **﴿أنْ﴾** مع عسى تشبيهاً بلعلّ **﴿إنّا إلى ربّنا راغبُون﴾**، أي في أن يبدلنا خيراً منها.

﴿كذلك العذاب..﴾ [٣٣]

مبتدأ وخبره، وكذا **﴿ولعذابُ الآخرة أكبرُ﴾** وسمّيت آخرة لأنها آخرة بعد أُولى، وقيل: لتأخرها على الناس **﴿لو كانوا يعلمُون﴾** **﴿لو﴾** لا يليها إلاّ الفعل لشبهها بحروف الشرط.

﴿إنّ للمُتّقين عند ربّهم جنات النّعيم﴾ [٣٤]

﴿جنّاتِ﴾ نصب بإنّ وعلامة النصب كسرة التاء إلاّ أنّ الأخفش كان يقول: هي مبنية غير معربة في موضع النصب.

﴿أفنجعل المسلمين كالمُجرمين﴾ [٣٥]

﴿كالمجرمين﴾ الكاف في موضع نصب مفعول ثان.

﴿ما لكُم كيف تحكُمون﴾ [٣٦]

﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء، وهي اسم تام، و**﴿لكم﴾** الخبر و**﴿كيف﴾** في موضع نصب بتحكمون.

﴿أم لكُم كتابٌ فيهِ تدرُسُون﴾ [٣٧]

أي هل لكم كتاب جاءكم من عند الله تدرسون فيه؟

﴿إنّ لكم فيه لما تخيّرون﴾ [٣٨]

﴿أم لكم أيمانٌ علينا بالغة إلى يوم القيامة..﴾ [٣٩]

أي لأنفسكم علينا. وكُسرت **﴿إنّ﴾** لمجيء اللام بعدها، وكذا **﴿أم لكم أيمانٌ علينا بالغة

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۝٤١ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ۝٤٣﴾

﴿إلى يوم القيامة﴾ أي أم لكم أيمان حلفنا لكم بها منتهية إلى يوم القيامة إنّ لكم حكمكم. وفي قراءة الحسن ﴿بالِغةً﴾ بالنصب. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٧٦] على المصدر أي حقاً، وقال غيره: على الحال من المضمر الذي في علينا.

﴿سلهُم أيّهُم بذلك زعيمٌ﴾ [٤٠]

﴿زعيم﴾ أي ضمين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢١٠].

﴿أم لهُم شُركاءُ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ [٤١]

أي شركاء يعينونهم ويشهدون لهم.

﴿يوم يُكشفُ عَنْ سَاقٍ..﴾ [٤٢]

هذه القراءة التي عليها جُماعة الحجة وما يُروى من غيرها يقع فيه الاضطراب، وكذا أكثر القراءات الخارجة عن الجماعة، وإن وقعت في الأسانيد الصحاح إلا أنها من جهة الآحاد. فمن ذلك ما قرئ على إبراهيم بن موسى عن محمد بن الجهم قال: حدّثنا الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٧٧] قال: حدّثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ ﴿يوم تُكشفُ عن ساق﴾ يريد القيامة والساعة لشدتها. قال أبو جعفر: وهذا إسنادٌ مُستقيمٌ ثمّ وقع فيه ما ذكرناه، كما قرئ على أحمد بن محمد بن الحجاج عن أبي عبد الله المخزومي وجماعة من أصحاب سفيان قالوا: حدّثنا سفيان، عن عمرو، عن ابن عباس أنه قرأ ﴿يوم نكشفُ عن ساق﴾ بالنون. وروى سفيان الثوري عن سلمة كُهَيل، عن أبي صادق، عن ابن مسعود أنه قرأ ﴿يوم نكشِفُ عن ساق﴾ بالنون. وروى سفيان الثوري عن سلمة أيضاً عن أبي الزعراء عن ابن مسعود أنه قرأ ﴿يوم يَكشِفُ عن ساق﴾ بفتح الياء وكسر الشين. والذي عليه أهل التفسير أن المعنى يومَ يُكشَفُ عن شدة. وذلك معروف في كلام العرب، ويجوز أن يكون المعنى: يوم يكشف الناس عن سُوقِهِمْ لشدّة ما هم فيه، ذلك مستعمل في كلام العرب. وساق مؤنثة تُصغَّر بالهاء.

﴿ويُدعون إلى السُّجود فلا يَستَطيعُون﴾ قيل: إنما يُدعون إلى السجود ليُوبَّخوا بذلك فيقال لهم: قد دُعيتُم إلى السجود الذي ينفعكم في الدنيا فأبيتُم، فهلُمّ فاسجدُوا الساعة لأنها ليست دار محنة ولا ينفع فيها السجود، فيكون المعنى على هذا: وهم لا يستطيعون أن يسجدوا سجوداً ينتفعون به، وقيل: بل تجِفّ أصلابهم عقوبة فلا يستطيعون السجود.

﴿خاشِعَةً..﴾ [٤٣]

نصب على الحال ﴿أبصارُهُم﴾ رفع بالخشوع، ويجوز رفعهما جميعاً على المبتدأ وخبره

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ في موضع نصب أيضاً على الحال، ويجوز قطعه من الأول ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] أي في الدنيا.

﴿فذرني ومَن يُكذِّبُ بهذا الحديث..﴾ [٤٤]

﴿مَنْ﴾ في موضع نصب عطف، وإنْ شئتَ كانت مفعولاً معه ﴿سنستدرجُهُم مِّن حيثُ لا يعلمُون﴾ في معناه قولان: أحدهما سنمتّعهم ونُوسعُ عليهم في الدنيا حتى يتوهّموا أن لهم خيراً ويغتروا بما هم فيه من النعمة والسُّرور، فنأخذهم بغتة كما روى أبو موسى عن النبي ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ ليُمهلُ الظّالم حتى إذا أخذهُ لم يُفلتهُ» [خ: ٤٦٨٦، م: ٦٥٢٤، ت: ٣١١٠، ٣١١٠م، جه: ٤٠١٨] ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢] وقيل: سنستدرجهم من قبورهم إلى النار.

﴿وأُملي لَهُم..﴾ [٤٥]

بإسكان الياء والأصل ضمها؛ لأنه فعل مستقبل فحذفت الضمة لثقلها ﴿إنّ كيدي متينٌ﴾ أي قوي شديد.

﴿أم تسئلُهُم أجراً فهُم من مغرم مُثقلون﴾ [٤٦]

وقراءة نافع بضم الميم الأولى وإسكان الثانية. قال أبو جعفر: جاء بالأولى على الأصل فاختار هذا؛ لأنها إذا لَقيت ألف وصل ضُمّت لا غير فأجرى ألف القطع مجراها، وقيل: جاء باللغتين جميعاً كما قرأ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى: ٢٨] وقرأ ﴿لا تقنطُوا﴾ وقلّ مَن يَحتجُ له من أصحابه أو غيرهم.

﴿أم عِندَهم الغيبُ فهُم يكتبون﴾ [٤٧]

قال أبو جعفر: وهذه الآية من أشكل ما في السورة، وتحصيل معناها فيما قِيل والله أعلم: أم عندهم اللوح المحفوظ الذي فيه الغيوب كلها، فهم يكتبون منه ما يجادلونك [معاني القرآن للفراء: ٣/١٧٨] به، ويدّعون أنهم مع كفرهم بالله جلّ وعزّ وردّهم عليك بعد البراهين خيرٌ منك وأنهم على الحق.

﴿فاصبِرْ لِحُكم ربِّك..﴾ [٤٨]

أي اصبر على أداء الرسالة واحتمل أذاهم ولا تستعجل لهم العذاب ﴿ولا تكُن كصاحب

﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿الحُوت﴾ في ما عمله من خروجه عن قومه وغمّه بتأخر العذاب عنهم ﴿إذ نادى وهُو مكظُوم﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وهو مكظوم﴾ قال: مغموم. قال ابو جعفر: والمكظوم في كلام العرب الذي قد اغتمّ لا يجد من يتفرّجُ إليه فقد كظم غيظه أي أخفاه.

﴿لولا أنْ تداركَهُ نعمةٌ مِّن رّبّه..﴾ [٤٩]

وفي قراءة ابن مسعود ﴿لولا أن تداركتْهُ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/١٧٨] على تأنيث النعمة والتذكير لأنه تأنيث غير حقيقي، ورُوي عن الأعرج ﴿لولا أن تدَّاركهُ﴾ بتشديد الدال، والأصل تتداركه أُدغمت التاء في الدال ﴿لَنُبِذ بالعراءِ وهُو مذمُومٌ﴾ في موضع نصب على الحال.

﴿فاجتَبَاهُ ربُّهُ فجعَلَهُ مِنَ الصَّالحِين﴾ [٥٠]

قيل: المعنى فوصفه جلّ وعزّ أنه من الصالحين. وقد حكى سيبويه: جعل بمعنى وصف، وقيل ﴿جعله من الصالحين﴾ وفّقهُ الله تعالى لطاعته حتى صلح.

﴿وإن يكادُ الّذين كفرُوا ليزلقُونك بأبصارهمْ﴾ [٥١]

الكوفيون يقولون: ﴿إنْ﴾ بمعنى ﴿ما﴾ واللام بمعنى إلاّ، والبصريون يقولون: هي إنّ المُشدّدةُ لمّا خُفّفت وقع بعدها الفعل ولزمته لامُ التوكيد ليُفرق بين النفي والايجاب. وذكر بعض النحويين الكوفيين أن هذا مِنْ إصابة العين، واستَجْهلَهُ بعض العلماء وقال: إنما كانوا يقولون: إنّا نُصيب بالعين ما نستحسنه ونتعجّب من جودته. وهذا ليس من ذاك إنّما كانوا ينظرون إلى النبي ﷺ نظر الإبغاض والنفور [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١٢]. فالمعنى على هذا: أنهم لحدّة نظرهم إليه يكادون يزيلونه من مكانه. يُقال: أزلق الحجّام الشعر وزلّقه إذا حلقه، وقد قُرئ ﴿ليُزلقُونك﴾ من أزلق وزَلَق أي باللغتين جميعاً.

﴿وما هو إلاّ ذكرٌ للعالمين﴾ [٥٢]

مبتدأ وخبره، والضمير يعود على الذكر المتقدّم.

٦٩ ـ سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦

شرح إعراب سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الحَاقَّةُ﴾ [١]

رفع بالابتداء.

﴿ما الحاقَّةُ﴾ [٢]

﴿وما أدراك ما الحاقَّةُ﴾ [٣]

مبتدأ وخبره [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١٣]، وهما خبر عن الحاقة، وفيه معنى التعظيم. والتقدير: الحاقة ما هي؟ إلا أن إعادة الاسم أفخم، وكذا **﴿وما أدراك ما الحاقَّةُ﴾**.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعَادٌ بالقارِعَةِ﴾ [٤]

﴿عاد﴾ منوّن لخفته، و**﴿ثمود﴾** لا ينوّن على أنه اسم للقبيلة، وينوّن على أنه اسم للحي. قال قتادة: بالقارعة أي بالساعة. قال غيره: لأنها تقرع قلوب الناس بهجومها عليهم.

﴿فأمّا ثَمُودُ فأُهلِكُوا بالطّاغِيَةِ﴾ [٥]

﴿وأما عَادٌ فأُهلِكُوا بريحٍ صَرصرٍ..﴾ [٦]

وقال قتادة: بعثَ الله جلّ وعزّ عليهم صيحةً فأهلكتهم، وقيل: فأهلكوا بالطغيان [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١٣]، وقيل: بالجماعة الطاغية. قال أبو جعفر: وقول قتادة أصحُّها، أخبر الله بالمعنى الذي أهلكهم به لا بالسبب الذي أهلكهم من أجله كما أخبر في قصة عاد فقال جل ثناؤه **﴿وأما عَادٌ فأُهلِكُوا بريحٍ صَرصرٍ﴾** قال قتادة: أي باردة، وقال غيره: أي شديدة الصوت **﴿عاتية﴾** زائدة على مقدار هبوبها.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾

﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام..﴾ [٧]

أُنثت الهاء في ثمانية، وحُذِفَتْ من سبع فرقاً بين المذكر والمؤنث ﴿حُسُوماً﴾ أصحُ ما قيل فيه: مُتَتابعةً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢١٤] لصحّته عن ابن مسعود وابن عباس، ﴿وحسوم﴾ نعت، ومن قال: معناه أتباع جعله مصدراً.

﴿فترى القومَ فيها صَرْعَى﴾ في موضع نصب على الحال ﴿كأنَّهُمْ أعجازُ نخل﴾ قال قتادة: أُصول النخل، وقال غيره: كأنهم أسافل النخل قد تأكلت وخوت وتبددت ﴿خاوية﴾ على تأنيث النخل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢١٤].

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِن باقِيَة﴾ [٨]

أي من جماعة باقية، وقيل: من بقاء [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٨٠].

﴿وَجَاء فِرعَونُ وَمَن قِبَلَهُ..﴾ [٩]

قراءة الحسن وأبي رجاء وعاصم الجحدري وأبي عمرو والكسائي، وهو اختيار أبي عبيد، وقراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وابن كثير والأعمش وحمزة ﴿ومَن قَبْلَه﴾ وهما منصوبان على الظرف، قال الحسن: ﴿ومن قبله﴾: ومن معه. وردّ أبو عبيد على من قرأ ﴿ومَن قِبَلَهُ﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢١٥] لأنه قد كان فيهم مؤمنون. قال أبو جعفر: وهذا لا يلزم لأنه قد عرف المعنى بقوله جلّ وعزّ: ﴿والمُؤتفكاتُ بالخَاطِئَةِ﴾.

﴿فعصوا رسول رَبِّهِم فَأَخَذَهُمْ أَخْذَة رابِيَة﴾ [١٠]

نعت أي زائدة [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٨١].

﴿إنّا لمّا طغَا الماءُ حَمَلْنَاكُمْ في الجارِيَةِ﴾ [١١]

مجاز لأن الجارية سفينة نوح ﷺ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢١٥]، والمخاطبون بهذا إنما حُمِل أجدادُهم فيها فكانوا بمنزلة من حُمل معهم.

﴿لنجعلها لكم تذكرة..﴾ [١٢]

قال قتادة: بقيت السفينة عظة وآية وتذكرة حتى رآها أوائل هذه الأمة ﴿وَتَعِيها﴾ أي التذكرة، ويروى عن عاصم أنه قرأ ﴿وتَعِيْهَا﴾ وهو لحن لأنه مِن وعى يعي، وعن طلحة أنه قرأ ﴿وتَعْيها﴾ بإسكان العين حذف الكسرة لثقلها، وهو مثل ﴿أَرِنِي﴾ [البقرة: ٢٦٠، الأعراف: ١٤٣] ﴿أُذُنٌ واعيةٌ﴾ ويقال: أُذْنٌ وهي مؤنثة تصغيرها أُذَينة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾
وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ
تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ
حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾

﴿فإذا نُفِخَ في الصُّور نَفخَةٌ واحدةٌ﴾ [١٣]

لمَّا نُعِتَ المصدر حَسُنَ رفعه، ولو كان غير منعوت كان منصوباً لا غير.

﴿وحُمِلَت الأرضُ والجبالُ فَدُكتا دكّةً واحدةً﴾ [١٤]

لأنهما جمعان، ولو قيل: فدُككن أو فدُكّت في الكلام لجاز.

﴿فيومئذ وقعت الواقعةُ﴾ [١٥]

العامل في الظرف وقعت.

﴿وانشقّتِ السّماءُ فهي يومئذ واهية﴾ [١٦]

مبتدأ وخبره.

﴿والمَلَكُ على أرجائها..﴾ [١٧]

أي على أرجاء السماء والرجا الناحية مقصور [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١٦] يكتب بالألف، والرجاء من الأمل ممدود، ﴿والملك﴾ بمعنى الملائكة يَدُلّكَ على ذلك ﴿ويحملُ عرش ربّك فوقَهُمْ يومئذ ثَمانيةٌ﴾، روى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله جلّ وعزّ، وكذا قال الضحاك، وقال ابن إسحاق وابن زيد: ثمانية أملاك وهم اليوم أربعة.

﴿يومَئذ تُعرضون لا تخفى منكُمْ خافِيَة﴾ [١٨]

على تأنيث اللفظ، وقراءة الكوفيين ﴿يخفى﴾ لأنه تأنيث غير حقيقي، وقد فُصل بينه وبين فعله.

﴿فأمّا مَنْ أوتِيَ كِتابَهُ بيمينه..﴾ [١٩]

﴿إنّي ظَنَنْتُ أنّي مُلاق حِسابيه﴾ [٢٠]

رفع بالابتداء، وخبره ﴿فيقُول هاؤمُ اقرءُوا كتابيه﴾ قال بعض أهل اللغة: الأصل هاكم ثم أبدل من الكاف. وروى ابن طلحة، عن ابن عباس ﴿إنّي ظَنَنْتُ أنّي مُلاق حِسابيه﴾ قال: أيقنتُ.

﴿فَهُوَ في عِيشَة رَاضِية﴾ [٢١]

على النسب أي ذات رضئ.

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي
مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ

﴿في جنة عالية﴾ [٢٢]

بدل بإعادة الحرف.

﴿قطوفها دانية﴾ [٢٣]

رَوَى شعبة عن أبي إسحاق [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١٧] عن البراء قال: يأكل من فواكهها وهو قائم.

﴿كُلُوا واشرَبُوا هَنيئاً بما أسلَفتُمْ في الأيام الخَالية﴾ [٢٤]

وهي أيام الدنيا من (خلا) إذا مضى.

﴿وأما مَن أوتي كتابَهُ بِشمالِهِ فَيقُولُ ياليتني لَمْ أوتَ كِتَابِيَة﴾ [٢٥]

ومن العرب من يقول: لَيْتي فيحذف النون كما يحذفها في ﴿إنّ﴾.

﴿ولم أدرِ ما حِسَابِيَهْ﴾ [٢٦]

بإثبات الهاء في الوقف، وكذا [ما] لبيان الحركة، وإثباتُها في الوصل لحنٌ لا يجوز عند أحد من أهل العربية علمتُه. ومن اتبع السواد وأراد السلام من اللحن وقف عليها فكان مُصيباً من الجهتين.

﴿يا لَيتها كانتِ القَاضِيَة﴾ [٢٧]

اسم كان فيها مضمر، والتاء ليست باسم إنما هي علامة للتأنيث.

﴿ما أغنى عَني مَاليَهْ﴾ [٢٨]

﴿ما﴾ في موضع نصب بأغنى، ويجوز أن تكون نافية لا موضع لها.

﴿هَلَكَ عَني سُلطَانِيَهْ﴾ [٢٩]

كما تقدّم في حسابيه.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [٣٠]

﴿ثُمّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [٣١]

ويجوز إثبات الواو على الأصل ومَن حَذَفها فلسكون الواو، والهاء ليست بحاجز حصين.

﴿ثُمّ في سِلسِلَةٍ ذَرعُها سَبعُون ذِراعاً فاسلُكُوهُ﴾ [٣٢]

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا
طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ
رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

الذراع مؤنثة كما قال:

وهـــي ثـــلاثُ أذرُعٍ وإصـــبَـــعُ

﴿ولا يَحُضُّ على طعام المسكين﴾ [٣٤]

وحكى الفرّاء [المذكر والمؤنث للفراء: ٧٧]: أنّ بعض عكل يذكّرها، وقد حكى ذلك غيره.

﴿إنّه كان لا يُؤمنُ بالله العظيم﴾ في موضع نصب، ورُفع لأنه فعل مستقبلٌ وكذا ﴿ولا يَحُضُّ على طعام المسكين﴾.

﴿فَلَيسَ لهُ اليومَ هَهُنا حميمٌ﴾ [٣٥]

قال أبو زيد: الحميم: القريب في كلام العرب.

﴿ولا طَعامٌ إلاّ مِن غِسلين﴾ [٣٦]

يجوز أن يكون استثناء من الأول.

﴿لا يأكُلُهُ إلاّ الخاطئونَ﴾ [٣٧]

وقراءة موسى بن طلحة ﴿إلاّ الخاطِيون﴾ على إبدال الهمزة، وهي لغة شاذة.

﴿فلا أُقسِمُ بما تُبصِرُونَ﴾ [٣٨]

﴿وما لا تُبصِرُونَ﴾ [٣٩]

﴿لا﴾ زائدة للتوكيد.

﴿إنّه لَقولُ رسُولٍ كَريم﴾ [٤٠]

قيل: هو مجاز لأنه سَمِعَهُ منه الرسول ﷺ.

﴿وما هُوَ بِقول شاعر قليلا ما تُؤمِنُون﴾ [٤١]

﴿وَلا بقول كاهن قليلاً ما تذكَّرُون﴾ [٤٢]

نصب ﴿قليلا﴾ لأنه نعت لمصدر أو لظرف وكذا ﴿وَلا بقول كاهن قليلاً ما تذكَّرُون﴾

﴿تَنزِيلٌ مِن رَّبِّ العَالَمِين﴾ [٤٣]

على إضمار مبتدأ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١٨]

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ
حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ
لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ولو تَقَوّلَ علَينا بَعض الأقاويل﴾ [٤٤]

أي من الباطل.

﴿لأخذْنَا منهُ باليَمِين﴾ [٤٥]

في معناه قولان: أحدهما بالقوة [معاني القرآن للفراء: ٣/١٨٣]، والآخر: أهنّاهُ كما تقول: خُذْ بِيدِهِ فأقِمه.

﴿ثمّ لَقَطَعْنَا منهُ الوتين﴾ [٤٦]

فأخبر الله جلّ وعزّ بحكمه في أوليائه ومن يعزّ عليه ليعتبر غيرهم.

﴿فَمَا مِنكُم مِن أحدٍ عَنْه حاجزين﴾ [٤٧]

نعت لأحد على المعنى [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١٨].

﴿وإنّه لَتَذكِرةٌ لِلمُتّقِين﴾ [٤٨]

قال قتادة: القرآن.

﴿وإنّا لَنَعلَمُ أنّ مِنكُم مُكَذِّبين﴾ [٤٩]

اسم ﴿أنّ﴾.

﴿وإنّه لَحَسْرَة على الكافرين﴾ [٥٠]

أي يتحسرون يوم القيامة على تركهم الإيمان به.

﴿وإنّه لَحقّ اليَقين﴾ [٥١]

أي مَحْضُه وخالِصُهُ. والكوفيّون يقولون: هذا اضافة الشيء إلى نفسه.

﴿فَسَبِّحْ باسم ربِّكَ العظيم﴾ [٥٢]

أي نَزِّهْهُ وبرِّئه مما نُسِبَ إليه من الأنداد والأولاد والشّبه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١٨]، ﴿العظيم﴾ الذي كلُّ شيء صَغيرٌ دونهُ.

٧٠ ـ سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة سال سائل [المعارج]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سأل سَائِلٌ..﴾ [١]

هذه قراءة أهل الكوفة وأهل البصرة يهمزها جميعاً، وقرأ أبو جعفر والأعرج ونافع ﴿سال سائل﴾ الأول بغير همز [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢١٩] والثاني مهموز، وهذه القراءة لها وجهان: أحدهما أن يكون ﴿سال﴾ من السيل أي انصبّ، والآخر أن يقال: سال بمعنى سأل لا أنه منه لأن هذا ليس بتخفيف الهمز، لو كان منه إنما يكون على البدل من الهمز، وذلك بعيد شاذ.

قال أبو جعفر: ورأيت علي بن سليمان يذهب إلى أنه من الهمز، وأنه إنما غُلِطَ فيه على نافع وأنه إنما كان يأتي بالهمزة بين بين.

قال أبو جعفر: وهذا تأويل بعيد وتغليط لكل من روى عن نافع، والقول فيه أن سيبويه حكى: سِلتُ أسالُ بمعنى سألت فالأصل في سال سَوَلَ فلمّا تحركت الواو وتحرك ما قبلها قُلبت ألفاً، ومثلُهُ خفْت. وسائل مهموز على أصله إنْ كان من سأل وإن كان من سال فالأصل في ساولٌ فاعل فقلبت الواو ألفاً وقبلها ألف ساكنة ولا يلتقي ساكنان فأبدل من الألف همزة مثل صائم وخائف ﴿بعذاب واقع﴾.

﴿للكافرين﴾ [٢]

قول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٨٣]: أن التقدير بعذاب للكافرين، ولا يجوز عنده أن يكون للكافرين متعلقاً بواقع. قال أبو جعفر: وظاهر القرآن على غير ما قال، وأهل التأويل على غير قوله. قال مجاهد: وواقع في الآخرة، وقال الحسن: أنزل الله جلّ وعزّ ﴿سَأَل سائلٌ بعذاب واقع﴾ فقالوا لمَن هو؟ على من يقع؟ فأنزل الله تعالى ﴿للكافرين لَيسَ لَهُ دَافعٌ﴾.

﴿مِنَ الله ذي المَعَارِج﴾ [٣]

تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ
بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا
﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾

قيل: المعارجُ: دَرَجُ الجنّة، وروى ابن نجيح عن مجاهد قال: السماء.

﴿تعرُجُ الملائكةُ والروحُ إليه..﴾ [٤]

وفي قراءة عبد الله **﴿يعرج﴾** [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٨٤] على تذكير الجميع **﴿في يوم كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سَنة﴾** قال أبو جعفر: قد ذكرنا فيه أقوالاً، وأعلى ما قيل فيه عن ابن عباس أنه قال: هو يوم القيامة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢١٩، ٢٢٠]، وأنّ المعنى: مقدار محاسبة الله جلّ وعزّ الخلق فيه وإثابته ومعاقبته إياهم مقدار ذلك خمسون ألف سنة لو كان غيره المحاسب، ويدلّ على هذا حديث أبي سعيد الخدري قيل: يا رسول الله ما أطول هذا اليوم؟ فقال: **«إنّهُ على المؤمن أخفُ من صلاة مكتوبة يُصلِّيها»**.

﴿فاصبر..﴾ [٥]

على أذاهم **﴿صَبْراً جميلاً﴾** لا جزع فيه.

﴿إنهم يَرَونَهُ بعيداً﴾ [٦]

لأنهم لا يؤمنون به. قيل: الضمير في **﴿إنهم﴾** للكافرين وفي **﴿يرونه﴾** للعذاب.

﴿ونَراهُ قريباً﴾ [٧]

لأنه كائن، وكل كائن قريب.

﴿يومَ تكونُ السماءُ كالمُهل﴾ [٨]

يكون التقدير: يقع هذا أو يبصرونهم يوم تكون السّماء كالمهل، وأضيف يوم إلى الفعل، لأنه بمعنى المصدر وعطف عليه.

﴿وتكُونُ الجبالُ كالعهن﴾ [٩]

جمع عهْنة، ويقال عُهُونٌ.

﴿ولا يسألُ حَميمٌ حَميماً﴾ [١٠]

﴿يُبَصَّرُونهم..﴾ [١١]

في هذا المضمر اختلاف بين العلماء فعن ابن عباس: يُبَصَّرُ الحميمُ حميمهُ أي يراه ويعرفه ثمّ يفرّ منه. فهذا قول، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: يُبصَّر المؤمنون الكافرين، وعن ابن زيد: يُبَصَّرُ في النار التابعون للمتبوعين. قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب القول

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾

الأول؛ لأنه قد تقدَّم ذكرُ الحميم فيكون الضمير راجعاً عليه أولى من أن يعود على ما لم يجر له ذكر ﴿يودُّ المُجرِمُ لو يَفتدي مِنْ عَذاب يومئذ ببنيه﴾ بُنيتْ ﴿يومئذ﴾ لمَّا أُضيفت إلى غير مُعرب، وإن شئت خفضتها بالاضافة فقرأت ﴿من عذاب يومئذ ببنيه﴾.

﴿وصاحبته وأخيه﴾ [١٢]

﴿وفصيلته التي تُؤويه﴾ [١٣]

والجمع فَصَائِلُ وفُصلٌ وفُصْلانٌ.

﴿ومَنْ في الأرض جميعاً ثُمَّ يُنجيه﴾ [١٤]

أي ثمّ يُنجيه الافتداء لأن ﴿يفتدي﴾ يدلُّ على الافتداء.

﴿كلاّ..﴾ [١٥]

تمام حسن ﴿إنّها لظى﴾.

﴿نزّاعةً للشوى﴾ [١٦]

بين النحويين في هذا اختلاف تكون لظى في موضع نصب على البدل من قولك ﴿ها﴾ ونزّاعةٌ خبر ﴿إنّ﴾، وقيل: [لظى] [معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٧١٤] في موضع رفع على خبر ﴿إنّ﴾ و﴿نزّاعة﴾ خبر ثان أو بدل على إضمار مبتدأ، وقيل: إنّ ﴿ها﴾ كناية عن القصة و﴿لظى نزاعة﴾ مبتدأ وخبره وهما خبر عن ﴿إنّ﴾، وأجاز أبو عبيد ﴿نزّاعة﴾ بالنصب، وحكى أنه لم يقرأ به. قال أبو جعفر: وأبو العباس محمد بن يزيد لا يجيز النصب في هذا؛ لأنه لا يجوز أن يكون إلا نزاعةٌ للشوى [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٨٥]، وليس كذا سبيل الحال.

﴿تدعُو من أدبرَ وتولّى﴾ [١٧]

مجاز لأنه يُروى أن خزنتها ينادون: إيتُونا بمن أدبر وتولّى عن طاعة الله، وروى سعيد عن قتادة: تدعو من أدبر عن طاعة الله وتولّى عن كتابه وحقّه.

﴿وجَمَع فأوعى﴾ [١٨]

أي جعل المال في وعاء ولم يُؤدِّ منه الحقوق [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٨٥]. ويقال: وَعيتُ العِلمَ وأوعَيتُ المتاع.

﴿إنّ الإنسان خُلق هَلُوعًا﴾ [١٩]

إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾
وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم
مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾

﴿إذا مسَّهُ الشَّرُّ جزُوعاً﴾ [٢٠]

﴿وإذا مسَّهُ الخيرُ مَنُوعاً﴾ [٢١]

﴿خُلِقَ﴾ في موضع خبر **﴿إنَّ﴾** ونصبت **﴿هَلُوعاً﴾** على الحال المقدّرة والهلوع فيما حكاه أهل اللغة الذي يستعملُ في حال الفقر ما لا ينبغي أن يستعمله من الجزع وقلة التأسّي [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٢٢]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/١٨٥]، وفي الغنى ما لا ينبغي أن يستعملهُ من منع الحقّ الواجب وقلة الشكر. وقد بين هذا بقوله: **﴿إذا مسّهُ الشَّرُّ جزُوعاً﴾**، **﴿وإذا مسّهُ الخيرُ مَنُوعاً﴾** ونصبت **﴿جزوعاً﴾** و **﴿منوعاً﴾** على الحال وقيل: على النعت لهلوع، ويجوز أن يكون التقدير صار كذا.

﴿إلا المُصلِّينَ﴾ [٢٢]

نصب على الاستثناء.

﴿الذينَ هُم على صلاتهم دائمونَ﴾ [٢٣]

نعت.

﴿والذينَ في أموالهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ [٢٤]

عطف عليه، روى سعيد بأن قتادة قال: الصدقة المفروضة، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس **﴿والذينَ في أموالِهِمْ حقٌّ معلوم﴾** قال: يقول سوى الصدقة يَصِلُ بها رَحِماً ويُقوِي بها ضعيفاً أو يحمل بها كلاً أو يُعِينُ بها محروماً.

﴿للسّائِلِ والمحرُومِ﴾ [٢٥]

قال أبو جعفر: صح عن ابن عباس قال: المحرومُ المُحَارَفُ، وعن قتادة: السائل الذي يسأل بكفِّه، والمحرومُ المتعفِّفُ أي الذي لا يسأل، ولكلّ عليك حقٌّ يا ابن آدم، وعن ابن زيد: **﴿المحروم﴾** الذي احترق زرعه.

﴿والذينَ يُصدِّقُونَ بيوم الدّين﴾ [٢٦]

﴿والذينَ هُم مِّنْ عذاب ربهِمْ مُشفقونَ﴾ [٢٧]

﴿والذين هُمْ لفُرُوجِهِمْ حافظُون﴾ [٢٩]

وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾

﴿والذين هُم بشهادتهم قائمُون﴾ [٣٣]

﴿والذين هم على صلاتِهِمْ يُحافظُون﴾ [٣٤]

في موضع نصب كلّه معطوف على نعت المصلّين وكذا **﴿والذين هُمْ لفُرُوجِهِمْ حافظُون﴾**، وكذا **﴿والذين هُم بشهادتهم قائمُون﴾** قال أبو جعفر وقراءة أبي عبد الرحمن والحسن **﴿بِشهاداتِهِمْ﴾** قال أبو جعفر: شهادة مصدر فلذلك قرأها جماعة على التوحيد، ويجوز أن يكون واحداً يدل على جمع، وكذا **﴿والذين هم على صلاتِهِمْ يُحافظُون﴾**.

﴿أولئك في جنات مُكرَمُون﴾ [٣٥]

مبتدأ وخبره.

﴿فمَا لِلّذين كفروا قِبَلَك مُهطعين﴾ [٣٦]

﴿عنِ اليمين وعن الشّمالِ عزين﴾ [٣٧]

نصب على الحال وكذا **﴿عنِ اليّمين وعن الشّمالِ عزين﴾** جمعُ عزة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٢٣] جُمِعَ بالواو والنون وفيه علامة التأنيث عرضاً مما حذف منه، وفيه لغة أُخرى يقال: مررتُ بقوم عزينٍ، يجعل الإعراب في النون.

﴿أيطمعُ كلُّ امرىء منهم أنْ يُدخَلَ جنّة نعيم﴾ [٣٨]

وقراءة الحسن وطلحة **﴿أن يَدخل﴾** بفتح الياء وضم الخاء. قال أبو جعفر: والآية مشكلة. فمما قيل فيها: إن المعنى: فما للذين كفروا قِبَلَك مسرعين بالتكذيب لك، وقيل: بالاستماع منك ليعيبوك، **﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾** أي مُتفرّقين في أديانهم وهم مخالفون للإسلام، أيطمع كل امرىء منهم أن يثاب على هذا فيدخل الجنّة، وقيل: أيطمَع كل امرىء منهم أن ينجو من العذاب على هذا الفعل؛ لأن معنى يدخل الجنة ينجو من العذاب.

﴿كلاّ..﴾ [٣٩]

ردّ عليهم **﴿إنّا خَلَقناهُم مما يعلَمُون﴾** ذكّرهم مهانَتَهم وأنهم إنما خُلقوا من نطفة فيكفَ يستحقُّون الثواب إذا لم يعملوا عملاً صالحاً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٢٣]، كما قال قتادة: خُلقتَ من قذر يا ابن آدم فاتق الله جلّ وعزّ.

﴿فلا أُقسِمُ بربّ المشارقِ والمغارب..﴾ [٤٠]

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾

قال أبو ظبيان عن ابن عباس: للشمس كل يوم مشرقٌ ومغربٌ لم يكونا لها بالأمس فذلك قوله جلّ وعزّ ﴿فلا أقسِمُ بربِ المشَارق والمغارب﴾ ولا زائدة للتوكيد [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٢٣]، لا نعلم في ذلك اختلافاً فإنما اختلفوا في ﴿لا أقسم﴾ لأنه أول السورة فكرهوا أن يقولوا: زائد في أول السورة وقد أجمع النحويون أنه لا تزاد ﴿لا﴾ و﴿ما﴾ في أول الكلام، فكان الكلام في هذا أشد، وجواب القسم ﴿إنّا لقادِرُون﴾.

﴿على أن نُبَدِّل خيراً مِّنْهُمْ وما نحنُ بمسبُوقين﴾ [٤١]

أي ليس يعجزوننا ولا يفرتوننا؛ لأن من فاته الشيء ولم يلحقه فقد سبَقَهُ.

﴿فَذَرْهُمْ يخُوضُوا ويلعبوا﴾ [٤٢]

جواب، وفيه معنى الشرط وفي موضع آخر ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] لأن هذا ليس بجواب، وزعم الأخفش سعيد أن الفرق بينهما أنه إذا كان بالنون فهم في تلك الحال وإذا لم يكن بالنون فهو للمستقبل ﴿يومَهُمُ الذي يوعدون﴾.

﴿يوم يخرُجون..﴾ [٤٣]

بدلٌ منه ﴿مِنَ الأجداث سراعاً﴾ نصب على الحال ﴿كأنهم إلى نُصب يُوفضون﴾ وقراءة الحسن ﴿إلى نصب﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/١٨٦] وكذا يُروى عن زيد بن ثابت وأبي العالية، أي إلى غايات يستبقُون، وقال الحسن: كانوا يجتمعون غدوةً فيجلسون فإذا طلعت الشمس تبادروا إلى أنصابهم. فقال الأعرج: إلى نَصْب إلى عَلَم. قال أبو جعفر: وتقديره في العربية: إلى عَلَم قد نُصب نصباً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٢٤].

﴿خاشِعةً أبصارُهُمْ﴾ [٤٤]

أي ذليلة خاضعة لما نزل بهم ونَصْبُ خاشعة بـ ﴿ترهقهم﴾ أو بـ ﴿يخرجون﴾ ﴿ترهَقُهُمْ ذلّةٌ﴾ أي تغشاهم ﴿ذَلكَ اليومُ الذي كانُوا يُوعَدُون﴾ قيل: الذي كان مشركو قريش يوعدُون به فلا يُصدِّقون ذلك.

٧١ ـ سورة نُوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾

شرح إعراب سورة نوح عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إنّا..﴾ [١]

الأصل إنّنا حُذفت النون تخفيفاً ﴿أرسَلْنا﴾ سُكِّنت اللام في الأصل لاجتماع الحركات وأنه مبنيّ ﴿نوحاً﴾ اسم أعجمي انصرف لأنه على ثلاثة أحرف ﴿إلى قومه﴾ اسم للجمع، وقيل: قوم جمع قائم مثل تاجر وتَجر ﴿أنْ أنْذر قومك﴾ ﴿أنْ﴾ بمعنى التبيين كما تقول: أي أنذر قومك، ويجوز أن يكون في موضع نصب [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٢٧]، ويكون المعنى بأنْ أنذر قومك ﴿من قبل أنْ يأتيَهم عَذَابٌ أليمٌ﴾ خفضت قبل بمن وأعربتها لأنها مضافة إلى ﴿أنْ﴾.

﴿قال ياقومِ إنّي لكم نَذِيرٌ مُبِين﴾ [٢]

﴿أنِ اعبُدُوا الله..﴾ [٣]

يكون ﴿أنْ﴾ أيضاً بمعنى أي، ويكون بمعنى نذير بأن اعْبُدوا الله، وصلتها اعبُدوا ﴿واتقُوهُ واطيعون﴾ عطف عليه.

﴿يغفرْ لكم مِنْ ذُنوبكم..﴾ [٤]

جزم لأنه جواب الأمر ﴿ويُؤخرْكُمْ إلى أجل مُسمى﴾ عطف عليه ﴿إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخّر لو كُنْتُمْ تعلمُون﴾ لم يُجزم بلو الفعل المستقبل لمخالفتها حروف الشرط في أنها لا تردّ الماضي إلى المستقبل.

﴿قال رَبِ إني دَعوتُ قَوْمي ليلاً ونهاراً﴾ [٥]

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ
وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ
ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ
وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

على الظرف.

﴿فلم يزدهُم دعائي إلاّ فراراً﴾ [٦]

مفعول ثان.

﴿وإني كُلَّما دَعوتُهم..﴾ [٧]

منصوب على الظرف و ﴿ما﴾ متصلة مع ﴿كل﴾ إذا كانت بمعنى إذا، والجواب ﴿جَعَلُوا أصابعهُمْ في آذانهم﴾ الواحدة إصبع مؤنثة ويقال: أصْبُع ﴿واستغشوا ثيابهم وأصرُّوا﴾ عطف عليه، قال الفرّاء [معاني القرآن: ١٨٨/٣]: ﴿أصرّوا﴾ سكتوا على الكفر. ﴿واستكبروا استكباراً﴾ مصدر فيه معنى التوكيد، وكذا.

﴿ثمّ إني دَعوتُهم جِهاراً﴾ [٨]

ويجوز أن يكون التقدير: ذا جهار.

﴿ثمّ إني أعلنْتُ لَهُمْ وأسررْت لهم إسراراً﴾ [٩]

مصدر أيضاً فيه معنى التوكيد.

﴿فقلتُ استغفروا ربَّكُم..﴾ [١٠]

أي استدعوا منه المغفرة ﴿إنه كان غفّاراً﴾ أي ستّاراً على عقوبات الذنوب لمن تاب.

﴿يُرسل السماء عَلَيكُم..﴾ [١١]

جواب الأمر ﴿مدراراً﴾ نصب على الحال من السماء، ومفعال للمؤنث بغير هاء؛ لأنه جار على الفعل يقال: امرأةٌ مذكارٌ ومئناث بغير هاء.

﴿ويُمددكم بأموال وبنين ويجعل لكُمْ جَنّات ويَجعَل لكُمْ أنهاراً﴾ [١٢]

يُروى أنهم قيل لهم هذا؛ لأنهم كانوا شديدي المحبة للمال.

﴿مالكُمْ لا تَرجُونَ لله وقاراً﴾ [١٣]

قد ذكرناه.

﴿وقد خَلَقكُم أطواراً﴾ [١٤]

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾

أكثر أهل التفسير على أن الأطوار خلقُكم نطفةً ثمّ علقةً ثمّ مضغةً [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٨٨]، [ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٢٩]، وقيل: اختلاف المناظر؛ لأنك ترى الخلق فتميّز بينهم في الصور والكلام، ولابدّ من فرق وإن اشتبهوا. وذلك دالّ على مُدبّر وصانع.

﴿ألَم تَروا كيفَ خلق الله سَبْع سموات طِبَاقاً﴾ [١٥]

مصدر، ويجوز أن يكون نعتاً لسبع [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٣٠]، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٨٨] الخفض في غير القرآن.

﴿وجَعل القمر فيهنّ نوراً﴾ [١٦]

قال أبو جعفر: أجلّ ما روي فيه قول عبد الله بن عمرو: إنّ وجه القمر إلى السموات فهو فيهن على الحقيقة ﴿وجعل الشمس سِرَاجاً﴾ مفعولان.

﴿والله أنبتَكُم مّنَ الأرض نَبَاتاً﴾ [١٧]

ومصدر أنْبت إنباتٌ [معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٧١٥]، [ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٣٠] إلاّ أن التقدير فنبتهم نباتاً قيل: هذا لأن آدم (عليه السلام) خُلق من طين، وقيل: النطفة مخلوقة من تراب.

﴿ثم يُعيدكم فِيهَا..﴾ [١٨]

بالإقبار ﴿ويُخرجُكُمْ إخراجاً﴾ إلى البعث.

﴿والله جعَلَ لكُم الأرضَ بساطاً﴾ [١٩]

ويجوز بصاد؛ لأن بعدها طاء.

﴿لتسلُكوا مِنها سُبُلاً فِجَاجاً﴾ [٢٠]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿سُبُلاً فِجَاجاً﴾ قال: طرقاً مختلفة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٣٠].

﴿قال نُوحٌ رَّبِّ إنهم عصَوني واتّبعُوا مَن لم يزدْهُ ماله وولدُه إلاّ خَسَاراً﴾ [٢١]

وقرأ الكوفيون وأبو عمرو ﴿وَوُلْدُهُ﴾ ويجوز والْدُه مثل ﴿أُقِّتَتْ﴾ وروى شبل عن مجاهد قال: وُلْدُه: زوجه وأهله وروى خارجة عن أبي عمرو بن العلاء قال: ولده عشيرتُه وقومه. قال أبو جعفر: أما أهل اللغة سوى هذه الرواية عن أبي عمرو فيقولون: وُلْدٌ وَوَلَدٌ مثل بُخْلٌ وبَخَلٌ وفُلْكٌ وفَلَكٌ، ويجوز عندهم أن يكون وُلْدٌ جمع ولد [مثل] وُثْن ووثَن.

وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾

﴿ومكرُوا مكراً كُبّاراً﴾ [٢٢]

و﴿كُبّاراً﴾ هي قراءة بمعنى واحد [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٣٠].

﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وداً ولا سُوَاعاً..﴾ [٢٣]

هذه قراءة أهل المدينة، وقرأ الكوفيون وأبو عمرو ﴿وَدّاً﴾ بفتح الواو وهو اختيار أبي عبيد واحتج بقولهم: عَبد وَدّ وأن الصنم اسمه وَدٌّ. قال أبو جعفر: وهذا من الاحتجاجات الشاذة، والمُتعارف عكس ما قال إنما يقال: عبدُ ودٍّ فإن كان من جهة التعارف فهو هذا، وإن كان من جهة الأشبه فالأشبه أن يُسمّى بودّ مُشتقّ من الوداد، وهو السهولة واللين، ومنه وددت الرجل أحببته وودده إذا برزته، وودت أن ذلك الشيء لي أي تمنيت بسهولة، وتسميتهم الصنم وَدّاً من هذا ﴿ولا يغوثَ ويَعوقَ ونسراً﴾ لم ينصرف يغوث ويعوق لشبههما الفعل المستقبل، وقرأ الأعمش ﴿ولا يغوثاً ويعوقاً﴾ بالصرف، وفي حرف عبد الله فيما روى ﴿ولا تذرنّ وداً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾.

قال أبو جعفر: هذا عند الخليل وسيبويه لحن وهو أيضاً مخالف للسواد الأعظم، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٨٩] أنّ ذلك يجوز صرفه لكثرته أو كأنه نكرة، وهذا ما لا يُحَصَّل؛ لأنه ليس إذا كثر الشيء صرف فيه ما لا ينصرف على أنه لا معنى لقوله: لكثرته في اسم صنم، ولا معنى لأن يكون نكرة ما كان مخصوصاً مثل هذا. وقد زاد الكسائي على هذا فقال: العرب تصرف كل ما لا ينصرف إلا أفعَلَ منك. قال محمد بن يزيد: هذا خطأ لأنهم قد صرفوا خَيراً منك وشرّاً منك ومعها منك.

﴿وقد أضلّوا كثيراً..﴾ [٢٤]

ويجوز في غير القرآن وقد أضللن وقد أضلّتْ ﴿ولا تزد الظالمين الاّ ضلالاً﴾ قيل: المعنى لا توفقهم، وقيل: إلاّ ضلالاً عن الثواب وطريق الجنة.

﴿ممّا خَطيئاتهمْ أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾ [٢٥]

﴿ما﴾ زائدة للتوكيد، ولا يجوز عند البصريين غير ذلك، والكوفيّون يقولون: صلة ثم يرجعون في بعض المواضع إلى الحق وهذا ممّا زعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٨٩، ١٩٠] أن ﴿ما﴾ هاهنا تفيد؛ لأن المعنى من أجل خطيئاتهم أُغرقوا؛ واحتجّ بأنّ ﴿ما﴾ تدل على المجازاة، وذكر حيثُما تكُن أكن، وذكر كيف وأين هذا في كتابه في «معاني القرآن»، ومذهبه في هذا حَسَنٌ لولا ما

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

فيه من التخبّط. ذكر حيثما وهي لا يُجازى بها إلاّ ومعها «ما»، وذكر «كيف» وهي لا يجازى بها البتة، وذكر «أين» وهي يجازى بها مع «ما» وبغير «ما»، فجمع بين ثلاثة أشياء مختلفة.

﴿وقال نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيّاراً﴾ [٢٦]

أي أحداً وهو من دار يَدُورُ أي أحداً يدور، وقيل: دَيّار صاحب دار.

﴿إنّك إن تَذَرْهُمْ﴾ [٢٧]

شرط ﴿يُضلّوا عِبادَكَ﴾ مجازاة ﴿ولا يلدوا إلاّ فاجِراً كفّاراً﴾ عطف عليه.

﴿رَبِّ اغفر لي ولوالديّ..﴾ [٢٨]

بفتح الياء؛ لأنها ياء النفس لا يجوز كسرها وهي نظيرة ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وكذا قراءة من قرأ ﴿ولوالدَيّ﴾ ومن قرأ ﴿ولوالدِي﴾ جاز أن يسكن الياء وأن يفتحها.

﴿ولِمَنْ دَخَل بيتي مُؤمناً وللمُؤمنينَ﴾ عطف بإعادة الحرف ﴿والمؤمنات﴾ عطف بغير إعادة الحرف ﴿ولا تزد الظالمين إلاّ تباراً﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٩٠]: إلاّ ضلالاً، وأولى منه قول مجاهد: إلاّ هلاكاً، مُشتقّ من التّبر وتَبرْتُ الشيء وتَبرْتُه كسرته.

٧٢ ـ سورة الجن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

شرح إعراب سورة الجن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفرٌ من الجنّ..﴾ [١]

قرأ جُويَّة بن عائذ الأسدي ﴿قل أُحي إليّ﴾ [معاني القرآن للفراء: ١٩٠/٣]. قال أبو جعفر: هذا على لغة من قال: وَحَى يحي. قال العجاج:

وحى لها القرار فاستقرّت

والأصل: وُحِي إليّ فأبدل من الواو همزة مثل ﴿أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١] ﴿أنه﴾ في موضع رفع اسم مالم يُسمَّ فاعله. والنفر ثلاثة وأكثر. ﴿قالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً﴾ كُسرت ﴿إنّ﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٣٣/٥] لأنها بعد القول فهي مبتدأة. ومعنى عجب عجيب في اللغة على ما ذكره محمد بن يزيد أنه الشيء يقلّ ولا يكاد يوجد مثله.

﴿.. فآمنّا به وَلَن نُشرك بربّنا أحداً﴾ [٢]

﴿لن﴾ تدلّ على المستقبل، والأصل فيها عند الخليل لا أن [الكتاب: ٤٠٧/١]، وزعم أبو عبيدة أنه قد يُجزم بها.

﴿وإنّهُ تعالى جَدّ ربّنا..﴾ [٣]

هذه قراءة المدنيين في السورة كُلّها إلا في ﴿قل أوحي إليّ أنه﴾ وفي ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] وفي ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [الجن: ١٦]. وقد زعم بعض أهل اللغة أن قراءة المدنيين لا يجوز غيرها، وطعن على من قرأ بالفتح لأنه توهم أنه معطوف على ﴿أنه استمع﴾. قال أبو جعفر: وذلك غلط لأنه قد قرأ بالفتح من تقوم الحُجّة بقراءته. روى الأعمش عن إبراهيم

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾

ابن علقمة أنه قرأ و﴿أنّ﴾ في السورة كلها. وقرأ يحيى ابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي بالفتح في السورة كلها إلى قوله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ [الجن: ٢٠] فلمّا أشكل عليه هذا عدل إلى قراءة أهل المدينة؛ لأنها بيّنة واضحة.

والقول في الفتح أنه معطوف على المعنى، والتقدير فآمنّا به وآمنّا، أنه تعالى جدّ ربنا فإنه في موضع نصب. وأحسن ما رُوي في معنى ﴿جدّ ربنا﴾ قول ابن عباس: إنه الغنى والعظمةُ والرفعة، وأصل الجدّ في اللغة الارتفاع. من ذلك الجدُّ أبو الأب. ومنه الجدُّ الحظّ وباللغة الفارسيّة البخت. ويقال: إنّ الجن قصدوا إلى هذا وأنّهم أرادوا الرفعة والحظ، أي ارتفع ربنا عن أن يُنسب إلى الضعف الذي في خلقه من اتخاذ المرأة وطلب الولد والشهوة. يدلّ على هذا أن بعدَهُ ﴿ما اتّخذ صاحبةً ولا ولداً﴾ وقد زعم بعض الفقهاء أنه يُكره أن يقال: وتعالى جدّك واحتجّ بأن هذا إخبار عن الجن. وذلك غلط لأنه قد صح عن النبيّ ﷺ ذلك ولم يذمّ الله الجنّ على هذا القول. وروي عن عكرمة ﴿وأنه تعالى جدّاً ربُّنا﴾.

﴿وأنّه كانَ يقول سفيهنا على الله شططاً﴾ [٤]

السَّفَهُ: رقةُ الحِلم، وثوب سفيه أي رقيق، وفتح أن أيضاً حملاً على المعنى أي صدقنا وشهدنا. والشطط: البعد، كما قال:

شَطَّتْ مَزارُ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ

[ديوان عنترة: ١٨٦]

﴿وأنّا ظننا أن لَن تقول الإنسُ والجنُّ على الله كذباً﴾ [٥]

لاستعظامهم ذلك. والظنّ ههنا الشك [معاني القرآن للفراء: ٣/١٩٣].

﴿وأنّهُ كانَ رِجال من الإنس..﴾ [٦]

اسم كان وخبرها ﴿يعُوذُونَ برجال من الجنّ فزادوهم رَهقاً﴾ مفعول ثان.

﴿وأنهم ظنّوا كما ظننْتُمْ..﴾ [٧]

وإنْ فتحتَ أن حملته أيضاً على المعنى اي علمنا أنهم ظنوا كما ظننتم ﴿أن لَنْ يبعَث الله أحداً﴾ ﴿أنْ﴾ وما بعدها في موضع المفعولين لظننتم إنْ أعملته، وإنْ أعملت الأول نويت بها التقدّم.

﴿وأنّا لمسنا السّماء فوجدنَاها مُلِئت حرساً شديداً..﴾ [٨]

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى
ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن
نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا
وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾

إن عدّيتَ وجدنا إلى مفعولين فمُلئت في موضع المفعول الثاني، وإنْ عدّيتهما إلى واحد أضمرت ﴿قد﴾. قال أبو جعفر: والأول أولى، وشهب في الكثير، وفي القليل أشهبة.

﴿وإنا كُنّا نقعدُ مِنها مقاعِدَ لِلسّمعِ..﴾ [٩]

لم ينصرف لأنه لا نظير له في الواحد وهو نهاية الجمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يجد له شهاباً رَّصداً﴾ شرط ومجازاة.

﴿وإنا لا ندري أشرٌّ أُريدَ بِمَنْ في الأرض أم أرادَ بِهِمْ ربُّهم رشداً﴾ [١٠]

أحسن ما قيل فيه: إن المعنى: لا ندري أشرّاً أراد الله بمن في الأرض حين منعنا الاستماع من السماء أم أراد بهم ربهم أن يرسل إليهم رسولاً فيرشدهم، هذا مذهب ابن زيد، وكانت هذه من علامات نبوّته ﷺ أنه شدّد على الشياطين في استماعهم من السماء ورُمُوا بالشهب [معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٩٣].

﴿وإنّا منّا الصّالحُونَ ومنّا دُونَ ذلك..﴾ [١١]

لمّا سكنت النون مِنْ ﴿مِنْ﴾ استغنيتَ عن زيادة نون أُخرى فإذا قلت: مني فالاسم الياء وزدتَ النون لئلاّ تكسر نون ﴿من﴾ ﴿كُنّا طَرائِقَ قِدداً﴾ الواحدة طريقة ويقال: طريق وطريقة [معاني القرآن للفراء: ٣/١٩٣]، وفلان على طريقة فلان، وفلان طريقة القوم أي رئيسهم، والقوم طريقة أيضاً، وإن شئت جمعت.

﴿وإنّا ظَنَنّا أن لن نُعجزَ الله في الأرض..﴾ [١٢]

الظن ها هنا يقين [معاني القرآن للفراء: ٣/١٩٣] ﴿ولن نُعجزه هرباً﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿وإنّا لمّا سمعنا الهُدى آمنا بِهِ..﴾ [١٣]

على تذكير الهُدى، وهي اللغة الفصيحة. وقد تؤنث ﴿فَمَن يُؤمن بربّهِ فلا يخافُ بخساً ولا رَهقاً﴾ وقراءة يحيى بن وثاب والأعمش ﴿فَلا يَخَفْ﴾ على النهي.

﴿وإنّا منّا المُسلِمُونَ ومنّا القاسطُون..﴾ [١٤]

قسط إذا جار، هذا الأصل ثمّ يزاد عليه الألف فيقال: أقسط إذا أزال القسوط أي عدل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٣٥]

وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

﴿وأن لو استقاموا على الطريقة..﴾ [١٦]

وقراءة يحيى بن وثاب والأعمش ﴿وأن لوُ استقاموا﴾ بضم الواو لالتقاء الساكنين ولأن الضمة تُشبهُ الواو إلا أن سيبويه [الكتاب: ٢/٢٧٦] لا يجيز إلا الكسر في الواو الأصلية فرقاً بينها وبين الزائدة ﴿لأسقيناهُمْ ماء غدَقاً﴾ حكى أبو عبيدة [مجاز القرآن: ١/٣٤٩، ٣٥٠] سقيتُهُ وأسقيتُهُ لغة، وأما الأصمعي فقال: سقيتُهُ لفيه وأسقيته جعلت له شرباً. قال أبو جعفر: وعلى ما قال الأصمعي اللغة الفصيحة، منها لأسقيناهُمْ أي أدمنا لهم ذلك، غير أن أبا عبيدة أنشد للبيد وهو غير مُدافع عن الفصاحة:

سَقى قومي بني مَجْد وأسقى ... نُمَيراً والقبائلَ مِنْ هِلالِ

[القرطبي في «تفسيره»: ١/٤١٨]

فسئل الأصمعي عن هذا البيت فقال: هو عندي مَعمول، ولا يكون مطبوعٌ يأتي للغتين في بيت واحد.

﴿لِنَفتِنَهُمْ فيه..﴾ [١٧]

حكى أبو زيد و أبو عبيدة: فَتَنتُهُ وأفتَنتُهُ. قال أبو زيد: لغة بني تميم أفتنتُهُ. قال الأصمعي: فَتَنَهُ يفتنه فهو فاتن وفتانٌ، قال الله جلّ وعزّ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦٢] قال: ولا يقال: أفتنه وأنكر هذه اللغة ولم يعرفها، فأنشدهم:

لَئِنْ فَتَنَتْني لَهْيَ بالأمسِ أفتنتْ ... سعيداً فأمسى قد قلا كُلَّ مُسْلِمِ

قال أبو جعفر: وهذا شعر قديم، غير أن الأصمعي قال: لا بأس، هذا قد سمعناه من مخنَّث فلا يُلتفت إليه. وإن كان قد قيل قديماً. قال أبو جعفر: قد حكى الجِلَّةُ من أهل اللغة ممّن يُرجع إلى قوله في الصدق فتنه وأفتنهُ غير أن سيبويه [الكتاب: ٢/٣٢٤] فرّقَ بينهما فذهب إلى أن المتعدّي أفتن، وأن معنى فتنه جعَل فيه فتنةً. كما تقول: كَحَلَهُ ﴿ومن يُعرضْ عن ذكر ربه يَسلكْه عذاباً صعَداً﴾ وقرأ مسلم بن جندب ﴿نُسلِكْهُ﴾ بضم النون وكسر اللام. قال أبو جعفر: سلكه وأسلكهُ لغتان عند كثير من أهل اللغة، وقال الأصمعي: سلكهُ بغير ألف. قال الله جلّ وعزّ: ﴿ما سَلَكَكُم في سَقَرْ﴾ وكما قال الشاعر:

أمَا سلكتَ سَبيلا كُنتَ سالِكَها ... فاذهبْ فلا يُبعدنْكَ الله مُنْتَشِرُ

وسَلَكَ وسلكهُ مثلُ رجع ورجعته، وأسلكه لغة معروفة أنشد أبو عبيدة وغيره لعبد مناف ابن ربع:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ﴾

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

ولم يطعن الأصمعي في هذا البيت غير أنه قال: أسلكه حمله على أن يسلك، وزعم أبو عبيدة أن الجواب محذوف وخولف في هذا، وقيل: الجواب شلوا وشلّا يقوم مقامه.

﴿وأنّ المَساجِدَ لله..﴾ [١٨]

﴿أنّ﴾ في موضع نصب [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٣٦] بمعنى ولأن وعلى قول بعضهم في موضع رفع عطفاً على ﴿قُلْ أوحِيَ إليّ أنه﴾.

﴿فلا تدعُوا مع الله أحداً﴾ نهي لجماعة وحذفت منه النون للجزم.

﴿وأنّه لما قام عبد الله يدعُوه كادُوا يكونُون عليه لِبَداً﴾ [١٩]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿لِبَداً﴾ أعواناً، وقال مجاهد: ﴿وأنّه لما قام عبد الله يدعُوه كادُوا يكونُون عليه لِبَداً﴾ لبداً جماعات ومالاً لبَدا: كثيراً. قال أبو جعفر: وهذا قول بيّن وإن كان هذا قد قرئ ﴿لُبَدا﴾ فهو بعيد، والمعنى على الجماعة الأعلى الكثرة كما قال مجاهد: من تلبد الشيء على الشيء إذا تجمّع عليه ولَصق به، وعليه لِبْدةٌ أي شعرٌ وما أشبهه كما قال:

لدى أسد شاكي السلاح مقاذف له لِبَدٌ أظفارُهُ لم تُقَلَّمِ

[ديوان زهير بن أبي سلمى: ٢٣]

﴿قُلْ إنما أدعُو رَبي..﴾ [٢٠]

ويقرأ ﴿قل إنّما أدعو ربي﴾ والقراءة يقال متسقةٌ ويقال منقطعة، والمعنيان صحيحان أي قُل لهم فقال: إنّما أدعو ربي ﴿ولا أشرك به أحداً﴾ نسَقٌ ويجوز أن يكون مستأنفاً.

﴿قُلْ إنّي لا أملِكُ لكم ضَرّاً ولا رَشداً﴾ [٢١]

أي لا أملك أن أضُرّكُم في دينكم ولا دنياكم إلاّ أن أرشدكم كرهاً أي إلاّ أن أبلغكم، وفيه قول آخر يكون نصباً على إضمار فعل، ويكون مصدراً أي قل إني لن يجيرني من الله أحدٌ الاّ أن أبلغ رسالة فيكون ﴿أنْ﴾ منفصلة من لا. والمعنى: إلاّ بلاغاً ما أتاني من الله ورسالاته.

﴿قل إنّي لن يُجيرني من الله أحدٌ..﴾ [٢٢]

﴿لَنْ﴾ تجعل الفعل مستقبلاً لا غير ﴿وَلَن أجد مِنْ دونِه مُلتحداً﴾ أي ملجأ ألجأ إليه وأميل [معاني القرآن للفراء: ٣/١٩٥]، واللحد في القبر من هذا؛ لأنه مائل في ناحية منه، ويُمال الميت إليه.

أَحَدٌ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا
تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن
رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ
وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

﴿إلاّ بلاغاً مِّنَ الله..﴾ [٢٣]

نصب على الاستثناء، والمعنى فيه إذا كان استثناء. **﴿ومن يَعْصِ الله ورسوله فإنّ لَهُ نارَ جَهَنَّم خالِدِين فيها أبَداً﴾** شرط ومجازاة، وهو في كلام العرب عام لكل من عَصَى الله جلّ وعزّ إلاّ من استُثني بآية من القرآن أو توقيف من الرسول ﷺ أو بإجماع من المسلمين، والذي جاء مُستثنى منه من تاب وآمن ومن عمل صغيرة واجتنب الكبائر وسائر ذلك داخلون في الآية إلاّ ما صحّ عن النبي من خروج الموحّدين من النار.

﴿حتّى إذا رأوا ما يوعدون..﴾ [٢٤]

إذا ظرف ولا تُعرَبُ لشبهها بالحروف بتنقلها وأنّ فيها معنى المجازاة، وجوابها **﴿فسيعلمون من أضعف ناصراً﴾** **﴿مَن﴾** في موضع رفع لأنّها استفهام، ولا يعمل في الاستفهام ماقبله هذا الوجه، وإنْ جعلتها بمعنى الذي كانت في موضع نصب وأضمرت مبتدأ؛ وكان **﴿اضعف﴾** خبره **﴿وأقلّ﴾** عطف عليه **﴿عدداً﴾** نصب على البيان.

﴿قُل إن أدري أقريب ماتوعدون..﴾ [٢٥]

﴿ادري﴾ في موضع رفع حُذفت الضمة منه. ومن نَصبَهُ فقد لحن لحناً لا يجوز **﴿أم يَجعل لَه﴾** عطف عليه.

﴿عالم الغيب..﴾ [٢٦]

نعت **﴿فلا يُظهِر على غَيبِه أحداً﴾**.

﴿إلاّ من ارتضى من رَسُول..﴾ [٢٧]

في موضع نصب على الاستثناء من أحد لأن أحداً بمعنى جماعة **﴿فإنّهُ يسلك من بين يديه ومن خلفه رَصداً﴾** بمعنى جماعة أي ذوي رصد من الملائكة يحفظونه ويحفظون ماينزل من الوحي لا يُغيَّرُ ولا يُسْتَرَق.

﴿ليعلَمَ أن قد أبلغُوا رسالات ربّهم..﴾ [٢٨]

قد ذكرناه **﴿وأحاط بما لدَيْهم﴾** عطف جملة؛ لأن الذي قبله مستقبل وهو ماض وكذا **﴿واحصى كُلّ شيء عدداً﴾**.

٧٣ ـ سورة المُزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

شرح إعرب سورة المزّمّل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يا أيها المُزمل﴾ [١]

الأصل المتزمّل أدغمت التاء في الزاي [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٣٩]، [ومعاني القرآن للأخفش: ٢/٧١٦]، وفي معناه ثلاثة أقوال: فمذهب الزهري أنه تزمّل من فزع أصابه أول ما رأى المَلَك، ومذهب قتادة أنه تزمّل متأهباً للصلاة، تأوّلاً على قتادة وليس بنصّ قوله، ومذهب عكرمة أن المعنى: يا أيها المتزمل النبوة والرسالة مجازاً وتأولاً على عكرمة، ونصّ قوله: قد زُملتَ هذا الأمر فقم به. قال أبو جعفر: والبيِّنُ قول الزهري. قال إبراهيم النخعي: كان متزملاً في قطيفة.

﴿قُم الليلَ..﴾ [٢]

﴿نِصفَهُ أو انقص مِنْهُ قليلاً﴾ [٣]

كُسرت الميم لالتقاء الساكنين ولم تُردَدِ الواوُ لأن الحركة ليست بلازمة. في معنى **﴿قُم الليل إلاّ قَليلاً﴾** ثلاثة أقوال: إنّ هذا ليس بفرض. يدلّ على ذلك أن بعده **﴿نِصفَهُ أو انقص مِنْهُ قليلاً﴾** وليس كذلك تكون الفروض والقول الثاني: إنّه منسوخ، نسخه آخر السورة، وهذا قول ابن عباس والقولُ الثالث: أنه إنْ كان فرضاً فالمُخاطَبُ به النبيّ ﷺ، ولم يَقل عزّ وجلّ قوموا.

﴿نصفَهُ﴾ منصوب على إضمار فعل أي قُم نصفه، **﴿أو انقُصْ منهُ قليلاً﴾** ضُمّت الواو لالتقاء الساكنين وإن شئت كسرت على الأصل.

﴿أو زد عليه..﴾ [٤]

تخيير **﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾** حقيقته في كلام العرب تلبّث في قراءته وانفصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولا تستعجل فيدخل بعض الحروف في بعض. مشتق من الرتل. قال الأصمعي: وفي الأسنان الرتل؛ وهو أن يكون بين الأسنان الفرج، لايركب بعضها بعضاً، يقال:

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧
وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا
يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١﴾

ثغر رتل. قال أبو جعفر: وهذا قول صحيح بيّن، وقيل: هو من الرتل الذي هو الضعف واللين. فالمعنى ليّن القراءة ولاتستعجل بالانكماش.

﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ [٥]

في معناه قولان: قال عروة: كان النبي ﷺ إذا أُوحِيَ إليه وهو على ناقته ثَقُلَ عليها حتى تَضَع جرانَها، وقيل: لِما فيه من الفرائض والمنع من الشهوات كما قال قتادة: ثقله في الميزان كثقله على الإنسان في الدنيا.

﴿إنّ ناشِئةَ اللّيل..﴾ [٦]

مِن نشأ إذا ابتدأ ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ كذا يقرأ أكثر القراء، وهذا نصب على البيان. وَوَطْأً مصدر واطأ مُواطأة ووِطَاءَة ﴿وأقوم قيلا﴾ بيان أيضاً.

﴿إنّ لَكَ في النهارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ [٧]

وعن يحيى بن يعمر أنه قرأ ﴿سبخاً﴾ بخاء معجمة أي راحة ونوماً. وفي الحديث «لا تُسَبِّخي عنه» أي لا تُخففي.

﴿واذكر اسمَ ربكَ وتبتّلْ إليه تبتيلاً﴾ [٨]

تبتيلٌ مصدر بتّل؛ لأن المعنى واحد [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٤١]، وقد تبتّل تبتّلاً.

﴿رَبُّ المشرق والمغرب..﴾ [٩]

بالرفع والكوفيّون يقرؤون ﴿رَبِّ المَشْرِق والمغربِ﴾ بالخفض. والرفع حسن؛ لأنه أول الآية بمعنى هو ربُّ المشرق ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء وخبره ﴿لا إله إلاّ هُوَ﴾ ولو كان خبره ﴿فاتّخِذْهُ وكيلاً﴾ لكان النصب أولى به.

﴿واصبِرْ على ما يقُولون..﴾ [١٠]

أي مما يؤذيك ﴿واهجُرهُمْ هَجراً جميلاً﴾ وهو الهجر في ذات الله جلّ وعزّ، كما قال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨].

﴿وذرني والمُكذّبين..﴾ [١١]

عطف على النون والياء، ويجوز أن يكون مفعولاً معه ﴿أُولي النّعمة﴾ كتبت بزيادة واو بعد الألف فرقاً بين أُولي وإلى ﴿ومَهّلْهُمْ قَليلاً﴾ نعت لمصدر أو ظرف.

إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾

﴿إنّ لدينا أنكالاً﴾ [١٢]

﴿وطعاماً ذا غُصّة وعذاباً أليماً﴾ [١٣]

اسم **﴿إنّ﴾** الواحد نكلٌ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٤١] **﴿وجحيماً﴾** **﴿وطعاماً ذا غُصّة وعذاباً أليماً﴾** نسق كلّه، والمعنى عندنا هذا.

﴿يومَ تَرجُفُ الأرضُ والجبالُ وكانت الجبالُ كثيباً مهيلاً﴾ [١٤]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٩٨]: هِلْتَ التراب إذا حرّكت أسفله فسقط أعلاه، وقال أبو عبيد: يُقال لكلّ شيء أرسلته إرسالاً من رمل أو تُراب أو طعام أو نحوه: قد هلته أهيله هيلاً اذا أرسلته فهو مهيل. قال أبو جعفر: الأصل مهيول فأعلّ فألقيت حركة الياء على الهاء فالتقى ساكنان، واختلف النحويون بعد هذا فقال الخليل وسيبويه [الكتاب: ٢/٣٦٣]: حُذفت الواو لالتقاء الساكنين لأنها زائدة وكُسِرت الهاء لمجاورتها الياء فقيل: مَهيل، وزعم الكسائي والفرّاء والأخفش أن هذا خطأ؛ والحجة لهم أن الواو جاءت لمعنى فلا تُحذف ولكن حذفت الياء فكان يلزمهم على هذا أن يقولوا: مَهُول فاحتجّوا بأن الهاء كُسرت لمجاورتها الياء، فلمّا حُذفت الياءُ انقلبت الواو ياء لمجاورتها الكسرة. قال أبو جعفر: وهذا باب التصريف وغامض النحو، وقد أجمعوا جميعاً على أنه يجوز مَهْيُولٌ ومَبْيُوعٌ ومكيُولٌ ومَغْيُومٌ.

قال أبو زيد: هي لغة لتميم، وقال عَلقمةُ بنُ عَبَدَةَ:

يَـوم رذاذ عَـلَـيْـهِ الـدَّجْـنُ مَـغْـيُـوم

فهذا جائز في ذوات الياء، ولا يجيزه البصريّون في ذوات الواو، ولا يجوز عندهم خاتمٌ مَصْوُوغٌ ولا كلامٌ مقوولٌ، لثقل هذا لأنه قد اجتمعت واوان وضمة، وهم يستثقلون الواحدة ويَفِرّونَ منها. قال جلّ وعزّ: **﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾** [المرسلات: ١١] كذا في المصحف المُجتمع عليه. قال الشاعر:

لِـكُـلِّ دَهـرٍ قـد لَـبِـسْـتُ أثـؤبـا

فأبدل من الواو همزة، وأجاز النحويون رمْلٌ مَهولٌ وثوب مبوع يَبوءُ على بوع الثوبُ فأبدل من الياء واوٌ لضمّة ما قبلها، وأنشد الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ١٩٨]

أَلَـمْ تَـرَ أنّ الـمُـلْـكَ قـد شُـوِنَ وجـهُـهُ ... ونَـبـعُ بِـلادِ الـلّـه قـد صـار عَـوسَـجَـا

يريد (شِين)، وأنشد الكسائي والفرّاء:

إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾

يَـأوِي إلـى زُغْـبٍ مَـسَـاكِـيـنَ دُونَـهُـمْ ... فَـلاً لا تَـخَـطَّـاهُ الـرِّكَـابُ مَـهُـوبُ

[ديوان حميد بن ثور الهلالي: ٥٤]

واللغة العالية التي جاء بها القرآن. قال عائذُ بن محصن بن ثعلبة:

فـأبـقـى بـاطـلـي والـجـدُّ مِـنـهـا ... كـدُكَّـانِ الـدَّرابِـنَـةِ الـمَـطِـيـنِ

﴿إنا أرسَلنا اليكُم رَسُولاً..﴾ [١٥]

النون والألف الثانية في موضع رفع والأولى في موضع نصب واتّفق المكنيان؛ لأنهما غير مُعربَين ﴿شاهِداً عَليكُم﴾ نعت لرسول ﴿كما أرسَلنَا إلى فِرعونَ رَسُولاً﴾ الكاف في موضع نصب.

﴿فعَصى فِرعَونُ الرسُولَ..﴾ [١٦]

رسول الأول نكرة لأنه لم يتقدّم ذكره، والثاني معرفة لأنه قد تقدم ذكره ولهذا يُكتَبُ في أول الكتب «سَلامٌ عَليكَ» وفي آخرها «والسلام»، ولهذا اختار بعض العلماء في التسليمة الأولى من الصلاة: سلام عليكم، وفي الثانية: السلام عليكم، وذلك المختار في كلام العرب ﴿فأخذناهُ أخذاً وبِيلاً﴾ نعت لأخذ. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وبَيلاً﴾ أي شديداً. قال أبو جعفر: يقال: كلأٌ مُستوبِل أي لا يُستَمرأ. قال الفرّاء [معاني القرآن: ١٩٨/٣]: وفي قراءة ابن مسعود ﴿فكَيفَ تَتَّقونَ إن كَفَرتُم يَوماً يَجعل الولدان شِيبا﴾ قال أبو جعفر: وهذه القراءة على التفسير وفي يجعل ضمير يعود على اليوم، ويجوز أن يكون الضمير يعود على اسم الله ويكون في الكلام حذف أي يجعل الولدان فيه شيباً.

﴿السَّماءُ مُنفطرٌ به..﴾ [١٨]

ولم يقل: مُنفطِرةٌ والسماء مؤنثة، في هذا ثلاثة أقوال: قال الخليل رحمه الله: وهو كما تقول: [شاة] مُعضَلٌ يريد على النسب، وقيل: حُمِلَ التذكير على معنى السقف، والقول الثالث قول الفرّاء [معاني القرآن: ١٩٨/٣]: إن السماء تؤنث وتذكَّر فجاء هذا على التذكير، وأنشد:

فَـلـو رفـع الـسَّـمَـاءُ إلـيـه قـومـاً ... لَـحِـقـنـا بـالـنُّـجـوم مع الـسَّـحـابِ

[القرطبي في تفسيره: ٥١/١٩]

﴿كانَ وعدُهُ مفعُولاً﴾ أي ليس لوعده خُلفٌ. وقد وعد بكون هذه الأشياء في القيامة.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩ ۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾

﴿إنّ هذه تذكِرةٌ﴾ [١٩]

اي هذه الأشياء التي تكون في القيامة عظة، وقال قتادة: يعني القرآن **﴿فمَن شاءَ اتَّخذَ إلى ربِّه سبيلاً﴾** قال: أي بطاعتهم.

﴿إنَّ ربَّك يعلمُ أنّك تقومُ أدنى من ثُلُثي الليل ونصفِه وثُلُثه..﴾ [٢٠]

عطف على ثلثي الليل، وهي قراءة الحسن وأبي عمرو وأبي جعفر وشيبة ونافع، وقرأ عاصم والأعمش وحمزة والكسائي **﴿نصفَهُ وثُلُثَهُ﴾** عطفاً على أدنى، وقرأ ابن كثير **﴿ونصفه وثُلْثه﴾** حذف الضمة لثقلها، واختار أبو عبيد الخفض واحتج أنّ بعده **﴿عَلِمَ أن لَن تُحصُوه﴾** قال: فكيف يقومون نصفه؟ قال أبو جعفر: القراءتان قد قرأ بهما الجماعة، وتقدير الخفض: ويقوم أدنى من نصفه وأدنى من ثلثه، وتقدير النصب: أدنى من ثُلُثي الليل وذلك أكثر من النصف مرةً وتقوم نصفه مرةً وتقوم ثُلثه مرةً، والاحتجاج بـ **﴿علم أن لن تحصُوه﴾** لا معنى له لأنه لم يخبر أنّهم قالوا: قُمنا نصفه وأنما أخبر بحقيقة ما يعلمه، وقد عكس الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٩٩] قوله فاختار النصب؛ لأن المعنى عنده عليه أولى لأنه يستبعد وأقلّ من نصفه؛ لأنه إنما يبيّن القليل عنده لا أقل القليل، ولو كان كما قال لكان نصفه بغير واو حتى يكون تبييناً لأدنى، والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة أن لا يقال: إحداهما أجود من الأخرى لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك.

وكان رؤساء الصحابة رحمهم الله ينكرون مثل هذا وقد أجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/١٩٩] **﴿إنّ ربّك يعلمُ أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثَه﴾** نصب **﴿ثُلُثَه﴾** عطفاً على **﴿أدنى﴾** وخفض **﴿نصفِه﴾** عطفاً على **﴿ثلثي الليل﴾** واحتج بالحديث: انتهت صلاةُ النبي إلى ثُلث الليل [القرطبي في «تفسيره»: ١٩/٣٣]، وهذا أيضاً مما يُكره أن تُعارض به قراءة الجماعة بما لم يُقرأ به وبحديث إن صح لم تكن فيه حُجةٌ.

﴿وطَائِفةٌ من الذين مَعَك﴾ احتجّ بعض العلماء بهذا واستدلّ على أن صلاة الليل ليست بفرض. قال: ولو كانت فرضاً لقاموا كلّهم. **﴿والله يُقدِّرُ اللّيل والنّهار﴾** أي يُقدِّرُ ساعاتهما وأوقاتهما **﴿عَلِمَ أن لّن تُحصُوه﴾** قال الحسن وسعيد بن جبير: أن لن تطيقوه، وقال الفرّاء: أن لن

تحفظوه ﴿فتاب عليكم﴾ رجع لكم إلى ما هو أسهل عليكم. والتوبة في اللغة الرجوع ﴿فاقرءوا ما تيسّر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى﴾ والتقدير عند سيبويه أنّه وذكّر سيكون؛ لأنه تأنيث غير حقيقي ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ عطف على ﴿مرضى﴾ وكذا ﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسّر منه﴾ فلهذا استحب جماعة من العلماء قيام الليل، ولو كان أدنى شيء، والحديث فيه عن النبي ﷺ مؤكد.

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ قال ابن زيد: النوافل سوى الزكاة المفروضة. ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾ أي مما أنفقتم ونصب ﴿خيراً﴾ لأنه خبر ﴿تجدوه﴾ و﴿هو﴾ زائدة للفصل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٤٤] ﴿واستغفروا الله﴾ أي من ذنوبكم وتقصيركم ﴿إنّ الله غفورٌ﴾ أي على سائر عقوبة من تاب ﴿رحيمٌ﴾ به لا يعذّبه بعد التوبة.

٧٤ ـ سورة المدثِّر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾

شرح إعراب سورة المدّثّر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها المُدّثر﴾ [١]

الأصل المتدثّر أُدغِمَت التاء في الدال؛ لأنها من موضع واحد. قال إبراهيم النخعي: كان متدثراً بقطيفة. وقال عكرمة: أي دُثّرت هذا الأمر فقم به.

﴿ثم فأنذر﴾ [٢]

قال قتادة: أي أنذر عذاب الله ووقائعه بالأمم. قال أبو جعفر: فالتقدير على قول قتادة فأنذرهم بهذه الأشياء ثم حذف هذا للدلالة.

﴿وربَّك فكبِّرْ﴾ [٣]

أي عظّمهُ بعبادته وحده. وهو نُصب بكبِّر.

﴿وثيابَكَ فطهِّرْ﴾ [٤]

نُصب بطهِّر.

﴿والرجزَ﴾ [٥]

نُصبَ بـ ﴿فاهجُرِ﴾، ولو كانت في الأفعال الهاء لكان النصب أولى أيضاً؛ لأن الأمر بالفعل أولى.

﴿ولا تَمنُنْ..﴾ [٦]

جزمٍ بالنهي، وأظهرت التضعيف لسكون الثاني، ولو كان في الكلام لجاز لاتمُنَّ بفتح النون وكسرها وضمها، وروى حصيفٌ عن مجاهد قال: ﴿لا تمنن﴾ لا تضعف، قال أبو جعفر: ويكون مأخوذاً مِنَ المنين وهو الضعيف، ويكون التقدير: ولا تضعف أن تستكثر من الخير

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾

تحذفت ﴿أنْ﴾ ورُفع الفعل، وقال ابن زيد: ولا تمنن على الناس بتأدية الرسالة لتستكثر منهم. قال أبو جعفر: وأولى ما قيل في المعنى والله جلّ وعزّ أعلم، ولا ﴿تمنُنْ﴾ بطاعتك وتأديتك الرسالة ﴿تستكثر﴾ ذلك. وهذا معنى قول الحسن. قال أبو جعفر: فقلنا: هذا أولى؛ لأنه أشبه بسياق الكلام؛ لأن في الكلام تحذيراً وأمراً بالصبر والجد في الطاعة.

﴿ولِرَبِّكَ فاصبِرْ﴾ [٧]

أي على طاعته.

﴿فإذا نُقِرَ في الناقور﴾ [٨]

اسم ما لم يُسَمَّ فاعله على قول سيبويه [الكتاب: ١٩/١]: في الناقور، وعلى قول أبي العباس مضمر دلّ عليه الفعل.

﴿فذلك..﴾ [٩]

﴿..غيرُ يسير﴾ [١٠]

مبتدأ ﴿يومئذ﴾ يكون بدلاً منه وفتح الميم لأنه مبني كما قرىء ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ [المعارج: ١١]، ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى أعني، ﴿يومٌ﴾ خبر الابتداء ﴿عَسيرٌ﴾ من نعته وكذا ﴿..غيرُ يسير﴾.

﴿ذَرْني ومَنْ خلقتُ وَحيداً﴾ [١١]

﴿مَنْ﴾ في موضع نصب على أنها مفعول معه أو عطف على النون والياء ﴿وَحيداً﴾ نصب على الحال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٤٦/٥].

﴿وجعلتُ له مالاً مَمْدوداً﴾ [١٢]

﴿له﴾ في موضع المفعول الثاني.

﴿وبَنين شُهوداً﴾ [١٣]

لمّا تحرّكت حُذفت ألف الوصل، وعلى هذا قالوا في النسب: بنويّ وأجاز سيبويه [الكتاب: ٨١/٢]: ﴿ابنيّ﴾، ومنعه بعض الكوفيين.

﴿ومهّدتُ له تمهيداً﴾ [١٤]

مصدر مؤكد.

﴿ثُمّ يطمعُ أن أزيدَ﴾ [١٥]

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿كلا..﴾ [١٦]

رَدٌّ لطمعه وردع له ﴿إنه كانَ لآياتنا عنيداً﴾ بمعنى معاند.

﴿سأرهقهُ صعُوداً﴾ [١٧]

روى عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يكلّفُ صُعُودَ عقَبة إذا جعلَ يدَهُ عليها ذابَتْ وإذا جعل رِجلَهُ عليها ذَابتْ» [ت: ٣٣٢٦]، [والطبراني في «المعجم الأوسط»: ٥/٣٦٦]، [والطبري في «تفسيره»: ٢٩/١٩٤].

﴿إنه فكّرَ وقدّرَ﴾ [١٨]

أي فكّر في ردّ آيات الله جلّ وعزّ، وقد رجع مرةً بعد مرة ينظر هل يقدرُ أن يردّها؟ وهو الوليدُ بن المغيرة بلا اختلاف. قال قتادة: زعموا أنه فكّر فيما جاء به النبي فقال: والله ما هو بشعر، وإنّ له لحَلاوة، وإن عليه لطَلاَوةً، وما هو عندي إلا سحرٌ. فأنزل الله تعالى:

﴿فقتل كيفَ قدّرَ﴾ [١٩]

قال أبو جعفر: قول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٠٢]: قُتل بمعنى لُعِنَ. قال أبو جعفر: هذا يجب على كلام العرب أن يكون قُتل بمعنى أُهلك؛ لأن المقتول مُهلكٌ.

﴿ثم نَظَرَ﴾ [٢١]

﴿ثم عَبَسَ وبَسَرَ﴾ [٢٢]

أي قبض بين عينيه وقطّب لمّا عسرَ عليه الردُّ على النبي ﷺ.

﴿ثمّ أدبرَ..﴾ [٢٣]

عن الحق ﴿واستكبَرَ﴾ فأخبر الله بجهله أنه تكبّر أن يُصدّق بآيات الله ورسوله بعد أن يتهيّأ له رَدّ ما جاء به، ولم يتكبر أن يسجد لحجارة لا تنفع ولا تضر.

﴿فقال إنْ هذا إلاّ سحرٌ يؤثَرُ﴾ [٢٤]

﴿إنْ هذا إلاّ قول البَشَر﴾ [٢٥]

لمّا لم يجد حُجّة كفر ثمّ قال ﴿إنْ هذا إلاّ قول البَشَر﴾ فزاد في جهله ما لم يخف؛ لأنّ النبي ﷺ قد تحدّاهم وهم عرب مثله على أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك، ولو كان قول البشر لساغ لهم ما ساغ له.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

﴿سَأُصليه سَقَر﴾ [٢٦]

قيل: لم ينصرف لأنها اسم لمؤنث [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٤٧]، وقيل: إنها اسم أعجمي، والأول الصّوابُ لأن الأعجمي إذا كان على ثلاثة أحرف انصرف وإن كان متحرك الأوسط، وأيضاً فإنه اسم عربي مُشتق، يقال: سقرته الشمس إذا أحرقته. والساقور حديدة تُحمى ويُكوى بها الحمارُ.

﴿وما أدراك ما سَقَر﴾ [٢٧]

الجملة في موضع نصب بأدراك، إلاّ أن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله.

﴿لا تُبقي ولا تَذَرُ﴾ [٢٨]

يقال: لِمَ حُذفت الواو من ﴿تذَرُ﴾؟ وإنما تحذف في ﴿يذر﴾؟ فإن قيل: أصله يفعل قيل: فُتحَ وليس فيه حرف من حروف الحلق؟ فالجواب قاله ابن كيسان: لمّا كان يذر بمعنى يدَعُ في أنه لا يُنطَقُ منه بماضٍ ومعناهما واحد أتبعُوه إياهُ.

﴿لوّاحةٌ للبشر﴾ [٢٩]

على إضمار مبتدأ أي هي لوّاحةٌ للبشر أي للخلق، ويجوز أن يكون جمع بَشَرَة.

﴿عليها تِسعَةَ عَشَرَ﴾ [٣٠]

في موضع رفع بالابتداء إلاّ أنه فتح لأن واو العطف حُذفت منه فحرّك بحركتها، وقيل: ثقُل فاعطي أخفّ الحركات لأنهما اسمان في الأصل، واختلف النحويّون في النسب إليهما، فمذهب سيبويه وجماعة من النحويين أنّكَ إذا نسبت إليهما حذفت الثاني ونسبتَ إلى الأول فقلتَ: تسعيّ، وأحَدِي إلى أحد عَشَر وبَعْلِي في النسب إلى بعلبك، والقول الآخر أن النسب إليهما جميعاً لا غير وأنه يقال تِسعة عشريّ وبعلبكيّ، وردّ أبو العباس أحمد بن يحيى القول الأول وقال: هما اسمان يؤدّيان عن معنى فإذا أسقطت الثاني ذهب معناه ولم يجز إلاّ النسب إليهما جميعاً، واحتجّ بما أجمع عليه النحويّون من قولهم: هذا حبُّ رُمانيّ وجحر ضبي فأضاف إلى الثاني ولم يحذف، وكذا هذا أبو عمريّ. قال أحمد بن يحيى: فهذا في النسب أوكَدُ. يعني هذا تسعة عشريّ ومعد يكربيّ وبعلبكيّ، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٠٣]: جاءني أحدْ عشَرَ بإسكان العين، وكذا ثلاثة عَشْرَ إلى تسعة عشر، ولا يجيز هذا في اثني عشر لئلاّ يجمع بين ساكنين، ولا يجيزه في المؤنث لئلاّ يجمع بين ساكنين. قال أبو جعفر: والذي قاله لا يبعدُ، قد روي عن أبي جعفر أنه قرأ ﴿عليها تسعةَ عْشَر﴾.

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾
وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾

﴿وَما جَعَلنا أصحابَ النار إلاّ مَلائِكَةً﴾ [٣١]

﴿كلاّ..﴾ [٣٢]

﴿أصحاب﴾ جمع صاحب على حذف الزائد؛ لأن أفعالاً ليس بجمع فاعل بغير حذف، وأفعال جمع ثمانية أمثلة ليس منها فاعل ولا فَعْلٌ **﴿وما جعَلنا عِدتهُم إلاّ فتنةً للّذين كَفرُوا﴾** أي شدّة وتعبداً ليكفروا فيعلموا أن الله قادر على تقوية هؤلاء الملائكة وتأييدهم **﴿ليستيقن الذين أتوا الكتاب﴾** لام كي وأصلها إنها لام الخفض لأن المعنى لاستيقان الذين أوتوا الكتاب **﴿ويزداد الذين آمنُوا إيماناً﴾** عطف على الأول، وكذا **﴿ولا يرتابَ الذين أوتُوا الكتاب والمُؤمنون﴾** ثم أُعيدت اللام، ولو لم يُؤتَ بها لجاز في **﴿وليَقُولَ الذين في قلوبِهم مرضٌ والكافِرون ماذا أراد الله بِهذا مَثَلاً﴾** **﴿ما﴾** في موضع نصب بأراد، وهي وذا بمنزلة شيء واحد فان جعلت **﴿ذا﴾** بمعنى الذي فما في موضع رفع بالابتداء و خبره وما بعده صلة له **﴿كذلك يُضِلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾** الكاف في موضع نصب نعت لمصدر **﴿وما يعلَمُ جُنُودَ رَبّك إلاّ هُوَ﴾** رفع بـ **﴿يعلم﴾**، ولا يجوز النصب على الاستثناء، وكذا **﴿وما هي إلاّ ذكرى لِلبَشَر﴾** قال مجاهد: أي وما النار إلاّ ذكرى للبشر، وذكر محمد ابن جرير أن التمام **﴿كلاّ﴾** على أن المعنى ليس القول على ما قال المُشركُ لأصحابه المشركين: أنا أكفيكم أمر خزنة النار **﴿والقَمَرِ﴾** قسم، أي وربِّ القمر.

﴿والليلِ إذ أدْبَرَ﴾ [٣٣]

قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعمر بن عبد العزيز وأبي جعفر وشيبة وابن كثير وأبي عمرو وعاصم، وقرأ الحسن وابن مُحَيصن وحمزة ونافع **﴿والليل إذا أدبَرَ﴾**. قال أبو جعفر: الصحيح أنّ دَبَرَ وأدبرَ بمعنى واحد. على هذا كلام أهل التفسير وأكثر أهل اللغة. و **﴿إذا﴾** للمستقبل و **﴿إذْ﴾** للماضي. وأما قول أبي عبيد أنه يختار **﴿إذا دَبَرَ﴾** لأن بعده **﴿والصُّبحِ إذا أسفَرَ﴾** لأن الله تعالى يقسم بما شاء ولا يتحكَّم في ذلك بأن يكونا جميعاً مستقبلَين أو ماضيَين.

﴿إنّها لإحْدى الكُبَرِ﴾ [٣٥]

إنّ النار لإحدى الأمور العظام، قال أبو رَزين: **﴿إنّها﴾** أي إن جهنّم، و **﴿الكُبَر﴾** بالألف واللام لا يجوز حذفهما عند أحد من النحويين، ولم يجئ في كلام العرب شيء من هذا بغير الألف واللام إلاّ أخَرَ، ولذلك منعت من الصرف.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾

﴿نذيراً للبَشَر﴾ [٣٦]

قال الحسن: ليس نذير أدهى من النار أو معنى هذا. قال أبو رزين: يقول الله تعالى: أنا نذير للبشر، وقال ابن زيد: محمد ﷺ نذير للبشر. قال أبو جعفر: فهذه أقوال أهل التأويل وقد يُستخرجُ الأقرب منها. وفي نصب نذير سبعة أقوال: يكون حالاً من المضمر في ﴿أنا﴾، ويجوز أن يكون حالاً من إحدى الكبر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٤٩]. وهذان القولان مُستخرجان من قول الحسن لأنه جعل النار هي المُنذرَة، ويجوز أن يكون التقدير: وما يعلم جنود ربك إلاّ هو نذيراً للبشر، ويجوز أن يكون التقدير: صيّرها الله جلّ وعزّ كذلك نذيراً للبشر وهذان القولان مستخرجان من قول أبي رزين، وقال الكسائي: أي قم نذيراً. وهذا يرجع إلى قول ابن زيد. ويجوز أن يكون نذير بمعنى إنذار كما قال: ﴿فكيف كان نذير﴾ ويكون التقدير وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة إنذاراً. قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: يكون التقدير أعني نذيراً. قال أبو جعفر: وحذفُ الياء من نذير إذا كان للنار بمعنى النسب.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنكُم أن يتقدّم أو يتأخّرَ﴾ [٣٧]

بدل بإعادة اللام، ولو كان بغير اللام لجاز.

﴿كُلّ نفس بما كسبت رَهينَةٌ﴾ [٣٨]

محمول على المعنى، ولو كان على اللفظ كان رهين.

﴿إلاّ أصحَاب اليمين﴾ [٣٩]

﴿. . يتَسَاءَلُونَ﴾ [٤٠]

﴿عن المُجرمين﴾ [٤١]

﴿ما سَلَكَكُم في سَقَرَ﴾ [٤٢]

نصب على الاستثناء وقد صَحَّ عن رجلين من أصحاب النبي أنه يراد بأصحاب اليمين ها هنا الملائكة والأطفال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٤٩]، ويدلّ على هذا أن بعده ﴿. . يتَسَاءَلُونَ﴾، ﴿عن المُجرمين﴾، ﴿ما سَلَكَكُم في سَقَرَ﴾.

فهذا كلام مَن لم يعمل خطيئة، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: سمعت ابن الزبير يقرأ ﴿يتساءلون عن المُجرِمين﴾ يا فلان ما سلكك في سَقَرَ وهذه القراءة على التفسير، والإسناد بها صحيح.

قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ
﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ
﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾

﴿قالُوا لم نَكُ مِنَ المصَلّين﴾ [٤٣]

﴿ولم نَكُ نُطعِمُ المسكينَ﴾ [٤٤]

حُذِفَت النون لكثرة الاستعمال ولو جيء بها لكان جيداً في غير القرآن، وقال محمد بن يزيد: أشبهت النون التي تحذف في الجزم في قولنا: يقومان ويقومون، وقال أحمد بن يحيى ثعلب: أخطأ، ولو كان كما قال لحذفت في قولنا: لم يَصُنْ زيدٌ نفسَهُ.

﴿وكُنا نَخُوضُ مَعَ الخائضين﴾ [٤٥]

﴿وكُنا نُكذِّبُ بيوم الدين﴾ [٤٦]

﴿حتى أتانا اليقينُ﴾ [٤٧]

جيء بالكاف مضمومة ليدلّ ذلك على أنها من ذوات الواو فَنُقِل فَعَلَ إلى فعل، وكذا ﴿وكُنّا نُكذِّبُ بيوم الدين﴾، ﴿حتى أتانا اليَقينُ﴾ أي إلى أن، و﴿أن﴾ مضمرة بعد ﴿حتى﴾.

﴿فَما تَنفَعُهمْ شَفاعة الشافِعين﴾ [٤٨]

أي ليس يشفع فيهم الشافعون، ودلّ بهذا على أن الشفاعة تنفع غيرهم.

﴿فَما لَهُمْ عَن التذكرة معرضين﴾ [٤٩]

﴿كأنهم حُمُرٌ مُستَنفِرةٌ﴾ [٥٠]

منصوب على الحال. ﴿كأنَهم حُمُرٌ مُستَنفَرةٌ﴾ قراءة أهل المدينة والحسن، وقرأ ابن كثير وعاصم والأعمش وحمزة وأبي عمرو ﴿مُستَنفِرةٌ﴾ وعن الكسائي القراءتان جميعاً. قال أبو جعفر: ﴿مُستنفَرةٌ﴾ في هذا أبين أي مذعورة ومُستنفِرة مُشكلٌ؛ لأن أكثر ما يُستعمل استفعل إذا استدعى الفعل، كما تقول: استسقى إذا استدعى أن يُسقى والحُمُر لا تستدعي هذا، ولكن مجاز القراءة أن يكون استنفر بمعنى نفر فيكون المعنى نافرة.

﴿فَرَّت مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [٥١]

فَعْولة من القسر. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا ما قال أهل التفسير فيها.

﴿بَلْ يُريدُ كلُّ امرئ منهم أن يؤتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾ [٥٢]

على تأنيث الجماعة ووحّد لأنه أكثر في العدد.

﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿كلاَّ بل لا يخَافُون الآخِرَة﴾ [٥٣]

لا يجوز إلا الإدغام؛ لأن الأول ساكن.

﴿كلاَّ إنه تذكِرَةٌ﴾ [٥٤]

أي إنّ القرآن [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٠٦]، [ومعاني القرآن للأخفش: ٢/ ٧٢٠].

﴿وما تذكُرون..﴾ [٥٦]

قراءة نافع على تحويل المخاطبة، وأكثر الناس يقرأ ﴿وما يَذكُرُون﴾ ليكون مردوداً عن ما تَقدّم ﴿وما تَشَاءُون إلاّ أن يَشَاءَ الله﴾ على حذف المفعول لعلم السامع ﴿هُوَ أهلُ التقوى﴾ مبتدأ وخبره ﴿وأهل المغفرة﴾ أعيدت ﴿أهل﴾ للتوكيد والتفخيم، ولو لم تُعَد لجاز.

٧٥ ـ سورة القِيَامَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١﴾

شرح إعراب سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لا أُقسِمُ بيوم القيامة﴾ [١]

كذا يقرأ أكثر القرّاء، وعن الحسن والأعرج ﴿لأُقسِمُ بِيَوم القيامة﴾ على أنها لام قسم لا ألف فيها. قال أبو جعفر: وهذا لحن عند الخليل وسيبويه وإنما يقال بالنون: لأقومَن، والقراءة الأولى فيها أقوال منها أنّ ﴿لا﴾ زائدة للتوكيد مثل ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] وهذا القول عند الفرّاء خطأ من جهتين: إحداهما أنّ ﴿لا﴾ إذا كانت زائدة لم يُبتدأ بها، والأخرى أنه أنّ ﴿لا﴾ إنما تزاد في النفي، كما قال:

مـا كـانَ يَرضـى رَسُولُ اللهِ فِعلَهُمَا والـطَّـيِّـبَـان أبـو بـكـرٍ وَلا عُـمَـرُ

[ديوان جرير: ٢٦٣]

أي أبو بكر وعمر و ﴿لا﴾ زائدة. قال أبو جعفر: أما قوله: إنّ ﴿لا﴾ لا تزاد في أول الكلام فكما قال، لا اختلاف فيه لأن ذلك يشكل ولكنه قد عورض فيما قال، كما سمعت علي بن سليمان يقول: إن هذا القول صحيح. يعني قول من قال: إن ﴿لا﴾ زائدة قال: وليس قوله بأنها في أول الكلام مما يردّ هذا القول؛ لأن القرآن كلّه بمنزلة سورة واحدة، وعلى هذا نظمه ورصفه وتأليفه.

وقد صح عن ابن عباس أن الله جلّ وعزّ أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في شهر رمضان ثمّ نزل متفرقاً من السماء، وإنما يَرُدُّ هذا الحديث أهل البدع. قال أبو جعفر: وأما قول الفرّاء إنّ ﴿لا﴾ لا تزاد إلاّ في النفي فَمُخَالَفٌ فيه. حكى ذلك من يُوثَقُ بعلمه من البصريين منهم أبو عبيدة [مجاز القرآن: ١/٢٥، ٢٧٥] وأنشد:

فـي بِـئـرِ لا حُـورٍ سَـرَى ومـا شَـعَـرْ

[ديوان العجاج: ١٤]

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝٦﴾

قال: يريد في بئرٍ حُور أي هلكة فزاد ﴿لا﴾ في الإيجاب، وخالفه الفرّاء في هذا فجعل ﴿لا﴾ نفياً ها هنا أي في بئر لا ترد شيئاً، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٠٧] أن ﴿لا﴾ من قوله: ﴿لا أُقسم﴾ رَدّ لكلامهم كما تقول: لا واللهِ ما أفعَلُ فالوقوف عنده ﴿لا أُقسم بيوم القيامة﴾ مستأنَف.

﴿وَلا أُقسِم بالنفسِ اللوّامَة﴾ [٢]

لا اختلاف في هذا أن الألف فيه بعد ﴿لا﴾ فقول الحسن إنّ ﴿لا﴾ نافية وقد بيّنا قول غيره.

﴿أيَحسِبُ الإنسانُ أن لَن نجمَعَ عظامهُ﴾ [٣]

وقرأ الكوفيّون ﴿أيَحسَبُ﴾ والماضي حَسِبَ بلا اختلاف فالقياس في المستقبل يحسب إلّا أنه روي عن النبي ﷺ الكسر.

﴿بَلَى قَادِرِينَ على أن نُسَوّيَ بنانَهُ﴾ [٤]

﴿قادرين﴾ في موضع نصب وفي نصبه أقوال: منها أنه قيل: التقدير: بَلَى نَقدِرُ فلمّا حوّل نقدر إلى قادرين نصب كما قال الفرزدق: [ديوانه: ٢١٢]

علَى حَلفَةٍ لا أشتمُ الدّهرَ مُسلِماً وَلا خَارِجاً مِن فِيَّ زورُ كَلامِ

بمعنى ولا يخرج فلمّا حوّل يخرج إلى خارج نصبه. وهذا خطأ لأن لكلّ إعرابه تقول: جاءني زيد يضحك، وجاءني زيد ضاحكاً، ومررتُ برجل يضحك، وبرجل ضاحك، ﴿ولا خارجاً﴾ معطوف على قوله ﴿لا أشتُمُ﴾.

قال أبو جعفر: هذا أصحّ ما قيل فيه، وقيل التقدير: بلى نقوى على ذلك قادرين، هذا قول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٠٨]، وقال سيبويه: أي بلى نجمعها قادرين. وقول الفرّاء مُستخرَجٌ من هذا. وبنان جمع بنانة. ومن حَسَن ما قيل فيه قول ابن عباس: نحن نقدر أن نجعل بنانه شيئاً واحداً كخُفّ البعير وحافر الحمار فلا يقدر يأكل بها كالبهائم، فتفضّل الله جلّ وعزّ عليه وفضّله، وقال الحسن: كنا نقدر أن نجعل أصابعه قدراً واحداً ولا يكون لها حُسن ولا يكاد ينتفع بها.

﴿بل يُريدُ الإنسانُ ليفجُرَ أمامهُ﴾ [٥]

هذه لام كي وقولهم لام ﴿إنّ﴾ لا معنى له، ولكن يريد يدلّ على الإرادة أي ارادته ليفجُر أمامه.

﴿يَسألُ أيّانَ يومُ القيامةِ﴾ [٦]

التقدير: أي وقت يوم القيامة، وفتحت النون من أيّانَ لالتقاء الساكنين.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾

﴿فإذا برِق البَصَرُ﴾ [٧]

قراءة أبي عمرو وعاصم وشيبة وحمزة والكسائي، وقرأ نصر ابن عاصم وابن أبي إسحاق وأبو جعفر ونافع ﴿فإذا بَرَق البصر﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٠٩] بفتح الراء، ومعنى الكسر بيّن أي حار وفزع من الموت ومن أمر القيامة، وبرق لمع [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٥٢] قال الحسن وقتادة.

﴿وخَسَفَ القمرُ﴾ [٨]

ذهب ضَوءُهُ.

﴿وجُمِعَ الشَّمسُ والقَمرُ﴾ [٩]

يقال: الشَّمسُ مؤنثة بلا اختلاف فكيف لم يقل وجمعت؟ ففي هذا أجوبة منها أن التقدير وجُمِع بين الشمس والقمر فحمل التذكير على بين، وقيل: لما كان وجُمِع الشمس لا يتم به الكلام حتى يقال: والقمر وكان القمر مذكراً كان المعنى جمعاً فوجب أن يُذكّر فعلُهما في التقديم كما يكون في التأخير. وأولى ما قيل فيه قول الكسائي، قال: المعنى وَجُمِعَ النوران أي الضياءان وفي موضع آخر ﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨] وأما محمد بن يزيد فيقول: هذا كلّه تأنيث غير حقيقي؛ لأنه لم يؤنث للفرق بين شيء وشيء فلك تذكيره؛ لأنه بمعنى شخص وشيء.

﴿يقولُ الإنسانُ يومئذ أينَ المَفرُّ﴾ [١٠]

فهذا مصدر بلا اختلاف أي أين الفرار؟ وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: سمعت ابن عباس يقرأ ﴿أينَ المَفِرُّ﴾ قال أبو جعفر: هذا إسناد مستقيم، وهو عند البصريين اسم للمكان، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢١٠] إنه يجيز في المصدر الكسر.

﴿كلاّ لاَ وَزَرَ﴾ [١١]

وهو الملجأ فقيل: وزير مُشتق من هذا؛ لأن صاحبه قد سلّم إليه أموره فلجأ إليه واعتمد عليه، وقيل: لأن أوزار ما يتقلّده صَاحِبُهُ بيده، والأوزار ما كان من الذهب والفضة وغيرهما.

﴿إلى رَبّك يومَئِذ المستَقرُّ﴾ [١٢]

قال قتادة: المنتهى.

﴿يُنبّؤا الإنسانُ يومَئذ بما قدَّمَ وأخّرَ﴾ [١٣]

بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾

من أحسن ما قيل فيه قول قتادة قال: بما قدَّم من طاعة الله جلّ وعزّ وأخّرَ من حقه يَنْبًا به كلّه، وقد روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: بما قدّمَ من خير أو شرٍّ بعده.

﴿بلِ الإنسان على نَفْسِهِ بَصِيرةٌ﴾ [١٤]

مُشكل الإعرابِ والمعنى، فقول ابن عباس سَمعُه وبَصرهُ ويداه ورجلاه وجوارحه شاهدة عليه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٥٢]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ٢١١]. قال أبو جعفر: فعلى هذا القول ﴿الإنسان﴾ مرفوع بالابتداء و﴿وبصيرة﴾ ابتداء ثان و﴿على نفسه﴾ خبر الثاني والجملة خبر الأول. وشرحه: بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء تحفظه وتشهدُ عليه، فهذا قولٌ، وقول سعيد بن جبير وقتادة: إن الإنسان هو البصيرة. قال سعيد بن جبير: الإنسانُ والله بصيرة على نفسه، وقال قتادة: تراه والله عارفاً بذنب غيره وعيبه متغافلاً عن نفسه فعلى هذا القول ﴿الإنسان﴾ مرفوع بالابتداء و ﴿بصيرة﴾ خبره، فإن قيل: لِمَ دَخلتِ الهاء والانسان مذكّر؟ ففيه جوابان: أحدهما أن الهاء للمبالغة كما يقال: رجل راوية وعلاّمة، وقيل: دخلت الهاء لأن المعنى بل الإنسان حجة على نفسه.

﴿ولو ألقى مَعاذِيرَهُ﴾ [١٥]

جمع على غير قياس عند سيبويه [الكتاب: ٢/ ١٥] لأن عذراً ليس جمعه معاذير وإنما معاذير جمع مِعذار.

﴿لا تحرّك بِهِ لِسانكَ لِتَعجَل بِهِ﴾ [١٦]

﴿إنّ عَلينا جَمعَه وقُرآنَهُ﴾ [١٧]

فيضمن الله جلّ وعزّ جمعه، فبهذا كفَّر الفقهاء من زعم أنه قد بقي منه شيء لأنه ردٌّ على ظاهر التنزيل، وسئل سفيان بن عيينة: كيف غُيّرت التوراة والإنجيل وهما من عند الله؟ فقال: إنّ الله جلّ وعزّ وكلّ حفظهما إليهم فقال جلّ ثناؤه: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] ولم يكل حفظ القرآن إلى أحد فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وما حفظه لم يغيَّر.

﴿فإذا قرأناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَه﴾ [١٨]

اختلف العلماء في معنى هذا. فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: فاذا أنزلناه فاستمع له، وقال قتادة: أي فاتبع حلاله وحرامه. ومن حسن ما قيل فيه ما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فاذا قرأناه﴾ قال: يقول: فاذا بيّناهُ ﴿فاتبع قُرآنَه﴾ قال: يقول: فاعمل بما فيه.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

﴿ثُمّ إنّ عَلينا بيانَه﴾ [١٩]

قال قتادة: بيان الحلال من الحرام، عن ابن عباس ﴿بيانه﴾ بلسانك.

﴿كلاَ بَل تُحِبُّون العَاجلَة﴾ [٢٠]

أي الحال العاجلة أو الدنيا العاجلة.

﴿وتذَرونَ الآخرة﴾ [٢١]

لأنها بعد الأولى.

﴿وجوهٌ يومئذ ناضِرَةٌ﴾ [٢٢]

﴿إلى ربِّها ناظِرةٌ﴾ [٢٣]

﴿وجوه﴾ رفع بالابتداء ﴿ناضرة﴾ نعت لها و﴿ناظرة﴾ خبر الابتداء ويجوز أن يكون ﴿ناضرة﴾ خبر ﴿وجوه﴾ و ﴿ناظرة﴾ خبراً ثانياً، ويجوز أن يكون ناضرة نعتاً لناظرة أو لوجوه ويقال: أجوهٌ وهو جمع للكثير، وللقليل أوجه، وفي ﴿ناظرة﴾ ثلاثة أقوال: منها أن المعنى منتظرة: ومنها أن المعنى إلى ثواب ربها، ومنها أنها تنظر إلى الله جلّ وعزّ. قال: ويعرف الصواب في هذه الأجوبة من العربية فلذلك وغيره أخرنا شرحه لنذكره في الإعراب. قال أبو جعفر: أما قول من قال: معناه منتظرة فخطأ.

سمعتُ علي بن سليمان يقول: نظرتُ إليه بمعنى انتظرته وإنما يقال: نظرتُهُ وهو قول إبراهيم بن محمد بن عرفة وغيره ممّن يُوثقُ بعلمه وأما من قال: إن المعنى: إلى ثواب ربها، فخطأ أيضاً على قول النحويين الرؤساء لأنه لا يجوز عندهم ولا عند أحد علمته: نظرتُ زيداً أي نظرت ثوابه. ونحن نذكر الاحتجاج في ذلك من قول الأئمة والعلماء وأهل اللغة إذا كان أصلاً من أصول السنّة، ونذكر ما عارض به أهل الأهواء ونبدأ بالأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ إذا كان المبين عن الله جلّ وعزّ، كما قرئ على أحمد بن شُعيب بن علي عن إسحاق بن راهويه، ثنا بقيّة بن الوليد، ثنا بحيرُ بن سعد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود أن قتادة بن أبي أميّة حدّثهم عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: **«إني حدّثتكم عن المسيح الدجّال حتى خفتُ إلاّ تعقلوه، إنه قصيرٌ أفحجُ جعدٌ أعورُ مطموس العين اليسرى، ليست بناتئة ولا جحراً، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، إنّكم لن تروا ربكم جل ثناؤه حتى تموتوا»** [د: ٤٣٢٠، جه: ٤٠٧٧].

قال أحمد بن شُعيب، ثنا محمد بن بشار قال: ثنا أبو عبد الصمد، ثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس الأشعري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«جنتان من فضّة**

....

آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم جل ثناؤه إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[خ: ٤٨٧٨، ٤٨٧٩، م: ٤٤٧، ت: ٢٥٢٨، جه: ١٨٦].

وقرئ على أبي القاسم عبدالله بن محمد البغوي عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صُهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مُنادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يُثقل موازيننا ويُبيض وجوهنا ويُدخلنا الجنة ويُجرنا من النار، فيكشف لهم عن الحجاب، فينظرون إلى الله عز وجل فما شيء أُعطوهُ أحبُّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة»[م: ٤٤٨، ٤٤٩، ت: ٢٥٥٢، جه: ١٨٧].

قال أبو القاسم وحدّثني جدي قال: ثنا يزيد بن هارون أن حماد بن سلمة بإسناده مثله. قال أبو القاسم: وحدّثني هارون بن عبدالله، قال: سمعت يزيد يعني ابن هارون لما حدّث بهذا الحديث قال: من كذّب بهذا الحديث فهو زنديق أو كافر. قال أبو القاسم: حدثنا عبدالله ابن عمر وأبو عبد الرحمن الكوفي عن حسين بن علي الجعفي عن زائدة، ثنا بيان البَجَلي عن قيس بن أبي حازم قال: حدّثنا جرير قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته» يعني القمر.

قال حسين الجعفي: على رغم أنف جُهيم والمُريسي. قال أبو القاسم: وحدّثنا أحمد بن إبراهيم العبدي وأبو بكر بن أبي شيبة قالا: حدّثنا عبدالله بن إدريس، ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يارسول الله أنرى ربّنا جلّ ثناؤه قال: «أتضارُّون في رؤية الشمس في الظهيرة في غير سحاب؟» قلنا: لا، قال: «أتضارُّون في رُؤية القمر ليلة البدر في غير سحاب؟» قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارُّون في رؤيته كما لا تضارُّون في رؤيتهما»[ت: ٢٥٥٤].

قال أبو القاسم: وحُدّثتُ عن أحمد بن حنبل عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش. قال: قال الأعمش: لا تُضارّون يعني لا تُمارون. قال أبو القاسم: وحدّثنا هدبة بن خالد، ثنا وهيب بن خالد، ثنا مصعب بن محمد عن أبي صالح السمّان عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله أكلّنا يرى ربّه جلّ ذكره يوم القيامة؟ قال: «أكلّكم يرى الشمس نصف النهار وليس في السماء سحابة؟» قالوا: نعم، قال: «أفكلّكم يرى القمر ليلة البدر وليس في السماء سحابة؟» قالوا: نعم. قال: «فوالذي نفسي بيده لترونّ ربكم جلّ وعز يوم القيامة لا تُضارّونَ في رؤيته كما لا تُضارون في رؤيتهما».

....

قال أبو القاسم: وحدّثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا أبو أسامة، ثنا الأعمش، أخبرني خيثمة ابن عبد الرحمن عن عديّ بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أحد منكم إلاّ سيكلّمه ربّه جلّ وعزّ ليس بينه وبينه ترجمانٌ ولا حاجبٌ يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى إلاّ شيئاً قدّمه، ثمّ ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدّمه ثمّ ينظر أمامه فلا يرى شيئاً إلاّ النار فاتقُوا النار ولو بِشِقّ تمرة»** [جه: ١٨٥]. لم يقل في هذا الحديث عن الأعمش: ولا حاجب يحجبه، إلاّ أبو أسامة وحده.

ومن ذلك ما حدّثناه أحمد بن علي بن سهيل، ثنا زهير يعني ابن حرب، ثنا إسماعيل عن هشام الدستوائي عن قتادة عن صفوان بن مُحرّز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سَمِعتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال سمعته يقول: **«يُدنَى المؤمنُ يومَ القيامة من ربّه جلّ وعزّ حتى يضعَ عليه كنفه فيقرّرهُ بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: ربِّ أعرفُ: قال: فإني قد سترتها عَلَيك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم ـ قال ـ فيعطى صحيفة حسابه، وأما الكفار والمنافقون فُينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»** [جه: ١٨٣].

قال أبو جعفر: وهذا الباب عن أنس وعن أبي رَزين عن النبي ﷺ وفيه عن الصحابة رضي الله عنهم منهم أبو بكر الصديق وحذيفة عن التابعين إلاّ أنّا كرهنا الاطالة إذْ كان ما ذكرناه من الحديث كفاية.

وقد حَدّثنا عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام سَمعتُ محمد بن يحيى النيسابوري يقول: السُّنّة عندنا وهو قول أئمتنا مالك بن أنس وأبي عبد الرحمن بن عمر، والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عيينة الهلالي وأحمد بن حنبل وعليه عَهدنَا أهل العلم أنّ الله جلّ وعزّ يُرى في الآخرة بالأبصار يراه أهلُ الجنّة، فأما سواهم من بني آدم فلا، قال: والحجة في ذلك أحاديث مأثورة عن النبي ﷺ أنه قيل له: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ وذكر الحديث.

قال محمد بن يحيى: وإن الإيمان بهذه الأحاديث المأثورة عن رسول الله ﷺ في رؤية الربّ في القيامة والقدر والشفاعة وعذاب القبر والحوض والميزان والدجال والرجم ونزول الرب تبارك وتعالى في كل ليلة بعد النصف أو الثلث الباقي والحساب والنار والجنّة أنّهما مخلوقتان غير فانيتين، وأنه ليس أحد سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، ونحوها من الأحاديث، والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها، وإنْ لم تبلغه عقولهم ولم يعرفوا تفسيرها فعليهم الإيمان بها والتسليم بلا كيف ولا تفير ولا قياس؛ لأن أفعال الله لا تُشبّه بأفعال العباد.

قال أبو جعفر: فهذا كلام العلماء في كل عصر المعروفين بالسّنة حتى انتهى ذلك إلى أبي

....

جعفر محمد بن جرير، فذكر كلام من أنكر الرؤية واحتجاجه وتمويهه وردّ ذلك عليه وبيّنه ونحن نذكر كلامه [الطبري في «تفسيره»: ٧/٢٩٩] نصاً إذ كان قد بلغ فيه المراد إن شاء الله فذكر اعتراضهم بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فأما قوله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] فممّا لا يحتاج إلى حجّة لأن فيه دليلاً على النظر اذ كان موسى (عليه السلام) مع مَحلّه لا يجوز أن يسأل ما لا يكون، فدلّ على أن هذا جائز أن يكون، وكان الوقت الذي سأله في الدنيا، فالجواب أنه لا يراه في الدنيا أحَدٌ واحتجّ [الطبري في «تفسيره»: ٧/٢٩٩] في تمويههم بقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] بقول عطيّة العوفي في قول الله جلّ وعزّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: هم ينظرون إلى الله عزّ وجلّ لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصرهُ يحيطُ بهم فذلك قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

قال: واعتلّ قائلو هذه المقالة بقوله جلّ وعزّ: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠] والغرق غير موصوف بأنه رآه قالوا: فمعنى ﴿لا تدركه الأبصار﴾ من معنى لا تراه بعيداً؛ لأن الشيء قد يُدرك الشيء ولا يراه مثل ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠] فكذا قد يرى الشيء الشيء ولا يدركه ومثله ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] وقد كان أصحاب فرعون رأوهم ولم يدركوهم وقد قال جلّ ثناؤه ﴿لا تخاف دركاً﴾ فإذا كان الشيء قد يرى الشيء لا يُدركه ويُدركه ولا يراه عُلم أنّ ﴿لا تُدركه الأبصار﴾ من معنى لا تراه الأبصار بمعزل، وأنّ معنى ذلك لا تحيط به الأبصار لأن الإحاطة به غير جائزة والمؤمنون وأهل الجنّة يرون ربّهم جلّ وعزّ ولا تُدركه أبصارهم بمعنى لا تُحيط به إذ كان غير جائز أن يكون يوصف الله بأنّ شيئاً يُحيط به ونظير جواز وصفه بأنه يُرى ولا يُدرك جواز وصفه بأنه يُعلم ولا يُحاط به.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ومعنى العلم هنا المعلوم فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يُحيطُوا بشيء من علمه إلاّ بما شاء نفيٌ عن أن يعلموه وإنما هو نفي الإحاطة به، كذا ليس في نفي إدراك الله جلّ وعزّ البصر في رؤيته له نفي رؤيته له فكما جاز أن يعلم الخلق شيئاً ولا يحيطون به علماً كذا جاز أن يَروا ربهم بأبصارهم ولا تُدركه أبصارهم؛ إذ كان معنى الرؤية غير معنى الإدراك، ومعنى الإدراك غير معنى الرؤية لأنّ معنى الإدراك الإحاطة كما قال ابن عباس: لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها.

فإن قيل: وما أنكرتم أن يكون معنى ﴿لا تدركه الأبصار﴾ لا تراه؟ قلنا له: أنكرنا ذلك لأن الله أخبر في كتابه أن وجُوهاً في القيامة إلى الله سبحانه ناظرة، وأخبر النبي ﷺ أنهم سيرون ربّهم جلّ وعزّ يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس ليس دونها سحابة.

....

فكتاب الله يُصدّق بَعضُه بعضاً، فعُلم أن معنى ﴿لا تدركه الأبصار﴾ غير معنى ﴿إلى ربها ناظرة﴾.

قال: وقيل: المعنى لا تدركه أبصار الخلق في الدنيا وتدركه في الآخرة، فجعلوا هذا مخصوصاً. قال [الطبري في «تفسيره»: ٧/ ٣٠٢]: وقيل المعنى لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة وتُدركه أبصار المؤمنين، وقيل: ﴿لا تُدركه الأبصار﴾ بالنهاية والإحاطة.

فأما الرؤية فنعم، وقيل: لا تدركه الأبصار كإدراكه الخلق، لأن أبصارهم ضعيفة، وقال آخرون: الآية على العموم ولن يدرك الله جل ثناؤه بصرُ أحد في الدنيا والآخرة، ولكن الله جلّ وعزّ يُحدِثُ لأوليائه يَومَ القيامة حاسةً سادسةً سوى حواسهم الخمس فيرونه بها. والصواب [الطبري في «تفسيره»: ٧/ ٣٠٣] من القول في ذلك عندنا ما تَظاهرَتْ به الأخبار عن النبي ﷺ: «إنكم سترون ربّكم، فالمؤمنون يرونه، والكافرون عنه يومئذ محجوبون» [الطبري في «تفسيره»: ٧/ ٣٠٧].

ولأهل هذه المقالة أشياء يُلبسون بها، فمنهم من يدفع الحديث مكابرة وطعناً على أهل الإسلام، ومنهم من يأتي بأشياء نكره ذكرها. قال محمد بن جرير: وإنما ذكرنا هذا ليعرف من نظر نعني فيه أنهم لا يرجعون من قولهم إلاّ إلى ما لبّسَ عليهم الشيطان مما يَسْهُلُ على أهل الحق البيان عن فساده، ولا يرجعون في قولهم إلى آية من التنزيل، ولا رواية عن الرسول صحيحة ولا سقيمة، فهم في الظلماء يخبطون وفي العمياء يترددون، نعوذ بالله من الحيرة والضلالة. قال أبو جعفر: فأما شرح «تضارون» واختلاف الرواية فيه فنمليه. فيه ثمانية أوجه: يُروى «تُضارون» بالتخفيف و«تُضامُون» مخففاً، ويجوز تُضَامّون وتُضارّونَ بضم التاء وتشديد الميم والراء، ويجوز تَضَامُّون على أن الأصل تَتَضامُّون حذفت التاء كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويجوز تَضّامُّون تدغم التاء في الضاد، ويجوز تضارّون على حذف التاء، ويجوز تضّارّون على إدغام التاء في الضاد، والذي رواه المتقنون مُخَفّفٌ تُضامُونَ وتُضارُون.

سمعت أبا إسحاق يقول: معناه لا ينالكم ضيم ولا ضير في رؤيته أي ترونه حتى تَستووا في الرؤية فلا يضيم بَعضُكم بَعضاً، ولا يضير بعضكم بعضاً، وقال أهل اللغة قولين آخرين، قالوا: لا تُضارُّون بتشديد الراء، ولا تُضامّون بتشديد الميم مع ضم التاء، وقال بعضهم: بفتح التاء وتشديد الراء والميم على معنى تتضامّون وتتضارّون، ومعنى هذا أنه لا يُضار بَعضُكم بعضاً أي لا يخالف بعضكم بعضاً في ذلك يقال: ضاررت فلاناً أضارُّهُ مُضارّةً وضِراراً إذا خالفته. ومعنى لا تضامّون في رؤيته أنه لا يضمّ بعضكم إلى بعض فيقول واحد للآخر: أرنيه كما يفعلون عند النظر إلى الهلال.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ٢٨
وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ
إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ٣٣﴾

قال أبو جعفر: الذي ذكرناه من تفسير الأعمش أن معناه لا تضارّون يوجب أن تكون روايته لا تضارّون والأصل لا تُضَارُرونَ ثم أدغمت الراء في الراء ومن قال معناه لاتضارّون فالأصل عنده لا تضاررون ثم أدغم... وهذا كلّه من ضارّه إذا خالفه كما حكاه أبو إسحاق وخالفه، وما رآه واحد. ويقال: نَضَرَ وجهه نَضراً ونَضَارةً ونَضرةً ونضَرَهُ الله ينضره وأنضرَه ينضره من الإشراق والنعمة وحسن العيش والغنى.

﴿ووُجُوهٌ يَومئذ باسرَةٌ﴾ [٢٤]

مبتدأ وخبره.

﴿تَظُنُّ أن يُفعل بِهَا فاقِرَةٌ﴾ [٢٥]

ولا يجوز رفع يُفعل وجاز في ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١] لأن ﴿لا﴾ عوضٌ، والفاقرة: الداهية والأمر العظيم.

﴿كلاّ..﴾ [٢٦]

﴿..راق﴾ [٢٧]

تكون بمعنى حقاً، وتكون مبتدأ على هذا ها هنا. وزعم محمد بن جرير [الطبري في تفسيره: ٢٩/١٦٢] أن التمام ها هنا ﴿كلا﴾، وأن المعنى: ليس الأمر كما يقول المشركون من أنهم لا يُجَازون على شركهم ومعصيتهم ﴿إذا بَلَغَت التَّراقي﴾ يكون العامل في إذا ﴿باسرة﴾ أو ﴿بلغت﴾ فإذا كان العامل فيها ﴿بلغت﴾ كان الجواب فيما بعد وحذفت الياء من ﴿..راق﴾ لسكونها وسكون التنوين وأثبتت في التراقي؛ لأنه لا تنوين فيه.

﴿إلى ربّك يومئذ المَسَاقُ﴾ [٣٠]

في موضع جواب إذا.

﴿فلا صدّق ولا صلّى﴾ [٣١]

﴿لا﴾ ها هنا نفي، وليست بعاطفة، ولا يجوز عند النحويين: ضربْتُ زيداً لا ضربت عمراً، والعلّة في ذلك أنّه كُره أن يُشبه الثاني الدعاء. وفي الآية المعنى: لم يصدّق ولم يُصلِّ يدل على هذا.

﴿ولكن كذّب وتولّى﴾ [٣٢]

﴿ثمّ ذَهَب إلى أهلِهِ يَتَمَطّى﴾ [٣٣]

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

أي ذهب مُعرضاً عن طاعة الله جلّ وعزّ متهاوناً بالموعظة و﴿وتمطى﴾ في موضع نصب على الحال.

﴿أولى لك فأولى﴾ [٣٤]

﴿ثم أولى لك فأولى﴾ [٣٥]

يقال لمن وقع في هلكة أو قاربَها.

﴿أيحسب الإنسان أن يُترك سُدى﴾ [٣٦]

في موضع نصب أيضاً على الحال. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن معنى ﴿أن يُترَك سُدى﴾ يقول: مهملاً.

﴿ألم يكُ نُطفةً مِن منيّ يمنى﴾ [٣٧]

على تذكير المنيّ، وهو أقرب إليه و﴿تُمنَى﴾ للنطفة.

﴿ثم كان عَلقَةً فخلَق فسوّى﴾ [٣٨]

أي فخلقه الله جلّ وعزّ فسوّاهُ بشَراً ناطقاً سميعاً بصيراً.

﴿فجعل مِنه الزوجين الذكرَ والأنثى﴾ [٣٩]

قيل: المعنى فجعل من الإنسان أولاداً ذكوراً وإناثاً. الذكر والأنثى على البدل من الزوجين.

﴿أليس ذلك بقادر على أن يُحيي المَوتى﴾ [٤٠]

فدلّ جلّ وعزّ دلالة بيّنة أنّ إحياءه إيّاه بعد الموت ليس بأكثر من خلقه إياه من نطفة ثمّ سوّاه إنساناً إلى أن وُلِدَ له، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢١٣] ﴿على أن يُحيي الموتى﴾ بقلب حركة الياء الأولى على الحاء ويدغم الياء في الياء.

وهذا خطأ؛ عند الخليل وسيبويه [الكتاب: ٢/٣٨٨] والعلة في ذلك، وهو معنى كلام أبي إسحاق أنك إذا قلت: ﴿يُحيي﴾ لم يجز الإدغام بإجماع النحويين لئلاّ يلتقي ساكنان فإذا قلت: أن يحيي لم يجز الإدغام أيضاً لأن الياء وإن كانت قد تحركت فحركتها عارضة، وأيضاً فكيف يجوز أن يكون حرف واحد يدغم في موضع لعامل دخل عليه غير ملازم، ولا يجوز أن يُدغم وهو في موضع رفع، والرفع الأصل.

٧٦ ـ سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

شرح إعراب سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أتى على الإنسان حينٌ مِّنَ الدَّهرِ لم يكُن شيئاً مذكُوراً﴾ [١]

﴿إنّا خلقنا الإنسان مِن نُّطفَة﴾ [٢]

الإنسان الأول عند أهل التفسير يراد به آدم عليه السلام، وقد يجوز أن يراد به الجنس، والثاني للجنس لا غير. والنطفة عند العرب الماء القليل في وعاء ﴿أمشاج﴾ من نعت نطفة على غير حذف، في قول من قال: الأمشاج: العروق التي تكون في النطفة، كما تقول: الإنسان أعضاء مجموعة، ومن قال: الأمشاج ماء الرجل وماء المرأة فهو على هذا أيضاً سمّاها جميعاً نطفة [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢١٤]، وهما يختلطان ويُخلَقُ الإنسان منهما. ومن قال: الأمشاجُ العلقة والمضغة فالتقدير عنده: من نطفة ذات أمشاج. وواحدتهما مَشِيجٌ مثل شريف وأشراف، ويقال: مِشْجٌ مثل عِدْل وأعدال.

﴿نَبْتَلِيه فَجَعَلْناهُ سميعاً بصيراً﴾ قال الفراء [معاني القرآن: ٣/ ٢١٤]: هو على التقديم والتأخير، والمعنى عنده جعلنا الإنسان سميعاً بصيراً لنبتليه أي لنختبره. وقال من خالفه في هذا: هو خطأ من غير جهة فمنها أنه لا يكون مع الفاء تقديم ولا تأخير؛ لأنها تدلّ على أن الثاني بعد الأول، ومنها أن الإنسان إنما يُبتلى أي يُختبر ويُؤمر ويُنهى إذا كان سويّ العقل كان سميعاً بصيراً ولم يكن كذلك، ومنها أنّ سياق الكلام يدلّ على غير ما قال: وليس في الكلام لام كي، وإنما سياق الكلام تعديد الله جلّ وعزّ نعمَهُ علينا ودلالته إيّانا على نِعَمِه.

﴿إنّا هَدَيْناهُ السّبيلَ إمّا شاكِراً وإمّا كفُوراً﴾ [٣]

منصوبان على الحال أي إنا خلقنا الإنسان شاكراً أو كفوراً. ومعنى إمّا أو وإن كانت

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

تجيء في أوّل الكلام ليدلّ على المعنى، ويدلك على ذلك قول أهل التفسير: أن المعنى: إنّا هديناه السبيل إمّا شقيّاً وإمّا سعيداً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٥٨]، والشقاء والسعادة يفرغ منهما وهو في بطن أمه، وهكذا خبر رسول الله ﷺ، وقيل: هي حال مقدرة، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢١٤] أن يكون ﴿ما﴾ ها هنا زائدة وتكون ﴿إن﴾ للشرط والمجازاة على أن يكون المعنى: إنّا هديناه السبيل إن شكر أو كفر. قال أبو جعفر: وهذا القول ظاهره خطأ لأن ﴿إنْ﴾ التي للشرط لا تقع على الأسماء وليس في الآية إما شكر إنما فيها إما شاكراً وإما كفوراً، فهذان اسمان، ولا يجازى بالأسماء عند أحد من النحويين.

﴿إنّا أعتدنا للكافرين سَلاسِلَ وأغلالاً وسَعيراً﴾ [٤]

هذه قراءة أبي عمرو وحمزة بغير تنوين إلاّ أن الصحيح عن حمزة أنه كان يقف [على] ﴿سَلاسِلا﴾ بالألف إتباعاً للمراد؛ لأنها في مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة بالألف، وقراءة أهل المدينة وأهل الكوفة غير حمزة ﴿إنّا أعتدنا للكافرين سَلاسِلاً وأغلالاً وسعيراً﴾ والحجة لأبي عمرو وحمزة أن ﴿سلاسل﴾ لا ينصرف؛ لأنه جمع لا نظير له في الواحد، وهو نهاية الجمع فثقل فمُنع الصرف، والوقوف عليه بالألف والحجة فيه أن الرؤاسي والكسائي حكيا عن العرب الوقوف على ما لا ينصرف بالألف لبيان الفتحة فقد صحّت هذه القراءة من كلام العرب.

والحُجّة لمن نوّنَ ما حكاه الكسائي وغيره من الكوفيين أن العرب تصرف كل ما لا ينصرف إلاّ أفعلَ منك. فهذه حُجة، وحُجّة أُخرى أن بعض أهل النظر يقول: كل ما يجوز في الشعر فهو جائز في الكلام؛ لأن الشعر أصل كلام العرب فكيف نتحكّم في كلامها ونجعل الشعر خارجاً عنه؟ وحجة ثالثة أنه لما كان إلى جانبه جمع ينصرف فأتبع الأول الثاني.

﴿إنّ الأبرارَ يَشرَبُون مِن كأسٍ كانَ مِزاجُها كافوراً﴾ [٥]

واحد الأبرار بَرٌّ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٥٨]، ربّما غلط الضعيف في العربية فقال: هو جمع فَعْل شُبّه بفعل وذلك غلط. إنما هو جمع فَعِل، يقال: بَرِرتُ والدِي فأنا بارٌّ وبرٌّ فَبرّ فَعِل مثل حَذِرتُ فأنا حَذِرٌ، وفَعِلٌ وأفعالٌ قياس صحيح.

وقيل: إنما سُمّوا أبراراً لأنهم برّوا الله جلّ وعزّ بطاعته في أداء فرائضه واجتناب محارمه.
وقيل: معنى ﴿كان مِزاجُها كافوراً﴾ في طيب ريحها.

﴿عَيناً﴾ [٦]

في نصبها وجه غير أني سمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول:

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾

نَظَرتُ في نصبِها فلم يصحّ لي فيه إلاّ أنها منصوبة بمعنى أعني، وكذا الثانية فهذا وجه، ووجه ثان أن يكون بمعنى الحال من المضمر في مزاجها، ووجه رابع يكون مفعولاً بها، والتقدير: يشربون عيناً يشرب بها عِبادُ الله كان مزاجها كافوراً. وفي يشرب بها وجهان: قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢١٥]: يشرب بها ويشربها واحد. قال أبو جعفر: وأحسن من هذا أن يكون المعنى يُروى بها. وقد ذكرته. ﴿يُفجّرونها تفجيراً﴾ مصدر. ويُروى أنّ أحدهم إذا أراد أن يتفجر له الماء شقّ ذلك الموضع بعود يجري فيه الماء.

﴿يُوفُونَ بالنَّذرِ ويخافُون..﴾ [٧]

وهو كل ما وجب على الإنسان أن يفعله نَذَرَهُ أو لم يَنذِرهُ، قال جلّ وعزّ: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]. قال عنترة:

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي ولم أشتمهُمَا ... والنَّاذِرَيْنِ إذا لم ألقَهُما دَمِي

وقول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢١٦]: كان فيه إضمار ﴿كان﴾ أي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا، وكذا ﴿يَخافُونَ يوماً كانَ شَرُّهُ مُستَطيراً﴾.

﴿ويُطعِمُونَ الطعام على حُبِّهِ مِسكِيناً ويتيماً وأسيراً﴾ [٨]

اختلف العلماء في الأسير ها هنا، فقال بعضهم: هو من أهل الحرب؛ لأنه لم يكن في ذلك الوقت أسير إلاّ منهم، وقال بعضهم: هو لأهل الحرب وللمسلمين، وهذا أولى بعموم الآية فلا يقع فيها خصوص إلاّ بدليل قاطع فيكون لمن كان في ذلك الوقت ولمن بَعدُ، كما كان ﴿يُوفونَ بالنَّذرِ﴾.

﴿إنّما نُطعِمكُم لوَجهِ الله..﴾ [٩]

أي يقولون: لا نريد منكم جَزاءً ولا شكوراً يكون جمع شكر، ويكون مصدراً.

﴿إنّا نخافُ مِن ربّنا يوماً عَبُوساً قمطريراً﴾ [١٠]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢١٦]: القمطرير والقُماطِرُ الشديد وأنشد:

بَني عَمِّنا هل تذكرونَ بلاءَنا ... عليكُم إذا ما كانَ يَومٌ قُماطِرُ

﴿فوقاهُم الله شرّ ذلِكَ اليومِ..﴾ [١١]

وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾

نعت لذلك وإن شئت كان بدل ﴿ولقّاهُمْ نضرةً وسُرُوراً﴾ قال الحسن: النضرة في الوجه، والسرور في القلب.

﴿وجَزاهُمْ بما صبرُوا جنةً وحَريراً﴾ [١٢]

قال قتادة: بما صبروا عن المعاصي. فهذا أصحّ قول يقال لمن صبر عن المعاصي صابر مطلقاً، فإن أردت لغير المعاصي قلت صابر على كذا.

﴿مُتكئينَ فيها على الأرائك. .﴾ [١٣]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢١٦/٣]: نصب ﴿متكئين﴾ على القطع وهو عند البصريين منصوب على الحال من التاء والميم، والعامل فيه جزاء ولا يجوز أن يعمل فيه صبروا؛ لأن ﴿متكئين﴾ إنما هو في الجنة، والصبر في الدنيا، ويجوز أن يكون منصوباً على أنه نعت لجنة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٥٩/٥]، ولذلك حسن لأنه قد عاد الضمير عليها ﴿لا يرون فيها شَمْساً ولا زَمْهَرِيراً﴾ القول فيه كالقول في ﴿متكئين﴾، ويكون معناه غير رائين.

﴿ودانيةً عليهِمْ ظلالُها. .﴾ [١٤]

﴿ويُطافُ عليهِم بآنِيةٍ من فضّةٍ وأكوَابٍ. .﴾ [١٥]

فيه ستة أوجه: يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿جنّة﴾ أقيمت الصفة مقام الموصوف أي وجزاهم جنةً دانيةً عليهم ظلالُها، ويجوز أن يكون معطوفاً على متكئين، ويجوز أن يكون معطوفاً على لا يرون لأن معناه غير رائين، ويجوز أن يكون منصوباً على المدح مثل ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] وإن كان نكرة فهو يشبه المعرفة فهذه أربعة أوجه. وفي قراءة ابن مسعود ﴿ودَانِياً عليهِم ظِلالُها﴾ [معاني القرآن للفراء: ٢١٦/٣] على تذكير الجمع، وفي قراءة أُبَيّ ﴿ودان عليهم ظلالُها﴾ ﴿دان﴾ في موضع رفع، أصله دانيٌ استُثقلت الحركة في الياء فحذفت الضمة، وحذفت الياء لسكونها وسكون التنوين، ولم تستثقل الحركة في ودانياً لخفة الفتحة، ﴿وظلالها﴾ مرفوع بالدنوّ في قول من نصب الأول، ومن قال: ﴿ودان ظلالها﴾ عنده مرفوع بالابتداء، ودان خبره. كما تقول: مررتُ بزيد جالسٌ أبوهُ أي أبوه جالسٌ، ﴿وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذليلاً﴾ عطف جملة على جملة فلذلك صلح أن يأتي بالماضي وقبله اسم الفاعل، وبعده ﴿ويُطافُ عليهِم بآنِيةٍ من فضّةٍ وأكوَابٍ. .﴾.

أهل التفسير منهم مجاهد: يقولون: الكوب الكوز الذي لا عروة له إلاّ قتادة فإنه قال: هو القدَحُ ﴿كانَتْ قواريراً﴾ قراءة أبي عمرو الثاني بغير ألف وفرّق بينهما لجهتين: إحداهما أنه كذا

قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

في مصاحف أهل البصرة، والثانية أن الأولى رأسُ آية فحسُن إثبات الألف فيها. فأمّا حمزة فقرأ ﴿كانَت قواريرَ قَوَاريرَ من فضّة﴾ لأنهما لا ينصرفان فهذا شيء بيّنٌ لولا مخالفة السواد، وقرأ المدنيون بالتنوين فيهما جميعاً، والذي يُحتجُّ به لهم لا يوجَد إلاّ من قول الكوفيين وهو أن الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢١٦] أجازا صرف ما لا ينصرف إلاّ أفعَل منك واحتجَّ الفرّاء بكثرة ذلك في الشعر.

﴿.. قَدَّرُوها تَقديراً﴾ [١٦]

عن الشّعبي وقتادة وابن أبزَى وعبدالله بن عبيد بن عُمير أنهم قرؤوا ﴿قُدِّرُوهَا﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢١٧] أي قُدِّرُوا عليها أي على قدر رَيِّهِمْ لا يزيد ذلك ولا ينقص.

﴿ويُسقَوْنَ فيها كأساً﴾ [١٧]

قال أبو الحسن بن كيسان: لا يقال للقدح: كأسٌ حتى تكون فيه الخمر وكذا لا يقال: مائدة للخوان حتى يكون عليه طعام، وكذا الظعينةُ ﴿كانَ مِزَاجُها زَنجَبيلاً﴾ أي كالزنجبيل في لذعه وكانوا يستطيبون ذلك فخُوطِبوا على ما يعرفون [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٦٠].

﴿عَيناً..﴾ [١٨]

قد تقدَّمَ ما يغني عن الكلام في نصبها ﴿تُسَمّى سَلسَبِيلا﴾ فعَلليل من السَّلاسَةِ، ومَنْ قال: هو اسمُ العين صرَفَ ما لا يجوز أن ينصرف.

﴿ويَطُوفُ عَلَيهِمْ وِلدَانٌ مُخلَّدُونَ..﴾ [١٩]

أي بما يحتاجون إليه ﴿إذا رَأيتَهُمْ حَسِبتَهم لؤلؤاً مَنثُوراً﴾ أهل التفسير على أن المعنى في هذا التشبيه لكثرتهم وحسنهم، وقال عبدالله بن عمرو: ما أحد من أهل الجنة إلاّ له ألفُ غلام كلّ غلام على عَمَلٍ لَيس عليه صَاحِبُهُ.

﴿وإذا رأيت ثَمّ﴾ [٢٠]

لأهل العربية فيه ثلاثة أقوال: فأكثر البصريين يقول: ﴿ثَمّ﴾ ظرف، ولم تُعَدّ رأيتَ كما تقول: ظَنَنتُ في الدار فلا تُعدّى ظننت على قول سيبويه [الكتاب: ١/ ٦٣]، وقال الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٧٢٤]، وهو أحد قولَي الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢١٨]: ﴿ثَمّ﴾ مفعول بها أي فاذا نظرت ثَمّ، وقول آخر للفراء قال: التقدير: وإذا رَأيتَ ما ثَمّ وحذف ﴿ما﴾. قال أبو جعفر: ﴿وثَمّ﴾ عند جميع النحويين مبنيٌ غير معرب لِثقله، وحذفُ ﴿ما﴾ خطأ عند البصريين لأنه يُحذف الموصول ويَبقى الصلة فكأنه جاء ببعض الاسم.

عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾

﴿رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ جواب ﴿إذا﴾، ويُبيِّن لك معنى هذا كما حدّثنا أحمد بن علي بن سهل قال: حدّثنا زهير يعني ابن حرب، ثنا محمد بن حازم، ثنا عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في مُلكِهِ ألفي عام ينظرُ أزواجَه وسُرُرَهُ وخَدَمَهُ، وإنَّ أفضلهم منزلة لينظرُ في وجه الله جلّ وعزّ في كل يوم مرتين» [حم: ٢/١٣].

﴿عَالِيهُم ثِيَابُ سُنْدس﴾ [٢١]

مبتدأ وخبره، والأصل عالِيُهُمْ حذفت الضمة لثقلها. وهذه قراءة بيّنةٌ، وهي قراءة أبي جعفر ونافع ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة، وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن وأبو عمرو والكسائي وابن كثير وعاصم ﴿عاليَهُم﴾ بالنصب على أنه ظرف، ومَثَّلهُ الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢١٩] بقوله: زيدٌ داخلَ الدار. قال أبو جعفر: أما عَاليَهُمْ فبيّن أنه منصوب على الظرف، وفي معناه قولان: أحدهما أن الخضرة تعلو ثياب أهل الجنة، والقول الآخر أن هذه الثياب الخضر فوق حجالهم لا عَليْهم، وأمّا زيدٌ داخلَ الدار فلا يجوز عند جماعة من النحويين كما لا يقال: زيدٌ الدارَ، ولكن لو قلت: زيدٌ خارجَ الدار جاز، وروى عبد الوارث عن حميد عن مجاهد أنه قرأ ﴿عَليهِم ثيابُ سندس﴾.

قال أبو جعفر: وهذا لا يحتاج إلى تفسير، وفي قراءة ابن مسعود ﴿عَاليَتُهُمْ ثِيابُ سُندسٍ﴾ على تأنيث الجماعة، وقرأ الحسن ونافع ﴿ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضرٌ واستبرقٌ﴾ وقرأ الأعمش وحمزة ﴿ثِيابُ سندسٍ خضرٍ واستبرقٍ﴾ بخفضهما، وقرأ أبو عمرو وأبو جعفر ﴿ثيابُ سندس خضرٌ واستبرقٍ﴾ برفع ﴿خضر﴾ وخفض ﴿إستبرق﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/٢١٩] وقرأ ابن كثير وعاصم ﴿ثِيابُ سندسٍ خضرٍ وإستبرقٌ﴾ وقرأ ابن مُحَيصن ﴿واستَبرقَ﴾ بوصل الألف وبغير تنوين. قال أبو جعفر: القراءة الأولى حسنة متّصل الرفع بعضه ببعض، فخضرٌ نعت للثياب، واستبرق معطوف عليها: وانصرف لأنه نكرة وقُطعتِ الألف لأنه اسم ولو سَمّيت رجلاً باستكبر لقلت: جاءني استكبرُ. هذا قول الخليل وسيبويه.

والقراءة الثانية على أن من قرأ بها نَعت سُنْدساً بِخُضر، وفي ذلك بُعْدٌ؛ لأنه إنّما يقال: هذا سُنْدُسٌ أخضر كما يقال: هذا حَريرٌ أخضر إلاّ أن ذلك جائز لأنه جنس والجنس يُؤدّي عن الجميع كقولك: سُنْدس وسُنْدسَاتٌ واحد، وعُطف واستبرق على سندس أي وثيابُ واستبرق.

والقراءة الثالثة حسنة أيضاً جعله ﴿خضر﴾ نعتاً للثياب، وهو الوجه البيِّن الحسن، وخفض استبرق نسقاً على سندس أيضاً.

إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

والقراءة الرابعة خفض فيها خضر على أنها نعت لسندس كما مرّ، ورفع واستبرق لأنه عطف على ثياب، وقراءة ابن محيصن عند كل من ذكر القراءات ممن علمناه من أهل العربيّة لحن؛ لأنه منع استبرق من الصرف وهو نكرة، ولا يخلو منعه إيّاه من إحدى وجهين: إما أن يكون منعه من الصرف لأنّه أعجمي، وإما أن يكون ذلك لأنه على وزن الفعل، والعَجَمي وما كان على وزن الفعل ينصرفان في النكرة، وأيضاً فإنه وَصَلَ الألف، وذلك خطأ عند الخليل وسيبويه لِمَا ذكرنا، ونصب ﴿استبرق﴾ وإن كان هذا يتهيّأ أن يُحْتَالَ في نصبه فهذا ما فيه مما قد ذكر بعضه. قال أبو جعفر: ولو احتيل فيه فقيل: هو فعلٌ ماض أي وبَرَقَ هذا الجمع لكان ذلك عندي شيئاً يجوز وإن كُنتُ لا أعلم أحداً ذكرهُ ﴿وحلُّوا أساوِر مِن فضّة﴾ وقد طَعَن في هذا بعض الملحدين، إما لجهله باللغة وإمّا لقصده الكفر اجتراء على الله عزّ وجلّ وأخذ شيء من حطام الدنيا وذلك أن الجنة لا بيعَ فيها ولا شراء ولا معنى لطعنه لقلة قيمة الفضة، ولأن هذا لا يحسن للرجال، فَجَهل معنى التفسير لأن في التفسير أن هذا يكون لأزواجهن، ولو كان لهم ما دفع حُسنهُ، وقد طعن في الاستبرق ولم يدر معناه أو دراه وتَعمّد الكفر. والإستبرقُ عند العرب ما كان متيناً وغَلُظَ في نفسه لا غَلُظت خيوطه. قال أبو جعفر: فقد ذكرنا أن هذا الإستبرق يكون فوق حجالهم ﴿وسَقَاهمْ ربُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾ أي طاهراً من الأقذار والأدناس والأوساخ.

﴿إنّ هذا كانَ لكم جَزاءً﴾ [٢٢]

ويجوز رفع جزاء على خبر ﴿إنّ﴾ وتكون ﴿كان﴾ ملغاة ﴿وكانَ سَعيُكم مَّشكُوراً﴾ خبر ﴿كان﴾ ولو كان مرفوعاً جاز أن يكون اسم كان فيها مضمراً ولا تلغى إذا كانت مبتدأة لأن الكلام مبنيّ عليها.

﴿إنّا نحنُ نَزّلنا عَلَيكَ القُرآنَ..﴾ [٢٣]

يكون ﴿نحن﴾ في موضع نصب صفة لاسم إنّ، ويجوز أن يكون فاصلة لا موضع لها، ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء والخبر ﴿نَزّلنا﴾ ﴿تنزيلاً﴾ مصدر جيء به للتوكيد.

﴿فاصبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ..﴾ [٢٤]

أي اصبر على أذاهم، وكان السبب في نزول هذا على ما ذكر قتادة أن أبا جهل قال: لئن رَأيت محمداً ﷺ لأطأنَّ عنقه ﴿ولا تُطِعْ منهم آثماً أو كَفُوراً﴾ قال الفرّاء ﴿أو﴾ بمنزلة ﴿لا﴾ أي لا تُطِع من أثم وكفر. قال أبو جعفر: و﴿أو﴾ تكون في الاستفهام والمجازاة والنفي بمنزلة ﴿لا﴾. قال أبو جعفر: ويجوز أن يكون المعنى لا تُطيعنّ مَن أثم وكفر بوجه فتكون قريبة المعنى من الواو.

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾

قال أبو جعفر: فالقول الأول صواب على قول سيبويه، والثاني خطأ لا يكون ﴿أو﴾ بمعنى الواو لأنك إذا قلت: لا تكلّم زيداً أو عمراً، فمعناه لا تكلّم واحداً منهما ولا تكلّمهما إن اجتمعا وليس كذا الواو إذا قلت: لا تكلّم المأمور واحداً منهما لم يكن عاصياً أمره، ﴿أو﴾ إذا كلّم واحداً منهما كان عاصياً أمره وكذا الآية لا يجوز أن يطاع الآثم ولا الكفور.

﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ [٢٥]

﴿بكرة﴾ يكون معرفة فلا ينصرف، ويكون نكرة فينصرف، فهي ها هنا نكرة فلذلك صرفت لأن بعدها ﴿وأصيلا﴾ وهو نكرة ولا تكون معرفة إلاّ أن تدخل فيه الألف واللام.

﴿ومن الليل فاسجد له..﴾ [٢٦]

التقدير فاسجد له من الليل ﴿وسبّحه ليلاً طويلاً﴾ قيل: هو منسوخ بزوال فرض صلاة الليل، وقيل: هو على الندب، وقيل: هو خاص للنبي ﷺ.

﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة..﴾ [٢٧]

أي يحبون خير الدنيا ﴿ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾ قال سفيان: يعني الآخرة. قال أبو جعفر: وقيل: وراء بمعنى قُدّام ومن يَمنعُ من الأضداد يجيز هذا؛ لأن وراء مشتق من توارى فهو يقع لِمَا بين يديك وما خلفك. وقيل: التقدير: ويذرون وراءهم عَمل يوم ثقيل أي لا يعملون للآخرة.

﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم..﴾ [٢٨]

عن أبي هريرة قال: المَفَاصِلُ. وقال ابن زيد: القوة، وقيل: هو موضع الحديث. ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا: أسرهم: خَلْقَهُمْ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٦٣]. قال أبو جعفر: يكون من قولهم: ما أَحْسَنَ أَسرَ هذا الرجلِ أي خلقه، ومن هذا أخذَهُ بأَسْرِهِ أي بجملته وخلقتهِ لم يُبْقِ منه شيئاً ﴿وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلاً﴾ قال ابن زيد: يعني بني آدم الذين خالفوا طَاعَةَ الله جلّ وعزّ وأمثالهم من بني آدم أيضاً.

﴿إن هذه تذكرة..﴾ [٢٩]

قيل: أي هذه الأمثالُ والقصصُ ﴿فمَنْ شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلاً﴾ أي فمن شاء اتخذ إلى رضاء ربه طريقاً بطاعة الله عزّ وجلّ والانتهاء عن معاصيه.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

﴿وما تشاؤون..﴾ [٣٠]

اتخاذ السبيل إلاّ بأن يشاء الله ذلك لأن المشيئة إليه، وحُذفت الباء فصارت **﴿أن﴾** في موضع نصب، ومن النحويين من يقول: هي في موضع خفض. **﴿إنّ الله كانَ عليماً﴾** أي بما يشاء أن يتخذ إلى رضاه طريقاً **﴿حكيماً﴾** في تدبيره، لا يقدر أحد أن يخرج عنه.

﴿يُدخِلُ من يَشاءُ في رحمته..﴾ [٣١]

أي بأن يوفّقه للتوبة فيتوب فيدخل الجنة **﴿والظّالِمين أعدَّ لهم عَذَاباً أليماً﴾** نصب الظالمين عند سيبويه بإضمار فعل يفسره ما بعده أي ويُعَذّبُ الظالمين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٦٤]. وأما الكوفيون فقالوا: نُصبت لأن الواو ظرف للفعل أي ظرف لأعدّ. قال أبو جعفر: وهذا يحتاج إلى أن يبيّن ما الناصب، وقد زاد الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٢٠] في هذا إشكالاً فقال: يجوز رفعه وهو مثل ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]. قال أبو جعفر: وهذا لا يُشبهُ من ذلك شيئاً إلاّ على بُعد. لأن قبل هذا فعلاً فاختير فيه النصب ليضمر فعلاً ناصباً فيعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل، والشعراء ليس يليهم فعلٌ، وإنما يليهم مبتدأ وخبره. قال جلّ وعزّ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣] وها هنا يدخل من يشاء في رحمته ويجوز الرفع على أن يقطعه من الأول قال أبو حاتم: حدّثني الأصمعي، قال سمعت من يقرأ **﴿والظّالِمُونَ أعدَّ لَهُمْ عذَاباً اليماً﴾** بالرفع، وفي قراءة عبدالله **﴿وللظّالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً﴾** بتكرير اللام.

٧٧ ـ سورة المُرسَلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥﴾

شرح إعراب سورة المُرسَلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿والمُرسَلاتِ عُرفاً﴾ [١]

قال أبو جعفر: قد ذكرنا في هذه الآيات أقوالاً، ونزيد ذلك شرحاً وبياناً. قرئ على محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف بن موسى، ثنا وكيع عن سفيان عن سلمة بن كُهَيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين عن ابن مسعود في قول الله عزّ وجلّ **﴿والمُرسَلات عرفاً﴾** قال: الرياح [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٦٥].

﴿فالعاصفات عصفاً﴾ [٢]

قال: الريح [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٢١].

﴿والناشِرَاتِ نَشراً﴾ [٣]

قال الريح. قال أبو جعفر: وقد روي عن ابن مسعود أنه قال: **﴿المرسلات﴾** الملائكة: والقول بأنها الرياح قول ابن عباس وأبي صالح ومجاهد وقتادة، و**﴿العاصفات﴾** الرياح وذلك عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، **﴿والناشرات﴾** قد روي عن ابن مسعود أنها الملائكة والرواية الأولى أنها الريح قول ابن عباس، وعن أبي صالح أنّ **﴿الناشرات﴾** المطر.

﴿فالفارقاتِ فَرقاً﴾ [٤]

عن ابن مسعود وابن عباس أنها الملائكة، وروى سعيد عن قتادة **﴿فالفارقات فرقاً﴾** قال: القرآن فَرَق بين الحقّ والباطل، والتقدير على هذا: فالآيات الفارقات.

﴿فالمُلقيات ذِكراً﴾ [٥]

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾

عن ابن مسعود وابن عباس قالا: الملائكة. قال قتادة: الملائكة تُلقي الذكرَ إلى الأنبياء عليهم السلام، وعن أبي صالح في بعض هذه، قال: الأنبياء. قال أبو جعفر: قد ذكرنا أن الصفة في هذا أقيمتْ مقام الموصوف فلهذا وقع الاختلاف فإذا كان التقدير: وربّ المُرسَلات فالمعنى واحد والقسم بالله جلّ وعزّ، وإذا زدنا هذا شرحاً قلنا: قد ذكرنا ما قيل: إنّها الرياح وإنّها الملائكة وإنّها الرسل عليهم السلام، ولم نجد حجة قاطعة تحكم لأحد هذه الأقوال فوجب أن يُرَدَّ إلى عموم الظاهر فيكون عامّاً لهذه الأشياء كلّها. ﴿عرفاً﴾ منصوب على الحال إذا كان معناه: متابعة، وإذا كان معناه: والملائكة المرسلات بالعرف أي بأمر الله جلّ وعزّ وطاعته وكتبه، فالتقدير بالعرف فحذف الباء فتعدى الفعل، كما أنشد سيبويه:

أمرتُكَ الخيرَ فافعل ما أُمِرتَ بِهِ فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

[الطبري في تفسيره: ٣/ ١٧٢]

﴿عصفاً﴾ و﴿نشراً﴾ و﴿فرقاً﴾ مصادر تفيد التوكيد ﴿فالملقيات ذكراً﴾ مفعول به.

﴿عذراً أو نذراً﴾ [٦]

قراءة أبي عمرو والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ أهل الحرمين وابن عامر وعاصم ﴿عُذْراً﴾ بإسكان الذال ﴿أو نُذُراً﴾ بضم الذال، ويروى عن زيد بن ثابت والحسن ﴿عُذُراً أو نُذُراً﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٢٢] بضم الذالين، فإسكانهما جميعاً على أنهما مصدران كما تقول: شكرتُهُ شُكراً، ويجوز أن يكون الأصل فيهما الضم فحُذفت الضمة استثقالاً لها، وضمّهما جميعاً على أنهما جمع عذير ونذير، ويجوز أن يكونا مصدرين مثل شَغلتُه شُغلاً. وعذيرٌ بمعنى إعذار كما قال:

أُريدُ حِبَاءَهُ ويُريدُ قَتْلِي عَذيرَكَ مِنْ خَليلِكَ مِنْ مُرَادِ

[ديوان عمرو بن معد يكرب: ٦٥]

أي إعذارك وكما قال الآخر:

عَذيرَ الحَيِّ مِن عَدوا نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ

قال أبو جعفر: هكذا يُنشَدُ هذان البيتان بالنصب، وأنشد سيبويه [الكتاب: ١/ ١٣٩]:

عذيرَكَ مِن مولى إذا نمتَ لم يَنَمْ يقولُ الخَنا أو تعتريكَ زنابِرُهْ

أي عذيرك من هذا.

﴿إنّما توعدون لواقعٌ﴾ [٧]

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣﴾

أي من البعث والحساب والمجازاة. وهذا جواب القسم و﴿ما﴾ ها هنا بمعنى الذي مفصولة من ﴿إنّ﴾، ولا يجوز أن تكون ها هنا فاصلة و﴿لا﴾ زائدة، ألا ترى أن في خبرها اللام المؤكدة لخبر إنّ وحُذفت الهاء لطول الاسم؟ والتقدير: أن الذي توعدونه لواقع من الحساب والثواب والعقاب.

﴿فإذا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [٨]

رُفِعَتِ النجوم بإضمار فعل مثل هذا؛ لأن إذا ها هنا بمنزلة حروف المجازاة فإن قال قائل: قد قال سيبويه [الكتاب: ١/ ٤٣٥] في قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] ﴿إذا﴾ جواب بمنزلة الفاء، وإنما صارت جواباً بمنزلة الفاء لأنها لا يُبتدأ بها كما لا يُبتدأ بالفاء. فقد ابتدئ بها ها هنا، وأنت تقول: اذا قُمتَ قُمتُ، مبتدأ. قال أبو جعفر: فلم أعلم أحداً غلّط سيبويه في هذا، والحجة له أنّ ﴿إذا﴾ كانت للمفاجاة لم يُبتدأ بها نحو قوله ﴿إذا هم يقنطون﴾ وإذا كانت بمعنى المجازاة ابتدئ بها، ولكن قد عورض سيبويه بأن الفاء تدخل عليها فكيف تكون عوضاً منها؟ فالجواب أنها إنما تدخل توكيداً، وجواب ﴿فإذا النجومُ طُمست﴾ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وقيل: الفاء محذوفة، وقيل: الجواب محذوف.

وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي

﴿وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [١١]

بهمزة وتشديد القاف، وقرأ عيسى بن عمر النحوي وخالد ابن إلياس ﴿أُقِتَتْ﴾ [الطبري في تفسيره: ١٩/ ١٥٦] بهمزة وتخفيف القاف، وقرأ أبو عمرو ﴿وُقِّتَتْ﴾ بواو وتشديد القاف، وقرأ الحسن وأبو جعفر ﴿وُقِتَتْ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٢٢] بواو وتخفيف القاف. قال أبو جعفر: الأصل فيها الواو لأنه مشتق من الوقت، قال جلّ وعزّ: ﴿كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] فهذا من وُقِتَتْ مخففة إلاّ أن الواو تُستثقلُ فيها الضمة فتُبدل منها همزة، وقد ذكر سيبويه اللغتين: وُقِّتَتْ وأُقِّتَتْ فلم يقدّم إحداهما على الأخرى فإذا كانتا فصيحتين فالأولى اتباع السواد.

﴿لأيّ يوم أجّلت﴾ [١٢]

﴿ليوم الفصل﴾ [١٣]

قيل: حذف الفعل الذي تتعلق به اللام، والتمام لأي يوم أجّلت ثم أضمر فعل أُجّلت ليوم الفصل، وقيل: ليوم الفصل بدل وأعدت اللام مثل: ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] وقيل: اللام بمعنى إلى.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾

﴿وما أدراكَ ما يومُ الفَصلِ﴾ [١٤]

﴿ما﴾ الأولى والثانية في موضع رفع بالابتداء.

﴿وَيلٌ يومئذ للمُكذِّبينَ﴾ [١٥]

أي الذين يكذبون بيوم القيامة وما فيه.

وقرأ الأعرج ﴿ألم نُهلِك الاولين﴾ [١٦]

﴿ثم نُتبِعْهُمْ الآخرين﴾ [١٧]

جزم ﴿نتبعهم﴾ لأنه عطف على نهلك، قال أبو جعفر: هذا لحن، وقال أبو حاتم: هذا لحن، وذكر إسماعيل أنه لا يجوز. قال أبو جعفر: ﴿ثمّ﴾ من حروف العطف وإنما معناه من جهة المعنى وهو في المعنى غير مستحيل؛ لأنه قد قيل في معنى ﴿ألم نهلك الأولين﴾ أنهم قوم نوح وعاد وثمود، وأن الآخرين قوم إبراهيم (عليه السلام) وأصحاب مدين وفرعون. قال أبو جعفر: فعلى هذا تصحُّ القراءة بالجزم.

﴿كذلِكَ نفعَل بالمُجرمِين﴾ [١٨]

أي كذلك سُنّتي فيمن أقام على الإجرام أن أُهلكه بإجرامه.

﴿وَيلٌ يَومئذ لِلمُكذِّبين﴾ [١٩]

أي لمن كذَّبَ بما أخبر الله جلّ وعزّ، وبقدرته على ما يشاء.

﴿ألَم نَخلُقكُم مِّن مَّاء مُّهين﴾ [٢٠]

﴿فَقدَرْنَا..﴾ [٢٣]

ويجوز إدغام القاف في الكاف وعن ابن عباس ﴿مهين﴾ ضعيف. وقرأ أبو عمرو وعاصم والأعمش وحمزة ﴿فَقدَرْنَا﴾ مخففة، وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع والكسائي ﴿فقدّرنا﴾ مشدّدة، والأشبه التخفيف؛ لأن بعده ﴿فنِعمَ القادِرُون﴾ وليس بعده المقدّرون على أن القراءة بالتشديد حسنة؛ لأنه قد حكي أنهما لغتان بمعنى واحد. يقال: قَدْرهُ وقَدَرَهُ. وقد قال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة: ٦٠] ولا ينكر أن تأتي لغتان بمعنى واحد في موضع واحد، قال: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧] وقال الشاعر:

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً
فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾
لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾

وأنكرتني وما كان الذي نكرتْ مِنَ الحوادثِ إلاّ الشيبَ والصَّلَعا

[الطبري في «تفسيره»: ٩/٦٦]

وقد قيل: معنى فَقَدَرنا النطفة والعلقة والمضغة، وقال الضحاك: فَقَدَرنا: فملكنا ﴿فَنِعم القادرون﴾ رفع بنِعْمَ، والتقدير: فنعم القادرون نحن.

﴿وَيلٌ يومئذ للمُكذِّبين﴾ [٢٤]

بقدرة الله جلّ وعزّ على هذه الأشياء وغيرها.

﴿ألم نَجعلِ الأرضَ كِفاتاً﴾ [٢٥]

يقال: كَفَتَهُ إذا جَمَعَهُ وأحرزه، فالأرض تجمع الناس على ظهرها أحياء وفي بطنها أمواتاً. واشتقاق هذا من الكِفْتَ وهي وعاء الشيء، وكذا الكَفْتَةُ.

﴿أحياءً وأمواتاً﴾ [٢٦]

نصب على الحال أي نَكفِتُهم في هذه الحال، ويجوز أن يكون منصوباً بوقوع الفعل عليه أي تكفِت الأحياء والأموات.

﴿وجَعَلنا فيها رَواسِيَ شامِخاتٍ..﴾ [٢٧]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يقول: جبالاً مُشْرِفات، قال: و ﴿ماءً فُراتاً﴾ عذباً، وروى عنه عكرمة ﴿ماء فراتاً﴾: سيحان وجيحان والفرات والنيل، قال: وكل ماء عذب في الدنيا فمن هذه الأنهار الأربعة.

﴿وَيلٌ يَومئذ للمكذِّبين﴾ [٢٨]

﴿انطلقُوا إلى ما كُنتُمْ بِهِ تُكذِّبون﴾ [٢٩]

أي يقال لهم، وزعم يعقوب الحضرمي أن بعض القرّاء قرأ ﴿انطَلَقُوا﴾ بفتح اللام على أنه فعل ماض، وأمّا الأول فلم يُختَلفْ فيه.

﴿لا ظَليل..﴾ [٣١]

نعت لظلّ أي غير ظليل من الحر ولا يقي لهب النار.

﴿إنها تَرمِي بِشَرَر..﴾ [٣٢]

لغة أهل الحجاز كما قال:

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾

وتُوقَدُ نارُكُم شَرَراً ويُرْفَعُ لكم في كلِّ مَجْمَعَةٍ لِواءُ

[ديوان زهير بن أبي سلمى: ٨٥]

ولغة بني تميم شَرَار، ﴿كالقَصْرِ﴾ يُقرأ على ثلاثة أوجه؛ فقراءة العامة ﴿كالقَصْرِ﴾، وعن ابن عباس وجماعة من أصحابه ﴿كالقَصَرِ﴾ بفتح الصاد، وعن سعيد بن جبير روايتان في إحداهما ﴿كالقَصَرِ﴾ والأُخرى ﴿كالقِصَرِ﴾، كما قرىء على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل بن إسحاق قال: حدّثنا نصر بن علي قال: ثنا يزيد بن زريع، ثنا يونس عن الحسن أنها ترمي بشرر ﴿كالقِصَرِ﴾ بكسر القاف. قال نصر: وحدّثنا أبي، ثنا يونس عن الحسن ﴿بشررٍ كالقَصْرِ﴾ قال: أُصول النخل. قال أبو جعفر: والقَصْر بفتح القاف وإسكان الصاد في معناه قولان: روى علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿كالقصر﴾ قال: يقول: كالقَصْر العظيم وكذا قال محمد بن كعب هو القصر من القصور. وقال أبو عبيد عن حجاج عن هارون قال: القصر الخشبُ الجَزْلُ مثل جَمْرة وجَمْر وتَمْرة وتَمْر. قال أبو جعفر: وأصحّ من هذا عن الحسن كما قرىء على إبراهيم ابن موسى عن إسماعيل عن نصر قال، ثنا يزيد، ثنا يونس عن الحسن قال: ﴿كالقَصْرِ﴾ واحد القصور. قال أبو جعفر: فهذا قول بيّن والعرب تشبّه الناقة والجمل بالقصر كما قال:

كأنها بُرجُ رُوميٍّ يُشَيِّدُهُ بانٍ بجصٍّ وآجُرٍّ وأحجارِ

[ديوان الأخطل التغلبي: ٧٦]

فأمّا القصر فقال مجاهد وقتادة: هو أصول النخل، وروى عبد الرحمن بن عابس عن ابن عباس قال: القصر الخشبة تكون ثلاثة أذرع أو أكثر ودون ذلك. قال أبو جعفر: وهذا أصح ما قيل فيه ومنه قيل: قَصّارٌ لأنه يعمل بمثل هذا الخشب، والقصر بهذا المعنى يكون جمع قصرة وقد سمع من العرب حاجةٌ وحُوجٌ، ويجوز أن يكون جمع قصْرة وقد سمع حلقة وحلق.

ويقال: الشرر جماعة والقصر واحد فكيف شبهت به؟ الجواب أن يكون واحداً يدلّ على جمع أو جمع قصرة أو يراد به الفعل أي كعظيم القصر، وتكلّم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٢٤] في أن الأولى أن يُقرأ ﴿كالقصر﴾ بإسكان الصاد؛ لأن الآيات على هذا. ألا ترى أن بعده ﴿صُفْرٌ﴾، واحتج بقراءة القرّاء ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦] بضم الكاف؛ لأن الآيات كذا، وفي موضع آخر ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق: ٨] بإسكان الكاف فقال: فقد أجمع القرّاء على تحريك الأولى وإسكان الثانية، قال أبو جعفر: وهذا غلط قبيح قد قرأ عبدالله بن كثير ﴿يوم يدعُ الداعي إلى شيء نُكْر﴾ بإسكان الكاف. وهذا الذي جاء به من اتفاق الآيات لا يستتب ولا ينقاس.

﴿كأنه جِمَالات صُفْر﴾ [٣٣]

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٠ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَاكِهَ مِمَّا﴾

قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش بن عيسى وطلحة وحمزة والكسائي ﴿كأنه جِمالة صُفرٌ﴾ وعن ابن عباس ﴿جُمَالاتٌ صفر﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٢٥] بضم الجيم فالقراءة الأولى تكون جمع جمال أو جمالة، وجمالة جَمعُ جَمل كَحَجر وحِجَارة، وجمالات يجوز أن يكون بمعنى جمال كما يقال: رَخِلٌ ورُخَالٌ وظئر وظُؤار والتاء لتأنيث الجماعة، إلاّ أنّ أهل التفسير يقولون: هي حبال السفن منهم ابن عباس وسعيد بن جبير إلاّ أنّ علي بن أبي طلحة روى عن ابن عباس، قال: قِطع النحاس ويجوز أن يكون مشتقاً من الشيء المجمل.

﴿هذا يومُ لا ينطقُون﴾ [٣٥]

مبتدأ وخبره، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٢٥] أنّ القُرّاء أجمعت على رفع يوم. قال أبو جعفر: وهذا قريب مما تقدّم. روي عن الأعرج والأعمش أنهما قرآ ﴿هذا يَومَ لا ينطقون﴾ بالنصب وفي نصبه قولان: أحدهما أنه ظرف أي هذا الذي ذكرنا في هذا اليوم، والقول الآخر ذكره الفرّاء يكون ﴿يوم﴾ مبنيّاً. وهذا خطأ عند الخليل وسيبويه [الكتاب: ١/ ٣٦٩] لا تُبنى الظروف عندهما مع الفعل المستقبل؛ لأنه مُعربٌ وإنما يُبنى مع الماضي، كما قال:

على حِينَ عَاتَبتُ المَشِيبَ على الصِّبَا

[الطبري في «تفسيره»: ٦/ ٣٨٠]

﴿ولا يؤذَنَ لهم فَيعتذِرُونَ﴾ [٣٦]

عطف، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٢٦] أنه اختير فيه الرفع لتتفق الآيات.

﴿هذا يومُ الفصل..﴾ [٣٨]

مبتدأ وخبره ﴿جمعناكمْ والأوّلينَ﴾ نسق على الكاف والميم.

﴿فإن كانَ لكُمْ كَيدٌ فكِيدون﴾ [٣٩]

حُذفت الياء لأن النون صارت عوضاً منها لأنها مكسورة وهو رأس آية.

﴿إنّ المُتقين في ظِلال وعُيون﴾ [٤١]

ومن كسر العين كره الضمة مع الياء.

﴿وفَواكه مِمّا يشتَهُون﴾ [٤٢]

الأصل يشتهونه حُذفت الهاء لطول الاسم.

يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿كلُوا واشرَبُوا هنيئاً بما كُنتُم تعمَلُون﴾ [٤٣]

أي يقال لهم هذا.

﴿إنَّا كذلك نَجزي المُحسِنين﴾ [٤٤]

الكاف في موضع نصب أي جزاء كذلك.

﴿وَيلٌ يومَئذ للمُكَذبين﴾ [٤٥]

﴿كلُوا وتَمَتعُوا قليلاً﴾ [٤٦]

متصل بما يليه أي قيل للمكذبين ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً﴾ أي وقتاً قليلاً وتمتعاً قليلاً.

﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ اركَعُوا لاَ يركعُون﴾ [٤٨]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٢٧]: وإذا قيل لهم: صَلُّوا، وقال غيره: كان الركوع أشدَّ الأشياء على العرب حتى أسلم بعضهم وامتنع من أن يركع.

﴿فَبأيِّ حَديث بَعدَهُ يؤمِنُون﴾ [٥٠]

وقعت الباء قبل أي، والاستفهام له صدر الكلام لأن حروف الخفض مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد. ألا ترى أن قولك: نَظَرتُ إلى زيد، ونظرت زيداً بمعنى واحد.

٧٨ ـ سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾

شرح إعراب سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عمّ يتساءلون﴾ [١]

الأصل «عن ما» حذفت الألف فرقاً بين الاستفهام والخبر؛ لأن المعنى: عن أي شيء يتساءلون، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٢٧]: أن المعنى: لأي شيء يتساءلون؟ قال أبو جعفر: و«عن» بمعنى اللام لا يعرَفُ والتقدير: يتساءلون عن النبأ العظيم، وحذف لدلالة الكلام.

﴿الذي هم فيه مُختلِفون﴾ [٣]

في موضع خفض.

﴿كلاّ..﴾ [٤]

قيل: هو التمام أي ليس الأمر على ما زعم المشركون من إنكار البعث ﴿ستعلمُونَ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٢٧] تهديد لهم على قراءة الحسن التقدير: قل لهم: ستعلمون. ﴿ثمّ كلا ستعلمُون﴾ يعلمون معطوف عليه وقراءة العامة بالياء.

﴿ألم نجعَلِ الأرض مِهاداً﴾ [٦]

يكون واحداً، ويكون جمع مهدة.

﴿والجِبال أوتاداً﴾ [٧]

معطوف عليه جمع وتد، ومن أدغم قال: وَدّ. ولا يجوز الادغام في الجميع لأن الألف قد فصلت بين الحرفين.

﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ [٨]

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

نصب على الحال أي أصنافاً أي ذكوراً وإناثاً وقصاراً وطوالاً، فنبههم جلّ وعزّ على قدرته.

﴿وَجعلنا نَومَكُم سُباتاً﴾ [٩]

مفعولان.

وكذا **﴿وجَعَلنا الليلَ لِباساً﴾ [١٠]**

أي يغشيكم ويغطيكم كالثياب، أي فعلنا هذا لتناموا فيه وتسكنوا، كما قال قتادة: لباساً، سكناً.

﴿وجَعلنا النّهارَ مَعَاشاً﴾ [١١]

أي ذا معاش أي جعلناه مضيئاً ليعيشوا فيه ويتصرّفوا، كما قال مجاهد: معاشاً تتصرفون فيه وتبتغون من فضل الله جلّ وعزّ.

﴿وبَنَيْنا فَوقَكُم سَبعاً شِدَاداً﴾ [١٢]

حذفت الهاء لأن اللغة الفصيحة تأنيث السماء، **﴿شداداً﴾** جمع شديدة ولا تُجمَعُ على فُعَلاء استثقالاً للتضعيف.

﴿وجَعَلنا سِرَاجاً﴾ [١٣]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس **﴿وَهّاجاً﴾** أي مضيئاً.

﴿وأنزلْنا منَ المُعصِرات. .﴾ [١٤]

قال أبو جعفر: قد ذكرنا قولين لأهل التفسير: أن المعصرات الرياحُ والسحاب، وأولاهما أن يكون السحاب لقوله جلّ وعزّ: **﴿من المُعصِرات﴾** ولم يقل: بالمعصرات، وكما قرىء على أحمد بن شعيب عن الحسين بن حُرَيث قال: حدّثني علي بن الحسين عن أبيه قال: حدّثني الأعمش عن المنهال عن قيس بن السكن عن ابن مسعود قال: يرسل الله سبحانه الرياح فتأخذ الماء فتجريه في السحاب فتدُرّ كما تدرّ اللقحة.

ورُوي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس **﴿ماءً ثَجّاجاً﴾** قال: يقول: منصبّاً، وقال ابن يزيد: ثَجّاجاً كثيراً. قال أبو جعفر: القول الأول المعروف في كلام العرب يقال: ثجّ الماء ثجوجاً إذا انصبّ، وثَجّهُ فلان ثجّاً إذا صبّه صبّاً متتابعاً. وفي الحديث «**أفضلُ الحجّ العجُّ والثجُّ**» فالعجّ رفع الصوت بالتلبية. والثجّ صبّ دماء الهدي.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢﴾

﴿لِنُخرِجَ به حَبّاً ونَبَاتاً﴾ [١٥]

فالحب كل ما كان له قشر، والنبات: الحشيش والكلأ ونحوهما.

﴿وجَنّات..﴾ [١٦]

أي ثمر جنات ﴿ألفافاً﴾ قال أبو جعفر: قد ذكرنا قول من قال: هو جمع لَفّ وقول من قال: هو جمع الجمع أراد أنه يقال: لَفّاء وألَفّ مثل حمراء وأحمر ثم تقول: أُلُفٌ كما يقال: حُمرٌ ثم يجمع لُفّاً ألفافاً كما تقول: خُفٌّ وأخفاف والقول الأول أولى بالصواب؛ لأن أهل التفسير قالوا: ﴿وجنات ألفافاً﴾ أي جميعاً، لا نعلم بينهم اختلافاً في ذلك فهذا جمع لف، ويقال: لفيفٌ بمعناه، ونخلة لفّاء معناه غليظة فلهذا قلنا: الأول أولى بالصواب.

﴿إنّ يومَ الفصلِ كانَ ميقاتاً﴾ [١٧]

خبر ﴿كان﴾ ولو كان في غير القرآن جاز الرفع على إلغاء كان.

﴿يومَ يُنفَخُ في الصُّور..﴾ [١٨]

بدل ﴿فتأتون أفواجاً﴾ على الحال، ويقال: فوجٌ وفوجةٌ.

﴿وفُتِحت السماءُ فكانت أبواباً﴾ [١٩]

﴿وسُيّرَت الجِبَالُ فكَانَتْ سَرَاباً﴾ [٢٠]

﴿إنّ جَهنّم كانَتْ مِرصاداً﴾ [٢١]

في معناه قولان: قيل: معناه انشقت فكانت طرقاً، وقيل: تقطّعت فكانت قطعاً كالأبواب ثم حُذفت الكاف، كما تقول: رأيت فلاناً أسداً أي كالأسد، وكذا ﴿وسُيّرَت الجِبَالُ فكَانَتْ سَرَاباً﴾ ﴿إنّ جَهنّم كانَتْ مِرصاداً﴾.

أي ترصد من عصى الله سبحانه وترك طاعته. وقال الحسن: لا يدخل أحد الجنة حتى يرد النار، ومرصاد في العربية من رصدتُ فأنا راصد ومرصاد على التكثير. وقال: ﴿كانت﴾ ولم يقل: مرصادة لأنه غير جار على الفعل فصار على النسب.

﴿للطّاغِين مآباً﴾ [٢٢]

أي مرجعهم إليها [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٧٣]. وآب يؤوب رَجَع، كما قال:

وكُلُّ ذِي غَيبَةٍ يَؤوبُ وغائِبُ المَوتِ لا يَؤوبُ

[الطبري في تفسيره: ٤/٣٧]

لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾

﴿لابِثِينَ فيها أحقاباً﴾ [٢٣]

هذه قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وأبي عمرو وعاصم والكسائي، وقرأ علقمة ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة ﴿لَّبِثِينَ﴾ بغير ألف. وقد اعترض في هذه القراءة فقيل: هي لحن لا يجوز: هو حَذِرٌ زيداً، وإن كان سيبويه قد أجازه وأنشد:

حَذِرٌ أُموراً لا تَضِيرُ وآمِنٌ ما لَيسَ مُنجِيَهُ مِنَ الأقدارِ

[الطبري في التفسير: ١٣/ ١٠١]

وأنشد الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٢٨]:

أو مِسحَلٌ عَمِلٌ عِضادةَ سَمحَجٍ بسَراتِهِ نَدَبٌ لها وكُلُومُ

إلاّ أن سيبويه أنشده «أو مسحل شَنِجٌ»، وقال قوم: هو لحن لأنه إنما يقال: حذِرٌ، وكذا باب فَعِل لمن كان في خلقته الحذر، فأما اللابث فليس من ذلك في شيء. قال أبو جعفر: أما القول الأول فغلط ولا يشبه هذا قولك: حذرٌ زيداً؛ لأن أحقاباً ظرف وما لا يتعدى يتعدى إلى الظرف، وأما الثاني فهو يلزم إلاّ أنه يجوز على بعد، والقراءة بلابثين بيّنة حسنةٌ.

فأمّا حُجّة من احتج بلَبِثِين بما رواه شعبة عن أبي إسحاق قال: في قراءة عبد الله ﴿لَّبِثِينَ﴾ فلا حُجّة فيه لأن أبا إسحاق لم يلق عبد الله، ولو كان إسناده متصلاً كانت فيه حجة، وهذه الأشياء تؤخذ من قراءة عبد الله بما لا تقوم به حجة من إسناد منقطع أو من صحف قد يكتب فيها لابثين بغير ألف فيتوهّم قارئه أنه ﴿لَّبِثِين﴾.

وفي هذه الآية إشكال لقوله جلّ وعزّ: ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ وهم لا يخرجون منها. فمن أحسن ما قيل فيها أن قتادة قال: ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ لا انقطاع لها فعلى هذا التقدير يكون الجمع، وحُقبة حِقبٌ، وأحقاب جمع الجمع كما قال:

وكُنّا كَنَدمانَي جُذيمَةَ حِقبَةً مِنَ الدهرِ حتّى قيلَ لَن يَتَصدّعا

ويجوز أن يكون أحقاب جمع حقب، وقد ذكرنا ما قال أهل التفسير في معناه. فأما أهل اللغة فقولهم: إن الحِقبِ والحِقبَةَ يقعان للقليل من الدهر والكثير. قال أبو جعفر: وسمعت علي ابن سليمان يقول: سألنا أبا العباس محمد بن يزيد عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ فقال: ما معنى هذا التحديد؟ ونحن إذا حدّدنا الشيء فقلنا: أنا أقيم عندك يوماً، كان في قوله الكلام إنك لا تقيم بعد اليوم، ثم لم يجبنا عنها مذ نيفٌ وثلاثون سنة ونظرت فيها فوقع لي أنه يعني به الموحّدون العصاة ثمّ نظرت فإذا بعده ﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾ فعلمت أن ذلك ليس هو الجواب.

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾

﴿لا يذُوقُونَ فيها بَرداً ولا شَراباً﴾ [٢٤]

قال: فالجواب عندي أن المعنى لابثين في الأرض أحقاباً، فعاد الضمير على الأرض لأنه قد تقدم ذكرها والضمير في **﴿لا يذُوقُونَ فيها بَرداً ولا شَراباً﴾** يعود على النار لأنه قد تقدّم أيضاً ذكرها. قال: ولم أعرف لأبي العباس فيها جواباً. قال أبو جعفر: فسألت أبا إسحاق عنها فقال: سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يقول: المعنى لابثين فيها أحقاباً هذه صفتها أي يُعذّبون بهذا العذاب في هذه الأحقاب لا يذوقون فيها إلاّ الحَمِيم والغسّاق ويُعذّبون بعد هذا العذاب بأصناف من العذاب غير هذا. وهذا جواب نظري بيّن، وهو قول ابن كيسان يكون **﴿لا يذوقون﴾** من نعت الأحقاب، واختلف العلماء في قوله جلّ وعزّ **﴿لا يذوقون فيها برداً﴾**، فقيل: أي لا يذوقون فيها برداً يبرّد عنهم السعير، وقيل: نوماً كما قال الشاعر:

بردتْ مَراشِفُها عليَّ فصدّني عَنْهَا وعن قُبُلاتِها البَرْدُ

[ديوان امرىء القيس: ٢٣١]

أي النوم والنعاس، وقد يكون البرد الهدو، والثبات، كما قال الشاعر:

اليومُ يومٌ باردٌ سَمُومُهُ

وقد يكون البرد ما ليس فيه شدة كما روي «الصومُ في الشتاء الغنيمة الباردة» وهي التي ليس فيها حر السلاح. ويقال: بَرَدْتُ حرّه كما قال:

وعَطِّلْ قَلُوصِي في الرِكاب فإنّها ستبرِدُ أكباداً وتُبكِي بَوَاكِيا

واصحّ هذه الأقوال القول الأول؛ لأن البرد ليس باسم من أسماء النوم وإنما يُحتال فيه فيقال للنوم: برد؛ لأنه يُهدّئ العطش، والواجب أن يحمل تفسير كتاب الله جلّ وعزّ على الظاهر والمعروف من المعاني إلاّ أن يقع دليل على غير ذلك.

﴿إلاّ حَميماً وغسّاقاً﴾ [٢٥]

قال أبو رزين وإبراهيم: الغسّاقُ ما يسيل من صديد، وقال عبد الله بن بردة: الغسّاق: المنتن، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: الغسّاق: الزمهرير. قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ليست بمتناقضة لأنه يكون ما يسيل من جلودهم مُنتناً شديد البرد، وسمعت علي بن سليمان يقول: غسّاق بالتشديد أولى، لأنه يقال: غَسَقَتْ عينُهُ أي دمعت، فغسّاقٌ مثلُ سيّال تكثير غاسق، وقال غيره: من هذا قيل لليل: غاسق، لتغطيه وهجومه كما يهجم السيل، وقيل: الحميم مستثنى من الشراب، والغسّاق مستثنى من البَرْد.

جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾

﴿جزاءً..﴾ [٢٦]

مصدر دلّ على فعله ما قبله ﴿وِفاقاً﴾ من نعته.

﴿إنّهم كانُوا لا يَرجُون حِسَاباً﴾ [٢٧]

قيل: يرجون بمعنى يخافون؛ لأن من رجا شيئاً يلحقه خوف من فواته فغلب إحدى الخيفتين كما قال:

إذا لَسَعَتْهُ النَّحلُ لَمْ يَرجُ لَسْعَهَا وخَالفَهَا في بيتِ نُوبٍ عَوامِلُ

وقيل: الرجاء ها هنا على بابه أي لا يرجون ثواب الحساب.

﴿وكذّبوا بآياتنا كِذّاباً﴾ [٢٨]

مصدر، وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿وكذَبُوا بآياتنا كِذَابا﴾ [معاني القرآن: ٣/ ٢٢٩] بتخفيف الأول والثاني، وهي رواية شاذة ولكنه قد صحّ عن الكسائي أنه قرأ الثانية بالتخفيف كما قال [ديوان الأعشى: ٢٣٨]:

فَصَدَقْتُهم وكَذَبْتُهُم والمرءُ يَنفَعُهُ كِذَابُهُ

[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٧٤]

وكِذّابٌ بالتشديد على قول بعض الكوفيين لغة يمنيّة، وهذا ما لا يحصل منه كثير فائدة ولكن قول سيبويه [الكتاب: ٢/ ٢٤٣] أنه مصدر كذّب على الحقيقة وإن كان الكلام يكذّب تكذيباً كثيراً. وفيه من النحو ما يدقّ من المجيء بهذه التاء في تكذيب وليس لها في الفعل أصل، ويقال: ما الدليل على أن الأصل كِذّاب؟ ونحن نشرحه على مذهب سيبويه إن شاء الله. سبيل الفعل إذا كان رباعياً أن يزاد على ماضيه ألف في المصدر فتقول: أكرم إكراماً وانطلق انطلاقاً فهذا قياس مستتب، وكذا كذّب كِذّاباً وتكلّم كلاماً ثم إنهم قالوا: كذّب تكذيباً فقال سيبويه: أبدلوا من العين الزائدة تاء وقلبوا الألف ياء فغيّروا أوله كما غيّروا آخره. قال أبو جعفر: فأما تكلّم تكلّماً فجاءوا بالماضي ولم يزيدوا ألفاً لكثرة حروفه وضمّوا اللام، قال سيبويه: لأنه ليس في الأسماء تَفْعَلُ.

﴿وكُلّ شيء أحصَيناهُ..﴾ [٢٩]

نصب ﴿كلّ﴾ بإضمار [معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٧٢٧] فعل ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل كما قال:

أصبَحْتُ لا أحمِلُ السِّلاحَ وَلا أملِكُ رأسَ البَعيرِ إن نَفَرا

﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾
لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

والذِئبَ أخشاهُ إنْ مَرَرتُ بِهِ وَحدي وأخشى الرياحَ والمَطَرا

[الطبري في تفسيره: ٦/١٧]

﴿فذُوقُوا فَلَن نَّزِيدكُم إلاّ عَذَاباً﴾ [٣٠]

ويجوز الرفع بالابتداء، والكوفيّون يقولون: بالعائد عليه ﴿كِتَاباً﴾ مصدر، فمن النحويين من يقول: العامل فيه مضمر أي كتبناه كتاباً أي كتبنا عَدَدَهُ ومبلغه ومقداره، فلا يغيب عنا منه شيء كتاباً. وقيل: العامل فيه ﴿أحصيناه﴾ لأن أحصيناه وكتبناه واحد. قال الحسن: سألت أبا بُرْدَة عن أشد آية في القرآن على أهل النار فقال: تلا رسول الله: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدكُم إلاّ عَذَاباً﴾.

فقال: أهلك القوم بمعصيتهم لله جلّ وعزّ، وقال عبد الله بن عمر: ولم ينزل على أهل النار أشدّ من قوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلاّ عذاباً﴾.

﴿إنّ لِلمُتَّقِينَ مَفازاً﴾ [٣١]

﴿حدائق. .﴾ [٣٢]

بدل من ﴿مفازاً﴾، والمفاز الظفرُ بما يحبّه الإنسان. قال ابن عباس: الحدائق: الشجر الملتف، وقال الضحاك: الذي عليه الحيطان. قال أبو جعفر: وكذلك هو في اللغة وقد حَدَقَ بالقوم، كما قال:

وقَـد حَـدَقَـتْ بِـيَ المَـنِـيَّـةُ

[ديوان الأخطل: ٨٣]

﴿وكواعِبَ أتراباً﴾ [٣٣]

معطوف، الواحدة كاعب، وكواعب للجمع والمؤنث.

﴿وكأساً دِهاقاً﴾ [٣٤]

أي ممتلئة. مشتق من دهقه إذا تابع عليه الشدة.

﴿لا يَسمَعُون فِيهَا لَغواً وَلا كِذَّاباً﴾ [٣٥]

وقرأ الكسائي ﴿كِذاباً﴾ وهي خارجة من قراءة الجماعة يجوز أن يكون مصدراً من كاذبَ كذاباً، ويجوز أن يكون مصدراً من كذَّبَ كما تقول صام صياماً. وهذا أشبه أي لا يسمعون فيها باطلاً يُلغى ولا كذباً.

﴿جزاءً. . .﴾ [٣٦]

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾

مصدر، وكذا ﴿عطاءً﴾ ﴿حِسَاباً﴾ من نعته أي عطاء كافياً كما قال:

ونُعْطِي وليد الحي إنْ كان جائعاً ... ونُحْسِبُهُ إن كان ليس بجائع

وقال مجاهد: حساباً بأعمالهم.

﴿رَبُّ السمواتِ والأرضِ وما بَيْنَهُما الرحمنُ لا يَملِكُون منه خِطاباً﴾ [٣٧]

قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وأبي عمر، وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق، وعاصم بخفضهما جميعاً، وقرأ ابن محيصن ويحيى بن وثاب وحمزة بخفض الأول ورفع الثاني، وهو اختيار أبي عبيد لقرب الأول وبعد الثاني، وخالفه قوم من النحويين قالوا: ليس بعده مما يوجب الرفع؛ لأنه لم يفرق بينهما ما يوجب هذا فرفعُهما جميعاً على أن يكون الأول مرفوعاً بالابتداء، والثاني نعت له، والخبر ﴿لا يملكون منه خطاباً﴾، ويجوز أن يكون الأوّل مرفوعاً بإضمار هو، ومن خفض الإثنين جعلهما نعتاً أو بدلاً من الاسم المخفوض، ومن خفض الأوّل ورفع الثاني، جعل الثاني مبتدأ أو أضمر مبتدأ.

﴿يومَ يقُومُ الرُّوحُ..﴾ [٣٨]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الروح ملكٌ عظيم الخلق، وروى عنه غيره قال: الروح أرواح الناس تقوم مع الملائكة في ما بين النفختين من قبل أن تُردّ إلى الأبدان. وقال الشعبي والضحاك: الروح: جبرائيل ﷺ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٧٥]، وقال الحسن وقتادة: الروح: بنو آدم، وقال ابن زيد: الروح: القرآن، وقال مجاهد: الروح على صور بني آدم وليسوا منهم. قال أبو جعفر: لا دليل نعلمه يدلّ على أصح هذه الأقوال يكون قاطعاً من توقيف من الرسول أو دلالة بيّنة، وهو شيء لا يضرّ الجهل به. ولو قال قائل: هذه الأشياء التي ذكرها العلماء ليست بمتناقضة ويجوز أن يكون هذا كلّها لها لما عنّف.

﴿والملائكة صفاً﴾ نصب على الحال، وكذا ﴿لا يتكلمون﴾ في موضع نصب ﴿إلاّ من أذِنَ له الرحمن﴾ يكون ﴿من﴾ في موضع رفع على البدل من الواو، وفي موضع نصب على الاستثناء أي إلاّ من أذِن له الرحمن في الكلام ﴿وقالَ صَوَاباً﴾ من الحق، وتأول عكرمة المعنى على غير هذا، قال أبو جعفر: وقال صواباً في الدنيا أي قال: لا إله إلاّ الله.

﴿ذلِكَ اليومُ الحَقُّ..﴾ [٣٩]

نعت لليوم أي ذو الحق ﴿فَمَن شَاء اتَّخذَ إلى رَبّهِ مآباً﴾ أي نجاه مآب أي عملاً صالحاً في الدنيا.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً..﴾ [٤٠]

نعت لعذاب أو لظرف، أي وقتاً قريباً ﴿يَومَ يَنظُر المَرءُ ما قَدّمتْ يَدَاهُ﴾ الجملة في موضع خفض أي يومَ نظرِهِ ﴿ويَقُولُ الكافِرُ ياليَتني كُنتُ تُراباً﴾ خبر كنتُ، وأجاز بعض النحويين: ليتني قائماً. قال: لأن ﴿كان﴾ تكثر بعد ليت فَحُذِفَتْ.

٧٩ ـ سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤﴾

شرح إعراب سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والنازعات..﴾ [١]

خفض بواو القسم، وقيل: التقدير: وربِّ النازعات، وروى شُعبةُ عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله ﴿والنازعات﴾ قال: الملائكة، وروى شعبة عن السُّدّي عن أبي صالح عن ابن عباس ﴿والنازعات﴾ قال: يَنزعُ نفسه، فصار التقدير: والملائكة النازعات ﴿غرقاً﴾ مصدر. قال سعيد بن جبير: تنزع نفوسهم ثم تغرق ثم تُحرقُ ثم يُلقى بها في النار. والتقدير: وربِّ النازعات، والمعنى: فتغرق النفوس فتغرقه غرقاً، ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

﴿والناشطات..﴾ [٢]

معطوف على النازعات أي الجاذبات الأرواح بسرعة، يقال: نَشَطهُ إذا جذبه بسرعة إلاّ أن الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٣٠] حكى: نَشَطهُ إذا ربطه، وأنشطهُ حلّه، وحكى عن العرب: كأنما أنشط من عِقال، وخولف في هذا واستشهد مخالفه بقوله:

أضحت همومي تَنشُط المَناشِطا

[الطبري في تفسيره: ٣٠/ ٢٩]

﴿والسابحاتِ سَبحاً﴾ [٣]

معطوف، أي والملائكة السابحات أي السريعات، وقال عطاء: ﴿السابحات﴾ السفن ﴿سبحاً﴾ مصدر.

﴿فالسَّابِقاتِ..﴾ [٤]

معطوف، أي والملائكة السابقات الشياطين بالوحي [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٣٠]، وقال عطاء: السابقات الخيل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٧٧] ﴿سبقاً﴾ مصدر.

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾

﴿فالمُدَبِّرات..﴾ [٥]

عطف أي والملائكة. قال: ولا اختلاف بين أهل العلم في هذا أنه يراد به الملائكة وهو مجاز؛ لأنّ الله جلّ وعزّ هو المدبر الأشياء. قال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، فلمّا كانت الملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ ينزلون بالوحي والأحكام وتصريف الأمطار قيل لهم: مدبرات على المجاز. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٣٠]: كما قال: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] فنسب التنزيل إلى جبرائيل (عليه السلام) والله الذي نزّله، وكذا ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. ﴿أمراً﴾ منصوب على المصدر، ويجوز أن يكون التقدير: فالمدبّرات بأمر من الله حُذِفَت الباء فتعدى الفعل، وأنشد سيبويه:

أَمَرْتُكَ الخَيرَ فافعلْ ما أُمِرتَ بِهِ فَقَدْ تَركْتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

[الطبري في «تفسيره»: ٣/ ١٧٢]

﴿إذا كُنّا﴾ [١١]

﴿إنّ في ذلك لَعِبْرَةً لِمَن يَخشى﴾ [٢٦]

فأمّا جواب القسم ففيه أربعة أقوال أصحّها وأحسنها أنه محذوف دلّ عليه دلالة واضحة، والمعنى: والنازعات لَتُبْعَثُنَّ، فقالوا: أنُبْعَثُ إذا كنا عظاماً نخرة فقولهم ﴿إذا كُنّا﴾ يدلّ على ذلك المحذوف، وقيل: الجواب ﴿إنّ في ذلك لَعِبْرَةً لِمَن يَخشى﴾ وهذا بعيد؛ لأنه قد تباعد ما بينهما، وقيل: حذفت اللام فقط. والتقدير: ليوم ترجف الراجفة وهذا أيضاً أبعد من ذاك لأن اللام ليست مما يُحذفُ لأنها تقع على أكثر الأشياء فلا يعلم من أين حُذِفتْ، ولو جاز حذفها لجاز: والله زيدٌ منطلق، بمعنى اللام. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿الراجفة﴾ النفخة الأولى، ﴿والرادفة﴾ الثانية روى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ بينهما أربعون.

﴿قُلوبٌ يَومئذٍ واجفةٌ﴾ [٨]

مبتدأ وخبر. قال عطاء: واجفة مُتحركةٌ، وقال غيره: خائفة.

﴿أبصارُها خاشعةٌ﴾ [٩]

مبتدأ وخبره، [يعني] أنهم أذلاء لفضيحتهم يوم القيامة من معاصيهم وتمّ الكلام.

﴿يقُولُونَ﴾ [١٠]

أي في الدنيا ﴿أإنّا لَمَرْدُودُون في الحافرة﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿في

أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

الحافرة﴾ قال: يقول في الحياة [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٣٢]، وقال ابن زيد: في النار، وقال مجاهد: في الأرض والتقدير على قول مجاهد: في الأرض المحفورة أي في القبر مثل ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] أي مدفوق، وحقيقته في العربيّة من ماء ذي دفق، وعلى قول ابن عباس: ﴿في الحافرة﴾ نحيا كما حيينا أوّل مرّة.

﴿أإذا كنّا عِظاماً ناخِرةً﴾ [١١]

صحيحة عن ابن عباس رواها ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس، وصحيحة عن ابن الزبير ومرويّة عن عمر، وابن مسعود، فهؤلاء أربعة من الصحابة وهي مع هذا قراءة ابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٣١].

وهي أشبه برؤوس الآيات التي قبلها وبعدها. وقرأ ﴿نَخِرةً﴾ أهل الحرمين والحسن وأبو عمرو فالقراءتان حسنتان لأن الجماعة نقلتهما.

﴿قالوا تِلكَ إذاً كرة خاسِرةٌ﴾ [١٢]

قيل: المعنى: رجعة وردة، وجعلوها خاسرة لأنهم وعِدُوا فيها بالنار.

﴿فإنّما هي زَجرةٌ واحدَةٌ﴾ [١٣]

﴿فإذا هم بالسّاهِرةِ﴾ [١٤]

قال سفيان: الساهرة: أرض بالشام، وقال سعيد عن قتادة: الساهرة: جهنم، قال أبو جعفر: والساهرة في كلام العرب الأرض الواسعة المخوفة التي يُسهَرُ فيها للخوف، وزعم أبو حاتم: أن التقدير: فإذا هم بالساهرة والنازعات. وهذا غلط بيّن، لأن الفاء لا يبتدأ بها والنازعات أول السورة وهذا القول الرابع في جواب القسم.

﴿هل أتاكَ حَديثُ مُوسى﴾ [١٥]

تكون ﴿هل﴾ بمعنى ﴿قد﴾ وقد حكى ذلك أهل اللغة، وقد تكون على بابها.

﴿إذ ناداهُ ربُّه بالوادِ المُقدّسِ طوى﴾ [١٦]

بالتنوين وضم الطاء قراءة ابن عامر والكسائي، وقراءة أهل المدينة وأبي عمرو بغير تنوين وبضم الطاء، وقراءة الحسن ﴿طِوًى﴾ بكسر الطاء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٧٩] والتنوين ومعناه عنده، بالوادي الذي قُدّس مرتين ونودي فيه. والقراءة بضم الطاء والتنوين على أنه اسم للوادي وليس بمعدول إنما هو مثل قولك: حُطَم فلذلك صرف، ومن لم يصرفه جعله كعُمَر

اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ
﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ
وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

معدولاً، إلاّ أن الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٣٢] ينكر ذلك؛ لأنه زعم أنّه لا يُعرفُ في كلام العرب اسماً من ذوات الياء والواو معدولاً من فاعل إلى فُعَل. قال أبو جعفر: يجوز أن يكون ترك الصرف على أنه اسم للبقعة فيكون على غير ما تأول، وقد قرأ به غير مُنَون من تقوم الحجة بقوله.

﴿اذهَبْ إلى فِرعون إنهُ طَغَى﴾ [١٧]

من قال في المستقبل: يَطغَى قال: طَغَيْتُ وهو الطغيانُ ومن قال: يطغو قال: طغوت.

﴿فقلْ هل لَكَ إلى أنْ تزَكى﴾ [١٨]

قراءة أهل المدينة وقراءة أبي عمرو ﴿تزّكّى﴾ بتخفيف الزاي، والمعنى والتقدير في العربية واحد. لأن أصل تَزَكّى تتزكّى فحذفت التاء. ومن قال: تَزّكّى أدغمها. ولا يعرف التفريق بينهما. قال ابن زيد: ﴿تزَكّى﴾ تُسلِمُ، قال: وكل تزكية في القرآن إسلام.

﴿وأهديَكَ إلى ربِّكَ﴾ [١٩]

عطف وكذا ﴿فتخشَى﴾ أي فتخشى عقابه بترك معاصيه.

﴿فأراهُ الآيةَ الكُبرَى﴾ [٢٠]

مما لا يجوز حذف الألف واللام منه ولا يؤتى به نكرة.

﴿فكذّبَ وعَصَى﴾ [٢١]

معنى الفاء أنها تدل على أن الثاني بعد الأول. والواو للاجتماع. هذا أصلها.

﴿ثم أدبَرَ يسعَى﴾ [٢٢]

في موضع الحال.

﴿فحشَرَ..﴾ [٢٣]

وحذف المفعول أي وحشر قومه كما قال ابن زيد: جَمَع قومه ﴿فنادَى﴾ فيهم.

﴿فقال أنَا ربّكم الأعلى﴾ [٢٤]

﴿فأخذَهُ اللهُ نكالَ الآخرة والأُولى﴾ [٢٥]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٣٣]: أي فأخذه الله أخذاً نكالاً للآخرة والأُولى.

﴿إنّ في ذلِكَ لَعِبرَةً لِمَنْ يَخشى﴾ [٢٦]

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

أي يخشى عقاب الله كما نزل بغيره لمّا عصى؟

﴿أأنتم أشدُّ خلقاً أم السّماء﴾ [٢٧]

أي لِمَ تُنكِرُونَ البعث؟ وخلق السماء أشد من بعثكم

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [٢٨]

أي سقفاً للارض.

﴿واغطشَ ليلَها..﴾ [٢٩]

إضافة مجاز، لأن معنى الليل ذهاب الشمس، فلمّا كانت تغيب في السماء قيل: ليلها كما يقال: سرجُ الدابة، وكذا **﴿وأخرَجَ ضُحَاهَا﴾**.

﴿والأرضَ..﴾ [٣٠]

منصوب بإضمار فعل أي ودحا الأرض، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٣٣] أن النصب والرفع جائزان وأنه مثل ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يعني في الرفع والنصب. قال أبو جعفر: بينهما فرق؛ لأن قوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ الرفع فيه حسن؛ لأن تقديره: وآية لهم القمر **﴿والأرضَ بَعدَ ذلك دَحَاهَا﴾** الرفع فيها بعد؛ لأن قبلها ما عمل فيه الفعل ولا يتعلق بشيء مرفوع، فهذا فرق بيّن، ولا نعلم أحداً قرأ **﴿والأرضُ﴾** بالرفع، **﴿والقَمَرُ﴾** بالرفع قرأ به الأئمة.

وفي الآية إشكال؛ لأنه قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] وبعده ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١١] فدلّ على خلق السماء كان بعد خلق الأرض وهاهنا **﴿والأرض بعد ذلك دَحَاهَا﴾** فمن أصحّ ما قيل في هذا وأحسنه ما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: خلق الله جلّ وعزّ الأرض قبل السماء فقدّرَ فيها أقواتها، ولم يدحُها، ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعدها، وقال مجاهد والسديّ: **﴿والأرض بعدَ ذلك دحاها﴾** أي مع ذلك دحاها، كما قال جلّ وعزّ: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] قال أبو جعفر: القول الأول أولى أن يكون الشيء على بابه، ومعنى الدحو في اللغة البسْط. يقال: دَحوتُ أدحُو ودَحيتُ أدحي، ومن الثاني سُمّي دَحْيَةُ.

﴿والجِبَالَ أرسَاهَا﴾ [٣٢]

على إضمار فعل أيضاً.

﴿مَتَاعاً لكم ولأنعامِكُمْ﴾ [٣٣]

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾
وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ
ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٢٣]: أي خلق ذلك منفعة لكم ومتعة قال: ويجوز الرفع مثل ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ [آل عمران: ١٩٧].

﴿فإذا جاءت الطامّةُ الكُبرى﴾ [٣٤]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: القيامة عظّم الله أمرها وحذّر منه. قال أبو جعفر: العرب إذا عَظّمت الشيء وصفته بالطامة.

﴿يومَ يتذكّرُ الإنسانُ ما سَعى﴾ [٣٥]

أي إذا قرأ كتابه ورأى محلّه تَذكّرَ عمله.

﴿وبُرِّزَت الجَحيمُ لِمن يَرى﴾ [٣٦]

أنّث الجحيم لمعنى النار، وهو نعت لها ها هنا.

﴿فأمّا مَن طَغى﴾ [٣٧]

﴿فإنّ الجَحيمَ هِي المَأوَى﴾ [٣٩]

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء وخبره **﴿فإنّ الجَحيمَ هِي المَأوَى﴾** والتقدير عند الكوفيّين: فهي مأواه، والألف بدل من الضمير والتقدير عند البصريّين هي المأوى له.

﴿وأمّا مَن خافَ مَقامَ رَبّه..﴾ [٤٠]

أي مقام الحساب على معاصيه **﴿ونَهَى النفسَ عَن الهَوَى﴾** وهو الميل إلى ما لا يحسن.

﴿فإنّ الجنّةَ هِي المأوَى﴾ [٤١]

كالذي تقدّم.

﴿يسألونَكَ عَن السّاعةِ أيّانَ مُرساهَا﴾ [٤٢]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٣٤]: يقال: إنّما الإرساء للسفينة والجبال وما أشبههن، فكيف وصفت الساعة بالإرساء؟ فالجواب أنها كالسفينة إذا جرت ثم رست، ورُسوّها قيامها، وليس كقيام القائم على رجله ونحوه ولكن كما تقول: قامَ العدلُ، وقام الحقّ أي ظهر وثبت.

﴿فِيمَ أنتَ مِن ذِكراهَا﴾ [٤٣]

أي ليس إليك ذكرها لأنك لم تعرف وقتها. والأصل «في ما» حذفت الألف فرقًا بَينَ

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

الاستفهام والخبر فإنّ قَبل ما حرفاً خافضاً، والوقوف عليه فيمَه لا يجوز غيره لئلاّ تذهب الألف وحركة الميم، والصواب أن لا يوقف عليه لئلاّ يخالف السواد في زيادة الهاء أو يَلحَن إن وقف عليه بغير الهاء.

﴿إلى ربِّك مُنتهاها﴾ [٤٤]

في موضع رفع بالابتداء أي منتهى علمها.

﴿إنّما أنتَ مُنذرُ من يخشاها﴾ [٤٥]

وقرأ أبو جعفر وابن محيصن وطلحة ﴿منذرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ بالتنوين وهو الأصل وإنما يُحذف تخفيفاً.

﴿كأنّهم يومَ يرونَها لم يلبثُوا إلاّ عَشِيَّةً أو ضُحاها﴾ [٤٦]

أي زال عنهم ما كانوا فيه فلم يفكّروا في ما مضى وقلّ عندهم، وكان في هذا معنى التنبيه لمن اغترّ بالدنيا وسلامته فيها في أنه سيتركها عن قليل، ويذهب عنه ما كان يجد فيها من اللذة والسرور، فكأنّه لم يلبث فيها إلاّ عشية أو ضحاها.

٨٠ ـ سورة عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾

شرح إعراب سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وتولّى﴾ [١]

ويقال في التكثير: عبَّس.

﴿أنْ جاءَهُ الأعمى﴾ [٢]

﴿أنْ﴾ في موضع نصب أي لأَنْ، ومن النحويين من يقول: موضعها خفض على إضمار اللام، ومنهم من يقول: **﴿أنْ﴾** بمعنى **﴿إذْ﴾**.

﴿وما يُدريكَ لعلّهُ يزّكّى﴾ [٣]

والأصل يتزكّى أدغمت التاء في الزاي.

﴿أو يذّكّرُ...﴾ [٤]

الأصل يتذكر أُدغمت التاء في الذال لقربها منها **﴿فتنفعُه الذِّكرى﴾** وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٣٥] أنه يجوز النصب ولم يقرأ به. قال أبو جعفر: الرواية معروفة عن عاصم أنه قرأ **﴿فتنفعَهُ الذّكرى﴾** بالنصب، والكوفيّون يقولون: هو جواب لعلّ ولا يعرف البصريون جواب لعلّ بالنصب، وقد حكوا هم والكوفيّون: وإيجاب النصب وهو الأمر والنهي والنفي والتمنّي والاستفهام، وزاد الكوفيّون الدعاء، ولم يذكروا جواب لعلّ مع هذه الأجوبة. وسألت عنها أبا الحسن علي بن سليمان فقال: ما أعرف للنصب وجهاً وإن كان عاصم مع جلالته قد قرأ به إلا أن **﴿أو﴾** يجوز أن تنصب ما بعدها كما قال:

فقُلْتُ لهُ لا تَبْكِ عينُكَ إنّما نُحاوِلُ مُلكاً أو نَموتَ فنُعذَرا

[الطبري في تفسيره: ٤/١١٣]

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥﴾

فقد يجوز أن يعطفه على ما ينتصب بعد ﴿أو﴾.

﴿أما مَن استَغنَى﴾ [٥]

﴿فأنتَ لَهُ تَصَدّى﴾ [٦]

قراءة المدنيين، والأصل تتصدى ثمّ أدغم، وقراءة الكوفيين وأبي عمرو ﴿تصَدّى﴾ بحذف التاء لئلاّ يجمع بين تاءين.

﴿وما عَلَيْك إلاّ يزكّى﴾ [٧]

والأصل يتزكّى.

﴿وأمّا مَن جَاءَكَ يَسعى﴾ [٨]

﴿وهُوَ يَخشى﴾ [٩]

في موضع نصب على الحال وكذا ﴿وهُوَ يَخشى﴾ ويجوز أن تكون الجملة خبراً آخر.

﴿فأنتَ عنهُ تلهّى﴾ [١٠]

والأصل تتلهّى أي تتشاغل، وفعل هذا ﷺ طلباً منه لإسلام المشرك.

﴿كلا إنّها تذكِرَة﴾ [١١]

خبر ﴿إنّ﴾.

﴿فمَن شاءَ ذَكَرهُ﴾ [١٢]

لأنه تأنيث غير حقيقي.

﴿في صُحُف مُكرّمة﴾ [١٣]

﴿مرفُوعة مُطَهّرَة﴾ [١٤]

﴿بأيدي سفرة﴾ [١٥]

قيل: يعني به اللوح المحفوظ. هذا على تفسير ابن عباس لأن سعيد بن جبير روي عنه في معنى ﴿بأيدي سفرة﴾ أنهم الملائكة [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٣٦]، [ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٨٤]. وروى عنه علي بن أبي طلحة أنهم الكتبة، وقال قتادة: هم القرأة. والصحيح القول الأول، ومعروف في كلام العرب أنه يقال: سَفَر الرجل بين القوم إذا ترَسَّلَ بينهُم بالصلح. والملائكة سفرة لأنهم رسل الله تعالى إلى أنبيائه صلوات الله عليهم، وهم أيضاً كَتَبةٌ يكتبون أفعال

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾
ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾

العباد. فهذا كله غير متناقض إلاّ أن وهب ابن مُنَبه قال: السَّفرةُ الكرام البررة أصحاب محمد ﷺ. وبررة جمعُ بارٍ، وأبرار جمع بَرّ.

﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أكفرَهُ﴾ [١٧]

قال مجاهد: إذا قال الله تعالى: قُتِل الإنسان أو فُعِلَ به فهو الكافر. ومعنى قُتِلَ: أُهلِك؛ لأن المقتول مُهلك، وقيل: قُتِل: لُعِن، ما أكفره الأولى أن تكون ﴿ما﴾ استفهاماً أي ما الذي أكفره مع ظهور آيات الله جلّ وعزّ وإنعامه عليه، وقيل: هو تعجب.

﴿من أي شيء خلقَهُ﴾ [١٨]

﴿من نُطفة خلقَهُ...﴾ [١٩]

﴿ثم السبيل يسّرَهُ﴾ [٢٠]

أي وإنّما خُلق من قذَر، وإنما يتبل بطاعة الله. وأولى ما قيل في معنى **﴿ثُمّ السّبيل يسَّرَهُ﴾** قول عبد الله بن الزبير رحمه الله أنّهُ يسّره أي سهل عليه حتى خرج من الرحم، والتقدير في العربية: ثمّ للسبيل وحذف اللام لأنه مما يتعدّى إلى مفعولين أحدهما بحرف.

﴿ثمّ أماتَهُ فأقبرَهُ﴾ [٢١]

أي صيّره ذا قبر أي أن نُقبِرَ، وأما الدافن فيقال له: قابر كما قال [**ديوان الأعشى**: ١٣٩]:

لـو أسـنـدَتْ مـيْـتـاً إلـى نـحـرِهـا عـاشَ ولـم يُـنـقَـلْ إلـى قـابِـرِ

[معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٨٥]

﴿ثمّ إذا شاءَ أنشرَهُ﴾ [٢٢]

أي أحياه، والتقدير: إذا شاء أن ينشره أنشره. يقال أنشَرَهُ الله فَنَشَرَ فهو مُنشَرٌ وناشر كما قال:

حـتّـى يـقـولَ الـنـاسُ مـمـا رأوا يـا عَـجـبـاً لـلـمَـيّـتِ الـنـاشِـرِ

[الطبري في تفسيره: ٣/ ٢٩٥]، [ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٨٥]

﴿كلاّ لمّا يقضِ ما أمرَهُ﴾ [٢٣]

من النحويين من يجعل **﴿كلاّ﴾** تماماً في جميع القرآن أي كلا ليس الأمر كما يقول الكافر: قد قضيت ما عليّ، ومن النحويين من يجعلها في جميع القرآن مبتدأة، ومنهم من يفصلها وهذا يمر في التمام مشروحاً إن شاء الله.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فلينظر الإنسانُ إلى طعامِهِ﴾ [٢٤]

﴿. . صبّاً﴾ [٢٥]

﴿. . شقّاً﴾ [٢٦]

تمام على قراءة المدنيين وأبي عمرو وعلى قراءة الكوفيين ليس بتمام لأنهم يقرؤون ﴿أنّا﴾ بمعنى لأنا، ولا يجوز أن يكون بدلاً من طعام على ما تأوله أبو عبيد؛ لأن وجوه البدل قد بيّنها النحويون ولا يدخل فيها هذا. ومعنى ﴿صبّاً﴾ و﴿شقّاً﴾ التوكيد، وكذا هذه المصادر ﴿فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهة وأباً﴾.

﴿فأنبتنا فيها حبّاً * وعنباً وقَضْباً * وزيتوناً ونَخلاً * وحَدائِقَ غُلْباً﴾ [٢٧ ـ ٣٠]

وعن ابن عباس أنه قال بين يدي عمر: نبات الأرض السبعة، فقال له: ما أفهم ما تقول، فقال: ﴿فأنبتنا فيها حبّاً * وعنباً وقَضْباً * وزيتوناً ونَخلاً * وحَدائِقَ غُلْباً﴾ أي ملتفة.

﴿وفاكِهَةً وأبّاً﴾ [٣١]

أي مرعى الأنعام. قال عمر: هكذا فتكلّموا كما تكلّم هذا الفتى، وروى عنه ابن أبي طلحة: الأبّ: ما لان من الثمار.

﴿متاعاً لكم ولأنعامِكُم﴾ [٣٢]

نصب على المصدر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٨٦].

﴿فإذا جاءَت الصاخّةُ﴾ [٣٢]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: القيامة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٨٧]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/٢٣٩]، وقال عكرمة: النفخة الأولى، وقال الحسن: يصيخ لها كل شيء أي يصمُتُ لها كلّ شيء.

﴿يومَ يَفِرُّ المرءُ مِنْ أخيه﴾ [٣٤]

﴿وأُمِهِ وأبيهِ﴾ [٣٥]

﴿وصَاحِبَتِهِ وبَنيهِ﴾ [٣٦]

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

قيل: يفرّون لما بينهم من المطالبة فيخافون ذلك، وقيل: يفرّون لأن بعضهم يستحي من بعض فيكره أن يرى ما ينزل به من الفضيحة.

﴿لكلِّ امرئ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه﴾ [٣٧]

أي يشغله عن غيره.

﴿وُجُوه يومَئذ﴾ [٣٨]

رفع بالابتداء وإنْ كان نكرة للفائدة التي فيه، والخبر **﴿مُسفِرة﴾**.

﴿ضاحِكةٌ مُستَبشِرَة﴾ [٣٩]

نعت.

﴿.. قَتَرَة﴾ [٤١]

قال ابن زيد: القَتَرَةُ ما علا من الغبار، ويُروى أنه إذا قيل للبهائم: كوني تراباً صار ذلك التراب غَبَرة في وجوه الكفار [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٨٧].

﴿أولئك هُم الكفَرَةُ الفَجرة﴾ [٤٢]

تكون هم فاصلة أو مبتدأة و**﴿الفجرة﴾** خبر، والجملة خبر أولئك.

٨١ ـ سورة التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾

شرح إعراب سورة الشمس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إذا الشمسُ كُوِّرَتْ﴾ [١]

رُفعت الشمس بإضمار فعلٍ مثل الثاني؛ لأن ﴿إذا﴾ بمنزلة حروف المجازاة لا يليها إلاّ الفعل مُظهَراً أو مُضمَراً. وعن أُبيّ بن كعب ﴿كُوِّرت﴾: ذهب ضَوْؤها، وعن ابن عباس: أظلمت. قال أبو جعفر: يقال: كُوِّرَ الشيءُ وكُبِّر الشيء إذا لفّ ورُمي به، وفي الحديث «نعوذ بِكَ مِنَ الحَورِ بَعدَ الكَونِ» [م: ٣٢٦٣، ٣٢٦٤، ت: ٣٤٣٩، ن: ٥٥١٣، ٥٥١٤، جه: ٣٨٨٨] أي من الرجوع بعد أن كان أمرنا ملتئماً، ويروى «بعدَ الكور».

﴿وإذا النُّجومُ انكَدَرَتْ﴾ [٢]

رفعت النجوم بإضمار فعل أيضاً. قال أُبيّ: ﴿انكدرت﴾ تناثرت [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٨٩]، وقال ابن عباس: بُعثرت.

﴿وإذا الجِبالُ سُيِّرَتْ﴾ [٣]

بإضمار فعل أيضاً.

﴿وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [٤]

قال: أي أُهملت. قال الأصمعي: العُشَراءُ الناقة إذا أتى عليها من حملها عشرة أشهر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٨٩]، وقال أبو عبيدة: الناقة إذا أتى عليها من حملها ستة أشهر إلى أن تضع بعد ذلك وهم يتفقدونها وتعز عليهم.

﴿وإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [٥]

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾

فيه قولان: أحدهما حُشِرَتْ يوم القيامة ليعوّضها الله مما لحقها من الألم في الدنيا، وقال قتادة: حُشِرَتْ: جُمِعَتْ.

﴿وإذا البحارُ سُجّرتْ﴾ [٦]

وقرأ أبو عمرو ﴿سُجِرَتْ﴾ مخففاً واحتجَ بالبحر المسجور وخالفه جماعة من أهل العلم من أهل اللغة قالوا: البحر المسجور واحد، والبحار جمع الجمع أولى بالتكثير والتشديد، قالوا: والبحر المسجور بحر هذه صفته، وليس هذا مثل ﴿وإذا البحار سُجّرت﴾. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا معناه، ومعروف في اللغة أن يقال: سَجَرتُ الشيء: ملأته، كما قال:

فَتَوسَّطا عرضَ السريّ وصَدَّعا مَسْجُورة متجاوراً قُلاّمها

[ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٠٧]

وقال:

إذا شاءَ طَالَعَ مَسْجُورةً يَرى حَولَها النبعَ والسَّاسَما

[شعر النمر بن تولب: ١٠٣]

أي مملوءة، وقيل: هذه بحار في جهنم إذا كان يوم القيامة سُجِرَت، أي: ملئت بأنواع العذاب إلاّ أن أبا العالية قال: إذا الشمس كوّرت إلى ست منها يراها الناس قبل أن تقوم القيامة، وست في الآخرة بعد قيام القيامة، قال: وحدثني أبيّ بن كعب قال: بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينا هم على ذلك تناثرت النجوم، وبينا هم على ذلك إذ وقعت الجبال وتزلزلت الأرض وهربت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، وعُطّلت العشار أي أهملها أهلها، واختلطت الوحوش بالناس فذلك حشرها، وقالت الجن للإنس: نحن نعرف لكم الخبر فمضوا إلى البحار فوجدوها قد سُعِّرَت نيراناً، ثمّ تصدّعت الأرض إلى الأرض السفلى إلى السماء العليا، ثمّ أرسِلَتْ عليهم الريح فأماتتهم.

﴿وإذا النفوسُ زُوّجتْ﴾ [٧]

أي قُرِنت، الصالحُ مع الصالح هذا معنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

﴿وإذا الموءودة سُئِلَتْ﴾ [٨]

يقال: وأدها يئدها وأداً فهو وائد وهي موؤودة إذا دفنها حية وألقى عليها التراب. واشتقاقه من وَأَده إذا أثقله، قال هارون القارىء: في حرف أبَيّ ﴿وإذا الموءودةُ سألَتْ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٤٠] قال أبو عبيد: هذا أبين معنى. قال أبو جعفر: خولف في هذا لأنها قراءة

﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

شاذة مخالفة للمصحف مُشكلة؛ لأنه يجوز أن يكون التقدير: سألت ربها جلّ وعزّ، وسألت قاتلها. فهذا معنى مُستغلق فكيف يكون بيّناً؟ وفي معنى سئلت قولان: أحدهما أن المعنى طُلِب منها من قَتَلها توبيخاً له فقيل لها: من قتلك؟ والمعنى الآخر أنها سئلت فقيل لها: لِمَ قُتلت بغير ذنب؟ توبيخاً لقاتلها كما يقال لعيسى (عليه السلام): ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. وزعم الفراء [معاني القرآن: ٣/ ٢٤٠] أن مثل هذا قوله:

الشاتِمَيْ عِرضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا والناذِرينِ إذا لم ألقَهُما دَمِي

ليس المعنى أنهما إذا لقياه فعلا هذا، وإنما المعنى: والناذرين يقولان إذا لقيناه قتلناه، وصحّ عن ابن عباس أنه استدلّ بهذه الآية على أن الأطفال كلّهم في الجنّة قال: لأن الله جلّ وعزّ قد انتصر لهم ممّن ظلمهم.

قال ﷺ: «والله أعلم بما كانوا عاملين».

﴿وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [١٠]

كذا قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم، وقرأ أبو عمرو وابن كثير ويحيى والأعمش وحمزة والكسائي ﴿نُشِّرتْ﴾ والحجة لهم ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] وهذا ليس من الحجج الموجبة لترك ما قرأ به من تقوم بقراءته الحُجّة؛ لأن نُشِرَتْ يقع للقليل والكثير عند النحويين، والقراءتان صحيحتان.

﴿وإذا السماءُ كُشِطَتْ﴾ [١١]

وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٤١]: نُزعت وطُويت قال: وكذا قُشِطَتْ كما يقال: كافور وقافور.

﴿وإذا الجحيمُ سُعِرَتْ﴾ [١٢]

قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع، وقراءة أبي عمرو والكوفيين ﴿سُعِّرتْ﴾ ويُحتج لهم بأن الجحيم واحد، ويُحتج عليهم بأن الجحيم وإن كان واحداً فالتكثير أولى به لكثرة تسعره. قال أحمد بن عبيد يقال: جَخَمتُ النار أي أكثرت وقودها، وقال الفرّاء: جَخَمتُ الجمر: جعلت بعضه على بعض ورجل جاحم: بخيل ضنين.

﴿وإذا الجنّة أُزلِفَتْ﴾ [١٣]

﴿عَلِمَتْ نفسٌ ما أحضرت﴾ [١٤]

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾

بإضمار فعل كالثاني، وجواب ﴿إذا﴾ ﴿عَلِمَتْ نفسٌ ما أحضرت﴾ قيل: معناه ما وجدته حاضراً كما تقول: أحمدتُ فلاناً أي أصبته محموداً، قال قتادة: ما أحضرت من عمل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٩١].

﴿فلا أُقسِمُ بالخُنّسِ﴾ [١٥]

﴿لا﴾ زائدة للتوكيد أي فأقسم بالخُنّس وفي معنى الخُنّس ثلاثة أقوال قد مرّ منها ما رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنها النجوم الخمسة، وروى سعيد عن سماك قال: سمعت خالد بن عرعرة يقول: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ﴿الخنّس﴾: النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل. فظاهر هذا القول عام لجميع النجوم، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة وبكر بن عبد الله المزني وعبد الرحمن بن زيد. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: الخنّس: الظباء، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك، وقال جابر بن زيد وإبراهيم النخعي: الخُنّس: بقر الوحش.

قال أبو جعفر: إذا كان التقدير: فأقسم بربّ الخُنّس فالمعنى واحد إلاّ أن القول الأوّل أجلّها وأعرفها، وإنّما يقال لبقر الوحش والظباء خنّس الواحد أخنس وخنساء كما قال:

خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الفَرِيرَ فَلَمْ تَرِمْ عُرضَ الشَّقَائِقِ طَوفُهَا وبُغَامُهَا

[ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٠٨]

وواحد الخنس خانس، والجمع خنس وخناس.

﴿الجوار الكنّس﴾ [١٦]

﴿الجَوَارِي..﴾ في موضع خفض، حذفت الكسرة من الياء لثقلها، فإن كان بغير ألف ولام حذفت الياء لسكونها وسكون التنوين إذ كان جمع جارية، وكذا إنْ سَمّيتَ به على قول الخليل وسيبويه [الكتاب: ٢/٥٧]، وأما الكوفيون ويونس فيقولون إذا سَمّيتَ رجلاً بجوار لم تصرفها في النصب والخفض، فقلت: رأيت جوَاريَ ومررتُ بجواريَ، وقيل في الرفع: هؤلاء جواري بإسكان الياء. قال الخليل: هذا خطأ لأنه كان يجب أن يقال على هذا: هذا جَوَاريُ فأعلم بضم الياء، قال: ولا يكون أثقل من فواعل إذا سَمّيتَ به. قال سيبويه [الكتاب: ٢/٥٧]: سألت الخليل عن امرأة تسمّى بقاض فقال: هي مُجراةٌ في الرفع والخفض، تقول: مررت بقاض وهذه قاض. قال أبو جعفر: وقول يونس والكوفيين: مررت بقاضي وهذا قاضي فاعلم. ﴿الكُنّس﴾ جمع كانس ويقال: كُنّاس.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤﴾

﴿والليلِ..﴾ [١٧]

عطف على ﴿الخُنَّس﴾، وليست الواو واو قسم ﴿إذا عَسعَس﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٤٢]: أجمع المفسّرون على أنه إذا أقبل، وهذا غلط. روى مجاهد عن ابن عباس: ﴿إذا عَسعَسَ﴾ إذا أدبر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٩٢].

﴿..إذا تَنفَّسَ﴾ [١٨]

قال الضحاك: ﴿..إذا تَنفَّسَ﴾ إذا أضاء وأقبل.

﴿إنه لَقولُ رَسُولٍ كريم﴾ [١٩]

جواب القسم، وأجاز الكسائي ﴿أنه﴾ بالفتح أي أُقسم أنه، وتابعه على ذلك محمد بن يزيد النحوي.

﴿ذي قُوّة..﴾ [٢٠]

نعت لرسول أي ذي قوة على أمر الله جلّ وعزّ وطاعته ﴿عِندَ ذِي العَرش مكِين﴾ نعت أيضاً أي ذي منزلة رفيعة.

﴿مُطاعٍ ثَمّ..﴾ [٢١]

أي مطاع في السماوات ﴿أمين﴾ على وحي الله جلّ وعزّ ورسالاته فهذا التمام.

﴿وما صَاحِبُكم بِمَجنُون﴾ [٢٢]

أي ليس خطابه ولا بيانه ولا فعله فعل مجنون.

﴿ولَقَد رآهُ بالأفق المُبينِ﴾ [٢٣]

الهاء تعود على الرسول وهو جبريل (عليه السلام) كما قرىء على محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف بن موسى عن يزيد بن هارون، ثنا داود ابن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، الله تعالى يقول: ﴿ولقد رآه بالافق المبين﴾ فقالت: أنا أول من سأل رسول الله ﷺ فقال: «ذاك جبريل (عليه السلام) لم أره على صورته التي خلِق عليها إلاّ مرتين قد هبط من السماء قد سَدّ عظم خَلقِهِ ما بين السماء والأرض» [حم: ٦/٢٣٦]

﴿وما هُوَ على الغَيبِ بِضَنينٍ﴾ [٢٤]

قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع ويحيى والأعمش وحمزة، ويقال: إنّها في حرف أبيّ بن كعب كذلك، وقرأ ثلاثة من الصحابة ﴿بِظَنين﴾ كما قرىء على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾

عن علي بن عبد الله المديني عن سفيان عن عمرو، قال: سمعت ابن عباس يقرأ ﴿بظنين﴾ بالظاء، وروى شعبة عن مغيرة عن مجاهد قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقرأ ﴿بظنين﴾ بالظاء، وقال عروة سمعت عائشة تقرأ بالظاء. وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي.

ولا اختلاف بين أهل التفسير واللغة أن معنى ﴿بظنين﴾ بِمُتَّهَم و ﴿بضنين﴾ ببخيل [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٤٢] فالقراءتان صحيحتان قد رواهما الجماعة إلاّ أنه في السواد بالضاد، وعَدَل أبو عمرو والكسائي وهما نحويا القراءة إلى القراءة. ﴿بظنين﴾ لأنه يقال: فلان ظنين على كذا أي متَّهمٌ عليه، وظنين بكذا وإن كانت حروف الخفض يَسهُلُ فيها مثل هذا وعدل أبو عبيد أيضاً إليها لأنه ذكر أنه جواب لأنهم كذّبوه. وهذا الذي احتجّ به لا نعلم أحداً من أهل العلم يعرفه ولا يرى أنه جواب، وما هو عندهم إلاّ مبتدأ وخبر، وقد قلنا: إن القراءتين صحيحتان ومجاز ﴿ضنين﴾ أنّ من العلماء من يضن بعلمه، وفي الحديث «من كَتَمَ علماً ألجَمهُ الله بلجام من نار» [جه: ٢٦٥] فأخبر الله عن نبيه ﷺ أنه ليس بضنين بشيء من أمر الدين، وأنه لا يخصّ به أحداً دون أحد، على خلاف ما يقول قوم أنه خصّ الإمام بما لم يلقه إلى غيره.

﴿وما هُوَ بِقَولِ شَيطانٍ رَجيمٍ﴾ [٢٥]

لو حَذفتَ الباء لَنَصبتَ لشبه ﴿ما﴾ بليس.

﴿فأينَ تَذهَبونَ﴾ [٢٦]

ذكر الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٤٣] أن المعنى: فإلى أين تذهبون وحذفت «إلى» كما يقال: ذَهبت الشامَ وذَهَبت إلى الشام، وانطلقتُ إلى السوق وانطلقتُ السُوقَ، وخَرجتُ الشامَ وإلى الشام، وحكى الكسائي [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٤٣]: انطلق به الغور، والتقدير عنده إلى الغور فحذفت «إلى» فجعل الكوفيّون هذه الأفعال الثلاثة: انطلق وذهب وخرج يجوز معها حذف إلى، وقاسوا على ما سمعوا من ذلك زعموا، فأمّا سيبويه فحكى منها واحداً ولا يجيز غيره وهو ذهبت الشام، ولا يجوز ذهبتُ مصر، وعلى هذا قول البصريين لا يقيسون من هذا شيئاً. وروى أبو العباس على هذا شيئاً نزعم أنّ قولهم: ذهبت الشام ومعناه الإبهام أي ذهبت شامَة الكعبة، غير أن هذا إنّما يرجع فيه إلى قول من حكى ذلك عن العرب ولم يحكه سيبويه إلاّ على أنه الشام بعينها.

﴿إنْ هو إلاّ ذِكرٌ للعالمين﴾ [٢٧]

أي ما في القرآن إلاّ عظة وتذكرة للعالمين.

﴿لِمَن . .﴾ [٢٨]

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾

بدل من العالمين على إعادة اللام، ولو كان بغير لام لجاز. قال مجاهد: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ أي أن يتبع الحق.

﴿وما تشاءون..﴾ [٢٩]

في معناه قولان أحدهما: وما تشاؤون أن تستقيموا أي تتبعوا الحق ﴿إلاّ أن يَشَاءَ الله﴾ والقول الآخر: أنه منهم أي ما تشاؤونَ يشاء من الطاعة والمعصية ﴿إلاّ أن يَشَاءَ الله ربُّ العَالَمِينَ﴾ ذلك منكم، ولو لم يشأ لحال بينكم وبينه.

٨٢ ـ سورة الانفِطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾

شرح إعراب سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إذا السماءُ انفطَرتْ﴾ [١]

﴿وإذا الكواكب انتثَرتْ﴾ [٢]

وكذا **﴿وإذا البِحَارُ فُجِرتْ﴾ [٣]**

لتأنيث السماء على اللغة الفصيحة، وقد حكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٤٣] فيها التذكير، فمن أنثها صغّرها سُمَيّة وإنْ كانت رباعية في الأصل لأنه قد حُذف منها حرفٌ، والسماء مرفوعة بإضمار فعل، وكذا **﴿وإذا الكواكب انتَثَرَتْ﴾** وكذا **﴿وإذا البِحَارُ فُجِرتْ﴾** ولا يجوز أن تكون مرفوعة بالفعل الآخر إلاّ على شيء حكاه لنا علي بن سليمان عن أحمد بن يحيى ثعلب، قال: زَيْدٌ قام مرفوع بفعله ينوى به التأخير. قيل: معنى **﴿وإذا البِحَارُ فُجِرت﴾ فُجِرَ بعضُها إلى بعض** لاضطراب الأرض بزوال الجبال والزلازل فاختلط بعض البحار ببعض.

﴿وإذا القُبورُ بُعثِرَت﴾ [٤]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يقول بُحثِرَتْ وتأوّله الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٤٣] على أنّ الأرض بحثرت فألقت ما فيها من الكنوز والموتى، واحتجّ بالحديث: **«تُلقي الأرض أفلاذَ كبِدها»**. قال أبو جعفر: وهذا غلط وليس في القرآن وإذا الأرض وفيه خصوص القبور، «وتلقي أفلاذ كبدها» لا اختلاف بين أهل العلم أنه في آخر الزمان وليس هو يوم القيامة.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قدّمتْ وأخرَتْ﴾ [٥]

تمام الكلام، وهو جواب **﴿إذا﴾** وفي معناه قولان: قال ابن زيد: ما قدّمت: ما عملت،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾

وما أخّرت: تركت وضيّعت، وأخرت مما أُمِرَتْ بتقديمه من أمر الله جلّ وعزّ، والقول الآخر أن معنى ما أخرّت ما سَنّتْ من سُنّة فعُمل بها بعدها. قال أبو جعفر: هذا عن ابن عباس، وهو أولى، وبه يقول أصحاب الحديث، وينكره بعض أهل الأهواء. والدليل على صحته أن الإنسان إذا ضيع ما أُمِرَ به وأخّره كان ذلك ممّا قدّم من الشر لا مما أخّرهُ.

﴿يا أيُّها الإنسانُ ما غرّكَ بِرَبّكَ الكريم﴾ [٦]

﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء، وهو اسم تام والكاف في موضع نصب بـ ﴿غرّ﴾.

﴿الذي خلقكَ فسوّاكَ فَعدَلكَ﴾ [٧]

قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة وأهل الشام، وقرأ الكوفيون ﴿فَعَدَلَكَ﴾ مخففاً، واستبعدها الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٤٤] وإن كانت قراءة أصحابه؛ لأنه إنما يقال: عَدَلْتُهُ إلى كذا وصرفته إليه، ولا يكاد يقال: عَدَلْتُه في كذا ولا صرَفته. قال أبو جعفر فيه: وهذا غلط لأن الكلام تام عند ﴿فَعَدَلَكَ﴾ و﴿في﴾ متعلقة بركبَك لا بِعَدَلَكَ فيكون كما قال. ومعنى عدّلك في اللغة خَلَقَك مُعتدلاً لا يزيد رجلٌ على رجل، وكذا سائر خلقك. وقد يكون عدَلك تكثير عَدَلك فيكونان بمعنى واحد كما قال ابن الزبعرى:

وَعَدَلْنَا مِثْلَ بَدرٍ فاعْتَدَلْ

أي قتلنا منهم مِثل مَنْ قتلوا منّا، وقد قيل: عَدَلك: أمالك إلى ما شاء من حسن وقبح، وقبح وصحة وسقم.

﴿في أيّ صُورة ما شاء ركّبكَ﴾ [٨]

﴿ما﴾ زائدة، قال مجاهد: في صورة أب أو أم أو عمّ أو خال.

﴿كلا بل تُكذّبون بالدين﴾ [٩]

﴿وإنّ عليكم لَحَافِظين﴾ [١٠]

وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٤٤] عن بعض أهل المدينة ﴿بل يكذبونَ﴾ وردّها؛ لأن بعدها ﴿وإنّ عليكم لَحَافِظين﴾ قال أبو جعفر: ولا أعرف ما حكاه عن بعض أهل المدينة، ولا أعلم أحداً رواه غيره.

﴿كراماً كاتِبينَ﴾ [١١]

﴿يعلَمُون ما تفعلون﴾ [١٢]

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

نعت لحافظين وكذا ﴿يَعلَمُون ما تفعَلون﴾.

﴿إنّ الأبرارَ لَفِي نعيم﴾ [١٣]

أي الذين برّوا بطاعة الله واجتناب معاصيه، وقال الحسن: الأبرار الذين لا يؤذون الذرّ.

﴿وإنّ الفُجّارَ لَفِي جحيم﴾ [١٤]

﴿يَصلَونَها يومَ الدِّين﴾ [١٥]

على تأنيث النار، وإنْ كان الجحيم مذكّراً.

﴿وما هُم عنها بِغَائِبين﴾ [١٦]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٤٤]: أي إذا أُدخِلُوها فليسوا بخارجين منها. قال قتادة: يوم يُدان الناس بأعمالهم.

﴿ثُمّ ما أدراكَ ما يَوْمُ الدِّين﴾ [١٨]

قيل: ليس هذا تكريراً. والمعنى: وما أدراك ما في يوم الدين من العذاب والنكال للفجار ثمّ ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم للأبرار.

﴿يومَ لا تَملِكُ نفسٌ لِنَفسٍ شيئاً..﴾ [١٩]

قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي، وقال الفرّاء [في كتابه في «المعاني»: ٣/ ٢٤٤]: اجتمع القراء على نصب ﴿يَومَ لا تملك﴾. قال أبو جعفر: وهذا غلط. قرأ أبو عمرو وعبد الله بن أبي إسحاق وعبد الرحمن الأعرج وهو أحد أُستاذي نافع ﴿يومُ لا تملك﴾ بالرفع فمن رفع فتقديره: هو ﴿يوم لا تملك﴾، ويجوز أن يكون بدلاً مما قبله: ﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين يومٌ لا تملك نَفْس لنفس شيئاً﴾، ومَن نصب فتقديره: الدين يومَ لا تملكُ ومثله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾ [القارعة: ٣، ٤] أي القارعةَ يومَ يكون الناس، ويجوز أن يكون التقدير: يصلونها يوم الدين ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ فهذان قولان الأوّل أولاهُمَا، وللفراء قول ثالث أجاز أن يكون ﴿يوم﴾ في موضع رفع فبناه كما قال:

على حِينِ عاتَبتُ المَشِيبَ على الصِّبا

[الطبري في «تفسيره»: ٦/ ٣٨٠]

قال أبو جعفر: وهذا غلط لا يجوز أن يُبنى الظروف عند الخليل وسيبويه مع شيء معرب

....

والفعل المستقبل معرب، فأما الكسائي فأجاز ذلك في الشعر على الاضطرار، ولا يحمل كتاب الله جلّ وعزّ على مثل هذا، ولكن تُبْنَى ظروف الزمان مع الفعل الماضي كما مرّ في البيت؛ لأن ظروف الزمان مُنقضِيةٌ غير ثابتة فلك أن تبنيها مع ما بعدها إذا كان غير معرب، وأن تعربها على أصلها نحو قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود: ٦٦] بإعراب يوم، وإن شئتَ ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ وعلى هذا تُبنى يوم مع ﴿إِذ﴾ في موضع الرفع والخفض والنصب على الفتح، وكذا ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ﴾

٨٣ ـ سورة المطفِّفين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

شرح إعراب سورة المطفِّفين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [١]

رفعت ويلاً بالابتداء **﴿للمطففين﴾** خبره [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٢٩٧] أي تأنيب، ويجوز النصب في غير القرآن؛ لأن ويلاً بمعنى المصدر، وكان الاختيار الرفع لأنه لا ينطق منه بفعل إلا شيئاً شاذاً أنشده محمد بن الوليد وهو:

فمــــا والَ ولا واحَ ولا واسَ أبـــو هـــنـــد

فإن كان مشتقاً من فعل فالاختيار النصب عند النحويين نحو: بؤساً له، وإن لم يأت بالخبر في الأول نصبت فقلت: وَيْلَهُ وَوَيْحَهُ.

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [٢]

﴿الذين﴾ في موضع خفض نعت للمطففين أو نصب على الذم وهو أولى بالآية، وربما توهَّمَ الضعيفُ في العربية أن معنى اكتلت عليه واكتلت منه واحد، وتقديرهما مختلف فمعنى اكتلت عليه أخذتُ ما عليه، ومعنى اكتلت منه استوفيتُ منه.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [٣]

اختلف النحويون في موضع الهاء والميم، فقال جِلَّتهم أبو عمرو بن العلاء والكسائي والأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٧٣٤] وغيرهم: موضع الهاء والميم موضع نصب، وهو مذهب سيبويه قياساً على قوله: كِلتك وصِدتُك ولا يجيز وَهَبْتُكَ؛ لأنه يُشكلُ، فإن قلت: وهبتك ديناراً جاز. وقال عيسى بن عمر: الهاء والميم في موضع رفع، وعبّر عنه أبو حاتم بأن المعنى عنده: هم إذا كالوا أو وزنوا يخسرون، لأن عيسى قال: الوقف **﴿وإذا كالوا﴾** ثم تبتدئ **﴿هم أو وزنوا﴾**، وعبّر غيره أن **﴿هم﴾** توكيد كما تقول: قاموا هم. قال أبو جعفر: والصواب أن الهاء والميم في موضع

أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾

نصب؛ لأنه في السواد بغير ألف، ونسق الكلام يدلّ على ذلك لأن قبله ﴿إذا اكتالوا على الناس﴾ فيجب أن يكون بعده وإذا كالوا لهم، وحذفت اللام كما قال، أنشده أبو زيد:

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤاً وَعَسَاقِلاً ... وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عن بَنَاتِ الأَوْبَرِ

وحرف الخفض يُحذَف فيما يتعدّى إلى مفعولين أحدهما بحرف كما قال:

أَمَرْتُكَ الخيرَ فافعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

[الطبري في «تفسيره»: ٣/ ١٧٢]

وقال آخر:

نُبِّئْتُ عبدَ اللهِ بالجوِّ أصبحَتْ ... كراماً مَوَالِيها لئيماً صَمِيمُها

[الطبري في «تفسيره»: ١٣/ ٣٠٨]

وقال آخر:

أستغفرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحصِيَهُ ... رَبَّ العبادِ إليهِ الوجهُ والعَمَلُ

﴿ألاَ يظن أولئك أنهم مبعُوثُون﴾ [٤]

أنّ وما عملت فيه في موضع المفعولين.

﴿ليوم عظيم﴾ [٥]

﴿يَوْمَ يقُومُ النّاسُ لِربِّ العَالَمِين﴾ [٦]

في نصبه أقوال: يكون التقدير: لمبعوثون يَوْمَ يقوم الناس لربّ العالمين، وقال الأخفش سعيد هو مثل قولك: الآن وجعله الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٤٦] مبنياً. قال أبو جعفر: وذلك غلط أن يُبنى مع الفعل المستقبل، ويجوز في العربية خفضه على البدل، ورفعه بإضمار مبتدأ، فهذا ما فيه من الإعراب. وقرئ على بكر بن سهل عن عبد الله بن يوسف عن عيسى بن يونس عن ابن عون عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يقوم النّاس لربّ العَالَمِين﴾ قال: «يقومون في رشحهم إلى أنصاف آذانهم» [الطبري في «تفسيره»: ٣٠/ ٩٢] قال أبو جعفر: فهذا حديث مجمل صحيح الإسناد، وروى عُقْبَةُ بن عامر عن النبي ﷺ مشروحاً قال: «تدنو الشمس يوم القيامة من الأرض، فمن الناس من يغرق إلى كعبه، ومنهم من يغرق إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من يغرق إلى منكبيه، ومنهم من يغرق إلى عنقه، ومنهم من يغرق إلى نصف فمه ملجماً به، ومنهم يشتمله الغرق».

﴿كلاّ إنّ كِتَابَ الفجّار لَفي سِجّين﴾ [٧]

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

من قال: إنّ ﴿كلاّ﴾ تمام في كل القرآن، قال: المعنى: ليس الأمر كما يذهب إليه الكافرون من أنهم لا يُبْعَثُونَ ولا يُعذّبون، وتكلّم العلماء في معنى سِجّين فقال أبو هريرة: ﴿سجّين﴾ جُبٌّ في جهنم مفتوح، وقال سعيد بن جبير: ﴿سجّين﴾ تحت حد إبليس، وقيل ﴿سجّين﴾ من السجل والنون مُبدلةٌ من اللام أي في ما كتب عليهم، وقال أبو عبيدة: في سجين: في حبس فقيل من السجن [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٩٨]، وقال بعض النحويين: ﴿سجّين﴾ الصخرة التي تحت الأرض السفلى، وزعم أن هذا يُروى وأنه صفة لأنه لو كان اسماً للصخرة لم ينصرف. قال: ويجوز أن تجعله اسماً للحجر فتصرفه. قال أبو جعفر: وأولى ما قيل في سجّين ما صحّ عن رسول الله ﷺ كما قرئ على أحمد بن محمد بن الحجاج عن يحيى بن سليمان عن ابن فُضيل وأبي معاوية عن الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبي ﷺ قال: «إنّ العبد الكافر أو الفاجر اذا مات صُعِدَ بروحه إلى السماء الدنيا، فيقول الله جلّ وعزّ: اكتُبُوا كتابه في ﴿سِجّين﴾ قال: وهي الأرض السفلى» [الطبري في «تفسيره»: ١٧/ ٢٥٥].

﴿وما أدْرَاك ما سِجّين﴾ [٨]

على التعظيم، وهو مبتدأ وخبره.

﴿كِتَابٌ مرقومٌ﴾ [٩]

إضمار مبتدأ أي هو كتاب مرقوم.

﴿وَيْلٌ يومئذ لِلْمُكذّبين﴾ [١٠]

﴿الذين يكذّبُونَ بيومِ الدّين﴾ [١١]

نعت للمكذبين ويجوز النصب على ما مرّ.

﴿وما يُكذّبُ بِهِ إلاّ كلّ مُعتد أثيم﴾ [١٢]

قال الحسن بن واقد: أي مُعتد في قوله، أثيم عند ربه.

﴿إذا تُتلى عليهِ آياتُنا قال أساطيرُ الأولين﴾ [١٣]

على إضمار مبتدأ.

﴿كلاّ بَل رانَ على قُلُوبِهِم ما كانوا يَكْسِبون﴾ [١٤]

بإدغام اللام في الراء وترك الإمالة قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وأبي عمرو، وقرأ الأعمش وعاصم وحمزة والكسائي بإدغام غير أنهم أمالوا، وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق ﴿بَلْ رَان﴾ بغير

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾

إدغام. قال أبو جعفر: والإدغام في هذا أولى لقرب اللام من الراء وترك الإمالة أولى؛ لأنه لا ياء فيه ولا كسرة، وإنما الإمالة محمولة على المعنى؛ لأنه من ران يرين مشتق من الرّين، كما قرئ على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل عن عارم قال: سألت الأصمعي عن حديث النبيّ ﷺ: «إنه ليُغانُ على قلبي حتى أستغفر الله عز وجل مائة مرة» [م: ٦٧٩٨، د: ١٥١٥، حم: ٤/٢١١] فقال: التوقّي في الكلام في حديث رسول الله ﷺ كالتوقي في القرآن، ولكن العرب تسمّي الغيم إذا كان دون الغيم رقيقاً الغَيْنَ والرَّين.

قال أبو جعفر: فهذا الإعراب والاشتقاق فأمّا المعنى فقال فيه مجاهد: للقلب أصابع فإذا أذنب عبد انقبض منها إصبع ثمّ إن أذنب انقبضتْ منها أخرى حتى تنقبض كلّها، ويطبع على قلبه فلا ينفع فيه موعظة. قال أبو جعفر: وأولى ما قيل في هذا ما صح عن النبي ﷺ كما قرئ على أحمد بن شُعَيب عن قتيبة عن الليث عن محمد بن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا أخطأ العَبدُ خطيئة وُكِتَ في قلبِهِ وكتة يعني: سوداء، فإن نزَعَ واستغفر وتاب صُقِل قَلبُه، وإن عاد زِيد فيها حتى يعلو قلبه، فذلك الرين الذي ذكره جلّ وعزّ ﴿كلا بل ران على قُلوبهم ما كانوا يكسِبُون﴾».

﴿كلاّ إنهم عن رَبِّهِم يومئذ لَمحجُوبُون﴾ [١٥]

في معناه قولان: أحدهما أنه دلّ بهذا على أنّ المؤمنين لا يُحجبون عن النظر إليه جلّ وعزّ. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا ما قاله مالك بن أنس في ذلك، وسُئِل الشافعي رحمه الله عن النظر إلى الله جلّ وعزّ يوم القيامة فقال: يدل عليه ﴿كلاّ إنّهم عن ربّهم يَومَئذ لَمحجُوبُون﴾ والقول الآخر أنّ التقدير: عن كرامة ربهم مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. قال أبو جعفر: وهذا خطأ على مذهب النحويين منهم الخليل وسيبويه، ولا يجوز عندهما ولا عند غيرهما من النحويين: جاءني زيدٌ، بمعنى جاءني غلامه، وجاءتني كرامته.

﴿ثمّ إنهم لَصَالُوا الجحيم﴾ [١٦]

لأنه للمستقبل، فمن حذف النون تخفيفاً قال: لصالوا الجحيم بالخفض على الإضافة، ومن حذفها لالتقاء الساكنين نصب.

﴿ثمّ يُقالُ هذا الذي كنتُم بِهِ تُكذّبون﴾ [١٧]

اسم ما لم يُسمَّ فاعله على قول سيبويه [الكتاب: ١/٤٥٦] في الجملة وكذا قال في ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٥] في موضع الفاعل. وهذا عند أبي العباس خطأ؛ لأن الجملة لا تقوم مقام الفاعل ولكن الفعل دل على المصدر، وقام المصدر مقام الفاعل.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥﴾

﴿كلاّ إنّ كِتابَ الأبرارِ لَفِي عِلِّيينَ﴾ [١٨]

﴿وما أدراكَ ما عِلِّيونَ﴾ [١٩]

فيه خمسة أقوال وفي إعرابه قولان: فأكثر أهل التفسير منهم كعب ومجاهد وزيد بن أسلم يقولون: علّيون: السماء السابعة، وحكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٤٧]: إنه السماء الدنيا، وقال قتادة: قائمة العرش اليمنى، وقال الضحاك: علّيون: سِدرةُ المنتهى، وقيل: علّيونَ: الملائكة. قال أبو جعفر: القول الأوّل عليه الجماعة فأما الإعراب فالقولان اللذان فيه أحدهما أن عليين أشبَهَ عشرين وما أشبهها؛ لأنّه لا واحد له، وإنّما هو بمعنى من علوّ إلى علو فأُعرب كإعراب عشرين. قال أبو جعفر: فهذا قول موافق لتأويل الذين قالوا: علّيون: السماء السابعة، والقول الآخر أن عليين صفة للملائكة فلذلك جمع بالواو والنون.

﴿كِتابٌ مرقُومٌ﴾ [٢٠]

أي ذلك الكتاب كتاب أي مكتوب، وفسّر ذلك الضحاك قال: إذا خرج روح المؤمن أخذهُ الملك فَصَعَدَ به إلى السماء الدنيا فتبعه الملائكة المقرّبون ثمّ كذلك من سماء إلى سماء حتى ينتهي به إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى، فيوافيهم كتاب من الله جلّ وعزّ مختوم فيه أمان من الله لفلان ابن فلان من عذاب النار يوم القيامة وبالفوز بالجنّة. قال ابن زيد: المقرّبون: الملائكة.

﴿إنّ الأبرارَ لَفِي نَعِيم﴾ [٢٢]

قيل: سُمّوا أبراراً لكثرة ما يأتونه من الصدق؛ لأن الصدق يقال له: بِرٌّ.

﴿عَلى الأرائِكِ يَنظُرونَ﴾ [٢٣]

﴿تَعرِفُ في وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [٢٤]

أي إلى ما لهم من القصور والحور وغير ذلك. قال أبو جعفر: ﴿تَعرِفُ في وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٤٨]يُعرَفُ لأنه تأنيث غير حقيقي.

﴿يُسقَونَ من رحِيقٍ مختُوم﴾ [٢٥]

﴿من رحيق﴾ في موضع نصب على خبر ما لم يُسَمّ فاعله على غير قول الأخفش [معاني القرآن: ٢/٧٣٥].

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿خِتامُهُ مِسْك..﴾ [٢٦]

مبتدأ وخبره. هذه قراءة أكثر الناس. وقراءة الكسائي رواه عنه أبو عبيد ﴿خاتَمُهُ مِسك﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٤٨] وزعم أن هذه القراءة قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذكر إسماعيل بن إسحاق أنه لم يجد أحداً يعرف هذا عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقُرئ على إبراهيم بن موسى عن محمد بن الجهم عن يحيى بن زياد عن محمد بن الفضل عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿خاتَمُهُ مِسك﴾ [معاني القرآن: ٣/ ٢٤٨] قال أبو جعفر: خاتمه وخَتامُهُ بمعنى واحد إلاّ أن ختاماً مصدر وخاتم اسم الفاعل، وأكثر كلام العرب في الناس وما أشبههم هو خاتمهم كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وكذا خاتم وفي غير الناس خِتامٌ كما قال:

أغلي السِّباء بكلّ أدكَنَ عاتِقٍ ... أو جَونةٍ قُدِحَت وفُضَّ خِتامُها

[ديوان لبيد بن ربيعة: ٣١٤]

﴿وفي ذلك فليتنافسِ المُتنافِسُون﴾ أي فليحرص وليطلب. وأصل هذا من نَفِستُ عليه بالشيء أي أردتُ أن يكون لي دونه، واشتقاقه من النَّفْس أي الذي تفرح به النفس وتميل إليه.

﴿وَمِزاجُهُ مِن تَسنيم﴾ [٢٧]

﴿عَيناً يَشربُ بِها المُقرَّبُون﴾ [٢٨]

في نصب عين خمسة أقوال: قول الأخفش: إنها منصوبة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٠١] بـ ﴿يسقون﴾ وقال محمد بن يزيد حكاه لنا علي بن سليمان: لا يصح لي أن تكون منصوبة إلاّ بمعنى أعني، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٤٩]: أي من تسنيم عَينٍ ثم نُوِّنتْ فنصبت مثل ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [البلد: ١٤، ١٥] والقول الرابع: ﴿تسنيم عيناً﴾ والقول الخامس: أن يكون تسنيم اسماً للماء معرفة، وعين نكرة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٠١] فنصب لذلك.

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب لأنه صحيح على قول أهل التأويل، كما قرأ محمد بن جعفر عن حفص بن يوسف بن موسى، ثنا سلمة، ثنا نهشل عن الضحاك قال: ﴿تسنيم﴾ عينٌ تسنم من أعلى الجنة ليس في الجنة عين أشرف منها. قال أبو جعفر: وقول مجاهد أيضاً يدل على هذا قال: تسنيم علو وكذا الاشتقاق يقال: تسنَّمتُ الماء أتسنَّمه تسنيماً إذا أجريتَهُ من موضع عال، وقبرٌ مسنَّمٌ أي مرتفع، ومن هذا سنام البعير.

فإن قال قائل: فلِمَ انصرف تسنيم وهو معرفة اسم لمؤنث؟ قيل: تقديره أنه اسم لمذكر

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾

للماء الجاري من ذلك الموضع العالي بمعنى عيناً جارياً فقد صارت في موضع الحال.

﴿إنّ الّذين أجرَمُوا..﴾ [٢٩]

أي اكتسبوا الإثم. يقال: جرَمَ وأجرَمَ إذا اكتسَبَ إلاّ أن الأكثر في اكتساب الإثم أجرم وفي غيره جرم. ﴿الذين﴾ اسم إنّ ﴿أجرَمُوا﴾ صلته ﴿كانوا﴾ خارج من الصلة لأنه خبر ﴿إنّ﴾ أي كانوا في الدنيا ﴿مِنَ الذينَ﴾ صدّقوا بتوحيد الله ﴿يَضحَكُون﴾ استهزؤوا بهم ويروى أن أبا جهل وأصحابه ضحكوا واستهزؤوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه.

﴿وإذا مرّوا بِهِمْ يتغامَزُون﴾ [٣٠]

استهزؤوا بهم.

﴿وإذا انقلَبُوا إلى أهْلِهِم انقلبوا فاكِهين﴾ [٣١]

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس فاكهين، يقول: معجَبين [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٠١]. قال أبو جعفر: أي معجبين بما يفعلون، مسرورين به، وقال ابن زيد: فاكهين: ناعمين، وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٤٩] أن فاكِهينَ وفكِهين بمعنى واحد، وحكى أبو عبيد أن أبا زيد الأنصاري حكى عن العرب أن الفكه الضحوك الطيب النفس. قال محمد بن يزيد: كان الأصمعي يرفع بأبي زيد في اللغة ويذكر محلّه وتقدّمه ويذكر صدقة وأمانته قال: وكان خلف بن حيان أبو محرز على جلالته يحضر حلقته.

﴿وإذا رأوهُمْ قالوا إنّ هؤلاء لضالّون﴾ [٣٢]

هذا قول الكفار في الدنيا أي لضالّون عن طريق الصواب.

﴿وما أرسلُوا عَليهِم حَافظينَ﴾ [٣٣]

أي لم يُرسَلُوا ليحفظوا عليهم أعمالهم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٠١] وإنّما أمِرُوا بطاعة الله تعالى.

﴿فاليوم الذين آمَنوا من الكفار يضحكون﴾ [٣٤]

وذلك بعد دخولهم الجنّة. قال ابن عباس: يفتح لهم أبواب إلى النار فينظرون إلى الذين كانوا يسخرون في الدنيا ويضحكون منهم، فإذا رأوهم في النار سُرُّوا بانتقام الله تعالى من أعدائه وضحكوا بهم إذ ذاك.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿على الأرائك ينظُرون﴾ [٣٥]

﴿هَلْ ثُوِّبَ الكُفّارُ ما كانُوا يفعَلُون﴾ [٣٦]

إليهم. وقال غيره: على الأرائك ينظرون إلى قصورهم وأزواجهم، ويقول بعضهم لبعض ﴿هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ ما كانُوا يفعَلُون﴾ وقيل ﴿هل﴾ مبتدأة منقطعة مما قبلها أي هل جُزِي الكفار بأعمالهم؟ و﴿ما﴾ في موضع نصب على هذا المعنى.

٨٤ ـ سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾

شرح إعراب سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذا السّماء انشقّت﴾ [١]

﴿إذا﴾ في موضع نصب وقد ذكرنا قول النحويين في جواب ﴿إذا﴾ وقد قيل: المعنى اذكروا إذا السّماء انشقّت. فعلى هذا لا تحتاج إلى جواب أي اذكر خبر ذلك الوقت.

﴿وأذِنت لربِّها وحُقّت﴾ [٢]

قال سعيد بن جبير: حُقّ لها أن تأذن. قال أبو جعفر: حقيقة هذا أن المعنى حقّق الله جلّ وعزّ عليها فانقادت إلى أمره، وانشقت أي تصدّعت فصارت أبواباً.

﴿وإذا الأرضُ مُدّت﴾ [٣]

رفعت الأرض بإضمار فعل يفسّره الثاني.

﴿وألقتْ ما فيها وتخلّتْ﴾ [٤]

﴿وأذِنتْ لِربّها وحُقتْ﴾ [٥]

معطوف على الأول، وكذا ﴿وأذِنَتْ لِربّها وحُقتْ﴾.

﴿يا أيُها الإنسانُ..﴾ [٦]

نعت لأي، والأخفش يقول: صلة لأنه لابدّ منه ﴿إنّك كادِحٌ إلى ربّك كَدْحاً﴾ مصدر فيه معنى التوكيد ﴿فَمُلاقِيهِ﴾ في موضع رفع والأصل ضم الياء فحذفت الضمة لثقلها. فهذا قول، وقيل: حذفت لأن الياء ههنا حرف مدّ ولين فأشبهت الألف فحذفت منه الضمّة والكسرة، ومن العرب من يحذف منها الفتحة فيجريها مجرى الألف فلا يحرّكها بحال.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾

﴿فأمّا مَنْ أوتِيَ كِتابَهُ بيَمينِه﴾ [٧]

﴿فسَوفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً﴾ [٨]

أي يثاب بحسناته ويتجاوز عن سيئاته.

﴿وينقَلِبُ إلى أهلِهِ مسرُوراً﴾ [٩]

نصب على الحال.

﴿وأما مَنْ أوتِيَ كتابَه وراءَ ظهرِه﴾ [١٠]

﴿فسوفَ يدعُو ثُبوراً﴾ [١١]

مفعول به، أي يقول: يا ثبوراه. قال سيبويه في نظير هذا: أي احضر فهذا من إبانك.

﴿ويَصلى سَعيراً﴾ [١٢]

من صلي يصلى، ويَصلى من صلاهُ يصليه إذا أحرَقَه، وكذا أصلاه.

﴿إنّه كانَ في أهلِه مَسرُوراً﴾ [١٣]

خبر كان، ويبعد أن يكون منصوباً على الحال إلاّ أنه جائز كما تقول: زَيدٌ في أهله ضاحكاً.

﴿إنه ظَنَّ أن لَّن يَحُورَ﴾ [١٤]

﴿أنْ﴾ وما بعدها تقوم مقام المفعولين، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: **﴿أنْ لن يحور﴾** قال: يقول: أن لن يُبعث، وقال مجاهد: أن لن يرجع إلينا. يقال: حار يحور إذا رجع، وفي الحديث عن النبي ﷺ: **«اللهُمّ إنّي أعوذُ بكَ مِنَ الحور بعدَ الكور»** قيل: معناه أعوذ بك من الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان، وقيل: أعوذ بك من النقصان بعد الزيادة.

﴿بلى إنّ رَبَّهُ كانَ به بَصِيراً﴾ [١٥]

أي بلى ليحُورنَّ وليُبعثنّ، إنّ ربه كان به بصيراً بعمله وبما يصير إليه لأنه كان يرتكب المعاصي مجترئاً عليها إذ كان عنده أنه لا يبعث.

﴿فلا أُقسِمُ بالشَّفَقِ﴾ [١٦]

الباء هي الأصل في القَسَم، وتُبدل منها الواو.

وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾

﴿واللَّيلِ...﴾ [١٧]

واو عطف لا واو قسم ﴿وما وَسَقَ﴾.

﴿والقمرِ إذا اتسَق﴾ [١٨]

كلّه معطوف.

﴿لترَكَبُنّ طَبقاً عن طَبق﴾ [١٩]

مفتوحة الباء صحيحة عن ابن عباس كما قرئ على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل عن علي بن عبدالله عن سفيان عن عمرو عن ابن عباس أنه قرأ ﴿لتركَبَنّ﴾ [معاني القرآن: ٣/٢٥١] بفتح الباء، وهي قراءة عبدالله بن مسعود والشعبي ومجاهد والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ المدنيّون ﴿لَتَرْكَبُنّ﴾ بضم الباء، وهي قراءة الحسن وأبي عمرو، وقال الفرّاء: وقُرئت ﴿ليركبَنّ﴾ قال أبو جعفر: القراءة الأولى مخاطبة للواحد وبُني الفعل مع النون على الفتح لخفّته، وأكثر أهل التفسير يقول: المخاطبة للنبيّ ﷺ، ومنهم من يقول المخاطبة لجميع الناس، والمعنى: يا أيُّها الإنسان إنّك كادح إلى ربّك كدحاً ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ أي حالاً بعد حال [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٠٥]، وقيل: سماء بعد سماء إذا كان [المخاطب] النبيّ ﷺ. والكادح: العامل، وقد كدح لأهله إذا اكتسب لهم، وأنشد سيبويه:

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأُخرى أبتغي العيش أكدح

[الطبري في «تفسيره»: ١٤/١٨]

و﴿لتَرْكَبُنّ﴾ بضم الباء مخاطبة للجماعة، والضمة تدلّ على الواو المحذوفة، وليركبُنّ إخبار عن جماعة لأن بعده ﴿فما لَهُم لا يُؤمِنُون﴾ وقبله ذكر من يُؤتى كتابه بيمينه، ومن يؤتاه من وراء ظهره.

﴿فما لَهُم لا يؤمِنُون﴾ [٢٠]

في موضع نصب على الحال.

﴿وإذا قُرِئ عليهِمُ القرآنُ لا يسجُدون﴾ [٢١]

أهل التفسير على أن المعنى: لا يخضعون ولا يذلُّونَ بالانتهاء إلى طاعة الله جلّ وعزّ.

﴿بلِ الذين كفروا يكذّبون﴾ [٢٢]

بالخروج من حديث إلى حديث يقع بعد الايجاب والنفي عند البصريين.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

﴿والله أعلمُ بما يُوعون﴾ [٢٣]

من أوعى الشيء إذا جمعه، ووعى حفظه.

﴿فَبَشِّرهم بعَذاب أليم﴾ [٢٤]

﴿إلاّ الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحات. . .﴾ [٢٥]

﴿الذين﴾ في موضع نصب استثناء من الهاء والميم، ويجوز أن يكون استثناء ليس من الأول، كما روى عكرمة عن ابن عباس ﴿إلاّ الذين آمنُوا﴾ قال: الشيخ الكبير إذا كبر وضعف وقد كان يعمل شيئاً من الخير وقت قوّته كتب له مثل أجر ما كان يعمل، قال: ﴿لهُمْ أجرٌ غيرُ ممنون﴾ أي لا يُمنُّ به عليهم.

٨٥ ـ سورة البُـروج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾

شرح إعراب سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والسّماءِ..﴾ [١]

خفض بواو القسم ﴿ذاتِ البُرُوجِ﴾ نعت للسماء، واختلف النحويون في جواب القسم، فمنهم من قال: هو محذوف، ومنهم من قال: التقدير: لَقُتِل أصحاب الأخدود وحذفت اللام، ومنهم من قال: الجواب ﴿إنّ بَطشَ رَبِّكَ لَشَديدٌ﴾، وقال أبو حاتم: التقدير: قتل أصحابُ الأخدود والسماء ذات البروج. قال أبو جعفر: وهذا غلط بيّن، وقد أجمع النحويون على أنه لا يجوز: والله قامَ زيدٌ بمعنى: قام زيد والله، وأصل هذا في العربية أنّ القسم إذا ابتدئ به لم يجز أن يُلغى ولا ينوى به التأخير، وإذا توسّط أو تأخر جاز أن يُلغى، وفيها جواب خامس أن يكون التقدير ﴿والسماء ذات البروج﴾ ﴿إنّ الذينَ فَتَنُوا المؤمنين والمُؤمنات﴾ الآية، وما اعترض بينهما معطوف وتوطئة للقسم، قال محمد بن يزيد: واعلم أن القسم قد يؤكّد بما يصدّق الخبر قبل ذكر المُقسَم عليه ثمّ يُذكرُ ما يقع عليه القَسَم، فمن ذلك ﴿والسماء ذات البروج﴾ ثمّ ذكر قصة أصحاب الأخدود، وإنما وقع القَسَم على قوله ﴿إنّ بَطشَ ربك لَشَديدٌ﴾.

﴿واليَوم المَوعُود﴾ [٢]

﴿وَشاهِد ومَشهُود﴾ [٣]

واو عطف لا واو قسم، وكذا ﴿وَشاهِد ومَشهُود﴾ قال أبو جعفر: قد ذكرنا معناه، وقد قيل: لا يخلو الناس يوم القيامة من شاهد ومشهود [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٠٧] فالمعنى: وربِّ الناس.

﴿قُتِل أصحابُ الأخدُود﴾ [٤]

﴿النار ذاتِ الوقودِ﴾ [٥]

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠﴾

خفض على بدل الاشتمال. وفيه تقديران: أحدهما نارها والألف واللام عوض من المضمر، والآخر النار التي فيها، وهذا بدل الاشتمال. وفي معنى ﴿قُتِلَ أصحابُ الأخدُود﴾ قولان: أحدهما أنهم المؤمنون قَتَلهم الكفار، والآخر أنهم الكفار، ويكون معنى قُتِلُوا أو لُعنُوا أو أهلكوا. وأجاز «النحويون» قُتِل أصحابُ الأخدُود النار وذات الوقود، بالرفع كما قرأه أبو عبد الرحمن السلمي ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. قال أبو جعفر: وهذا باب من النحو دقيق قد ذكره سيبويه، وذلك أنه يجوز: ضرِبَ زيد عمرو لأنك إذا قلت: ضُرب زيد، دل على أنّ له ضارباً، والتقدير: ضربه عمرو، وكذا ﴿قُتِلَ أصحابُ الأخدود﴾ قتلتهم النار، وأنشد سيبويه:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضارِعٌ لِخُصُومَةٍ ... وأشعَثُ مِمَّن طَوَّحَتْه الطَّوائح

[الطبري في «تفسيره»: ٣/١٦]

أي يبكيه ضارع. قال الأخفش [معاني القرآن: ٧٣٧/٢]: الوَقودُ بالفتح الحَطَبُ، والوُقُودُ بالضم الفعل، يريد المصدر أي الإيقاد.

﴿إذ هُمْ عليها قُعودٌ﴾ [٦]

قال قتادة: المؤمنون، وهذا على أحد التأوّلين.

﴿وهُمْ على ما يفعَلُون بالمؤمنين شُهودٌ﴾ [٧]

أي ليس هم بغُيَّب.

﴿وما نَقموا مِنهُم. . .﴾ [٨]

ويقال: نقموا أي وما وجدوا عليهم في شيء إلاّ في إيمانهم بالله العزيز الحميد بانتقامه ﴿الحَمِيد﴾ أي المحمود عند عباده بأفعاله الجميلة.

﴿الذي له مُلك السّموات والأرض. . .﴾ [٩]

نعت فيه معنى المدح في موضع خفض، ويجوز أن يكون في موضع نصب على المدح، ورفع على إضمار مبتدأ. ﴿والله على كلّ شيء شَهيدٌ﴾ أي قد شهد على فعلهم وفعل غيرهم وعلمه ليجازيهم عليه.

﴿إنّ الذين فَتَنوا المُؤمنين والمؤمنات. . .﴾ [١٠]

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

قال قتادة: أحرقوهم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٠٨] ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي من فعلهم ذلك ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ولهم عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ قال محمد بن إسحاق: احترقوا في الدنيا، وكذا قال أبو العالية ولهم عذاب جهنم في الآخرة.

﴿إِنَّ الذين آمنوا...﴾ [١١]

أي آمنوا بتوحيد الله سبحانه ﴿وعَمِلوا الصالحات﴾ انتهوا إلى أمر الله ونهيه ﴿لهم جَنَّاتٌ تَجري من تَحتِها الأنهارُ﴾ وهي أنهار الماء وأنهار الخمر واللبن والعسل ﴿ذلك الفوزُ الكبير﴾ أي الظفر بما طلبوا.

﴿إنّ بَطش ربك لَشَديدٌ﴾ [١٢]

أي كما بطش بأصحاب الأخدود تحذيراً من عقابه.

﴿إنّه هو يبدئ ويُعيدُ﴾ [١٣]

﴿وهو الغفور الوَدُودُ﴾ [١٤]

في معناه قولان: قال ابن زيد: يَبتدئ خلق الخلق ثمّ يعيدهم يوم القيامة، وعن ابن عباس: يُبدئ العذاب في الدنيا ثمّ يعيده عليهم في الآخرة. قال أبو جعفر: وهذا أشبه بالمعنى؛ لأن سياق القصة أنهم أُحرِقُوا في الدنيا ولهم عذاب جهنم فإنْ قيل: كيف يوافق هذا الحديث من عوقب في الدنيا فإن الله أكرم من أن يعيد عليه العقوبة؟ فالجواب عن هذا أنه ينقص من عقوبته يوم القيامة بمقدار ما لحقه في الدنيا لا أنّ الكل يزال عنه يوم القيامة، ويدلّ على ذلك الجواب المروي عن ابن عباس أن بعده ﴿وهو الغفور الوَدُودُ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿ذُو العَرشِ المَجِيدُ﴾ [١٥]

بالرفع قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم، وقرأ يحيى بن وثاب وحمزة والكسائي ﴿ذُو العَرْشِ المجيدِ﴾ بالخفض [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٥٤]، فبعض النحويين يستبعد الخفض؛ لأن المجيد معروف من صفات الله جلّ وعزّ فلا يجوز الجواب في كتاب الله بل على مذهب سيبويه [الكتاب: ١/٢١٧] لا يجوز في كلام ولا شعر وإنما هو غلط في قولهم: هذا جُحر ضَبٍّ خَربٍ، ونظيره في الغلط الإقواء، ولكن القراءة بالخفض جائزة على غير الجوار على أن يكون التقدير إنّ بطش ربك ﴿المجيد﴾ نعت.

﴿فَعّالٌ لما يُريدُ﴾ [١٦]

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

يكون خبراً بعد خبر كما حكى سيبويه: هذا حُلوٌ حَامضٌ، ويجوز أن يكون مرفوعاً على إضمار مبتدأ ولا يكون نعتاً لأنه نكرة، ولكن يجوز أن يكون بدلاً أيضاً.

﴿هل أتاك حَدِيثُ الجُنودِ﴾ [١٧]

أي الذين تجنَّدوا على عصيان الله جلّ وعزّ، والردّ على رسله.

﴿فِرعَونَ وثَمُودَ﴾ [١٨]

بدل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٠٩].

﴿بل الذين كَفَرُوا في تكذِيب﴾ [١٩]

﴿والله من وَرائهم مُحِيطٌ﴾ [٢٠]

﴿بَل هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ﴾ [٢١]

مبتدأ وخبره، وكذا ﴿والله من وَرائهم مُحِيطٌ﴾، وكذا ﴿بَل هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ﴾.

﴿في لَوحٍ مَحفُوظٍ﴾ [٢٢]

بالخفض قراءة أبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو وعاصم ويحيى وحمزة والكسائي، وهو المعروف في الحديث والروايات أنه اللوح المحفوظ [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٥٤] أي المحفوظ من أن يُزاد فيه أو يُنقص منه مما رسمه الله فيه، وقرأ نافع وابن محيصن ﴿في لَوحٍ مَحفُوظٌ﴾ بالرفع على أنه نعت لقرآن أي بل هو قرآن مجيدٌ مَحفُوظٌ من أن يُغيّر ويُزاد فيه أو يُنقص منه، قد حفظه الله جلّ وعزّ من هذه الأشياء. فقد صحّت القراءة أيضاً بالرفع ولهذا قال كثير من العلماء: من زعم أن القرآن قد بقي شيء منه فهو رادّ على الله كافر بذلك، والنص الذي لا اختلاف فيه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فنظير هذا ﴿محفوظٌ﴾ بالرفع.

٨٦ ـ سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥)﴾

شرح إعراب سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والسماء...﴾ [١]

خفض بواو القَسَم ﴿والطارق﴾ عطف عليها من قولهم طَرَق طُرُوقاً إذا أتى ليلاً.

﴿وما أدراك ما الطَّارِقُ﴾ [٢]

﴿النَّجمُ...﴾ [٣]

بمعنى هو النجم الثاقب، ويجوز أن يكون ﴿الثاقبُ﴾ نعتاً للطارق، وأصحُّ ما قيل في معنى الثاقب ما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس الثاقب قال: يقول: المضيء، وحكى الفرّاء: ثَقَبَ أي ارتفع وأنه زحل، قيل له: الثاقب لارتفاعه، وقال غيره: لطلوعه من المشرق كأنه يثقب موضعه.

﴿إنْ كلُّ نفسٍ لَما عليها حافظٌ﴾ [٤]

قراءة أبي عمرو ونافع والكسائي بتخفيف الميم، وقرأ أبو جعفر والحسن ﴿إنْ كلُّ نفس لمّا عليها حافظٌ﴾ قال أبو جعفر: القراءة الأولى بيّنة في العربيّة، تكون ما زائدة و﴿إنْ﴾ مخففة من الثقيلة هذا مذهب سيبويه، وهو جواب القسم، والقراءة الثانية تكون ﴿لمّا﴾ بمعنى: إلاّ عليها.

قال أبو جعفر: حكى سيبويه [الكتاب: ١/٤٥٥، ٤٥٦]: أقسمتُ عليك لمّا فعلت، بمعنى: إلاّ فعلت.

﴿فَلينظُرِ الإنسانُ...﴾ [٥]

من نظر القلب، والأصل فَلينظُر حذفت الكسرة لثقلها وجزم الفعل بلام الأمر وكسرت الراء لالتقاء الساكنين ﴿مِمّ خُلق﴾ الأصل «مِمّا» حذفت الألف لأنها استفهام، وتم الكلام.

خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝

﴿خُلِقَ من ماء دَافِقٍ﴾ [٦]

قال أبو جعفر: قول الكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٥٥] أن معنى دافق مدفوق قال: وأهل الحجاز أفعل الناس؛ لهذا يأتون بفاعل بمعنى مفعول إذا كان نعتاً مثل ﴿ماء دافق﴾ وسرّ كاتم أي مكتوم. قال أبو جعفر: فاعل بمعنى مفعول فيه بطلان البيان، ولا يصح ولا يقاس، ولو جاز هذا لجاز ضارب بمعنى مضروب. والقول عند البصريين أنه على النسب، كما قال:

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيمةَ ناصِبِ

[الطبري في تفسيره: ١٥/ ٣١٦]

وكما قال:

ولَيسَ بِذي سَيفٍ فَيَقْتُلُني بِهِ ... ولَيسَ بِذي رُمحٍ وليس بِنَبَّالِ

[ديوان امرىء القيس: ٣٣]

﴿يَخرُجُ مِن بَينِ الصُّلبِ﴾ [٧]

وقرأ عيسى ﴿مَن بين الصُّلُبِ﴾ وحكى الأصمعي: الصُّلَبِ بمعنى الصُّلب. ﴿والتَرائِبِ﴾ جمع تريبة، ويقال: تريب، واختلف العلماء في معناه، فمن أصحّ ما قيل فيه ما رواه عطيّة عن ابن عباس قال: الترائب: موضع القلادة، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الترائب: بين ثديي المرأة، وقال سعيد بن جبير: الترائب: الأضلاع إلى أسفل الصُّلب، وقال مجاهد: ما بين المنكبين والصدر، وقال الضحاك: الترائب: اليدان والرجلان والعينان، وقال قتادة: الترائب نحو الصلب، وروى الليث بن سعد عن معمر بن أبي حبيبة قال: الترائب: عصارة القلب ومنه يكون الولد، قال أبو جعفر: هذه الأقوال ليست بمتناقضة؛ لأنه يروى أن الماء يخرج من البدن كله حتى من كل شعره إلا أن القول الأول مستعمل في كلام العرب كما قال:

وَمِن ذَهَبٍ يَلُوحُ على تَريبٍ ... كَلَونِ العَاجِ لَيسَ بِذي غُضُونِ

[شعر المثقب العبدي: ٣٢]

وكما قال:

مُهَفهَفَةٌ بَيضَاءُ غيرُ مُفَاضَةٍ ... تَرَائِبُها مَصقُولَةٌ كالسَّجَنجَلِ

[ديوان امرىء القيس: ١٥]

وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٥٥] أنّ معنى بين الصلب والترائب: من الصلب والترائب، لا يجعل [بين] زائدة ولكن كما يقول: فلان هالك بين هذين.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾

﴿إنه على رَجْعِهِ لَقادرٌ﴾ [٨]

اختلف العلماء في هذا الضمير، فمن أصح ما قيل فيه قول قتادة قال: على بعثه وإعادته فالضمير على هذا للإنسان. قال أبو جعفر: وقرئ على إبراهيم بن موسى عن محمد بن الجهم عن يحيى بن زياد عن مندل بن علي عن ليث عن مجاهد ﴿إنه على رَجعِهِ لَقَادِرٌ﴾ قال: على رد الماء في الإحليل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣١٢]. وهو مذهب ابن زيد قال: على رجعه لقادر: على حبسه حتى لا يخرج. هذان قولان، وعن الضحّاك كمعناهما، وعنه قول ثالث: على رجعه لقادر، قال: على رجعه بعد الكبر إلى الشباب وبعد الشباب إلى الصبا وبعد الصبا إلى النطفة.

قال أبو جعفر: والقول الأول أبينهما واختاره محمد بن جرير غير أنه احتج بحجة لتقويته هي خطأ في العربيّة، زعم أن قوله تعالى ﴿يوم تُبلى السرائرُ﴾ من صلة رجْعه يقدّره أنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر. قال أبو جعفر: وهذا غلط، ولو كان كذا لدخل في صلته رجعه ولفرّقت بين الصلة والموصول بخبر ﴿إنّ﴾، وذلك غير جائز ولكن يعمل في ﴿يومَ﴾ ناصر.

﴿يومَ تُبلى السرائرُ﴾ [٩]

أي تُختَبرُ وتَظهرُ. قيل: يعني الصلاة والصيام وغسل الجنابة.

﴿فما لَهُ من قوة...﴾ [١٠]

قال قتادة: من قوة تمنعه من الله عزّ وجلّ ﴿وَلا ناصِرٍ﴾ ينصره منه، وقال الثوري: ﴿من قوة﴾ من عشيرة ﴿ولا ناصر﴾ حليف.

﴿والسّماءِ ذاتِ الرجْعِ﴾ [١١]

﴿والأرض ذاتِ الصّدعِ﴾ [١٢]

قال أبو جعفر: أهل التفسير على أنه المطر؛ لأنه يرجع كل عام إلاّ ابن زيد فإنه قال: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ شمسها وقمرها ونجومها. وجَمعُ رَجع رُجعَانٌ سَمَاعٌ من العرب على غير قياس، ولو قيس لقيل أرجُعٌ ورُجوعٌ ﴿والأرض ذاتِ الصّدعِ﴾ لأنها تَصدّع بالنبات [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣١٣].

﴿إنه لَقَولٌ فَصْلٌ﴾ [١٣]

﴿وَمَا هُوَ بالهَزْلِ﴾ [١٤]

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾

جواب القسم الثاني أي ذو فصل وكذا ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾.

﴿إنهم يكيدون كيداً﴾ [١٥]

أي للنبي ﷺ وللمؤمنين.

﴿وأكيدُ كيداً﴾ [١٦]

أمهلهم.

﴿فمهّلِ الكافرينَ أمهلْهُمْ رُوَيداً﴾ [١٧]

نعت لمصدر أي إمهالاً رويداً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣١٣]. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿رويداً﴾ قال: يقول: قريباً، وقال الحسن: قليلاً.

٨٧ ـ سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢﴾

شرح إعراب سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسم رَبِّك الأعلى﴾ [١]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٥٦]: سَبِّحْ اسم ربك وسَبِّح باسم ربك كلٌّ صوابٌ. قال أبو جعفر: إنْ كان قدَّرَ هذا على حذف الباء فلا يجوز: مررتُ زيداً، وإن كان قدّره مما يتعدّى بحرف وغير حرف فالمعنى واحد فليس كذلك؛ لأن معنى سبح باسم ربك: ليكن تسبيحك باسم ربك، وقد تكلّم العلماء في معنى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ بأجوبة كلّها مخالف لمعنى ما فيه الباء. فمنهم من قال: معناه: نزّه اسم ربك الأعلى وعظّمه عن أن تنسبه إلى ما نسبه إليه المشركون؛ لأنه الأعلى أي القاهر لكل شيء أي العالي عليه، ومنهم من قال: أي لا تَقُل العزّى لأنها مشتقة من العزيز، ولا اللات لأنهم اشتقوها من قولهم الله، ومنهم من قال: معنى سبّح اسم ربك أي اذكر اسم ربك وأنت معظم له، خاشع متذلّل، ومنهم من قال معناه: سبح اسم ربك في صلاتك متخشعاً متغزلاً بها.

قال أبو جعفر: والجواب الأول أبينها كما قرئ على محمد بن جعفر عن يوسف بن موسى عن وكيع، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان النبيّ ﷺ إذا قرأ ﴿سَبِّح اسمَ ربك الأعلى﴾ قال: سبحان ربّي الأعلى. ﴿الأعلى﴾ في موضع خفض نعت لربك أو لاسم، والأولى أن يكون نعتاً لما يليه.

﴿الذي خَلَق...﴾ [٢]

في موضع جر نعت للأعلى وإن شئت لربك، وجاز أن يُنعَت النعت؛ لأنه المنعوت في المعنى وعلى هذا جاز: يا زيدُ الكريمُ ذو الجُمّةِ. ومعنى ﴿الذي خَلَقَ فسَوّى﴾: الذي خلق الخلق فعدّل خلقه فصار كلّه حسناً في المفعول.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

﴿والذي قَدَّرَ..﴾ [٣]

أي قدر صورهم وأرزاقهم وأعمالهم ﴿فَهَدَى﴾ قيل: فبيّن لهم، وقيل المعنى: فهدى وأضل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣١٥]، وقيل: فهداهم إلى مصالحهم.

﴿والذي أخرجَ المرعَى﴾ [٤]

في موضع خفض عطف والمرعى: ما تأكله البهائم.

﴿فجعلَهُ غُثاءً أحوَى﴾ [٥]

مفعولان، وفيه قولان: أحدهما والذي أخرج المرعى أحوى أي أخضر يضرب إلى السواد فجعله غثاء، والقول الآخر: والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أسود. وهذا أولى بالصواب، وإنما يقع التقديم والتأخير إذا لم يصحّ المعنى على غيره ولاسيّما وقد روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فجعله غثاء أحوَى﴾ يقول: هشيماً مُتغيّراً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣١٥].

﴿سنُقرئكَ فلاَ تنسى﴾ [٦]

فيه قولان: أحدهما: فلا تترك، والآخر أن يكون من النسيان. فهذا أولى؛ لأن عليه أهل التأويل. قال مجاهد: كان النبيّ ﷺ يقرأ في نفسه لئلاّ ينسى، وقال عبدالله بن وهب: حدّثني مالك بن أنس في قوله ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ قال تحفظ ﴿إلا ما شاء الله﴾ والمعنى في القولين جميعاً فليس تنسى، وهو خبر وليس بنهي، ولا يجوز عند أكثر أهل اللغة أن يُنهى انسان عن أن ينسى؛ لأن النسيان ليس إليه.

﴿إلاّ ما شاء الله..﴾ [٧]

في موضع نصب على الاستثناء، وفي معناه أقوال، فعلى الجواب الأول: لست تترك شيئاً ممّا أمرك الله به إلاّ ما شاء الله جلّ وعزّ أن ينسخه فيأمرك بتركه فتتركه، وقيل: فلست تنسى إلاّ ما شاء الله أن تنساه، ولا يشاء الله أن تنسى منه شيئاً. وهذا قول الفرّاء، وشبّهه بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] وقيل: المعنى: فلست تنسى إلاّ ما شاء الله مما يلحق الآدميين، وقيل: لست تنسى إلاّ ما شاء الله أن يرفعه ويرفع تلاوته فهذه أربعة أجوبة، وجواب خامس أن يكون المعنى فجعله غثاء أحوى إلاّ ما شاء الله، والله أعلم بما أراده. ﴿إنه يَعلَمُ الجَهرَ﴾ أي ما ظهر وعلن ﴿وما يَخفَى﴾ ما كُتِمَ وما سُتِرَ أي فلا تعملوا بمعاصيه فإنه يعلم ما ظهر وما بطن.

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

﴿ونُيَسِّرُكَ لليُسرَى﴾ [٨]

أي للحال اليسرى.

﴿فذَكِّرْ إن نَفَعَتِ الذكرى﴾ [٩]

فيه قولان: أحدهما فذكر في كل حال إنْ نفعت الذكرى وإن لم تنفع مثل ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، والجواب الآخر أن الذكرى تنفع بكل حال فيكون المعنى كما تقول: فذكِّر إن كنت تفعل ما أُمِرتَ به.

﴿سَيذَّكّرُ من يخشَى﴾ [١٠]

﴿ويتجنَّبها الأشقَى﴾ [١١]

قال الحسين بن واقد: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال: **﴿ويتجنّبها الأشقَى﴾** قال: عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وأميّة بن خلف.

﴿الذي يَصلَى النار الكُبرَى﴾ [١٢]

قال: جهنم، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٢٥٦/٣]: السفلى من أطباق النار.

﴿ثم لا يَموتُ فيها ولا يَحيى﴾ [١٣]

في معناه أقوال: قيل: نفوس أهل النار في حلوقهم لا تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها من أجسادهم فيحيوا، وقيل: لا يموتون فيستريحوا ولا يحيون حياة ينتفعون بها [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣١٧/٥]، وقيل: هو من قول العرب إذا كان الإنسان في شدة شديدة: ليس بحيٍّ ولا ميّت كما قال:

لَيسَ مَن ماتَ فاستَراحَ بِمَيْتٍ   إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياءِ

﴿قد أفلَح مَن تزكّى﴾ [١٤]

في معناه قولان: روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: مَنْ تزكّى من الشرك أي تطهر، وقال الحسن: **﴿من تزكّى﴾** من كان عمله زاكياً والقول الآخر عن قتادة قال: **﴿مَن تزكّى﴾** أدّى زكاة ماله.

﴿وذكَرَ اسمَ ربِه. .﴾ [١٥]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: وَحّدَهُ قال: **﴿فصلّى﴾** يقول: فصلى الصلوات الخمس، وقال غيره: صَلّى هاهنا دعا، والصواب عند محمد بن جرير أن يكون المعنى: صلّى

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

فذكر اسم ربه في صلاته بالتحميد والتمجيد. قال أبو جعفر: وهذا غلط على قول أهل العربيّة؛ لأنه جعل ما قبل الفاء بعدها، وهذا عكس ما قاله النحويّون، والصواب قول ابن عباس.

﴿بَلْ تُؤْثِرُون الحَياة الدُّنيا﴾ [١٦]

وإن شئت أدغمت اللام في التاء، وفي قراءة أبيّ ﴿بل أنتمُ تؤثرون الحياة الدنيا﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٥٧] وهذه قراءة على التفسير، وقرأ أبو عمرو ﴿بل يؤثرون﴾ بالياء على أنه مردود على الأشقى.

﴿والآخِرةُ خَيرٌ وأبقى﴾ [١٧]

مبتدأ وخبره.

﴿إنّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى﴾ [١٨]

في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنّ قوله جلّ وعزّ: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ في الصحف الأُولى، وهذا كأنه مذهب قتادة، وقيل: الفلاح لمن تزكّى وذكر اسم ربّه فصلّى في الصحف الأُولى، والقول الثالث: أنّه يعني به السورة كما قرئ على محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف ابن موسى عن وكيع عن شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سبّح اسم ربّك الأعلى في صحف إبراهيم وموسى، والله أعلم بما أراد إلاّ أن قول قتادة حسن لأنه لما يليه، وسبيل الشيء أن يكون لما يليه إلاّ أن تأتي حجة قاطعة تغيّر ذلك.

﴿صُحُفِ إبراهيم وَموسَى﴾ [١٩]

على البدل، والصحيفة: الكتاب.

٨٨ ـ سورة الغَاشِيَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة الغاشية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتاكَ حديثُ الغاشِيَةِ﴾ [١]

أهل التفسير على أن معنى حديث وخبر واحد، ودلّ هذا على أن معنى حدّثنا وأخبرنا واحد، ويدلّ على هذا ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]؛ لأن معنى تُحدّث وتُخبّر واحد. ولأهل التأويل في الغاشية قولان: روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الغاشية من أسماء يوم القيامة، وقال سعيد بن جبير: الغاشية: النار [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣١٧]. قال أبو جعفر: والقولان متقاربان لأن القيامة تغشى الناس بأهوالها والنار في القيامة تغشى الناس بما فيها.

﴿وجُوه يومئذ خاشعةٌ﴾ [٢]

﴿عامِلَةٌ ناصِبةٌ﴾ [٣]

مبتدأ وخبره. قال قتادة: خاشعة في النار يعني ذليلة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣١٧]. واختلف أهل التأويل في قوله جلّ وعزّ ﴿عَامِلَةٌ ناصِبةٌ﴾ فمنهم من قال: عاملة ناصبة في الدنيا، وهذا يتأول؛ لأنه قول عمر رضي الله عنه وتقديره في العربية: وجوه يومئذ خاشعة وتم الكلام ثم قال: عاملة أي هي في الدنيا ﴿عاملة ناصبة﴾، ويجوز أن يكون التقدير: وجوه عاملة ناصبة يومئذ خاشعة أي يوم القيامة، ﴿خاشعة﴾ خبر الابتداء، وجاز أن يُبدأ بنكرة لأن المعنى للكفار وإن كان الخبر جرى على الوجوه، وقال عكرمة: عاملة في الدنيا بمعاصي الله جلّ وعزّ، ناصبة في النار، التقدير على هذا القول أن يكون التمام عاملة.

وقول الحسن وقتادة: إن هذه الوجوه في القيامة خاشعة عاملة ناصبة، وإنها لمّا لم تعمل في الدنيا أعملها الله في النار وأنصبها، فعلى هذا يكون عاملة ناصبة من نعت خاشعة أو يكون خبراً، وهو جواب حسن لأنه لا يحتاج فيه إلى إضمار ولا تقديم ولا تأخير.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾

﴿تصلى ناراً حامية﴾ [٤]

قراءة الجماعة إلاّ أبا عمرو فإنه قرأ ﴿تُصلى﴾ لا نعلم غيره قرأ به واحتج بتُسقى والمعنيان واحد؛ لأنها تُصلى فتصلى.

﴿تُسقى من عين آنية﴾ [٥]

قال عطاء: قد انتهى حرها، وقال ابن زيد: آنية: حاضرة. قال أبو جعفر: والمعروف القول الأول، وآنية ههنا مخالفة للتقدير لقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ﴾ [الإنسان: ١٥] وإن كان اللفظ بها واحداً؛ لأن بآنية الألف الثانية فيها بدل من الهمزة والألف في غير الآنية زائدة، ووزنها فاعلة ووزن تلك أفعلة.

﴿ليس لهم طعام إلاّ من ضريع﴾ [٦]

اختلف أهل التأويل في تفسير الضريع، فروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الضريع: شجر من نار، وقال ابن زيد: الضريع: الشوك من النار. وهو عند العرب شوك يابس لا ورق فيه [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٥٧]. وعن عكرمة: الضريع: الحجارة. وعن الحسن قولان: أحدهما: الضريع: الزقوم، والآخر أن الضريع الذي يُضرعُ ويُذلّ من أكله لمرارته وخشونته. قال أبو جعفر: وهذا القول جامع للأقوال كلّها، وقد قال عطاء: الضريع، الشِّبرق [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣١٧]. قال أبو جعفر: وهذا القول الذي حكاه أهل اللغة. الشبرق: شجر كثير الشوك تعافه الإبل.

﴿لا يُسمِنُ ولا يُغني من جُوع﴾ [٧]

أي لا يشبع.

﴿وجُوهٌ يَومئذ نَاعمةٌ﴾ [٨]

مبتدأ وخبره، وجاء بغير واو ولو كان بالواو كان عطف جملة على جملة.

﴿لسعيها رَاضِيةٌ﴾ [٩]

قال أبو جعفر: يكون التقدير: بثواب عملها راضية، ويجوز النصب في راضية.

﴿في جنّة عالية﴾ [١٠]

أي بستان رفيع.

﴿لا تُسمَعُ فيها لاغيةٌ﴾ [١١]

قال أبو جعفر: فيها أربع قراءات [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٥٧، ٢٥٨]: إحداها شاذة وأربعة

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

أقوال أحدها شاذ: قرأ ابن كثير ونافع ﴿لا تُسْمَعُ فيها لاغيةٌ﴾ بالتاء ورفع لاغية، وقرأ ابن محيصن ﴿لا يُسْمَعُ فيها لاغيةٌ﴾ بالياء والرفع، وقرأ أبو جعفر وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي ﴿لا تَسْمَعُ فيها لاغيةً﴾ بفتح التاء، والقراءة الشاذة ﴿لا تُسْمِعُ فيها لاغيةً﴾ بمعنى لا تسمع الوجوه فيها والمراد أصحابها، وقد تقدم ذكر الوجوه، والقراءة الأولى أجمعها للمعاني، والقراءة الثانية بالتذكير لأن لاغية ولغواً واحد، والقراءة الثالثة لا تَسْمَعُ الوجوه. والأقوال الأربعة: منها عن ابن عباس: لاغية: أذى وباطل، وقال مجاهد: لاغية: شتم، وقال قتادة: لاغية: باطل وتأثم، وقال أبو جعفر: وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعاني أي كلّه لغو باطل، وقيل: لاغية على المجاز، قال الأخفش سعيد [معاني القرآن: ٢/٧٣٧]: كما قال الحطيئة [ديوانه: ٢٧٠]:

وغَرَرْتَنِي وزعَمْتَ أنّـ ـكَ لابِنٌ بالصَّيْفِ تامِرْ

وقال الفراء [معاني القرآن: ٣/٢٥٧]: لاغية أي حالفاً بكذب. قال أبو جعفر: وهذا القول شاذ لأنه خارج عن قول أهل التفسير ولا يُطلقُ لأحد أن يخرج عن جملتهم في ما قالوه وإنْ كان قوله محتملاً.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [١٢]

العين مؤنثة، وقد حُكي تذكيرها، كما قال:

والعَيْنُ بالإثْمِدِ الحاريّ مَكْحُولُ

[شعر طفيل بن عوف الغنوي: ٢٩]

ولا يعرفُ الأصمعي في العين إلاّ التأنيث. قال أبو جعفر: وهو الصحيح، وفي هذا البيت قولان: قال محمد بن يزيد: ما لم يكن فيه علامة التأنيث وكان غير حقيقي التأنيث فلك تذكيره نحو: هذا نار وذاك دار، وأما الأصمعي فقال: مكحول للحاجب لأنه قد تقدّم ذكره.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [١٣]

أي: لينظروا إلى الله من فوق سريره إلى ما خَوّلَهُ الله جلّ وعزّ من نعمه.

﴿وأكوابٌ مَوْضُوعةٌ﴾ [١٤]

قيل: على جوانب العين مملوءة.

﴿ونَمارِقُ مَصفُوفَةٌ﴾ [١٥]

أي: بعضها إلى جنْبِ بعض.

﴿وزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [١٦]

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾

الواحد زربية. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٥٨]: هي الطنافس التي لها خَمل، قال: مبثوثة: كثيرة.

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت﴾ [١٧]

في معناها قولان: أحدهما أنها السحاب، والصحيح أنها الجمال وذلك المعروف في كلام العرب. قال قتادة: لما نعت الله نعيم الجنّة عجب أهل الضلالة من ذلك فأنزل الله جلّ وعزّ ﴿أفلاَ يَنظُرُون إلى الإبلِ كيفَ خُلقَتْ﴾ وكانت الإبل من عيش العرب ومَرجُوهم. قال أبو جعفر: المعنى: أفلا يفكرون فيعلمُوا أن مَنْ خلق هذه الأشياء قادر على خلق ما يريد.

﴿وإلى السماءِ كيفَ رُفعَتْ﴾ [١٨]

أي: كيف رفعت فوقهم بغير عمد [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣١٨] يرونها ليستدلّوا على عظيم قدرته.

﴿وإلى الجبال كيفَ نُصبَتْ﴾ [١٩]

أي: أقيمت مُنْتَصِبَةً لا تسقط.

﴿وإلى الأرضِ كيفَ سُطِحَتْ﴾ [٢٠]

قال قتادة: بُسِطَتْ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣١٩].

﴿فَذَكِّرْ..﴾ [٢١]

وحذف المفعول لعلم السامع أي فذكِّر عبادي حججي وآياتي ﴿إنما أنتَ مُذكِّرٌ﴾ أي ليس عليك إلاّ التذكير.

﴿لستَ عليهمْ بمصيطر﴾ [٢٢]

قال ابن زيد: أي لست تردّهم إلى الإيمان، وعن ابن عباس بمسيطر: بجبار.. قال أبو جعفر: أصله السين مشتق من السطر؛ لأن معنى السطر هو الذي لا يَخرُجُ عن الشيء، قد مُنِعَ من ذلك. ويقال: تَسيطرَ إذا تسلّط، وتُبدَلُ من السين صاد؛ لأن بعدها طاء، وقيل: إنها منسوخة بقوله جلّ وعزّ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وقيل: ليست منسوخة؛ لأنهم إذا أظهروا الإسلام تُركوا على جملتهم ولم يُسلط عليهم، كما قرئ على أحمد بن شُعَيب عن عمرو بن منصور عن أبي نُعَيم عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله، فإذا قالوا: لا إله إلاّ الله عصموا مِنّي دماءهم وأموالهم إلاّ

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

بحقها، وحسابهم على الله» ثم تلا: ﴿إنما أنتَ مذكر لستَ عَلَيهِمْ بمُسَيطرٍ﴾.

﴿إلاَّ مَنْ تَوَلَّى..﴾ [٢٣]

في موضع نصب استثناء ليس من الأوّل أي لكنّ من تولى وأعرض عن ذكر الله ﴿وكفَرَ﴾ يُعذّبُه الله ويجوز أن يكون في موضع نصب استثناء من المفعول المحذوف، أي فذكّر عبادي إلاّ من تولّى وكفر كما تقول: عِظِ الناس إلاّ من تولّى عنك ولم يقبل منك [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٥٨]، ويجوز أن يكون استثناء بمعنى: أنتَ مُذكّر الناس إلاّ من تولى، وقول رابع أن يكون مَنْ في موضع خفض على البدل من الهاء والميم في عليهم.

﴿فيُعَذِّبُهُ الله العَذَابَ الأكبَرَ﴾ [٢٤]

وهو عذاب جهنّم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣١٩].

﴿إنَّ إلينَا إيابَهُم﴾ [٢٥]

وقرأ أبو جعفر ﴿إنَّ إلَيْنا إيَّابَهُمْ﴾ بالتشديد، وقيل: هو لحن لأنه من آب يؤوب [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣١٩] فلو كان مشدداً كان إوّابهم وكان يكون إيوابهم كما يقال: ديوان، الأصل دِوّانٌ، فالدليل على ذلك قولهم في الجمع: دواوين.

﴿ثم إنَّ عَلَينا حِسَابَهُم﴾ [٢٦]

أي حسابهم على كفرهم ليجازيهم على ذلك.

٨٩ ـ سورة الفَجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿والفَجْرِ﴾ [١]

خفض بواو القسم وعن ابن عباس في معناه ثلاثة أقوال: منها أنه فجر السَّنَةِ المُحَرَّم، وأنه النهار، وأنه صلاة الفجر، وأما مسروق فقال: هو فجركم هذا، قال: واختلف العلماء في الفجر، فأهل الكوفة يقولون: هو البياض، وأهل المدينة يقولون: هو الحمرة، وقد حُكي عن العرب: ثوب مشفق ومُشْفَقٌ أي مصبوغ بالحمرة.

﴿ولَيَالٍ..﴾ [٢]

عطف، والأصل فيها لَيَالي ولو جاء على الأصل لقلت: ولَيَالِيَ يا هذا، لا ينصرف كما قال الشاعر:

قَدْ عَجِبَتْ مِنِّي وَمِنْ يُعَيْلِيَا

[الكتاب لسيبويه: ٢/٥٩]

فكره أن يختلف المعتل فجيء بالتنوين بعد أن حُذفت الياء عوضاً منها، وقيل: من الحركة **﴿عَشْرٍ﴾** نعت لِلَيَالٍ.

﴿والشَّفْعِ والوَتْرِ﴾ [٣]

قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي **﴿والشفع والوِتْرِ﴾** قال أبو جعفر: هو اختيار أبي عبيد واحتج بأشياء: منها أنه الأكثر في عادة الناس وأنّ المحدّثين كذا يقولونه. قال أبو جعفر: لو قال قائل: الأكثر في عادة الناس الفتح لكان أشبه وإنْ كان لا حجّة في كليهما ولا في قول المحدّثين؛ لأن المحدّث لا يضبط مثل هذا، ولا يحتاج إلى ضبطه. ولو قال قائل: إنّ الفتح أولى لأن قبله والشفع وهو

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾

مفتوح لكان قد قال قولاً يشبه الاحتجاجات، ولكنهما لغتان حسنتان كما قرىء على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل بن إسحاق.

قال: قرأت على أبي عثمان المازني وأبي إسحاق الزيادي عن الأصمعي قال: كل فرد وَتْرٌ أهل الحجاز يَفتَحُون الوَتر ويكسرون الوِتر من الذَّحل، ومن تحتهم من قيس وتميم يُسوّون بينهما. قال أبو جعفر: وقد بيّن الأصمعي أنهما لغتان وفي حديث عمر وابن عمر عن النبيّ ﷺ: «الذي تَفوتُهُ صلاةُ العصر كأنّما وُتِر أهلَهُ ومالَهُ» [خ: ٥٥٢، د: ٤١٤، م: ١٤١٦، ن: ٥١١، جه: ٦٨٥، حم: ٢/٥٤] يجوز أن يكون مشتقاً من الوِتر وهو الذحل فيكون المعنى: فكأنما سلب أهله وماله بما فاته من الفضل بأن فاتته صلاةٌ. يقال: وَتَرَهُ يَتِرُهُ وَتْراً وتِرةً إذا سلبه، والاسم الوِتر، ويجوز أن يكون مشتقاً من الوَتْر أي الفرد فيكون المعنى كأنما نُقص أهلهُ وماله أي بقي فرداً. وخص رسول الله ﷺ صلاة العصر بهذا في ما قيل لأنها كانت وقت أشغالهم ومبايعاتهم فكان حضورها يصعب عليهم وقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] الصحيحُ أنها صلاةُ العصر وذلك موافق للحديث.

﴿والليلِ إذا يَسْرِ﴾ [٤]

والأصل يسري حذفت الياء في الخط لأنها رأس آية، ومن أثبتها في الإدراج جاء بها على الأصل وحذفت في الوقف اتّباعاً للمصحف الذي لا يحلّ خلافه، وحسن ذلك لأن كل ما يُوقفُ عليه يسقط إعرابه ومن حسن ما قيل في معنى يسري أنه إذا أقبل عند إدبار النهار.

﴿هَلْ في ذلك قَسَمٌ لِذي حِجْرٍ﴾ [٥]

قيل: أي مَقْنَعٌ. ومن حسن ما قيل فيه أن المعنى: هل في ذلك مما يُقسمُ به أهل العقل تعظيماً لما أُقيمَ به وتوكيداً لما أُقيمَ عليه، واستدلّ بعض العلماء بهذا وبتعظيمه على أن المعنى: وربّ الفجر؛ لأن أهل العقل والإيمان لا يُقسمون إلاّ بالله جلّ وعزّ، وقد حظر رسول الله ﷺ أن يقول أحد: والكعبة، بل خبر عن الله جلّ وعزّ كما روى عمر وابن عمر عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إن الله ينهاكُم أن تحلِفُوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلِفْ بالله أو ليَصمُتْ» [م: ٤٢٣٤، د: ٣٢٤٩، ت: ١٥٣٤، جه: ٢٠٩٤، حم: ١/١١] قال عمر: فما حلفت بها ذاكراً ولا آثراً.

وفي حديث آخر «من حلفَ بغير الله فقد أشركَ» [حم: ٢/٦٧] وفي آخر «فقد كَفر» [ت: ١٥٣٥، حم: ٢/١٢٥]. قال أبو جعفر: قوله: فما حلفتُ بها كناية عن اليمين ولم يتقدّم لها ذكر لعلم السامع، وقوله ذاكراً أي قائلاً كما يقال: ذكر لي فلانٌ كذا، ولا آثراً أي مخبراً، ومعنى «من حلف بغير الله فقد أشرك» فعَل فعلَ المشركين، وكذا فقد كفر. فهذا قول، وقيل: فقد أشرك:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾

فقد جعل لله شريكاً في التعظيم، وقيل: معنى ﴿فقد كفر﴾: فقد غطّى وستر أمر الله لأنه أمرَ أن لا يحلف إلاّ بالله.

﴿ألم ترَ كيفَ فَعَل ربُّك بعاد﴾ [٦]

﴿إرَمَ﴾ [٧]

صرَّفَ عاداً جعله اسماً للحيّ، وقراءة الضحاك ﴿بعَادَ﴾ بغير صرف جعله اسماً للقبيلة، وفي قراءة الحسن ﴿بعادِ إرمَ﴾ أضاف عاد إلى ﴿إرَمَ﴾ ولم يصرف إرمَ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٣٢٢]. وهذه الآية مشكلة على كثير من أهل العربية، يقول كثير من الناس: إنّ إرَمَ اسم موضع فكيف يكون نعتاً لعاد أو بدلاً منه؟ ويقال: كيف صُرف عاد ولم يُصرف إرم؟ فقد زعم محمد بن كعب القرظيّ أن إرمَ الاسكندرية، وقال المقبريّ: إرمُ دمشق وكذا قال مالك بن أنس: بلغني أنها دمشق، رواه عنه ابن وهب، وقال مجاهد: إرم: القديمة، وقد روى عنه غير هذا، وعن ابن عباس: إرم: الهالك، وعن قتادة: إرم القبيلة.

﴿التي لمْ يخلق مِثلُها في البِلاد﴾ [٨]

قال أبو جعفر: والكلام في هذا من جهة العربيّة أن أبين ما فيه قول قتادة: أن إرَمَ قبيلة من عاد، فأما أن يكون إرَم الاسكندرية أو دمشق فبعيد لقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١] والحقفُ ما التوى من الرمل وليس كذا دمشق ولا الاسكندرية. وقد قيل: ﴿ارَمَ ذات العِمَادِ﴾ مدينة عظيمة موجودة في هذا الوقت، فإن صحّ هذا فتلخيصه في النحو ﴿الم ترَ كيف فعَل ربّك بعاد﴾ صاحبة إرم مثل ﴿وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] ﴿ذات العماد﴾ نعت لعاد على معنى القبيلة أو لإرم وكذا ﴿التي لمْ يخلقْ مِثلُها في البِلاد﴾ وفي قراءة ابن الزبير ﴿التي لم يَخلُق مِثلَها في البلادِ﴾ أي لم يخلق ربك مثل عاد في البلدان على عظم أجسادهم وقوتهم فلم يغن ذلك عنها شيئاً لمّا خالفوا أمر الله جلّ وعزّ فأهلكهم.

﴿وثَمُود..﴾ [٩]

في موضع خفض، والتقدير وبثمود لم ينصرف لأنه اسم للقبيلة، ومن صرفه جعله اسماً للحي، ومن خفضه بغير تنوين حذف التنوين لالتقاء الساكنين ﴿الذين﴾ في موضع خفض على النعت، ويجوز أن يكون في موضع نصب بمعنى أعني، وفي موضع رفع بمعنى هم ﴿الذين جابوا الصخر بالوادِ﴾. وجابوا من ذوات الواو، جاب الشيء يجُوبه إذا قطعه ودخل في [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٢٢]، وحُذفت الياء من ﴿الواد﴾ لأنه رأس آية والكسرة تدلّ عليها.

وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

﴿وفِرْعَوْنَ..﴾ [١٠]

في موضع خفض، والمعنى وبفرعون، ولم ينصرف لأنه اسم أعجمي [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٢٢] ﴿ذِي الأَوْتادِ﴾ من نعته وعن ابن عباس ﴿ذي الأوتاد﴾ ذي الجنود. قال أبو جعفر: قد ذكرنا فيه غير هذا، أي ذي الجنود الكثيرة المحتاجة لضرب الأوتاد في أسفارها.

﴿الَّذِين طَغَوْا..﴾ [١١]

أي تجاوزوا أمر الله جلّ وعزّ ﴿في البلاد﴾ أي الذين كانوا فيه.

﴿فأكثَرُوا فِيها الفَسَاد..﴾ [١٢]

على تأنيث الجماعة يكون جمعَ بلد، والتذكير جائز يراد به الجمع أو الواحد.

﴿فَصَبَّ عليهِمْ رَبُّك سوطَ عَذابٍ﴾ [١٣]

ويجوز بالصاد لأن بعد السين طاء.

﴿إنّ ربَّك لَبِالمرصَادِ﴾ [١٤]

من أحسن ما قيل فيه: إنه مجاز أي يَرصُدُ أعمال العباد [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٢٢] أي لا يفوته شيء، وقال سفيان: المرصاد: القنطرة الثالثة من جهنم.

﴿فأمّا الإنسانُ إذا ما ابتلاهُ ربُّهُ..﴾ [١٥]

﴿كلاّ﴾ [١٧]

أي اختبره ﴿فأكرَمَه ونَعَّمَهُ فيقُول رَبّي أكرَمنِ﴾ في معنى هذا وما بعده قولان: أحدهما: وهو قول قتادة أن الإنسان إذا أنعَمَ الله عليه ووسّع قال: أكرمني ربّي بهذا [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٢٣]، فإذا ضيّق عليه رِزقَهُ قال: أهانني، فزجر الله الإنسان عن هذا وعرفه أنه ليس التوسيع عليه من إكرامه ولا التضييق عليه من إهانته. قال قتادة: وإنّما إكرامه إيّاه بطاعته وإهانته إيه بمعصيته، والقول الآخر: إن الإنسان إذا وسّع الله عليه حمد الله جلّ وعزّ، فإذا ضيّق عليه لم يحمده، فزجره الله؛ لأنه يجب أن يحمده في الحالين، والزجر في قوله ﴿كلاّ﴾ ويدلّ على صحة الجواب الأول ما بعد الآية ﴿بل لاَ تُكرمُون اليَتِيمَ﴾ وما بعده أي فبهذا الإهانةُ وبضدّه الكرامة.

﴿ولا تَحَاضُّونَ على طَعام المِسكِين﴾ [١٨]

وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ
رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾

حذف المفعول لعلم السامع أي ولا تحضون الناس، ومن قرأ ﴿تحاضون﴾ قدّره بمعنى تتحاضون، حذفت احدى التائين كما قال ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿وتأكلونَ التُراثَ أكلاً لَمّا﴾ [١٩]

التاء مُبْدَلَةٌ من الواو؛ لأنها أقرب الزوائد إليها ﴿أكلاً﴾ مصدر ﴿لَمّا﴾ من نعته. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٢]: شديداً.

﴿وتحبونَ المَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ [٢٠]

﴿كلا﴾ [٢١]

قال: كثيراً. قال أبو جعفر: ﴿كلاّ﴾ تماماً في كلّ القرآن، قال: المعنى لا ينبغي أن يكونوا هكذا وانزجروا عن هذا الفعل ﴿إذا دُكّتِ الأرضُ دكّاً﴾ عن ابن عباس أي حُرّكَتْ وهو مصدر مؤكد، وكذا الذي بعده.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً..﴾ [٢٢]

يعني الملائكة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٢٣] ﴿صَفّاً صَفّاً﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿وَجِيءَ يومَئِذٍ بجَهَنَّمَ..﴾ [٢٣]

في موضع اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، ويجوز أن يكون الاسم المصدر ﴿يَوْمَئِذٍ يتذكّرُ الإنسانُ﴾ ويجوز إدغام التاء في الذال ﴿وأنّى له الذكرى﴾ قال الضحاك: التوبة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٢٤]، وقيل: المعنى: من أيّ جهة له منفعة الذّكرى.

﴿يقُولُ يا لَيْتَني..﴾ [٢٤]

ومن العرب من يقول: لَيْتي يشبّهه بأنّي. قال الضحاك: ﴿قدّمتُ لِحَياتِي﴾ في الآخرة [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٦٢]. قال الحسن: عَلِمَ أنّ ثَمّ حياةً لا نفاذ لها.

﴿فَيومَئذ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ﴾ [٢٥]

هذه قراءة أبي عبد الرحمن السلمي والحسن وأبي جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم والأعمش وحمزة. وهي القراءة التي قامت بها الحجة من جهة الإجماع، وقرأ الكسائي ﴿فَيومَئذ لا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أحد ولا يُوثَقُ وثَاقَهُ أحد﴾ قال: وهذا اختيار أبي عبيد، واحتج بحجتين واهيتين إحداهما الحديث زعم عن النبيّ ﷺ. قال أبو جعفر: والحديث لا يصحّ سندهُ حدّثناه محمد بن الوليد عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال: ثنا هشام وعبّاد بن عبّاد عن خالد عن

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

أبي قلابة عمن أقرأه النبيّ ﷺ ﴿فيومئذ لا يُعذَّبُ عَذَابَهُ أحد ولا يُوثَقُ وَثَاقَهُ أحدٌ﴾ بفتح الذال والثاء.

قال أبو جعفر: وهذا الحديث بيّن؛ لأنه إذا وقع في الحديث مجهول لم يُحتَجّ به في غير القرآن فكيف في كتاب الله ومعارضته الجماعة الذين قراءتهم عن النبيّ ﷺ؟ وحجّته الأخرى أنّه قد علم المسلمون أنه ليس أحد يوم القيامة يُعذِبّ إلاّ الله فكيف يكون لا يعذِّبُ أحد عَذَابَهُ، هذه حجّته. قال أبو جعفر: وأغفل ما قاله العلماء في تأويل الآية؛ لأنهم قالوا، منهم الحسن: لا يُعذِّبُ أحدٌ في الدنيا بمثل عذاب الله يوم القيامة. وتأوّل أبو عبيد معنى ﴿لا يُعذَّبُ عَذَابَه أحَدٌ﴾ لا يُعذِّبُ عَذَابَ الكافِرِ أحدٌ. وخولف أيضاً في هذا التأويل، وممّن خالفه الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٢] ذهب إلى أن المعنى لا يعذِّبُ أحدٌ في الدنيا بِمْثِل عَذابِ الله في الآخرة. وفيه قول ثالث أنه يراد به رجل بعينه.

﴿يا أيّتها النفس المُطْمَئِنّةُ﴾ [٢٧]

ويجوز يا أيّها لإبهام أيّ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٢٤]، ﴿النفس﴾ نعت لأي و ﴿المطمئنة﴾ نعت لنفس فإن جعلتها نعتاً لأي جاز نصبها؛ لأنه قد تمّ الكلام كما تقول: يا زيدُ الكريم أقبل. والمعنى: المطمئنة بوعد الله جلّ وعزّ ووعيده.

﴿ارجعي إلى ربّك﴾ [٢٨]

في معناه قولان: قال سعيد بن جبير: إلى جسدك فالمعنى على هذا أن النفس خوطبت. قال الضحاك: إلى الله فالمعنى على هذا أن المخاطبة للإنسان وإليه يذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٢، ٢٦٣]، وإلى أن المعنى أنّ الملائكة تقول لهم إذا أُعطوا كُتبهُم بأيمانهم هذا أي: ارجعي إلى ثواب ربّك.

﴿فادخُلِي في عبادي﴾ [٢٩]

أي: في عبادي الصالحين، أي: كوني معهم. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٣]: وقرأ ابن عباس وحده ﴿فادخلي في عَبْدِي﴾. قال أبو جعفر: وهذا غلط: أعني قوله وحده، هذه قراءة مجاهد وعكرمة وأبي جعفر والضحاك. وتقديرها في العربية على معنى الجنس أي لتدخل كل روح في عَبْد، وقيل: وهو واحد يدلّ على جمع وعلامة الجزم في ادخلي عند الكوفيين حذف النون، والبصريون يقولون: ليس بمعرب لأنه غير مضارع ولا عامل معه فيجزمه، وزعم الفرّاء أن العامل فيه اللام وهي محذوفة.

٩٠ ـ سورة البَلَد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ۝﴾

شرح إعراب سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لا أُقسِمُ بهذا البَلَدِ﴾ [١]

في ﴿لا﴾ ثلاثة أقوال: قال الأخفش: تكون صلة، فهذا قول، وقيل: هي بمعنى ذكره أيضاً الأخفش، والقول الثالث قول أهل التأويل، روى الحسن عن مجاهد قال: ﴿لا﴾ ردّ لكلامهم ثم ابتدأ ﴿أُقسم بهذا البلد﴾. قال أبو جعفر: في قوله جلّ وعزّ: ﴿البلد﴾ ثلاثة أقوال: يكون نعتاً لهذا، ويكون بدلاً، وأولاها الثالث أن يكون عطف البيان، والنحويون يذكرون عطف البيان على جملته، وما علمتُ أن أحداً بيّنه، والفرق بينه وبين البدل إلا ابن كيسان قال: الفرق بينهما أن معنى البدل أن تقدّر الثاني في موضع الأول وكأنك لم تذكر الأول، ومعنى عطف البيان أن يكون تقدّر أنك إنْ ذكرت الاسم الأول لم يُعرف إلاّ بالثاني، وإن ذكرت الثاني لم يعرف إلاّ بالأول، فجئت مبيناً للأول قائماً له مقام النعت والتوكيد. قال: وبيان هذا في النداء: يا أخانا زيدُ أقبل على البدل كأنك رفعت الأول وقلت: يا زيدُ. فإن أردت عطف البيان قلت: يا أخانا زيداً أقبل.

﴿وأنت حلّ بهذا البَلَدِ﴾ [٢]

قال الأخفش [معاني القرآن: ٧٣٨/٢]: حِلّ وحلال وحِرْمٌ وحَرامٌ.

﴿وَوَالِدٍ..﴾ [٣]

واو عطف لا واو قسم، وكذا ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ وقال أبو عمران الجوني: ﴿ووالد﴾ إبراهيم (عليه السلام) وولده [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٢٧/٥]، ورُوي عن ابن عباس: الوالدُ: الذي ولد، ﴿وما ولد﴾ ولده. قال أبو جعفر: وهذا على أنه عام وكأنه أبين ما يقال، ويكون التقدير: ووالد وولادته حتى يكون ﴿ما﴾ للمصدر.

﴿لَقَدْ خلقْنا الإنسانَ في كَبدٍ﴾ [٤]

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾

قال أبو جعفر: قد ذكرناه، ومن أبين ما قيل في معناه قول عطاء قال: في كَبَد: في مكابدة للأمور [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٢٨]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/٢٦٤]. قال الحسن: يكابد السرّاء والضرّاء، وليس أحد يكابد الأمور ما يكابد ابن آدم، وقال سعيد بن أبي الحسن: يكابد أمر الدنيا وأمر الآخرة وقال مجاهد: يكون نطفة وعلقة ولا يزال في مكابدة. فهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أبين ما قيل فيها أي يكابد الأمور ويعالجها. فهذا الظاهر من كلام العرب في معنى كبد. قال ذو الإصبع العدواني:

لِيَ ابنُ عَمٍّ لو أنَّ الناسَ في كَبَدٍ لظلَّ مُحتَجِراً بالنَّبلِ يرميني

وقال لبيد [ديوانه: ١٦٠]:

قُمنا وقامَ الخُصومُ في كَبَدِ

قيل: يعني بهذا الكافر أي أيحسب أن لن يقدر الله عليه فيعاقبه؟ فخبّر جل ثناؤه بجهله.

﴿يَقُولُ أَهلَكتُ مالاً لُبَداً﴾ [٦]

قيل: يدافع بهذا عن فعل الخيرات، وقيل: قال هذا تندماً، ويدلّ على هذا الجواب ما بعده. قال أبو جعفر: يكون لُبَد جمعَ لُبدة [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٦٣]، وقد يكون واحداً مثل حطَم، ورُوِيَ عن أبي جعفر أنه قرأ لُبَّداً جمع لابِد، وعن مجاهد أنه قال: قرأ لُبُداً جمع لَبُود، ولا نعلم اختلافاً في معناه أنه الكثير.

﴿أيَحسَبُ أن لَم يرَهُ أحَدٌ﴾ [٧]

والأصل يَرْأَهُ قلبت حركة الهمزة على الراء فانفَتَحَتْ وسقطت الهمزة. قال أبو جعفر: وما علمت أحداً من النحويين تكلّم في علّة الهمزة لِمَ تَسقُط إذا أُلقِيَت حركتها على ما قبلها إلاّ علي بن سليمان، سألته عنه قال: لمّا سقطت حركة الهمزة وسكَنَت وكانت الراء قبلها ساكنة، فحُرِّكَت حركة عارضة فكان حكمها حكم الساكن وبعدها ساكن فحذف ما بعدها وهو الهمزة.

﴿ألَم نَجعَل لهُ عَينَين﴾ [٨]

﴿ولِساناً وشَفَتَين﴾ [٩]

اللسان يذكّر ويؤنّث، فمن ذكّره جمعه ألسنة، ومن أنّثه قال: ألسُن. قال: وفي تصغيره لُسَيِّن بتشديد الياء ولُسَينة بتخفيفها. والأصل في شفة شَفَهَةٌ، والدليل على ذلك جمعها وتصغيرها واشتقاق الفعل منها.

وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾

﴿وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن﴾ [١٠]

مفعول ثان حذفت منه إلى على قول البصريين، وكذا أنشد سيبويه:

كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

[القرطبي في «تفسيره»: ٧/ ١٧٥]

عنده أنه حذف منه الحرف، وعند الكوفيين أنه ظرف مثل أمام وقُدَّام.

﴿فَلَا اقتَحَمَ العَقبَةَ﴾ [١١]

يقال: سبيل ﴿لا﴾ في مثل هذا أن تأتي متكررة مثل ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] وأن سيبويه قد أجاز إفرادها، وأنشد:

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ

وخالفه محمد بن يزيد وجعل هذا اضطراراً. فأما الآية ففيها معنى التكرير؛ لأنه جلّ وعزّ قد بيّن معنى العقبة بما هو مكرر. قال قتادة: النار عقبة دون الجنّة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبةُ﴾ [١٢]

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [١٣]

التقدير: اقتحام العقبة أن يفُكَّ رقبة كما روى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ: «من أعتق رقبة أعتق الله سبحانه بكل عُضو منها عُضواً منه من النار» [خ: ٢٥١٧، ٦٧١٥، م: ٣٧٧٦، ت: ١٥٤١] قال أبو هريرة: حتى ذَكَرَهُ بذَكَره، وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو عمرو وابن كثير والكسائي ﴿فَكَّ رَقَبَةً أو أطعم في يوم ذي مسغبة﴾ ثمّ تكلّم النحويون في هذا، فاختار الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٥] هذه القراءة واحتج بأن بعده ثمّ كان، أي فلمّا عطف بكان وهي فعل ماض على الأوّل وجب أن يكون ﴿فكّ﴾ ليعطف فعلاً ماضياً على فعل ماض، واختار الأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٧٣٩] وأبو حاتم وأبوعبيد القراءة الأُخرى؛ قال أبو جعفر: الديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلاّ عن النبيّ ﷺ، وقد قال عليه السلام: «أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف» [خ: ٤٩٩٢، م: ١٨٩٦، ١٨٩٧، د: ١٤٧٥، ت: ٢٩٤٣، ن: ٩٣٦]. فهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تُقدّم إحداهما على الأُخرى.

فأمّا إعتراض الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٥] بكان وبالنسق على الأول فلا يلزم؛ لأنه لا يجوز أن يكون معطوفاً على المعنى: لأن المعنى فعل هذا، وقد نقض هو قوله بأن أجاز القراءة الأُخرى على إضمار ﴿أن﴾، وأنشد:

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾
عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

ألا أيُّهذا اللائمي أحضُرَ الوغى وأنْ أشهدَ اللذاتِ هل أنتَ مُخلِدي

[ديوان طرفة بن العبد: ٢٧]

يريد أن أحضر، ولو كان الأمر كما قال لنَصَب أحضر. وإضمار ﴿أن﴾ لا يجوز إلاّ بعوض لأنها بعض اسم. واعترض أبو عبيد فقال: الاختيار ﴿فَكُّ رقبة﴾ لأنه يتبين للعقبة، وحُكِي عن سفيان بن عيينة أنه قال: كل ما قال جلّ وعزّ وما أدراك فقد بيّنه، وما قال فيه: وما يدريك فلم يبيّنه. قال أبو جعفر: فهذا غلط، قد قال الله عز وجلّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣] وقال تعالى ذكره: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣] وليس بعد هذا تبين. وروي عن الحسن وأبي رجاء أنهما قرآ ﴿وإطعامٌ في يوم ذا مَسْغَبَةٍ﴾ قال الفراء [معاني القرآن: ٣/٢٦٥]: وإن كان لم يذكر من قرأ ﴿ذا مسغبة﴾ هو صفة ليتيم أي يتيماً ذا مسغبة. قال أبو جعفر: والغلط في هذا بيّن جداً؛ لأنه لا يجوز أن تتقدّم الصفة قبل الموصوف، ولستُ أدري كيف وقع هذا له حتى ذكره في كتاب «المعاني»؟ ولكن يكون ﴿ذا مسغبة﴾ منصوباً بأطعم، ويتيماً بدلاً منه.

﴿ثُمّ كانَ من الذين آمَنُوا﴾ [١٧]

أي ثبت على الإيمان، وقيل: ثمّ للإخبار ﴿وتواصَوا بالصبر وتَوَاصَوا بالمَرْحَمَةِ﴾ أعيد الفعل والباء توكيداً.

﴿أُولئك أصحَابُ المَيمَنَةِ﴾ [١٨]

أي يُؤخَذ بهم ذاتَ اليمين إلى الجنة، وبأهل النار ذات الشمال إلى النار.

﴿عَليهم نارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [٢٠]

مَن أخذه من أصَدَ فيه أن يُهمز، ومَن أخذه من أوصَدَ لم يجز همزه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٣٠].

٩١ ـ سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦)﴾

شرح إعراب سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالشَّمْسِ وضُحَاهَا﴾ [١]

المعروف في اللغة أن الضحى أول طلوع الشمس إذا أشرقت، وإنْ كان مجاهد قد قال: الضحى: النهار، وهو قول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٦٦].

﴿والقمرِ إذا تلاها﴾ [٢]

المعروف في اللغة أن تلاها تبعها، وإن كان الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٦٦] قد حكى: تلاها أخذ منها، يذهب إلى أن القمر أخذ من ضوء الشمس.

﴿والنَّهار إذا جَلاهَا﴾ [٣]

الظاهر من معناه والبيّن إذا جلّى الشمسَ أي إذا أظهرها وأبداها؛ لأن الشمس لا تكون إلاّ فيه وإن كان الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٦٦] قد قال: والنهار إذا جلّى الظلمة، هو قول بعيد؛ لأن الظلمة لم يتقدم لها ذكر.

﴿والليْلِ إذا يَغشَاهَا﴾ [٤]

يعود الضمير على الشمس أيضاً.

﴿والسماءِ وما بنَاهَا﴾ [٥]

﴿والأرض وما طَحَاهَا﴾ [٦]

﴿ما﴾ في موضع خفض، أي وبنائها، وكذا ﴿والأرض وما طحَاهَا﴾.

روى إسماعيل عن أبي خالد عن أبي صالح: طحاها: بسطها، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: طحاها: قسمها.

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾

﴿ونفس وما سوّاها﴾ [٧]

أي تسويتها. قال أبو جعفر: ومن قال: المعنى الذي سواها أراد الله جلّ وعزّ [معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٧٣٩]، ولو كان كما قال لكان ومَن.

﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ [٨]

مفعولان.

﴿قد أفلحَ من زكّاها﴾ [٩]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قد أفلح من زكّى الله نَفْسَهُ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٦٧]، [ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٣٢].

﴿وقد خابَ مَنْ دَسّاها﴾ [١٠]

فأضلّها. وقال قتادة: قد أفلح من زكّى نفسه بالعمل الصالح. قال أبو جعفر: في هذا شيء من النحو غامض لم يذكره الفرّاء وإنْ كان قد ذكر القولين في المعنى، وذلك أنه إذا كان الضمير يعود على الله جلّ وعزّ لم يَعُد على مَن من صلته شيءٌ إلاّ على حيلة بعيدة، وذلك أنك إذا قدّرت: قد أفلح الإنسان الذي زكّى النفس لم يعد على الذي شيء من صلته، وإنْ قدّرته: قد أفلح الإنسان الذي زكّى الله نفسه لم يجز أن يُكنّى عن النفس، لأنه لا يعود على النفس شيء، ولو قدّرت ﴿مَنْ﴾ للنفس كان بعيداً؛ لأن من لا تكاد تقع في مثل هذا، والحيلة التي يجوز عليه أن يحمل على المعنى أن تؤنّث ﴿مَنْ﴾ لأنها بمعنى النفس أو يكون المعنى قد أفلحت الفرقة التي زكاها الله فيكون ﴿مَنْ﴾ للجميع، ومعنى زكاها الله طهّرها بالتوفيق لطاعته، وزكّى فلان ماله، في اشتقاقه قولان: أحدهما أنه من زكا الزرع إذا زاد ونما أي كثر ماله بإخراجه الزكاة، والقول الآخر بيّن حسن يكون زكّى ماله طهّرهُ وخلّصه بإخراج سُهمان المساكين منه. ومنه: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] أي طاهرة مخلصة من الذنوب، ومنه عَبْدٌ زكي أي طاهر ﴿وقد خاب﴾ أي لم يظفر بما يريد من دسى نفسه الله أي خذلها فارتكبت المعاصي. وعلى القول الآخر من دسّى نفسه أي سترها لركوب المعصية. فاشتقاقه من دسّ ودَسّس، فأبدل من أحد السينين ياء كما قال:

رَأَتْ رَجُلاً أَمّا إذا الشَّمسُ عارَضَتْ

يريد أمّا.

﴿كَذّبَتْ ثَمودُ بطغواها﴾ [١١]

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤﴾

الطَّغوى والطغيان واحد إلاّ أن عطاء الخراساني روى عن ابن عباس قال: بطغواها: بعذابها، والطَّغوى اسم العذاب. قال أبو جعفر: وهذا يصح على حذف أي بعذاب طغواها مثل ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

﴿إذ انبعث أشقاها﴾ [١٢]

حكى الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٨] أنهما اثنان، وأنشد:

ألا بكَرَ الناعِي بِخَيرِي بني أسَدْ ... بعمرو بن مسعود وبالسيّد الصَّمَدْ

يريد أنه جعل خبرَ الاثنين، وشَبَّهَهُ بقولهم: هذان أفضل الناس، وهذان خير الناس. قال أبو جعفر: هذا الذي حكاه خلاف ما قال الله جلّ وعزّ، وقاله رسول الله ﷺ، وقاله أهل التأويل، قال الله: أشقاها. فخبَّر عن واحد فحكى أنهما اثنان، وقال رسول الله ﷺ: انتُدِبَ لها رجلٌ، ولم يقل رجلان، وقال أهل التأويل: انتدَب لها قُدارُ بن سالف. قال أبو جعفر: وله نظير أو أعظم منه في سورة الرحمن.

﴿فقالَ لهُمْ رَسُولُ الله ناقةَ الله..﴾ [١٣]

أي احذروا ناقة الله. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٨]: ولو قرأ قارئ ﴿ناقةُ الله﴾ بالرفع، أي هذه ناقة الله لجاز. قال أبو جعفر: ولا يجوز الابتداع في القراءات.

﴿فكذَّبُوه فعقَرُوها..﴾ [١٤]

قال الفرّاء: أراد: فعقروها فكذّبوه: وهذا خطأ في الفاء لأنّها تدل على أن الثاني بعدَ الأول، وهذا عكس اللغة، ومع هذا فليست ثَمَّ حال يضطر إليه لأنهم كذّبوا صالحاً بأن قال لهم: إنْ عقرتموها انتَقَمَ الله منكم فكذّبوه في ما قال فعقروها، وقد قيل: ﴿فكذّبوه﴾ كلام تام ثم عطف عليه فعقروها. قال أبو جعفر: وفي هذا من المُشكِل أن يقال: قد كانوا آمنوا وصدّقوا، وجعلوا للناقة يوماً ولهم يوماً في الشرب، فزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٩] أن الجواب عن هذا أنهم أقرّوا به ولم يؤمنوا. وهذا القول الذي قاله ممّا لا يَجِبُ أن يجترأ عليه إلاّ برواية لأنه مُغَيَّب، والرواية بخلافه. روى سعيد عن قتادة قال: توقّف أُحَيمر ثمود عن عقر الناقة حتى اجتمعوا كلّهم معه على تكذيب صالح صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم فلهذا عَمَّهم الله بالعذاب ﴿فدَمدَمَ عليهم ربُّهم بِذَنْبِهم﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٦٩]: أي أرجَفَ، وقال غيره: أي عذّبهم [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٣٣]، ﴿فسوّاها﴾ قال أبو جعفر: سألت علي بن سليمان عن هذا الضمير

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ١٥﴾

فقال: يعود على الدمدمة التي دلّ عليها دمدم، وقال غيره: أي سَوّى بينهم في العقوبة فأهلكهم جميعاً.

﴿ولا يخَافُ عُقْباها﴾ [١٥]

هكذا قرأ أهل البصرة وأهل الكوفة وقرأ أهل الحجاز ﴿فَلا يخَافُ عُقباهَا﴾ وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٢٧٠/٣] أن الواو أجود. وهذا عظيم من القول أن يقال في ما قرأت به الجماعة ووقع للسواد المنقول عن الصحابة الذين أخذوه عن النبي ﷺ: أجود أو خير. والقراءتان جميعاً نقلهما الجماعة عن الجماعة، فهما بمنزلة آيتين لأن معناهما مختلف. قال أبو جعفر: سمعت إبراهيم ابن محمد بِفطوَيه يقول: من قرأ بالفاء فالمعنى لله لا غير، وهذا كما قال، وعليه أهل التأويل وهو صحيح عن ابن عباس، قال إبراهيم بن محمد: ومن قرأ بالواو ذهب إلى أن المعنى للعاقر، أي انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها أي وهذه حاله. والذي قال حَسَنٌ غير أنه لا يجوز أن يكُون بالواو لله جلّ وعزّ الذي قاله بيّن والله أعلم بما أراد.

٩٢ ـ سورة الليْل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦

شرح إعراب سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿واللَّيْلِ إذا يَغْشَى﴾ [١]

حذف المفعول كما يقال: ضَرَبَ زيدٌ، ولا يجيء بالمضروب إمّا لمعرفة السامع، وإمّا أن تريد أن تُبهِمَ عليه. قيل: المعنى والليل إذا يغشى كل شيء بظلمته فيصير له كالغشاء، وليس كذا النهار، وعلى هذا قول الذبياني [ديوانه: ٨١]:

فإنَّكَ كاللَّيلِ الذي هوَ مُدركي ... وإن خِلتُ أنَّ المُنتأى عنكَ واسِعُ

﴿والنَّهار إذا تَجَلَّى﴾ [٢]

خفض على العطف، وليست بواو قسم.

﴿وما خَلَقَ الذَّكَرَ والأنثى﴾ [٣]

﴿ما﴾ مصدر أي وخلقِهِ الذكر والأُنثى، قيل ﴿ما﴾ بمعنى الذي، وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٧٠]: وما خلق الذكر والأنثى بمعنى والذي خلق الذكر والأنثى. قال أبو جعفر: هذا وجهٌ بعيد أن تكون ﴿ما﴾ بمعنى ﴿مَنْ﴾ وأيضاً لا نعرف أحداً قرأ به، ولكن روي عن النبي ﷺ ﴿والنَّهار إذا تجلّى وما خلق الذكر والأنثى﴾ وهو عطف.

﴿إنّ سَعْيَكُمْ لَشتّى﴾ [٤]

جواب القسم [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٧٠]. قال محمد بن كعب: سعيكم: عملكم.

﴿فأمّا مَنْ أعطى واتَّقى﴾ [٥]

﴿وصَدَّقَ بالحُسْنَى﴾ [٦]

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ١٣﴾

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء عند البصريين، وعند الكوفيين بالهاء العائدة عليه. قال الحسين بن واقد: فأما من أعطى زكاته واتقى ربه. ومن أحسن ما قيل في معنى ﴿وصدّق بالحُسنى﴾ ما قرئ على محمد بن جعفر بن حفص بن راشد عن يوسف بن موسى عن ابن عليّة قال: أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وصدّق بالحسنى﴾ قال: بالحلف فهذا إسناد مستقيم، ومعنى ملائم لسياق الكلام.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [٧]

قال جويبر عن الضحاك قال: للجنّة.

﴿وأمّا مَن بَخِلَ واستغنى﴾ [٨]

على ذلك القول: بَخِلَ بزكاته واستغنى عن ثواب ربّه جلّ وعزّ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٣٦].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسْرى﴾ [١٠]

قال الضحاك: النار، فإن قيل: التيسير إنما يكون للخير فكيف جاء للعسر؟ فالجواب أنه مثل ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] أي اجعل ما يقوم لهم مقام البشارة وأنشد سيبويه:

تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ

[القرطبي في «تفسيره»: ٣/ ٢٠]

هذا قول البصريين، وقول الفرّاء إنه إذا اجتمع خير وشر فوقع للخير تبشير جاز أن يقع للشر مثله.

﴿وما يُغني عَنهُ مالهُ إذا تَرَدّى﴾ [١١]

﴿ما﴾ في موضع نصب بـ ﴿يُغني﴾ أي: وأيّ شيء يدفع عنه ماله إذا سقط في النار [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٣٦]؟ وذهب مجاهد: إذا هلك وإنما يقال في الهلاك: رَدَى يَردِي وتَرَدّى إذا سقط ورَدُؤَ الرجل يَردُؤ رَداءةً وهو رديء مُردِئ.

﴿إنّ عَلَينا لَلهُدَى﴾ [١٢]

لام توكيد دخلت على الهدى فحذف الألف لئلا يُشبه ﴿لا﴾ التي للنفي ولاتصال اللام بما بعدها.

وكذا ﴿وإنّ لَنا لَلآخِرةَ والأولى﴾ [١٣]

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فأنذرتكم ناراً تلظّى﴾ [١٤]

فعل مُستقبل، الأصل تتلظّى، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير أنه قرأ ﴿تتلظّى﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٧٢] وبعض الحفاظ يَروِي عن ابن عيينة بهذا الإسناد إدغام التاء في التاء. قال أبو جعفر: ويجب أن يحرّك التنوين لالتقاء الساكنين، قال مجاهد: تَلَظّى: توقّع.

﴿لا يصلاها إلاّ الأشقى﴾ [١٥]

﴿الذي كذّب..﴾ [١٦]

فيه قولان: قال أبو عبيدة: ﴿الأشقى﴾ بمعنى الشقي، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٧٢]: الأشقى: الشقيّ في علم الله سبحانه، فالقول الآخر: فأنذرتكم ناراً تلظّى لا يصلاها إلاّ أشقى أهل النار، وأشقى أهل النار الكفار. ودلّ بهذا على أن غير الكفار يدخلون النار بذنوبهم. قال الفرّاء: ﴿الذي كذّبَ﴾ أي قصّرَ، أخذه من قول العرب: حَمَلَ فلانٌ على فُلان فما.

﴿وسَيُجنّبُها الأتقى﴾ [١٧]

﴿الذي يؤتي مالَهُ يتزكّى﴾ [١٨]

أي يتطهّر من الذنوب.

﴿وَمَا لأحد عِندَهُ من نِعمةٍ تُجزى﴾ [١٩]

أي ليس يَتصدّق ليكافئ إنساناً على نعمة أنعم بها عليه. وفي معناه قول آخر ذكره الفرّاء يكون للمستقبل أي ليس يتصدّق ليكافأ على صدقته. غير أنّ الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٧٢] جعله من المقلوب بمعنى: وماله عند أحد نعمة تُجزى، وأنشد:

وقد خفتُ حتى ما تزيد مخافتي — على وعل في ذي المطارة عاقل

[ديوان النابغة الذبياني: ٩٤]

وتأوّله بمعنى: حتى ما تزيد مخافة وعَل على مخافتي. قال أبو جعفر: لا يجوز أن يُحمَل كتاب الله على القلب والاضطرارات البعيدة.

﴿إلاّ ابتغاءَ وجه ربّه الأعلى﴾ [٢٠]

منصوب لأنه استثناء ليس من الأوّل، لم يذكر البصريون غير هذا. وأجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٧٣] أن يكون التقدير: ما ينفق إلاّ ابتغاء وجه ربّه، وأجاز ﴿إلاّ ابتغاءُ وَجهِ ربّه﴾ بالرفع لأن المعنى: وما لأحد عنده من نعمة تُجزى إلاّ ابتغاء وجه ربّه. قال أبو جعفر: ولم يُقرأ بهذا،

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾

وهو أيضاً بعيد وإن كان النحويون قد أجازوه، كما قال:

وَبَــلْــدَةٍ لــيــسَ بــهَــا أنِــيــسُ إلاّ الــيــعَــافــيــرُ وإلاّ الــعِــيــسُ

[القرطبي في «تفسيره»: ٦/ ١٠]

وأنشد بعضهم للنابغة [ديوانه: ٣٠]:

وقَـفْـتُ فِـيـهَـا أصِـيـلاً كـي أُسـائـلُـهـا عَـيَّـتْ جَـوَاباً ومـا بـالـربـع مـن أحَـدِ

إلاّ أوارِيَّ لأيــاً مــا أُبَــيِّــنُــهَــا والـنـؤي كـالـحـوض بـالـمظلُـومةِ الجلَد

والرفع في هذا مثل و﴿وما لأحد عِندَهُ مِنْ نِّعْمَةٍ تُجزَىٰ إلاّ ابتغاءَ وَجهِ رَبِّهِ الأعلىٰ﴾ وهذا مجاز أي إلا طلب رضوانه.

﴿ولسوف يرضى﴾ [٢١]

أي بالثواب.

٩٣ ـ سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَى ۝١﴾

شرح إعراب سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحى﴾ [١]

﴿والليل إذا سجى﴾ [٢]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٧٣]: النهار كلّه. قال أبو جعفر: والمعروف عند العرب ما رواه أبو رَوْق عن الضحّاك قال: الضحى ضحى النهار. قال أبو جعفر: قال محمد بن يزيد: والضحى يُكتَب بالألف لا غير، لأنه من ضحا يضحو. قال أبو جعفر: وقول الكوفيين إنه بالياء لضم أوله، وهذا قول لا يصحّ في معقول ولا قياس؛ لأنه إنْ كُتب على اللفظ فلفظه الألف، وإن كُتب على المعنى فهو راجع إلى الواو، وعلى أنه قد حدّثنا علي بن سليمان قال: سمعت محمد ابن يزيد يقول: لا يجوز أن يُكتب شيءٌ من ذوات الياء مثل رَمَى وقَضَى إلاّ بالألف، والعلة في ذلك بيّنةٌ من جهة المعقول والقياس واللغة؛ لأنا قد عقلنا أن الكتابة إنما هي نقل ما في اللفظ كما أن اللفظ نقل ما في القلب، فإذا قلنا: رَمَى فليس في اللفظ إلاّ الألف. فإن قيل: أصلها الياء فكتبوها بالياء قيل: هذا خطأ من غير جهة، فمنها أنه لَو وَجَبَ أن تُكتب على أصلها لوجَب أن تُكتب غزا بالواو؛ لأن أصلها الواو، وأيضاً فقد أجمَعُوا على أنْ كتبوا رماه بالألف والألف منقلبة من ياء، وهذه مناقضة، وأيضاً فإن في هذا باباً من الإشكال؛ لأنه يجوز أن يقال: رُمِيَ، ثم نقضوا هذا كله فكتبوا ذوات الواو بالياء نحو ضُحى وكُسىَ جمعُ كُسوة.

قال أبو إسحاق: وهذا معنى كلامه، وما أعظم هذا الخطأ يعني قولهم: يكتب ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالألف، فلا هم اتّبعوا اللفظ كما يجب في الخط، ولا هم اتبعوا المُصحَف، فقد كتب في المصحف ما زكي بالياء.

قال أبو اسحاق: وأعظم من خطئهم في الخط خطؤهم في التثنية؛ لأنهم يثنّون رباً ربَيان، وهذا مخالف على كتاب الله جلّ وعزّ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾

﴿فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ [الروم: ٣٩] أي فجاء القرآن بالواو وجاؤوهم بالياء.

قال أبو جعفر: وسَمِعتُ علي بن سليمان يقول: قلت لأبي العباس محمد بن يزيد لمّا احتجّ بهذه الحجج التي لا تُدفعُ: ما هذا الذي قد وقع للكتّاب وأنِسَ به الخاصُّ والعامُّ من كتبِ ذواتِ الياء بالياء حتى صار التعارف عليه فقال: الأصل في هذا أن أبا الحسن الأخفش كان رجلاً محتالاً لشيء يأخذه فقال لأبي الحسن الكسائي: قد استغنى من نحتاج إليه من النحو فنحتاج أن نجتمع على شيء نضطرهم إليه فاتفقا على هذا وأحدثاه، ولم يكن قبلهما، وشاع في الناس لتمكّن الكسائي من السلطان.

ولعلّ بعض من لا يُحصّل يتوهّم أنّ هذا مذهب سيبويه لأنه أشكل عليه شيء من كلامه في مثله قوله الياء في مثل سكرى، وإنما أراد سيبويه أنها تُثنّى بالياء، وليس من كلام سيبويه الاعتلال في الخطوط.

قال أبو جعفر: ثمّ رجعنا إلى الإمالة فحمزة يُميل ما كان من ذوات الياء ويفخّم ما كان من ذوات الواو، والكسائي يُميل الكل، وأبو عمرو بن العلاء يُتبعُ بعض الكلام بعضاً فإن كانت السورة فيها ذوات الياء وذوات الواو أمال الكل، والمدنيون يتوسطون فلا يميلون كلّ الميل ولا يفخّمون كل التفخيم. قال أبو جعفر: وليس في هذه المذاهب خطأ؛ لأن ذوات الواو في الأفعال جائز إمالتها؛ لأنها ترجع إلى الياء فيجوز ﴿والضحى﴾، ﴿والليل إذا سجى﴾ مُمالاً، وإنْ كان يقال: سجا يسجو؛ لأنه يرجع إلى الياء في قولك: سُجِيَتْ.

﴿ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلى﴾ [٣]

قال الضحّاك: أي وما قلاك. قال أبو جعفر: العرب تَحذِفُ من الثاني لدلالة الأول. يقال: أعطيتُكَ وأكرمتُ، وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾ قال: يقول: ما تركك وما أبغضك، وحكى أبو عبيدة [مجاز القرآن: ٢/٣٠٢] وَدَعك مُخففاً، ومنع سيبويه [الكتاب: ١/٨] أن يقال: وَدَعَ قال: استغنوا عنه بتركَ. قال أبو جعفر: والعِلّة عند غيره أن العرب تستثقل الواو في أول الكلمة لثقلها، يدلّ على ذلك أنها لا تُوجد زائدة في أوّل الكلام، وتوجد أختُها الياء نحو يعمَلةٍ ويَربُوعٍ، وأنك إذا صَغّرْتَ واصلاً قلت: أُويصلُ لا غير، وفي الجمع أواصلُ. ويقال: قلاهُ يَقليه إذا أبغضه، ويقال أيضاً: يقلاه.

﴿وللآخرةُ خيرٌ لكَ مِنَ الأولى﴾ [٤]

الأصل أخيرُ ثمّ خُفّفَ لكثرة الاستعمال.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

﴿ولَسوفَ يُعطيك رَبُّك فَترضى﴾ [٥]

وفي حرف عبد الله ﴿وسَيُعطيكَ﴾ [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٧٤] وهما واحد عند سيبويه، وقال الفرّاء: حُذفتْ الواو والفاء كما قالوا: أيش عِندهَا وكما قالوا: لابَ لِشانئك، ولأبَ لَك، يريدون لا أبَ لِشانئكَ ولا أبَ لَك. قال أبو جعفر: حُذفَ المفعول الثاني، كما تقول: أعطيتُ زيداً، ولا تُبيِّنُ العطية.

﴿ألَمْ يجِدْك يَتيماً فآوى﴾ [٦]

﴿ووَجدَك ضالاً فَهدى﴾ [٧]

مفعول يَجدُ. ويَجدُ في كلام العرب تنقسم أقساماً منها أن يكون بمعنى يرى ويَعلمَ وكذا ﴿ووَجدَك ضالاً فَهدى﴾.

﴿ووَجدَكَ عائلاً فأغنى﴾ [٨]

وقد عَالَ يَعِيلُ عيلةً إذا افتقر، وأعال يُعِيلُ إذا كَثُر عيالهُ، لا نعلم بيْنَ أهل اللغة فيه اختلافاً.

﴿فأمّا اليَتيمَ..﴾ [٩]

﴿وأمّا السائل فَلا تَنْهرْ﴾ [١٠]

﴿وأمّا بِنعْمةِ ربِّك فَحدِّثْ﴾ [١١]

نصب بـ ﴿تقهر﴾، ولو كان تقهره بالهاء لكان الاختيار النصب أيضاً؛ لأنه نهي، وكذا ﴿وأمّا السائل فَلا تَنْهرْ﴾، ﴿وأمّا بِنعْمةِ ربِّك فَحدِّثْ﴾ قيل: أي بلّغ أي أظهرها واحمد الله عزّ وجلّ عليها فإن ذلك من الشكر.

٩٤ ـ سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾

شرح إعراب سورة ألم نشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [١]

﴿نشرحْ﴾ جزم بلم، وعلامة الجزم حذف الضمة. من النحويين من يقول: **﴿ألم﴾** من حروف الجزم، وذلك خطأ؛ لأن الألف للاستفهام. والمعنى على الإيجاب؛ لأن ألف الاستفهام ههنا يؤدي عن معنى التقرير والتوقيف فيصير النفي إيجاباً والإيجاب نفياً. قال الفرّاء: أي ألم نُلِنْ لك قلبك؟ وقال الحسين بن واقد: ألم نوسّع لك صدرك؟ قال أبو جعفر: وهذا قول بيّن، ومنه يقال: فلان ضيّقُ الصدر، وصدره واسع، وقد شرح الله صدور الأنبياء صلوات الله عليهم والمؤمنين ثواباً على أعمالهم الحسنة فصاروا يقبلون الحق ولا تضيق له صدورهم. ومن هذا الحديث المستقيم الإسناد، رواه يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذرّ عن النبي ﷺ قال: **«فُرِجَ سَقف بَيتي وأنا بمكة فنزل جبرائيل (عليه السلام) فَفَرَجَ صدري ثمّ غسله بماء زمزم ثمّ أتى بطست مملوءة حكمةً وإيماناً فأفرَه في صدري، ثمّ عَرَجَ بي إلى السماء»** [القرطبي في «تفسيره»: ٥/٢٧]. **﴿لَكَ﴾** الكاف في موضع جر باللام، وفتحت اللام على أصلها. ومن النحويين من يقول: أصلها الكسر ولكن فُتحتْ في قولهم له لئلا يُجمع بين كسرة وضمة ثمّ أتبع **﴿لك﴾** لهُ، وإن لم يكن فيه تلك العلّة **﴿صَدرك﴾** منصوب بنشرح. وقال العلماء: الصدر محل القرآن والعلم، واستدلّوا في ذلك بقول الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [٢]

قال الحسن: وزرهُ: ذنبه في الجاهلية [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٧٥]. يقال: وَزَرَ يزرُ وِزْراً والمفعول مَوزُورٌ، وفي الحديث: **«ارجعْنَ مَوزورات غيرَ مأجورات»** [جه: ١٥٧٨] ومن أهل الحديث من يقول: «مأزورات» فإن صح نقلُهُ فهو اتباعٌ [القرطبي في «تفسيره»: ٥/٢٧].

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾

﴿الذي أنقضَ ظهرَكَ﴾ [٣]

أهل التفسير يقولون: أثقله [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٧٥]، فإن قال قائل: كيف وصف هذا الوزر بالثقل وهو مغفور غير مطالب به؟ فالجواب أن سبيل الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين إذا ذكروا ذنوبهم أن يشتدّ غمّهم وبكاؤهم؛ فلهذا وصف ذنوبهم بالثقل. قال أبو جعفر: وهذا الجواب عن سؤال السائل: لِمَ يغتمّ الصالحون إذا ذكروا ذنوبهم التي قد تابوا منها، وقد علموا أن المغفرة بعد التوبة واجبة؟ وفي هذا جواب آخر وهو أنهم يخافون أن يكونوا قد بقي عليهم شيء يلزمهم من تمام التوبة.

﴿ورَفعنا لكَ ذِكرَك﴾ [٤]

بيان هذا في الحديث المسند عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «قال لي جبرائيل (عليه السلام): إن ربي وربك عزّ وجلّ يقول لك: كيف رَفعتُ ذكرك؟ قال: قلت: الله أعلمُ، قال: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي» [القرطبي في التفسير: ٢/١٠٦].

﴿فإنّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾ [٥]

﴿إنّ مع العُسْر يُسراً﴾ [٦]

وقرأ عيسى بن عمر بضم السين فيهما. قيل: المعنى أن نِعَمَ الله تعالى، وهي اليسر أكثر من الشدائد وهي العسر، وقيل: خوطب النبي ﷺ بأنه سيظفر فذلك الظفر، وهو اليسر بالمشركين الذين لحقه منهم الشدّة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٤١].

﴿فإذا فَرَغْتَ فانْصَبْ﴾ [٧]

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا ما قيل في التكرير، وما قيل في معنى ﴿فإذا فَرَغْتَ فانْصَبْ﴾ ومن أحسن ما قيل فيه، وهو جامع لجميع الأقوال، أنه ينبغي إذا فرغ الإنسان من شغله أن ينتصب لله جلّ وعزّ، وأن يرغب إليه، وأن لا يشتغل بما يلهيه عن ذكر الله سبحانه فهذا أدب الله عز وجل. وقد قال عبد الله بن مسعود: ما يعجبني الإنسان أراه فارغاً لا يشتغل بأمر الدنيا، ولا بأمر الآخرة.

٩٥ ـ سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿والتينِ والزّيتونِ﴾ [١]

أدغمت اللام في التاء والزاي لقربها منهما، ولا يجوز الإظهار مع لام التعريف لكثرتها في الكلام، ويجوز في غيرها وإن كانت هذه اللام قد قيل: إنّها مع ما هي هاهنا اسم علم. قال محمد بن كعب: ﴿التين﴾ مسجد أصحاب الكهف، والزيتون (مسجد إيليا) فإن أصلها التعريف ثم وقعت التسمية، وكذا قول من قال: التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٤٣/٥]، وقول من قال: هما مسجدان أحدهما الذي كلّم الله عزّ وجلّ عليه موسى (عليه السلام) [معاني القرآن للفراء: ٢٧٦/٣]. فأما داود بن أبي هند فروى عن عكرمة وعن ابن عباس قال: التين تينكم هذا، والزيتون زيتونكم.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال إذا حصلت آلت إلى معنى واحد؛ لأن القَسَم إنما هو برب العالمين جلّ وعزّ فالتقدير: وربِّ التين والزيتون.

﴿وَطُورِ سِينينَ﴾ [٢]

قيل: هو طور سينا جاء بلغات، وقيل: غير هذا مما ذكرناه.

﴿وهذا البَلَد الأمين﴾ [٣]

وهذه اللغة الفصيحة، والاسم منه ذا عند البصريين، وها للتنبيه، وعند الكوفيين الاسم الذال. ولم يعرب لأنه اسم غير متمكن ينتقل، فأشبه الحروف لأنه غير ثابت على مسمًّى فوجب أن لا يعرب، وقال بعض النحويين: لأن في آخره ألفاً والألف لا يتحرك. قال الفرّاء: ولو حُرّكت صارت همزة، وقال الخليل رحمه الله: الألف حرف هوائي فمحال أن يحرك؛ لأنه بمنزلة الحركة ولا تُحرَّك الحركة. قال أبو جعفر: و﴿ذا﴾ اسم ظاهر يدلّ على ذلك كسر اللام

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾

معه. وقد قال بعض النحويين، جواباً لمن سأل «لِمَ حُرِّكت المُضمرات ولم تُحرَّك المُبهمة؟»: إن المضمرات في مواضع الأسماء المعربة وكانت لها مزيّة فحُرِّكت. قال أبو جعفر: وسمعت أبا بكر بن شُقير يحكي هذا، وهو جواب حسن مُحصَّلٌ، فأما الفرّاء فَخَلَط الجميع فقال: من قال: هُوْ زَيْدٌ، بإسكان الواو قال: هذا زيد، ومن قال: هو زيد قال: هذا أي زيد، ومن قال هوَّ زيد، بتشديد الواو قال هذاه زيدٌ.

قال أبو جعفر: وبيان التخليط في هذا بيِّن لأن قولك: هُوْ بإسكان الواو لغة شاذة، وقولك: هذا لغة بها جاء القرآن فكيف تحاذي إحداهما الأخرى إلاّ أن يتجازيا من جهة أخرى على قوله وذلك أن قولك: هو، الاسم منه عنده الهاء، والاسم من هذا الذال، وهذا قوله بلا اختلاف عنه. ومن التخليط أن قولك: هذاه، الهاء عنده فيه لبيان الحركة وقد أثبتها في الوصل. وزعم الفرّاء: أن الدليل على أن الاسم الذال في هذا قول العرب في التثنية هذان فأسقطوا الألف، وهذا لا يلزم لأن الألف إنّما سقطت في التثنية لالتقاء الساكنين، ولم يجز قلبها فيقال: هذيان ولا هذوان؛ لأنه لا يُعلَمُ أنها منقلبة من ياء، ولا واو فتُقلَبُ إلى إحداهما فلم يبق إلاّ الحذف ﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ نعت وإنْ شئت بدل، وإنْ شئت عطف البيان. وزعم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٧٦] أن الأمين بمعنى الآمن، وأنشد:

أَلَمْ تَعْلَمِي يا أَسْمَ ويحكِ أَنَّني ... حَلَفْتُ يميناً لا أَخُونُ أَمِيني

قال أبو جعفر: وخولف الفرّاء في هذا فقيل: أمين بمعنى مأمون في الآية والبيت جميعاً.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان في أحسَنِ تقويم﴾ [٤]

تكلّم العلماء في معناه، فعن ابن عباس قال: خلق كل شيء منكبّاً إلاّ الإنسان، وقال عكرمة: ﴿في أحسن تقويم﴾ الشباب والقوة والجلد، وقال مجاهد والنخعي: ﴿في أحسن تقويم﴾ في أحسن صورة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٤٣]. وهذا أحسن ما قيل فيه؛ لأن التقدير في العربية في تقويم أحسن تقويم أُقيم مقام المنعوت أي في تقويم أعدل تقويم وصُورة.

﴿ثُمّ رددْناهُ أسفَلَ سافِلِينَ﴾ [٥]

فيه اختلاف أيضاً. فعن ابن عباس: إلى أرذل العمر [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٤٣]، وعن عكرمة: إلى النار، وزعم محمد بن جرير أن الصواب إلى أرذل العمر أي إلى الهرم، ويكون هذا لخاصّ من الناس، واستدلّ على صواب هذا: أن الله جلّ وعزّ إنّما عدّد ما شاهدوه من قدرته من خروج الإنسان من الشباب إلى الهرم ولا يعدّد عليهم ما لا يقرّون به من دخول النار. وقال

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾

غيره: هذا لا يلزم؛ لأن حجج الله ظاهرة، وقد ظهرت آيات نبيه ﷺ فوجب أن يكون كل ما أخبر به بمنزلة المُعَايَن.

﴿إلاّ الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَات..﴾ [٦]

مَن قال: المعنى في أسفل سافلين إلى النار جعل ﴿الذين آمنوا﴾ في موضع نصب استثناء من الهاء التي في رددناه؛ لأنها بمعنى جمع، ومَن قال: «إلى أسفل سافلين» إلى أرذل العمر جعل ﴿الذين﴾ استثناء ليس من الأول، وقيل: في الكلام حذف الاستثناء منه. والتقدير: ثمّ رددناه إلى الهرم والخرف حتى صار لا يقدر على عبادة الله جلّ وعزّ وأداء فرائضه، ولا يُكتَب له شيء لهم مثل ما كانوا يعملون. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فَلَهُمْ أجرٌ غَيرُ مَمْنُون﴾ قال: يقول: غير منقوص.

﴿فَمَا يُكذِّبُك بَعدُ بالدِّين﴾ [٧]

تكلّم النحويّون في هذه الكلمة وفي بيانها: اختلاف حركتها وتنوينها وغير تنوينها بضعة عشر جواباً: فمن ذلك أن النحويين مجمعون على أنّ (قَبْلُ وبَعدُ) إذا كانا غايتين فأصلهما ألا يُعرَبا، وأجابوا في علّة ذلك بأجوبة، فمن أصحّها أن سبيل تعريف الأسماء أن تكون الألف واللام أو بالاضافة إلى معرفة، فلمّا كانتا قد عُرّفتا بغير تعريف الأسماء وَجبَ بناؤهما، وقال علي بن سليمان: لمّا كانتا متعلّقتين بما بعدهما، وقيل: لمّا لم يتصرّفا بوجوه الإعراب ولم يتمكّنا وجب لهما البناء، فهذه ثلاثة أجوبة.

فإن قيل: لِمَ وَجَبَتْ لهما الحركة؟ فالجواب أن سيبويه [الكتاب: ٢/ ٤٥] قال: وأما المتمكّن الذي جُعِلَ في موضع بمنزلة غير المتمكن فقولهم: ابدأ بهذا أولُ ويا حَكَمُ أقبِل. وشرح هذا أنّ (أولُ وقبلُ وبعدُ) لما وجب ألا يُعربْنَ في موضع وقد كُنّ يعربن في غيره كره أن يُخلينَ من حركة فضممْن، فإن قيل: فلِمَ لا فُتحن أو كُسِرن؟

في هذا السؤال خمسة أجوبة: منها أن الظروف يدخلها النصب والخفض إذا لم تعتلّ فلا يدخلها الرفع فلما اعتلّت ضُمّتْ؛ لأن الضمة من جنس الرفع الذي لا يدخلها في حال سلامتها، وقيل: لمّا أشبهت المنادى المفرد أعطيت حركته، وقيل: لمّا كانت غاية أعطيت غاية الحركات، فهذه ثلاثة أجوبة في الضم للبصريين لا نعلم لهم غيرها، والجوابان الآخران للكوفيين: قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٣٢١]: لمّا تضمّنت قبلُ وبعدُ معنيين ضُمّتا. قال أبو جعفر: وشرح هذا أنّهما تَضمّنتا معناهما في أنفسهما ومعنى ما بعدهما فأُعطيَتا أثقلَ الحركات، وقال هشام: لم يجز أن يفتحا فيكونا كأنهما مضافتان إلى ما بعدهما، ولا يكسران فيكونا كالمضاف إلى

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾

المُخَاطَب فلم يبقَ إلاّ الضم. قال أبو جعفر: فهذه تسعة أجوبة، وأجاز الفرّاء آتيك بَعْدٌ يا هذا، بالضم والتنوين وأنشد:

ونحنُ قتلنا الأزدَ أزدَ شنوءةٍ فما شربُوا بَعْدٌ على لذّةٍ خَمْرا

[معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٢١]

قال أبو جعفر: وهذا خارج عما جاء به القرآن وكلام العرب والمعقول لا حجّة له في البيت إن كان يُعرَفُ قائله لأنه بغير تنوين جائز عند أهل العلم بالعروض، كما أنشدوا:

شاقتكَ أحداجُ سُلَيمى بِعَاقِلِ فعيناكَ لِلبينِ تجودانِ بالدمعِ

وأجاز أيضاً: رأيتُك بَعداً يا هذا. قال أبو جعفر: فهذا نظير ذلك أن يكون أراد النكرة، وأجاز هشام: رأيتُك بَعدَ يا هذا، جعله منصوباً وأضمر المضاف إليه فكأنه زعم أن قد نطق به لمّا كان في النيّة، وزعم الفراء والأخفش [معاني القرآن: ٢/ ٧٤٠] أنّ المعنى فمَنْ يكذّبك بَعدُ بالدين. قال أبو جعفر: وهذا لا يعرج عليه، ولا تقع ﴿ما﴾ بمعنى «مَن» إلا في شذوذ، والمعنى ها هنا صحيح أي فما يحملك يا أيها المكذّب، فأيُّ شيء يحملك على التكذيب بعد ظهور البراهين والدلائل بالدين الذي جاء بخبره من أظهر البراهين.

﴿أليسَ الله بأحكَم الحَاكِمِين﴾ [٨]

أي في تدبيره وصنعه، لا يدخل دينك فسادٌ ولا تفاوت، وليس كذا غيره.

٩٦ ـ سورة العَلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾

شرح إعراب سورة العلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿اقرَأ باسمِ رَبِّكَ...﴾ [١]

في موضع جزم على قول الكوفيين. والعامل فيه عند الفرّاء لام محذوفة، وعلامة الجزم حذف الضمة. وهو عند البصريين غير معرب؛ لأنه لا يضارع الأسماء فيعرب، وحكى أبو زيد والكسائي **﴿اقْرَ﴾** على بدل الهمزة فيصير كقولك: اخشَ، ومثل هذا قول زهير:

وإن لا يُـبْـدَ بـالـظُّـلـم يَـظـلِـم

وقد قيل: إن على هذا قراءة الجماعة **﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾** [البقرة: ٦١] وأنه مأخوذ من الدناءة. **﴿الَّذِي خَلَقَ﴾** في موضع خفض نعت لربك أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ أو في موضع نصب بمعنى أعني.

﴿خلقَ الإنسان مِن عَلَق﴾ [٢]

الإنسان بمعنى جماعة فلذلك قال: علَق، وهو جَمْعُ عَلَقة [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٧٨].

﴿اقرَأ وربُّكَ الأكرَمُ﴾ [٣]

وحذف المفعول أي اقرأ ما أُنزِلَ اليك، وربّك الأكرم لا يخليك من الثواب على قراءتك.

﴿الذي عَلَّمَ بالقلَم﴾ [٤]

نعت للذي الأول.

﴿عَلَّمَ الإنسان ما لَم يَعلَم﴾ [٥]

﴿كلاّ..﴾ [٦]

أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾

مفعولان. ومن قال: إن ﴿كَلَّآ﴾ تمام في جميع القرآن قال: المعنى ليس يجب أن يَدعُوا الفكْرَ فيما بيّنَهُ الله من خلقكم مما يدلّ على وحدانيته، وأنه لا شبهَ لَهُ ﴿إِنَّ الانسان لَيَطْغَى﴾ جاء على فَعَلَ يفْعَلُ؛ لأن فيه الغَيْنَ.

﴿أن رَّآهُ استغنى﴾ [٧]

فجاء المفعول متصلاً، ولم يستعمل رأى نفسه، لأنه من أخوات ظَنَنْتُ.

﴿إنّ إلى رَبّك الرُّجعَى﴾ [٨]

في موضع نَصب، ولم يتبين فيه الإعراب لأنّ في آخره ألفاً.

﴿أرأيتَ الذي ينهى﴾ [٩]

﴿عَبْداً إذا صَلّى﴾ [١٠]

﴿أرأيتَ إنْ كانَ على الهُدَى﴾ [١١]

﴿أو أمَرَ بالتّقْوَى﴾ [١٢]

وحُذف الجواب لِعلم السامع، وكذا ﴿أرأيتَ إنْ كانَ على الهُدَى﴾، ﴿أو أمَرَ بالتّقْوَى﴾.

﴿أرأيتَ إنْ كَذّبَ وتولّى﴾ [١٣]

أي مع مَنْعِهِ من الصلاة إنْ كذَّبَ الله ورسوله وتولّى عن طاعته.

﴿ألَمْ يَعلَمْ بأنّ الله يَرى﴾ [١٤]

﴿كلاّ..﴾ [١٥]

أي يراه ويعلم فِعلَهُ فيعاقبه عليه ومن قال: ﴿كلاّ﴾ التمام قال: المعنى ليس الأمر على ما قدّره من أنه يتهيأ له أن يمنعه من الصلاة ﴿لَئِن لّم يَنتهِ﴾ حذفت الياء للجزم، ومن أثبتها في غير القرآن قدّرها متحركة ﴿لنسفعاً﴾ الوقف عليه بالألف فرقاً بينه وبين النون الثقيلة ولأنه بمنزلة قولك: رأيتُ زيداً، كما قال:

ولا تَحْمَدِ الشيطانَ واللهَ فاحْمَدا

﴿بالناصية﴾ ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ [١٦]

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

على البدل. والفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٧٩] يقول: على التكرير، وأجاز ﴿نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾ لأنها نكرة بعد معرفة.

﴿فَلْيَدْعُ ناديه﴾ [١٧]

حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه اتساعاً أي: أهل ناديه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٤٦].

﴿سَنَدْعُ الزبانية﴾ [١٨]

كتب بغير واو على الإدراج، ولا يجوز الوقف عليه.

﴿كلا لا تُطعْهُ..﴾ [١٩]

أي: في ما ينهاك عنه من الضلالة ﴿واسجُدْ واقتَرِبْ﴾ إلى الله جلّ وعزّ بطاعته فإنه يعصمك ويمنع منك. وفي الحديث: «أقرَبُ ما يكونُ العَبدُ من الله تعالى إذا كانَ ساجداً، فأكثِروا من الدعاء في السجود فإنه قمِنٌ أن يُستجاب لكُمْ» [م: ١٠٨٣، د: ٨٧٥، ن: ١١٣٦، حم: ٢/٤٢١].

٩٧ ـ سورة القَدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾

شرح إعراب سورة ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنّا..﴾ [١]

أصله إنّنا فحُذفت النون لاجتماع النونات ولأنها زائدة ﴿أنزلناهُ﴾ النون والألف في موضع رفع بالفعل، وأُسكنَتِ اللام لاتصالها بالمُضمر المرفوع اتباعا لمّا تتوالى فيه الحركات، والهاء في موضع نصب، وحُذفت الواو بعدها لسكونها وسكون الألف، وإن الهاء ليست بحاجز حصين لخفائها وبعدها، وقيل: لاجتماع حرفَي مدّ ولين فحذف أحدُهما، والهاء كناية عن القرآن، وإن كان لم يتقدم له ذكر في هذه السورة، وأكثر النحويين يقولون: لأنه قد عُرِفَ المعنى، كما قال:

ألا ليتني أفديكَ منها وأفتدي

[ديوان طرفة بن العبد: ٢٢]

ومن العلماء من يقول: جازت الكناية في أول السورة لأن القرآن كُلَّهُ بمنزلة سورة واحدة؛ لأنه أنزل جُملةً إلى السماء الدنيا وسنذكر هذا بإسناده، وقول ثالث بيّنٌ حسن وهو إنا أنزلناه يدلّ على الإنزال والمنزل، كما حكى النحويّون [الكتاب لسيبويه: ١/٣٩٥]: من كذب كانَ شراً لهُ؛ لأن كَذَبَ يدلّ على الكَذِبِ، وأخفيت ليلة القدر على الناس إلاّ ما جاء في الحديث من أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان، فقيل: انما أُخفيت لفضل العمل فيها لئلاّ يدع الناس العمل في غيرها والاجتهاد ويتكلوا على فضل العمل فيها، وقيل: لأنها مختلفة تكون في سَنَة لثلاث وعشرين ثم يكون في غيرها.

وأمّا الحديث في تنزيل القرآن جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فصحيح غير مدفوع عند أهل السُنّةِ، وإنّما يدفعه قول من أهل الأهواء كما قُرئَ على محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف بن موسى قال: حدّثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤﴾

قوله ﴿إِنَّا أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ قال: أُنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فكان بموقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله بعضه في إثرِ بعض فقالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢].

فأمّا تسميتُها بليلة القدر ففيه قولان: أحدهما أنها ليلة الجلالة والتعظيم من قولهم: لفُلان القدرُ، والقول الآخر، وهو الذي عليه العلماء المتقدمون، أنّها سُمّيتْ ليلة القدر؛ لأنها تقدّر فيها آجال العباد وأرزاقهم كما قال قتادة: يقدّر في ليلة القدر ما يكون إلى السنة الأخرى من الآجال والأرزاق.

﴿وما أدراك..﴾ [٢]

﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء و ﴿أدراك﴾ فعل ماض في موضع الخبر والكاف في موضع نصب ﴿ما ليلةُ القَدر﴾ مبتدأ وخبره، فيه معنى التعظيم.

﴿لَيلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شَهرٍ﴾ [٣]

مبتدأ وخبره أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٨٠]. هذا البينُ، وإنْ كان قد روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنه قال: هي ألف شهر وَلِيَتْ فيها بنو أمية. قال: وكان النبي ﷺ قد أُرِيَهُم على المنابر فهاله ذلك فأُحصِيت ولايتهم بعد ذلك فكانت كذلك. فهذا حديث مَرويّ ليس في ظاهر التلاوة ما يدلّ عليه، والله أعلم.

﴿تَنزّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها بإذن رَبِّهِم..﴾ [٤]

الأصل تتنزّلُ فحذفت التاء لاجتماع تاءين، وقال أهل التفسير: ﴿بإذن ربّهم﴾ بأمر ربهم ﴿مِن كُلِّ أمرٍ﴾ هذا تمام الكلام عند النحويين منهم الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٨٠]، والمعنى على قولهم: تنزّل الملائكة والروح فيها بأمر ربهم أي ينزلون بأمر الله الذي فيه الآجال والأرزاق إلى السماء الدنيا، من كلِّ أمر أي من كلّ أمر فيه الرزقُ والأجل والحجّ لمن يحجّ وغير ذلك، وحكى أبو عبيد أنه روي عن ابن عباس وعكرمة أنهما قرآ ﴿من كلّ امرىءٍ﴾. قال إسماعيل بن إسحاق: لم يذكر أبو عُبيد إسنادهُ ولعلّه ضعيف. قال أبو جعفر: إسناده ضعيف بغير لعلّ، رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد لا يُعرجُ عليه وهو مخالف للمصحف الذي تقوم به الحجّة، فمن جاء به هكذا قال: التمام ﴿من كل امرئ سلامٌ﴾، كما قال الشعبي من كل امرئ من الملائكة سلامٌ على المؤمنين والمؤمنات.

وقيل: المعنى من كل أمر مخيف سلامٌ أي سلامة، وعلى قراءة الجماعة ﴿سلامٌ﴾ مرفوع

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

على خبر هي كما تقول: قائمٌ زيدٌ، أي هي سلامٌ أي ذات سلامة، كما قرئ على محمد بن حفص عن يوسف بن موسى قال: حدثنا جرير عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ﴿سلامٌ هِيَ﴾ قال: لا تعمل فيها الشياطين، ولا يجوز فيها السحر ولا يحدث فيها شيء إلى الفجر.

قال يوسف: وحدثنا تميم بن زياد قال: حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية ﴿سلامٌ هِيَ﴾ قال: خَيْرٌ كلها إلى مطلع الفجر، وروى الضحّاك عن ابن عباس قال: تُصفدُ فيها مَرَدة الشياطين، وتقبل فيها التوبة. فهذه أقوال المتقدمين من أهل التفسير، وقال بعد المتأخرين: معنى ﴿سلامٌ هِيَ﴾ إنما يقضى فيها الخير من الأرزاق والحج، والشر يُقضى في غيرها، يذهب إلى أن ليلة النصف من شعبان قد جاء فيها حديث من تقدير الأشياء، فهذه أقوال المتقدمين والمتأخرين والله أعلم بما أراد.

﴿حتى مطلع الفجر﴾ [٥]

بفتح اللام قراءة العامة، وقال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٨٠]: وقرأ يحيى بن وثاب وحده ﴿حتى مطلِعَ الفَجر﴾. قال أبو جعفر: وهي قراءة أبي رجاء العطاردي. وأحسن ما قيل في هذا قول سيبويه [الكتاب: ٢/ ٢٤٨] قال: وقد كسروا المصدر قالوا: أتيتُك عِندَ مطلِعِ الشمسِ أي عند طلوع الشمس [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٤٨]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٨٠، ٢٨١]، هذه لغة بني تميم، وأما أهل الحجاز فيقولون: مطلَعٌ والمطلِعُ المكان.

قال أبو جعفر: شرح هذا أنه ما كان على فَعَل يفعُلُ فالباب فيه أن يكون المصدر منه واسم المكان مَفْعَلاً بالفتح، وكان يجب أن يكون اسم المكان منه بالضم إلا أنه ليس في كلام العرب مَفْعُلٌ فلم يكن بدّ من تحويله إلى الفتحة أو الكسرة فكانت الفتحة أولى؛ لأنها أخفّ، والدليل على ما قلناه أنه ما كان على فَعَل يفعِل فالمصدر منه مفعل بالفتح، اسم المكان والزمان بالكسر. قالوا: جلَسَ مجلِساً وهو في مجلِسِك، وفي الزمان أتت الناقة على مَضرِبها بالكسر، فهذا يُبيّن لك أن الأصل مَطلَعٌ في المكان، ثم حُوّل إلى الفتح، ثمّ سُمع من العرب أشياء تُؤخذُ سَماعاً بغير قياس قالوا: مطلعَ لِلمكان الذي تطلُعُ فيه الشمس، وقال بعضهم: مَطلِعٌ للمصدر والفتح أولى؛ لأن الفتح في المصدر قد كان لفَعَل يَفعَلُ فكيف يكون في فَعل يفعُلُ، وأيضاً فإنّ قراءة الجماعة الذين تقوم بهم الحجة ﴿حتّى مَطلَع﴾ هذا في قوّته في العربيّة وشذوذ الكسر وخروجه من القياس. قال أبو حاتم: وفي حرف أبيّ ﴿سَلامٌ هي إلى مطلع الفجر﴾ قال أبو جعفر: وهذه القراءة على التفسير، ولا يجوز لأحد ان يقرأ بها لمخالفتها السواد الأعظم.

٩٨ ـ سورة البيّنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾

شرح إعراب سورة البيّنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لم يكُن الذين كفَرُوا مِنْ أَهلِ الكتاب والمُشرِكِينَ مُنفَكِّينَ حتى تأتيهُمُ البيّنةُ﴾ [١]

﴿يكن﴾ في موضع جزم [بلم]، وعلامة الجزم فيه حذف الضمة من النون، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين. فإن قيل: قد تحرّكتِ النون فلم حُذفت الواو؟ فالجواب أنها حركة عارضة، غير ثابتة فكأنها لم يكن، ولا تُعرّجْ على قول من قال: حُذفتِ الواو والضمة للجزم، ولا يجوز عند الخليل وسيبويه والكسائي والفرّاء حذف النون على لغة من قال: لم يك زيدٌ جالساً؛ لأنها قد تحرّكت وأجاز غيرهم حذفها كما قال:

ولاكِ اسقِني إن كانَ ماؤُكَ ذا فَضْلِ

[القرطبي في «تفسيره»: ٣/ ٢٦٥]

﴿والمشركين﴾ عطف على أهل، ولو كان عطفاً على الذين لكان مرفوعاً ﴿منفكّين﴾ خبر يكن، في معناه قولان: قال عطاء: منفكّين: بارحين، وبرح وزال في منهاج واحد. وقال غيره: منفكّين: متفرّقين. قال أبو جعفر: معنى القول الأول: لم يكن الكفار زائلين عمّا هم عليه حتّى يجيئهم الرسول فيبيّن لهم ضلالتهم، ومعنى القول الثاني: لم يكن الكفار متفرّقين إلاّ من بعد أن جاءهم الرسول؛ لأنهم فارقوا ما عندهم من صفة النبي ﷺ فكفروا بعد البيان [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٨١]. وهذا القول في العربية أولى؛ لأن منفكّين لو كان بمعنى زائلين لاحتاج الى خبر ولكن يكون من انفكّ الشيء من الشيء أي فارقه، كما قال ذو الرمّة [ديوانه: ١٧٣]:

قلائِصُ ما تنفكُّ إلاّ مناخةً على الخسف أو يرمي بها بلداً قفرا

[معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٨١]

وزعم الأصمعي أنّ ذا الرمة أخطأ في هذا. قال أبو جعفر: تأوّل الأصمعي «ما تنفكّ» ما

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾

تزال، والصواب ما قال المازني قال: أخطأ الأصمعي، وما تنفكّ كلام تامّ ثمّ قال: إلاّ مُناخَةً على الاستثناء المنقطع ﴿حتى تأتيهم البيّنة﴾.

﴿رَسُولٌ مِّنَ الله..﴾ [٢]

على البدل، ويجوز أن يكون بمعنى هي رسول من الله. قال الأخفش سعيد: وفي حرف أُبيّ ﴿رَسُولاً من الله﴾ [معاني القرآن: ٣/ ٢٨٢] على الحال. قال الضحّاك: الرسول: محمد ﷺ ﴿يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرةً﴾ قال: القرآن.

﴿فيها كُتُبٌ قيمةٌ﴾ [٣]

قال ابن زيد: مستقيمة معتدلة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٥٠].

﴿وما تفرّقَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ إلاّ من بعدِ ما جاءَتْهُمُ البيّنَةُ﴾ [٤]

يدلّ على أنّ الجواب الثاني في منفكّين.

﴿وما أُمِرُوا إلاّ ليعبُدُوا الله..﴾ [٥]

من القرّاء من يقول: هذه لام أنْ، أي: إلاّ أن يعبُدُوا الله، وأصل هذا للفراء. فأمّا البصريّون فهي عندهم لام كي، أي: أُمروا بهذا كي يعبدوا الله مخلصين له الدين ﴿حُنَفاء﴾ على الحال. قال قتادة: الحَنيفيّةُ: الختان وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمّات والخالات والمناسك. قال الضحّاك: الحجّ. قال أبو جعفر: أصل هذا أن الحَنَف المَيلُ، فقيل: حنيف للمائل إلى الإسلام مَيلاً لا خلل فيه ولا رجوع ﴿ويُقيموا الصّلاة ويُؤتوا الزكاة وذلك دِينُ القيّمة﴾ وهذا دليل قاطع على أن الإسلام قول وعمل. قال جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وبيّنَ إن إقام الصّلاة وإيتاء الزكاة دين القيّمة.

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٨٢]: وفي حرف ابن مسعود ﴿الدين القيّمة﴾ وزعم أنه إضافة الشيء إلى نفسه، وذلك محال عند البصريين لأنك إنما تضيف الشيء إلى ما تبيّنُهُ به فتضمه إليه، فمحالٌ أن تُبيّنه بنفسه أو تضمه إلى نفسه، فالتقدير عندهم: دين الجماعة القيّمة، وقيل: دين المِلّةِ القيمة. ولهذا وقع التأنيث.

﴿إنّ الّذين كَفَروا مِنْ أهلِ الكِتابِ والمُشرِكينَ..﴾ [٦]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾

﴿إن الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات أُولئك هُمْ خَيرِ البريّةِ﴾ [٧]

والمشركين في موضع خفض عطف على أهل، ويجوز النصب عطفاً على الذين **﴿في نارِ جهنّمَ﴾** في موضع الخبر **﴿خالدين فِيها﴾** على الحال **﴿أولئك هُمْ شَرُّ البَرِيَّة﴾** خبر بعد خبر، ويجوز أن تكون الجملة خبر **﴿إنّ﴾** مثل **﴿إن الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات أُولئك هُمْ خَير البريّةِ﴾**.

بغير همز قراءة الجماعة، وهو المعروف من كلام العرب، وقرأها نافع بالهمز [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٥٠]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٨٢]. أخذها من برأ الله الخَلْقَ، ومن لم يهمزها أخذها من البَرا، وهو التراب وترك الهمز، وهو الأصل عنده، والبريّة: الخلق، كما قُرِئ على أحمد بن شُعَيب بن علي عن أبي كريب، ثنا عبد الله بن إدريس، سَمِعتُ المختار بن فُلفُل، سمعت أنس بن مالك يقول: قال رجل لرسول الله ﷺ: يا خيرَ البَرِيّة فقال: «ذلك إبراهيم ﷺ» [م: ٦٠٩٠، ٦٠٩١، د: ٤٦٧٢، ت: ٣٣٥٢].

قال أبو جعفر: ولا معنى لاحتجاج من احتجّ بأن الأنبياء صلوات الله عليهم والمؤمنين أفضَلُ من الملائكة صلوات الله عليهم بهذه الآية؛ لأن الملائكة من الذين آمَنُوا وعملوا الصالحات.

﴿جزاؤُهُمْ عِندَ رَبهم جنّاتُ عَدْنٍ..﴾ [٨]

مبتدأ وخبره. قال ابن مسعود: **﴿جنّاتُ عَدْنٍ﴾**: بُطنانُ الجنة أي وسطُها. قال أبو جعفر: يقال: عَدَنَ بالمكان إذا أقام به **﴿خالِدين فيها﴾** حال **﴿أبداً﴾** ظرف **﴿رَضِيَ الله عنهُم ورَضُوا عَنْه﴾** من ذوات الواو انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها. والرضى بالألف والتثنية بالواو رضَوان، ولا معنى لحكاية من حكى رِضَيان **﴿ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾** قيل: أي لمن اتّقى الله في الدنيا في سِرّه وعلانيته فأدّى فرائضه واجتنب مَعاصِيهُ.

٩٩ ـ سورة الزلزَلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾

شرح إعراب سورة إذا زُلْزِلَت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذا زُلزِلَتِ الأرضُ زلزالَها﴾ [١]

﴿إذا﴾ في موضع نصب ظرف زمان، والعامل فيها زُلزلت ﴿زلزالها﴾ مصدر كما قال: أكرمتُك كرامتَك والمعنى كرامةً، وكذا المعنى زُلزلت زلزالاً. وحسنت الإضافة لتتفق الآيات. والكسائي والفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٨٣] يذهبان إلى أن الزِّلزال مصدر والزَّلزال اسم وأنه يقال: وَسْوَسَهُ وَسواساً، والوَسواسُ الاسم. وقرأ عاصم الجحدري ﴿وَزُلْزِلُوا زَلزالاً شَديداً﴾ [الأحزاب: ١١] بالفتح، وقرأ ﴿إذا زُلزِلَت الأرض زَلزالها﴾.

﴿وأخرجتِ الأرض أثقالَها﴾ [٢]

جمعُ ثَقل والثِّقلُ في الأذن.

﴿وَقالَ الإنسان مَالَها﴾ [٣]

﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء، وهو اسم تام.

﴿يومئذ تُحدّث أخبارها﴾ [٤]

قال أبو جعفر: لأن معنى تُحدّثُ وتُخبّرُ واحد. ودلّ هذا على أن معنى حدّثنا وأخبرنا واحد.

﴿بأنّ ربّكَ أوحى لَها﴾ [٥]

ويقال: وَحَى له وإليه فيهما.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾

﴿يومَئِذ يَصْدُرُ النّاس أشتاتاً﴾ [٦]

نصب على الحال. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٤٨]: اجتمع القرّاء على ﴿لِيُرَوا أعمالَهم﴾ قال أبو جعفر: حكى أبو حاتم أن عبّاد بن كثير قال: بلغني أنّ النبي ﷺ قرأ ﴿لِيَرَوا أعمالَهم﴾. قال أبو جعفر: في الكلام تقديم وتأخير عند النحويين أي يومئذ تحدّث أخبارها لِيُرَوا أعمالهم.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مثقالَ ذَرّة خيراً يرَهُ﴾ [٧]

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وهو اسم تام. و ﴿يعملْ﴾ جُزم بالشرط و﴿خيراً﴾ منصوب على البيان أو بدل من مثقال ﴿يَرَهُ﴾ جواب الشرط.

﴿ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّة شرّاً يرَهُ﴾ [٨]

حذفت الألف منه للجزم، وكذا ﴿ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّة شرّاً يرَهُ﴾ فدلّ ظاهر الكلام على أنّ كلّ مَنْ عمل شيئاً رآه من مؤمن وكافر، وأنّ الكافر يجازى على عمله الحسن في الدنيا من دفع مكروه، وكذا الأحاديث على هذا، أنّ الكافر يجازى على حسن عمله في الدنيا، ولا يكون له في الآخرة خيرٌ، وأنّ المؤمن على الضدّ من ذلك نصيبه المصائب في الدنيا وأجره مُوَفّرٌ عليه في الآخرة.

١٠٠ ـ سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾

شرح إعراب سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والعَادِيَاتِ..﴾ [١]

خفض بواو القسم. وللعلماء في معناه قولان: روى مجاهد وعكرمة عن ابن عباس أنها الخيل، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنها الإبل وكذا قال ابن مسعود، وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس سألني رجل عن ﴿والعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ فقلت: هي الخيل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٥٣]، [ومعاني القرآن: ٣/ ٢٨٤]، فمضى الى علي بن أبي طالب فأخبره فبعث لي فأحضرني فقال لي: أتتكلّمُ في كتاب الله بغير علم؟ والله إن أوّل غزوة كانت لَبدر، وما كان معنا إلاّ فرسَانِ، فرسٌ للزبير وفرسٌ للمقداد بن الأسود إنّما العاديات مِنْ عَرَفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منىً. ونظير هذا ما حدّثناه البهلول بن إسحاق بن البهلول بن حسان، ثنا إسماعيل بن أبي أويس، ثنا كثير بن عبد الله المزنيّ قال: كنتُ عند محمد بن كعب القُرظيّ فجاءه رجل فقال: يا أبا حمزة إني رجل صَرُورَةٌ لم أحجج قط فعلّمني مما علّمك الله سبحانه. قال: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فاستفتح فاقرأ بسم الله الرحمن الرحيم خمس آيات ﴿والعاديات ضَبْحاً ۞ فالمُورياتِ قدحاً ۞ فالمُغيرات صُبْحاً ۞ فأثرنَ بِهِ نَقْعاً ۞ فَوَسَطْنَ به جَمْعاً﴾ أتدري ما هذا؟ قال: لا، قال: ﴿والعَاديات ضَبْحاً﴾ الرفع من عرفة ﴿فالمُورياتِ قَدحاً﴾ إلى المُزدلفة ﴿فالمُغيرات صُبْحاً﴾ لا تغير حتى تصبح ﴿فأثَرن به نقعاً﴾، ﴿فَوَسَطْنَ به جَمْعاً﴾ يوم منى.

قال أبو جعفر: اختلف العلماء في معنى ﴿الموريات قدحاً﴾ فمذهب علي ابن أبي طالب وابن مسعود أنها الإبل، وروى مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال: الناس يورون النار ليراها غيرهم، وروى غيرهما عن ابن عباس الخيل، وقال قتادة: الخيل تشعل الحرب، وقال عكرمة: الموريات: الألسن. قال أبو جعفر: ولا دليل يدلّ على تخصيص شيء من هذه الأقوال،

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

فالصواب أن يقال ذلك لكل من أورى على أن المعنى واحد إذا كان التقدير: وربّ العاديات، ونصبتَ ﴿ضبحاً﴾ لأنه مصدر في موضع الحال. وعن ابن عباس الضَّبْحُ نَفْخُها بمشافرها. ونصبتَ ﴿قدحاً﴾ على المصدر؛ لأن معنى ﴿فالموريات﴾ فالقادحات.

﴿فالمغيرات﴾ عن ابن عباس أنها الخيل وعن ابن مسعود أنها الإبل ﴿صبحاً﴾ ظرف زمان ﴿فأثرنَ به نقعاً﴾ قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٨٤، ٢٨٥]: الهاء كناية عن الوادي، ولم يتقدّمْ له ذكر؛ لأنه قد عُرِفَ المعنى، وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس: النقع: الغبار. وَسَطْنَ وَوسَّطنَ وتَوَسَّطنَ واحد. وعن ابن عباس ﴿فَوَسَطْنَ به جَمْعاً﴾ من العدو. عن ابن مسعود ﴿جمعاً﴾ المزدلفة.

﴿إنّ الإنسان لِرَبِّهِ لكنودٌ﴾ [٦]

أهل التفسير على أن معناه لكفورٌ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٥٤] أي كفورٌ لِنِعَمِه [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٨٥]. قال الحسن: يتسخّطُ على ربه جلّ وعزّ ويلومه فيما يلحقه من المصائب، وينسى النِّعَمَ.

﴿وإنّهُ..﴾ [٧]

أي: وإن ربه ﴿على ذلِكَ لشهيدٌ﴾.

﴿وإنّهُ..﴾ [٨]

أي: وإنّ الإنسان ﴿لِحُبِّ الخيرِ لَشَديدٌ﴾ في معناه أقوال، قيل: لشديد القوى، وقول الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٨٥]: أن المعنى أن الإنسان للخير لشديد الحب، فالتقدير عنده: إنه لحُبِّ الخير لشديد الحب ثم حذف ما بعد شديد، والقول الثالث سَمِعتُ علي بن سليمان يقول كما تقول: أنا أكرِم فلاناً لك أي من أجلك أي وإنه من أجل حُب الخير أي المال لشديد أي لبخيل.

﴿أفلا يَعْلَم إذا بُعثِرَ ما في القُبورِ﴾ [٩]

﴿وَحُصِّلَ ما في الصُّدُورِ﴾ [١٠]

لا يجوز أن يعمل في ﴿إذا﴾ ﴿يعلم﴾، ولا ﴿لخبير﴾، ولكن العامل فيها عند محمد بن يزيد ﴿بُعْثِر﴾، وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَحُصِّلَ ما في الصُّدُورِ﴾ يقول: أبرز.

﴿إنّ رَبَّهُم بِهِمْ يومئذ لَخبيرٌ﴾ [١١]

كُسِرَتْ ﴿إنّ﴾ من أجل اللام. حكى علي بن سليمان عن محمد بن يزيد أنه يجوز فتحها مع اللام؛ لأنها زائدة، دخولها كخروجها إلا أنها أفادت التوكيد.

١٠١ ـ سورة القارِعَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧

شرح إعراب سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿القارِعةُ . .﴾ [١]

مرفوعة بالابتداء والخبر في الجملة، وقيل: هي مرفوعة بإضمار فعل، والتقدير: ستأتي القارعة. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿القارعةُ﴾ من أسماء القيامة عظّمه الله وحذّر منه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٥٥].

﴿وما أدراك ما القارعةُ﴾ [٢]

قال أبو جعفر: تعظيم لها، ونصب ﴿يومَ﴾ ستأتي على قول من أضمره، ومن لم يضمره فالتقدير عنده: القارعة.

﴿يومَ يكونُ الناسُ كَالفَرَاشِ المبثوثِ﴾ [٤]

﴿وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾ [٥]

الكاف في موضع نصب خبر يكون [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٥٥]، وكذا ﴿وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾ وفي قراءة عبد الله ﴿كالصوف﴾ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٥٥]، والعِهْنُ جمعُ عِهْنَة.

﴿فأمّا مَن ثَقُلت مَوازِينُهُ﴾ [٦]

﴿فَهُوَ في عِيشَة راضِيةٍ﴾ [٧]

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء، والجملة الخبر. قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٨٧]: موازينه

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

أي وَزْنُه. ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ قال مجاهد: يرضى بها. قال أبو جعفر: التقدير في العربية ذاتِ رِضى على النسب.

﴿وأمّا مَن خفّت موازينُهُ﴾ [٨]

﴿فأمُّهُ هاوِيَةٌ﴾ [٩]

قول الأخفش: أي بمعنى: أمّه مُستقرّهُ، وهاوية: نارٌ، وأنشد:

هَوَتْ أمُّهُ ما يبعثُ الصُّبحَ غادِياً ... وماذا يُؤدِّي اللّيلُ حِينَ يؤوبُ

[الأصمعيات: ٩٧]

وقال غيره: ﴿فأمه هاوية﴾ أصله هاوٍ أي: هالك، لأن أمّ الشيء أصله ومعظمه ومنه قيل للحمد: أمّ القرآن، ومنه قول الشاعر:

لأمّ الأرضِ وَيلٌ ما أجنّتْ ... غَداةَ أضرَّ بالحَسَنِ السّبيلُ

[الأصمعيات: ٢٨]

﴿وما أدراكَ ماهِيَهْ﴾ [١٠]

﴿نارٌ حامِيَةٌ﴾ [١١]

جيء بالهاء لأنّ من العرب من يقول: هِيْ بإسكان الياء فتثبت الهاء على لغة من حرّكها ليفرق بينها وبين لغة من أسكنْ فإن وصلت لم يجز إثبات الهاء؛ لأن الحركة قد تثبت، والصواب أن يُوقفَ عليه يتبعُ السواد ولا يَلحَنُ، وسمعتُ علي بن سليمان يقول: من قال: أصل وأريد الوُقُوف، فقد أخطأ؛ لأنه يلزمه أن لا يُعرب الأسماء في الإدراج ويُريدُ الوقوف. قال أبو جعفر: وهذا حجّة بيّنة صحيحة. ﴿نارٌ حامِيَةٌ﴾ بإضمار مبتدأ.

١٠٢ ـ سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾

شرح إعراب سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلهَاكُمُ التكاثُرُ﴾ [١]

﴿حتى زُرتُمُ المقابِرَ﴾ [٢]

﴿كلاَّ سوفَ تعلمونَ﴾ [٣]

أصوب ما قيل في معناه أن المعنى: ألهاكم التكاثر عن طاعة الله جلّ وعزّ إلى أن صرتم إلى المقابر فدُفنتُم، ودلّت هذه الآية على عذاب القبر؛ لأنّ بعدها ﴿كلاَّ سوفَ تعلمونَ﴾ أي إذا صرتم إلى المقابر. وروي عن زر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، نزل في عذاب القبر ألهاكم التكاثر، وقرأ إلى ﴿كلاَّ سوف تعلمُون﴾. قال الفرّاء: واحد المقابِر مَقْبَرَةٌ ومَقْبُرَةٌ، وبعض أهل الحجاز يقول: مَقبِرةٌ، وقد سمعتُ مَشْرَقَةٌ ومَشْرُقَةٌ ومَشرِقَةٌ.

﴿كلاَّ سوف تعلمُون﴾ [٣]

﴿ثمّ كلاَّ سوف تَعلمُونَ﴾ [٤]

تكرير عند الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٨٧]. وأحسن منه ما قاله الضحّاك قال: الأولى للكفار، وذَهب إلى أن الثانية للعصاة من المؤمنين.

﴿كلاَّ لو تَعلمون عِلمَ اليقين﴾ [٥]

مصدر، وحذف جواب لو، والتقدير: لو تعلمون أنكم تَرَونَ الجحيم لمّا تكاثرتم في الدنيا بالأموال وغيرها. قال الكسائي: جواب ﴿لو﴾ في أول السورة أي لو تعلمُون عِلْم اليَقين ما ألهاكم التكاثر.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

﴿لَتَرَوُنَّ..﴾ [٦]

وقرأ الكسائي: بضمّ التاء ﴿لَتُرَوُنَّ﴾. حكاه أبو عُبيد عنه، وقرئ على إبراهيم بن موسى عن محمد بن الجهم عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّهُ قرأ ﴿لَتُرَوُنَّ الجحيم ثُمَّ لَتَرونَّهَا﴾ الأولى بضمّ التاء والثانية بفتحها. قال أبو جعفر: والأولى عند الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٨٨] وأبي عبيد فتحها؛ لأن التكرير يكون متفقاً. قال أبو جعفر: والأحسن ألا يكون تكريراً، ويكون المعنى لَتُرَوُنَّ الجحيم في موقف القيامة.

﴿ثُمَّ لَتَرونَّهَا..﴾ [٧]

إذا دخلتم النار ﴿عَيْنَ اليَقِينِ﴾ مصدر؛ لأن المعنى لتعاينَنّها عياناً.

﴿ثُمَّ لَتُسألنَّ يومئذ عنِ النَّعيم﴾ [٨]

قيل: أي عن النعيم الذي يشغل عن طاعة الله جلّ وعزّ. وظاهر الكلام يدلّ على أنه عام، وأنّ الإنسان مسؤول عن كل نعيم تنعّم به في الدنيا من أين اكتسبه؟ وما قَصَد به؟ وهل نَفَل ما غيرُه أولى مِنْهُ؟ ويسند الظاهر من الأحاديث عن النبيّ ﷺ وأصحابه كما قرئ على محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف بن موسى قال: حدّثنا هشام بن عبد الملك قال: حدّثنا حمّاد بن سَلمَة قال: حدّثنا عمّار بن أبي عمّار قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: جاءني النبي ﷺ فأخرجنا أو قدمنا إليه رُطَباً أو بسراً [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٥٨]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٨٨] وماء فقال: «هذا من النعيم الذي تُسألون عنهُ». وحدّثنا علي بن الحسين عن الحسن بن محمد قال: حدّثنا داود بن مهرانَ عن داود بن عبد الرحمن عن محمد بن عيثم عن ابن عباس ﴿ثُمَّ لَتُسألُنَّ يومئذ عن النعيم﴾ قال: الأمن والصحّة [فتح القدير: ٥/ ٤٨٩].

١٠٣ ـ سورة العَصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿والعَصرِ﴾ [١]

التقدير: ورَبِّ العصر. ويدخل فيه كلُّ ما يسمى بالعصر؛ لأنه لم يقع اختصاص تقوم به حُجّة، فالعصر: الدهر [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٨٩]، [ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٥٩]، والعصر: العشي، والعصر: المَلجأ.

﴿إنّ الإنسانَ لَفِي خُسرٍ﴾ [٢]

الإنسان بمعنى الناس، والخسر دخول النار. فهو أكبر الخُسْران.

﴿إلاّ الّذين آمَنُوا..﴾ [٣]

﴿الّذين﴾ في موضع استثناء من موجب ﴿آمَنُوا﴾ صلته، وكذا ﴿وعمِلُوا الصّالحات وتَوَاصوا بالحَقّ وتَوَاصَوا بالصَّبْرِ﴾ لأنه معطوف.

١٠٤ ـ سورة الهُمَزة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾

شرح إعراب سورة الهُمَزَة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ..﴾ [١]

رفع بالابتداء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٦١] ويجوز نصبه لأنه بمعنى المصدر كما يجوز قُبوحاً له منصوب إلاّ أن الرفع في ﴿ويل﴾ أحسن؛ لأنه غير مأخوذ من فعل، والنصب في قُبوح أجود؛ لأنه مأخوذ مِن فِعْل. وفي نصب ﴿ويل﴾ قول آخر، يكون التقدير: قولوا ألزم الله ويلاً لكل هُمزة، وهذا مذهب سيبويه [الكتاب: ١/١٦٦، ٦٧]. قال مجاهد: ليست هذه خاصةً لأحد. قال أبو جعفر: وهذا قول صحيح في العربيّة؛ لأن سبيل كل أن تكون غير خاصة. قال أبو العالية: ﴿الهُمَزة﴾ الذي يعيب الناس في وجوههم، واللُّمَزةُ الذي يعيبهم من ورائهم. وسَمِعتُ علي بن سليمان يستحسن هذا القول. وقال ابن زيد: الهُمَزة الذي يهمز الناس ويضربهم بيده، واللُّمزة الذي يلمزهم ويعيبهم بلسانه [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٨٩].

﴿الذِي جَمَعَ مالاً وعَدَّدَهُ﴾ [٢]

﴿الذي﴾ في موضع رفع بمعنى: هو الذي، ويجوز النصب بمعنى: أعني الذي، ويجوز الخفض على البدل من كل. قرأ أبو جعفر ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ﴿جَمَّعَ﴾ بالتشديد. وقرأ الحسن وابن كثير وعاصم وأبو عمرو وشيبة ونافع ﴿جَمَعَ﴾. قال أبو جعفر: ﴿جَمَعَ﴾ بالتخفيف [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٦١] يكون للقليل والكثير، وجمّع لا يكون إلا للكثير. وروي عن الحسن ﴿وعَدَدَهُ﴾ بالتخفيف، وهي قراءة شاذة إن كان يريد عدّهُ ثم أظهر التضعيف كما قال:

إنّي أجُودُ لأقوَامٍ وإنْ ضَنِنُوا

[القرطبي في تفسيره: ٢/١٨٣]

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾

وهو بعيد، وإنما يجوز في الشعر، وإنْ كان يريد جَمَعَ مالاً وجَمَعَ عَدَدَهُ على أنه مفعول أي أحصى عَدَدَهُ فهو جائز.

﴿يحسِبُ أنّ مالَهُ أخلَدَهُ﴾ [٣]

﴿.. لَيُنبَذَنَّ في الحُطَمَةِ﴾ [٤]

يقال: هي لغة النبي ﷺ بكسر السين جاء على فَعِلَ يَفْعِل، وله نَظائِرُ يسيرة قد ذكرناها. ﴿أنّ﴾ وما عملت فيه في موضع المفعولين، والمعروف من قراءة الحسن ﴿.. لَيُنبَذَانِّ في الحُطَمَةِ﴾ بعينه وماله، وقد روي عنه ﴿لَيُنْبَذُنَّ﴾ بضم الذال [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٩٠]: فقيل: لا يجوز؛ لأنه إنما تقدّم ذكر اثنين، وقيل: هو الهُمزة واللُّمزة والذي جمع مالاً.

﴿وما أدراكَ ما الحُطَمَةُ﴾ [٥]

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٩٠]: اسم للنار، ولو كانت بغير ألف ولام لم تنصرف. قال أبو جعفر: يقال: حَطَمَهُ إذا كَسَرَهُ كما قال:

قَـد لَـفَّـهـا الـلَّـيـلُ بِـسَـوّاقٍ حُـطَـمْ

[الكتاب لسيبويه: ٢/ ١٤]

ورجلٌ حُطَمٌ أي أكولٌ.

﴿نارُ اللهِ ..﴾ [٦]

﴿التي تَطَّلِعُ على الأفئدةِ﴾ [٧]

أي هي نار الله ﴿المُوقَدَةُ﴾ نعت للنار، وكذا ﴿التي تَطَّلِعُ على الأفئدةِ﴾ اطَّلَعْتُ على فلان وطَلَعْتُ عليه أي بلغتُ، وواحد الأفئدة فؤاد.

﴿إنّها عليهم مُؤصَدَةٌ﴾ [٨]

خبر ﴿إنّ﴾ يقال: آصَدْتُ أُوصِدُ، فمن قال: أَوْصَدْتُ قال: موصَدَةٌ فلم يهمز، ومن قال: آصدتُ قال: مُؤصَدةٌ، وجاز أن يخفّف الهمزة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٦٢]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٩٠] فيقول: موصدةٌ، واللغتان حسنتان كثيرتان، وكذا أكّدتُ ووكّدتُ وهو التأكيد والتوكيد، وكذا أرّختُ وَورّختُ وهو التأريخ والتوريخ، وأكفتُ وأوكفتُ وهو الإكافُ والوِكافُ.

﴿في عَمَدٍ ..﴾ [٩]

هكذا روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وزيد بن ثابت وهي قراءة

....

عاصم ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ المدنيون وأبو عمرو ﴿فِي عَمَدٍ﴾ وإذا جاء الشيء على هذا الاجتماع خطر في الديانة أن يقال: إحداهما أولى من الأخرى. وأجود ما قيل: هكذا أُنزل كما قال النبي ﷺ: «أُنزل القرآن على سبعة أحرف كلّها شاف كاف» [الهندي في «كنز العمال»: ٣٠٧٥] ولكن تلخّص القراءات من العربية فيقال: عَمُودٌ وعُمُدٌ فهكذا فَعُولٌ وفَعِيلٌ وفِعالٌ يُجمعن على فُعُل نحو كتاب وكُتُب ورغيف ورُغُف، وقد قالوا: أديمٌ وأَدَمٌ، وهذا كعمود وعمد اسم للجمع لا جمع على الحقيقة وكذا أفيقٌ وأَفَقٌ وإهاب وأهَب ونعيمٌ ونَعَمٌ، وقال: خادم وخَدَمٌ.

فأمّا معنى ﴿فِي عَمَدٍ﴾ فقد تكلّم فيه أهل التفسير وأهل العربية، قال عطاء الخراساني: يعني عمداً من نار ممددة عليهم، وقال ابن زيد: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ أي هم مغلّلون بعمد من حديد قد احترقت فصارت ناراً، وقيل: تُوصَدُ عليهم الأبواب أي تُطبَقُ ويقام عليهم عمدٌ من حديد ليكون ذلك أشدّ ليأسهم من الخروج، وقيل: ﴿فِي عَمَدٍ﴾ أي بين عمد، كما تقول: فلان في القوم أي بينهم، وقيل: مع عمد، كما قال:

وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كانَ آخِرُ عَهْدِهِ ثَلاثِينَ شَهْراً في ثَلاثَةِ أَحْوالِ

[القرطبي في «تفسيره»: ١٣/ ١٦٢]

أي مَعَ، وسمعت علي بن سليمان يقول: ﴿فِي﴾ على بابها أي ثلاثين شهراً داخلة في ثلاثة أحوال. قال أبو جعفر: ومن أجلّ ما يُروى في الآية ما يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أتدرون كيف أبواب النار؟ قلنا: مثل أبوابنا هذه، فقال: لا، إنّ بعضها فوق بعض. ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾ بالخفض نعت لعَمَد، وبالرفع نعت لموصدة أو خبر بعد خبر.

١٠٥ ـ سورة الفِيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾

شرح إعراب سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحاب الفِيلِ﴾ [١]

حُذفت الألف من ترى للجزم، والأصل الهمزة فألقيت حركة الهمزة على الراء فحُذفت الهمزة. ﴿كيف﴾ في موضع نصب بفَعَل، وهي غير معربة لأنها في معنى الحروف وإن كانت اسماً، وفُتِحَتِ الفاء لالتقاء الساكنين.

﴿ألم يَجْعَل كيدهُم في تضْلِيل﴾ [٢]

أي في تضليل عمّا أرادوه.

﴿وأرسَلَ عليهم طَيراً أبابِيلَ﴾ [٣]

من أحسن ما رُوي فيه عن المتقدمين ما حدّثناهُ علي بن الحسين عن الحسن بن محمد قال: حدّثنا عفّان قال: حدّثنا حماد عن عاصم عن زر عن عبد الله: ﴿طَيْراً أبابيل﴾ قال: فِرقاً. وقُرِئ على محمد بن جعفر عن يوسف بن موسى قال: حدّثنا شهاب عن إبراهيم عن حُميد عن أبي خالد عن أبي صالح ﴿طيراً أبابيل﴾ قال: جمعاً بعدَ جمع. قال أبو جعفر: ومعروف في كلام العرب: جاؤوا أبابيل أي جماعة عظيمة كثيرة بعد جماعة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٦٣/٥].

مشتق من أبلَ عليه إذا كَثُرَ وجمع، ومنه سُمّيت الإبل لِعظم خَلْقها، وقد قيل: إنّ معنى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] أنها السحاب لِعظمها وإن كان القتبي رَدَّ هذا التفسير بغير حُجّة تثبت. وأصحّ ما قيل في واحد الأبابيل ما قاله محمد بن يزيد قال: واحدها إبيّل كسكين وسكاكين.

﴿ترميهم بحجَارة من سِجّيل﴾ [٤]

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

جمعه سَجَاجِيلُ.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكُولٍ﴾ [٥]

الكاف في موضع نصب مفعول ثان أي مأكول ما فيه، وهو قشر الحنطة، ويجوز أن يكون بمعنى مأكول للبهائم.

١٠٦ ـ سورة قُرَيش

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾﴾

شرح إعراب سورة لإيلاف [قريش]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لإيلافِ قريش﴾ [١]

﴿. . رحلَةَ الشتاء والصَّيفِ﴾ [٢]

مذهب الأخفش [معاني القرآن: ٢/٧٤٣] أن المعنى: فعَلَ بهم ذلك ليُؤلف قريشاً. وهذا القول الخطأ فيه بيّن، ولو كان كما قال لكانت لإيلاف بعض آيات ﴿الَمْ تَرَ﴾، وفي إجماع المسلمين على الفصل بينهما ما يدلّ على غير ما قال، وأيضاً فلو كان كما قال لم يكن آخر السورة تماماً، وهذا غير موجود في شيء من السور، وقيل: في الكلام حذف والمعنى: أعجبُوا لإيلاف قريش ﴿. . رحلَةَ الشتاء والصَّيفِ﴾ وتركهم عبادة رب هذا البيت، وهذا أعني الحذف مذهب الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٩٣] ويحتجّ له بأن العرب تقول: لله أبوك فيكون في اللام معنى التعجب وأصحّ من هذين القولين، وهو قول الخليل بن أحمد، أن المعنى: لأن يؤلف الله قريشاً إيلافاً.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذا البَيتِ﴾ [٣]

أي لهذا فليعبدوه. قال أبو جعفر: فهذا لا حذف فيه وهو من حسن النحو ودقيقه، وإنْ كان أصحاب كتب المعاني قد أغفلوه.

﴿إيلافِهِم. .﴾ [٢]

مخفوض على البدل كما تقول: عجبتُ من إحسانك إحسانِكَ إلى زيد، فأبدلتَ الثاني من الأول، وزدتَ في الفائدة للبيان، وروي عن يزيد بن القعقاع أنه قرأ ﴿إلفهم﴾ وروي عنه ﴿إلا فهم﴾ وهما مصدران من ألف يألف على فِعْل وفِعال، ففِعل مثل قولهم: حلم حلماً وعلم علماً وسخر سخراً، وفِعال مثل لقيتُه لقاء وصمتُ صياماً وكتبتُ كتاباً، أجاز الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٩٣] ﴿لإيلاف قريش إيلافهم﴾ على المصدر. قال أبو جعفر: ويجوز النصب أيضاً في إلفهم

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾

وإيلافهم بمعنى يألفون إلفاً ﴿رحلة الشتاء والصَّيف﴾ منصوبة بإيلاف وأجاز الفرّاء إيلافَهم رحلةَ الشتاء والصَّيف. قال أبو جعفر: يكون هذا على البدل، وتقديره إيلافهم إيلاف رحلة الشتاء والصيف.

﴿فلْيَعبُدُوا ربَّ هذا البيتِ﴾ [٣]

وإنْ شئتَ كسرتَ اللام على الأصل.

﴿الذي..﴾ [٤]

في موضع نصب نعت لربّ، ويجوز أن يكون في موضع رفع، أي: هو الذي ﴿أطعَمَهُم من جُوع﴾ صلة الذي ﴿وآمَنَهُم من خوف﴾ داخل في الصلة.

١٠٧ ـ سورة المَاعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾

شرح إعراب سورة [الماعون]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أرأيت الّذي يكذّبُ بالدّين﴾ [١]

هذه القراءة البيّنة، ويجوز أن تأتي الهمزة بين بين فتقول: أرايت ويجوز أريت بحذف الهمزة [معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٧٤٤]، وعن عبد الله بن مسعود ﴿أرأيتك﴾ [معاني القرآن: ٣/ ٢٩٤] والكاف زائدة للخطاب وهمزة بين بين متحركة بوزنها مخففة، كذا قال سيبويه، فأما قول من قال: هي لا ساكنة ولا متحركة فمُحال؛ لأنها إذا لم تكن ساكنة فهي متحركة وإذا لم تكن متحركة فهي ساكنة، فيجب على قوله أن تكون ساكنة متحركة. والدليل على أنها متحركة قوله:

أأنْ رَأت رجلاً أعشى أضرّ به ... ريبُ المَنون ودهرٌ مُفنِدٌ خَبِلُ

[ديوان الأعشى: ٥٥]

فلو قُلتَ: أانْ لكان الوزن واحداً. وهمزة بين بين كثيراً ما يُغلط فيها، وهي من أصعب ما في النحو، ومن دليل ما قلنا قوله عز وجل: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] فلو كانت همزة بين بين ساكنة لاجتمع ساكنان، وكذا أرأيت الياء ساكنة وهمزة بين بين متحركة، ومن أسكنها وكسر الياء فقد جاء بما لا يجوز وما لا وجه له ولا تقدير في العربيّة، ويجوز أن يكون ﴿أرأيت﴾ من رؤية العين فلا يكون في الكلام حذف وأن يكون من رؤية القلب فيكون التقدير: أرأيت الذي يكذّب بالدين بعد ما ظهر له من البراهين؟ أليس مستحقاً عذاب الله؟.

﴿فذلك الّذي يَدُعُّ اليتيمَ﴾ [٢]

وقرأ أبو رجاء ﴿يَدَعُ اليَتِيمَ﴾ مخففة أي يتركه.

﴿وَلا يَحُضُّ على طعام المسكين﴾ [٣]

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

قال الفرّاء [معاني القرآن: ٢/ ٢٩٤]: أي لا يحافظ على طعام المسكين ولا يأمر به [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٦٧].

﴿فَوَيلٌ لِلمُصَلِّين﴾ [٤]

﴿الذينَ هم عنْ صَلاتهم ساهُونَ﴾ [٥]

قال أبو العالية: هو الذي يسجد ويقول هكذا وهكذا أو التفت عن يمينه وشماله. قال أبو جعفر: وأولى من هذا القول، لعُلوّ من قال به ولصحته في العربيّة، ما حدّثناه علي بن الحسين عن الحسين عن الحسن بن محمد قال: حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش عن طلحة بن مُصرّف عن مُصعَب بن سعد عن سعد بن مالك، قال له رجل: **﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾** أهو حديث النفس في الصلاة؟ قال: كلّنا نجد ذلك، ولكنه يُضيّعُها لوقتها. وفي غير رواية طلحة بن مصرف أن سعداً قال: سألتُ النبيّ ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال: الذين يؤخّرونها عن وقتها.

﴿الذين هُم يُراءُون﴾ [٦]

أي لا يصلّون خوفاً من عقاب ولا رجاء لثواب، ولكن لينظرهم المسلمون [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٦٧]، فلا يسفكون دماءهم وهم المنافقون.

﴿ويَمنَعُونَ الماعُونَ﴾ [٧]

قد تكلّم العلماء في معناه كما قرئ على إبراهيم بن موسى عن محمد بن الجهم عن الفرّاء [معاني القرآن: ٣/ ٢٩٥] حدّثني قيس بن الربيع عن السُدّي عن عبد خير عن علي رضي الله عنه، قال: الماعون: الزكاة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٦٨]، ويروى هذا عن ابن عمر وابن عباس باختلاف، وعن ابن عباس: الماعون: ما يتعاطاه الناس، وحكى الفرّاء عن بعض العرب: الماعون: الماء، وأنشد:

يَمُجُّ صَبِيرُهُ المَاعُونَ صَبّا

[معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٩٥]

صبيره: سحابه. قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ترجع إلى أصل واحد، وإنّما هو الضنّ بالشيء اليسير الذي يجب ألاّ يضنّ به، مُشتقّ من المَعن، وهو الشيء القليل، والله أعلم.

١٠٨ ـ سورة الكَوثَر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾

شرح إعراب سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إنّا أعطيناك الكَوْثر﴾ [١]

النون والألف الأوليان في موضع نصب اسم إنّ والأخريان في موضع رفع و﴿**الكوثر**﴾ مفعول ثان، وهي في اللغة فوعل من الكثرة، وقد اختلف العلماء في معناه فعن النبيّ ﷺ أنه الحوض، ولمّا قال سعيد بن جبير: الكوثر: الخير الكثير [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٦٩]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/٢٩٥]، قيل له: فقد قيل: إنّه الحوض فقال: الحوض من الخير الكثير، وقال الحسن وقتادة: الكوثر: القرآن، وقرئ على محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف بن موسى، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا شعبة عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة قال: ﴿**إنّا أعطيناك الكوثر**﴾ قال: النبوّة والقرآن.

﴿فصلّ لِربّكَ وانحرْ﴾ [٢]

اختلف العلماء في معناها فمن أجلّ ذلك ما حدّثنا محمد بن أحمد بن جعفر قال: ثنا أبو بكر بن شيبة، ثنا وكيع عن يزيد بن أبي زيادة بن أبي الجعد عن عاصم الجحدري عن عُقبَة بن ظهير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله جلّ وعزّ ﴿**فصلّ لِربّك وانحرْ**﴾ قال: وَضْعُ اليمين على الشمال في الصلاة [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٦٩]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/٢٩٦]. قال أبو جعفر: وقد اختُلفَ عنه في ذلك، فروي عنه أنه قال: يضع اليمين على الساعد الأيسر على صدره، وعنه وعن أبي هريرة: يجعلهما تحت السرّة، وهذا مذهب الكوفيين، ويُحتجّ للقول الأول أنه أشبه بالآية؛ لأن معنى وانحر أي اجعل يدك نحو نحرك، وقد روى سفيان لشعبة عن عاصم بن كليب عن ابنه عن وائل بن حجر، قال: رأيت النبي ﷺ: فقال: اجعل يدك نحو نحرك، وقد روى سفيان وشعبة عن عاصم بن أنس عن أبي حازم عن سَهل بن سعد قال: كان الناس يُؤمَرُونَ أن يَضع الرجل يَدَه اليمنى على اليسرى في الصلاة.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾

قال أبو جعفر: فعلى هذا القول فصلّ لربك أي الصلوات كلّها وانحر: اجعل يَدَكَ نحو نحرك فهذا قول، وعن أبي جعفر محمد بن عليّ ﴿وانحر﴾ ارفع يدك نحو نحرك إذا كبّرت للإحرام، وقال الضحاك: ﴿وانحر﴾: واسأل، وقول رابع ﴿وانحر﴾: واستقبل القبلة بنحرك كما حكي عن العرب: هما يتناحران أي يتقاتلان. قال أبو جعفر: وليس هذا قول أحد من المتقدّمين، وقول خامس عن أنس بن مالك قال: كان النبيّ ﷺ ينحر ثم يصلّي حتى نزلت ﴿فصلّ لربك وانحر﴾ فصار يصلّي ثمّ ينحر، وقول سادس عليه أكثر التابعين، قال الحسن وعطاء أي صلّ العيد وانحر البُدْنَ. قال أبو جعفر: وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير، وهو مرويّ عن ابن عباس رضي الله عنه، وبعض أهل النظر يميل إليه؛ لأنه ظاهر المعنى أي انحر البدنَ ولا تذبحها، وبعض الفقهاء يرده؛ لأن صلاة العيد ليست بفرض عند أحد من المسلمين، والأضحية ليست بواجبة عند أكثر العلماء كما روي أن أبا بكر وعمر كانا لا يضحّيان مخافة أن يتوهّم الناس أنّها واجبة، وكذا ابن عباس قال: ما ضحّيت إلاّ بلحم اشتريته، وفي الآية قول سابع، وهو أبينُها، وهو مذهب محمد بن كعب قال: أخلص صلاتك لله وانحر له وحده. وهو قول حسن؛ لأن الله جلّ وعزّ عرّفه ما أكرمه به وأعطاه اياه فأمره أن يشكره على ذلك لئلاّ يفعل كما يفعل المشركون، وأن تكون صلاته خالصة لله وحده ويكون نحره قاصداً به ما عند الله جلّ وعزّ لا كما يفعل الكفار.

﴿إنّ شانئكَ..﴾ [٣]

قال ابن عباس: عدوّك أبا جهل، وقيل: العاصي بن وائل ﴿هُو الأبترُ﴾ أي المنقطع الذِّكرَ مِنَ الخير لا أحد يقوم بدينه، ولا يذكُرُهُ بخير [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٧٠]. فكان هذا من علامات نبوته ﷺ أنه خبّر بما لم يقع فكان كما أخبر به، وقد قيل: لما أنزل الله ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ لم يولد له بَعْدَ ذلك. والأول أصحّ، وأصله من بتره أي قطعه.

١٠٩ ـ سورة الكافِرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

شرح إعراب سورة الكافرين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ..﴾ [١]

﴿لا أعبُدُ ما تَعْبُدُونَ﴾ [٢]

﴿ولا أنْتُم عابِدونَ ما أعبُدُ﴾ [٣]

﴿ولا أنا عابِدٌ ما عبدْتُمْ﴾ [٤]

في موضع جزم عند الفرّاء على حذف اللام، وسمعت علي بن سليمان يقول: لو كان كما قال لكان بالتاء. وهو عند البصريين غير معرب. ﴿يا أيُّها﴾ ﴿يا﴾ حرف نداء، وضممْتَ أياً لأنه منادى مفرد قد مرّت العلّة فيه ﴿الكافرُون﴾ نعت لأي أو عطف البيان. قال محمد بن يزيد: ليس في هذا تكرير وإنّما جَهِل من قال: إنه مُكرّرُ اللغة، والمعنى ﴿قُلْ يا أيُّها الكافِرُون﴾ ﴿لا أعبُدُ ما تَعْبُدُونَ﴾ في هذا الوقت، وكذا ﴿ولا أنْتُمْ عابِدونَ ما أعبُدُ﴾ انقضى هذا، ثمّ قال: ﴿ولا أنا عابِدٌ ما عبدْتُمْ﴾ فيما استُقبل.

﴿وَلا أنتُم عابِدُون ما أعبُدُ﴾ [٥]

مثله، وكان في هذا دلالة على نبوته ﷺ؛ لأن كلّ من خاطبه بهذه المخاطبة لم يُسلِم منهم أحد، وكذا الذين خاطبهم بقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]. ﴿أنتم عابِدُونَ﴾ مبتدأ وخبر، وكذا ﴿أنا عابِدٌ﴾ على حذف الواو ومعناها، ولم تنصب ﴿لا﴾ كما تنصب ﴿ما﴾ لأن ﴿ما﴾ أدخلُ في شَبَهِ ليس فنصبَت كما نصبت ليس.

﴿لكُمْ دِينُكم..﴾ [٦]

....

مبتدأ، وكذا ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ وحُذفت الياء من ديني لأنه رأس آية فحسن الحذف لتتفق الآيات، ومن فتح الياء في قوله ﴿ولِيَ﴾ قال: هي اسمٌ فكرهتُ أن أخلّ به، ومن أسكنها قال: قد اعتمدت على ما قبلها في موضع نصب.

١١٠ ـ سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

شرح إعراب سورة إذا جاء نصر الله ﴿النصر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذا..﴾ [١]

ظرف زمان نصب بجاء ﴿نَصْرُ الله﴾ رفع بجاء ويجمع على أنصار، والقياس أنصُر، ﴿والفَتْحُ﴾ عطف عليه.

﴿وَرَأَيتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾ [٢]

﴿يدخلون﴾ في موضع نصب على الحال أو على خبر رأيت، ﴿أفواجاً﴾ نصب على الحال جمع فوج، والقياس فوجٌ أفوجٌ استثقل الحركة في الواو فشبّهوا فَعْلاً بِفعْل.

﴿فَسَبِّحْ بحمد ربك..﴾ [٣]

أي اجعل تسبيحك بالحمد ﴿واستَغفرهُ﴾ وكان يقول ﷺ: «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرّة» [حم: ٥/ ٣٩٤] ﴿إنّه كانَ توّاباً﴾ خبر كان، والجملة خبر إنّ، وكانت هذه السورة دلالة على نُبوّته ﷺ؛ لأنها نزلت قبل الفتح. قال ابن عباس: فعُرف أنّه إذا كان الفتح، فعَدَدْنا أجله ﷺ. قال قتادة: نزلت سورة الفتح ﴿إذا جاء نصر الله﴾ بالمدينة.

١١١ ـ سورة المَسَد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣
وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤

شرح إعراب سورة تبّت [المسد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تبَّتْ يدا أبي لَهب وتَبّ﴾ [١]

في ﴿تبّ﴾ الأولى قولان: أحدهما: أنه دعاء، والآخر: أنه خبر. وفي إسكان التاء قولان: أحدهما أنها لمّا كانت حرفاً وجب لها السكون، والآخر أنه لم تبق لها حركة فاسكت، ﴿يدا﴾ فيه قولان: أحدهما أنه مجاز أي تبّ، والآخر أنه على الحقيقة كما يُروى أن أبا لهب أراد أن يرمي النبي ﷺ فمنعه الله جلّ وعزّ من ذلك، وأنزل ﴿تبت يَدَا أبي لهب﴾ أي خيبَت يدا أبي لهب، فيه قولان: أحدهما: أن علامة الخفض الياء، والقول الآخر: أنه معرب من جهتين، هذا قول الكوفيين ﴿وتبّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه قد مضمرة كما روي عن ابن مسعود أنه قرأ ﴿تبّتْ يدا أبي لَهَب وقد تبّ﴾، والقول الآخر: أنه خبر وأن ﴿قد﴾ لا تضمر لأنها حرف معنى.

﴿ما أغنى عنه مالُهُ﴾ [٢]

في ﴿ما﴾ قولان: أحدهما: أنها في موضع نصب بأغنى، والقول الآخر: أنها لا موضع لها من الإعراب وأنها نافية. ﴿وما كسب﴾ فيه قولان: أحدهما أنه يراد به ولده، هذا قول ابن عباس، والقول الآخر: ما كسبه من شيء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٧٥].

﴿سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَب﴾ [٣]

فيه قولان: أحدهما: أن الوقوف عليه ذاه بالهاء؛ لأن تأنيث الأسماء بالهاء، والآخر: أن الوقوف ذات؛ لأنه لا ينفصل مما بعده في المعنى.

﴿وامرأتُه..﴾ [٤]

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾

فيه قولان: أحدهما أنها مرفوعة لأنها معطوفة على المضمر الذي في سيصلى [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٧٥]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/٢٩٨]، وحسن العطف على المضمر لطول الكلام، والقول الآخر أنها مرفوعة بالابتداء ﴿حَمَّالَةُ الْحَطَبِ﴾ بالرفع فيه قولان أحدهما أنه نعت لامرأته والآخر أنه خبر الابتداء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٧٥]. وفي نعتها هذا قولان، وهي أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب، أحد القولين أنها نعتت بهذا تخبيأ لها وعقوبة لإيذائها النبي ﷺ، والقول الآخر أن يكون له زوجات غيرها فَنُعِتَتْ بهذا للفرق بينها وبينهن، وفي موضع الجملة قولان: أحدهما: أنها في موضع الحال، والتقدير: ما أغنى عنه ماله وما كسب وامرأته حمالة الحطب، والقول الآخر: أنها خبر ﴿ما﴾ في موضع الحال، ومن قرأ ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ففي قراءته قولان: أحدهما: أنه منصوب على الحال؛ لأنه يجوز أن تدخل فيه الألف واللام فلمّا حذفتهما نصب على الحال، والقول الآخر: أنه منصوب على الذم [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٩٨]، [ومعاني القرآن للأخفش: ٢/٧٤٥] أي أعني حمالة الحطب كما قال:

نحن بني ضَبَّةَ أصحابَ الجمل

[الكامل للمبرد: ٩٩، ٣٤٧]

وقال رؤبة [ديوانه: ١٩١]:

أنا ابنَ سعد أكرمَ السعدينا

﴿في جيدها..﴾ [٥]

فيه قولان: أحدهما: أنه خبر بعد خبر عن ﴿وامرأتُهُ﴾، والقول الآخر أن يكون خبراً منقطعاً من الأول ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يراد به السلسلة التي تكون في عنقها في النار [معاني القرآن للفراء: ٣/٢٩٩]، والآخر: أنه الحبل الذي كانت تحمل به الحطب [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٧٦].

١١٢ ـ سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾

شرح إعراب سورة قل هو الله أحد [الإخلاص]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل هو الله أحدٌ﴾ [١]

﴿هو﴾ في موضع رفع بالابتداء [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٧٧] كناية عن الحديث على قول أكثر البصريين والكسائي أي الحديث الذي هو الحق الله أحد.

﴿الله الصمدُ﴾ [٢]

فيه ست تقديرات: أحسنها أن يكون قولك ﴿الله﴾ رفعاً بالابتداء، ﴿الصَّمَدُ﴾ نعته وما بعده خبره، والقول الثاني: أن يكون الصمد الخبر، والقول الثالث: أن يكون على إضمار مبتدأ، والرابع: أن يكون خبراً بعد خبر، والخامس: أن يكون بدلاً من أحد، والسادس: أن يكون بدلاً من قولك الله الأوّل، فإن قيل: ما معنى التكرير؟ فالجواب أن فيه التعظيم، هكذا كلام العرب كما قال:

لا أرى الموتَ يَسبِقُ الموت شيء نغّصَ الموتُ ذا الغنى والفقيرا

[القرطبي في تفسيره: ١/٤١٧]

فعظّم أمر الموت لما كرّره ولم يضمره، ومثله ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠] فلا يجيز الفرّاء أن يكون كناية عن الحديث إلاّ أن يكون قبلها شيء. وهذا تحكّم على اللغة، وقال الله جلّ وعزّ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٢٠] وإنّي الابتداء وإنّ إنّما تدخل على المبتدأ بإجماع، وأيضاً فإن ﴿هو﴾ إن لم يكن كناية عن الحديث فهي مبتدأة في أوّل السورة.

فإن قال القائل: فعلامَ تعود؟ فحجّته الحديث أن اليهود سألوا النبيّ ﷺ أن يصف لهم ربّهُ جلّ وعزّ وينسبهُ فأنزل الله جلّ وعزّ ﴿قُلْ هُوَ الله أحدٌ﴾. قال أبو جعفر: وقد أمليْت هذا الحديث ليعرف على ما سمعته، وفيه أشياء منها أنّه من حديث جرير عن الضحّاك لم يسمع عن

....

ابن عباس وقال أحمد بن شعيب جويبر بن سعيد خراساني يروي عن الضحاك متروك الحديث، وفيه إسماعيل بن زياد ضعيف، وذكرناه على مافيه ليعرف، وفيه البعلبكي على ماقال الشيخ والأجود البعلي، وهذا جائز عند الكوفيين وقد بيّنا في قوله جلّ وعزّ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] والأخفش سعيد قوله كقول الفرّاء في أنه كناية عن مفرد، ﴿الله﴾ خبر قال الأخفش [معاني القرآن: ٢/٧٤٦] ﴿أحد﴾ بدل من ﴿الله﴾. قرأ نصر بن عاصم وعبد الله بن أبي إسحاق ﴿أحدُ الله﴾ بغير تنوين، وكذا يُروى عن أبان بن عثمان: حذفوا التنوين لالتقاء الساكنين، وأنشد سيبويه:

وَلا ذاكِـــرَ الـــلـــه إلاّ قـــلـــيـــلاَ

[القرطبي في «تفسيره»: ٢/٢١١]

وأنشد الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٣٠٠]:

كـيـف نـومـي عـلـى الـفـراش ولـمّـا — تـشـمَـلِ الـشّـامَ غـارةٌ شـعـواءُ
تـذهِـلُ الـشّـيْـخَ عـن بـنـيـه وتُـلـوي — عـن خِـدامِ الـعـقـيـلـةُ الـعـذرَاءُ

يريد عن خدام العقيلة فحُذف التنوين لالتقاء الساكنين كما قرؤوا ﴿أحدُ الله﴾ والأجود تحريك التنوين لالتقاء الساكنين، لأنه علامة فحذفه قبيحٌ، وقراءة الجماعة أولى. وفي ﴿أحد﴾ ثلاثة أقوال منها: أن يكون أحد بمعنى وحد، ووَحدٌ بمعنى واحد، كما قال:

كـأنّ رَحـلـي وقـد زالَ الـنّـهـار بـنـا — يـوم الـجـلـيـل عـلـى مُـسـتـأنـسٍ وَحَـدِ

[ديوان النابغة الذبياني: ٣١]

فأبدل من الواو همزة. والقول الثاني: أن يكون الأصل واحداً أُبدل من الواو همزة، وحذفت الهمزة لئلاّ يلتقي همزتان، والقول الثالث: أن أحداً بمعنى أوّل كما تقول: اليوم الأحد، واليوم الأول مسموع من العرب، وقال بعض أهل النظر: في أحد من الفائدة ما ليس في واحد؛ لأنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحدٌ، جاز أن يقوم له اثنان وأكثر، فاذا قلت. فلان لا يقوم له أحد، تضمّن معنى واحد وأكثر. قال أبو جعفر: وهذا غلط، لا اختلاف بين النحويين أن أحداً إذا كان كذا لم يقع إلاّ في النفي كما قال:

وقَـفْـتُ فـيـهـا أُصَـيـلاً كـي أُسـائـلـهـا — عَـيّـتْ جـوَابـاً ومـا بـالـرَّبـع مـن أحَـدِ

[القرطبي في «تفسيره»: ١/٣٠٩]

فإذا كان بمعنى واحد وقع في الإيجاب تقول: ما مرّ بنا أحدٌ، أي واحد فكذا ﴿قل هو الله أحد﴾

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿لم يلدْ ولمْ يولد﴾ [٣]

ثبتت الواو في الثاني، وحذفت في الأول لأنها في الأول وقعت بين ياء وكسرة، وفي الثاني وقعت بين ياء وفتحة.

﴿وَلَم يكُنْ له كُفواً أحدٌ﴾ [٤]

وقراءة حمزة ﴿كُفْواً﴾ وزعم هارون القارىء أن سليمان بن علي الهاشمي قرأ ﴿ولم يكن له كِفَاءً أحدٌ﴾ والمعنى واحد، كما قال:

لاَ تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لا كِفَاءَ لَهُ وإن تَأَثَّفَكَ الأعداءُ بالرِّفَدِ

[ديوان النابغة: ٣٦]

وكذا كفْءٌ وجمعُها أكفِيَةٌ فإذا قلت: كُفُؤاً وكُفءٌ فجمعها أكفاء. يقال: فُلانٌ يمنع بناته إلاّ من الأكفاء فيجوز أن يكون كفُو وكفءٌ لغتين بمعنى واحد، ويجوز أن يكون كفءٌ مخففاً من كفؤٌ كما يقال: رُسْلٌ وكُتْبٌ، ﴿كفواً﴾ خبر يكن و﴿أحدٌ﴾ اسم يكن. هذا قول أكثر النحويّين على أن محمد بن يزيد غلّط سيبويه في اختياره أن يكون الظرف خبراً إذا قُدّم لأنه يختار: إنّ في الدار زيداً جالساً، فخطّأه بالآية؛ لأنّه لو كان ﴿له﴾ الخبر لم ينصب ﴿كفواً﴾ على أنه خبر يكن على أن سيبويه قد أجاز أن يقدّم الظرف ولا يكون خبراً، وأنشد:

مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيّا

والقصيدة منصوبة، وفي نصب كفو قول آخر ما علمت أن أحداً من النحويين ذكره وهو أن يكون منصوباً على أنه نعت نكرة متقدّم، فنصب على الحال كما تقول: جاءني مُسرعاً رجلٌ، وكما قال:

لِمَيَّةَ مُوحِشاً طَلَلُ

[ديوان كثير عزة: ٥٣٦]

ولكن ذكر الفرّاء [معاني القرآن: ٣/٢٩٩] أنه يقال: ما كان ثَمّ أحدٌ نظيرٌ لزيد، فإن قدّمت قلت: ما كان ثمّ نظيراً لزيد أحدٌ، ولم يذكر العلّة التي أوجبت هذا.

١١٣ ـ سورة الفَلَق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾

شرح إعراب سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [١]

قد اختلف العلماء في معناه فقال جابر بن عبدالله: هو الصبح، وقال أبو عبد الرحمن الحُبُلي [القرطبي في «تفسيره»: ٣٠/٣٥٠]: هي جهنّم، وقيل: هو الخلق، وقيل: هو وادٍ في جهنّم. قال أبو جعفر: وإذا وقع الاختلاف وجب أن يرجع إلى اللسان الذي نزل به القرآن، والعرب تقول: هُوَ أبين من فلق الصبح وفرقه [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٧٩]، يعنون الفجر.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [٢]

تكون ﴿ما﴾ مصدراً فلا تحتاج إلى عائد، ويجوز أن تكون بمعنى الذي فتكون الهاء العائدة عليه محذوفة.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [٣]

تكلّم العلماء في معنى الغاسق، فعن النبي ﷺ أنه القمر وقد ذكرناه بإسناده. وروى عقيل عن الزهري قال: الغاسق إذا وقب: الشمس إذا غربت. قال أبو جعفر: وأكثر أهل التفسير أن الغاسق الليل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٧٩]، ومنهم من قال: الكواكب، فإذا رجع إلى اللغة عرفَ منها أنه يقال: غَسَقَ إذا أظلم فاتفقت الأقوال؛ لأن الشمس إذا غربت دخل الليل، والقمر بالليل يكون، والكوكب لا يكاد يطلع إلاّ ليلاً. فصار المعنى ومِنْ شَرِّ الليل إذا دَخَل بظلمته فغطى كل شيء. يقال: وقب إذا دخل، وقول قتادة: وقب: ذَهَبَ لا يُعرفُ.

﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [٤]

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

جمع نفّاثة وفي المُكثّر نوافث يقال: إنَّهُن نساءٌ سواحر [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٣٠١]، [ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٧٩] كُنّ في عهد النبيّ ﷺ أمر بالاستعاذة منهن؛ لأنهنّ يُوهِمن أنهنّ ينفعْنَ أو يَضرُرن، فربّما لحق الإنسان في دينه ما يأثمُ به. فأما السحر فباطل.

﴿ومِن شَرِّ حاسدٍ إذا حَسَدَ﴾ [٥]

قال ابن زيد: هم اليهود، وقال غيره: هو لبيد بن أعصم [معاني القرآن للفراء: ٣/ ٣٠١] وبناته هنّ السواحر. قال أبو جعفر: أولى ما قيل في هذا قول قتادة قال: هو لكل من [العين والنفس].

١١٤ ـ سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَٰهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾

شرح إعراب سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل أعوذُ بِرَبِّ الناسِ﴾ [١]

الأصل عند سيبويه [الكتاب: ١/٣٠٩] أُناس، والألف واللام بدل من الهمزة.

﴿مَلِكِ الناسِ﴾ [٢]

نعت، يقال: مَلِكٌ بَيِّن المُلْكِ، ومالك بيِّنُ المِلْك والمُلْك.

﴿إلهِ الناسِ﴾ [٣]

نعت أو بدل [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٧٤٧].

﴿مِن شَرِّ الوَسْواسِ...﴾ [٤]

هو الذي يُوسوِسُ في الصدور كما قال الأعشى [ديوانه: ٥٥]:

تَسمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْواساً إذا انصَرَفَتْ كَمَا استَعانَ بِريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

﴿الخنّاسِ﴾ عن ابن عباس روايتان إحدهما: أنه يُوَسوِسُ ويجثم على صدر الإنسان فإذا ذُكر الله جلّ وعزّ يَخنِسُ [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٨١]، [ومعاني القرآن للفراء: ٣/٣٠٢]. والرواية الأُخرى: أنه يوسوس فإذا أُطيع انخنَس، والقولان متفقان.

﴿الذي يُوسوِسُ في صُدُورِ الناسِ﴾ [٥]

في موضع خفض على النعت، ويجوز الرفع على إضمار مبتدأ.

﴿من الجِنّة والناسِ﴾ [٦]

....

يقال: جنّيٌّ وجِنٌّ وجِنّةٌ الهاء لتأنيث الجماعة، مثل حجار وحِجَارَةٌ. قال أبو جعفر: وسألت علي بن سليمان عن قوله عز وجل ﴿والناس﴾ فكيف يُعطفون على ﴿الجنة﴾ وهم لا يُوسوسُون؟ فقال: هم معطُوفُون على الوسواس، والتقدير: قل أعوذ برب الناس من شرّ الوسواس والناس [معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٨١]. والذي قال حَسَنٌ؛ لأن التقديم والتأخير في الواو جائز حسن كثير كما قال:

جَمَعْتَ وفحشاً غيبةً ونميمةً ثلاث خصال لستَ عنها بِمُرعوي

وقال حسّانٌ [ديوانه: ١٨٠]:

وما زال في الإسلامِ مِنْ آلِ هاشمٍ دَعائمُ عزٍّ ما تُرَامُ ومَفْخَرُ

وهم جبل الإسلام والناس حَولَهم رِضامٌ إلى طود يَرُوقُ ويَقْهَرُ

بَهاليلُ منهم جَعْفَرٌ وابنُ أُمِّهِ عليٌّ وَمِنْهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

فبدأ اللفظ بِجَعْفَر ثمّ جاء بعده بعليٍّ ثمّ جاء بعده بالنبيّ ﷺ، وهو المقدَّم على الحقيقة، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً.

تمّ كتاب (شرح إعراب القرآن)
الحمدُ لله ربّ العالمين وصلّى الله
على سيّدنا محمّد النبيّ وعلى آله وسلّم تسليماً
حسبنا الله وكفى ونعم الوكيل

المحتويات

مقدمة المحقق ٥

حياة الإمام ابن النحاس العلامة إمام العربية في سطور ٧

مقدمة المؤلف ٩

١ ـ سورة الفَاتِحَة ١١

٢ ـ سورة البَقَرَة ١٦

٣ ـ سورة آل عِمرَان ١٢٠

٤ ـ سورة النساء ١٦٩

٥ ـ سورة المَائدة ٢٢١

٦ ـ سورة الأنعَام ٢٥٦

٧ ـ سورة الأعرَاف ٢٩٦

٨ ـ سورة الأنفَال ٣٤٠

٩ ـ سورة التوبَة ٣٥٨

١٠ ـ سورة يُونس ٣٨٨

١١ ـ سورة هُود ٤٠٩

١٢ ـ سورة يُوسُف ٤٣٧

١٣ ـ سورة الرعد ٤٦٦

١٤ ـ سورة إبراهيم ٤٧٦

١٥ ـ سورة الحِجر ٤٨٥

١٦ ـ سورة النحل ٤٩٦

١٧ ـ سورة الإسرَاء ٥١٣

١٨ ـ سورة الكهف ٥٣٦

١٩ ـ سورة مريَم ٥٥٧

٢٠ ـ سورة طه ٥٧٦

٢١ ـ سورة الأنبياء ٥٩٩

٢٢ ـ سورة الحج ٦١٥
٢٣ ـ سورة المؤمنون ٦٣٢
٢٤ ـ سورة النور ٦٤٤
٢٥ ـ سورة الفرقان ٦٦٠
٢٦ ـ سورة الشعراء ٦٧٤
٢٧ ـ سورة النمل ٦٩١
٢٨ ـ سورة القصص ٧١١
٢٩ ـ سورة العنكبوت ٧٢٥
٣٠ ـ سورة الروم ٧٣٥
٣١ ـ سورة لقمان ٧٤٩
٣٢ ـ سورة السجدة ٧٥٦
٣٣ ـ سورة الأحزاب ٧٦٣
٣٤ ـ سورة سبإ ٧٨٣
٣٥ ـ سورة فاطر ٧٩٩
٣٦ ـ سورة يس ٨١٣
٣٧ ـ سورة الصافات ٨٣١
٣٨ ـ سورة ص ٨٥٨
٣٩ ـ سورة الزمر ٨٧٦
٤٠ ـ سورة غافر ٨٩٢
٤١ ـ سورة فصلت ٩٠٧
٤٢ ـ سورة الشورى ٩٢٢
٤٣ ـ سورة الزخرف ٩٣٨
٤٤ ـ سورة الدخان ٩٥٦
٤٥ ـ سورة الجاثية ٩٦٦
٤٦ ـ سورة الأحقاف ٩٧٨
٤٧ ـ سورة محمد ٩٩٠

٤٨ ـ سورة الفَتْح ١٠٠١
٤٩ ـ سورة الحُجرَات ١٠١٠
٥٠ ـ سورة قٓ ١٠١٧
٥١ ـ سورة الذاريَات ١٠٢٨
٥٢ ـ سورة الطُور ١٠٤٠
٥٣ ـ سورة النَجم ١٠٤٩
٥٤ ـ سورة القَمَر ١٠٦١
٥٥ ـ سورة الرحمٰن ١٠٧٣
٥٦ ـ سورة الواقِعَة ١٠٨٤
٥٧ ـ سورة الحَديد ١١٠٢
٥٨ ـ سورة المجَادلة ١١١٦
٥٩ ـ سورة الحَشر ١١٢٥
٦٠ ـ سورة المُمتَحنَة ١١٣٩
٦١ ـ سورة الصَف ١١٤٥
٦٢ ـ سورة الجُمُعَة ١١٤٩
٦٣ ـ سورة المنَافِقون ١١٥٣
٦٤ ـ سورة التغَابُن ١١٥٩
٦٥ ـ سورة الطَلَاق ١١٦٤
٦٦ ـ سورة التحْريم ١١٧٠
٦٧ ـ سورة المُلك ١١٧٥
٦٨ ـ سورة القَلَم ١١٨٠
٦٩ ـ سورة الحَاقة ١١٩٠
٧٠ ـ سورة المعَارج ١١٩٦
٧١ ـ سورة نُوح ١٢٠٢
٧٢ ـ سورة الجن ١٢٠٧
٧٣ ـ سورة المُزمل ١٢١٣

٧٤ ـ سورة المدثر ١٢١٩

٧٥ ـ سورة القيامة ١٢٢٧

٧٦ ـ سورة الإنسان ١٢٣٨

٧٧ ـ سورة المرسلات ١٢٤٧

٧٨ ـ سورة النبإ ١٢٥٥

٧٩ ـ سورة النازعات ١٢٦٤

٨٠ ـ سورة عبس ١٢٧١

٨١ ـ سورة التكوير ١٢٧٦

٨٢ ـ سورة الانفطار ١٢٨٣

٨٣ ـ سورة المطففين ١٢٨٧

٨٤ ـ سورة الانشقاق ١٢٩٥

٨٥ ـ سورة البروج ١٢٩٩

٨٦ ـ سورة الطارق ١٣٠٣

٨٧ ـ سورة الأعلى ١٣٠٧

٨٨ ـ سورة الغاشية ١٣١١

٨٩ ـ سورة الفجر ٣١٦

٩٠ ـ سورة البلد ٣٢٢

٩١ ـ سورة الشمس ٣٢٦

٩٢ ـ سورة الليل ٣٣٠

٩٣ ـ سورة الضحى ٣٣٤

٩٤ ـ سورة الشرح ٣٣٧

٩٥ ـ سورة التين ٣٣٩

٩٦ ـ سورة العلق ٣٤٣

٩٧ ـ سورة القدر ٣٤٦

٩٨ ـ سورة البينة ٣٤٩

٩٩ ـ سورة الزلزلة ٣٥٢

١٠٠ ـ سورة العَاديَات ١٣٥٤
١٠١ ـ سورة القَارعَة ١٣٥٦
١٠٢ ـ سورة التكاثر ١٣٥٨
١٠٣ ـ سورة العَصر ١٣٦٠
١٠٤ ـ سورة الهُمَزة ١٣٦١
١٠٥ ـ سورة الفِيل ١٣٦٤
١٠٦ ـ سورة قُرَيش ١٣٦٦
١٠٧ ـ سورة المَاعون ١٣٦٨
١٠٨ ـ سورة الكَوثر ١٣٧٠
١٠٩ ـ سورة الكافِرون ١٣٧٢
١١٠ ـ سورة النصر ١٣٧٤
١١١ ـ سورة المَسَد ١٣٧٥
١١٢ ـ سورة الإخلاص ١٣٧٧
١١٣ ـ سورة الفَلَق ١٣٨٠
١١٤ ـ سورة الناس ١٣٨٢

التنفيذ الطباعي: دار التسلسلي للطباعة
٤٥٠٤٥١ ـ ٠١/٤٥٠٩٦٢ ـ ٠١١٤٥٠ ـ بيروت، لبنان